

اتحاد المؤرخين العرب  
بالقاهرة

مجلة

# المؤرخ العربى

تصدر عن

اتحاد المؤرخين العرب  
بالقاهرة

---

مارس ٢٠٠٠

المجلد الأول

العدد الثامن

---

اتحاد المؤرخين العرب  
بالقاهرة

## مجلة المؤرخ العربى

العدد الثامن - المجلد الأول

مارس ٢٠٠٠

### هيئة التحرير:

أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور رئيس الاتحاد

أ. د. حسنين محمد ربيع

أ. د. سليمان إبراهيم العسكرى

أ. د. عبد اللطيف عبد الله بن دهيش

أ. د. سهيل محمد زكار

أ. د. مصطفى محمد رمضان



## هذه المجلة

- علمية تاريخية بحثية ، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .
- تستهدف الحقيقة التاريخية صافية نقية ، بعيدة عن أى تيارات سياسية أو عقائدية .
- البحوث التى تنشر فيها محكمة ، تعبر عن وجهة نظر أصحابها ، وهيئة التحرير غير مسئولة عما يرد فيها من آراء علمية .
- تصدر مؤقتاً سنوياً فى مارس من كل عام ؛ على أن تصلها البحوث المقدمة للنشر فى كل عدد فى موعد غايته نهاية شهر نوفمبر من العام السابق .
- لا يزيد حجم البحث المقدم للنشر عن أربعين صفحة ، منسوخ على الآلة الكاتبة أو بالكمبيوتر ؛ ويكون البحث من نسختين أصل وصورة .
- تخصص أقسام فى المجلة - حسب الإمكانيات - لعرض الكتب والمراجعات العلمية وتقارير عن المؤتمرات التاريخية والندوات .
- البحوث والأعمال المقدمة للنشر لا ترد لأصحابها فى حالة عدم إجازتها للنشر بالمجلة .
- يأتى ترتيب البحوث المنشورة وفق أسبقية ورودها وإجازتها للنشر مع مراعاة الترتيب الزمنى بقدر الإمكان ، مراعاة للحاسة التاريخية . ولا علاقة إطلاقاً بين هذا الترتيب ومكانة الباحث أو درجته العلمية .
- جميع المراسلات تكون باسم الأستاذ الدكتور رئيس هيئة التحرير .



## المؤرخ العربى

مجلة تاريخية علمية محكمة تصدر عن

اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

العدد الثامن - المجلد الأول - مارس ٢٠٠٠

### فى هذا العدد

- كلمة الافتتاح  
رئيس التحرير
- رؤية مصر لجيرانها فى الشرق الأدنى من واقع النصوص المصرية القديمة.  
د. علاء الدين عبد المحسن شاهين
- حجر رشيد : قصة الكشف وحل رموزه .  
د. عبد المنعم عبد الحليم سيد
- البارثينون .  
د. محمود إبراهيم السعدنى
- قبرص فى المصادر المصرية القديمة . د. محمد السيد عبد الحميد
- مرويات عمر بن شبة فى تاريخ الطبرى بين سنتى ٥٩ ، ٦٥ هـ .  
د. عبد العزيز عبد الله السلومى
- قبرص بين السيادة المصرية والأشورية القديمة .  
د. محمد على سعد الله
- خطط الراشدين فى البحر المتوسط . د. عبد العزيز بن إبراهيم العمرى

- المحاولات العربية لفتح القسطنطينية فى العصر الأموى .  
د. صلاح حسن العاوير
- التاريخ السياسى لمدينة أستجة الأندلسية منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية عصر الدولة الأموية .  
د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا
- وزراء العصر العباسى الأول . د . فايزة إسماعيل أكبر
- القبالات فى المغرب والأندلس . د. صلاح أحمد عبد خليفة
- ابن ظفر الصقلى وجهوده العلمية . د. على محمد سعيد الزهرانى
- السياسة الأمنية للسلطان السلجوقى علاء الدين كيقباد الأول .  
د. نورة عبد الله بادياب
- التنافس الدولى فى الخليج . د. عمر بن صالح بن سليمان العمرى
- العلماء والأئمة فى عمان . د. سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمى
- نقشان كتابيان يؤرخان لعمارة دار الحميدية بمكة المكرمة .  
د. عادل بن محمد نور غباشى
- علماء الأندلس ودورهم فى التصدى للقوى الأسبانية المسيحية فى عصر الطوائف . د. سحر السيد عبد العزيز سالم
- الغرب الأوروبى و حركة الإصلاح فى الدولة العثمانية .  
د. سعيد بن سعد سفر الغامدى
- معاهدة التركية الأمريكية عام ١٨٣٠م .  
د. عبد العليم على أبو هيكل

□ على الغايات ودوره فى الحركة الوطنية .

د. حسن أحمد يوسف نصار

□ الحماية الأجنبية فى المغرب الأقصى . د. تركى عجلان الحارثى

□ الفكر السياسى عند الأمير عبد القادر الجزائرى .

د. إسماعيل زروخى

□ الصحوة العربية فى القرن العشرين . د. مدحت محمد عبد النعيم



## كلمة الافتتاح :

### \*\*\*وللتأريخ تاريخ

من حقنا أن نتساءل ، ونحن نقدم هذا العدد الثامن من مجلة (المؤرخ العربى) للقراء : من هو المؤرخ ؟ وما هى الصفات والمؤهلات التى يجب أن تتوافر لفرد حتى يكون مؤرخا ؟ وما أبعاد الإطار العام الذى يتحرك داخله المشتغل بالتأريخ ليكون ناجحا فى عمله ؟

هل المؤرخ هو الراوى الذى يحكى ما توافر له من حوادث سواء رآها بنفسه أو سمع بها ؟ أم أنه المحدث الذى يروى الحوادث ويحدد سير الأشخاص الذين تتأقلا الرواية ، وسردوا الحكاية ؟ وهل كل من حصل على إجازة علمية فى التاريخ - مهما تكن درجتها يعتبر مؤرخا ؟

التساؤل ضرورى ، والإجابة صعبة ، ولكنها غير مستعصية ، خاصة فى أيامنا التى نرى التاريخ وقد غدا أشبه ببحر لجى كبير ، يخوض فيه الخائضون على غير علم بطبيعته وأبعاده ، فيفسدون صفحته النقية ويعكرون مياهه الصافية . أجل ، لقد غدا التاريخ - للأسف - مطية ، يستعين بها أصحاب المصالح فى تحقيق مكاسب شخصية ، أو تبرير سياسة خاطئة ، أو إرضاء لسلطة حاكمة .

ها هو مخرج روائى يعرض رواية يختار لها اسما تاريخيا جذابا ، ويحشوها بتفاصيل وصور وأقوال ينسبها إلى التاريخ ، والتاريخ برئ منها دون أن يعنيه إفساد التاريخ بقدر ما يعنيه الكسب المادى والشهرة التى يحققها لنفسه فى عالم العبث والفن .

وها هم بعض السياسة ورجال الإعلام ، يريد أحدهم أن يروج لرأى معين ، أو يبرر سياسة خاطئة أو ينشر مذهباً هداما ، فينسب إلى التاريخ ما ليس فيه ،

ويفسر الأمور تفسيراً بعيداً عن الحقيقة والواقع ، وربما ابتكر قصة من وحي خياله وألبسها زياً تاريخياً ، ودسها على التاريخ دساً ... كل ذلك ليبرر وجهة نظره ، بعيداً عن قواعد الأخلاق وأمانة الكلمة وصدق الأحكام .

ونقول لهؤلاء وأمثالهم ، إن التاريخ علم ، له منهجه وأهدافه ، وطابعه المميز . إنه علم يتطلب ممن يشتغل به ، أو يخوض في جنباته أن يتحلى بصفات جوهرية ، منها الأمانة والصدق ، والقدرة على الالتقاط والتعليل من جهة ، والاستنباط والمقارنة من جهة أخرى ، والعمل على ربط الحاضر بالماضي ، لأن التاريخ يوصف بأنه قصة الإنسان على ظهر الأرض ، وهي قصة متصلة الحلقات ، اليوم نبع من أمس ، وغدا ينبع من اليوم ... وهكذا .

ولا نغنى بهذا الربط إلياس الحاضر ثوب الماضي ، فكل عصر طبيعته ، وأجوائه ، وخصائصه التي ترتبط بنظرة الناس إلى الحياة . ومع أن الإنسان هو الإنسان ، بتكوينه الذهني وبنائه الجسدي والعضوي ، وأحاسيسه ومشاعره النفسية... ، إلا أن نظرة الإنسان إلى الحياة تختلف من عصر لآخر . وبعبارة أخرى فإن الإنسان في العصور الوسطى أطل على الحياة من زاوية غير تلك التي أطل منها إنسان العصور القديمة أو الحديثة على الحياة ، الأمر الذي لا بد وأن يترك بصماته في صورة التاريخ وتكوينه وتشكيله في كل عصر من عصوره . وتتجمع كافة هذه الاعتبارات لتكوين ما يمكن أن نسميه « الحاسة التاريخية » وصدق الشاعر ، والقدرة على المقارنة والاستنتاج والتعليل ، في ضوء الظروف المحيطة بالإنسان والزمان والمكان ... مع تنقية النفس من الميول والأهواء الشخصية ، والالتزام بالعدالة في تقييم العقائد المذهبية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ...

والواقع إن المؤرخ في مباشرته عملية « التأريخ » يجد نفسه أكثر ارتباطاً بالماضي منه بالحاضر . إن ما يجري حالياً ومستقبلاً أكثر صلة بالعلوم السياسية



منه بعلم التاريخ . التاريخ فى حقيقته نظرة إلى الماضى ، إلى أيام ولت وسنين أدبرت وعصور انقضت ، ولم يبق منها جميعا إلا الأثر والذكرى . وهذا الإطار الزمنى للتاريخ يجعل مهمة المؤرخ صعبة ، لأنه يستعرض أعمالا انقضت ، ويتعرض لأناس فارقوا الحياة ، ولم يعد لهم وجود ليدافعوا عن أنفسهم ويبرروا تصرفاتهم ، ويفسروا وجهات نظرهم ، ويوضحوا أهدافهم وسياساتهم وغاياتهم . ثم إن هناك حقيقة كبرى لا ينبغى أن تفوتنا ، هى أن التاريخ يرتبط دائما بعنصر غائب لا يدرك حقيقته إلا الله عز وجل . نحن نؤرخ لحوادث قام بها أفراد قد نرى صورهم وأشكالهم ، ونقرأ أقوالهم ونسمع عن أفعالهم ، ولكننا لا نعرف شيئا عما كانت تكنه قلوبهم وتفيض به صدورهم ، وتدبره عقولهم وتحس به نفوسهم . وهنا نجد أنفسنا مضطرين إلى الظن وربما الخيال . وهذا الظن قد يكون صحيحا أو غير صحيح . فإذا رجعنا إلى المصادر المعاصرة لتلك الحوادث والمزامنة للأشخاص المؤرخ لهم ، فإن علينا التثبت من شخصية صاحب المصدر والتأكد من سلامة وصحة المادة التى يقدمها إلينا ، والتى علينا أن نرجع إليها ونحاول الاسترشاد بها . علينا أن نعى حقيقة ما كتبه السابقون ، فقد يكون فيه السليم وغير السليم . علينا أن نقارن بين مختلف الروايات فقد يكون منها المقبول وغير المقبول . علينا أن نقوم بما يمكن أن نسميه « عملية غربلة » لما تحويه هذه الروايات لنستخلص السمين ونستبعد الغث . علينا أن نؤمن بأن من خلفوا لنا هذا التراث بشر ، يحبون مثلما يحب البشر ، ويكرهون مثلما يكره البشر ، وأن لهم ميولهم وأغراضهم وأهواءهم ، وهذه كلها قد تؤدى ببعضهم - فى حالات خاصة - إلى الانحراف ، إرضاء لميولهم ونزعاتهم ونزواتهم ومصالحهم ...

وهنا يأتى دور المؤرخ ليبدأ من حيث ينبغى أن يبدأ ، ونقطة البداية هنا هى الإحاطة بشخصية صاحب المصدر الذى يستمد منه المؤرخ معلوماته : أخلاقه ، حظه من الأمانة ، ميوله وعقائده ، ومآربه وتطلعاته وطموحاته . فإذا ثبت له أن

صاحب المصدر موثوق به ، استعان به وبروايته . أما إذا تشكك في أخلاقه وسلوكه ، فعليه أن يكون حذرا عند الاقتراب منه ، وله أن يستبعده ويسقطه من حسابه .

ولدينا أمثلة واضحة في علم الحديث النبوي ، وهو العلم الذي تفرع عنه علم التاريخ عند المسلمين . ذلك أن علماء الحديث عندما رأوا أن بعض الأحاديث دخل عليها الزيف ، قاموا بعملية ( غربلة ) واسعة وتحروا عن شخصية كل فرد من المسندين الذين أسندت إليهم الأحاديث ، حتى استخلصوا ( الصحيح ) واستبعدوا غير الصحيح ، وهو الضعيف أو الخفيف أو المدسوس . فهذا حديث رفض « لأن من رواه فلان ، وكان كذابا مجاهرا بالفسق » ، وهذا حديث آخر قالوا فيه « إن من رواه فلان .. ولا يجوز الاعتماد به » . وهذا حديث ثالث قالوا فيه « إن من رواه فلان .. وحديثه منكر وغير محفوظ » . وصدق الله العلي العظيم إذ يقول : { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين } .

\* \* \*

وإذا كان مطلوبا من المؤرخ الاعتماد على المقارنة ، والالتزام بالحكم الصادق الأمين ، والحرص على التعبير الصحيح في كتابة التاريخ ؛ فإن ثمة مشكلة تواجهنا في الحكم على ما يسمونه ( التاريخ المعاصر ) . ذلك أننا ذكرنا أنه من المفروض في المؤرخ أن يلتزم بالأمانة والدقة فيما يتعلق بالعصور السابقة والسنين الخالية . ولكن ماذا يكون الوضع بالنسبة لموقف المؤرخ من الأحداث القائمة حوله أو التي يعاصرها ويعيش بين جوانبها ويتأثر بما فيها من نزعات وتيارات قد تكون متلاطمة ؟ من الممكن في بعض الحالات أن يجد المؤرخ نفسه غير راض عن تصرفات حاكم مستبد ، أو حكومة متسلطة ، أو جماعة منحرفة ، فهل يمكن للمؤرخ في ظل هذه الأوضاع أن يقول كلمة بشجاعة معرضا نفسه

لعقوبة قد لا يقوى على احتمالها ، ومضحيا بلقمة العيش التى يتحكم فيها سادته  
الحكام ؟

إن كثيرين فى التاريخ المعاصر « يرقصون للقرد فى دولته » على قول  
المقرىزى ، فيسجدون لكل متسلط معبرين عن ولائهم ، مهالين لحسن سياسته ،  
مشيدين بعظيم إنجازاته ... وليس هذا هو التاريخ .

ومن ناحية أخرى ، فإن علينا أن نتذكر ما سبق أن أشرنا إليه من أن لكل  
حاكم ، ولكل نظام ، ولكل عهد ، أنصاره وخصومه ، ومحبيه وكارهيه ، ومؤيديه  
ومعارضيه . الفريق الأول - وهم الأنصار والمؤيدون ومعظمهم غالبا من جماعة  
المنتفعين والمستفيدين ، والفريق الثانى ومعظمهم من المضارين أو غير المستفيدين  
أو المتطلعين إلى ما لم يتمكنوا من الوصول إليه . ويقف الفريقان فى مواجهة  
صريحة أحدهما أمام الآخر . فإذا امتدح المؤرخ فردا أو انتقد عملا أو تصرفا لأحد  
الفريقين ، برز له الفريق الآخر ليكيل له الذم والهجاء .

ومن جهة أخرى ، فإن الوثائق المدونة التى تشكل مصدرا هاما من مصادر  
المعرفة بمجرى الأمور فى الفترة المعاصرة ، تحوى الكثير من خبايا السياسة التى  
لا يجوز الكشف عنها فى حينها . ولذا فإن الكثير من الحكومات تتحفظ على هذه  
الوثائق فى أرشيفات وزارات الخارجية ولا تسمح بالإطلاع عليها إلا بعد مرور  
فترة زمنية معينة ، أربعين عاما فأكثر . فكيف يتسنى لمؤرخ العصر الحديث ،  
المعاصر لأحداث اليوم أن يدون تاريخا لا يعتمد على مثل هذا المصدر من مصادر  
البحث التاريخى ؟

لعله من الأصح والأسلم ألا تدخل الفترة المعاصرة التى نعيشها فى نطاق  
عمل المؤرخ ، ونرى أنه من الأصوب ارتباطها بدائرة العلوم السياسية . إنها  
ستصبح فى عداد التاريخ فى يوم من الأيام - بعد نصف قرن تقريبا - وعندئذ يكون  
صانعو أحداث هذه الفترة والمرتبطين بها بين مؤيدين ومعارضين ، قد فارقوا

الحياة أو فارقوا أماكنهم ، وضعفت قواهم ، وانحل نفوذهم ، مما يجعل سلطانهم على التاريخ والمؤرخين قليل الأثر على حرية الرأي والتعبير .

\* \* \*

وبعد ، فهذه خواطر وافتراضات ، تدور حول علم التاريخ وعملية التأريخ . ومرة أخرى نقول إن التاريخ علم واسع الأفق ، ومدرسة تفيض بالخبرات والتجارب الإنسانية ، فعلينا أن لا نترك الباب مفتوحا أمام من لا يمتلكون القدرات للخوض فيه دون إلمام بمنهجه وأدواته وأهدافه . ورحم الله الكافي - من علماء القرن التاسع ~~هـ~~ الهجرى ، الخامس عشر للميلاد ، إذ يقول :

( إن من جملة العلوم النافعة فى المبدأ والمعاد ، وما بينهما ، علم التاريخ ، الذى فوائده وغرائبه لا تعد ولا تحصى . وهو بحر الدرر والمرجان ، لا يحيط بمنافعه نطاق التحديد والتبيان ... ) .

وللتأريخ تاريخ ...

**أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور**



# رؤية مصر لجيرانها في الشرق الأدنى

من واقع النصوص المصرية القديمة

د. علاء الدين عبد المحسن شاهين (\*)

تعددت ملامح النظرة المصرية الذاتية عن نفسها خاصة ما يتعلق برؤيتها عن ذاتها واسم شعبها ومدى الإلمام بجغرافية المناطق المجاورة لها وتوصيفها وبالمثل الرؤية المصرية عن جيرانها عبر تاريخها الطويل منذ الألف الثالث قبل الميلاد إلى العصر الهيلينستي ، ونظرة تلك الشعوب إلى مصر ذاتها مما سنتعرض له في هذا البحث التالي لمزيد من الدراسة والتحليل .

## أولاً : النظرة المصرية عن ذاتها

من الملامح المرتبطة بمصر وموقعها الجغرافي ذلك التضاد بين اللون الأخضر ( حرفياً اللون الأسود في اللغة المصرية  Kmt كمت ) الدال على الأرض الزراعية ، مقابل اللون الأحمر ( حرفياً  Dsrt دشرت في اللغة المصرية ) المرتبط بالأرض الصحراوية<sup>(١)</sup> ، وانعكاس ذلك التضاد على المفهوم الدال على الحياة أو الموت ، وبالمثل على مفهوم الاستقرار والديمومة Order في مقابل الفناء والفوضى Disorder . وتردد صدى هذه الظاهرة في نصوص ومناظر العديد من مقابر الأفراد وخاصة في الدولة الحديثة وذلك ضمن ما يسمى مناظر الحياة اليومية التي يبدو فيها صاحب المقبرة وهو يصطاد الأسماك أو يطعن برمحه فرس النهر أو يقتنص الحيوانات أو الطيور الجارحة في فيافي الصحراء من جهة ، أو وهو ينازل الأعداء من جهة أخرى ، وذلك تعبيراً عن

(\*) أستاذ الحضارة المصرية والشرق الأدنى القديم المساعد بقسم الآثار المصرية ، كلية الآثار -

جامعة القاهرة . معار حالياً للتدريس بقسم التاريخ ، كلية الآداب - جامعة الكويت .

القدرة على السيطرة على مناطق الفوضى والضرب على أيدي الخارجين عن مفهوم المركزية والنظام ، مما يؤدي إلى بسط النفوذ المصري على المكان وقاطنيه من بشر وحيوان من جهة أخرى .

وحفظت لنا النصوص المصرية القديمة التصور المصري عن نشأة الخلق على يد آلهة مصرية ، وعن سيادة مصر الحاضرة ولغتها على شعوب العالم القديم المعروفة آنذاك . وحفظ لنا نص ديني التصور المصري عن خلق العالم على يد أوزوريس ، إذ جاء فيه :

« ما أن صار ( أوزوريس ) ملكا حتى رفع الشعب المصري من حالته البائسة البربرية ، وجعل أبناءه يعرفون ثمرات الأرض ، ومنحهم قوانين ، وعلمهم أن يحترموا الآلهة ، بعد ذلك زرع الأرض كلها لينشر فيها الحضارة »<sup>(٢)</sup> .

كما تضمنت قصيدة عن طيبة وإلهها آمون من أوائل الأسرة التاسعة عشر المفهوم المصري القديم عن سيادة مصر العالمية وإلهها آمون :

« كل إقليم يرهبك وسكانه خاضعون ... واسمك سام عظيم ، والفرات والبحر في وجل منك . وسلطانك ذو وطأة على الأرض ، وفي الجزر التي في وسط البحر ... وسكان بونت يأتون إليك ، وأرض الإله تصبح خضراء لأجلك حبا فيك ، ويحملون لك الروائح العطرية لتجعل معبدك في عيد بالروائح الزكية »<sup>(٣)</sup> .

وتوضح النصوص المصرية بالمثل النظرة الخارقة عن حاكم مصر وقدراته، وأن الحياة والموت ملكا له ، يعطى الصحة لمن يشاء وتأتى الطبيعة بأمره :

« خضع فيضان النيل لفرعون بنفس الطريقة التي يخضع له بها ماء السماء في مملكة الحيثيين النائية . وكف الثلج عن السقوط في الجبال السورية لكي يسمح لمبعوث رمسيس الثانى بأن يمر »<sup>(٤)</sup> .

ومن جهة أخرى فإن نصوص « ون آمون » تظهر اعتراف أهل الشرق الأدنى القديم بعالمية آمون حيث ورد على لسان أمير بيبلوس نفسه أن .

« آمون خلق كل البلاد بعد أن أنشأ أرض مصر من قبل » ، وفي إشارة  
«ون آمون» لأمير جبيل من أن « البحر ملك لآمون ، وأن لبنان التي تقول  
أنها ملك لك إنما هي ملك لآمون ... آمون سيد لنا وما أنت إلا خادم  
لآمون»<sup>(٥)</sup>.

كذلك عكست لنا تعاليم الحكيم « أنى » من الأسيرة الحادية والعشرين أو  
الثانية والعشرين<sup>(٦)</sup> سيادة مصر الثقافية ، وانتشار اللغة المصرية القديمة فى كل  
البلاد الأجنبية ، وأن « العبيد قد تعلموا اللغة المصرية ، وكذلك السوريون وكل  
الأجانب»<sup>(٧)</sup> وقد تردد صدى ذلك فى النص الأدبى للمدعو « سنوهى » من الدولة  
الوسطى فى رحلة هرويه من مصر ، إذ وجد أميراً هناك يعرف المصرية وتحادث  
معه ، مما خفف عنه بعض عنائه ، ثم تعلم لغة القوم وصار منهم : « أن حالك  
معى سيكون حسناً ، لأنك ستسمع هنا كلام ( لغة ) مصر »<sup>(٨)</sup> . كذلك توضح  
قصة الأمير المسحور « « أقدار الأمير الثلاثة » سيادة اللغة المصرية فى الشرق  
الأدنى القديم فعندما وصل الأمير إلى سوريا فى طريقه إلى بلاد النهرين تقابل مع  
أمرائها فتحدث معهم بدون الحاجة إلى وسيط ( مترجم )<sup>(٩)</sup> . كما أن « ون آمون »  
عندما وصلت به رحلته إلى جزيرة لارسا ( ألشيا ) ( قبرص ) سأل جماعة من  
الحاشية التى كانت تحيط بالملكة الحاكمة عليهم عن يعرف اللغة المصرية من  
بينهم ، وأجابه أحدهم عن إمامه بها<sup>(١٠)</sup> . وعكست النصوص المصرية  
المباهاة بأن «الحكمة آتت من مصر لتصل إلى هذه المملكة ( بيبيلوس ) حيث أعيش  
(ون آمون)»<sup>(١١)</sup> .

وحرصت النصوص المصرية أحياناً على الإشارة إلى الحنين إلى أرض  
الوطن والمعاناة من شعور الغربة مثلما عكسته لنا نصوص رحلة « ون آمون »  
عندما حيل بينه وبين إكمال مهمته فى إحضار الأخشاب اللازمة لآمون والسفر بها  
بحراً إلى مصر :

« وذهبت إلى ساحل البحر حيث كان الخشب محزوماً ، ولمحت إحدى عشرة سفينة تقترب من البحر وهي من متاع زاكّا ، وقد أتت بالأمر : خنوه سجيناً ولا تسمحوا لسفينة له أن تذهب إلى أرض مصر . وعندئذ وقعت وبكيت ثم أتى كاتب خطابات الأمير وقال لى : ماذا يؤلمك ؟ » فقلت له : « لا ريب أنك ترى الطيور التى تذهب إلى مصر للمرة الثانية [ لطول بقاء ون آمون لما يقرب من العام الكامل فى لبنان ] . انظر إليها ! أنها تذهب إلى البرك الباردة ، ولكن متى سأترك هنا ؟ لا شك أنك ترى هؤلاء الذين أتوا ثانية ليأخذونى سجيناً » (١٢) .

وظهر مثل هذا الشعور من قبل فى النص الأدبى سنوهى من عصر الدولة الوسطى عندما بلغ به المشيب مبلغه ورغب فى العودة إلى مصر ليدفن فى أرضها (١٣) .

## ثانياً : المفهوم المصرى عن جغرافية الأراضى الأجنبية

حفظت لنا بعض النصوص المصرية القديمة جانباً من الملامح الجغرافية للبلاد الأجنبية سواء الأفريقية أو الآسيوية التى كان لمصر اتصالات بها سواء كان بعض أهلها قد ترددوا على مصر أم أن المصريين ترددوا على تلك البلاد (خريطة ١) . وتناولت الموضوعات الجغرافية فى النصوص المصرية الإشارة إلى أسماء الشعوب الخارجية ومدنها الرئيسية ومنتجاتها المشهورة كزيوت قبرص وخيتا ( الأناضول ) وسنجار ونييذ سوريا وتينها وشهرة بعض مدنها بالجمعة وتطعيم الخشب ، وشهرة السودان بالذهب والعاج والأبنوس وريش النعام والحيوانات البرية (١٤) .

وقد ورد وصف جغرافى بديع فى نص سنوهى الأدبى لمنطقة تدعى « يا » فى بلاد الشام أثناء رحلة هروبه من مصر ، إذا جاء فى هذا النص :

« كانت أرضاً جميلة تسمى « يا » ، وكان فيها التين والكروم ، ونييذها أكثر من مائها . شهدها غزير ، وزيتونها كثير ، وكل الفاكهة على أشجارها . وكان فيها الشعير والقمح ، وماشية يخطئها العد من كل نوع » (١٥) .



كذلك تلقى نصوص قصة « الأمير المسحور » الضوء على أن « السفر من مصر إلى بلاد النهرين كان ميسورا ، وما على المسافر إلا أن يمتطى عربته ، ويأكل مما يصادفه من صيد الصحراء ، ويتخذ وجهته إلى هدفه فيصل إليه »<sup>(١٦)</sup> .

إضافة إلى ذلك فقد تضمنت نصوص قصة الملاح الغريق ( نجاة الملاح ) من عصر الدولة الوسطى التى جرت أحداثها فى البحر الأحمر إشارة إلى جزيرة مسحورة خالية من البشر أسمتها النصوص المصرية « جزيرة الروح » - ربما كانت جزيرة الزبرجد أو إلى الجنوب منها عند مدخل البحر الأحمر<sup>(١٧)</sup> - توفر بها كل شيء جميل وأن حاكمها ثعبان هائل الحجم ، هو أمير بلاد البخور . وربما نجد هنا إشارة إلى الموقع الجغرافى الشهير بإنتاجه للبخور ، نعى بلاد بونت<sup>(١٨)</sup> :

« ألقنتى موجة على جزيرة أمضيت بها ثلاثة أيام فى دغل لا أنيس لى فيه ولا معين ، ثم أخذت طريقى فى أرضها أبحث عن شيء أضعه فى فمى ، فوجدت تينا وعنبا وكثيرا من الخضر بأنواعه المختلفة ، وكذا جميزا وخيارا، وأسماكا وطيورا قطعمت وشربت »<sup>(١٩)</sup> .

وتمدنا نصوص قصة الأخوين أو ما تعرف أحيانا باسم بردية أوربينى من عصر الدولة الحديثة بوصف جغرافى عن لبنان :

« ... ثم نادى الأخ الأصغر أخاه من الجانب الآخر ( من البحيرة المليئة بالتماسيح ) قائلا : « أمكث هنا حتى ينبلج الصباح ... وسنحتكم إلى الشمس معا عند شروقها ، وسيسلم المبطل للمحق ( أى سينتصر الحق ) ، لأنى لن أكون معك بعد ، ولن أعيش فى مكان أنت فيه وسأخذ لى فى وادى الأرز ( لبنان ) مقاما لى »<sup>(٢٠)</sup> .

وفى المساجلة للظابط ، مربى أفراس الملك « حورى » مع الكاتب امنموبى من الدولة الحديثة فى مدى الإلمام بالمعلومات الجغرافية والإحاطة بطبيعة مناطق بلاد الشام ورد ما يلى :

« ألم تطأ طريق « مجر » [ ربما جزء من لبنان ] حيث السماء مظلمة نهارا ويغزر فيها نمو العليق (٢) والبسوط وأشجار الأرز التي تتأهض السماء ؟ وهناك أسود أكثر من الفهود والضباع ويحيط بها البدو من كل جانب . أرجوك ... دعنى أخبرك عن برت . أنك تنفر من تسلقها وتفضل عبور نهرها ... وسترى ما يكون عليه الإنسان لأجل أن يصير ماهرًا ، وذلك حينما تحمل عربتك على كتفك ... وتستيقظ عند ساعة الرحيل فى ... ليل . وأنت وحدك تسرج الحصان ، والأخ لا يأتى لأخيه والهاربون (٣) قد أتوا إلى المعسكر ، وحل قيد الجواد ... قد نهبت بالليل وسرقت ملابسك . وساتسك قد استيقظ بالليل وعرف ما قد ارتكبه ، فأخذ ما بقى . وانضم إلى صف الخونة واختلط بقبائل البدو وغير نفسه إلى آسيوى» (٢١) .

وفى جزء آخر يتهم « حورى » على زميله متحديا إياه فى معلوماته الجغرافية ومدى إلمامه بظروف البلاد الأجنبية التى يتعين عليه أن يجوس خلالها فى عمله ، بسؤاله عن ميناء سمير اسوس ، وعلى أى جانب منها تقع مدينة حلب ، وما أهمية مجراها ؟ (٢٢) . كما عكست النصوص المصرية أحيانا نقدا وصفيا لجغرافية بعض المناطق الأجنبية ، مثلما نعلم عن وصف منطقة تدعى « ككانو » أقام بها أحد المصريين :

إبنى أقيم فى « ككانو » وليس لدى كافة الضروريات ... إبنى أطلع سنويا إلى الطريق الصاعد ( المؤدى إلى ) فلسطين ، وأرقد تحت شجرة لا تحمل ثمارا (!) صالحة للأكل ، فثمارها قد أختفت رغم أنها لم تتضج بعد ومع شروق الشمس يملأ البعوض المكان وعند الظهيرة الحشرات . ونبابة الخيل تلدغ وتمتص ( الدم ) من العروق ... « (٢٣) .

وحفظت لنا نصوص « ون آمون » ما يدل على وجود خطوط ملاحية مشتركة بين « زاكار بعل » Zakar Baal أمير جبيل ومصر فى عهد «سمندس» ( نيسو - بانب - جد ) من الأسرة الحادية والعشرين :

« وهكذا تكلم ( الى ون آمون ) وقلت له : « ولكنها سفينة مصرية ونواتيها مصريون يسيحون لسمندس ، وليس له ملاحون سوريون » . فقال لى : «ولكن يوجد فى ثغرى عشرون سفينة مشتركة مع سمندس وفى صيدا التى مررت بها سائحا أيضا خمسون مركبا مشتركا مع « وركت ايل » وهى تسافر إلى بيته »<sup>(٢٤)</sup> .

وقد حفظت لنا نفس نصوص « ون آمون » وصفا لأرض « لارسا » المرجح ارتباطها جغرافيا مع جزيرة قبرص الحالية وعن سيادة العدالة بها ، عندما ساقط الرياح سفينته إليها مطرودا من ميناء جبيل ، وكاد أهل المكان أن يقتلوه وتساؤله عما إذا كان هناك من بينهم من يعلم المصرية القديمة لينقل عنه إلى ملكتهم :

« قل لسيدتى : لقد سمعت أنه يقال من أول طيبة حتى إلى مكان آمون إن الظلم يفعل فى كل مدينة ، ولكن الحق يفعل فى أرض لارسا . والآن كذلك يفعل الظلم كل يوم هنا . فقالت لى : ولكن ما الذى تعنيه بما تقول ؟ فقلت لها : « إذا كان البحر قد هاج وساقطتى الريح إلى الأرض التى تسكنيها ، فإنك لن تسمحى لهم أن يقبضوا على لينبحونى مع العلم بأنى رسول آمون فتدبرى الأمر جيدا . إني فرد سيجرى البحث عنه باستمرار »<sup>(٢٥)</sup> .

### ثالثا : النظرة الإيجابية لمصر إلى جيرانها فى الشرق الأدنى القديم

تعددت ملامح العلاقات الإيجابية المصرية مع جيرانها عبر تاريخها القديم منذ الألف الثالث قبل الميلاد . وحفظت لنا النصوص - الملكية منها والخاصة - وكذلك بعض الإشارات فى النصوص الأدبية ، ملامح تلك العلاقات التى يتضح منها وصول العديد من الأجانب إلى مصر للمتاجرة مع أهلها أو بحثا عن الاستقرار ( رحلة ابشا )<sup>(٢٦)</sup> وفى مرحلة تالية وصول وفد من الجنبتيو ( اليمن ) فى عهد تحوتمس الثالث حاملين هداياهم من البخور<sup>(٢٧)</sup> . وبالمثل كما نعلم حتى من مرحلة

تالية في العصر البطلمي ( زيد ايل ) (٢٨) . أو طلبا للعون في ضائقة اقتصادية مثلما نعلم من مناظر المجاعة لبدو آسيويين على جدار الطريق الصاعد لمجموعة وناس الهرمية في سقارة (٢٩) أو فيما حفظته لنا المصادر اللاهوتية عن قدوم يوسف عليه السلام وأهله إلى مراعى الدلتا في فترة الانتقال الثاني أو ما يعرف اصطلاحا باسم عصر الهكسوس (٣٠) . تؤكد النصوص المصرية أن هؤلاء الأجانب قدموا لطلب « نسيم الحياة » من حاكم مصر أو للعمل السلمي داخل مساكن ومعابد مصر القديمة كما نعلم من نصوص بردية بروكلين رقم ٣٥٠١٤٤٦ وبردية بولاق ١٨ من الدولة الوسطى (٣١) . وخلال أواخر عصر الدولة الحديثة وفترة الانتقال الثالث وجدت في مصر جاليات أجنبية الأصل نالت العديد من المزايا والحقوق ، وتولّى بعض أفرادها مناصب إدارية وسياسية وعسكرية ، مثلما نعلم على سبيل المثال عن «دودو» في بلاط أخناتون من الأسرة الثامنة عشر و « أرسو » الآسيوى من أوائل الأسرة العشرين ، وعن نشاط شعوب البحر ومشاركتهم عسكريا في الجيش المصرى من بعد (٣٢) . ولعل ما عرف اصطلاحا باسم الزواج الدبلوماسى دعم وجهة النظر السليمة في العلاقات الدولية القديمة بين مصر وجاراتها و أقدم مثال على ذلك ما نعرفه عن وصول أميرة آسيوية إلى بلاط ساحورع من الأسرة الخامسة ربما لتزف إليه وفقا لما يذهب إليه بعض الباحثين وذلك ضمن مناظر عودة أسطوله وهى المناظر المنقوشة على جدران معبد الجنائزى فى سقارة (٣٣) . وحفظت لنا النصوص المصرية بالمثل زواج « رمسيس الثانى » من الأميرية الحيثية، وعن مدى سعادة الشعبين لمثل هذا الزواج وكونهما أصبحا « قلبا واحدا مثل الأخوة ، وأنه لا توجد ضغينة لأحدهما تجاه الآخر » (٣٤) .

وعكست نصيحة سنوهى للحاكم الآسيوى النظرة المصرية إلى البلاد الأجنبية المسالمة لمصر وحكامها خلال أوائل الألف الثانى قبل الميلاد :

« أرسل إليه [ إلى حاكم مصر ] ، دعه يعرف اسمك ، ولا تنطقن بألفاظ ضد جلالته وهو لا يفوته أن يقدم خيرا إلى أرض ستكون مسالمة له » (٣٥) .

وحوالى منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد اكتسبت العلاقات المصرية البابلية طابع الصداقة الشخصية . وتمخضت تلك الصداقة عن مصاهرة البيتين الحاكمين أكثر من مرة ، من أشهرها زواج أمنحتب الثالث بابنة الملك «كاردونياش» وطمعه فيما بعد فى الزواج من بنت أخيها كادشمان خاربى ( أو كادشمان انليل ) مع ضنه فى الوقت نفسه بتزويج الملك البابلى إحدى بناته أو إحدى أميرات بيته الفرعونى قائلا : « لم يسبق من قديم الأزل أن أعطيت أميرة مصرية إلى أى إنسان » (٣٦) .

وعكست الخطابات التى أرسلها ملوك آسيا إلى أمنحتب الثالث والرابع الحرص على مخاطبة الحكام الميتانيين لحكام مصر بلفظ « أخ » دلالة على المساواة فى المكانة السياسية والعلاقات الاجتماعية المميزة واعتياد كل منهم أن يسأل عن الآخر فى رسائله عن أهله وداره وخيوله وأتباعه (٣٧) . إضافة إلى ذلك فقد زخرت تلك الخطابات بالطلبات البالغة القيمة حيث « الذهب فى مصر تراب على الطريق . يجب أن ترسل لى كمية كبيرة من الذهب كما فعل أبوك » . ويقول ملك بابل :

« لا يجب أن يعهد أخى إلى موظف بالذهب الذى يرسله لى ... بل يجب أن يرى أخى بعينه أن الذهب قد عبي وختم وسافر لأن الذهب الذى أرسله أخى والذى عباه وختمه موظف من عند أخى كان من نوع ردىء » (٣٨) .

ولقد تسامح المصريون مع ديانات أصدقائهم ، ولم ير أمنحتب الثالث بأسا فى أن يتقبل فى قصره تمثالين صغيرين للمعبودين العراقيين شمس واشتار ، أرسلهما الملك الميتانى مع ابنته عروس أمنحتب لتستعين ببركتها على إقرار حبها فى قلبه فضلا عن ٣١٧ من النساء والخدم (٣٩) . أو أن يتقبل أمنحتب الثالث معونة عشتار التى أرسلت على عجل من نينوى للمساهمة فى علاجه ومداواة آلامه (٣٠) .

وضمن أنشودة آتون أوضحت النظرة المصرية عن مفهومها للخلق وللمساواة بين مصر والأجانب المحيطين بها :

حينما كنت وحيدا ( لا شيء غيرك ) خلقت الناس وجميع الماشية والغزلان  
وجميع ما على الأرض مما يمشى على رجليه . وما فى عليين مما يطير  
بأجنحته ، وفى الأقطار العالية سوريا وكوش وأرض مصر .

وأنت تصنع كل إنسان فى موضعه ... والألسنة فى الكلام مختلفة وكذلك  
تختلف أشكالهم وجلودهم ، لأنك تخلق الأجانب مختلفين ... أنت تخلق النيل  
فى العالم السفلى وتأتى به كما تشاء ... وجميع الأقطار العالمية القاصية  
تخلق حياتها أيضا .

ويوجد نيل فى السماء للأجانب ولأجل غزلان كل الهضاب ... أما النيل  
(الأصلى) فإنه يأتى من العالم السفلى لمصر» (٤١) .

وتردد صدى لمثل تلك الأفكار فى أنشودة أخرى لآمون (٤٢) .

#### رابعا : النظرة السلبية المصرية إلى جيرانها فى الشرق الأدنى القديم

من المعلوم أن مصر خلال الألف الثالث قبل الميلاد كانت لها علاقاتها  
الرئيسية مع كل من آسيا والنوبة وأحيانا مع ليبيا وبلاد بونت . وعلى العكس من  
ذلك نجد الإشارات معدومة تجاه علاقاتها مع بلاد الرافدين . ولا تفيدنا كثيرا  
المصادر النصية من بلاد الرافدين فى هذا الصدد برغم علمنا بوجود العديد من  
الإشارات النصية الدالة على نشاطات لها مع ما أسمته النصوص السومرية القديمة  
دلمون ( البحرين ) وماجان ( عمان أو سهل مكران الإيراني ) وملوخا ( السند ) ،  
أو فى تأكيدات حكامها على امتداد نفوذهم من البحر الأسفل ( الخليج العربى ) إلى  
البحر الأعلى ( البحر المتوسط ) ، وعلى سبيل المثال فى نصوص لوجال زاجيرى  
وسرجون الأكدي وحفيده نارام سين (٤٣) ، وانعدام أى إشارات محتملة لها مع بلاد  
الرافدين فيما عدا التخريج الخاطئ عن ارتباط ملوخا مع مصر فى التفسيرات  
القديمة (٤٤) . واستمر الوضع كذلك إلى منتصف الألف الثانى قبل الميلاد حينما  
بدأت مرحلة التصادم العسكرى ، تم التصالح السياسى بعد ذلك ودعمه بالزواج  
الدبلوماسى بين كل من حضارة وادى النيل وبلاد النهرين .

وعكست النصوص المصرية بأنماطها المتعددة - الدينية منها والأدبية أو التاريخية - ملامح من الرؤية المصرية السلبية لمصر عن جيرانها فى النوبة وآسيا من الألف الثالث قبل الميلاد وما تلاه وقد حفظت لنا النصوص الدينية المعروفة اصطلاحاً باسم « متون الأهرام » النظرة المصرية إلى الأجانب مثلما عكسه النص التالى :

« الحمد لله يا ( عين حور ) ... الناس يخافونك ، والشعوب الأجنبية تسقط أمامك على وجوهها ، وتسعة الأقواس<sup>(٤٥)</sup> تحنى رموسها لك من جراء زبحك يأيتهما الساحرة ، وإنك تستعبدن ( للملك فلان ) قلوب البلاد الأجنبية الجنوبية والشمالية والغربية والشرقية كلها جميعاً »<sup>(٤٦)</sup> .

كما ورد ضمن الأناشيد الملكية صفة السيادة الملكية على الأجانب ومن أمثلة ذلك ما فى قصائد المديح للملك سنوسرت الثالث ، الأنشودة الرابعة : « لقد جاء إلينا ، ووطأ بقدمه الممالك الأجنبية ، فضرب على يد الإنو الذين لم يعرفوا الخوف منه »<sup>(٤٧)</sup> وفى قصيدة انتصارات تحوتمس الثالث ورد ما يلى :

« عظمتك جميع البلاد الأجنبية ، جميعهم فى قبضتك ، وإنى بنفسى أمد يدي واصطادهم لك ... واربط الأسرى من التروجانويث بعشرات الألوف والألوف وأهل الشمال بمئات الألوف . أنى جاعل أعدائك يسقطون تحت نعليك فقطاً ... التأثيرين ... »<sup>(٤٨)</sup> .

وتكرر مثل ذلك أيضاً للملك « رعمسيس الثانى » من عصر الأسرة التاسعة عشر<sup>(٤٩)</sup> . وعكست تعاليم « خيتى بن دواف » إلى ابنه بيبى ، المؤرخة فيما بين أواخر الدولة القديمة والأسرة الثانية عشر<sup>(٥٠)</sup> ، محاولة النيل من المهن المعروفة آنذاك فى مصر وتعظيم مهن الكاتب والكتابة فأشار إلى وظيفة « حامل البريد » ومساوئها مما يستتبط منه نظرة المصرى آنذاك إلى البلاد الأجنبية فيما يلى :

« وحامل البريد عندما يسافر إلى بلد أجنبي يوصى بأملكه لأولاده خوفاً من الأسود والآسيويين ، وهو يعلم ذلك وهو فى مصر ، وعندما يعود إلى بيته يكون تعسا لأن المشى قد حطمه وقطعه إربا »<sup>(٥١)</sup> .

وهذه النظرة المتعالية على الأجانب انعكست صورتها فى نبوءات العرافين الذين تنبأوا بحلول المصائب بمصر وبأن : « أسرارنا ( مصر ) ستقع فى أيدي الجهلاء والبرابرة وسيبرعون فى فنون مصر السفلى »<sup>(٥٢)</sup> .

ومثل تلك النظرة المتعالية على الأجانب تردد صداها فى عصر الأغريق : « يا أيها الإغريق ، ما أنتم سوى أطفال ! »<sup>(٥٣)</sup> . وحفظت نصوص فترة الانتقال الأول ضمن نصائح « خيتى » لابنه « مريكارع » بعض الإشارات السلبية عن الآسيويين وطبائعهم الغير سوية حتى أنهم لا يستقرون فى مكان واحد ، ولذا فهم يهاجمون من الخلف » :

انظر إلى الآسيوى اللعين ( البدوى ) ، أن الأمور سيئة فى بلاده ، فمأواه أسن ، وطرقاته وعرة ، لذلك فهو دائم الترحال ، لا يستقر فى مكان واحد ، وإنما ظل يشاغب منذ عهد حور ، لا يغلب ولا يغلب ، لا يهتم بأمره ، فهو ليس إلا بدويا منبوذا على الشاطئ ، لا يغير إلا على الموطن المنعزل ، ولا يجرو على مهاجمة مدينة عامرة بالسكان . أقم الحصون فى تخومك الشرقية، وابن مدنا وعمرها بالسكان »<sup>(٥٤)</sup> .

وتكرر مثل ذلك فى تعاليم الملك أمنمحات إلى ابنه سنوسرت حيث ورد ما يلى :

لقد قهرت أهل واوات وأسرت قوم الماتو ( المجاى ) ، وجعلت الآسيويين يمشون ( يفرون ) كالكلاب ... »<sup>(٥٥)</sup> . وضمن نص سنوهى وردت إشارة إلى وصف أرض فلسطين بأنها ملك للملك المصرى : « والآن فلتأمر جلالتك أن يحضر " مكى " من " كدمى " و " خنتواش " من بلاد "



خنتكش ، و" منوس " من أرض " الفنخو " وهم أمراء مشهورون قد نموا  
على حبك غير أنهم منسيون ، وفلسطين ملكك »<sup>(٥٦)</sup> . كذلك تضمن نص  
سنوهى إشارة واضحة إلى أنه : « ليس هناك بدوى يحالف رجلا من  
الثلثا » .

مما يدل دلالة واضحة على التفوق الحضارى والنظرة المتعالية . وفى نظرة  
سنوهى إلى المستقبل والخوف من الموت بعيدا عن أرض مصر عكست نصوصه  
فرحته بالرد الملكى الذى جاء فيه : « وعلى ذلك لن تموت فى الخارج ، ولن يدفنك  
الآسيويون ، ولن توضع فى جلد غنم عندما يصنع لك قبرك »<sup>(٥٧)</sup> .

وانعكست تلك النظرة الفوقية ضد الأجانب فى نص سنوهى بالرغم من تلك  
المكانة الاجتماعية التى وصل إليها فى أرض الغربية وكيف أنه عندما عاد إلى  
مصر وصف كيف أخذه إلى بيت أحد الأمراء وأعدوا له حماما ، وكيف عطروه  
وألبسوه فاخر الثياب ، وأن الخدم كانوا رهن إشارة إصبعه :

« وجعلوا السنين تغادر جسمى ، وانسلخت عنى وسرحوا شعرى ،  
وألقوا إلى الصحراء بحمل من القانورات ، وألقوا بملابسى إلى ساكنى  
الصحراء ، وألبسونى أفخر الثياب ، وعطرونى بأحسن أنواع العطور ،  
ونمت على سرير ، وتركت الرمال لمن هم فيها ، وزيت الخشب لم يلطخ  
نفسه به »<sup>(٥٨)</sup> .

وضمن نصوص الحوار لمساجلة الكاتب أمنمؤبى وحورى من الدولة الحديثة  
عن جغرافية بلاد الشام ورد ما يلى :

« انظر أن هناك(?) مضيقا قد حفه بالمخاطر البدو الذين يكمنون تحت  
الأشجار ، بعضهم يبلغ أربع أذرع أو خمسا من الأنف إلى أخمص القدم ،  
وجوههم متوحشة وقلوبهم غليظة ولا يصغون إلى الملاطفة »<sup>(٥٩)</sup> .

وأشارت النصوص المصرية دائما حال تناولها أرض كوش بإطلاق صفة الخاسئة hsi أو الشريرة عليها ، وعكست دائما نظرة عدائية ضدها<sup>(٦٠)</sup> .

ولعل مثل تلك النظرة العدائية ارتبطت في الذاكرة المصرية بما كان يفعله الأجانب بمصر وأهلها حينما تُسَنَح لهم الفرصة للتسلل السلمى إلى داخل أرضها نتيجة لخلل داخلى وضعف لحكومتها المركزية مثلما كان الحال خلال عصر الانتقال الأول<sup>(٦١)</sup> أو من خلال تداخلات عسكرية خلال فترة الانتقال الثانى على سبيل المثال ، وأخيرا خلال عصر الرعامسة حينما حاولت مجموعات شعبية نتيجة لانتهيار الحضارة المينوية دخول مصر عنوة من حدودها الشمالية الشرقية والغربية أو من سواحلها الشمالية . وقد انعكست جهود مصر وملوكها لمحاولة درء تلك الأخطار فى بعض الإشارات النصية لعل من أشهرها ما ورد ضمن نصوص بردية نفرتى<sup>(٦٢)</sup> ، محاولة حاكمها تشييد خط دفاعى على الأقاليم الشرقية من دلتا نهر النيل عرفت باسم « أسوار الحاكم » من أجل « ألا يسمح للأسيويين بالدخول إلى مصر لدرجة دفعتهم إلى الاستجداء من أجل السماح لقطيعهم بالقدوم للحصول على الشراب<sup>(٦٣)</sup> . وفى مرحلة تالية ما بين ثارو (القنطرة حاليا) ورفع على تخوم فلسطين على طول الخط الساحلى لشبه جزيرة سيناء ، وفى ارتباط مع ما يعرف اصطلاحا باسم « طرق حورس »<sup>(٦٤)</sup> ، وعلى حدودها الغربية ما بين وادى النطرون ومرسى مطروح ، أو إلى الجنوب حول سمه وقمة على نهر النيل<sup>(٦٥)</sup> .

وضمن تقرير لأحد وزراء أمنحتب الثالث من نلدولة الحديثة عن الحدود

وتتنظيم دخول الأجانب إلى مصر ورد به إشارة إلى ما يلى :

« وضعت قوات فى الطريق لمطاردة الأجانب وردهم على أعقابهم إلى

بلادهم . وتحيط تلك القوات بنصف المملكة لمراقبة تنقلات البدو الرحل .

وفعلت نفس الشيء على ضفاف النيل ومصباته فى الدلتا فيغلقها الجنود فى

وجه كل واحد ما عدا رجال البحرية الملكية »<sup>(٦٦)</sup> .

### خامسا : الرؤية المعاكسة للأجانب عن مصر وأهلها

حفظت لنا بعض المصادر النصية إشارات إيجابية أحيانا وسلبية أحيانا أخرى لجيران مصر في مناطق الشرق الأدنى القديم عبر تاريخها القديم منذ الألف الثالث قبل الميلاد وما تلا . ولعل من أهم ما حفظته لنا تلك النصوص شهرة مصر بطبها وأطبائها<sup>(٦٧)</sup> .

من ذلك أن الملك الحيثي موتالو طلب من معاصره البابلي أن يوفد إليه طبيبا وساحرا . وكان قد طلب نفس الطلب من مصر أيضا فأرسلت إليه تمثالا لمعبودها رب الشفاء خونسو ومعه كاهن ملازم له<sup>(٦٨)</sup> . وتردد صدى ذلك في المصادر اليونانية حيث ورد في النص الأدبي الشهير لهوميير في الأوديسا أن أرض مصر بها من الأعشاب الشافية لكل دواء وأن كل إنسان بها طبيب ، وأنهم على علم بمداواة كل حلة ، وأنها « بلد الأطباء أحكم أهل العالم »<sup>(٦٩)</sup> . كما أن هيرودوت في كتابه الثاني أكد على أن : « ممارسة الطب في مصر كان يغلب عليها التخصص ، وأن لكل علة طبيب : أطباء للعيون والأسنان والباطنة والأمراض الخافية »<sup>(٧٠)</sup> . كما أوضح بالمثل أن المدارس الطبية في مصر كانت في منتهى الشهرة والسمعة الطبية ، كما أن رجال الطب كان لهم صيت ذائع ، وأن الملوك والأمراء والعظماء في البلاد الأخرى كانوا يستدعونهم لعلاجهم<sup>(٧١)</sup> .

وتردد صدى شهرة مصر في مجال العرافة أيضا ، حيث استفسر ملك قبرص أثناء عصر العمارنة عن عراف مصر كان يعرف كيفية الحصول على أجوبة من النسور وأنه متخصص في ممارسته<sup>(٧٢)</sup> . وتردد صدى لمثل ذلك في كتابات هيرودوت عن مصر : « وهم أول العرافين ، وعندهم نقلت العرافة إلى بلاد اليونان »<sup>(٧٣)</sup> . وظل الأجانب - حتى عندما اضطرب حبل الأمن بين الآموريين والكنعانيين في الشام خلال عهد الفرعون إخناتون وتأثر المتاجر البابلية بالفوضى في أرض كنعان - يأملون في مصر وحاكمها سرعة الاستجابة لنجدتهم ومساندتهم

حيث لم يجد الملك البابلي غير الفرعون المصري يستصرخه لتأمين تجارته :  
«كنعان أرضك ... وأمرأؤها مواليك» (٧٤) .

وعلى العكس من ذلك فقد حفظت لنا بعض النصوص الأدبية نظرة عدائية باتجاه مصر وأهلها مثلما جاء في قصة « الأمير المسحور » اتضحت عندما تمكن الأمير المسحور ( المحكوم عليه من القدر ) من تحقيق شرط الوصول طائرا إلى شرفة ابنة حاكم بلاد النهرين المرتفعة عن الأرض بستة وخمسين ذراعا ، وبالتالي كان من حقه أن يتزوج منها :

« فسألهم الرئيس ابن من فى الرؤساء هو ؟ فقال له أنه ابن ضابط أتى طريدا من أرض مصر فارا من وجه زوج والده » . ولكن رئيس بلاد النهرين استشاط غضبا وقال : « هل أعطى ابنتى إلى طريد مصر ؟ دعه يبتعد من هنا ثانية » . فأتوا ليخبروه قائلين « ارجع إلى المكان الذى أتيت منه ؟ » (٧٥) .

وبالمثل انعكس ذلك فى الرد على طلب « ون آمون » من أمير جبريل بتزويده بالخشب اللازم لآمون :

« إذا كان حاكم مصر سيد أملاكى وكنت أنا خادمه أيضا لم يكن لزاما عليه أن يرسل فضة ولا ذهباً حينما تقول « نفذ أوامر آمون » . على أنها لم تكن هدية ملك التى أعطوها والذى . ولنا لذلك لست خادمك ، ولا خاتم من أرسلك » (٧٦) .

وعلى هذا يتضح من خلال النظر فى النصوص الأدبية فى حضارة مصر القديمة مدى التنوع فيما احتوته من معلومات عن البلدان المجاورة لمصر والصفات المرتبطة بأهلها ، واختلاف تلك النظرة المصرية باختلاف العلاقات المصرية معها سلبا أم إيجابا . كما عكست تلك النصوص المصرية أحيانا ألفاظا قاسية وصفات سيئة لحقت بتلك الشعوب وارتبطت بطبيعة العلاقة بين الطرفين ومدى تأثير القوة السياسية والعسكرية المصرية عليها .

خريطة رقم (١)

مناطق الشرق الأدنى القديم

## الهوامش

(1) Gardiner, A. Egypt of Pharaohs, Oxford University Press, 1961, p.27.

(٢) بوزنر (جورج) وآخرون ، معجم الحضارة المصرية ، ترجمة أمين سلامة ، ومراجعة د. سيد توفيق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٤٧ .

(٣) حسن ( سليم ) ، الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة ، الجزء الثانى : فى الدراما والشعر وفنونه ، الطبعة الثانية ، دار أخبار اليوم ، القاهرة ١٩٩٠ ص ١٣٢ .

(٤) بوزنر (جورج) وآخرون ، المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

(٥) مهران ( محمد بيومى ) ، مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الرابع : الحضارة المصرية القديمة ، الجزء الأول : الآداب والعلوم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية : ١٩٨٩ ، ص ١٣٦ .

(٦) مهران ( محمد بيومى ) ، المرجع السابق ص ٢٥٨ .

(٧) حسن ( سليم ) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة . الجزء الأول : فى القصص والحكم والتأملات والرسائل ، الطبعة الثانية ، دار أخبار اليوم بالقاهرة ، ١٩٩٠م ، ص ١١١ ، ص ٢٤١ .

(٨) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ، ص ١١١ ، مهران ( محمد بيومى ) المرجع السابق ، ص ٤٦ ، توفيق ( سيد ) معالم تاريخ وحضارة مصر القديمة ، دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٨٧ ، ص ٢٣٥ .

Wilson J. « Egyptian Myth and Tales : The Story of Sinuhe », ANET I, Princeton University Press:1975, p.7.

(9) Wilson, J. « Egyptian Myth and Tales : The Journey of Wen – Amen to Phoenicia, » ANET I, Princeton University Press : 1972, p.24.

(١٠) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ص ١١١ ، توفيق ( سيد ) المرجع السابق ، ص ٣٧٢ ، مهران ( محمد بيومى ) ، المرجع السابق ص ١٣٤ ؛

Gardiner A. Op.Cit., pp. 312 – 13 .

(١١) بوزنر ( جورج ) وآخرون ، المرجع السابق ، ص ١٣ ؛ مهران (محمد بيومى) ،  
المرجع السابق ، ص ١٣٧ . Wilson, J.Op. Cit p.20.

(١٢) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ص ١٧٩ ، مهران (محمد بيومى) ، المرجع  
السابق ، ص ١٣٤ ، Wilson, J.Op. Cit p.23.

(١٣) توفيق ( سيد ) ، المرجع السابق ، ص ٢٣٧ ؛ مهران (محمد بيومى) ، المرجع  
السابق ، ص ١٠٤ .

(١٤) صالح ( عبد العزيز ) ، « التربية الثقافية ، تاريخ الحضارة المصرية : العصر  
الفرعونى ، المجلد الأول ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص  
١٨٦ .

(١٥) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ص ٤٨ ، توفيق ( سيد ) ، المرجع السابق ، ص  
٢٣٥ ؛ مهران (محمد بيومى) ، المرجع السابق ، ص ٩٩ ؛ فاليل ( دومينيك ) ،  
الناس والحياة فى مصر القديمة ، ترجمة ماهر جويجاتى ومراجعة د. زكية طبوزادة  
، كتاب الفكر رقم ١٤ ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٩ م ،  
ص ١٢٥ ، Wilson, J. Op. Cit., p.7

(١٦) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ص ١١١ ، توفيق ( سيد ) ، المرجع السابق ،  
ص ٣٧٣ .

(١٧) فخرى ( أحمد ) ، « الأدب المصرى » ، تاريخ الحضارة المصرية ، العصر  
الفرعونى ، المجلد الأول ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص  
٣٩٠ - ٣٩١ .

(١٨) توفيق ( سيد ) ، المرجع السابق ، ص ٢٤٠-٢٤١ ؛ مهران (محمد بيومي) ،  
المرجع السابق ، ص ١١٠-١١١ .

(١٩) مهران (محمد بيومي) ، المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٢٠) حسن ( سليم ) المرجع السابق ، ص ١٠٤ ، توفيق ( سيد ) ، المرجع السابق ،  
ص ٣٧٧ . مهران (محمد بيومي) ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

Wilson, J. « Egyptian Myths and Tales : The Story of Two  
Brothers, » ANET I, Princeton University Press, 1972, p. 15 .

(٢١) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ، ص ٤٠٧-٤٠٨ ، صالح ( عبد العزيز ) ،  
المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

(٢٢) صالح ( عبد العزيز ) ، المرجع السابق ، ص ٢٠٥

(٢٣) فالبيل ( دومينيك ) ، المرجع السابق ص ١٢٥ .

(٢٤) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ، ص ١٧٥ - ١٧٦ ، مهران (محمد بيومي) ،  
المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

Wilson, J. Journey of Wen – Amun, p. 19 ; Gardiner, A. Op. Cit., 309.

(٢٥) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ، ص ١٨٠ ، Wilson, J. Op. Cit., p. 24

(26) Saleh, A. « Arabia and the Arabs in Ancient Egyptian Records, »  
Journal of the Faculty of Archaeology, Cairo University, Special  
Issue Cairo : 1978. P. 74 .

(27) Saleh, A. « The Gnbtyw of Thutmosis III's Annals and the South  
Arabian Geb(b)anitae of the Classical Writers, » BIFAO 72 (1972),  
pp. 245 – 62.



مهران (محمد بيومي) «دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة»  
مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، العدد السادس ( ١٣٩٦هـ — / ١٩٧٦م )  
ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٢٨) شاهين ( علاء الدين ) ، تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديمة ، منشورات ذات  
السلاسل ، الكويت ١٩٩٧ ، ص ٢١٤ مهران (محمد بيومي) ، المرجع السابق ، ص  
٣٢٥ .

(٢٩) عن مناظر البدو الآسيويين على طريق وناس الصاعد في مجموعة الهرمية في  
سقارة راجع : توفيق ( سيد ) ، المرجع لسابق ص ١٢٦ ؛

Smith W.S. The Art and Architecture of Ancient Egypt, p. 133 ,  
Fig. 126.

(٣٠) الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، الإصحاح السابع والأربعون ، آيات : ١ - ٥ دار  
الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٩٤ .

(31) Posner, G. « Les Asiatiques en Egypte, » Syrie 34 ( 1957 ), pp. 145  
- 53, Kemp, B. et al., Ancient Egypt: A Social History, Oxford  
University Press : 1983, P. 155.

(32) Gardienr, A. op.cit., p.281.

فاليل ( دومينيك ) ، المرجع السابق ، ص ٣٩

(٣٣) فخرى ( أحمد ) ، مصر الفرعونية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ،  
ص ١٠٨ ، ص ١٢٣ .

(34) Gardiner, A. Op. Cit., p.266.

(٣٥) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ، ص ٤٨ ، مهران (محمد بيومي) ، المرجع  
السابق ، ص ١٠١ ، فخرى ( أحمد ) ، الأدب المصري ، ص ٣٨٦ .

(٣٦) صالح ( عبد العزيز ) ، الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : العراق ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ٥٥٩ - ٥٦٠ ؛ توفيق ( سيد ) المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

(٣٧) بوزنر ( جورج ) وآخرون ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ ، صالح ( عبد العزيز ) ، المرجع السابق ، ص ٥٦٣ .

(٣٨) بوزنر ( جورج ) وآخرون ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٣٩) صالح ( عبد العزيز ) ، المرجع السابق ص ٥٦٣ .

(40) Gardiner, A. Op. Cit., p. 266 .

(٤١) حسن ( سليم ) ، الأدب المصرى القديم ، الجزء الثانى : فى الدارما والشعر ، ص ١١٩ - ١٢٠ ، مهران (محمد بيومى) ، المرجع السابق ، ص ١٦٣ - ١٦٤ ؛ فخرى ( أحمد ) ، المرجع السابق ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .

(٤٢) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٤٣) البدر ( سليمان سعدون ) ، الخيج العربى فى الألفين الثانى والأول قبل الميلاد ، الكويت ١٩٧٨ ، ص ٣٣ ؛ شاهين ( علاء الدين ) ، المرجع السابق ص ١٥ .

(٤٤) وبنهايم (ليو) ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعدى فيضى عبد الرزاق ، بغداد ١٩٨٦ ، ص ٧٨ ، صالح ( عبد العزيز ) ، المرجع السابق ، ص ٤٦١ ، ص ٤٨١ .

(٤٥) شاهين ( علاء الدين ) ، « الرمزية التاريخية للأقواس التسعة فى المصادر المصرية وحتى نهاية الدولة الحديثة » ، المؤرخ المصرى ، قسم التاريخ ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ، العدد الثامن ( يناير ١٩٩٢ ) ، ص ٣٥ - ٦٤ .

(٤٦) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٤٧) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ، ص ١٨٧ ، مهران (محمد بيومى) ، المرجع السابق ، ص ١٩١ .

- (٤٨) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ، ص ١٩٠ .
- (٤٩) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ، ص ١٩٥ .
- (٥٠) فخرى ( أحمد ) ، المرجع السابق ، ص ٤٣٧ .
- (٥١) مهران (محمد بيومى) ، المرجع السابق ، ص ٢٥٥ ، حسن ( سليم ) ، الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة ، الجزء الأول : فى القصص والحكم والتأملات ، ص ٢٢٤ .
- (٥٢) بوزنر ( جورج ) وآخرون ، المرجع السابق ص ٣٧ .
- (٥٣) بوزنر ( جورج ) وآخرون ، المرجع السابق ص ٣٨ .
- (٥٤) مهران (محمد بيومى) ، المرجع السابق، ص ٣١١ ، Gardiner, A. Op. Cit p.37
- (٥٥) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ، ص ٢١٦ ، مهران (محمد بيومى) ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .
- (٥٦) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ، ص ٥٣ .
- (٥٧) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ، ص ٤٩ ، ص ٥٢ ، مهران (محمد بيومى) ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ ، فخرى ( أحمد ) ، المرجع السابق ص ٣٨٨ .
- (٥٨) مهران ( محمد بيومى ) ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ .
- (٥٩) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ، ص ٤٠٩ .

(60) Gardiner, A. op.cit., p. 37, p.180 .

(61) Shaheen, A . « A Possible Synchronization of EB IV Ceramic ware in Syro – Palestinian and Egyptian Sites»,

مجلة كلية الآثار – جامعة القاهرة العدد الخامس (١٩٩١) ، ص ١٠٧ – ١١١ .

(٦٢) راجع شاهين ( علاء الدين ) ، « التحركات البشرية على حدود مصر الفرعونية إلى نهاية العصر البرونزي الحديث : الدلائل على وجودها ودوافعها » ، مجلة كلية الآداب بقنا ، جامعة جنوب الوادي ، العدد الخامس ، الجزء الثاني (١٩٩٥) ، ص ٣٢٥ - ٣٥٢ ، مهران ( محمد بيومي ) ، المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

(63) Wilson J. « Egyptain Prophecies, Songs and Poems, » ANET I, Princeton University Press : 1972, p. 257.

فخرى ( أحمد ) ، مصر الفرعونية ، ص ٢١٣ ، توفيق ( سيد ) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ، فاليل ( دومينيك ) المرجع السابق ص ٣٩ .

(٦٤) راجع : شاهين (علاء الدين ) ، « المسح الأثرى والحفائر فى سيناء خلال القرن العشرين : الهدف والمضمون » مجلة إبداع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، العدد الثالث ( مارس ١٩٩٥م ) ص ٣٨ - ٤٥ .

(65) Gardiner, A. Op. Cit, p.135, p. 270; BAR III,#580,#586.

(٦٦) بوزنر ( جورج ) وآخرون ، المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(67) Gardiner, A. Op. Cit., p.266.

(٦٨) شاهين ( علاء الدين ) ، « السياحة العلاجية فى مصر الفرعونية » مجلة كلية الآداب بسوهاج ، جامعة أسيوط ، العدد السادس عشر (يونيو ١٩٩٤م) ص ١١-١٧ .

(٦٩) مهران (محمد بيومي) ، المرجع السابق ، ص ٣٣٩ .

(70) Strouhal, E. Life of the Ancient Egyptians, University of Oklahoma Press : 1992, p. 243,

مهران (محمد بيومي) ، المرجع السابق ، ص ٣٣٩ .

(٧١) مهران (محمد بيومي) ، المرجع السابق ، ص ٣٨١ .

(٧٢) وبنهايم ( ليو ) ، المرجع السابق ، ص ٢٦٣-٢٦٤ ، مهران (محمد بيومي) ،  
المرجع السابق ، ص ٣٣٩ .

(٧٣) مهران (محمد بيومي) ، المرجع السابق ، ص ٣٣٩ .

(٧٤) صالح ( عبد العزيز ) ، المرجع السابق ، ص ٥٦٠ .

(٧٥) حسن ( سليم ) ، الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة ، الجزء الأول ص ١١٤ ،  
توفيق ( سيد ) ، المرجع السابق ، ص ٣٧٣-٣٧٤ ، مهران (محمد بيومي) ،  
المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٧٦) حسن ( سليم ) ، المرجع السابق ، ص ١٧٦ ، توفيق ( سيد ) ، المرجع السابق ،  
ص ٣٨٤ ، مهران (محمد بيومي) ، المرجع السابق ، ص ١٣١ ،

Gardiner, A. Op. Cit. P.309.



## حجر رشيد

### قصة الكشف عنه ومراحل نقله وعرض لمحاولات حل رموزه

أ.د. عبد المنعم عبد الحليم سيد(\*)

القسم الأول : قصة الكشف عن الحجر

#### ومراحل نقله داخل مصر وخارجها

في منتصف شهر يوليو عام ١٩٩٩ تم ٢٠٠ ( مائتا ) سنة بالضبط علي كشف حجر رشيد فقد عثرت فرقة من جنود الحملة الفرنسية بقيادة الضابط بوشار (Francois Xavier Bouchard) علي هذا الحجر مثبتا في جدار مبني قديم في اطلال قلعة تعرف حاليا باسم قلعة " قايتباي " وموقعها في قرية "برج رشيد " التي تبعد عن وسط مدينة رشيد بحوالي سبعة كيلومترات ، وقد اطلق عليها الفرنسيون " قلعة سان جوليان " علي اسم احد ضباط الحملة الذين قتلوا اثناء المعارك في مصر وذلك عندما كانت هذه الفرقة تقوم بازالة هذا الجدار لتحسين المكان ضد الهجوم المنتظر من الاتراك والانجليز .

وتقع هذه القلعة علي لسان من الارض علي الشاطئ الغربي للنيل والمؤكد ان هذا الموقع لم يكن هو المكان الأصلي للحجر الذي يرجع للعصر البطلمي ( عام ١٩٦ قبل الميلاد تاريخ الحجر ) لان المنطقة كانت لا شك مغطاه بمياه البحر في العصر البطلمي ( Quirke 1988 , p. 3 ) ونتيجة لارساب الطمي خلال القرون التي تلت العصر البطلمي تكون هذا اللسان الذي انشئ عليه المبني الذي يرجع للعصر الاسلامي وقد عثر علي آثار قديمة أخرى كثيرة في منطقة رشيد استخدمت كمادة بناء في منشآتها من بينها آثار فرعونية تبين من دراستها انها نقلت من مدينة سايس القديمة ( صا الحجر الحالية عند كفر الزيات ) التي كانت تزخر بكثير

---

(\*) أستاذ التاريخ القديم والآثار كلية الآداب - جامعة إسكندرية .

من الآثار الفرعونية عندما كانت عاصمة لمصر في المرحلة الأخيرة من العصر الفرعوني المسماه " العصر الصاوي " ( نسبة الي صا الحجر ) والذي امتد ما بين الاعوام ٦٧٢ - ٥٢٥ قبل الميلاد ، وعلي هذا رجح العلماء ان يكون حجر رشيد قد اقيم اصلا في معبد مدينة " سايس " هذه فقد وردت في نصوص الحجر جملة تدل علي ان هذا الحجر ونسخ أخري من نصوصه وزعت علي معابد مصر .

وحجر رشيد ( شكل ١ ) هو كتلة من البازلت وبلغ ارتفاعه ١١٨ سم وعرضه ٧٧ سم وسمكه ٣٠ سم ووزنه ٧٦٢ كجم ويندرج تحت ما يعرف في علم الآثار المصرية بـ " اللوحات التذكارية " وقد دونت عليه ثلاثة نصوص هي النص الهيروغليفي في جزئه العلوي وقد ضاع جزء كبير منه يبلغ حوالي ثلثه بسبب كسر الحجر ( شكل ٢ ) وبلغ عدد السطور الباقية ١٤ سطراً ( شكل ٦ ) وكان في الأصل لا يقل عن ٢٠ سطرا ولكن من مقارنة الرسوم في أعلي اللوحات ( الأحجار ) المشابهة لحجر رشيد يتضح أن الجزء العلوي المفقود كان اغلبه رسوم تمثل الملك أمام الآلهة وفوقهم قرص الشمس المجنح .

ثم النص الديموطيقي في القسم الأوسط وهو أكمل النصوص الثلاثة ولم يفقد منه غير جزء بسيط في ركنه الايمن العلوي ، وبلغ عدد سطور ٣٢ سطرا واخيرا النص اليوناني ، وقد ضاع جزء من نهايته في الركن السفلي الايمن من الحجر وبلغ عدد سطور ٥٤ سطرا .

والحجر مسجل عليه مرسوم او قرار اصدره الكهنة المصريون الذين اجتمعوا في معبد الاله بتاح في مدينة منف في العام التاسع من حكم الملك



البطلمي للاحتفال بالذكرى توليه الملك بطلميوس الخامس ( المعادلة لسنة ١٩٦ ق.م ) للإحتفال بالذكرى الأولى لتنصيبه فرعوناً علي مصر وبعيد ميلاده في نفس الوقت وتكرمه بسبب ما قدمه للمعابد المصرية من اعفاءات من الضرائب والالتزامات وذلك باقامة تمثال ومقصورة له في كل معابد مصر وتسجيل هذا القرار علي لوحة واقامتها بجوار التمثال والمقصورة .

و بمجرد كشف الضابط الفرنسي بوشار ، وزملائه للحجر والاطلاع علي النص اليوناني الذي جاء في آخره عبارة افصححت عن مضمون نصوص الحجر وهي "يدون هذا المرسوم علي لوحة بالحروف المقدسة والحروف الوطنية ويخط الايونيين" (الذي تبين فيما بعد انها الهيروغليفية والديموطيقية ثم اليونانية التي كانت معروفة لهم ) - ادرك الضابط بوشار وزملاؤه الاهمية الكبيرة للحجر فارسلوا تقريراً عن الحجر الي الجنرال مينو الذي كان القائد المباشر لفرقة بوشار والذي كان مرابطاً في مدينة الاسكندرية في ذلك الوقت فامر مينو الضابط بوشار بارسال الحجر الي منزله في الاسكندرية واعتبره من املاكه الخاصة , (Budge 1921 p.1 ) وقد تمكن مينو من الحصول علي ترجمة للجزء الأخير من النص اليوناني للتأكد من حقيقة العبارة المذكورة ( Andrews 1987 , p. 9 ).

وعندما علم نابليون بالموضوع أمر بنقل الحجر الي القاهرة فوصل اليها في منتصف اغسطس ١٧٩٩ ، وكان نابليون قد اصدر قبل ذلك بقليل قرار انشاء المجمع المصري Institut d'Egypte الذي ضم ١٦٧ عالماً وباحثاً في مختلف فروع المعرفة (هارتلين ١٩٩١ ، ج ٩ ) فوضع الحجر في مبني هذا المجمع حيث

تمكن اثنان من هؤلاء العلماء هما Remi Raige , Joseph Marcel من التعرف علي النص الديموطيقي بانه مدون بكتابة هي علامات مختصرة من العلامات الهيروغليفية التي في القسم العلوي من الحجر , ( Andrews 1987 , p. 10 ) وفي سبتمبر ١٧٩٩ نشرت اول المعلومات عن الحجر في جريدة ( الحملة الفرنسية ) المسماه "Courtier d'Egypte" ( Andrews , p. 9 , 1987 ) ثم امر نابليون بعمل نسخ من الحجر قام بها اثنان من المتخصصين في الطباعة هما : Marcel & Grallard والطريقة التي اتبعها هي تغطية نقوش الحجر بالحبر ثم بسط ورق عليه وقرير اسطوانة من المطاط عليه ( Andrews , 1987 , p. 10 ) و ارسلت النسخ الي العلماء ذوي الخبرة العريضة في اوروا ومن بينهم العالم الفرنسي Dutheil الذي تمكن من قراءة النص اليوناني في احدي هذه النسخ التي حملها الجنرال الفرنسي Dagua التي فرنسا عام ١٨٠١ . ( Budge 1929 , p. 1 )

وفي عام ١٨٠١ عندما لاح الخطر الانجليزي لغزو مدينة القاهرة هاجر العلماء الفرنسيون الي الاسكندرية وحملوا معهم حجر رشيد الذي اعيد الي منزل الجنرال مينو وظل هناك حتي عقدت المعاهدة بين الفرنسيين والانجليز في ١٨٠٢ التي نصت علي رحيل الفرنسيين عن مصر وتسليم الآثار المصرية التي بحوزتهم الي الانجليز وكان من بينها حجر رشيد ولكن الجنرال مينو امتنع عن تسليم الحجر فقد اعتبره ملكا خاصا له غير ان أحد الضباط الفرنسيين تمكن من تسليم الحجر خفية الي الانجليز الذي نقلوه الي انجلترا فنقل الي ميناء بورتسموث في فبراير

١٨٠٢ ومنها الي لندن حيث تم ايداعه في مقر جمعية "دارس الآثار " بلندن حيث تمكن ستيفن واتسون Stephen Watson عالم اللغات الكلاسيكية بالجمعية من قراءة النص اليوناني في ابريل من تلك السنة ( Quirke 1988 , p. 20 ) وفي هذه الجمعية تم عمل نسخ جصية من نقوش الحجر ارسلت الي جامعات لندن وكامبردج وادنبره ودبلن كما عملت نسخ من النص اليوناني بمفرده ارسلت الي الجمعيات والمكتبات والاكاديميات في اوروا . وفي أواخر عام ١٨٠٢ نقل الحجر الي المتحف البريطاني حيث ظل به حتي اليوم. ( Andrews 1987 , p. 11 )

### جهود العلماء في حل رموز حجر رشيد قبل شامبليون

أولا : معلومات الباحثين عن الكتابة الهيروغليفية قبل حل رموز حجر رشيد :

تسود بين بعض الدارسين في الوقت الحاضر معلومات غير صحيحة بان شامبليون كان اول من قرأ اسمي بطليموس وكليوباترة علي حجر رشيد والحقيقة ان اسم كليوباترا لم يرد علي حجر رشيد وانما ورد اسم بطليموس فقط ، كما ان شمبليون لم يكن اول من قرأ اسم بطليموس علي هذا الحجر بل سبقه الي ذلك علماء آخرون وان كانوا قد اخفقوا في متابعة قراءة باقي نقوش الحجر ولعل القارئ يتساءل عن سبب هذه الاخفاق وفي المقابل عن سبب نجاح شمبليون رغم ان هؤلاء العلماء كانوا اصحاب باع طويل وخبرة عريضة في تخصصهم والسبب ان هؤلاء العلماء اعتنقوا فكرة عن الكتابة الهيروغليفية كانت السبب في اخفاقهم بينما تخلص شامبليون من هذه الفكرة ربما بسبب عبقريته هذه ، وهذه الفكرة هي

اعتقادهم بان الكتابة الهيروغليفية تتكون من علامات رمزية Symbolic اي ان العلامة الواحدة تدل علي معني بأكمله فقد تعبر عن كلمة او جملة طويلة ، وهذه الفكرة انحدرت اليهم من الكتاب الاوائل ، فمن ذلك ان المؤرخ ديودور الصقلي في القرن الأول قبل الميلاد اشار الي رمزية العلامات الهيروغليفية بقوله " ان الصقر يرمز الي كل شئ يحدث بسرعة لانه اسرع الطيور " ( Andrews 1987 , p. 7 ) وفي القرن الثاني او الثالث الميلادي كرر كليمنت السكندري هذه الفكرة عن رمزية الكتابة الهيروغليفية و اضاف اليها ان العلامات الهيروغليفية لها معاني خفية او سرية (Ibid)

وانتقلت فكرة الرمزية الي الكاتب حورابولو Horapollo الذي ألف كتابا اسماء " الهيروغليفية " Hieroglyphika تم تجميعه في القرنين الرابع والخامس الميلاديين فمثلا من بين ما جاء في كتابه وصفه لصورة النسر في الكتابة الهيروغليفية اذ يقول ان شكل النسر اذا كان رابضا يدل علي الام لانه لا يوجد ذكر بين هذا النوع من الطيور ، وإذا كان طائرا دلت صورته علي " حدود معركة " لانه يحلق حول حدود المعارك انتظارا لجثث القتلى ( Davies 1988 , p. 47 )

وهذه الفكرة اي الاعتقاد في رمزية الكتابة الهيروغليفية استمرت في كتابات الباحثين حتي القرن السابع عشر الميلادي فقد ترجم العالم اللغوي اثناسيوس كرش ( 1602 - 80 ) Athnasius Kircher اسم الملك " ابريس " Apries ( أحد فراعنة الاسرة السادسة والعشرين الصاوية ) بجملة طويلة هي

"امتيازات اوزير المقدس والتي للحصول عليها تكبل الجن بالسلاسل ويتم الحصول ايضا علي منافع النيل" ( Davies1988,. p. 48 ) وبالطبع فان هذ التفسير الذي يمتد لجملة كاملة يغلب عليه الطابع الخرافي لا يعبر عن اسم الملك ابريس باي حال ، فقد كان لهذا الملك اسمان احدهما هو " حع - ايب - ع " اي الذي يسر قلب رع " والثاني هو " واح - ايب - رع " بمعنى " تعاطف قلب رع " .

هذه الفكرة عن رمزية الكتابة الهيروغليفية انتقلت عبر العصور حتي اعتنقها العلماء الذين حاولوا حل رموز حجر رشيد قبل شامبليون وكانت سببا في عدم نجاحهم في ذلك . ولكن رغم اخفاق هؤلاء العلماء فالحق يقال انهم مهدوا الطريق بمحاولاتهم حل رموز الحجر امام شامبليون . ذلك ان العالم اثناسيوس كرشر المذكور رغم اعتقاده الخاطئ في رمزية الكتابة الهيروغليفية فانه ساهم في تمهيد الطريق امام شمبليون بتعمقه في دراسة اللغة القبطية وتأليفه كتابا في قواعدنا ومفرداتها مما كان فيما بعد عنصرا جوهريا في حل رموز الهيروغليفية ، فمن المعروف ان من اسباب نجاح شمبليون في حل رموز حجر رشيد هو اتقانه للغة القبطية لانها المرحلة الأخيرة للغة المصرية القديمة التي كتبت بالهيروغليفية والديموطيقية علي حجر رشيد .

ثم توالى مساهمات العلماء خلال القرن الثامن عشر في محاولة فهم الكتابة الهيروغليفية ومنهم ج.ج.بارثلمي J.J Barthelemy ( ١٧١٦ - ١٧٩٥ ) الذي اعلن ان الحلقات المستطيلة ( التي عرفت فيما بعد باسم الخراطيش

التي يكتب في داخلها اسماء الفراعنة ) هي اسماء ملوك ( Quirke 1988 , p. 4 ) وكانت هذه الحقيقة كما هو معروف سببا في نجاح العلماء قبل شامبليون في قراءة خراطيش او اسماء ملوك البطالة الواردة علي حجر رشيد وغيره من آثار العصر البطلمي .

ثانيا : جهود العلماء قبل شمبليون في قراءة نقوش الحجر :

كانت أول دراسة لحجر رشيد هي دراسة العالم الفرنسي سلفستر دي ساسي في اواخر عام ١٨٠٢ تلتها دراسة العالم السويدي Johan Akerblad في نفس السنة وقد اتجه هذان العالمان الي النص الديموطيقي في محاولة لقراءته أولا لعدة أسباب هي :

١ . انه أكمل من النص الهيروغليفي.

٢ . انه توجد في بدايات سطره ( السطران ٥ . ٦ ) اسماء ملوك وملكات وكهنة يونان ، ولما كان النص الديموطيقي كاملا تقريبا فانه يمكن تتبع مايقابل هذه الاسماء اليونانية في هذا النص .

٣ . اعتقاد العلماء في ذلك الوقت ان النص الديموطيقي مكتوب بحروف ابجدية ( وان كان قد ثبت خطأ ذلك فيما بعد ) بينما النص الهيروغليفي مكتوب بعلامات رمزية ( وقد ثبت خطأ ذلك أيضا ) . ( Quirke 1988 , p. 4 )

ومن المقارنة ( op.cit. p. 50 ) بين اسماء الاشخاص في كل من النص

الديموطيقي والنص اليوناني نجح دي ساسي في التعرف علي اسماء " بطليموس والاسكندر " في النص الديموطيقي وقد سار اكريلاذ علي نفس المنهج وتعرف علي اسماء " ارسنوي " و " برينكي " ( من اسماء ملكات البطالمة ) ثم استخرج من النص الديموطيقي ٢٩ علامة قال انها حروف ابجدية وان لم يكن ذلك صحيحا تماما لان ذلك ينطبق علي نصفها فقط ، وبذلك توصل اكريلاذ الي حقيقة هامة هي ان بين العلامات الديموطيقية علامات صوتية Phonetic ( العلامة الصوتية تشبه حروف الهجاء عندنا ) وبهذه النتيجة توصل الي قراءة بعض الكلمات مثل " مصري " " معبد " ، " يحب " وكذلك بعض الضمائر مثل ضمير الغائب المقعول him وضمير الملكية his وقد استعان في التوصل الي هذه النتيجة بمقارنة هذه الكلمات الديموطيقية بما يناظرها في اللغة القبطية فكان بذلك اول من استعان باللغة القبطية في التعرف علي الكلمات المصرية القديمة ( الديموطيقية ) وهي الطريقة التي استخدمها شامبليون فيما بعد وساعدته الي حد كبير في حل رموز الكتابة الهيروغليفية .

وقد دفع ذلك النجاح بأكريلاذ الي الاعتقاد بان جميع العلامات الديموطيقية هي علامات صوتية وهنا وجه الخطأ وهو يعادل نفس الخطأ الذي وقع فيه الكتاب الذين سبقوه باعتقادهم ان العلامات الهيروغليفية كلها علامات رمزية لان الكتابة الديموطيقية شأنها شأن الهيروغليفية كما سيتضح فيما بعد تجمع بين العلامات الرمزية والعلامات الصوتية . ولذلك توقف اكريلاذ عن التقدم أكثر من ذلك .

وبعد محاولات اكريلاذ بأثني عشر عاما وبالتحديد في عام ١٨١٤ جاءت محاولات العالم الانجليزي توماس يونج Thomas Young الذي بدأ ايضا بالنص الديموطيقي وتوصل الي حقيقتين هامتين تبينت صحتها فيما بعد وهما :

أ- ان علامات النص الديموطيقي بعضها علامات صوتية وبعضها علامات رمزية ( Quirke 1988 , p. 4 ).

ب - توجد علاقة بين اشكال العلامات الديموطيكية والعلامات الهيروغليفية ( ثبت فيما بعد ان العلامات الديموطيكية هي اختصار للعلامات الهيروغليفية مرورا بالعلامات الهيراطيكية )

وقد تمكن يونج من قراءة خرطوش الملك بطلميوس في كل من النص الديموطيقي والنص الهيروغليفي ، ( شكل ٣ ) وكانت تلك أول خطوة نحو التعرف علي العلامات الهيروغليفية وتوصل لذلك بالمقارنة بين الاسم في كل من النصوص الثلاثة علي حجر رشيد كما يلي :

ΠΤΟΛΕΜΑΙΟΣ

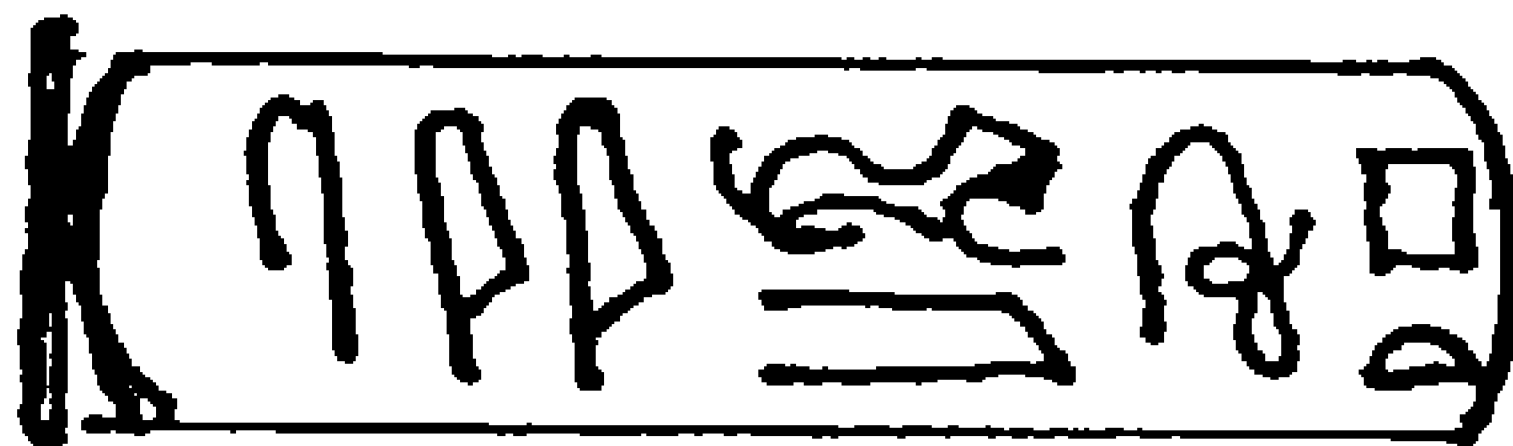
اسم بطليموس باليونانية

Κ<|||>27<2

اسم بطليموس بالديموطيكية

( يقرأ من اليمين بين جانبي ) ( پ ت ه ل م ي س )

خرطوش غير كامل



الاسم بالهيروغليفية داخل خرطوش كامل



وبذلك توصل يونج الي قراءة خمسة حروف هيروغليفية قراءة صحيحة وهي  
حروف الباء الثقيلة □ والتاء 𐀀 والميم 𐀁 والياء 𐀂 والسين 𐀃  
(Quirke 1488, p. 4)

وقد ساعد يونج علي التوصل الي هذه النتيجة ان اسم بطلميوس كتب علي  
حجر شيد بالحروف الابجدية الهيروغليفية وكانت هذه الطريقة هي التي اتبعها  
الكهنة المصريون في كتابة الاسماء الاجنبية في العصر البطلمي ، ( وفي عصر  
الرومان فيما بعد ) مثل اسماء ملوك وملكات البطالمة واباطرة الرومان وربما كان  
الكهنة المصريون قد تأثروا في ذلك بالابجدية اليونانية التي سوف يستخدمونها  
في أواخر العصر البطلمي او بداية الروماني في كتابة اللغة المصرية القديمة بدلا من  
العلامات الديموطيقية فيما عرف فيما بعد بالابجدية القبطية .

بعد ذلك وسع يونج دراساته خارج نطاق حجر شيد فدرس النصوص  
الهيروغليفية التي نشرت في كتاب وصف مصر ( كان الفرنسيون قد بدأوا في  
نشر هذا الكتاب في عام ١٨٠٩ ) ، كما درس البرديات الجنازية الموجودة في  
المتحف البريطاني فلاحظ ان اسماء الاناث تأتي في آخرها علامتان هما 𐀄 𐀅 ثبت فيما  
بعد أن العلامة العليا هي تاء التأنيث وان العلامة السفلي هي " شكل بيضة"  
وهي علامة زائدة علي نطق الكلمة كان المصريون يستخدمونها للدلالة علي الإناث  
فيما يعرف بين علامات الكتابة الهيروغليفية باسم " المخصصات " ( Deter-  
minatives ) ومن مقارنة الكتابات علي البرديات تعرف يونج علي الكتابة

الهيراظيقية ( وهي خط مختصر من الهيروغليفية كان يستخدمه الكهنة في الكتابة علي البردي ) ومقارنتها بكل من الكتابتين الهيروغليفية والديموطيقية توصل الي حقيقة هامة هي ان الكتابة المصرية القديمة تطورت من العلامات الهيروغليفية الي العلامات الهيراظيقية الاكثر اختصارا ثم الي العلامات الديموطيقية المختصرة كثيرا ، وبذلك صادف يونج الكثير من النجاح ولكن لم يتقدم أكثر من ذلك لسببين : اولهما انه كان لا يزال يعتقد مثل العلماء قبله ان العلامات الهيروغليفية هي في الاساس علامات رمزية Symbolic وانه لا يوجد بينها علامات صوتية فيما عدا الحروف الابدجية التي كتبت بها اسماء ملوك البطالمة واباطرة الرومان والسبب الثاني في عدم تقدم يونج هو عدم المامه الماما كافيا باللغة القبطية التي كانت خير معين لشمبليون في التوصل الي كشفه العظيم .

وأخر المحاولات في قراءة الكتابة الهيروغليفية وان كانت خارج حجر رشيد هي محاولات الرحالة الانجليزي W.J Banks ففي عام ١٨١٩ تمكن هذا الرحالة من نقل مسلة صغيرة مع قاعدتها من معبد ايزيس بجزيرة فيلة جنوب اسوان الي انجلترا حيث اقامها في منزله في دورست Dorset وقد نحت علي قاعدة هذه المسلة نص اغريقي به اسماء بطلميوس وكليوباترا بينما نحت علي المسلة نفسها نص هيروغليفي به خرطوشان استنتج بانكس من النص اليوناني انهما نفس اسمي بطلميوس وكليوباترا ولاحظ ان اسم بطلميوس علي المسلة يتفق تماما مع نفس الاسم في النص الهيروغليفي علي حجر رشيد الذي كان يونج قد توصل الي قراءته ، وقد طبع باكس نسخا من نقوش المسلة وقلعدها ووزعها علي العلماء وارفق بها استنتاجاته وكانت اعمال بانكس بداية لما قام به شامبليون فيما بعد .

### ثالثا : طريقة شامليون في حل رموز حجر رشيد :

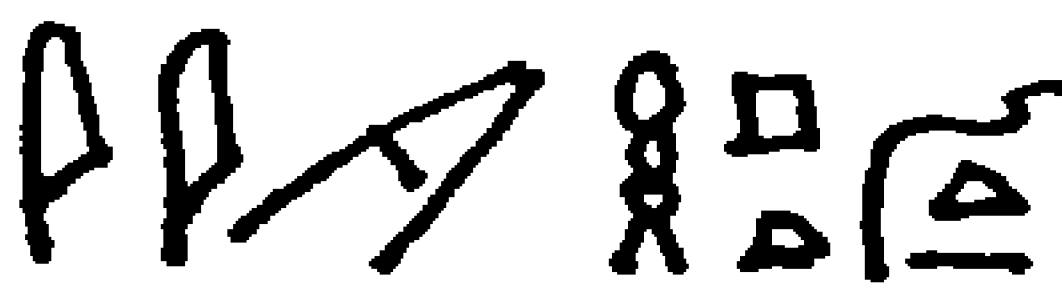
كما سبق يتبين ان شامليون لم يبدأ من فراغ في حل رموز حجر رشيد كما هو الشائع ، بل سبقته جهود علماء توصلت الي نتائج استفاد منها شمبليون واهمها ان الكتابة الهيروغليفية بها علامات صوتية هي الحروف الابدجية التي كتبت بها الاسماء الاجنبية مثل اسماء ملوك البطالمة ومنها التوصل الي نطق الحروف في اسماء بطلميس وكليوباترة . ومنها ان معرفة اللغة القبطية تساعد علي التعرف علي الكتابات المصرية الأخرى كالهيوغليفية والديموطيقية .








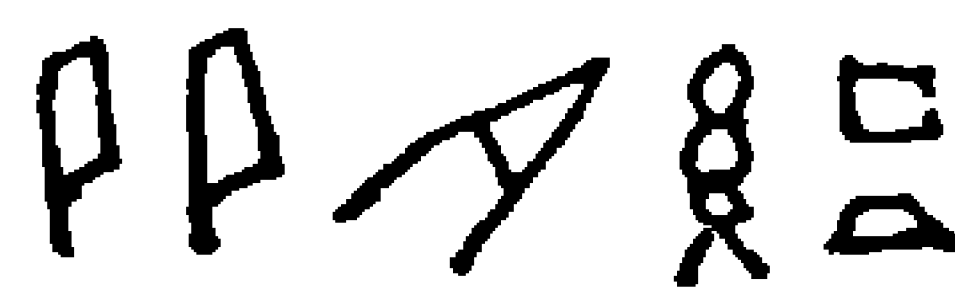
والحقيقة ان شامليون عندما بدأ يعكف علي دراسة حجر رشيد كان متأثرا بفكرة الخاصية الرمزية المطلقة Symbolic للكتابة الهيروغليفية التي كانت سببا في اخفاق من سبقوه وظل هذا الاعتقاد يلزمه حتي ١٨٢١ (Gordon 1971, p. 43) ولم ينجح في حل رموز الهيروغليفية الا بعد ان تخلص من هذا القيد اي نبذ فكرة الخاصية الرمزية المطلقة لعلامات الكتابة الهيروغليفية فقد تجلت عبقريته في ادراكه ان الخاصية الصوتية للعلامات الهيروغليفية لا تقتصر علي الحروف<sup>(١)</sup> الابدجية ولكنها تمتد لتشمل عددا كبيرا من العلامات ، وان الكتابة الهيروغليفية تشمل الي جانب هذه العلامات الصوتية علامات رمزية وقد ساعد علي نجاحه




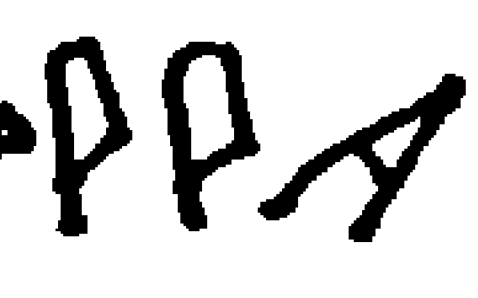
---

(١) يلاحظ اننا في استخدامنا للمصطلحات اللغوية نفرق بين المصطلح " حروف " والمصطلح " علامات " فالحروف نقصد بها الحروف الابدجية التي تنطق بصوت واحد في الكلمة مثل الحروف العربية والحروف الانجليزية وغيرها ، أما مصطلح " علامات " فنقصد به جميع اشكال الكتابة الهيروغليفية الأخرى التي سيأتي تفصيلها وشرحها فيما بعد .



العلامات الهيروغليفية  معناها "العائش ابديا محبوب بتاح" ( وتقرأ الآن "ع ن خ / ج ت / م ر ي / ب ت ح ) وعندما رجع شميليون الي اللغة القبطية وجد ان كلمة عاش او حياة هي

( وتقرأ " ا و ن خ " ) في القبطية فاستنتج ان العلامة  تقرأ " ا و ن خ " ولكن العلامات التالية وهي  بمعنى "ابديا" لم يجد ما يقابلها في اللغة القبطية ، ولكنه لاحظ ان علامة  هي حرف التاء الهيروغليفى ( التي سبق ان توصل يونج الي التعرف علي أنها تاء التانيث ) وعندما بدأ شميليون ببحث عما يقابل العلامة  التي تكررت كثيرا علي حجر رشيد وجد انها تبدأ بكلمة يقابلها في النص اليوناني كلمة معناها " يسمي " او يقال له " وعندما رجع الي اللغة القبطية وجد ان كلمة " يقال له " هي  ( وتقرأ " ج و " ) فاستنتج ان العلامة  تقرأ " ج " وتوصل بذلك الي ان الكلمة  تقرأ " ج ت " وان معناها " ابديا او الي الأبد " ( كما جاء في النص اليوناني ) ثم انتقل شميليون الي العلامات الأخرى وهي  والتي يقابلها في النص




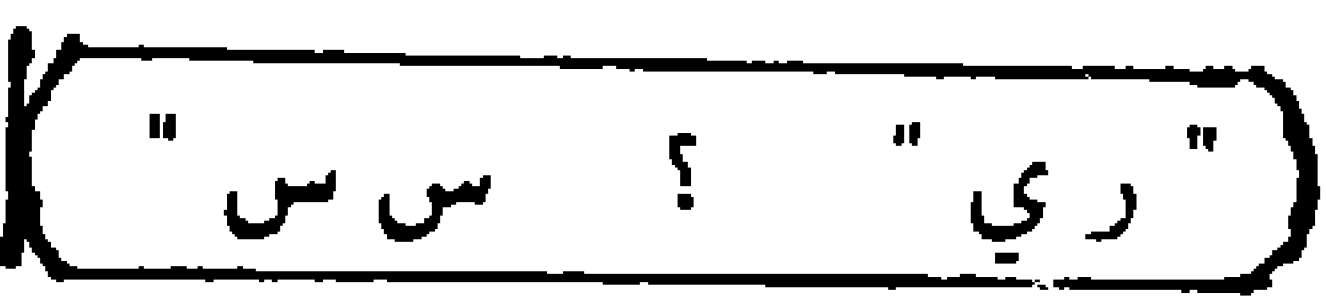
اليوناني " محبوب بتاح " وكان شميليون يعرف ان العلامة  تقرأ باء ثقيلة في كل من اسمي بطلميوس وكليوباتره وان العلامة  تقرأ " تاء " وتوصل من ذلك الي ان قراءة الكلمة هي " ب ت ... " واستنتج من كل ذلك ان الحرف الأخير من الكلمة هو  يقرأ " ح " لتكمل كلمة " ب ت ح " اي " بتاح " وعلي ذلك فان العلامات التالية لهذه الكلمة وهي  هي الكلمة الهيروغليفية التي تقابلها كلمة " محبوب " في النص اليوناني وعندما رجع الي

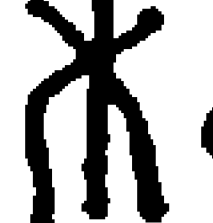


اللغة القبطية وجد ان كلمة " يحب " هي  $MEPE$  ( وتقرأ " م ي ر ي " )  
ولما كان شميليون يعرف من قراءة خرطوش بطلميوس ان علامتين  $\beta \beta$  هما  
حرف الياء فاستنتج من ذلك ان العلامة  $\beta$  تقرأ " م ر " وان معناها " <sup>١١</sup>  
محبوب " وهكذا توصل شميليون الي قراءة العبارة التي معناها " محبوب بتاح "  
في خرطوش بطلميوس ، غير أن الأهم والأخطر من ذلك انه اكتشف حقيقة ذات  
أهمية كبيرة في حل رموز الهيروغليفية وهي ان علامة  $\beta$  التي تقرأ " م ر " ليست  
علامة ابجدية مثل العلامات الأخرى التي سبق ان قرأها في خراطيش ملوك البطالة  
والرومان لانها تنطق بصوتين هما الميم والراء ( شكل ٤ ) فخرج من ذلك بنتيجة  
هامة جدا وهي ان الكتابة الهيروغليفية تحتوي الي جانب الحروف الابجدية علي  
علامات صوتية مقطعية اي تنطق بأكثر من صوت واحد وكان لذلك فضل كبير في  
تقدمه في حل رموز الكتابة الهيروغليفية .

وعند هذا الحد ارسل شميليون نتائج قراءاته للهيروغليفية في خطابه المشهور  
سنة ١٨٢٢ الذي عنوانه *Lettre á M. Dacier relative à l'alphabet des hieroglyphes Phonétiques* وهو موجه الي امين  
اكاديمية العلوم والفنون عن ابجدية الحروف الهيروغليفية الصوتية التي كان  
يستخدمها المصريين في تدوين القاب واسماء الحكام اليونان والرومان علي جدران  
آثارهم ( هارتلين ١٩٩١ ، ص ١٦ ) .

غني ان شميليون عندما اتجه بعد ذلك لقراءة الاسماء الهيروغليفية للفراعنة

المكتوبة داخل خراطيش لاحظ انها كتبت بعلامات تختلف عن العلامات التي كتبت بها اسماء ملوك البطالمة واباطرة الرومان لان هذه الأخيرة كما ذكرنا مكتوبة بالحروف الابدجية ( فيما عدا المقطع "م ر" والذي لا يدخل في هذه الاسماء وهو مقطع صوتي ثنائي كما تبين فيما سبق )

وكان اول اسماء الفراعنة التي اتجه اليها هو خرطوش الملك رمسيس الذي حصل عليه من بين النقوش التي وصلته من معبد ابي سمبل ( شكل ٥ ) ، وقد كتب اسم رمسيس علي جدران هذا المعبد في ابسط اشكاله وهي  فهو يعرف من علامات هذا الخرطوش العلامة الأخيرة فقط  وهي حرف السين <sup>في</sup> اسم بطلميوس الوارد علي حجر رشيد . ، غير انه لاحظ ان العلامة الأولى تشبه شكل الشمس ، ولما كان يعرف ان اسم الشمس في اللغة القبطية هو  ويقرأ " ري " فقد استطاع بذلك قراءة العلامات في أول الخرطوش وفي آخره وهي  وفي الحال قفز الي ذهنه اسم الملك رمسيس المذكور في تاريخ الكاهن المصري مانيتون ( الذي دون تاريخا لمصر الفرعونية باللغة اليونانية في عصر الملك بطلميوس الثاني وفيه قسم تاريخ مصر الفرعونية الي ٣٠ اسرة ورد فيها اسم الملك رمسيس بالصيغة Ramesses ضمن ملوك الاسرة التاسعة عشرة ) .

وعلي هذا استنتج شامبليون ان العلامة التي في الوسط وهي  هي حرف الميم ( وهي نتيجة غير صحيحة تماما لأن هذه العلامة مقطعية تقرأ الآن " م س " ) ثم لاحظ شامبليون ان هاتين علامتين   وردتا في النص الهيروغليفي علي حجر



رشيد ( في النصف الأول من السطر العاشر ) ( شكل ٦ ) وعندما طابق مايقابل هذه الكلمة في النص اليوناني وجد ان الكلمة اليونانية التي تقابلها هي Genethlia بمعنى " يوم ميلاد " ( السطر رقم ٤٦ ) وهنا قفزت الي ذهنه الكلمة القبطية | C | M | ( وتقرأ م ي س ي ) بمعنى يلد او ميلاد Vycich ( p. 170 , 1983 ) وبذلك توصل الي قراءة هذه العلامة الهيروغليفية بأنها " م س " وعرف انها علامة مقطعية . وأخذ شميليون يتتبع العلامات الهيروغليفية علي حجر رشيد ويقارنها بما يقابلها في النص اليوناني وتوصل من ذلك الي ان الكتابة الهيروغليفية تتكون من ثلاثة انواع من العلامات هي:




(أ) علامات صوتية Phonogram منها ماهي وحيدة الصوت ( وهي الحروف الابدجية ) وثنائية الصوت مثل علامة " م س " وثنائية الصوت مثل علامة " ع ن خ " ويطلق الآن علي العلامات الثنائية والثلاثية مصطلح " مقطع ثنائي biliteral syllable ومقطع ثلاثي trilateral syllable ,



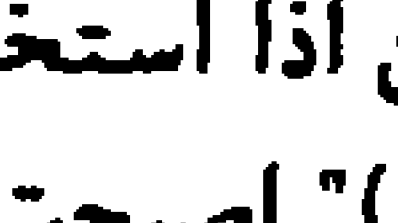




(ب) علامات رمزية Symbolic وهي تدل علي كلمة بأكملها اما بنفس الشكل الذي تمثله <sup>شكل</sup> علامة الشمس ☉ التي تنطق " رع " فهي تعني الشمس نفسها وفي هذه الحالة تسمى علامات تصويرية Pictogram أو تفيد معنى مرتبط بشكل الشمس مثل كلمة " يوم " او " نهار " ( هروم ) وفي هذه الحالة تسمى رمز معنى ideogram ( يجمع بعض الباحثين بين العلامة التصويرية ورمز المعنى تحت مصطلح واحد هو رمز كلمة ( logogram )

(ج) علامات تحدد معاني الكلمات وتأتي في آخر هذه الكلمات ويطلق



عليها اسم المخصصات determinative مثل استخدام علامة الشمس في كلمة  "رك" بمعنى " زمن" ففي هذه الكلمة لا تقرأ العلامة  "رع" او " ه ر و " بل ليس لها قراءة اطلاقا وانما تأتي في آخر كلمة " رك " لتحدد معناها بأنه زمن وليس معني آخر .

كما توصل شامبليون الي أن رموز المعاني ideograms يمكن ان تستخدم كعلامات صوتية اي تفقد معناها ومدلولها الأصلي وتصبح مجرد قيمة صوتية ومثال ذلك علامة  التي تنطق " پ ر " اي بصوتين ( مقطع ثنائي ) والتي تمثل فناء منزل وتستخدم للدلالة علي المنزل فانها يمكن ان تفقد المدلول الأصلي لشكلها وتصبح مجرد قيمة صوتية اذا دخلت في كلمة مثل كلمة " پ ر ت " بمعنى " فصل الشتاء " وتكتب هكذا   وبذلك تحولت العلامة الي مجرد مقطع صوتي ثنائي ولم يعد لها علاقة بالمنزل ( ١ )

( ١ ) لتوضيح كيف استخدم المصريون القدماء العلامة الواحدة في الأنواع المختلفة للعلامات الهيروغليفية ( علامة تصويرية - رمز معني - علامة صوتية - مخصص ) نأخذ كمثال علي ذلك علامة العين  ( مع تبسيط كتابة العلامات ) فهذه العلامة تقرأ " إر " اذا كتبت بمفردها  ويكون معناها " عين " وهي بذلك علامة تصويرية Pictogram اي ان شكلها يدل علي معناها ، ولكن اذا استخدمت في معني مرتبط بالعين مثل كلمة  اري " بمعنى " يقرأ " او " يتلو ( تعريضة ) " اصبحت بذلك رمز معني ideogram ثم اذا استخدمت في كلمة مثل كلمة  التي تقرأ " إ ر ت " بمعنى " لبن حليب " فقدت  معناها الأصلي ( عين ) او المعاني المرتبطة بها ( يقرأ ) وصارت علامة صوتية Phonogram تقرأ في نطاق كلمة " إ ر ت " التي لا علاقة لها بالعين ، ويمكن ايضا ان تستخدم علامة العين لتحديد معني كلمة مثل كلمة " يري "  وتقرأ " م ا " ( Faulkner 1972 , p. 100 ) وهي نطق العلامة  التي تعني " يري " ويقتصر دور علامة العين لتحديد معني الكلمة بالفعل " يري " لان كلمة " م ا " لها معني

وقد اعلن شامبليون هذه النتائج في عام ١٨٢٤ في كتابه المشهور "المختصر  
في نظام الكتابة الهيروغليفية عند قدماء المصريين"

Préc. is du système hiéroglyphique des anciens Egyptiens


وبعد ذلك قام شامبليون برحلة الي مصر بين عامي ١٨٢٨ - ١٨٢٩ زار  
خلالها الاثار الفرعونية في مختلف اقاليم مصر واهمها الجيزة وسقارة وبنى حسن  
والاقصر وكوم امبو وابو سمبل حيث جمع كثيرا من النصوص الهيروغليفية  
(هارتلين ١٩٩١ ، ص ٣٨٩ )

ومات شامبليون في عام ١٨٣٢ وعمره لا يتعدي الثانية والاربعين ، ولكن  
اخاه الاكبر جاك جوزيف شامبليون فيچاك قام بنشر مؤلفاته في اللغة المصرية القديمة  
ما بين الأعوام ١٨٤١ - ١٨٤٣ ، وهي "قواعد اللغة المصرية القديمة"  
Grammaire Egyptienne"

"والمعجم المصري للكتابة الهيروغليفية"

Dictionnaire égyptien en écriture hiéroglyphique

---

الخمر = "هو" وعل" (Ibid) وفي هذه الحالة يرسم رأس وعل بعدها  ليحدد معناها  
بانها " وعل" وتسمي علامة العين وعلامة رأس الوعل بالمخصص determinative لانها  
تخصص أو تحدد معني كلمة " م ا " إما " يري" اذا كان المخصص " عين " او " وعل" اذا كان  
المخصص رأس وعل .

ورغم هذه النتائج الموفقة التي توصل اليها شمبليون في حل رموز الهيروغليفية الا انه من العجيب ان العلماء ظلوا يتشككون في هذه النتائج الي ان تم في عام ١٨٦٦ كشف حجر مكتوب بنفس الكتابات المدونة علي حجر رشيد وهي الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية ودون عليه مرسوم للكهنة المصريين المجتمعين في مدينة كانوب ( ابي قير شرق الاسكندرية ) لتكريم الملك بطلميوس الثالث جد الملك بطلميوس الخامس ونصوصه تشبه من حيث مضمونها واسلوبها نصوص حجر رشيد الي حد كبير ويطلق عليه الباحثون " مرسوم كانوب " وقد عثر علي هذا الحجر العالم الألماني ليسيوس في مدينة تانيس ( صان الحجر بالقرب من المنزلة في شرق الدلتا ) ( Encyclopaedia 1998 , p. 442 ) ويرجع تاريخ مرسوم كانوب الي عام ٢٣٨ قبل الميلاد اي يسبق حجر رشيد بحوالي اربعين عاما وعندئذ آمن العلماء بالنتائج التي توصل اليها شمبليون وساروا قدما في دراسة اللغة المصرية القديمة علي الأسس التي وضعها حتي اصبحت هذه اللغة اليوم كتابا مفتوحا امام علماء المصريات .

#### رابعا : زيادة تأكيد صحة قراءات نصوص حجر رشيد :

لم يكن العثور علي حجر كانوب عام ١٨٦٦ هو وحده الذي أكد قراءة شمبليون لنصوص حجر رشيد بل انه في السنوات التالية اكتشفت اجزاء من نسخ أخرى من حجر رشيد ( وبالتحديد من مرسوم منف المدون علي حجر رشيد ) وترجع كلها الي عهد بطلميوس الخامس ، ففي عام ١٨٩٨ كشف في قرية نقراش بالقرب

من دمنهور ( وهي موقع مستوطنة يونانية عرفت باسم نقراتيس ) كشف في ذلك العام عن بقايا نسخة أخرى من حجر رشيد وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري بالقاهرة تحت رقم ٥٥٧٦ ( Budge 1929,p.2 ) والنص عليها مؤرخ بالسنة التاسعة أيضا من حكم بطلميوس الخامس والنص الهيروغليفي مطابق لنص حجر رشيد الي حد كبير مما مكن العلماء من التعرف علي جزء كبير من النص الهيروغليفي المفقود علي حجر رشيد ، كما كشف أيضا عن نقشين محفورين علي جدار معبد ايزيس في جزيرة فيلة ( الان جزيرة ايجلكا التي نقل اليها المعبد ) .

وكان شميليون أول من اكتشف وجود هذ النقش اثناء زيارته لجزيرة فيله عام ١٨٢٨ . ووصفه في كتابه " ملاحظات وصفية لآثار مصر والنوبة ( Champollion , I.F., Notices descriptives des monuments de E'gypte et de la Nubie , 1844 ) الذي نشر بعد وفاته ، والنص الآخر مؤرخ بالسنة ٢١ من حكم الملك بطلميوس الخامس أيضا ، كما عثر علي نسخة من النص الأخير اي المؤرخ بالسنة ٢١ مسجلا علي لوحة (حجر ) وجدت في دندره بها بقايا نص هيروغليفي يتكون من ١٣ سطرا ( سليم حسن ١٩٦٠ ، ج١٦ ، ص ١٦٤ )

هذا غير اجزاء من نسخ أخرى وجدت في أماكن متفرقة احداها وجدت في جزيرة الفنتين ( جزيرة أسوان الحالية ) مؤرخة بالسنة التاسعة أيضا وأخرى في "أصفون" (ارمنت) مؤرخة بالسنة ٢٣ ، واغلب هذه النسخ مدون عليها النصان الهيروغليفي والديموطيقي فقط . ( Quirke 1988, p. 9 )

ولم يرد النص اليوناني الا علي كسرة من حجر الجرانيت وجدت في جزيرة  
الفتنين ( سليم حسن ١٩٦٠ ج ١٦ ، ص ١٦٤ ) وفيما عدا نسخة نقراطيس التي  
يطابق نصها الهيروغليفي نص حجر رشيد تقريبا فان بعض النسخ الأخرى تختلف  
نصوصها عن نص حجر رشيد بعض الشيء وخاصة في ذكر مناسبة احتفال الكهنة  
فبينما جاء علي حجر رشيد ان مناسبة احتفال الكهنة هي الاحتفال بالذكرى الاولى  
لتتويج الملك بطلميوس الخامس فرعوننا علي مصر وتمجيدها لانتصاره علي اعدائه في  
ليوكوبوليس ، فان هذه المناسبة في النقش المؤرخ بالسنة ١٩ علي معبد ايزيس في  
فيلة هي انتصار الملك علي ثوار طيبة ( سليم حسن ١٩٦٨ ، ص ١٦٣ ) وفي  
النقش المؤرخ بالسنة ٢١ علي نفس المعبد وعلي لوحة دندره وكذلك في النقش  
المؤرخ بالسنة ٢٣ علي لوحة اصفون فان هذه المناسبة هي الاحتفال بعيد أحد  
الحيوانات المقدسة .

ويمكن اجمال تواريخ واماكن اجتماعات الكهنة في عصر بطلميوس الخامس  
والنسخ المدونة عليها المراسيم الكهنوتية الصادرة في هذه الاجتماعات والتي يعتبر  
بعضها نسخا من نصوص حجر رشيد والبعض الآخر نسخا من نصوص أخرى مشابهة  
له كما يلي :

تاريخ اجتماع الكهنة ( صدور المرسوم )	مكان الاجتماع	الغرض منه	النسخ المدون عليها المرسوم
(أ) السنة التاسعة  ( من حكم بطلمبوس الخامس )	منف	(١) الاحتفال بذكرى تتويج بطلمبوس الخامس فرعوناً (٢) الانتصار علي ثوار الحكوبوليس	١- حجر رشيد ٢- نسخة نقراطيس ٣- نسخة جزيرة الفنتين
(ب) السنة ١٩	الاسكندرية	الانتصار علي ثوار طيبة	(١) نقش محفور علي جدار معبد ايزيس في جزيرة فيلة
(ج) السنة ٢١	منف	الاحتفال بعيد العجل ابيس	١- نقش علي جدار معبد ايزيس في فيلة ٢- نقش علي لوحة في دندره
(د) السنة ٢٣	منف	الاحتفال بعيد العجل منيثس	لوحة اصفون

### محتويات نقش حجر رشيد :

كما قلنا فيما سبق فان نقش حجر رشيد هو نسخة من مرسوم اصدره مجمع الكهنة المصريين المنعقد في مدينة منف للاحتفال بالذكرى الاولى لتتويج الملك بطلميوس الخامس ابيفانس فرعوننا علي مصر طبقا للتقاليد المصرية ، وكان ذلك التتويج قد أجري لأول مرة في السنة السابقة لسنة هذا الاحتفال اي في السنة الثامنة من حكم الملك ، والنقش مؤرخ في النص اليوناني باليوم الرابع من شهر كسانديكوس ( ابريل ) مع معادلته باليوم الثامن عشر من شهر أمشير من السنة التاسعة من حكم بطلميوس الخامس ، والنص الديموطيقي مؤرخ بنفس الشهر اليوناني وينفس التقويم المصري اي في اليوم الثامن عشر من الشهر الثاني من فصل الشتاء ( شهر امشير ) من السنة التاسعة وقد اضاف النص اليوناني الي التأريخ المذكور تأريخا طبقا للتقاليد اليونانية وهو اتخاذ سني كهنوت الكهنة والكاهنات المكلفين بخدمة عبادة آباء واجداد بطلميوس الخامس اساسا لهذا التأريخ.

والغالب أن الصيغة الاصلية للمرسوم وضعت أولا بالنص الديموطيقي ثم ترجمت الي النصين الهيروغليفي واليوناني والقسم الأول من النقش ( بنصوه الثلاثة ) تشغلها قائمة بالقاب بطلميوس الخامس واصاف ونعوت تمجد الملك وتقواه نحو الآلهة وعطفه علي المصريين وفي القسم الثاني يعدد الكهنة الاحسانات التي اسبغها الملك علي الكهنة وغيرهم من الرعايا المصريين والتي

تمكن تلخيصها كما يلي :

- ١- هبات مالية من الحبوب للمعابد
- ٢- هبات من الاوقاف للمعابد.
- ٣- الغاء نصف الضرائب المستحقة للحكومة علي المعابد
- ٤- التجاوز عن الديون المستحقة للحكومة علي الشعب .
- ٥- الافراج عن السجناء الذين وهنت عزيمتهم (ربما من طول مدة السجن )
- ٦- الغاء تسخير الملاحين ( البحارة ) من المصريين
- ٧- تخفيف الرسوم التي كان يدفعها المرشحون لوظائف الكهنوت
- ٨- تخفيض الضرائب المستحقة الدفع من المعابد للحكومة .
- ٩- تعزيز الخدمة الدينية للمعابد
- ١٠ - العفو عن الثوار الذين سبق السماح لهم بالعودة الي مصر والاقامة فيها .
- ١١- ارسال الفرق الحربية بالبحر والبر ضد اعداء مصر .
- ١٢ - حصار واسقاط مدينة سكان ( Lycopolis ) في وسط الدلتا
- ١٣ - التجاوز عن الديون المستحقة علي الكهنة للملك
- ١٤- تخفيض ضريبة الكتان الملكي .
- ١٥ - تخفيض ضريبة الحبوب علي الأراضي .



- ١٦- ترميم معابد العجل ابيس والعجل منيفس ومعابد الحيوانات المقدسة الأخرى
- ١٧- اعادة بناء المقاصير المهدمة والمباني الدينية وامدادها بالهبات الوقفية .
- واعترافا من الكهنة بالجميل نحو الملك لكل هذه الاحسانات ( في نظرهم )  
فقد قرر المجلس العام للكهنة المصريين المنعقد في " منف " زيادة احتفالات التكريف والتكريم لبطلميوس في المعابد باتخاذ الاجراءات التالية .
- ١- عمل تماثيل للملك بوصفه " حامي مصر " واقامة تماثيل في كل معبد في مصر لكي يتعبد له الكهنة والشعب .
- ٢- عمل تماثيل ( من الذهب ) ووضعها في مقاصير ذهبية تقام الي جانب مقاصير الآلهة وتحمل معها في المواكب .
- ٣- تمييز مقصورة بطلميوس ( عن المقاصير الاخرى ) بان يوضع فوقها عشرة تيجان مزدوجة من الذهب .
- ٤- الاحتفال بيومي ميلاد وتتويج بطلميوس وهما اليوم السابع عشر واليوم الثلاثين من شهر مسري كعيدين الي الأبد .
- ٥- اعتبار الأيام الخمسة الأولى من شهر توت اعيادا خاصة بتكريم الملك الي الأبد ، تقدم فيها القرابين للمعابد ويلبس فيها الشعب كله الاكاليل .
- ٦- اضافة لقب جديد الي القاب الكهنة هو " كهنة الاله الظاهر ( ابيفانس ) الذي طبياته كاملة " وان يحفر هذا اللقب علي الختم الخاص بكل كاهن من كهنة الملك وان يوضع هذا الختم علي كل وثيقة كهنوتية .

٧- السماح للجنود بان يستعيروا من المعابد المقاصير بما فيها من تماثيل لبطلميوس وان يأخذوها الي ثكناتهم ويحملوها في مواكب الاحتفالات .

٨- ان تنقش نسخ من هذا المرسوم علي لوحات من الحجر الصلب ( كتل من حجر البازلت ) بكتابة كلام الإله ( الهيروغليفية ) وكتابة الوثائق (الديموطيقية)<sup>(١)</sup> وكتابة الايونيين ( اليونانية ) وان تقام اللوحات المدون عليها نسخ من هذا المرسوم في معابد الدرجات الاولى والثانية والثالثة الي جانب تمثال بطلميوس الاله العائش ابديا .

#### المغزي التاريخي والسياسي لنصوص حجر رشيد

لم يكن مرسوم الكهنة المدون علي حجر رشيد سوي حلقة في سلسلة من المراسيم امتدت ما بين عصر بطلميوس الثالث والذي صدر في عهده المرسوم المعروف بمرسوم كانوب في عام ٢٣٨ قبل الميلاد مروراً بالمرسوم المسجل علي حجر رشيد والذي صدر في السنة التاسعة من عهد حفيده بطلميوس الخامس في سنة ١٩٦ ق.م وانتهاء بالمرسوم الصادر في السنة ٢٣ من حكمه.

وهناك تباين واضح بين المرسومين فبينما عقد اجتماع الكهنة الذين اصدروا مرسوم كانوب بالقرب من الاسكندرية مركز السلطة والحضارة اليونانية الاجنبية

---

(١) اختلفت هذه التسمية في النصين الهيروغليفي والديموطيقي عنها في النص اليوناني فبينما اطلق عليها النسان المذكوران " كتابة الوثائق " فان النص اليوناني يسميها " الكتابة الوطنية " اي الديموطيقية .

فان إجتماع الكهنة الذين اصدروا مرسوم منف عقد في عقر دار حضارة مصر الوطنية وتحت رعاية الاله بتاح الاله المصري وهذا التغير يعكس التطور الكبير الذي حدث خلال الاربعين عاما التي تفصل بين تواريخ المرسومين . ففي وقت صدور مرسوم كانوب كانت الدولة البطلمية في عصر بطلميوس الثالث في اوج قوتها في الداخل وفي اقصى اتساعها في الخارج واصبحت لعاصمتها الاسكندرية السيادة علي منطقة شرق البحر المتوسط ، ولكن في عصر بطلميوس الخامس تغيرت الصورة بعد انتصار المصريين في عصر بطلميوس الرابع في معركة رفح في عام ٢١٧ ق.م وبعد تجنيدهم علي نطاق واسع في الجيش البطلمي وبعد ان نقل بطلميوس الرابع بلاطه مؤقتا من الاسكندرية الي منف العاصمة القديمة للفراعنة (لاخفاء استعداداته الحربية عن رسل الملك السليوكي عدوه اللدود كما يري بعض الباحثين ) ( Quirke 1988 , p. 7 ) .

ولكن سارت الامور علي غير ما يشتهي ملوك البطالمة فقد سرت الروح الوطنية في المصريين وانتشر التمرد ضد الحاكم البطلمي الاجنبي وامتد الي مصر كلها وعند موت بطلميوس الرابع سنة ٢٠٥ ق.م انسلخ الجزء الجنوبي من مصر عن الحكم البطلمي كما انسلخت منطقة وسط وشرق الدلتا وتركزت الثورة في المنطقة الممتدة من سمنود نحو الجنوب وهي المعروفة في النصوص البطلمية بالمقاطعة البوصيرية ومركزها هو المسمي " ليكوبوليس " في النص اليوناني و " شكان " في النص الديموطيقي .

ولكن بطلميوس الخامس قام عام ١٩٧ ق.م ، بعد ان تمكن من تدعيم جيشه ، قام بشن حملة ضد ليكوبوليس واستولي الجيش البطلمي علي المدينة في هجوم خاطف وقبض علي الثوار ، وفي السنة التالية وهي السنة التاسعة من حكم الملك و كان الملك في سن الرابعة عشرة ( ١٩٦ ق.م) اقيم احتفال بالذكرى الاولى لتتويجه في مدينة منف علي الطريقة الفرعونية وذلك لمزيد من اصفاء الشرعية علي حكم الملك لمصر في نظر المصريين لتعزيز موقفه في مواجهة الثوار وتضمن ذلك الاحتفال نشر عبادة الملك البطلمي في معابد مصر واقامة تمثال له ومقصورة في كل من هذه المعابد واقامة لوحة الي جانبها يدون عليها المرسوم الكهنوتي الصادر بإنشاء هذه العبادة بالاضافة الي الجوانب الاخرى التي يحتوي عليها هذا المرسوم بالكتابات الثلاثة الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية وقد استمر اصدار هذه المراسيم بعد ذلك خلال السنوات التالية من حكم بطلميوس الخامس مما يدل علي ان هذه السياسة جاءت بنتائج في صالح الحكم البطلمي فقد تمكن الملك من اخماد الثورة في الجنوب التي كانت طيبة مركزها واستولي علي هذه المدينة في السنة التاسعة عشرة من حكمه ( عام ١٨٦ ق.م). وقد سجل المرسوم الذي اصدره الكهنة هذا الانتصار في النقش المحفور علي جدران معبد ايزيس في جزيرة فيلة<sup>(١)</sup> كما سبق القول .

---

(١) نقل هذا المعبد الي جزيرة ايجيلكا القريبة من جزيرة فيلة والاكثر ارتفاعا منها ضمن خطة القاذ اثار النوبة في الستينات .

## القسم الثاني

### الدراسة التحليلية المقارنة لنصوص حجر رشيد الثلاثة

ملاحظة :

رغم انه امكن للعلماء استكمال الجزء المفقود من النص الهيروغليفي ( الذي يبلغ ثلث النص تقريبا ) من النسخ الاخرى لمرسوم حجر رشيد كما ذكرنا سابقا ، الا اننا سنقتصر هنا علي دراسة النص الهيروغليفي المدون علي حجر رشيد فقط (السطر الاول من هذا النص يقابل السطر ١٦ من النص الديموطيقي والسطر ٢٧ من النص اليوناني ) التزاما متا بداسة حجر رشيد نفسه وخاصة أن النص الديموطيقي علي الحجر وهو شبه كامل يكاد يطابق النص الهيروغليفي في القراءة والمعني ( كما تبين من النسخ الاخيرة في مرسوم حجر رشيد ) مما يعطي فكرة واضحة عن مضمون الجزء المفقود من النص الهيروغليفي

السطر العلي من النص	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
١١	(س١) (١) السنة التاسعة ( من شهر ) اكسانديكوس (٢) اليوم الرابع الموافق شهر اهل مصر	(س١) (١) في عصر الشاب (٣) الذي ورث الملكية من
<p>(١) (س١) هي اختصار كلمة " سطر " والرقم يدل علي رقم هذا السطر ،</p> <p>(٢) هو اسم الشهر المقدوني الذي كتب في سياق النص اليوناني ( سطره ) <math>\Xi\text{AN}\Delta\text{IKOY}</math> وسوف نلتزم في كتابة الكلمات اليونانية كما وردت في النص بالضبط ) ، وقد كتب في النص الديموطيقي محرفا الي النطق المصري " ق س ن ت ق س " و المقصود بعبارة " شهر اهل مصر " ( أ ب د / ن / ر م ت / ك م ت ) هو شهر امشير فهو المعادل لشهر كسانديكوس هذا كما جاء في النص اليوناني (س٥)</p> <p>(٣) يلاحظ ان نظام التاريخ اليوناني يختلف عن النظام المصري فبينما يبدأ النظام المصري بذكر التاريخ منسوباً الي الفرعون الحاكم ( طبقاً للنظام الفرعوني ) فان النظام اليوناني يبدأ بالقاب الملك وصفاته ثم يذكر التاريخ منسوباً الي كهنة الملك ( سطر ٤ من النص اليوناني ) ولذلك لم يتطابق النصان الديموطيقي واليوناني في هذا الجزء من الحجر علي عكس ما سيحدث من تطابقهما في الاجزاء التالية .</p>		

ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
( الشهر ) الثاني من فصل الشتاء اليوم الثامن عشر ( في عهد ) الفرعون (٥) (ح س ص) (٦) الشاب الذي ظهر كفرعون (ح س ص) علي	والده رب التيجان (٤) عظيم المجد الذي ثبت مصر التقي نحو الآلهة (س٢) المنتصر علي اعدائه الذي اصلىح الحياة المتحضرة للبشرية سيد الاعياد الثلاثينية (٧) وهو مثل هيفايستوس (٨) العظيم

الهيرودوت في مفسرته بسبب كسر الحبر

(٤) هذه ترجمة في النص اليوناني للقب المصري " ن ب / خ ع و " وسوف نري ان الالقاب المصرية ترجمت الي معانيها في النص اليوناني كما ترجمت الالقاب اليونانية الي معانيها في النص الديموطيقي مما سهل التعرف علي مدلول هذه الالقاب .

(٥) استخدم النص الديموطيقي لقب الفرعون ( ب ر / ع ا ) للدلالة علي الملك البطلمي الذي تشبه بالقراعة بينما استخدم النص اليوناني لقب الملك ( باسيلوس )

(٦) ( ح س ص ) هو اختصار لصيغة التمنيات المألوفة في النصوص المصرية القديمة " ع ن خ - و ج ا - س ن ب " وترجمتها " ( له ) الحياة والسلامة والصحة " وهذه الصيغة تلازم كلمة فرعون في النص الديموطيقي قمشيا مع النصوص المصرية القديمة والعبارة تكتب مختصرة في النصوص الهيرودوتية هكذا  $\phi\theta\alpha$

(٧) هذه العبارة لها اهمية كبيرة لانها حلت مشكلة أمام علماء المصريات وهي مدة احتفال القراعة بذكري جلوسهم علي العرش فقد ذكر اسم هذا الاحتفال في النصوص الهيرودوتية " ح ب - س د " أي " عيد الذنب " لان الفرعون كان يلبس اثناء هذا الاحتفال جلد حيوان له ذنب ولم يذكر المصريون اي معلومات عن هذا الاحتفال فجاءت عبارة " الاعياد الثلاثينية " علي حجر رشيد لتوضيح ان هذا الاحتفال كان يقام في الأصل في ذكري مرور ثلاثين سنة علي اعتلاء الفرعون العرش ، ولو ان ذلك كان نظريا فقط لان بعض القراعة احتفلوا بهذا العيد عدة مرات اثناء حكمهم ولم يتقيدوا بمدة الثلاثين سنة وكان الهدف من هذا الاحتفال الفرعوني تجديد شباب الملك ليكون قادرا علي استمراره في حكم البلاد .

(٨) هيفايستوس : هو الاله اليوناني المقابل للإله " بتاح " المصري الذي اجري الاحتفال بذكري تنصيب بطلمبوس فرعونا في معبده في منف ولكن النص اليوناني لم يلتزم بذكر اسم " هيفايستوس " بدلا من اسم بتاح في السطور التالية اذ ذكر اسم بتاح محرفا الي النطق اليوناني " ف ث ا "  $\phi\theta\alpha$  السطور ٤ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ من النص اليوناني .

ترجمة النص اليوناني	ترجمة النص الديموطيقي	السطور العليا من النص الهيروغليفي منفردة بسبب كسر الحجر
<p>(س٣) مثل الشمس (٩) الملك العظيم لمصر العليا والسفلى نسل الالهين فيلوياتور (١١) الذي وافق عليه هيفايستوس ، الذي منحته الشمس النصر الصورة الحية لزيوس (١٢) ابن الشمس بطلميوس (س٤) العائش ابديا</p>	<p>عرش والده سيد الصلبن (١٠) الذي قوته عظمة الذي ثبت مصر وجعلها جميلة الذي قلبه محسن نحو الالهة الذي يقف في وجه اعدائه الذي جعل حياة الناس ست سنوات عيد حب - سد (د) (١٣)</p>	

(٩) ترجم النص اليوناني كلمة "رع" الواردة في النص الديموطيقي ( والهيروغليفي غي السطور التالية ) الي معناها وهو الشمس ( Helios باليونانية ) وكان ذلك من العوامل التي ساعدت شميليون علي حل رموز حجر رشيد كما ذكرنا .

(١٠) الصلبن " تشنية " صل " وتطلق علي حية الكوبرا المقدسة والمفروض ان يكون هذا اللقب هو اللقب المعروف بـ " نبتي " اي " الريتين " وهو من الالقاب الخمسة للفرعون وترسم في الهيروغليفية بشكل رخمة ( انثي النسر ) التي ترمز الي ربة الجنوب ويجوارها صل واحد الذي يرمز الي ربة الشمال ، ولكن في العصر البطلمي حل رسم الكوبرا ( الصل ) محل الرخمة واصبح رمزا للجنوب ولذلك كان يرسم صلان متجاوران فوق رأس احدهما تاج الشمال وفوق رأس الآخر تاج الجنوب .

(١١) ترجم النص الديموطيقي هذا اللقب الي " م ر - إت " كما سنذكر بعد .

(١٢) زيوس هو الاله اليوناني المعادل للاله آمون المصري .

(١٣) هذه العبارة اي " حب - سد " او " عيد سد " هي التي ذكرنا ان النص اليوناني الذي جاء فيه لقب " سيد الاعياد الثلاثينية " قد حل مشكلة التعرف علي هذا العيد .

السطر العليا من النص الهريرغليفي منفردة بسبب كسر الحجر	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
	مثل عيد بتاح تاتن ( ١٥ )	محبوب بتاح (١٤)
	(س٢) الفرعون (١٦) ( ح س ص ) مثل رع فرعون ( ح س ص ) المناطق العليا والسفلي ابن الالهين المحبين لوالدهما (١٩) الذي اختاره " بتاح " والذي منحه رع	في السنة التاسعة (١٧) من كهنوت ايتوس Aitos بين ايتوس (١٨) في ( خدمة . الاسكندر والالهين " سوترس " والالهين " ادلفوي " والالهين ايوارجتاي "
<p>(١٤) ذكر هنا اسم الاله بتاح باسمه المصري المحور الي النطق اليوناني " ف ث ا " وليس باسم الاله هيفابستوس " المعادل اليوناني للاله بتاح المصري كما ذكرنا في السطر الثالث .</p> <p>(١٥) كلمة تاتن معناها الارض المرفوعة ، وقد اطلقت علي اله كان يعبد في مدينة منف قبل الاله بتاح ويعني اسمه الارض التي تم اكتسابها من مستنقعات منف وتحويلها الي ارض زراعية وعندما عبد الاله بتاح في منف اندمج فيه الاله تاتن وصار يمثل صفة الخلق في بتاح</p> <p>(١٦) كلمة الفرعون ( بر - عا ) في النص الديموطيقي يقابلها كلمة ( الملك ) Baselios في النص اليوناني .</p> <p>(١٧) تأخر ذكر التاريخ في النص اليوناني عنه في النص اليوناني للسبب الذي ذكرناه فيما سبق .</p> <p>(١٨) هذا الكاهن الذي ارخ النص اليوناني بسنوات كهنته وكذلك الكاهنات اللاتي سيأتي اسماهن هم القائمون علي خدمة عبادة الاسكندر وملوك وملكات البطالمة وكانوا ينظمون في نظام اغريقي خالص .</p> <p>(١٩) هذه ترجمة مصرية للقب اليوناني " فيلوپاتورز " ( بطلمبيوس الرابع وزوجته ) والد بطلمبيوس الخامس وتقرأ " م ر - ا ت و "</p>		



ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
<p>النصر ، الصورة الحية لامون ابن الشمس بطلميس (٢١) العائش ابديا محبوب بتاح الاله الظاهر (٢٤) الذي طبيباته كاملة ( ٢٢ ) اب بطلميس وارستوي الالهان المحبان لوالديهما حينما كان</p>	<p>والالهين فيلوياتورز (٢٠) والاله (س٥) ابيفانس ابو خارسستوس (٢٢) وعندما كانت ( كاهنة ) اثلوفوروس (٢٣) الخاصة ببريكي ابوراجيتس هي "برها" ابنة فيلينوس (٢٥) وعندما كانت ( كاهنة )</p>

السطر العليا من النص الهيروغليفي

(٢٠) المعروف ان هذه الالقاب اليونانية هي لكل من بطلميس الاول وزوجته ( سوترس ) وبطلميس الثاني وزوجته ( ادلفوي ) وبطلميس الثالث وزوجته ( ايوارتاي ) وبطلميس الرابع وزوجته ( فيلوياتورز ) وهم اباء وجداد بطلميس الخامس ( ابيفانس ) وسوف يرد في النص الديموطيقي ترجمة لهذه الالقاب .

(٢١) كتب اسم بطلميس في النص الديموطيقي دائما داخل خرطوش مختصر ( X ) ولكن اختلف هجاء الاسم بين خرطوش وآخر ففي الحالة التي نحن بصددنا كتب هكذا ( ب ت ل و م ي س )

(٢٢) هذا اللقب Eucharistos يلازم اسم بطلميس في النص اليوناني ومعناه " صاحب الحسنات " ويعادله في النص الديموطيقي " ث ا ي - ف / م د - ن ف ر ت " اي الذي طبيباته كاملة . وفي النص الهيروغليفي ( كما سيأتي بعد ) " ن ب - ن ف ر و " اي " سيد الطبيبات " .

(٢٣) Athlophoros سترد ترجمتها في النص الديموطيقي بمعنى " حاملة هدية النصر " وكانت الكاهنة الخاصة بعبادة الملكة برنيكي زوجة بطلميس الثالث ابوراجيتس

(٢٤) هذا اللقب ويقرأ في الديموطيكية " ن ث ر - ب ر " بمعنى الاله المشرق والظاهر هو الترجمة الديموطيكية للقب اليوناني Epiphanes .

(٢٥) "برها" ابنة فيلينوس Phlios هي كاهنة athlophoros الخاصة بعبادة الملكة برنيكي زوجة بطلميس الثالث ، وقد ترجم هذا اللقب في النص الديموطيقي الي " ف ا ي / ش ب / پ ا / ق ن ي " اي " حاملة هدية النصر "

ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
<p>الجسترس (٢٧) والالهان المتقذان  (٢٨) (س ٣) والالهان الاخوان  (٢٩) والالهان المحسنان (٣٠)  والالهان المحبان لوالدهما (٣١)  والفرعون (ح س ص) بطلميوس  الاله الظاهر الذي فضائله كاملة</p>	<p>كانيفوروس (٢٦) الخاصة بارسنوي  فيلادلفوس هي اريا ابنة ديوجينيس  (٢٦) وعندما كانت كاهنة ارسنوي  فيلوباتور هي اريني ابنة بطلميوس  في شهر كسانديكوس اليوم الرابع  الموافق اليوم الثامن عشر من شهر  امشير المصري (٣٢)</p>
<p>(٢٦) اريا Areia ابنة Diogenes هي كاهنة Canephoros الخاصة بعبادة ارسنوي  زوجة بطلميوس الثاني ، وقد ترجم هذا اللقب في النص الديموطيقي الي " ف ا ي / ث ن /  ن ب و " اي " حاملة السلة الذهبية "</p> <p>(٢٧) هذه هي صيغة اسم الاسكندر في النص الديموطيقي وقد كتب داخل خرطوش مختصر  (أل ج س ن ت ر س)</p> <p>(٢٨) ترجم لقب Soteres في النص اليوناني الي " ن ت ر و / ن ت ي / ن ح م / في  النص الديموطيقي ويحمل نفس المعني اليوناني وهو " الالهان المتقذان " ، وفي بعض الاحيان  استبدلت بكلمة " ن ح م " كلمة " ن ج " وتحمل نفس المعني اي " المتقذ "</p> <p>(٢٩) ترجم لقب Adelphoi في النص اليوناني الي ( ن ت ر و / س ن و ) في النص  الديموطيقي ويحمل نفس المعني اليوناني وهو ( الالهان ) الاخوان .</p> <p>(٣٠) ترجم لقب Euergetai في النص اليوناني الي " ن ت ر و / م ن خ و " في النص  الديموطيقي ويحمل نفس المعني اليوناني وهو ( الالهان ) المحسنان .</p> <p>(٣١) ترجم لقب Philopatores في النص اليوناني الي ( ن ت ر و / م ر - ا ت . و )  في النص الديموطيقي ويحمل نفس المعني اليوناني وهو ( الالهان ) المحبان لوالدهما (</p> <p>(٣٢) يلاحظ الاختلاف في ذكر الشهر بين النصين الديموطيقي واليوناني فبينما ورد الشهر في  النص الديموطيقي بالنسبة لترتيبه في الفصل الذي يقع فيه (الشهر الثاني من فصل الشتاء )  (س ١) وهي الطريقة الفرعونية المألوفة في ذكر الشهور ، فقد ذكر في النص اليوناني  باسمه امشير MEXEIP وذلك رغم ان اسماء الشهور ( التي ظلت باقية في الشهور  القبطية ) كانت معروفة في العصر البطلمي .</p>	

ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
السطور العليا من النص الهيرودوتيفي منفردة بسبب كسر الحبر	
(٣٣) اياتوس (٣٤) ابن اياتوس حينما كانت "برا" ابنة تيليشبس (٣٥) تحمل هدية النصر (٣٦) أمام برنيجا (٣٧) المحسنة وحينما كانت اريا ابنة تياجنس (٣٨) حاملة السلة الذهبية أمام ارسنوي محبة اخيها (٣٩) وعندما كانت هرانا (٤٠) ابنة بطلميوس كاهنة ارسنوي محبة والدها	)
<p>(٣٣) هذه ترجمة للقب ايخارستوس كما سبق القول (هامش ٢ سطر ٥ من النص اليوناني )</p> <p>(٣٤) " ا ي ا ت و س " هي الصيغة الديموطيقية للاسم اليوناني Aitos</p> <p>(٣٥) " پ ر ا " هي الصيغة الديموطيقية للاسم اليوناني Pyrrha " و"ب ي ل ي ن س" هي الصيغة الديموطيقية للاسم اليوناني Philios.</p> <p>(٣٦) سبق ان ذكرنا ان هذه ترجمة ديموطيقية للقب اليوناني Athlophoros</p> <p>(٣٧) ( ب ر ن ي ج ا ) هي الصيغة الديموطيقية لاسم الملكة برنيكي ، وقد كتبت داخل خرطوش ناقص )</p> <p>(٣٨) " ا ر ي ا " و " ت ي ا ج ن س " هما الصيغتان الديموطيقتان للاسمين اليونانيين Diogenes , Areia .</p> <p>(٣٩) كتبت هذه العبارة في النص الديموطيقي بالصيغة التالية ( ا ر س ي ن ا ) ( ا ت ا / م ر - س ن ي - ارسنوي محبة الاخ -</p> <p>(٤٠) " ه ر ا ن ا " هي الصيغة الديموطيقية للاسم اليوناني Irene</p>	

السطور العليا من النص الهيروغليفي مفردة بسبب كسر الحجر	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
<p>(س٤) في هذا اليوم قرر كبار الكهنة وكهنة التنبؤات (٤١) الكهنة الذين يدخلون الي قدس الاقداس لالباس ( تمثيل ) الآلهة (٤٢) وكتبة الاسفار المقدسة وكتبة بيت الحياة (٤٣) والكهنة الاخرون الذين اتوا من معابد مصر (٤٤) (س٥) الي منف</p>	<p>س٦) مرسوم : ان رؤساء الكهنة والكهنة المعبرون عن نبوءات الالهة (٤١) وهؤلاء الذين يدخلون المحراب (س٧) لالباس تمثيل الالهة (٤٢) وحملة المراوح والكتبة المقدسين وكل الكهنة الآخرين الذين اتوا من المعابد في كل البلاد (٤٤) الي الملك في منف .</p>	

(٤١) اختلفت تسمية هؤلاء الكهنة في كل من النصين الديموطيقي واليوناني فبينما اطلق النص اليوناني عليهم Prophetai اي " المعبرون عن نبوءات الآلهة " فقد اطلق النص الديموطيقي عليهم " ن ا / ح م - ن ث ر و " اي " خدمة الآلهة "

(٤٢) من أهم الطقوس التي تجري في المعابد المصرية كان طقس الباس تمثيل الالهة في قدس لاقداًس وتقليدهم الشارات الالهية ، وكان يقوم بذلك طائفة متميزة من الكهنة في صباح كل يوم .

(٤٣) بيت الحياة " ب ر - ع ن خ " هي ما يقابل عندنا دار الحكمة او المجمع العلمي ، ومقرها في المعابد (وفي بعض الاحيان اطلقت علي المدارس العليا " ومقرها المعابد ايضا ، وقد عرفت منها " مدرسة للحياة " في كل من منف وايدوس والعمارة .

(٤٤) كان الكهنة المصريون في كافة انحاء البلاد يرسلون في مناسبات معينة ( هي هنا مناسبة عيد تتويج الملك البطلمي ) مندوبين عنهم لعقد مؤتمر عام يتخذ قرارات تنفذها كل المعابد في مصر ومؤتمر منف التي سجلت قراراته علي حجر رشيد ومن قبله مؤتمر " كانوب " الذي عقد في عصر بطليموس الثالث ( عام ٢٢٨ ق.م ) من امثلة هذه المؤتمرات .

ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
<p>في عيد تسلم الوظيفة السامية ( ٤٥ ) ( بواسطة ) الفرعون ( ح س ص ) بطلميوس العائش ابديا محبوب بتاح الاله الظاهر الذي طيباته كاملة من والده</p>	<p>من أجل عيد تسلم ( س ٨ ) بطلميوس الملكية العائش ابديا محبوب بتاح الاله ابيفانس "ايوخارستوس" ( الملكية ) التي ورثها عن والده</p>
<p>لقد اجتمعوا ( الكهنة ) في معبد منف وقالوا جميعا " منذ ان حدث ان الفرعون ( ح س ص ) بطلميوس العائش ابديا</p>	<p>لقد اجتمعوا الكهنة ) في المعبد في منف في هذا اليوم وقالوا ( س ٩ ) كان الملك بطلميوس العائش ابديا</p>
<p>الاله الظاهر ( ابن الفرعون ( ح س ص ) بطلميوس ( س ٦ ) " والفرعون " ( ح س ص ) ارسنوي ( ٤٦ )</p>	<p>الاله ابيفانس ايوخارستوس الذي انحدر من الملك بطلميوس والملكة ارسنوي الالهين فيلوباتورز كان</p>

( ٤٥ ) المقصود بالوظيفة السامية هي الملكية البطلمية التي ورثها بطلميوس عن والده ، وقد وردت بهذا المعنى في النص الهيروغليفي ( سطر ١٠ ) اذ عبر النص عن هذه الوظيفة السامية بكلمة " ن س ي ت " بمعنى " ملكية " وقد شرحنا ذلك بالتفصيل في هامش ( ٣ ) سطر ١٠ حيث وردت هذه الكلمة .

( ٤٦ ) من الغريب اطلاق لقب " فرعون " ( بر - عا ) علي الملكة ارسنوي زوجة بطلميوس الرابع ، وهذا أمر لم يكن مألوفاً في مصر الفرعونية بالنسبة لزوجات الفراعنة ( فيما عدا الملكة حتشبسوت التي كانت تحكم فعلاً ) وقد الحقنا بهذا اللقب عبارة التمني " ( له ) الحياة والسعادة والصحة " التي الحقنا باسم بطلميوس .

ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
والالهيّن المحبين لوالدهما ( قد قدم ) حسابات كثيرة لمعابد مصر ( ٤٧ )	محسنا بوسائل شتي بالنسبة للمعابد
ونكل أولئك الذين تحت حكمه كفرعون ( ح س ص ) ولكونه الها ابن اله والهة ولكونه شبيه الاله حور ( ٤٨ ) ابن ايزيس واوزير الذي حامي والده اوزير والذي قلبه محسن نحو الالهة الذي اعطي فضة كثيرة وغلة كثيرة لمعابد مصر	( س ١٠ ) ولهؤلاء الذين فيها ولهؤلاء الذين يعيشون تحت رعايته حاكما كإله انحدر من اله والهة مثل حورس ( ٤٨ ) بن ايزيس واوزير حامي والده اوزيريس فبالنسبة للآلهة ( س ١١ ) بوصفه يميل للاحسان قد اهدي دخلا من المال وغلة للمعابد

السطور العليا من النص الهيروغليفي مفقودة بسبب كسر الحجر

( ٤٧ ) استعملت كلمة " كمت " هنا كاسم لمصر وهو الاسم الذي استخدم في سائر النص الديموطيقي ( والهيروغليفي كما سيأتي بعد ) وهو الاسم الشائع لمصر في النصوص المصرية القديمة ومعناه " السمراء " أي الارض السمراء نسبة الي لون طمي النيل الذي يغطيها ولشروع هذه الكلمة وارتباطها بظاهرة طبيعية دائمة في البيئة المصرية فقد استمرت في اللغة القبطية KHME بنفس نطقها تقريبا ( كيمي )

( ٤٨ ) الاله حورس ورمزه الصقر كان يعتبر في مصر الفرعونية اول السلالة الملكية التي حكمت مصر وبذلك كان القراعنة يحملون اسمه ويكتبون اسما هم داخل شكل مستطيل يرمز الي واجهة القصر الملكي ويرى فوقه شكل صقر ويعرف هذا اللقب باللقب الحوري بين علماء المصريات نسبة الي الاله " حور " أو " حورس " .

ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
<p>(س٧) ( وانفق مصاريق ) كثيرة لينشر ( حرفيا ليوجد ) السلام في مصر ولتوطيد مركز المعابد فقد منح الهبات للفرق الحربية التي تحت امرته جميعها</p> <p>والضرائب والجزية المفروضة في مصر بعضها خفضه وبعضها الغاه تماما لكي يجعل الجيش ( ٤٩ ) وكل الناس جميعهم سعداء في عهده (س٨) كفرعون ( ح س ص )</p>	<p>وتحمل مصاريق كثيرة ليجعل مصر في رخاء ( س ١٢ ) ولتدعيم المعابد وكان كريما مع كل فرقة الحربية ( ٤٩ )</p> <p>وبالنسبة للدخول والضرائب التي كانت قائمة في مصر فقد الغي بعضها تماما وخفض الاخرى لكي يكون الناس (المصريون ) وجميع الآخرين (الجنسيات الأخرى ) في سعادة</p>

( ٤٩ ) المقصود بالطبع هو الفرق الحربية المصرية في جيش البطالة التي بدأ تجنيدها في عصر الملك بطلميوس الرابع والد ابيفانس وتمكن الجنود المصريون من الانتصار على جيش الملك السليوكي ( حاكم الشام اليوناني ) في موقعة رفع في عام ٢١٧ ق.م. بينما انهزمت الفرق اليونانية مما كان له اثره في بعث الروح القومية في نفوس المصريين من ناحية وفي تنازل ملوك الطائفة عن تعسفهم وتعصبهم ضد المصريين وتقربهم اليهم من ناحية أخرى وكان من نتيجة هذا التقارب تتويج بطلميوس الرابع فرعوناً في منف ( ابراهيم نصحي ، ١٩٦٠ ، ج ٢ ، ص ١٩ ) وسار علي منواله ابنه بطلميوس الخامس •

ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
<p>والضرائب الخاصة بالفرعون ( ح س ص ) المفروضة علي كل سكان مصر ( ٥٠ ) وهؤلاء الذين تحت سلطته كفرعون ( ح س ص ) وهي كثيرة فقد اغاها .</p> <p>والناس الذين كانوا مسجونين والذين كانت ضدهم اتهامات منذ مدة فقد اطلق سراحهم وقد امر فيما يخص الدخل المقدس للالهة والفضة والغلال التي كانت تقدم ( س ٩ ) الي معابدهم ( معابد الكهنة ) سنويا ( ٥١ )</p>	<p>تحت حكمه ( س ١٣ ) والديون المستحقة للتاج علي هؤلاء الذين في مصر والذين في سائر دولته وعددها كبير فقد اغاها</p> <p>والمقبوض عليهم والمحبوسين في السجون ( س ١٤ ) والمتهمين منذ مدة طويلة فقد اعفاهم من التهم الموجهة اليهم وقد امر بالنسبة لدخول المعابد والهبات السنوية التي تمنح لها من الغلال والمال ( س ١٥ )</p>

( ٥٠ ) التعبير الديموطيقي " ر م ت و / ن ت ي / ن / ك م ت " اي الناس الذين في مصر

( ٥١ ) في النص اليوناني استخدمت كلمة  $\Sigma\Upsilon\Nu\tau\alpha\Xi\epsilon\iota\varsigma$  ( Syntaxis ) للدلالة علي الاعانة التي تقدمها الدولة نقدا او عينا للمعابد لمعاونتها علي استمرار اداء الطقوس الدينية للآلهة ولما كانت لا توجد كلمة في اللغة المصرية تفيد هذا المعني فقد كتبت هذه الكلمة في النص الديموطيقي بلفظها اليوناني مع بعض التحوير في الحروف كما يلي

ن س ن ت ج س ي "



ترجمة النص اليوناني	ترجمة النص الديموطيقي	السطور العليا من النص الهيروغليفي منفردة بسبب كسر الحجر
<p>والانصبه المخصصة للالهة من كل من حقول الكروم والحدائق ومن الاملاك الأخرى الخاصة بالآلهة في عصر والده (أمر) ان تظل كما هي (٥٢)</p> <p>(س ١٦) وقد أمر بالنسبة للكهنة الا يدفعوا أكثر مما كان مقررا عليهم</p>	<p>والانصبه التي تؤول للآلهة من حقول الكروم والحدائق وسائر الممتلكات كلها التي من عهد والده ان تظل في حوزتهم (٥٢)</p> <p>وقد أمر بخصوص ما يدفعه الكهنة الا يدفعوا ضربتهم نظير خدمتهم</p>	

(٥٢) اطلق النص اليوناني علي هذه الانصبه **ΑΠΟΜΟΙΡΑ** (ابو مورا)

( بينما اطلق عليها النص الديموطيقي المترجم هنا " د ن ي و / ن ت ي / خ ب ر / ن / ن  
ت ر و / ن ن / اح و / اد ل ي / ن ا / اح و / ت ج ي " وكانت الابوميرا هذه في  
الاصل ضريبة تجبيها المعابد المصرية في العصر الفرعوني من زارعي الكروم والفاكهة  
وكانت تبلغ سدس المحصول وكان دخلها يَكُون جانباً كبيراً من موارد هذه المعابد ولكن  
ظلميوس الثاني جعل جبايتها من حق الدولة البطلمية فكانت تورد الي مخازن الدولة ، ثم  
يقوم الملك البطلمي بتقديم جزء منها للمعابد كهبة منه تحت قسبي الصرف منها علي  
عبادة الملكة ارسنوي ( اخته وزوجته ) وذلك تمشياً مع سياسته في اخضاع المعابد لسيطرته  
، ومرار الوقت وزيادة عدد افراد اسرة البطالمة الذين تجري لهم طقوس العبادة من ناحية  
ولرغبة بطلميوس الرابع في استرضاء الكهنة المصريين من ناحية أخرى فقد زاد هذا الملك  
من انصبه المعابد من هذه الضريبة ، ويبدو انه كان من حق بطلميوس الخامس انقاص هذه  
الضريبة ولكنه ابقاها كما كانت في عهد والده مما استلزم شكر الكهنة المصريين كما جاء  
في النصين المذكورين ( ابراهيم نصحي ١٩٦٠ ، ج ٢ ، ص ٦٥ - ٦٠ )

ترجمة النص اليوناني	ترجمة النص الديبوتيقي	السطور العليا من النص الهيروغليفي منفردة بسبب كسر الحجر
<p>من ضريبة التنصيب ( في سلك الكهنوت ) في السنة الأولى من حكم والده ( ٥٣ )</p> <p>وقد اعفي اعضاء الطوائف الكهنوتية من الابعار سنويا الي الاسكندرية وأمر بايقاف الخدمة في الاسطول (بالسخرة) (٥٦)</p>	<p>ككهنة أكثر من المقدار الذي كانوا يدفعونه حتي السنة الأولى من عهد والده (٥٣)</p> <p>(س. ١٠) وقد اعفي الناس الذين كانوا يشغلون وظائف في المعبد من الرحلة النهرية التي كانوا يقومون بها الي مدينة الاسكندرية (٥٤) سنويا (٥٥) كما امر بعدم تسخير البحارة (٥٦)</p>	
<p>(٥٣) تدل هذه العبارة علي ان بطلمبيوس الخامس رفع قيمة هذه الضريبة في بداية عهده ثم أعادها الي ما كانت عليه في عهد والده بطلمبيوس الرابع .</p> <p>(٥٤) هكذا كتب اسم الاسكندرية في النص الديبوتيقي ويقرأ " پ ا ع ( ا ل ج س ا ن ت ر س ) وقد كتب اسم الاسكندر في خرطوش غير كامل شأن خرطوش بطلمبيوس .</p> <p>(٥٥) كان يفرض علي الكهنة المصريين السفر سنويا بطريق النيل الي الاسكندرية لتجديد الولاء للملك البطلمي .</p> <p>(٥٦) المقصود عدم تسخير عمال المعابد في الخدمة في الاسطول ، فقد كان هؤلاء العمال مصدر دخل للمعابد التابعين لها اذ كانت المعابد تزجر بعضهم للمشتغلين بالتجارة والصناعة وتستخدم البعض الآخر في مصانعها ومزارعها .</p>		

ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
<p>وقد تنازل عن ٣/٢ الكتان الملكي (٥٧) الذي كان يورد لببيت الفرعون (ح س ص) من المعابد وكل الاشياء التي كانت قد اُهملت منذ زمن طويل (س ١١) قد وضعت في موضعها (الصحيح)</p> <p>فقد وجه كل الإهتمام بان يؤدي (الانسان) ما كان يجب ان يؤدي للآلهة بطريقة صحيحة ولذلك جعل الحق للانسان في العدالة كما فعل تحوت (٥٨) المزدوج العظمة</p>	<p>وبالنسبة للضرائب علي نسيج الكتان الملكي (٥٧) التي تدفعها المعابد للتاج فقد خفضها بمقدار الثلثين (س١٨) وكل ما كان قد أهمل في الزمن الماضي اعيد تنظيمه</p> <p>مع الاهتمام بان تدفع الضرائب التقليدية للآلهة كما يجب (س١٩) وكذلك فانه وزع العدالة علي الجميع كما فعل هرمس (٥٨) عظيم العظمة</p>

( ٥٧ ) هو المكان المعروف في النصوص البطلمية بـ Byssus وهو نوع من الكتان الناعم الفاخر وقد ورد في سياق النص اليوناني بالصيغة  $BYSSINON$  وتقابله في النص الديموطيقي "ش س / ن س و و" أي "الكتان الملكي" لانه كان اختكارا ملكيا ، وقد عبر النص الديموطيقي عن ذلك الاختكار بعبارة "ون - ن ا و / ا و = و / ا ر = و / پ ا (پ ر - ع) (ع و س) ن ا / ر پ ي و" وترجمتها "الذي كان يورد لببيت الفرعون (ح س ص) من المعابد" وكانت المعابد فقط هي التي لها حق صناعته وعليها توريده للتاج .

(٥٨) الواضح من النص اليوناني ان الاله هرمس هو المعادل اليوناني للاله "تحوت" الاله العلم والحكمة المصري ، ولكن في مواضع اخري من النص اليوناني ذكر الاله تحوت باسمه محرفا الي النطق اليوناني بالصيغة Thowth ( سطر ٥٠ )

السطور العليا من النص الهيروغليفى منقوشة بسبب كسر الحجر

ترجمة النص اليوناني

ترجمة النص الديموطيقي

وقد امر ايضا بان الذين عادوا من طائفة المحاربين وغيرهم ممن ضلوا السبيل في ولائهم ( سطر ٢٠ ) زمن الاضطرابات (٥٩) يجب ان يعودوا الي املاتهم القديمة

وكذلك أمر فيما يخص العائدين الي بلادهم من الجنود المحاربين وباقي الناس الذين كانوا في الجانب الآخر خلال الاضطرابات التي حدثت في مصر (٥٩) (س١٢) ان يعودوا الي مساكنهم وان تبقى املاتهم لهم

وقد جهز القوات من الفرسان والمشاة والسفن لارسالها ضد هؤلاء الذين هاجموا مصر با وبحرا (٦٠)(سطر ٢١)

ولقد كرس عنايته لتوجيه الجنود المشاة والفرسان والسفن ضد كل من يأتي عن طريق البر والبحر

منفقا مصاريف كبيرة من المال

لهاجمة مصر (٦٠) قد انفق من

(٥٩) هذه اشارة الي السنوات التي تلت عام ٢٠٥ ق.م عندما قامت ثورة في المنطقة الممتدة من قفط شمالا الي اسوان جنوبا بزعامة مصريين اولهم " حور - ون - نفر " ( كان اسمه بقرأ خطأ حورام اخت " حولها بعض الباحثين الي النطق اليوناني حورماخيوس ) ثم منذ عام ١٩٩ ق.م بزعامة " عنخ - ون - نفر " ( وكان اسمه بقرأ خطأ فيما مضى عنخ - ما - خت ) ( Quirke 1988 , p. 23 )

(٦٠) لا شك ان هذه اشارة الي تحصين مصر ضد هجوم عدوه الملك السليوكي الحاكم اليوناني لسوريا ، وقد عمل ابيفانس علي ازالة هذه العداوة فيما بعد بزواجه من الملكة كليوباتره (الاولي ) ابنة انطيوخوس الملك السليوكي عام ١٩٤ ق.م ) ( Quirke , 1988 , p. 7 )  
اي بعد مرسوم حجر رشيد بعامين .

ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
<p>أجل ذلك مصاريف باهظة من الفضة والغلال ليجمع المعابد والناس الذين في مصر يصبحون في طمأنينة</p> <p>وقد زحف علي قلعة شكان (٦١) التي حصنها العدو بكل وسيلة وبداخلها اسلحة كثيرة وكل معدات الحرب</p> <p>وقد حاصر القلعة المذكورة بجدار حول محيطها لحصار الاعداء الذين بداخلها والذين كانوا قد ارتكبوا</p>	<p>والغلال لكي تصبح المعابد وكل من في البلاد في أمان</p> <p>وعندما وصل الملك الي ليكوبوليس (٦١) (س ٢٢) في المقاطعة البوصيرية وهي التي كان الثوار قد احتلوها وحصنوها (وملاؤها ) بمخزون كبير من الاسلحة وكل المعدات الأخرى لمقاومة الحصار</p> <p>ولما كان أمر العصيان طويلا (س ٢٣) من الرجال الكفرة المتجمعين فيها الذين الحقوا ضررا بالغاً بالمعابد</p>
<p>(٦١) اختلف اسم هذه القلعة في النصين فيبينما يسميها النص الديموطيقي " ت ا / ر س ت / ش ك ا ن " اي " قلعة شكان " لا يذكر النص اليوناني اسمها بل ينسبها الي المدينة التي تقع فيها وهي مدينة Lycopolis في المقاطعة البوصيرية ومكانها اليوم المنطقة المتاخمة لمدينة سمند جنوبا غرب فرع دمياط وكانت مقرا لعبادة الاله اوزير ، وقد اشتق اسمها اليوناني Busiris من اسمه ، ومن هذا الاسم اليوناني جاء اسم قرية " ابي صير " الحالية التي تقع في نطاق هذه المقاطعة</p>	

ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
<p>جرائم عظيمة نحو مصر فقد تجاهلوا طريق واجبهم نحو الفرعون ( ح س ص ) وطريق واجبهم نحو الآلهة ( س ١٤ )</p> <p>وقد سد القنوات التي تحمل المياه للقلعة المذكورة ( ٦٢ ) ولم يعرف فراعنة سابقون فعلوا المثل وقد انفق فضة كثيرة عليه ( علي الحصار ) وعين جيشا من المشاه والفرسان عند مصبات القنوات لمراقبتها وحراستها</p> <p>بسبب فيضان مياه النيل ( ٦٣ ) التي كانت مرتفعه في السنة</p>	<p>وسكان مصر وبعد ان عسكروا امامها ( س ٢٤ ) فقد احاطها ياكوام التراب وبالخنادق والاسوار المحكمة</p> <p>ولما كان النيل مرتفعا ارتفاعا عظيما في السنة الثامنة ( من حكم بطلميوس ) وكاد يغرق ( س ٢٥ ) السهول ، فقد منعه وذلك بسده عند نقط عديدة عند فتحات الترع ( ٦٢ ) وتد انفق علي ذلك مبلغا من المال ليس بالقليل وعين الفرسان والمشاه لحراستها</p>
<p>( ٦٢ ) من الواضح ان المياه المتدفقة من فيضان النيل المرتفع في تلك السنة ( وهي السنة السابقة لسنة تسجيل النقش ) احاطت بمنطقة الثوار فكانت بمثابة حصن لهم يعوق هجوم قوات ابيفانس فقام بسد الترع والقنوات التي تحمل المياه الي منطقتهم مما ادي الي هبوط مستوي الحياة حولها وسهل الهجوم عليها .</p> <p>( ٦٣ ) استخدم النص الديموطيقي كلمة " ج ب ا " للتعبير عن فيضان النيل التي يري بعض الباحثين انها الاصل في كلمة Aegyptus اليونانية ( عبد العزيز صالح ١٩٦٢ ، ص ١١ ) ولكن النص اليوناني استخدم عبارة " كان النيل مرتفعا ارتفاعا عظيما " وقد وردت =</p>	

السطر العليا من النص الهيروغليفى منفردة بسبب كسر الحبر

ترجمة النص اليوناني

ترجمة النص الديموطيقي

الثامنة في القنوات ( س ١٥ )  
المذكورة التي كانت تمد بالمياه  
منطقة شاسعة وكانت عميقة جدا

وقد استولي الفرعون ( ح س ص )  
علي القلعة المذكورة بالقوة في زمن  
قصير وسيطر علي الاعداء الذين  
كانوا بالداخل واجري مذبحة بينهم  
مثلما فعل ع (٦٤) وحور بن  
ايزيس مع اولئك الذين كانوا  
معادين لهم في الاماكن المذكورة .

(س ٢٦) وفي وقت قصير استولي  
علي المدينة بهجوم خاطف وقضي  
علي الرجال الكفرة مثل هرمس  
(٦٤) وحورس بن ايزيس  
واوزريس عندما اخضعوا الرجال في  
نفس الاماكن فيما مضى

=كلمة النيل في سياق النص بالصيغة NEIΛOY وهي من كلمة Nilus اليونانية ، وقد استخدم اليونان هذه الكلمة رغم انها ليست يونانية او مصرية وانما سامية الأصل تقابلها في اللغة العبرية كلمة " ن ه ل " بمعنى " نهر " وكان العبرانيون يطلقون التسمية " نهل مصرايم " علي نيل مصر.

(٦٤) يلاحظ اختلاف اسم الاله في النص الديموطيقي الذي ذكر اسم الاله " رع " بينما ذكر النص اليوناني اسم الاله " هرمس " وهو المعادل للاله تحوت المصري كما سبق القول ولعل السبب في ذكر الاله تحوت هو رواج قصة من قصص اوزريس في العصر البطلمي مؤداها ان اتباع الاله اوزير الذين قادهم الالهان حورس وتحوت قد هزموا اعوان الاله " ست " الاله الشر بجوار المدينة المسماة في العصر اليوناني " هرمبوليس پارفا " ( علي اسم الاله هرمس ) ( Quirke 1988 , p. 23 ) في المقاطعة الخامسة عشرة في شرق الدلتا (قرية تل بلله الحالية الي الشمال الشرقي من سمند شرق فرع دمياط ) وهي قريبة من المقاطعة البوصيرية مقر الثورة ، ولعل السبب في ذلك هو الارتباط بين الاله اوزير الذي دارت حوله هذه القصة وبين المقاطعة البوصيرية التي كانت مقرا لعبادته ، وكانت في الوقت نفسه ملجأ للثوار الذين انتصر عليهم بطلميوس .

### ملاحظة

في الجزء التالي من نصوص حجر رشيد يبدأ النص الهيروغليفي في الظهور ، ولما كان هذا النص هو الذي اعتمد عليه شامبليون اساسا في حل رموز الهيروغليفية فسوف نضيف الي ترجمته قراءة نصوصه وسوف نرمز لهذه القراءة بالحرف " ق " والي الترجمة بالحرف " ت " وسوف نستخدم في اثبات هذه القراءة الحروف العربية المفردة بدلا من الحروف اللاتينية المتبعة في اثبات قراءة العلامات الهيروغليفية بين المتخصصين في علم المصريات وذلك لكي يتمشي اتجاه القراءة مع اتجاه العلامات الهيروغليفية لانه من اليمين الي اليسار ( مثل الحروف العربية ) ولتيسير الامر لمن يريد مطابقة هذه القراءة علي النص الهيروغليفي نفسه المنشور في آخر هذا البحث ( شكل ٦ ) . ثم تمشيا مع هذا التيسير فقد فصلنا بين كل كلمة واخري بشرطة مائلة وان كان ذلك غير متبع في علم المصريات ولكنه متبع في الدراسات العربية الجنوبية (في النصوص السبئية - الحميرية وما يشبهها )



ترجمة النص اليوناني	ترجمة النص الديموطيقي	قراءة وترجمة النص الميروغليفي
(س٢٧) وهؤلاء الذين قادوا الثوار في عهد والده وسببوا الاضطراب للبلاد واساءوا للمعابد عندما	(س١٦) والاعداء الذين جمعوا جيشا وقادوه لترويع الاقاليم ولإيذاء المعابد متنكرين	(س١) ق. ... اس ك / ج د ب / م ش ع / ت. بالنسبة لهؤلاء الذين جمعوا الجنود ق. و ن . س ن / م / ت پ . ت. وكانوا علي رؤسهم ق. س ن / س د م ن . س ن / ت. مـزـعـجـين ق. (ت) ش و / ن ك ن . س ن ت. الاقاليم وضارين ق. ا د ب و - ح ر (٢).. ت. شواطئ حورس (٣)..  لطريق الفرعون جاء الي منف (ح س ص) للدفاع عن ولوالده ( فان ( ارث ) والده
<p>(١) نتيجة لكسر الحجر تبدو المعلومات مبتورة وسوف نرسم للعبارات الناقصة بالنقط ....</p> <p>(٢) " ا د ب و / ح ر " او شواطئ حورس هي كناية عن " مصر " في نصوص العصر المتأخر ، وكلمة شواطئ هنا تعني شاطئ النيل ( Gauthier 1975 , I , p. 127 )</p> <p>(٣) نتيجة لضياع العبارات في نهاية السطر الأول وبداية السطر الثاني لم يتم الحديث عن ثورة المصريين وبدأ موضوع جديد هو الغاء الملك للضرائب التي تدفعها المعابد .</p>		

قراءة وترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
	الالهة انعمت عليه بالسيادة عليهم في منف خلال حفل تنصيبه مركزه السامي الذي ورثه عن والده فقد ذبحهم علي الوتد (٤)	(س٢٨) وعن ملكته فقد عاقبهم جميعا عندما حضر احتفال تنصيبه ملكا
ق... (س٢) ن / ح م . ف / ر / ت... لقد الفاها جلالته	(س١٧) لقد الغي الضرائب المستحقة للفرعون (ح س ص) التي فرضت علي المعابد حتي السنة التاسعة والتي تبلغ كميات كبيرة	ولقد الغي ايضا (س٢٩) ضرائب التاج المأخوذة من المعابد حتي السنة الثامنة والتي تعد كميات صغيرة
(٤) كلمة " وتد " بالديموطيقية هي " ب ا خ ت " وربما هو ما يعرف " بالخازوق " فقد كان المصريون في العصر الفرعوني يعدمون بهذه الطريقة من يرتكب اشنع جريمة عندهم وهي سرقة المقابر ، ويبدو ان الملك البطلمي اعتبر الشوق عليه جريمة مساوية لجريمة سرقة المقابر فاطلق عليهم " الكفار " واعدمهم بنفس الطريقة .		

ترجمة النص اليوناني	ترجمة النص الديموطيقي	قراءة وترجمة النص الهيروغليفي
من الحبوب والمال	من الفضة والحبوب	ق. ت ا / م ي ن ت / ا ر و / م / د ر ت. وكذلك الكتان
وكذلك الغرامات المفروضة لعدم التسديد للتاج من قمماش الكتان الملكي byssos (س. ٣٠) وكذلك الرسوم المستحقة مقابل ما يجري من تحقيقات بسبب التأخير عن التوريد خلال نفس المدة	وكذلك تنازل عن قيمة الكتان الملكي الذي فرض علي المعابد لبیت مال الفرعون (ح س ص) وكذلك ما تبقي في ذمتها وكان يجب ان تدفعه حتي وقتنا هذا	ق. ب ج / ... / ر د ي ت / ا ر / ت. البديع الذي يقدم الي ق. پ - ن س و / و ن / خ ر / ج س ت. القصر الملكي من ق. و - پ ر و / ح ن ع / ش ث ا ت. المعابد بالاضافة الي ق. م ن ي / ت ر ت. البقية المفروضة علي النسيج

ترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
	وامر كذلك بالغاء ضريبة ارادب (٥) القمع التي كانت تجبي علي كل ارورا (٦) من الاراضي الخاصة بضيعة المعبد (س١٨) وايضا ضرائب النبيذ عن كل ارورا من أرض الكروم الخاصة بضياع المعبد	وقد اعفي المعابد ايضا من ضريبة الاردب (٥) المستقة علي كل ارورا (٦) من اراضي المعابد وايضا اردب من ضريبة مزارع الكروم (س٣١) بواقع جرة نبيذ عن كل ارورا
ق. (ن) / س / ن / ن / ف ر ي / ت ر ... ت. لهم ————— تي ...	ولقد قدم احسانات كثيرة	ويلنسبة لابيس Apis ومنيفس
<p>(٥) الكلمة في النص اليوناني هي artaba اي " اردب " وفي النص الديموطيقي " رذب " وهي قريبة من الكلمة الحالية " اردب " .</p> <p>(٦) الارورا : مقياس مساحة يوناني معادل ٣/٢ فدان ، وقد وردت الكلمة في النص الديموطيقي " أ ر ل ي " .</p>		

قراءة وترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
<p>ق... (س٣) ع و ي / ن ث ر / ن ب /  ت... الحيوانات المقدسة كلها  ق... خ و / م / ه ا و / ر / ا ر . س ن  ت... زيادة علي ما عمل لها  ق... / ا ن / ت پ ي و - ع  ت... بواسطة الاسـ</p>	<p>للعجل ابيس  والعجل منيفس  (٧) والحيوانات  الأخري المقدسة في  مصر أكثر مما  عمله سابقوه</p>	<p>( العجل  المقدسة ) فقد  منحها هبات  كثيرة وكذلك  الحيوانات  الأخري المقدسة  في مصر أكثر  مما منحه الملوك  الذين سبقوه</p>
<p>ق... ا ب . ف / ع ق / ح ر / س خ ر و  ت... وقلبه راض عن شئونهم  ق... . س ن / م / ا ت / ن ب / ر د ي ت  ت... في كل وقت لقد اعطي  ق... ن . ف / خ ت / ن ب  ت... كـ شـ  ق... ج ع ر . س ن / ر / ع ب / ج ت . س ن  ت... (لقد) رغبوا ( ان تكون ) دفناتهم</p>	<p>وكان قلبه في كل  وقت مهتما  بأحوالها وقدم كل  ما يلزم لدفنها  بسخاء واحترام  (س١٩) واحضر  ما تحتاج اليه  معابدها في</p>	<p>(٧) العجل ابيس كانت منف هي مقر عبادته بينما العجل منيفس Mnevis ( والكلمة  محورة من الكلمة المصرية " من - ور " ) كانت هليوبوليس هي مقر عبادته .</p>

ترجمة النص اليوناني	ترجمة النص الديوطيقي	قراءة وترجمة النص الهيروغليفي
(س٣٢) مع استمرار تقدير ما يناسب كل اله فقد صرف بسخاء وفخامة علي ما يتطلب دفنها وما كان يقدم لمعابدها من اضاحي وما كان يجري من احتفالات وكل الشعائر الآخري المتبعة (س٣٣) وابقى امجاد المعابد وامجاد مصر حسب القوانين وزخرف معبد	الأعياد الكبيرة حيث تقدم أمامها القرابين المحروقة وسائر ما هو لازم لها ، أما التكريم اللازم للمعابد والتكريم الآخر بمصر فانه جعلها تبقى كما هي علي حسب القانون . ومنع ذهباً وفضة الشعائر الآخري المتبعة (س٣٣) وابقى امجاد المعابد وامجاد مصر حسب القوانين وزخرف معبد	<p>ق. و . ر . ت . و / ج . س . ر .</p> <p>ت. عظيمة ومقدسة</p> <p>ق. ت . و / ا . ث . ن . ف / س . خ . ن /</p> <p>ت. لقد استوعب ما حدث</p> <p>ق. م . س . ن / ا . و (٨)</p> <p>ت. لهم في</p> <p>ق. ح . و . ت . و - ن . ث . ر [ س . ن ]</p> <p>ت. معابدهم</p>
<p>(٨) دون كاتب النص ( المصري القديم ) حرف الواو خطأ بدلا من حرف الميم فالمفروض انها " إم " بمعنى " في " .</p>		

قراءة وترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
ق. (س٤)... ح ج / و ا ح ي / و ر و ت. .. فضة وحبوب كثيرة ق. / ح ن ع / خ ت / ن ب / م ي / ت. مع كل شئ بكثرتهم ق. ع ش (ا) . س ن / ر / ح و ت / ت. (حرفيا مثل كثرتهم ) الي المعبد ق. س خ ن / ن ت ي / ح ب / ع ن ج ت. المقر ( الخاص ) بابيس الحي (٩)	وغللا كثيرة واشياء أخرى لمعبد ابيس واكمل هذا الاجراء الجديد بما جعله عملا غاية في الجمال (س٢٠) وامر بإقامة معابد	ابيس Apieion بالزخارف الثمينة وامده بالذهب والفضة (س٣٤) والاحجار الكريمة بكميات ليست بالقليلة واسس معابد ومقاصير
<p>(٩) " ابيس الحي " ( ح ب / ع ن خ ) هو العجل الذي كان يعتبر التجسد الدنيوي للاله بتاح اله معبد منف حيث يجري الاحتفال بعيد تنصيب بطلميوس الخامس فرعوننا وهو العيد المعروف عند المصريين القدماء " بعيد سد " كما ذكرنا ويختلف " ابيس الحي " اي ابيس الدنيوي عن ابيس الأخروي الذي كان يسمى " اوزير - ابيس " ( بالهيروغليفيه " " اوسر - حب " ويطلق علي العجل بعد موته وتقديسه في العالم الآخر وهو الاله الذي حرف اليونان اسمه الي " سيرابيس " ولكنهم عبدوه في شكل آدمي . ورغم تمجيد البطالة لهذه الالهة الحيوانية تقريبا منهم للمصريين فان كتاب اليونان كانوا يسخرون من هذه العبادات الحيوانية ، والحقيقة ان المصريين في عصور مجدهم في عصر الفراعنة العظام لم يكونوا يعبدون الحيوانات بالطريقة المتبذلة التي عبدوها بها في عصورهم المتأخرة عندما نزلت بهم ضربات الاحتلال الاجنبي ابتداء من الغزو الاشوري ، الفارسي فاليوناني فقد تسببت هذه الضربات في اهتزاز ثقتهم بانفسهم وداخلهم الخوف والقلق فالتجأوا للقوي السحرية يلتمسون فيها الامن والامان واعتقدوا ان هذه القوي السحرية تتجسد في الحيوانات من عجول وقطط وغيرها ولذلك عبدوها لذاتها بينما في عصور مجدهم كانوا يعتبرون هذه الحيوانات تجسيدا لصفات الاله الأكبر وهو الاله رع الذي كان احتفال عيد سد يجري تحت حمايته وليس تحت حماية العجل ابيس .</p>		

ترجمة النص اليوناني	ترجمة النص الديموطيقي	قراءة وترجمة النص الميروغليفي
ومذابح كما رسم ما يحتاج منها لترميم وجعله في حالة حسنة ايضا	ومقاصير وموائد قرايين ( مذابح ) من جديد للآلهة	ق. س خ ك ر / ا ن / ح م. ف / م / ك ا ت ت. وتجميله بواسطة جلالته بعمل (زخرف) ق. م ن خ ت / ن / م ا / ن ف ر . و ي ت. بديع جديد وجميل جدا ق. س ش س / م ا ع / س خ ع ت. وجعل يظهر فيه ق. . ن . ف / ح ب / ع ن خ ت. ابيس الحسي ق. رس / ع س ق (١٠) / ن . ف ت. واكمل له ق. ح و ت و - ن ث ر / ج م و ت ت. المعابد والمقاصير ق. خ ا و / م / م ا ... ت. والمذابح من جديد ..
وذلك بروح اله محسن في الشئون الخاصة	وامر بإقامة أخرى كما كانت عليه من قبل ( اي	

(١٠) اخطأ الكاتب المصري القديم في كتابته حرف السين بدلا من الراء ( في وسط الكلمة )  
فالكلمة يجب ان تكون " ع ر ق " بمعنى أكمل او استكمل وليس " ع س ق "



ترجمة النص اليوناني	ترجمة النص الديموطيقي	قراءة وترجمة النص الهيروغليفي
<p>بالدين (س ٣٥) وقد حقوق أكثر الشئون تكريما للمعابد وجددها خلال مدة حكمه كما يليق (بها)</p>	<p>ترميمها ) في حين جعل قلبه نحو الآلهة بمشابة اله محسن وسأل عن أمجاد المعابد لكي تجدد في زمن حكمه كفرعون (ح س ص) علي حسب ما يليق بها .</p>	
<p>وفي مقابل ذلك منحته الآلهة الصحة والنصر والقوة</p>	<p>وكمكافأة علي ذلك فإن الآلهة منحته الشجاعة والنصر والقوة والعافية</p>	<p>ق.. (س ٥) اس وي / ن ن / د ي ت / ن ف ت. وفي مقابل ذلك اعطته ق. ن ت ر و / ن ث ر و ت / ق ن و ت. الآلهة والآلهات النصر ق. ن خ ت / ع ن خ / و ج ا / س ن ب ت. والقوة والحياة والرخاء والصحة</p>
<p>و(كل) الاشياء الطيبة الاخرى (س ٣٦) وثبتت ملكه له</p>	<p>وكل الاشياء الأخري (س ٢١) الطيبة وان يبقى سلطانه ثابتا له</p>	<p>ق. / ح ن ع / خ ت / ن ب / ن ف ر ت. مع كل شيء بديع ق. ر - ا و . س ن / ا و / ت. في امستدادهم وان</p>

ترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
<p>ق. ايات (١١). ف / و ر ت / ج د ت و  ت. وظيفته العظيمة تدعمت  ق. خ ر ن / ح ن ع / خ ر د و ف / ج ت  ت. معه ومع اولاده ( اطفاله ) الي الابد</p>	<p>ولاولاده السي  الابد</p>	<p>ولاولاده السي  الابد .</p>
<p>ق. ح ن ع / س ح ن / ن ف ر / ع ق . س  ت. مع حظ حسن دخلت (حرفيا دخل)  ق. م / ا ب / ن / و ع ب و / ن و  ت. الي قلب الكهنة الخاصين  ق. ا ت ر ت ي / ش م ع / م ح و  ت. بمعابد مصر العليا والسفلي  ق. م ي (١٢) ع ش (أ). س ن ....  ت. بدرجة كبيرة ....</p>	<p>ومع الحظ السعيد  لقد حلت في قلب  كهنة كل المعابد  في مصر</p>	<p>ومع الحظ  الحسن قرر  كهنة جميع  المعابد في كل  ارجاء البلاد</p>

(١١) بعض الكلمات الهيروغليفية تأتي فيها الألف المفتوحة (أ) بعد الألف المكسورة (إ) مباشرة وعلي هذا يجب ان تقرأ " إأت " ولكن علماء المصريين اصطلاحوا علي نطق الألف المفتوحة ياء تسهيلا لنطق الكلمة فتتطق " إيات " ويبدو ان المصريين القدماء كانوا ييسرون نطق الالف سواء المفتوحة او لمكسورة بتحويلها الي ياء في النطق ، بدليل ان كلمة والد او أب التي تكتب في الهيروغليفية " إت " تنطق " ي و ت " في اللغة القبطية ( I O T ) والمعروف ان اللغة القبطية هي المرحلة الأخيرة من اللغة المصرية القديمة .

(١٢) المفروض قراءة هذه الكلمة " م إ " اي الف مكسورة كما هو المتبع في استخدام الحروف اللاتينية ولكن تسهيلا لنطق الكلمة استخدمنا حرف الياء بدلا من الالف المكسورة وعلي ذلك تنطق الكلمة " م ي " .

ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني	قراءة وترجمة النص الميروغليفي
<p>الامجاد الخاصة بالفرعون ( ح س ص ) بطلميوس العائش ابدى الاله الظاهر الذي طيباته كاملة في المعابد ( س ٢٢ ) وتلك الاعمال التي عملها الالهان اللذان يحبان والدهما وهما اللذان انجبا والتي عملها الالهان المحستان . اللذان انجبا من انجبه و اللذان ينتميان للالهين الاخوين اللذان انجبا هؤلاء الذين انجبوهم وهؤلاء اللذان ينتميان الي</p>	<p>زيادة التكرم الحالي (س ٣٧) للعائش ابدى الملك بطلميوس محبوب بتاح الاله ابيفانس ابوخارستوس وتكرم اجداده الالهة (س ٣٨) ايوارجتاي</p>	<p>ق. (س ٦).... [س خ] پ [را] . س ن ن. لقد انجبهم ق. ح ن ع / ن ث ر و / ن. مع الالهين</p>

ترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
ق. ن ج ر (١٣) / ج ن ف و / ن / ت. المنقذون وكل ق. ت و ت . س ن / م ت و / ت و ت. الاجداد	الالهين المنقذين (١٣)	الالهين سوترس (١٣)
ق. س ع ح ع / خ ن ت ي / ن / ت. ولاقامة تمثال ق. ن س و / ب ي (١٤) ت ي / ت. ملك مصر العليا والسفلى ق. ( ب ت و ل م ي س ) / ت. بطلميوس ق. ع ن خ / ج ت / م ر ي ت. عاش للابد محبوب ق. پ ت ح / ن ث ر / ب ر (١٥) ت. بتاح الاله الظاهر	اباء آباءه فلتتزايد ( تلك الأعمال ) التي عملها اسلاقه الملوك ويجب ان يقام تمثال للفرعون ( ح س ص ) بطلميوس العاش ابديا الاله الظاهر (١٥)	واقامة تمثال للعاش ابديا الملك بطلميوس ايفانس (١٥)

(١٣) سبق توضيح الترجمة الديموطيقية لالقاب ملوك وملكات البطالمة ، ومنها لقب سوترس الذي ترجم في الديموطيقية الي نثرو / ن ح م بينما ترجم اللقب هنا في النص الهيروغليفي الي " ن ث ر و / ن ج و " والترجمتان مترادفتان وتعنيان الالهين المنقذين " او " الحامين " .  
(١٤) الياء الأولى في هذه الكلمة اصلها الف مكسورة .  
(١٥) في النص الهيروغليفي يرد لقب " ن ث ر / ب ر " هنا لأول مرة وهو نفس التعبير المستخدم في النص الديموطيقي بمعنى الاله المشرق او الظاهر ( ايفانس في اليونانية )

ترجمة النص اليوناني	ترجمة النص الديموطيقي	قراءة وترجمة النص الهيروغليفي
يوخارستوس	الذي طبيباته	ق. ن ب / ن ف ر و / ك ا - ت و /
كما في كل	كاملة (س ١٣)	ت. سيد الطبيبات الذي سيكون
معبد في ابرز	التي تجعله يسمي	ق. ر ن . ف ( ب ت و ل م ي س )
مكان فيه	بطلميوس	ت. اسمه بطلميوس
(س ٣٩) وان	حامي مصر بمعنى	ق. ن ج / ب ا ق ت (١٦) / و ح ع . ف
يطلق عليه	بطلميوس الذي	ت. حامي مصر ومعناه
(التمثال)	يدافع عن مصر	ق. پ و ( ب ت و ل م ي س )
بطلميوس		ت. بطلميوس
حامي مصر		ق. ن ل خ ت / ك م ت ..
		ت. الذي يحامي مصر ...
ويقام بجانبه	( ويقام تمثاله )	
تمثال لاله	الي جانب تمثال اله	
الرئيسي للمعبد	المدينة يقدم سيف	
وفي يده	النصر (١٧) له	
السلح الذي		

(١٦) " ب ا ق ت " اسم متأخر لمصر ورد في نصوص العصر البطلمي ، ( Gauthier )  
( 6 , p. II , 1975 ) وتنفس الكلمة معناها " عين الاله المقدسة " وربما جاء اطلاقها  
علي مصر نتيجة لهذا التشبيه .

(١٧) هو السيف المعقوف المسمي في اللغة المصرية " خ پ ش " وفي الرسوم الفرعونية  
تظهر الاله آمون (أو غيره ) . يسلم هذا السيف للملك ليذبح به اعداءه .

ترجمة النص اليوناني	ترجمة النص الديموطيقي	قراءة وترجمة النص الهيروغليفي
يؤدي للنصر (١٧) الذي يجب ان يصنع علي الطراز (المصري)	في المعبد (١٨) وفي كل معبد (آخر) في ابرز مكان علي حسب الطراز المصري	
(س. ٤٠) وعلي الكهنة ان يقوموا امامها باداء الخدمة الدينية لهذه التماثيل ثلاث مات يوميا	وعلي الكهنة ان يؤدوا للتماثيل ثلاث صلوات يوميا	ق. (س ٧) ... م / رو - پ ر / ن ب ت. وفي كل المعبد ق. ح ر / ر ن . ف / ش م س ت. المذكورة يخادم ق. خ ن ت ي / ا ب ن / س ب / ٣ ت. التماثيل هذه ثلاث ق. م - خ ر (ن) / ه - رو / ت. في اليوم
<p>(١٨) المقصود معبد الاله بتاح في منف حيث تم الاحتفال بذكرى تنصيب الملك البطلمي فرعونا وكان طقس تسليم الاله السيف للفرعون من أهم طقوس الاحتفال بذكرى هذا التنصيب الذي عرف في مصر " بعيد سد " او العيد الثلاثيني ، كما جاء في النص اليوناني .</p>		

قراءة وترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
ق- ح ن ع / ا ر / ا ر د ي ت /	في المعبد ( منف )	وان يضعوا
ت- وتقدم	وفي كل معبد	امامها ادوات
ق- د ب ح و / م - ب ا ح . س ن /	(س ٢٤) وعليهم	العبادة وان
ت- ادوات عبادة امامهم	ان يضعوا امامهم	يؤدوا الشعائر
ق- ا ر ت . س ن / ت ب - ر د / ن ب	( التماثيل )	المعتادة التي
ت- ويعملون ( الكهنة ) كل التنظيمات	الادوات المقدسة	تؤدي للآلهة
ق- ت و ت / ن - ك ا . س ن /	وان يؤدوا لها	الأخري في كل
ت- لتماثيل ارواحهم (١٩)	باقي الأشياء	ارجاء البلاد
ق- م ي / ا ر / ن / ن ت ر و /	(الطقوس ) كما	
ت- مثلما يعملون للآلهة	يجب ، مثل تلك	
ق- س ب ا ت و / م / ح ب و	التي يعملونها	
ت- المحلية (٢٠) في الاحتفالات	للآلهة الأخري في	
ق- ت ب / ت ر و /	الأعياد والمواكب	
ت- طبقا للتقويم	في الأيام المذكورة	

(١٩) المقصود تماثيل الملك البطلمي في كل معابد مصر فقد كان اجتماع الكهنة في منف يضم مندوبين عن كهنة كل معابد مصر وكان التمثال في العقيدة المصرية القديمة يعتبر ملجأ أو مستقرا لروح الشخص الذي يمثله ولذلك يسمي " بتمثال الروح ( الكا )

(٢٠) كان لكل مقاطعة من مقاطعات مصر اله محلي خاص بها الي جانب الاله الأكبر وهو هنا الاله بتاح اله مدينة منف حيث اجري الاحتفال بذكرى تنصيب الملك البطلمي فرعوناً.

قراءة وترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
<p>ق. ح ن ع / ه — ر و / ن / خ ع  ت. وفي ايام المواكب  ق. ح ن ع / ا ي / ه — ر و / م  ت. وفي الايام  ق. ر ن . ف / م ت و . ت و /  ت. المذكورة وعليهم  ق. م س / س خ م / ن / ن س و /  ت. تشكيل تمثال لملك الوجهين القبلي  ق. ب ي ت ي / ب ت و (ل) لم ي سا ...  ت. والبحري بطلميوس ..</p>	<p>وعليهم ان  يعرضوا التمثال  المقدس للفرعون  ( ح س ص )  بطلميوس الاله  الظاهر الذي  طيباته كاملة ابن  بطلميوس والملكة  ( ح س ص )  ارسنوي (٢١)  الالهين المحبين  لابيهما .</p>	<p>(س٤١) وان  يقام للملك  بطلميوس الاله  ابيفانس  ايوخارستوس  المنحدر من  الملك بطلميوس  والملكة ارسنوي  الالهين  فيلويانورز</p>
<p>ق. (س٨) .... ش ب س / م /  ت. (مقصورة) فخمة من  ق. ج ع م / م ح / م / ع ا ت / ن ب /  ت. السام (٢٣) مطعمة بكل حجر كريم</p>	<p>(س ٢٥)  (التمثال) في  مقصورة ذهبية في  المعبد وفي كل</p>	<p>تمثال (٢٢)  ومقصورة ذهبية  في كل  (س٤٢) المعابد</p>

(٢١) كتب اسم ارسنوي في النص الديموطيقي داخل خرطوش غير كامل بالصيغة (ار س ي ن ا )

(٢٢) كانت هذه التماثيل تصنع من الخشب وتطلي بالذهب وكذلك المقاصير .

(٢٣) السام (ج ع م ) هو مخلوط من الذهب والفضة المسمى في اللغات الاجنبية Electrum



ترجمة النص اليوناني	ترجمة النص الديوطيقي	قراءة وترجمة النص الميروغليفي
علي ان يوضع	معبد يجب ان	ق. ن / م ا ع / م / ر و - پ ر / ن ب
في محاريب	يوضع في قدس	ت. في جميع المعابد
المعابد مع	الاقـداس مع	ق. ح ر / ر ن . ف / ح ت ب / م /
مقاصير	المقاصير الأخرى	ت. التي باسمه تستقر في
(الالهة الأخرى)	المصنوعة من	ق. ب و / ب ج س ر / ح ن ع / ك ا ر و
.	الذهب ( ٢٤ )	ت. الهيكل مع مقاصير
		ق. ن و / ن ث ر و / س ب ا ت ي و
		ت. الالهة المحلية
واثناء الاعياد	عندما تقام الاعياد	ق. ا ر / ا ر ف / خ پ ر / ح ب و /
الكبرى التي	الهامة التي تظهر	ت. عندما تجري الاحتفالات
تسير فيها	فيها الآلهة يجب	ق. و ر و / ب ر / ن ث ر / م /
مواكب مقاصير	ان تظهر فيها	ت. العظيمة التي يخرج فيها الاله من
( الالهة )	مقصورة الاله	ق. ق ب ح . ف / ش پ س
( ٢٤ ) وعليهم	الظاهر ذو الطيبات	ت. معبده الجليل
( الكهنة ) ان	الكاملة	
يحملوا ايضا		
مقصورة الاله		
ابيفاتس		
ايوخارستوس		
(٢٤) هذه التماثيل للالهة الأخرى كانت تصنع ايضا من الخشب المطلي بالذهب ليسهل حملها في المراكب.		

ترجمة النص اليوناني	ترجمة النص الديموطيقي	قراءة وترجمة النص الهيروغليفي
(س٤٣) ولكي	ولاجل أن تعرف	ق- س ا / ب ر . ف / ا م . س ن
يسهل تميزها	المقصورة اليوم	ت- وخارج بيته ( المعبد ) بينهم
الان والي الابد	وفي المستقبل	ق- م ت و . ت و / س خ ع / ك ا ر /
(٢٥) يجب ان	(٢٥) يجب أن	ت- انهم يجعلون اشراق المقصورة
يركب فوقها	يوضع عليها	ق- ش ب س / ن / ن ث ر / پ ر / ن ب
عشرة تيجان	عشرة تيجان من	ت- الجليلة للاله الظاهر سيد
ذهبية للملك	الذهب يثبت علي	ق- ن ف ر و / ح ن ع . س ن / ر /
يعملوها صل	كل منها صل	ت- الطيبات معهم لكي
(٢٦) لكل تاج	(٢٦) كما هو	ق- ر د ي ت / س ي ا / ت و /
مثل كل	متبع ( س٢٦ )	ت- يجعلوا معرفة
التيجان	عادة في التيجان	ق- ك ا ر . ت ن / م / ه ر و / پ ن ا
	الذهبية	ت- المقصورة هذه من هذا اليوم
		ق- ر / ح ن ت ي ...
		ت- لابلد ...
	فوق هذه المقصورة	ق- .... ( س ٩ ) س ح ن ا / ن ب /
	في مكان الصلال	ت- ..... كل تاج

(٢٥) اي لكي تميز المقصورة التي بها تمثال الملك عن المقاصير التي بها تماثيل الالهة الأخرى

اثناء سير المراكب في كل عيد

(٢٦) الصل هو ثعبان الكوبرا المقدس الذي كان تمثاله الخشبي يثبت في مقدمة تيجان القراعة

وكان المصريون يعتقدون ان الصل ينفث السم في وجوه اعدائهم .

قراءة وترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
ق. ح - ر - ت ب / ك ا ر / ث ن / ت. كل [ تاج ] فوق المقصورة هذه	التي فوق بقية	(س ٤٤) التي
ق. م - ا س و . ن / و ر ت / و ن ت. في مكان الصل الذي يكون	المقاصير وان يكون	تخليها الصلال
ق. ح - ر - ت ب / ك ا ر و / ا و / ت. فوق المقاصير ( الأخرى )	التاج المزدوج ( س	فوق المقاصير
ق. س خ م ت ي ( ٢٧ ) / ت. والتـــــــــــــــــاج المزدوج	خ م ت ي ) ( ٢٧ )	الأخري وان
ق. م - ح - ر - ا ب / ا ر و / ت. في وسطــــــــــــــــهم	في وسط التيجان	يكون في وسطها
ق. ج - ر - ن ت ي / پ س د / ت. لان قــــــــــــــــد ظهــــــــــــــــر	الأخري	التاج المسمى " پ
ق. ح م . ن / ا م . ف / ت. جلالــــــــــــــــته فــــــــــــــــيه	س خ ن ت " ( ٢٧ )	
ق. م / ح و ت - ك ا - ب ت ح ت. في معبد روح بتاح ( ٢٨ )	لان الفرعون ( ح	الذي لبسه الملك
	س ص ) يتجلي	عندما
	ظهوره فيها	
ق. م / ح و ت - ك ا - ب ت ح ت. في معبد روح بتاح ( ٢٨ )	في معبد منف	دخل المعبد في
	عندما تؤدي له	منف لكي
<p>( ٢٧ ) كلمة " س خ م ت ي " الواردة في النصين الهيروغليفي والديموطيقي معناها الحرفي " القوتان " وتطلق علي التاج المزدوج الذي يتكون من تاج الوجه القبلي ( الابيض ) وتاج الوجه البحري ( الاحمر ) ، ولكن النص الاغريقي اختصر الكلمة الي Pskhent</p> <p>( ٢٨ ) سبقت الاشارة الي ان هذا هو اسم معبد منف الذي كان الاله بتاح معبوده الرئيسي وان هذا الاسم هو الاصل في كلمة ايجبتوس اليونانية .</p>		

ترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
<p>ق. م / خ ت / ا ر . ن . ف</p> <p>ت. عـفـدـمـا اجـسـري له</p> <p>ق. ا ر / ن ب / ن / پ س - ن س و</p> <p>ت. كل طقس لاجل المقام الملكي</p> <p>ق. ر / ح و ت - ن ت ر / خ ف ت /</p> <p>ت. في المعبد عندما</p> <p>ق. ش س ب / ن. ف / ا ي ات. ف (٢٩)</p> <p>ت. تقلد ( تسلم ) وظيفته</p> <p>ق. و ر ت</p> <p>ت. العظيمة</p>	<p>الطقوس المعتادة</p> <p>التي تجري عند</p> <p>تقلده الوظيفة</p> <p>السامية</p>	<p>(س٤٥) يؤدي</p> <p>ماهو معتاد</p> <p>لتنصيبه ملكا</p> <p>( حرفيا لتقلد الملكية )</p>
<p>ق. م ت و . ت و / ا ر د ي ت / م / ج س</p> <p>ت. وكان عليهم ان يضعوا في الجزء</p> <p>ق. ح ر ي / ن / خ ب ت (٣٠)</p> <p>ت. العلوي من التاج</p>	<p>وعليهم ( الكهنة</p> <p>( ان يثبتوا فوق</p> <p>التاج (٣٠) الذي</p> <p>الي الخارج من</p>	<p>وسوف يوضع</p> <p>فوق المربع</p> <p>(٣٠) حول</p> <p>التيجان في</p>
<p>(٢٩) هذه الكلمة استبدلنا إليها بالالف المكسورة لتهييل نطق الكلمة كما سبقت الإشارة لذلك .</p> <p>(٣٠) كلمة التاج ( ح پ ت ) في النص الهيروغليفي تقابلها كلمة " أ ت ف " في النص الديموطيقي وهو نوع من التيجان الفرعونية ، ولكن النص اليوناني استخدم كلمة <b>ΤΕΤΡΑΓΩΝΟΥ</b> التي تحمل معني " مربع " ( Tetragonos ) ربما لعدم وجود كلمة يونانية تعبر عن الشكل الحقيقي لهذا التاج الذي يتكون من تاج الوجه القبلي وعلي جانبيه ريشتان وفوق قمته قرص الشمس وتستقر قاعدته علي قرنين افقيين .</p>		

قراءة وترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
ق. / ن ت ي / م / ر و ت / ح ب و ت. الذي خارج (غير) هذه ق. ا ب ن / م - ع ك ا / [ن] ت. التيجان ق. س خ م ت ي / [ب] ن.. ت. ان التاج المزدوج هذا ...	التيجان في مقدمة (س ٢٧) التاج الذهبي المذكور (الخاص بالملك)	مواجهة التاج المذكور
ق. ... (س ١٠) د . . . . م ح ت. ... البردي ق. ق ع ح . س / ا ي ا ب ي / ت. علي ركنه الايمن ق. و ح ع . ف / پ و / ن ب ت ي / ت. وهو يرمز للريتين ق. س ح ج / ت ا و ي / ت. اللتين تنيران الارضين	(عبارة عن) نبات بردي ونبات لوتس وعليهم ان يثبتوا صلا (٣١) فوق سلة واسفلها نبات لوتس الي اليمين فوق الركن الواقع عند قمة المقصورة الذهبية وعليهم ان يضعوا صلا بسلة اسفلها فوق نبات	الرموز الذهبية للوجهين (القبلي والبحري) لكي (س ٤٦) ترمز الي ارتباطها بالملك الذي يجعل الوجهين القبلي والبحري

(٣١) المفروض ان تثبت الرخمة رمز الوجه القبلي وليس الصل الذي جاء في النص انه ثبت مع نبات البردي رمز الوجه البحري وقد سبق القول انه في العصر المتأخر استخدم الصل عوضا عن الرخمة في الرسوم التي تشير الي الوجه القبلي .

ترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
	البردي الي اليسار لترمز الي الفرعون (ح س ص ) الذي يضى مصر العليا والسفلي	يتجليان
ق. - ج ر - ن ت ي / ون / ا ب د - ٤	ولما كان اليوم	ولما كان اليوم
ت. - منذ الشهر الرابع	الاخير من الشهر	الثلاثون من
ق. - ش م و / ع ر ك ي	الرابع من فصل	شهر مسري
ت. - من فصل الصيف (٣٢) اليوم الاخير	الصيف (٣٢)	(٣٢) هو اليوم
ق. - هـ ر و / م س (٣٣) . ن ث ر /	الذي يحتفلون فيه	الذي يحتفل
ت. - وهو يوم ميلاد الاله	(س ٢٨) بعيد	فيه بعيد ميلاد
	ميلاد (٣٣)	(٣٣) الملك
	الفرعون (ح س ص )	
<p>(٣٢) الشهر الرابع من فصل الصيف هو شهر مسري كما جاء في النص اليوناني ΜΕΣΟΡΗ</p> <p>(٣٣) هذه الكلمة هي التي اعتمد عليها شميليون في قراءة خرطوش رمسيس الثاني كما سبق القول بعد ان تعرف علي قراءة العلامة 𐩢 الهيروغليفيه علي حجر رشيد والتي استخلص معناها من الكلمة اليونانية المقابلة لها وهي ΓΕΝΕΘΛΙΑ ( Genethlia ) والتي استفاد من اللغة القبطية في معرفة قراءتها Mīcī وكلها تعني مولد او ميلاد .</p>		

ترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
ق. ن ف ر / ع ن خ / ج ت / ت. الطيب له الحياة الى الابد ق. ج د . ت ا / م / ح ب / خ ع / م ت. الذي ثبت في عيد يشرق في ق. / ا د ب و / ح ر ت. شواطئ حورس (١/٣٣)	وقد ثبت كعيد واحتفال تجري الاحتفال به دائما في المعابد	
ق. خ ر - ح ا ت / م ي ت ت / ا ر و ت. وفــــــــــــــــلا بالمثل ق. ن / ا ب د . ٢٠ / ا خ ت / س و ت. الشهر الثاني من فصل الفيضان (٤) ق. ١٧ / ا ر . ن ف / ت. اليوم السابع عشر عندما اجري له	كذلك كان الحال في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني من فصل الشتاء (٣٤) وهو الذي كان يقام	كذلك لما كان اليوم ..... (٣٤) هو اليوم الذي (س ٤٧) ورث فيه

(١/٣٣) سبق ان ذكرنا ان "ا د ب جد/ ح ر" اي "شواطئ حورس" اسم متأخر لمصر .  
(٣٤) يظهر التناقض في تاريخ تنويع الملك بين النصين الهيروغليفي والديموطيقي بينما اختفى التاريخ من النص اليوناني بسبب كسر الحجر فالنص الهيروغليفي يحدد شهر بابه كذكرى لهذا التنويع ( الشهر الثاني من فصل الفيضان ) بينما يحدد النص الديموطيقي شهر امشير لذلك ( الشهر الثاني من فصل الشتاء ) ولو ان هذا التاريخ الاخير ( شهر امشير ) اقرب الي الحقيقة لانه الشهر الذي اجتمع فيه الكهنة للاحتفال بهذه الذكرى كما جاء في السطر الأول من النص الديموطيقي ، والسطر السادس من النص اليوناني الا ان العلماء فضلوا شهر بابه اعتمادا علي وروده في نسخة نقراطيس ، ( Quirke 1988 )

( p. 24 )

قراءة وترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
<p>ق. ا ر و / ن و / خ ع - س ن و</p> <p>ت. الطقس الخاص بالظهور الملكي</p> <p>ق. م / س ش پ . ن . ف /</p> <p>ت. عندما تسلم</p> <p>ق. ن س ي ت (٣٥) / م - ع</p> <p>ت. الملكيّة من</p> <p>ق. ا ت . ف</p> <p>ت. والده</p>	<p>فيه الاحتفال له</p> <p>بتسليم الوظيفة</p> <p>السامية (٣٥)</p>	<p>الملكية (٣٥)</p> <p>عن والده</p>
<p>ق. اس / ا ر ف / م / خ ت /</p> <p>ت. انظر ان بداية كل الاشياء</p> <p>ق. ا خ و ل و ر و ..... ت. الطيبة العظيمة....</p>	<p>وكان فعلا بداية</p> <p>بداية المنافع</p>	<p>فانهما</p> <p>(اليومين)</p> <p>يكرّمان</p> <p>يتسميتهما</p>
<p>(٣٥) في هذه الفقرة المشتركة بين كل من النص الهيروغليفي ولنص الديموطيقي والنص اليوناني يتضح مغزي عبارة " الوظيفة السامية " التي وردت في السطور السابقة من النص الهيروغليفي " ا ي ا ت . ف / و ر ت " ( سطر ٩ ) وترددت في النص الديموطيقي " ت ا / ا ي ا ت . ف / ح ر ي " وهو نفس المعني ( الوظيفة السامية ) وتكن النص الهيروغليفي افصح عنها في الموضع المشار اليه ( س ١٠ ) بانها " ن س ي ت " ومعناها " الملكيّة " وبذلك اتفق المعني في النص الهيروغليفي مع معناها في النص اليوناني حيث وردت الاشارة الي هذه الوظيفة في سياق النص بالصيغة ΒΑΣΙΛΕΙΑΝ اي الملكيّة ( البطلمية ) التي ورثها ايفانس عن والده فيلويانور او بعبارة أخرى عيد تتويجه ملكا .</p>		



ترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
		( كاعياد ) في المعابد وهما بحق مناسبتان لبركات عظيمة للجميع
ق... (س ١١) م ن خ ت / ا و ت..... والجليل ق... م ي / ا ر . ت و / ه ر و و / ت... الذي جعل من الايام ق... ا ب ن / س و / ١٧ / ع ر ق ي ت... هذه اليوم السابع عشر واليوم الاخير ق... ا ب د / ن ب / م / ح ب / م ت... من كل شهر اعبياد في ق... ج س و - ب ر و / ن و ت... المعابد الخاصة ق... ب ا ق ت (٣٦) / ا و / آ و / س ن ت... بمصر كلها ( علي امتدادها )	التي تعم علي كل الناس اي يوم ميلاد الفرعون (ح س ص ) عاش ابديا ويوم تسلمه الوظيفة السامية - وهذان اليومان بهما يوم ١٧ ويوم ٣٠ ( من كل شهر ( يجب ان يحتفل بها كعبيدين في كل معابد مصر (٣٦)	فسوف يحتفل بهما كأعياد ومساكب في المعابد في كل ارجاء مصر (س ٤٨) كل شهر
(٣٦) سبقت الاشارة الي استخدام كلمة " باقت في العصر المتأخر كاسم لمصر ولكن من الغريب ان الكلمة لم تستخدم في النص الديموطيقي المقابل له بل استخدمت الكلمة الشائعة " ك م ت "		



قراءة وترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
ق. ونوت . سن / م / ح وت - ت. بالخدمة في المعبد (٣٧) ق. ن ث ر / [م] ت و . [ت] و... ت. (والخدمة) قائل... ق. ... (س ١٢) [ب ت] أول م ي س ت. بطلميسوس ق. ع ن خ / ج ت [م ر] ا ي / ت. عاش ابدًا محبوب ق. ب ت ح / ن ث ر / ب ر / ن ب ت. بتاح الاله الظاهر سيد ق. ن ف ر و / ت پ / ر ن پ ت ت. الطيبات في بداية السنة  ش ا ع / م / ت پ ي / ابتداء من الشهر الاول آ خ ت / س و / من فصل الفيضان (٣٨) اليوم	ويجب ان يحتفلوا بعيد وموكب في المعابد في مصر قاطبة للفرعون (ح س ص ) بطلميس العاش ابديا الاله الظاهر الذي طيباته كاملة كل عام  في اليوم الأول من الشهر الأول من فصل الفيضان (٣٨) لمدة خمسة	الطقوس عليها (٣٧) (س ٤٩) في المعابد ويجب ان يقام عيد وموكب للملك العاش ابديا محبوب بتاح بطلميس الاله ابيفانس ايوخارستوس كل عام في المعابد في كل ارحاء البلاد  (س ٥٠) من اليوم الاول لشهر توت (٣٨) لمدة

(٣٨) هذا هو اليوم الأول من السنة المصرية ، وقد عبر عنه في النصين الهيروغليفي والديموطيقي بالطريقة المصرية الشائعة وهي نسبة الشهر الي ترتيبه في الفصل ( الشهر الأول من فصل الفيضان اول فصول السنة المصرية ) بينما ذكر الشهر باسمه في النص اليوناني وهو شهر توت وقد كتب بهذا الشكل θΩΥΘ (Thouth)

ترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
ق. واع / ن ف ر ي ت / ر / ه ر و / ت. الأول لمدة ايام ق. د ي و / م ح / ر / ج ا ج ا . س ن ت. خمسة والاكاليل فوق رؤوسهم ق. س ح ب / خ ا و ي / ت. محتفلين في مذابح المعابد ق. س ق ر / د ن و / ح ن ع / ت. مقدمين قرابين السوائل مع ق. خ ت / ن ب / ت و ت / ت. كل شيء مناسب ق. ن / ا ر ت ي / ت. ع	أيام يلبسون خلالها الاكاليل ويقدمون القرابين المحروقة والسائلة والاشياء الأخرى اللازمة السوائل وكل الاشياء المناسبة	خمسة أيام وخلالها يرتدون الأكاليل ويقدمون الاضاحي وقرابين السوائل وكل الاشياء المناسبة
وع ب و / ن و / ج س و - ب ر و ان كهنة المعابد م / ر و - ب ر / ن ب / ح ر / ن ف من كل معبد من ( المعابد ) المذكورة	ان الكهنة الذين في معابد مصر وفي كل معبد	وسوف يطلق علي الكهنة في كل معبد
= ويبدو ان الكهنة المصريين فضلوا الطريقة المصرية القديمة في كتابة الشهور غم ان اسماءها الواردة في النص اليوناني ( توت ) بابه ( سطر ٢٨ ) مسري ( س ٤٦ ) كانت قد انتشرت قبل العصر البطلمي ، وقد استحدثت الكهنة عبدا خاصا للملك بطلميوس الخامس يبدأ بأول ايام السنة ويستمر لمدة خمسة أيام .		

قراءة وترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
ق. ك ا . ت و . س ن /	يجب ان يطلق	كهنة الاله
ت. يجب ان يطلق عليهم	عليهم كهنة الاله	ايفانس
ق. ح م / ن ث ر / ب ر /	الظاهر الذي	ابوخارستوس
ت. خدمة ( حرقيا: خادم) الاله الظاهر	طيباته كاملة	(٣٩)بالاضافة
ق. ن ب / ن ف ر و / م - ه ر و /	بالاضافة الي	الي الاسماء
ت. سيد الطيبات بالاضافة الي	اللقاب الكهنوتية	الأخري للالهة
ق. اي اوت / وع ب و . ن . س ن /	الأخري ويجب ان	الدين يؤدون
ت. وظائفهم الكهنوتية	يكتب هذا اللقب	لهم الخدمة
ق. ا م ي / س / پ ح ر /	في الوثائق	الدينية ويجب
ت. ويجب ان تسجل (تكتب)	الرسمية من اي	ان يسجل في
ق. ... (س ١٣) اي ا ت / وع ب / ن /	نوع ويجب ان	الوثائق
ت. .. وظيفة كاهن	تسجل وظيفة	الرسمية
ق. ن ث ر / پ ر / ن ب / ن ف ر و /	كاهن الاله الظاهر	
ت. الاله الظاهر سيد الطيبات (٣٩)	الذي طيباته كاملة	(٣٩)

(٣٩) ترجمنا لقب Eucharistos اليوناني عدة ترجمات طبقا لمعناه في النص  
 الهيروغليفي " ن ب - نفرو " يعني " سيد الطيبات ، والنص الديموطيقي " الذي طيباته  
 كاملة " ( ت ا ي . ف / م - ن ف ر )

ترجمة النص اليوناني	ترجمة النص الديموطيقي	قراءة وترجمة النص الهيروغليفي
(س ٥٢) وينقش (اللقب) علي الأختام التي تحملها كهنته (كهنة الملك)	بان تحفر علي اختامهم	ق. ح د / خ ت م / ا ر ي (كشط في الحجر) ت. علي الاختتام الخاصة (بهم) ق. ج ر ت . س ن / ت. وعلي اصابعهم
ويسمح للأفراد العاديين بالاحتفال بالعيد واقامة المقاصير المذكوة سابقا ( الخاصة بعبيادة بطلميوس ) وان يحتفظوا بها في منازلهم	وينبغي السماح كذلك للأفراد العاديين لمن اراد منهم ان يظهر صورة المقصورة الذهبية للاله الظاهر الذي طيباته كاملة فيجعلونها توضع في منازلهم	ق. ا س / ا ر ف / س و / ت. وايضا بالنسبة لهؤلاء ق. ع و ي / و ن ن ي و / ن ت ي / ت. الذين لديهم تكون ق. ا ي ا ب / س ع ح / م ي ت ت / ت. الرغبة في اقامة نظير ق. ك ا ر / ت ن / ن / ن ت ر / ت. للمقصورة هذه الخاصة بالاله ق. ب ر / ن ب / ن ف ر و / ت. الظاهر سيد الطيبات ق. ر / ر د ي ت / و ن ن . س ت. ويضعونها ق. م / ب ر . س ن / ت. في منازلهم

ترجمة النص اليوناني	ترجمة النص الديموطيقي	قراءة وترجمة النص الهيروغليفي
وان يؤدوا الطقوس المعتادة في الأعياد	وان يقيموا الاعياد والمواكب المذكورة	ق. م ت و . س ن / ا ر / ت. ويقومون بعمل ق. ح ب و / ح ع و / ا ب ن / ت. الاعياد وهذه المواكب
كل شهر (س ٥٣) وكل سنة لكي يكون معلوما ( للجميع ) مدى تبجيل وتكريم هؤلاء الذين في مصر	في كل سنة وبذلك يكون معلوما لهؤلاء الذين في (س ٣٢) مصر	ق. ت پ / ا پ د / ت پ / ر ن پ ن / ت. في بداية الشهر وبداية السنة ق. ر / ر د ي ت / س ي ا . ت و / ت. ليكن معلوما ق. و ن ن / ا م ي و / ت. لهؤلاء الذين في ق. ت ا - م ر ت / ح ر / مصر (٤٠)
للاله ايفانس اپوخارستوس	ان يمجّدوا الاله الظاهر الذي	..... (س ١٤) چ س ر / ..... ويخلّدوا

(٤٠) هذا اسم آخر لمصر وهو " ت ا - م ر ت " اي الأرض الطيبة وما زالت هذه الكلمة باقية  
في الريف المصري في كلمة " دميرة " وتطلق على الأرض الخصبة بعد تغطيتها بطمي  
الفيضان وتهيئتها للزراعة .

ترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
ق. س خ اوي / پ ن / ح ر / ع ح ع ي / ت. المرسوم هذا علي لوحة ق. ن ت ي / ع ا ت / ر و ج / م / س خ ت. من الحجر الصلب بخط ق. ن / م د و - ن ث ر / ت. كلمات الاله (٤١) ق. س خ / ن / ش ع ي / ت. ويخط الوثائق (الديموطيقي) ق. س خ ا ي / ن / ح ا و / ن ب و (٤٤) ت. ويخط اليونانيين ق. ر د ي ت / ع ح ع . ف / م / ت. وان تقام (اللوحة) في	طيباته كاملة كما هو متبع عمله انهم ( الكهنة ) يجب ان يكتبوا هذا المرسوم علي لوحة من الحجر الصلب بخط كلمات الاله (٤٢) ويخط الوثائق (٤٣) ويخط الايونيين (او اليونانيين) (٤٤) وان تقام وان تقام في كل	الملك طبقا للقانون ( ولقد تقرر) نقش هذا المرسوم علي لوحة (س ٥٤) من الحجر الصلب بالحروف المقدسة ( الهيروغليفيه) والوطنية (الديموطيقيه) واليونانية (٤٤) وان تقام في كل

(٤١) هذه التسمية للكتابة الهيروغليفيه "س خ / ن / م د و - ن ث ر" في النص  
الهيروغليفي و "س خ / م د - ن ث ر" في النص الديموطيقي ومعناها "خط كلام الاله"  
هي الاصل في التسمية اليونانية Hieroglyphs "اي النقش المقدس"

(٤٣) هذه التسمية وهي في النص الديموطيقي س خ - ش ع ت "اي يخط الوثائق هي تسمية  
الخط الديموطيقي (في النص الهيروغليفي تختلف قليلا حيث كتبت "س خ / ن / ش ع  
ي") بينما كتبت الكلمة المقابلة في النص اليوناني egchorios

ΕΓΧΩΡΙΟΙΣ بمعنى (الخط) الوطني"

(٤٤) كلمة ح ا و - ن ب و كانت تطلق في النصوص الهيروغليفيه عامة علي سكان جزر  
البحر المتوسط وقد خصصت هنا كاسم للايونيين او لليونانيين كما تدل علي ذلك =



ترجمة النص اليوناني	ترجمة النص الديموطيقي	قراءة وترجمة النص الهيروغليفي
معبد من معابد	( اللوحة ) في	ق. ج س و - ب ر و / م / ر و - ب ر و
الدرجات	معابد الدرجة	ت. في الهيكل في المعابد
الأولي والثانية	الأولي والدرجة	ق. ن ب / ح ر / ر ن . ف /
والثالثة (٤٥)	الثانية والدرجة	ت. كلها المذكورة
بجوار تمثال	الثالثة (٤٥)	ق. م / م ح - و ا ع / م ح - س ن و /
الملك عاش	بجوار التمثال	ت. من الدرجة الأولى والدرجة الثانية
ابديا	المقدس للفرعون	ق. م ح - خ م ت (٤٥) / ر - ج س /
	( ح س ص )	ت. والدرجة الثالثة بجوار
	عاش ابديا	

= كتابتها في النص الديموطيقي وهي كلمة س خ / ر ي ن ن ، فمن الواضح ان كلمة و  
 "ري ن ن" قريبة من كلمة "ايوني" او "يوناني" اما في النص اليوناني فقد كتبت  
 الكلمة المقابلة ΕΛΛΗΝΙΚΟΙΣ اي هليني .

(٤٥) لم يذكر الباحثون المتخصصون في الآثار اليونانية الرومانية اساس تقسيم المعابد  
 المصرية الي ثلاث درجات ( ابراهيم نصحي ١٩٦٠ ، ج ٢ ، ص ٣٨ ، ٤١ ) وفي اتصال  
 شقوي بالاستاذ الدكتور لطفي عبد الوهاب استاذ الحضارة اليونانية الرومانية بآداب  
 الاسكندرية افادني بان كبار المتخصصين في التاريخ البطلمي من العلماء الاجانب ايضا  
 مثل Revqn , Otto لم يتوصلوا الي اساس هذا التقسيم ولكنه يرجع ان هذا الاساس  
 ( في رايه ) هو حق حماية المعبد اللاجئين ، فالمعابد التي تعتبر مساحتها كلها ملجأ  
 لهؤلاء اللاجئين هي معابد الدرجة الأولى والمعابد التي لا يسمح بالالتجاء اليها الا في  
 منتصف مساحة الحرم الخاص بها هي معابد الدرجة الثانية والمعابد التي ليس من حقها  
 السماح بالالتجاء اليها هي معابد الدرجة الثالثة ، غير انني اري من جانبي ان اساس هذا  
 التقسيم هو موقع المعبد وبالتالي حجمه واهميته ، فالمعابد التي في المدن الكبرى والتي لا  
 شك انها أكبر المعابد واكثر المعابد اهمية هي معابد الدرجة الأولى والمعابد التي في المدن =

قراءة وترجمة النص الهيروغليفي	ترجمة النص الديموطيقي	ترجمة النص اليوناني
<p>ق. خ ن ت ي / ن / ن س و / ب ي ت ي</p> <p>ت. تمثال ملك الوجهين القبلي والبحري</p> <p>ق. ( ب ت ل م ي س</p> <p>ت. بطلميسوس</p> <p>ق. ع ن خ / ج ت / م ر ي (٤٦)</p> <p>ت. عاش ابديا محبوب</p> <p>ق. پ ت ح / ن ت ر / ب ر</p> <p>ت. بتاح الاله الظاهر</p> <p>ق. ن ب / ن ف ر و /</p> <p>ت. سيد الطببات</p>		
<p>١- الأصغر حجما ( التي يمكن أن تعادل المراكز في وقتنا الحاضر ) هي معابد الدرجة الثانية والمعابد التي في القرى وهي لا شك اصغر المعابد هي معابد الدرجة الثالثة وفي رأيي ان النص علي معابد الدرجات الاولى والثانية والثالثة هدفه التأكيد علي ان اقامة تماثيل الملك واللوحات المسجل عليها المرسوم قد شملت معابد المدن والمراكز والقرى اي جميع معابد مصر .</p> <p>(٤٦) اضيف نعت "عاش ابديا محبوب بتاح" داخل خرطوش بطلميسوس ( شكل ٤ ) (وكذلك في سطر ١٢ ) وقد ساعد ذلك شميليون علي قراءة العلامة الصوتية " م ر " وتوصل الي ان الهيروغليفية تضم علامات صوتية مقطعية كما ذكرنا سابقا .</p>		

### المصادر والمراجع

استخدمنا في كتابة عناوين هذه المراجع النظام الحديث المتبع في المؤلفات الأوروبية والأمريكية باسم Harvard References System وذلك لتمييزه علي النظام التقليدي السائد في المؤلفات العربية بمرونته وعدم اهدار وقت وجهد القارئ في تقليب الصفحات من آن لآخر للتعرف علي المراجع ،

### المراجع العربية :

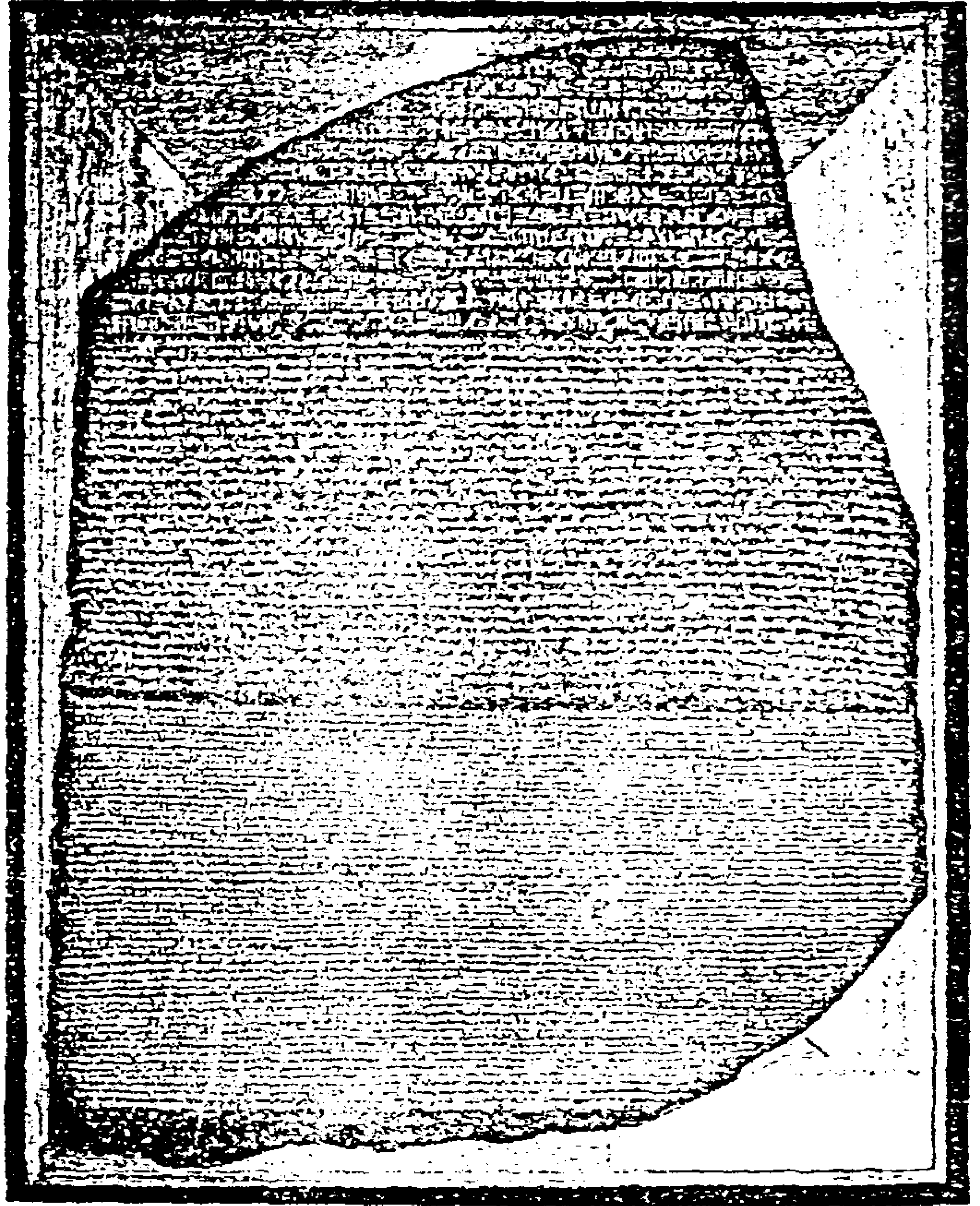
- ابراهيم نصحي ١٩٦٠ : د. ابراهيم نصحي ، تاريخ مصر في عصر البطالة ، ج ١ ، ج ٢ ، الطبعة الثانية
- سليم حسن ١٩٥٩ : سليم حسن ، مصر القديمة ، ج ١٥ ، القاهرة .
- سليم حسن ١٩٦٠ : سليم حسن ، مصر القديمة ، ج ١٦ ، القاهرة
- عبد الحليم نور الدين ١٩٩٨ : د/ عبد الحليم نور الدين ، اللغة المصرية القديمة ، الطبعة الثانية ، القاهرة .
- عبد العزيز صالح ١٩٦٢ " د. عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ، الجزء الاول ، القاهرة .
- هارتلين ١٩٩١ : هارتلين ، ه ، شمبليون في مصر ، الرسائل والذكرات ، ترجمة عماد عدلي ومراجعة د/ طاهر عبد الحليم ، القاهرة .

(٢) المراجع الأجنبية

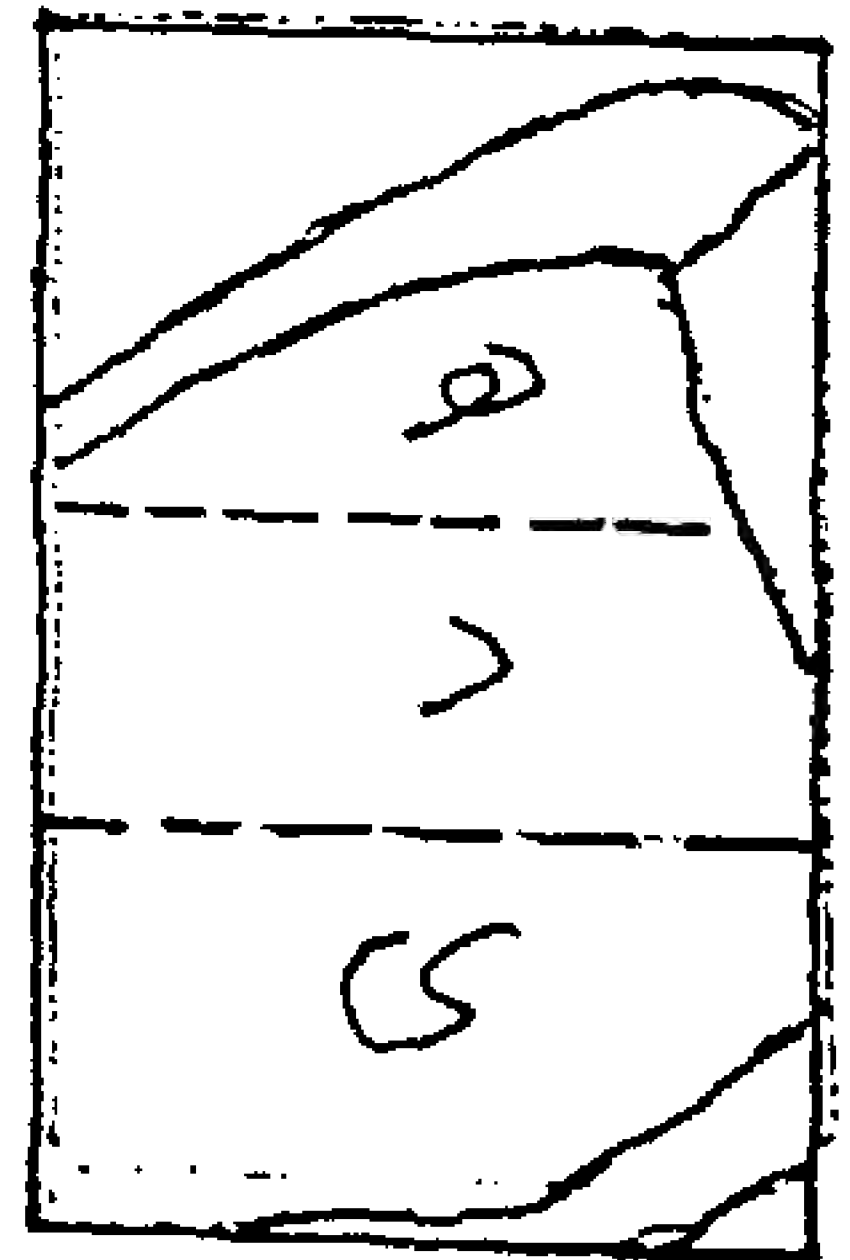
- Andrews 1987 : Andrews , Carol , the Rosetta Stone , London
- Budge 1929 : Budge , E.A. Wallis , The Rosetta Stone . London .
- Davies 1987 : Davies , W.V., Egyptian Hieroglyphs , London .
- Encyclopaedia 1999 : Encyclopaedia of the Archaeology of Ancient Egypt , ed. Kathryn A. Bard , London .
- Faulkner 1972 : Faulkner , Raymond , O.; A concise dictionary of Middle Egyptian , Oxford .
- Gauthier 1975 : Gauthier , H., Dictionnaire des noms géographiques contenus dans les textes hieroglyphiques Onsbuck .

- Gordon 1971 : Gordon , Cyrus.H., For<sup>o</sup>gotten  
Scripts , The story of their decipher-  
ment, Harmondsworth.
- Quirke 1988 : Quirke , Stepher & Carol An-  
drews; The Rosetta stone , London.
- Vycichl 1983 : Vycichl , Werner; Dictionnaire  
Etymnologique de la langue Copte ,  
Leuven.

( شكل ١ ) حجر  
رشيد بنصوصه الثلاثة  
الهيروغليفي (العلوي)  
والديموطيقي (الاطوسط)  
واليوناني (الاسفل )



( شكل ٢ ) الحجم الاصيلي لحجر رشيد ( المستطيل ) قبل  
كسر الحجر . وقد وضع داخله الحجم الحالي للحجر ، وقد ضاع  
من النص الهيروغليفي (هـ) جزء كبير من ثلاث جهات وضاع  
من النص الديموطيقي (د) جزء صغير في الركن الايمن العلوي  
لنص ولذلك يعتبر اكمل النصوص الثلاثة بينما ضاع من  
النص اليوناني (ي) جزء في ركنه الايمن السفلي





( شكل ٣ وشكل ٤ ) الاسم " بطلميوس " علي حجر رشيد داخل خرطوشين  
(بنفس الشكل والحجم كما هما علي الحجر ) في صيغتين احدهما الصيغة  
المختصرة ( شكل ٣ ) اي الاسم فقط والثانية ( شكل ٤ ) نفس الصيغة  
ولكنها متبوعة بوصف " عاش ابدى " ( ع ن خ / چت ) محبوب بتاح ( م ر  
ي / ب ت ح ) وقد تمكن شميليون من قراءة هذه الاوصاف واستخلص منها  
بالمقارنة باللغة القبطية ان الكتابة الهيروغليفية تحتوي علي علامات صوتية  
مقطعية ( علامة " م ر " )



( شكل ٥ ) اسم الملك رمسيس  
الثاني المحفور علي واجهة معبد  
ابي سمبل الذي استخدمه شميليون  
في قراءة علامتي " رع " و " م س " بالمقارنة بما يقابل معاني  
هذه العلامات في النص اليوناني  
وما يقابل نطقها في اللغة القبطية

١  
 ٢  
 ٣  
 ٤  
 ٥  
 ٦  
 ٧  
 ٨  
 ٩  
 ١٠  
 ١١  
 ١٢  
 ١٣  
 ١٤

( شكل ٦ ) تفصيل النص الهيرغليني علي حجر رشيد ( راجع قراءة النص  
 سطرًا سطرًا في الصفحات من ٥١-٨٤ )



## البارثينون

د. محمود إبراهيم السعدني(\*)

### تقديم تمهيدى :

كان لليونان القديم ، فيما قبل الميلاد ، حضارة زاهرة ، تأرجحت - ككل مناطق الحضرة القديمة فى العالم القديم - ما بين القوة والضعف ... وكان على قمة السبق وحجم الإنجاز ونوعية العطاء الحضارى اليونانى القديم ، ما قدمته جزيرة كريت المينوية<sup>(١)</sup> ، ثم ما شهدته أراضي ومراكز السيادة الميكينية<sup>(٢)</sup> ، وبخاصة فى البلوبونيز ، حتى عام ١١٥٠ - ١١٠٠ ق. م ، حينما أبتليت اليونان بالغزو الدورى الرهيب ، مخلفاً وراءه دماراً كبيراً ، وسكوناً طويلاً ، وحزناً شديداً وقلقاً شاملاً من أهالى البلاد الأصليين تجاه العنصر الوافد إليه الجديد ، المنتصر بقوة معدن الحديد<sup>(٣)</sup> ، حتى اضطر علماء التاريخ والآثار تسمية الفترة الواقعة من ١١٠٠ - ٩٠٠ ق. م بالعصور المظلمة ( Dark Ages )<sup>(٤)</sup> .

ومع ذلك ، جاءت المفاجأة الحضارية اليونانية الكلاسيكية بتدرج ملحوظ وببطء على المستوى المادى ، ولكن ، وعلى النقيض تماماً ، بفقرات تحضر عملاقة على المستوى الفكرى والثقافى الإنسانى . وكان نظام المدينة - الدولة ( Pólis - Krátos ) كياناً أمثل لنمو خصائص التميز السياسية للفرد اليونانى القديم ، بالرغم مما كان فى ذلك من أنانية وفرض الخصوصية الذاتية للمواطنين ، داخل أطر محلية ، على حساب الروح القومية اليونانية ، كأمة ( Éthnos ) ، وهى التى لم تظهر ككيان له قيمته العظمى ، إلا فى حروب اليونان مع الفرس فى جولتين اثنتين عامى ٤٩٠ ، ٤٨٠ / ٤٧٩ ق. م ... وكانت أثينا خلالهما ، هى رائدة العمل العام والكفاح المسلح ضد العدو المشترك لكل اليونانيين جميعاً ، على اختلاف أقاليمهم وانتماءاتهم الحزبية ، وظل هيرودوت يحلم بكيان يونانى واحد ويردد آراء ،

(\*) كلية الآداب - جامعة حلوان .

لم تخرج عن كونها طموحات مثقف ، رآها هو - بحسه القومى ، واجبة النفاذ والتطبيق ، ولكن هيات لهذه الروح المنتصرة أن تدوم بسبب الخلافات الأيدلوجية والتوجهات السياسية المختلفة والمتناقضة ، تناقضا جادا ، بين قطبي تلك السياسة فى أثينا وإسبرطة ، وهى التى أفرزت - فى نهاية القرن نفسه ( القرن الخامس ق.م ) - تلك الحرب الضروس بينهما ، المعروفة باسم الحروب البلوبونيزية ( ٤٢٧ - ٤٠٤ ق.م ) ، فأنهكت قواهما ودمرت اقتصادهما ، وخربت خزائنها ، وفتحت الباب أمام السيادة المقدونية على كل اليونان تقريبا ، بعد ذلك بحوالى خمسين عاما أخرى ، وكان فرحة الانتصار المروع على الفرس ، وسيادة العنصر الآثينى ، وزعامة أثينا على كل العالم اليونانى ، لم تدم لأكثر من ( ٥٠ ) عاما فقط ... ومع ذلك ، فقد كانت فترة إنجاز غير مسبوق فى تاريخ الأمم والشعوب القديمة : سياسيا ، وعلميا ، وفنيا ( أدبا وفنا ) . إننا أمام الفترة الزمنية المشهورة فى التاريخ الآثينى باسم « العصر الذهبى » ، وبخاصة الانطلاقة الأولى ، التى ظلت فى أذهان اليونان جميعا ، عبر العصور اللاحقة تذكارا خالدا ، يقسمون به ويحلفون الإيمان المغلظة برموزه ، مثل قولهم : « ! mà tò ierò brakhá » أى « أقسم بالصخرة المقدسة » كناية عن الأكروبوليس والبارثينون ، وكل تاريخ تلك البقعة الزاهرة ، سياسيا ، ودينيا ، وفنيا ( وكفاحا وطنيا ضد الغزاة ) ... فما السر إذن ، لكل تلك الروح المتفاخرة بالماضى المجيد ، وكيف كان حال البارثينون فى ذاك العصر ؟ وما هى مظاهر العظمة والجمال فى بناء ذاك المعبد العظيم ؟

هذه هى محاور بحثنا الذى بين أيدينا لعنا نوفق ، فى الرد على أسئلتها ، بمنطق سليم ، ويقين علمى .

البارثينون ، أو معبد الربة أثينا ( Athena ) ، فوق أكروبوليس مدينة أثينا ( Athenai ) ، كان فى العصر الذهبى الكلاسيكى ، كعبة لليونان جميعها ، ورمزا للقوة الآثينية ، ورخائها ، وإيمانها .

وبالحق أوجزت عالمة أليسون بيرفورد ( A. Burford ) هذا المعنى الضارى لذاك البناء المعمارى ، فقالت :

« The Parthenon's function was twofold. It served both as an architectural master-piece dominating the Athenian Acropolis, and as a shelter for the cult-statue of Athena Parthenos, a monument to Athenian power, prosperity, and piety »<sup>(٥)</sup>.

وهكذا يمكننا أن نفهم الوظيفة الثنائية الهدف للبارثينون - كما أدركها البعض - على أنها هي :

أولاً بناء معمارى متميز فى عصره .

ثانياً : مأوى آمن لتمثال الإلهة المعبودة ، والربة الحامية للمدينة ، وهى « أثينا العذراء » ( Athená Parthénos ) .

ولكن البارثينون ، ( فى نهاية المطاف ، للاثنين على وجه الخصوص ولصاحب فكرة المشروع ، القائد السياسى البارع بيريكليس " Periklés " ) لم يكن مجرد بناء فريد جميل ، على البقعة المقدسة فى تاريخهم الطويل ، الأوروبوليس وبتكلفة عالية فى زمانه<sup>(٦)</sup> ، وتسجيل فنى رائع لأساطيره وحياته وآلهته ، بل كان رمزاً لحضارة وسجلاً لانتصار شعب قوى وعنيد ، وإيمان أمة بآلهتها ، وقوتها الذاتية ، ولاعتزازها بقادتها وزعمائها . ولكن ماذا يقول اليونانيون أنفسهم ، اليوم

عن هذا الأثر الهام واللقاب فوق أعلى ربوة طبيعية فى وسط أثينا القديمة ؟ إنهم يقولون مايلى ، كتقييم معاصر لأثر قديم : « Τὸ τελειότερο δημιούργημα τῆς ἑλληνικῆς ἀρχιτεκτονικῆς εἶναι ἀναμφισβήτητα ὁ Παρθενὼν, ὁ ναὸς τῆς Ἀθηνᾶς Παρθένου, ποὺ οἰκοδομήθηκε ἀπὸ τὸ 447 ὡς τὸ 432 π. Χ. ἐπὶ τῆς ἀθηναϊκῆς Ἀκρόπολης. Μνημεῖο θρησκευτικὸ ἀλλ' ὁ συνῶμα με..... (7) »  
بمعنى ( بترجمة حرفية ) : « οὐλοδῆς ἔκφραση τῆς πολιτικῆς ἀκμῆς τῆς Ἀθῆνας,....., ὁρατὴ παρουσία τοῦ κλασσικοῦ πνεύματος ».

بمعنى ( بترجمة حرفية ) : « إن البارثينون هو ، بلا جدال ، أكمل بناء للعمارة اليونانية ، وهو معبد الربة أثينا العذراء ، الذى تم بناؤه منذ عام ٤٤٧ وحتى ٤٣٢ ق. م ، فوق الأكربوليس الأثينية ، إنه هو بناء ذو وظيفة دينية ، ولكنه ، فى الوقت نفسه ، تعبير فخم عن أثينا فى قمتها السياسية ، بناء يرتفع فوق التل المقدس ، كوجود محسوس للروح الكلاسيكية .. » .

ولعل أوضح رد فعل أثينى معاصر من رأى العام ، لمجرد انتشار بعض الإشاعات حول مخاطر إنبهار الصخرة المقدسة وما عليها من آثار ، جاء فى تقرير ، أو بمعنى صحفى أدق تحقيق ، مطول بقلم السيد د. بانايوتوبولو ، فى العدد الأسبوعى للجريدة الرسمية اليمينية « كاثيميرنى » ( Kathemeriré ) ، ليومى الأحد والاثنين ١٤ - ١٥ أغسطس عام ١٩٨٣ ، مؤكداً للكافة فى مانشيت كبير : « آثار تل الأكربوليس لا تتعرض لأى خطر مباشر » ، وكانت معظم الجرائد اليومية الأثينية قد كتبت ، فى تلك الأيام عن مخاطر جمة يتعرض لها التل المقدس وبخاصة من ارتفاع منسوب المياه الجوفية ، فوق الأكربوليس ، وكذلك بسبب نشاط الأمطار وكثافتها . ويسجل هذا الصحفى الحس القومى اليونانى ، والأثينى بوجه خاص ، تجاه « التل المقدس : Hieró Brákho ) ، لأنهم يدركون إدراكاً عظيماً أن مصيرهم مرتبط ارتباطاً شديداً بمصير مدينتهم ، وكيف أن كبار السن منهم يعرفون تماماً فضل الأكربوليس وآثاره فى ألا تمتحن مدينتهم بقصف جوى عنيف - كما حدث لمدن أوروبية أخرى - إبان الحرب العالمية الثانية ، ولهذا كله ، ودون الدخول فى تفاصيل نوعية الأخطار ، تقرر تشكيل لجنة من رئيس هيئة الآثار آنذاك ، البروفيسور يورغوس ميلوناس (G. Mylonás) ، على رأسها ، وعضوية آخرين من هيئة البحوث الجيوفيزيكية وكذلك الأرصاد ، فضلاً عن المدير العام لمتحف وآثار الأكربوليس السيد يورغوس نونتاس (G. Dontas) لمزيد من الاطمئنان واليقين ، مع لجان الترميم الخاصة بالموقع ، على أن تعرض أعمالها وتعرضها خلال أسبوعين على الناس . وكان القائمون على هذا الأمر قد حددوا

حوالى (٢٢) موقعاً تحتاج إلى تدخل سريع ومباشر فى أجزاء التل المختلفة ، وبخاصة فى اتجاه الشمال والجنوب منه ( انظر شكل ١ / ) .

وهكذا ، فنحن أمام ( فى رأى اليونانيين المحدثين ( ١/٧ ) ، علماء التاريخ والآثار ، وهم بذلك لا يختلفون عن بقية الأجانب الأوربيين فى تقديرهم لقيمة هذا الأثر ( شهادة متعددة الوجوه ، تجمع على أن البارثينون ، معبد الربة أثينا ( منذ منتصف القرن الخامس ق. م تقريباً ) هو :

١ - بناء دينى الوظيفة ( θρησκευτικόν )

٢ - وهو أكمل بناء معمارياً ( τὸ τελειότερον )

٣ - وقمة فى التطور السياسى ( τῆς πολιτικῆς ἀκμῆς )

ولكنه ، فى الختام ، هو تجسيد حى (ὁρατὴ παρουσία) لروح العصر الكلاسيكى الأثينى آنذاك .

ولهذه الأسباب جميعاً أفردنا هذا البحث لعلنا نوضح جوانب عديدة لهذا الموضوع ، ولعلنا نجحنا فى ترتيبنا لأولية جزئيات تلك الدراسة ، فى تسلسل تاريخى لتطور الأحداث على مسرح العمليات فى إقليم أتيكى القديم : حيث بدأنا بالأسطورة ، وعشنا مع تفاصيل خيالية خلقتها ذاكرة السنين لأولئك الأقوام فى أثينا القديمة عبر مئات السنين ، قبل بناء البارثينون نفسه . ثم مررنا على عبادة الربة أثينا نفسها ، فى الموقع نفسه ، متطرقين ، من وقت لآخر ، لتطور الأحداث التاريخية فى تلك الفترة الهامة من تاريخ مدينة أثينا كزعيمة للعالم الهيلينى آنذاك ، وأخيراً ، انتبهنا إلى إبراز الجوانب الفنية ، سواء المعمارية أو النحتية ( التشكيلية ) فى البارثينون .

### أولاً : بين الأسطورة والآثار :

يتفق معظم المؤرخين ، وعلى رأسهم العلامة أرنولد توينبى ( A. Toynbee ) بأن البداية الحقيقية للعنصر اليونانى الهيلينى الخالص ، تؤرخ بالقرن الحادى عشر

ق. م ، أى مع مقدم الغزو الدورى فقط وليس قبل ذلك ، ومن هنا ندرك إصرار الأساتذة والعلماء اليونان على تلك البداية ( وكأنهم لا علاقة لهم بما كان قبل ذلك من مراحل حضارية زاهرة فى كريت أو فى الجزر أو حتى داخل البلوبونيز ، إيلن العصر الميكينى حوالى من ١٦٠٠ حتى ١٠٠٠ ق.م ) ، فيطلقون على تلك الهجرات الغازية العنيفة - كما ذكرنا من قبل - المعروفة باسم « الدوريين Dorieis » عنوانا ، يجسد فهمهم وإحساسهم ، وانتماءهم المؤكد للعصر الأوروبى ، هو « بداية تاريخنا » ، « وهو الشئ نفسه الذى يؤكد أنه توينبى قائلا :

« The Hellenic Civilization lasted for about seventeen centuries from the eleventh century B. C., to the seventh of the Chrisitan Era»<sup>(٨)</sup>.

ويبدو ، على الأرجح ، أن المشكلة لا بد أن تفسر على هذا النحو من الاستنتاج ، وتلك الشهادات القوية من علماء أجلاء ، من ناحية ، وفى ضوء الأدلة الأثرية والأدبية المتاحة ، حتى الآن ، من ناحية أخرى ، وجميعها تؤكد أن تراث العصر الكلاسيكى اليونانى ليس له تاريخ مؤكد أبعد من أقدم دليل لدينا ، وهو المادة الأدبية الخالدة لشاعر الخلود / هوميروس ، وأشعار هيسيود من بعده ، وإن كان هناك بعض مظاهر الاستمرار الحضارى ، من العصر الميكينى ، طيلة القرنين الثانى عشر والحادى عشر ق.م ، وخاصة بعض العادات الاجتماعية فى الملبس وطقوس الدفن<sup>(٩)</sup> ، وهذا أمر طبيعى .

ويعترف العلامة أنطونى أندروز ( A. Andrewes ) بأن الدوريين ، والقادمين الجدد الآخرين ، كان لهم سمتهم الخاص المميز عن بقية العناصر اليونانية ، ولا سيما فى لهجاتهم واحتفالاتهم الدينية المشتركة وكذلك فى نظامهم الإدارى والسياسى القبلى الملحوظ<sup>(١٠)</sup> .

وهنا نتوقف قليلا لتفسير تلك الأسطورة القائلة بعودة آل هيراكليس (Heraklidae) وكأنها ليست سوى محالة لتقنين استيلاء الدوريين واغتصابهم لأراضى اليونان ، من خلال دعوى دينية تحقيقا لمشئنة إلهية : « أن اهبطوا البلد

الأم ، وألا تمسوا حياة الملك الآثينسى كودروس ( Kódros ) بسوء ، فتحققوا النصر! <sup>(١١)</sup> ، ولكن الأقدار تشاء بأن يقاتل هذا الملك بشرف ويدافع عن أثينا ، محتمياً بالأكروبوليس ، ويموت فى سبيل كرامة وطنه ، ويخرج أبناؤه مترعمين حركة الهجرة إلى الساحل الغربى لآسيا الصغرى ، ويقيمون المدن الأيونية فيها .

وإذ كان علامة آخر هو فنلى ( M. I. Finley ) قد قدر العصور المظلمة اليونانية ( Skoteinés Aíones ) : Dark Ages بأربعة قرون ، إلا أنه يقرر بأن ظهور معدن الحديد مع الدوربين هو الذى يؤرخ لبداية ميلاد المجتمع اليونانى <sup>(١٢)</sup> . وكذلك يرفض ، رفضاً قاطعاً تلك التسمية المضللة لها ، بالعصور المظلمة ( فى وجود ملاحم بهذا القدر من السمو اللغوى وحبكة الصياغة ، ووضوح الصورة الإنسانية الراقية للكيان الأسمى ) إلا إذا كانت تعنى فقط جهلنا نحن بما كان يجرى آنذاك <sup>(١٣)</sup> .

وإذا كانت الإلياذة والأوديسيا ، بوجه عام ، يوجد بهما العديد من المتناقضات الملحوظة ( Remarkable Paradoxes ) - كما أسماها فنلى <sup>(١٤)</sup> - إلا أن بهما مادة تاريخية يقينية حول المجتمع الذى صورانه وفكر أناسه الذى جاء فيهما . هذا وإن كان تاريخ هاتين الملحمتين الطويلتين ( الإلياذة حوالى (١٦) ألف بيت ، والأوديسيا (١٢) ألف ) ، فى نظر البعض ، لا يخرج عن الفترة فيما بين نهاية القرن (٩) ومطلع القرن (٧) ق. م <sup>(١٥)</sup> . وهما هو أوديسيوس نفسه يعترف - (مخاطباً الشاعر ديمودوكوس) - مما يعنى اعترافاً صريحاً من شاعرنا الأصلى هوميروس - قائلاً : « ذلك لأنك تتشد بالحق المصير الواقعى للأخيين ، وكأنك أنت نفسك كنت حاضراً أو قد سمعت ذلك من شاعر آخر <sup>(١٦)</sup> » .

وهكذا نكون أمام عنصرين هامين من مصادر تكوين هذين العاملين الخالدين ،

لهوميروس (!؟) ، وهما :

١ - الخيال : فيما لم يكن الشاعر معاشراً له ولا يعرف عنه شيئاً .

٢ - الرواية السماعية : عن آخرين .

ولذلك ، نجد أنفسنا أمام واقع محدود للغاية لدور مدينة أثينا والأكروبوليس ، فيما رواه هوميروس في الإلياذة والأوديسيا ، ولا يجد المؤرخ نفسه إلا وجهاً لوجه أمام التراث الشعبي الشفاهي وحكايات الفولكلور اللاحقة .

ولقد جاء ذكر أثينا ( Athenai ) في الإلياذة ، ضمن أسماء المدن اليونانية الأخرى المشاركة في الحرب الطروادية ، أى في كتالوج الحلفاء ، ولكن بطريقة غامضة ، وغير كافية ، وفي إشارات متقطعة الأوصال مع شخصيات أكثر غموضاً ، وأقل شهرة ، فمثلاً :

( أ ) ارتبطت الإشارة الأولى بإريخثيوس<sup>(١٨)</sup> ( Erechtheus ) :

" ὅν ποτ' Ἀθήνη θρέψε Διός θυγάτηρ "

بمعنى : « الذى أرضعته أثينا ، بنت زيوس ، يوماً ».

وهنا نحس إزدياد الغموض غموضاً بتفسير أسطوري آخر ، وكأن الشاعر قد فسر الماء بعد الجهد بالماء !!!

(ب) وجعل هوميروس ثمة علاقة بين أياكس ( Ajax ) ، البطل الآخر المغوار ، وجزيرته سلاميس وبين الآثينيين<sup>(١٩)</sup> ، بالرغم من قوة المشاركة الآثينية بأسطول من السفن يتراوح ما بين ٤٠ - ٥٠ سفينة ، ولا يحتاج الأمر إلى تركية بحرية من سلاميس وبطلها .

(جـ) أما الغموض الأكبر في الدور الآثيني ، آنذاك ( نهايات القرن ١٣ ق. م ، إبان قيام تلك الحرب في أواخر مراحل الحضارة الميكينية ) فقد ظهر في التناقض الرهيب بين إشارة الإلياذة السابقة بأن إريخثيوس هو الذى يقيم فى معبد أثينا :



" καὶ δ' ἐν Ἀθῆνῃς εἶσεν , ἔῃ ἐν πόντῳ νηῶν (٢٠)

بينما أخبرتا الأوديسيا بأن أثينا ( الربة ) هي التي تقيم في قصر اريخثيوس :

« ..... καὶ εὐρυάγυιαν Ἀθῆνῃν , δῦνε

δ' Ἐρεχθῆος πυκνὸν δόμον . » (21)

ولما كنا لسنا بمتخصصين في الأدب اليوناني القديم ، ولا نملك أدواته الآن ولا يهمننا من الموضوع كله سوى ذلك الغموض والإبهام الواضح لدى شاعرنا هوميروس ، حتى وصل الأمر إلى حد التناقض المعرفي (في الغالب ، هنا السماعي) ، حول أثينا الربة ومعبدتها ، فوق الأكربوليس ، ومن تستضيف معها من آلهة أخرى ، فإننا لن نخوض في تفاصيل الأساطير المتعلقة بكل تلك الشخصيات ، الواردة في الإلياذة والأوديسيا ، ويكفينا قول واحد من أهم الباحثين في هذا المجال وهو هوبر ( Hopper ) ، الذي أكد على تلك الملاحظة بالآتي :

«... Athens receives relatively little attention in the Homeric poems» (٢٢).

ولكن القرون تمر ، وتتشكل الوحدة الثقافية اليونانية نسبياً ، ويزودنا هيسود في عملية العظميين « الأعمال والأيام » ، والثيوجونيا ( أنساب الآلهة ) بتفاصيل كثيرة وحكايات أكثر ترابطاً ، ومنها نعرف أن اتصال الربة أثينا بأخرين لم يكن وفقاً على الملك (!؟) إريخثيوس ، بل تعداه إلى بوسيدون ( Poseidon ) ، حتى فوق الأكربوليس نفسه ، ولكن في جهة الغرب منه ، حيث كانت تقيم أثنتان ( أو أربعة ) من فتيات الأسر الأرستقراطية الآثينية للقيام بطقوس دينية غريبة ( !!؟ ) للإلهة أثينا في عيدها ، ويذكرهن الشاعر أريستوفانيس<sup>(٢٣)</sup> ، كذلك الجغرافي المؤرخ بأوسانياس ( Pausanias ) في وصفه عن الأكربوليس<sup>(٢٤)</sup> ، حيث تمت الإشارة إليهن باسم أريفوري ( Arrephoroi ) أو ربما ( Arretophoroi ) ،

بمعنى « حاملات الأشياء السرية » . وكانت أثنتان منهن يقمن بحياكة ثوب تمثال الإلهة ، المعروف باسم البيبلوس ( Peplos )<sup>(٢٥)</sup> .

وتجدر الإشارة إلى أن الربة أثينا ( Ἀθηνά , Ἀθηνῆ ) دخلت بقوة في صراعات ( حفاظاً على استقلال إقليمها وسيادة مدينتها أثينا ) ، ومن بينها - كما ذكرنا مع بوسيدون - وكذلك هيفايستوس ( He phaistos ) وحتى مع العمالقة ، وعلى أرسهم التيتان باللاس ( pallas )<sup>(٢٦)</sup> .

وهنا يثار سؤال منطقي ، وما هي مظاهر قوة هذه الربة على الآخرين وتفوقها وسر بقائها خالدة ومقدسة فوق الأكروبوليس ، الصخرة المقدسة ؟!!! .  
بداية ، يصرح هوبر ، في دراسته الأنفة الذكر<sup>(٢٦)</sup> ، قائلاً :

« In the Iliad and Odyssey, Athena is a power to be reckoned with ,  
neither contemptible like Aphrodite, nor yet childish like Artemis ».

إذن ، كانت أشهر صورة للربة أثينا ، الملحمية ( كما وصلتنا في ملحمتي الإلياذة والأوديسيا ) هي كشخصية معتدلة المزاج ومتزنة ، ليست مثل أفرديتي تثير الإزدراء والاحتقار بسبب ذلالتها الإخلاقية ، ولا هي مثل أرتميس ، في مشاعرها وأفعالها الطفولية ، هنا ومنذ تلك البدايات الأولى لتشكيل الوجدان الأسطوري (العقائدي اليوناني القديم) ، نتعرف على أحد أهم ملامح ومفاتيح شخصية الربة أثينا وأحد أسرار قوتها ، وهو اتزانها العقلي . ومن ثم ، كان طبيعياً أن يكون الاتساق قائماً ومستمراً ، ووارداً في تفاصيل أخرى أسطورية تخص تلك الربة : مثلما الحال ، في اختيار البومة طائراً مقدساً لها ، حتى سميت باسم جلاوكيس Glaukis ، بمعنى صاحبة النظرات ( الثاقبة ) كالبومة<sup>(٢٧)</sup> ، ( انظر لوحة (٥) للعمالات

الآثينية) وكذلك مولدها من رأس أبيها زيوس ، دلالة على العقل والتعقل وإعمال  
الذهن بوجه عام ( انظر لوحة (٥) شكل a, b ) .

وكما ارتبطت الربة أثينا بظهورها متخفية على هيئة طائر البومة ( كما حدث  
في الأوديسيا ) ، كانت هناك سوابق لمثل هذا الاتجاه ، هي أقدم بكثير من تأريخ  
تكوين الأوديسيا ( بالقرنين ٩ - ٨ ق.م ) ، وترجع إلى العصرين والحضارتين  
الأشهر في كريت ( المينوية ) وموكيناى الآخية ، ومن ثم يتبادر - بالحق - إلى  
الذهن سؤال :

وهل ما عرفناه عند الربة أثينا هو امتداد لتراث الأجداد الأقدم ؟

وبكلمات أخرى ، هل خصائص الربة أثينا ، فى ظاهرة التخفى والظهور  
على هيئة أخرى - غير إلهية (٢٨) - ليست حكراً عليها ، ، وكان لها بدايات أقدم  
منها فى العبادة المينوية الكريتية وكذلك الميكينية ؟

لقد كشفت الدراسات الحديثة فى نصوص الكتابة الخطية الثانية ( Linear B )  
عن اسم الربة أثينا مقروناً بصفة محددة ، - حيث يقول هذا النص ( أو السطر ) :  
« a - ta - na Po-ti-ni-ja » (٢٩).

بمعنى : ( الربة ) أثينا السيدة ( أو ) الرئيسة ، وهو المعادل لقبها فى  
اليونان القديم باسم « Πότις Ἀθηναίη » ، بالمعنى نفسه ، وإن كان ذلك يجعلنا  
نستدعى ربة أخرى ، أقدم بالضرورة من أثينا وهى إلهة الثعابين ، تلك التى كانت  
ثعابين منزلية « οἰκουροί ὄφεις » ، التى ، ربما ، كانت الصورة المتخفية  
( فوق أكروبوليس أثينا ) للملك المؤله إريخثيوس ، وليس هذا ببعيد أو بمستبعد أن  
يتم الربط بين ذاك الأقدم من العصر الميكينى ، على تلك الصخرة المقدسة الواحدة ،  
وبين الإلهة الأحدث ، نسبياً ، وهى الربة أثينا ، التى ازدهرت ، فى العصر

الكلاسيكى على أرض العاصمة الميكينية نفسها ، حيث تم الكشف عن معبد لها ، كان قد تداخل مع آثار القصر الميكينى الأقدم .

والمفاجأة الأثرية الأخرى هى الكشف عن آثار لجدران قصر ميكينى فوق الأكروبوليس الآثينى ، وذلك فى الأرض أو الساحة الواقعة بين البارثينون الكلاسيكى وبين الإرخثيون ، وهو الموقع المعروف لدى الأثريين باسم مكتشفه « Doerpfeld Foundation » ، وكذلك الكشف عن بوابة ميكينية ، وسلام موصلة لها ، فى الجزء الشمالى من الأكروبوليس . هذا فضلاً عن اكتشاف جدار آخر ، بمواصفات أحجار البناء فى ميكينى نفسها والمعروفة باسم « Cyclopean or Pelasgic Walls » - فى الناحية الجنوبية من الموقع نفسه ، أى من الأكروبوليس ، وكذلك بقايا قليلة لجدار ميكينى على يمين المدخل الحالى للموقع الأثرى ( tà propýlaia ) ( لوحة (٦) / ب ) ، تقريباً فى مواجهة المدخل الغربى للبارثينون .

ولكن الاكتشاف الأخطر لوجود آثار ميكينية فى المنطقة ، وازدهار أثينا نسبياً ، إبان العصر الميكينى ( ١٦٠٠ - ١١٠٠ ق.م ) هو العثور على مقبرة أميرة آثينية ، فى الجانب الشمالى من تل أربوباجوس ( Areopagus ) - شمال غرب الأكروبوليس على هيئة ربوة صخرية صعبة الصعود حتى اليوم<sup>(٣٠)</sup> (!؟) - حيث وجدت مقابر أخرى ميكينية ، من النوع المعروف باسم « Chamber Tombs » ، وفيها أسلحة ، ورقائق ذهبية ، وآنية . أما معثورات مقبرة الأميرة فكان أهم أثر فيها هو علبة زينة فخمة ( Pyxis ) مصنوعة من العاج ، عليها زخارف لأشكال غزلان وجريفن ( Griffin ) ، مما يؤكد الصناعة والفن الميكينى الأصيل<sup>(٣١)</sup> ، ( انظر لوحة (٤) ) حيث تشاهد الأصل بغطائه المستدير ، ومحفور عليه الموضوع نفسه ، ويؤرخ بالقرن ١٤ ق.م ) .

كما لا حظ علماء الآثار ظهور ظاهرة غريبة فجأة فى بعض الأماكن ، من اليونان القديمة ، واختفائها تماماً فى أماكن أخرى ، ألا وهى عبادة الأبطال ( Hero Cults - ) وخن العلامة نيكولاس كولدستريم ( 31/a ) ( N. Coldstream ) قد رصد

الدليل الأثرى عليها ووجد ذلك فى الفترة الزمنية فيما بين ( ٧٥٠ ) و ( ٧٠٠ ) ق.م ،  
أى فى النصف الثانى من القرن الثامن ق. م ، حيث أشار إلى وجود اهتمام مفاجئ  
من اليونانيين - فى بعض الأماكن دون غيره - بتقديم قرابين للأموات ، فوق مقابر  
قديمة للغاية تسبق أحياء ذاك الزمان بما لا يقل عن ( ٥ ) قرون ؟!!! فلماذا إذن ؟  
وما هو تفسير ذلك ؟

وهنا يقدم لنا هذا العلامة الكبير تفسيراً مقنعاً ، ومبدعاً كما وصفه علامة  
آخر هو سنودجراس ( 31/b ) ( Snodgrass ) ، كالتالى :

بداية ، لا يجب الحديث عن أى شئ يمكن أن يسمى باستمرار العنصر  
السكانى الواحد ، بل على العكس تماماً ، فإن أى إدعاء حول وجود أية علاقة  
وراثية بين من كانوا يسكنون اليونان قديماً ، قبل الغزو الدورى ، ومن جاءوا معهم  
أو بعدهم ، هو مجرد إدعاء كاذب وزائف . لقد أقدم الجدد على عبادة الأموات  
الأقدم ، فى ذاك الوقت بالذات ، لأن المجتمع اليونانى ، آنذاك ، كان قد قرر أن  
يحدد نصيب المشاركة السياسية فى بنائه ، وتحديد مسئوليه على أساس حجم الثروة  
أو الممتلكات من الأراضى ، كمعيار أول مضمون للمواطنة اليونانية ، ومن ثم كلن  
طبيعياً وعاملاً مساعداً - على قدر كبير من الأهمية - لا يجاد وسيلة أو رابطة أو  
أية علاقة من نوع ما ، بين مواطنى القرن ( ٨ ) ق. م والسكان الأقدم ، أهل البلاد  
الأصليين ، أصحاب الأراضى الحقيقيين ، الذين كانت مقابرهم الضخمة ، من  
عصر الأبطال ، مزارات فى عصرهم .

وإذا أردنا نحن كذلك أن نضيف شيئاً فى الاتجاه ذاته ، يمكننا أن نقول لقد  
دخل الدوريون اليونان فاتحين منتصرين ، بالآلاف على عدة أفواج ، ولمدة  
زمنية طويلة ، وأصبحوا أسياداً بحق الفتح ، وبفضل معدن الحديد ، إلا أنهم ظلوا  
قروناً عدة بعيدين عن الاندماج مع الأهالى والسكان الأصليين ، والذين كانوا كذلك  
فى مرحلة ترقب وحذر وإشفاق على مستقبلهم ومصيرهم المجهول ، حتى  
بدأت التلوج تذوب ، بفعل الزمن وتحت ضغط الحاجات اليومية الضرورية لكلا

الطرفين. هنا بدأ المجتمع اليونانى الجديد ( الخليط ) فى وضع ضوابط جديدة لمستقبله الجديد ، حينما ( فى منتصف القرن ٨ ق . م ) ارتضوا أن يكون معيار الأفضلية ، فى الممارسة السياسية ، قائماً على ما يملكه الفرد من أراضى . عندئذ لجأ السكان الجدد ( وبخاصة أحفاد القادمين مع الغزو الدورى ، أى بعد عام ١١٠٠ ق . م ) إلى حيلة بارعة ، وهى إظهار التعظيم والإجلال ، حتى درجة التقديس والعبادة ، لمقابـر الأبطال القدامى ، لإيجاد نوع من الرابطة الاجتماعية توثق بينهم وبين تلك الرموز الأقدم ، صاحبة الأرض الفعلية والأمجاد الحقيقية . وحقاً صدق وصف سنودجراس ( 31/C ) لهذا الإجراء على أنه كان « rustic propaganda – practices » ، وهو ما يمكن أن نسميه بلغة اليوم : « مكر الفلاحين » ، وتظاهرهم بسلوكيات لتمرير مصالحهم بسلام ، أى مجرد « فك مجالس » .

ولقد حاءت المادة الأثرية المكتشفة فى المواقع المختلفة فى اليونان مؤكدة ومدعمة لهذا التفسير السابق ، حيث لوحظ الآتى :

( أ ) جاء توزيع أماكن تلك العبادة ( الأبطال ) موافقاً تماماً مع مناطق كانت فيها - من قبل - مقابر ضخمة من عصر الأبطال ( الميكينى ) ولكنها فى القرن الثامن ق . م كانت قد اختفت ، فاحيا ذكراها السكان الجدد لهدف محدد ، ومن ثم كان كل ما هو مجهول ، آنذاك ، كان له واجب التبجيل : « Omne ignotum pro magnifico » .

( ب ) تغيب هذه العبادة للأبطال ( فى القرن الثامن ق.م ) - كما لاحظ ذلك أيضاً سنودجراس - فى أقاليم مثل كريت ولاكونيا وتساليا ، ( وجميعها بها مناطق زراعية شاسعة ) حيث لا حاجة للفلاحين الأحرار ، والمعتمدين على أنفسهم ، والوارثين لأجدادهم ، لمثل هذا السلوك أو الإدعاء والخداع الاجتماعى .

وهكذا جاءت الربة أثينا ، فى وقت ما فى أواخر العصر الميكينى (!!؟) ، إلى مدينة أثينا ، واستطاعت بطريقة ما ، ولأسباب لا نعرفها ولا يمكن أن نخمنها (!!؟) ، أن تدخل إلى قصر إريخثيوس الميكينى ، وتتواجد جنباً إلى جنب مع المعبودات الميكينية الأخرى ، فوق هضبة الأكروبوليس . ورويداً رويداً بدأت هذه الربة فى كسب احترام المجتمع الآثينى ، الذى أعلاها مكانة ورفعها فوق بقية آلهة المكان .

### ثانياً : بين المعبد والتمثال ( قصة الإلهة أثينا ) :

يلفت نظر الدارس لموقع الأكروبوليس ، فى أثينا القديمة ، ثلاثة أشياء :

الأول : هى تلك البقايا الأقدم الأثرية ، من العصر الميكينى ( وهو ما سبق الحديث عنه ) .

الثانى : هو المعبد القائم ، فعلاً إلى يومنا هذا .

الثالث : وهو تمثال الإلهة المعبودة نفسها ، الربة أثينا ، الذى لا أثر له اليوم على الإطلاق ، إلا فى الإشارات الأدبية والتاريخية لبعض الكتاب الكلاسيكيين .

ولكن من بين ما عُرِفَ لدى الأثريين ، فوق الأكروبوليس ، باسم « Doerpfeld Foundation » ( خلافاً للجدران الميكينية والبوابة ومقبرة الأميرة الآثينية ) كانت هناك آثار جدران لمعبد قديم صغير ، يقع بين البارثينون ومعبد الإريخثيون ، وهو المعبد الشهير ، فى المصادر ، على أنه «المعبد القديم : ὁ ἀρχαῖος νεῶς » ، حيث التمثال الأقدم ، الخشبي المصنوع من شجر الزيتون ، للربة أثينا ، المعروف ، أيضاً فى المصادر ، على أنه « التمثال القديم : τὸ ἀρχαῖον ἄγαλμα » .

ومن المرجح ، فى ضوء اعتبارات فنية خاصة وتاريخية ، أن هذا التمثال القديم ، الخشبي ، لأثينا ، كان تمثالاً جالساً ، من ناحية ، وليس ، كتمثال فيدياس

الشهير من بعد ذلك ، واقفاً ، وحاملاً درعاً ورمحاً ، ولايساً خوذة ، أى كربة  
حامية ، ومن بين هذه الاعتبارات ما يلي :

١ - يُورخُ المعبد بأوائل القرن السادس ق. م ، ومن ثَمَّ يخضع للروح العامة الفنية  
السائدة لتلك الفترة ، فى العالم اليونانى ، بوجه عام ، والمجتمع الآثينى على  
وجه الخصوص .

٢ - شيوع نحت وعمل تماثيل الرجال ، أى الكوروى ( Kouroi ) ، من  
الأحجار ، واقفة ، بينما تتجسد ، فى الغالب ، أشكال النساء جالسة ، ولا سيما لو  
كانت لشخصيات تعبدية ، دينية (٣٢) .

٣ - وجود علاقة بين الربة أثينا ، اللاحقة ، والربة نيكى ( Νίκη ) - إلهة  
النصر - السابقة فيما يخص منافسات أعياد الباناتينايا الفنية وكذلك الرياضية ،  
كما حدث بالفعل ، على أيام حكم ثيموستوكليس ( ٥٢٨ - ٤٦٢ ق.م )  
عندما أصدر مرسومًا - تم الكشف عنه فى البلوبونيز ( فى تريزينا ) - جمَع  
فيه بين الربة أثينا والربة نيكى ، حينما كان  
الشعار « πάντων ἀγῶν ὑπὲρ νύ » بمعنى ( فليكن )  
الآن ، التنافس لصالح الجميع .

ومن ثَمَّ ، لا نتوقع ، حينئذ ، أن يكون تمثال الربة أثينا منذ حوالى منتصف  
القرن ٦ ق.م وحتى نهايته ( وبالضرورة حتى فيما قبل عام ٤٩٠ ق.م ) ، كإلهة  
حامية ( πρόμαχος ) ، بل ربما ، فقط ، كما تصوّرُها  
العملات الآثينية المبكرة لسيدة راعية لسباقات الاحتفالات السنوية أو كل (٤)  
سنوات فى أثينا .

ويبدو أنه كان هناك بناء لمعبد ما ، فى الفترة فيما بين ٤٩٠ و ٤٨٠ ق.م فى  
الجزء الجنوبى من الصخرة المقدسة للأكروبوليس ، إلا أن الغزو الفارسى لأثينا



فى ٤٨٠ ق.م ووصولهم إليها ، جعل الآثينيين يهربون إلى سفنهم حاملين معهم ، على الأرجح ، تمثال الربة أثينا الخشبي ( τὸ ξύλον ) . ومنذ تلك اللحظة ، لا يدرى أحد مصيره ، بعد أن عاد الآثينيون إلى مدينتهم عقب انتصارهم المدوى على الفرس ، فى سلاميس . ولكنه أيضًا ، بعد أن كان الفرس قد أحرقوا ودمروا معظم آثار الصخرة المقدسة كما وصفها لنا هيرودوت بأسى شديد (٣٤) . وظل الحال على ما هو عليه أمداً طويلاً وأشلاء الأكروبوليس متناثرة على سطحه وجنبااته ، حتى جاءت لحظة الوفاء بالعهد الذى قطعه الآثينيون على أنفسهم عشية انتصارهم ، ببناء معبد وإقامة تمثال للربة الحامية أثينا ، مع منتصف القرن (٥) ق.م . وها هو نقش ، عثر عليه ضمن آثار الأكروبوليس المبعثرة ، كدليل على بداية الوفاء بالنذور لإلهة المكان ، يقول :

« φαρθὲνε ἐν ἀκρόπολει Τελεσίνοσ  
ἄγαλμα ἀνέθεκεν  
Κέτιος τοῦ χαίροσα δίδοίς ἄλλο ἀναθεῖναι »

بمعنى : « يا أيتها العذراء ، فوق الأكروبوليس ، إن تيليسينوس الكيتى (٣٥) ، قد أهداك تمثالاً ، آملاً أن تمنحيه ( خيرائك ) بحبور ولسوف يهديك تمثالاً آخر . »

ومن هنا ندرك سيادة الربة أثينا على أمور الديانة والعبادة فوق الصخرة المقدسة ، وامتداد تلك الهيمنة الإيمانية لها خارج حدود مدينة أثينا نفسها ، وانتشارها فى كل إقليم أتيكى ، وذلك بشهادة المؤرخ والجغرافى باوسانياس (٣٦) .

وهنا ، أيضًا ، يمكننا أن نعود إلى سابق سؤالنا عن مظاهر ومبررات تلك السيادة الدينية ، التى منحها لها المواطن الآثينى القديم ، على الأقل ، فيما بعد النصر على الفرس ٤٧٩ ق.م ، وإن كان الأمر لا بد وأن يرجع - كما سبق أن ذكرنا - إلى جذور أسطورية أيضًا .

وتؤكد السيدة إدنا هوكر ( Edna M. Hooker ) فى مقالة صغيرة لها (٣٧)، على أن سيادة الربة أثينا جاءت من قيامها ، فى المقام الأول والأقدم ، بدور حامية للطفل المقدس ( الإلهى ) ، متمثلاً فى رعايتها هى - كما تقول الأسطورة - لابن الإله هيفايستوس ، وهو إريخثونيوس (٣٨) ، ويبدو أن شيوع تلك الأسطورة كان عظيماً ، والإيمان بها قوياً ، إبان القرن (٥) ق.م ، بدليل المادة الأثرية الكثيرة التى تصور على الآنية الأثينية وغيرها ذلك الموضوع بتكرار كبير ، كأحد الموضوعات المحببة إلى قلوب الرسامين فى ذلك الوقت (٣٩) .

وإذا كانت أسطورة أو ، بالأحرى ، الأساطير الخاصة بتربية وتنشئة بعض الآلهة ، أمثال ديونيسوس (٤٠) ( Dionysos ) وزيوس (٤١) ( Zeus ) تروى أنها قد تمت فى السر على أيدى بعض المربين خوفاً من أعدائهما ، فإن الربة أثينا نفسها ، قد ظهرت فى بعض تلك الأساطير ، كمرية وحامية لكثير من الأبطال الصغار وفى ظروف مشابهة ، ولكن ارتباطها وصلتها بمدينة أثينا ، والأكروبوليس على وجه التحديد ، كانت لصيقة جداً ، وكانت مظاهر وجودها وعلامات ألوهيتها أى الـ (Tokens)، المصاحبة لأولئك الأطفال تتمثل فى :

( أ ) شال ، يلف به الطفل ، وعليه تطريز وحياسة تمثل شكل الـ آيجيس (٤٢) :  
« Aegis » ، صديرية لصدر الربة برأس الجورجونا (٤٣) فى وسطها .

(ب) ميدالية على شكل ثعبانين .

(جـ) إكليل من أوراق شجرة الزيتون المقدسة للربة .

ويبدو أن كاهنة الربة أثينا كانت حريصة كل الحرص ، على أن يعرض على النساء ، حديثى الولادة ، ذلك الشعار الرسمى ، والعلامة المقدسة لها وهى الـ آيجيس ( Aegis ) ، وهى هى نفسها تلك الأشياء التى حملتها طفلتان صغيرتان من الأكروبوليس ( ضمن شعائر وطقوس احتفال الربة ) ، المدعوتان أرفورى ( كما ذكرنا من قبل فى هامش ٢٥ ) مثلما جاء بغموض شديد عند

باوسانياس (٤٤) من بعد ذلك بقرون طويلة ، حينما أصبح مثل ذاك الطقس - فى القرن الثانى الميلادى - أثراً بعد عين (!!!؟) .

ولما كنا لسنا من هواة الإغراق فى الحوادث والروايات والأساطير ، كما فعل بعض الدارسين الذين أجهدوا أنفسهم - دون طائل - فى روايات الماضى السحيق الغامضة ، فإننا - على النقيض - نميل إلى تحليل وترجيح هوكر (٤٥) الذى قدمته لتعبير « τὴν δὲ μοῖραν » ، على أنه ، على الأرجح ، (حيث لا يمكننا أن نكون على يقين) لا يخرج عن تلك العلامات والشارات الرسمية للربة أثينا ويجسد حرص كهنوتها على أن ترتبط باستمرار ، وفى كل عام ، بالطفل الملكى القادم ، أى بولى العهد الحاكم على المدينة ، وأن تكون هى صاحبة الفضل ( كما كانت فى الماضى البعيد) فى تربيته وتنشئته . وهنا نلمس المغزى السياسى ، البعيد النظر ، لسيادة الربة أثينا ، فوق الأكروبوليس ، والذى أكدته الأساطير ، منذ بداية حضورها إلى تلك الصخرة المقدسة وارتباطها بالطفل إريخثونىوس ، وهنا أيضاً نتأكد من ذكاء المعالجة ، والحرص على الاستمرار ، من كهنوت واع وفاهم لقواعد اللعبة السياسية فى أثينا القديمة ، وهو وضع تعكسه عبارة أرسطو نفسه ، التى تقول : « إنها قلعة ( ويقصد الأكروبوليس ) تناسب حكم الأقلية ، وحكم الرجل الواحد ، وأرض ممهدة للديموقراطية (٤٦) » مما يزيدنا يقيناً حول الدور السياسى المؤثر والفعال لساكنى تلك القلعة من الأحياء أو الآلهة . وهكذا أمكننا أن ندرك - بسهولة ويسر وفق ظروف ومتطلبات ذاك العصر - مدى الأهمية السياسية فى تنشئة ولى العهد القادم وتربيته فى أحضان الربة الحامية والكهنوت الملتزم الحامل لكل عناصر الحماية الإلهية والطبيعية :

( أ ) فوق ربوة مقدسة قوية بطبيعتها الصخرية .

(ب) وفى أحضان ربة عذراء تستفر كل أدوات الدفاع وعناصر البطولة الذكورية: الدرع، والرمح، فضلاً عن قوة أسطورية لها عمق الماضى وخيالات التراث الإيمانى، متمثلة فى رأس الميدوسا القائلة ، ناهيك عن الثعابين الفتاكة.

(جـ) وفي كنف بنات عذراوات ، من الطبقة الارستقراطية ، يشرفن على راحته وتنقيفه ورعايته حتى يصل إلى مرحلة الرجولة .

فهل كان هذا الدور ، في مكان العبادة الرسمية ، أقل من مثيله في حماية ورعاية الملك الحاكم نفسه ؟!!! كلا ، فالنشاطان حيويان ، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما دون الآخر ، حتى يضمن الحاكم ، وكذلك المجتمع الأثيني كله ، نقل السلطة، في المستقبل ، دون انقطاع ، وبطريقة سلسلة دون اهتزاز ، ومن ثم يضمن الجميع الاستقرار اللازم لكل نجاح في أى مجال من مجالات الحياة .

ولعل في حماية ورعاية الربة أثينا للأطفال الذكور ، حكام المستقبل ( منذ نعومة أظفارهم وطاقمهم وحتى بلوغهم سن الرشد ، ما يفسر وصفها بصفة « باللاس » ( Pallas ) ، والمأخوذة ، بالضرورة ، من لفظة «باللاكس » (Pallax)(٤٧) ، وهو ما عرفتة هوكر(٤٨) بأنه ( Indeterminate of Sex ) جريا وراء التشبيه بما كان يفعله ، في أساطيرهم ، ديونيسوس ، وأخيليوس وثيسبيوس ، حينما لبسوا الزى النسائي ، كالبنيات وذلك لدواعي الأمن والسلامة الذاتية ، إبان مرحلة شبابهم ، ففعلت هي العكس ، وتشبهت بالشباب ، في قوتهم وأدوات تسليحهم ، وكانت الأسطورة الخاصة بها حريصة على هذا الملمح ، منذ البداية ، فجعلتها ، مثلاً ، تولد من أبيها مباشرة ، وقط ، وليست كأية ولادة طبيعية !!! ومن ثم كانت ( ἄθηλη ) ، أى ليست بالمعنى المعتاد ، وفُضِّلَت حياة المغامرات الحربية ، ونبذت الزواج ، وظلت عذراء ( παρθένος ) .

ثالثاً : بين النحت والنحاتين :

إنه لمن أشد الأمور غرابة في موضوع بناء البارثينون أننا لا نعرف تفصيل محددة عن هذا العمل العملاق ( بمعيار زمانه ، ومعيار إمكانات أثينا الشحيحة ) من مصادر معاصرة لتلك الفترة .

والحقيقة أنه لدينا (٣) ثلاثة مصادر قديمة أساسية ، تحكى لنا طرفاً من موضوع بناء البارثينون .

أولها : ( وأكثرها مصداقية ومباشرة ومعاصرة ) ، عبارة عن نقش ، به فجوات كثيرة عن إحدى سنوات البناء وتكاليفها ، والمشرفين عليها<sup>(٥٠)</sup> .

ويلاحظ على هذا النقش ما يلي :

( أ ) يبدأ بتحديد العام<sup>(٥١)</sup> ( زمن الإنفاق ) .

(ب) يذكر ، بعدها مباشرة أسماء الخمسة مشرفين ( epistatai ) المعيّنين لمتابعة تنفيذ الأعمال المحددة من قبل المهندسين والنحاتين .

(جـ) تم تقديم مساعدات مالية كبيرة من خزائن وصناديق معابد مثل مبلغ : ٩٥,٨٢٢ دراخمة من خزائن الربّة أثينا ، وكذلك مبلغ ( غير معروف ) دراخمة من خزائن الرب هيفايستوس ، من منطقة لاوريون ( Laureion ) حيث مناجم الفضة . هذا فضلاً عن مساعدة بمبلغ ٤٢,٦٧٥ دراخمة و(٥) (خمس أوبولات) من الخزانة العامة الهيلينية، المعروفة باسم (Hellenotamiai) .

( د ) ضرورة ذكر سكرتارية كل خزانة في عامها هذا ، باسم المسئول عنها ، مثلما الحال في النقش السابق الذكر ، حيث ورد اسمان لشخصين هما : لأكياديس ( Lakiades ) ، عن خزائن أثينا ، وكذلك إرجوفيلوس (Ergophilos) عن الخزانة الهيلينية العامة .

وثانيها : وصف حي للأعمال القائمة في عهد بيريكليس ، صاحب الفضل في إنجاز مشروع وبناء البارثينون ، وعلاقة هذا الحاكم النشط الطموح لأثينا ، آنذاك ، بالمهندسين والفنانين ( النحاتين ) ، وذلك عند بلوتارخوس ، الذي لم يعطنا، للأسف ، تفاصيل دقيقة عن المشروع<sup>(٥٢)</sup> .

وثالثها : إشارة محددة من فيتروفيوس<sup>(٥٣)</sup> ( Vitruvius ) إلى نقش حجرى، على البارثينون ، منسوب إلى كل من إكتينوس ( Iktinos ) وكاريون ( Karpion ) ، دون توضيح شاف إلى مسئولية كل منهما فى إنجاز المشروع المعماري العملاق<sup>(٥٤)</sup> .

هذا وإن كانت رواية الجغرافى المدقق باوسانياس<sup>(٥٥)</sup> ( Pausanias ) ( من القرن الثانى الميلادى ) هى أكمل وأوضح سرد لأدوار كل من المهندسين والنحاتين، وبخاصة فيدياس .

وتجمع المصادر والدراسات الحديثة<sup>(٥٦)</sup> على أن إنجاز ذاك المشروع مر بعده مراحل ، ولم يكتمل إلا بعد مرور خمسة عشر عامًا من تاريخ البداية الفعلية فى إعادة بناء وإعمار الأكروبوليس ، عام ٤٧٠ ق.م وهذه المراحل يمكن إيجازها فى عدة نقاط كالتالى :

١ - أخذ موافقة الجمعية الشعبية الآثينية ( البولى ) كخطوة أولى لإقرار المشروع والالتزام بالتعهدات الواردة معه من تمويل وإشراف .

٢ - تحديد مهندس وكبير نحائى المشروع ، باستحضار كل من فيدياس ، من عمله فى تمثال الرب زيوس فى أولمبيا ، وكذلك إكتينوس ، من عمله فى معبد الرب أبو للون ، فى إقليم باساي ( Bassai ) فى محافظة أركاديا بوسط البلوبونيز ، والذى اختار مهندسًا من أثينا ، فى الغالب ، هو كاليكراتيس ، كرفيق عمل تنفيذى .

٣ - ضرورة تحديد مسافة ومساحة الإنشاء للمعبد الجديد ، والاستفادة القصوى من امتدادات الأساسيات القديمة للمعبد الأقدم فوق الموقع : سطح واسع ضخم بمساحة ٧٣ × ٢٢٠ قدمًا ، ومواقع لإنشاء جدار خارجى من الأعمدة (بيرستيليو Peristelio) تعداده ٦ × ١٦ عمودًا ، كما كان قائمًا ، وتحوير

ذلك إلى سطح  $102 \times 229$  قدمًا ، وعمل السور الخارجى الدائرى من عمد (Colonnade) أو البريستيليو ، كما ذكرنا من قبل ( ليتكون من  $8 \times 17$  عموداً ) انظر / لوحة a,b/v ) .

٤ - أما مراحل العمل والتنفيذ نفسه ، عامًا بعام ، وخطوات الإنجاز ، فيمكن إيجازها كالتالى :

### المرحلة الأولى : وضع الأساسات :

السنة الأولى ( ٤٤٧ / ٤٤٦ ق.م ) : تم دفع أجور قاطعى الأحجار ، والحمالين والفنيين ومساعدتهم .

السنة الثانية : ( ٤٤٦ / ٤٤٥ ) : تم قطع الرخام من مضبة بنديلى Pendeli ونقله إلى الأكروبوليس .

السنة الثالثة : ( ٤٤٥ / ٤٤٤ ) : تحديد مكان قدس الأقداس ( Cella ) وجدرانه السفلى وحوائطه العليا .

### المرحلة الثانية : الارتفاع بالمبنى فوق مسطحه :

السنة الرابعة : ( ٤٤٤ / ٤٤٣ ) : تم شراء العروق والكمرات الخشبية الضخمة ، والتي تتحمل رفع كتل حجرية وصلت ، بعض أوزانها ، إلى (١٥) طنًا . وهنا يلاحظ إعادة استخدام بعض أبدان الأعمدة الأقدم ، السليمة ، والمتبقية فى الموقع نفسه ، من المعبد الأقدم للربة أثينا .

السنة الخامسة : ( ٤٤٣ / ٤٤٢ ) : استمرار العمل فى رفع الكتل الحجرية وبناء الجدران الداخلية .

السنة السادسة : ( ٤٤٢ / ٤٤١ ) : بداية العمل فى الأعمدة ، وتحديد مواقعها .

السنة السابعة : ( ٤٤١ / ٤٤٠ ) : استمرار العمل .

السنة الثامنة : ( ٤٤٠ / ٤٣٩ ) : تم دفع أجور عمال اليومية ، وإقامة أبواب المعبد فى أماكنها .

السنة التاسعة : ( ٤٣٩ / ٤٣٨ ) : تم شراء العاج اللازم لتمثال الإلهة أثينا ، وتم دفع أجور حرفى السبائك والمعادن الذهبية والفضية كما تم الاتفاق على الأعمال الخشبية لبقية الأبواب وكذلك الأسقف الخفية . وكذلك تم الاتفاق على مقاوله الأعمال الحجرية وتجهيز أجزاء الأعمدة وتسوية أسطحها .

السنة العاشرة : ( ٤٣٨ / ٤٣٧ ) : تمت إقامة ورفع تمثال الربة أثينا فى مكانه من المعبد كاملاً ، فى ضوء شراء كمية كبيرة من الذهب ، مما يؤكد الانتهاء من عمل قاعدة التمثال وكذلك داخل المعبد . ولكن كانت الأقاريز لا تزال على الأرض ولم يتم رفعها إلى أماكنها .

### المرحلة الثالثة : استكمال نحت الأقاريز :

وكانت الهيئة المشرفة الخماسية قد دفعت ، بالفعل أجور عمال المحاجر لقطع كتل الرخام اللازم لنحت لوحات الإفريز الرئيسى ، فى واجهتى المعبد الشرقية والغربية ، ولكل مراحل حملها ونقلها ورفعها حتى أعلى تل الأكروبوليس .



الحادية عشرة : ( ٤٣٧ / ٤٣٦ ) : تم شراء كمية أكبر من العاج، وعمل عربات نقل بعجلات خشبية وذلك خصيصاً لنقل الكتل الحجرية الضخمة إلى حيث أماكن رفعها في مواضعها المحددة لها في البناء الرئيسي، ويبدو أن هذه العربات تم بيعها للمشرفين (epistatai) على بناء مدخل البارثينون ، المعروفة باسم «τὰ προπύλαια» ، والتي كان العمل قد بدأ فيها في ذاك الوقت .

السنة الثانية عشرة ( ٤٣٦ / ٤٣٥ ) : تم شراء زوج من أدوات الرفع (ويبدو أنهما كانا مستعملين ) كما استمرت عمليات قطع الأحجار ، ونقلها ، وظلت أعمال النحت وعمل التماثيل مستمرة .

السنة الثالثة عشرة ( ٤٣٥ / ٤٣٤ ) : استمر العمل في كل المجالات ، دون إنجاز محدد .

السنة الرابعة عشرة ( ٤٣٤ / ٤٣٣ ) : استمرار أعمال قطع الأحجار والرخام ، من محاجرها ، وحملها ونقلها إلى موقع العمل ، ورفعها إلى التل ، فضلاً عن استكمال أعمال النحت وعمل لوحات التريجليف ( τὰ τριγλύφα ) .

السنة الخامسة عشرة ( ٤٣٣ / ٤٣٢ ) : تم الانتهاء من كل أعمال النحت ، وتم وضعها في أماكنها ، وتم تزيينها ، بالذهب والألوان الأخرى ، وبخاصة شعور التماثيل ورؤوسها ، وبعض ملامحها وملابسها .

ولنا بعد ذلك التفصيل الكامل لإنجاز كل عام ، أن نشير إلى بعض الملاحظات العامة والأخبار المتفرقة التي وصلتنا من خلال بعض المصادر المبعثرة، والتي تؤرخ في الغالب ، لسنوات طويلة لاحقة .

١ - كان عدد عمال المحاجر ، في بنديلى ( Penteli ) ، لقطع كتل الرخام المطلوب ، بالمقاسات المحددة ، لا يزيد ، فى أى وقت عن خمسين (٥٠) ولا يقل عن (٣٠) ثلاثين .

٢ - تم التغلب على مشكلة انزال الكتل الرخامية ، سليمة دون أذى ، من أعلى الجبل وحتى السهل ، بعمل ممر ممد ، تحمل من خلاله تلك الكتل ، على عدة مراحل ، وذلك فوق زلاقات خشبية ( Rollers or sledges ) .

٣ - كانت عمليات نقل كتل الرخام الضخمة تتم بواسطة أعداد كبيرة من البغال والبقر ، وبخاصة خلال شهرى يوليو وأغسطس ( لأنهما أقل شهور العام رطوبة ) ، طبقاً لمصادر لاحقة من القرن (٤) ق. م ، من إقليم إليوسيس<sup>(٥٧)</sup> .

٤ - كان العمال الذين يعملون فى الموقع ، فوق الأكروبوليس فى بناء البارثينون ، ينقسمون إلى (٣) ثلاث مجموعات :

الأولى : عمال المحاجر .

الثانية : الحمالين والسائقين .

الثالثة : الفنيين والفنانين .

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد ذكر لأى من هؤلاء فى سجلات المشروعات ، فلم نعرف كم كان عدد هؤلاء ، ولا ماذا كانت أجور كل واحد منهم .

ولكنه ، مع ذلك ( وفى ضوء مصادر أخرى وثيقة الصلة ) يمكننا إيجاد بعض الإجابات المحتملة لبعض الأسئلة ، كما عرفنا من قبل .

هـ - لقد كانت فئة الحجارين الفنيين واحدة من أهم جماعات العمل الدائبة فى المشروع ، وليس ببعيد أن يكون سقراط ( كنحات أثينى مقيم ) واحد منهم ، ضمن مجموعة صغيرة من هؤلاء النحاتين المهرة الذين عملوا فى كل مكان من البناء العظيم . وليس أدل على ذلك من ذكر وثائق الإرخثيون وحوليات<sup>(٥٨)</sup> ( ٤٠٨/٤٠٧ ق.م ) ، من أن جماعة من ( ٤ ) إلى ( ٥ ) نحّاتين كانت تقوم وحدها ، فى آن واحد وفى كل الجوانب ، بعمل التجويفات الطويلة للأعمدة (Flutes)<sup>(٥٩)</sup> ( انظر لوحة a(v) ) .

أما أشهر وأهم أعمال النحت والتماثيل فى البارثينون فهى كالتالى :

( أ ) تمثال الربّة أثينا ( Athena ) العذراء ( Parthenos ) :

لقد ظل الارتباط وثيقاً بين المعبد وتمثاله طيلة قرون عديدة ، بعد منتصف القرن الخامس ق.م ، حتى أن أحدهما كان يذكر فىنصرف الذهن سريعاً ، وبالحق ، إلى الآخر ، ومن هنا جاء تخليد مكانة فيدياس ( Pheidias ) النحات الذى أخرج هذا التمثال ( الذهبى - العاجى ) إلى النور ، عام ٤٣٨/٤٣٧ ق.م<sup>(٦٠)</sup> .

هذا ، ( وبالرغم من عدم معرفتنا لمصدر معلومات بلوتارخوس حول حقيقة هذا الخبر ) فإن الإشارة التالية تؤكد على المكانة العالية والمسئولية الكاملة الشاملة لكل الأعمال النحتية وصناعة التماثيل واللوحات الجدارية داخل وخارج البارثينون من قبل فيدياس ، وفق الاتفاق المبرم بينه وبين القائد والحاكم الأثينى بيريكليس ( Perikles ) . وهذه الشهادة تقول :

« لقد تمت مناقشة كل الأعمال ( التشكيلية ) معه ، وكان فيدياس هو المشرف العام له ، بالرغم من وجود مهندسين عظام وفنانين لهذه الأعمال »<sup>(٦١)</sup> .

وإنه لمن المؤكد ، فى ضوء إتساق الخطوط التشكيلية فى تماثيل البارثينون ، أن التعاون والتشاور والالتزام بمنهج واحد فى النحت ، كان هو الروح السائدة بين

فيدياس والمهندسين والنحاتين الآخرين ، ولا سيما كاليكراتيس ( Kallikrates ) وإكتينوس ( Iktinos ) علمًا بأننا لا ندرى يقينًا عما إذا كان فيدياس قد شارك بالفعل في نحت الأعمال التشكيلية الأخرى داخل البارثينون.

وكذلك فإنه من اللافت للنظر لأي باحث أن كل الأعمال النحتية والزخرفية في البارثينون (خلافًا لأقرب مثال في الزمان والشكل وهو معبد زيوس في أولمبيا) جاءت لتكرس عبادة وتقديس وحماية الربة أثينا على الأكروبوليس في أثينا .

أما عن التمثال نفسه ، الشهير بلقب ( Khrysoelephantinon agalma )  
«Χρυσοελεφαντίνον ἄγαλμα»  
فجاءت أوصافه في المصادر اللاحقة كما يلي :

- ١ - كان ارتفاعه ( ٤٠ ) قدمًا ، أى حوالى عشرة أمتار (١١٢) (٦٢) .
- ٢ - وكان جسم التمثال نفسه عبارة عن قلب ( Core ) من قطعة خشب كبيرة ، فضلاً عن تشكيل معدنى ، وفخار ، وجبس ( وذلك للصق المكونات ) ، وفوق كل ذلك طبقة خارجية من الذهب ، لتزين الزى والملبس ، بينما كان العاج لتزين ما ظهر من جلد التمثال وبشرته .
- ٣ - كانت طبقة الذهب قابلة للإزالة (٦٣) ، وإعداد التركيب كما كانت من قبل .
- ٤ - النماذج الموجودة للتمثال ، حتى الآن ، هى تلك التى تمت عقب ترميم الأصول الأقدم ، وبخاصة بعد إصلاح الزى وتقليده فى قوالب أصلية من الفخار ، كتلك التى تم العثور عليها للإله زيوس فى أولمبيا مؤخرًا .
- ٥ - التمثال يقف وقفه تقليدية لتمثيل العصر الأرخايقى ( archaic ) ، بصورة أكثر رسمية عما عداها من التماثيل لتلك الفترة ( انظر لوحة ١ ) ، ناظرًا أمامه ، لابسًا على رأسه خوذة حربية مرصعة ومزخرفة ببذخ ، وعلى صدره ( فوق القميص الأصلي ، الـ « بيبلوس » ( Peplos ) ، درقة الأيجيس (٦٤)

(Aegis) ، المستقرة على صدر الربة أثينا وفي وسطها رأس ميدوسا<sup>(٦٥)</sup>  
(Medusa) .

٦ - يوجد ثعبان كبير<sup>(٦٦)</sup> ، يقف على ذيله ورأسه في مواجهة الناظر ، في  
المساحة بين ساق الربة الأيسر والدرع الذي تمسكه بيدها اليسرى .

٧ - ويوجد موضوع أسطوري ، وهو مولد باندورا في حضور الآلهة ، فوق  
مقدمة القاعدة ، كما عرفناه من نسخ مقادة للأصل ، ولكن تؤرخ بالعصر  
الإمبراطوري الروماني .

٨ - كما تم نحت موضوع الصراع ( الحرب ) بين اليونان والأمازونات<sup>(٦٧)</sup> ، نحتاً  
بارزاً ، على واجهة الدرع ، بينما تم رسم حرب الإلهة مع العمالقة ، على  
سطح الدرع الداخلي ، وهو أحد ثلاثة موضوعات الأكثر شهرة للمعارك  
الأسطورية ، ونقصد ذلك المعروف باسم « جيجانتوماخيا »  
(gigantomachia) .

(ب) الميتوبات<sup>(٦٨)</sup> ( Metopes ) :

١ - عدد هذه الألواح التشكيلية ، إجمالاً ، هو ٩٢ لوحة ، وذلك في الواجهة  
الخارجية للمعبد ، في الجهات الأربع ، وجميعها تم نحتها بطريقة النحت  
البارز ، كما تم تلوينها ، وكانت ، في حجمها ، تساوي حوالى ثلثى الحجم  
الطبيعى لأشخاصها وموضوعاتها .

٢ - كانت أرضيات الألوان المستخدمة ، لهذه الميتوبات ، الأحمر أو الأزرق ، مع  
علاقات لها للتثبيت على الجدار ، مصنوعة من معدن البرونز .

٣ - لا تزال ميتوبات الجهة الشرقية والغربية في أماكنها ، حتى الآن ، بينما  
تعرضت اللوحات الأخرى للسرقة ، أو الدمار ، أو التشويه لأسباب  
عديدة<sup>(٦٩)</sup> .

٤ - تمثل مجموعات الأشكال المنحوتة ، فى الغالب ، صراعًا ومواجهات : فى الواجهة الشرقية ، هناك بالتأكيد ، صراع بين الآلهة والعمالقة ، بينما فى الواجهة الغربية ، يوجد على الأرجح ، صراع بين اليونانيين والأمازونات .

٥ - من بين القطع الباقية ، فى أقصى الطرف للواجهة الغربية ، لوحة ( ميتوب ) بدون رؤوس ( انظر لوحة ١٠ ، شكل / a ) لسيدتين ، إحداهما جالسة على صخرة ، والأخرى واقفة أمامها ، وفى الغالب هما شخصيتان لإلهتين على درجة عالية من الجمال ، تظهر من رقة وفخامة ملابسهما .

٦ - أما ميتوبات الواجهة الجنوبية فهى تصور حروب الكنتورات ( Centauromachies ) .

٧ - يتضح تصوير الحركة ، فى لوحات البارثينون ، ( وقياسًا على شبيهاها فى معبد زيوس بأولمبيا ، بأسلوب أكثر تعقيدًا ، وأكثر تفصيلاً فى طيات العباءة اليونانية الفضفاضة الكبيرة .

(جـ) البديمنت (٧٠) ( أو / الأيتوما : Aetoma ) :

وكان الجغرافى المؤرخ باوسانياس قد سجل لنا موضوعات الواجهتين ، الشرقية والغربية ( ta aetomata ) ، ولولا ذلك ما أستطاع الدارسون التكهّن بتفسير بقايا تلك اللوحات .

١ - فى الواجهة الشرقية ، تم تصوير مولد الربّة أثينا ، وهى الرواية التى حكى لنا أطرافها الشاعر هيسيود ، كما صورتها لنا رسومات على آنية وألواح من قبل بناء البارثينون نفسه ( قارن / لوحة (٥) ، شكل (a) و (b) .

٢ - وحول شخصية الفرد الممدد على الأرض ( انظر لوحة ١١ / شكل / a )  
اختلف الأثريون : فاعتبره البعض ثيسيون ، والبعض الآخر هيراكليس ، بينما

هناك شبه إجماع على أنه ديونيسوس (Dionysos) (٧١) ، إله الشراب والخمر واللذة والمجون .

٣ - ومن أروع منحوتات هذا الجمالون الشرقي ، تمثالان لسيدتين : (بدون رأس) إحداهما جالسة ، والأخرى ممددة مرتكن على الأولى الجالسة ، ويرجح الأثريون أنهما الربة أفروديتى (Aphrodite) وأمها ديونى (Dione) ، يرتديان زياً ثرياً جداً ، ويعكسان حيوية أنثوية لجمال طاغ ( انظر لوحة ١٠ شكل / b ) .

٤ - ولكن بقايا الواجهة الغربية فقد أصابها الدمار أكثر مما لحق بمثيلاتها الشرقية، ومع ذلك فإننا نعرف الكثير عن موضوعات تلك اللوحات ، من مصدرين .

( أ ) باوسانياس ووصفه لصراع أثينا مع بوسيدون حول السيادة على أرض إقليم أتيكى ( Attike ) .

(ب) ما قام به الرسام جاك كارى ( Jacques Carrey ) قبل (١٠) أو (١٥) عامًا من وقوع الانفجار فوق الأكروبوليس عام ١٦٨٧م ، وحفظه لأماكنها وموضوعاتها فوق البارثينون .

٥ - تتمركز شخصيتا الإلهتين : الربة أثينا والإله بوسيدون ، فى وسط الجمالون ، بحجم أكبر من كل ما عداهما ، وبينهما شجرة الزيتون ( الشجرة المقدسة ومظهر إعجاز أثينا ) ، وربما معها الثعبان ، وكذلك تمثال صغير للربة نيكى ( Nike ) ، إلهة النصر (٧٢) .

## نتائج البحث

أولاً : كان للصخرة المقدسة ( الأكروبوليس ) تاريخ أقدم ، واعتبار قديم لدى الآثنيين ، ( فيما قبل العصر الكلاسيكى ) يرجع إلى العصر الميكينى ، حوالى عام ٤٠٠ ق.م .

ثانياً : التراث الآثينى بخاصة ، واليونانى بعامة ، يخلد وجود الربة أثينا ، فى رسومات وأساطير ، يرجع تاريخها إلى ما قبل العصر الكلاسيكى نفسه ، أى قبل بناء البارثينون ، كأعظم صورة من صور تكريم الآثنيين لها فى تاريخهم القديم .

ثالثاً : استطاعت الأساطير فك طلسم وجود الربة أثينا ، فوق الأكروبوليس ، جنباً إلى جنب مع الآلهة الأقدم ، مثل إرخثيوس ، فألحقت بها رموزه المقدسة ، وأصبحت هى وحدها ، الحامية للمدينة وقلعتها ، والحارسة لكل السلطة الحاكمة فيها ، على ربوتها التاريخية .

رابعاً : بناء البارثينون ، فى أفخم وأكمل وأروع صورة ( بالرغم من تكلفته الكبيرة وطول مدة البناء ) جاء تكريماً للربة أثينا ، وإعلاء لمكانة أثينا والآثنيين السياسية الرائدة بين بقية اليونانيين .

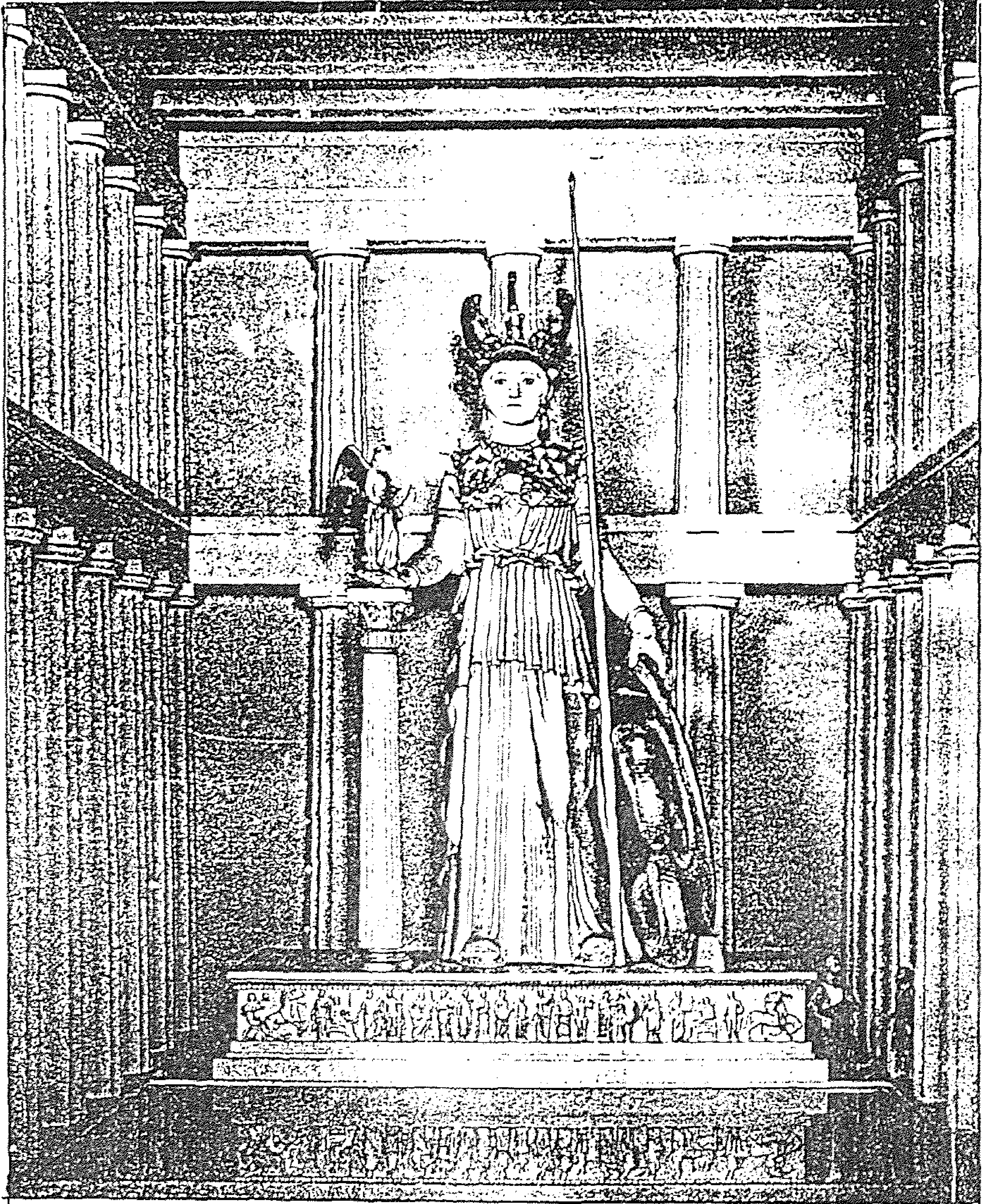
خامساً : قدرة الفنان الآثينى : المهندس والنحات ، على التعامل،بدقة متناهية وتمكن ملحوظ ، مع الأحجار الصلبة ، للتعبير عن طراوة الجسد الأدمى ، وحيويته، وتوظيف الشكل المعمارى فى أفضل صورة .

سادساً : تمكن الإيمان بالآلهة فى قلوب اليونانيين ، على الأقل حتى ذاك النصف الثانى من القرن (٥) ق.م ، وتكريس كل تلك الميزانيات وحجم الأعمال ، على مدى (١٥) عاماً ، وإيمان القيادة السياسية بأهمية المشروع ، والإصرار على إنجازه .

سابعاً : التمكن للفنى العظيم من أدوات النحت وخاماته: الخشب، والعاج، والذهب ، بين أيدى بعض الفنانين الموهوبين وشهرتهم فى كل أرجاء اليونان .



## لوحة (١)



*Photograph by courtesy of the Royal Ontario Museum, Toronto*

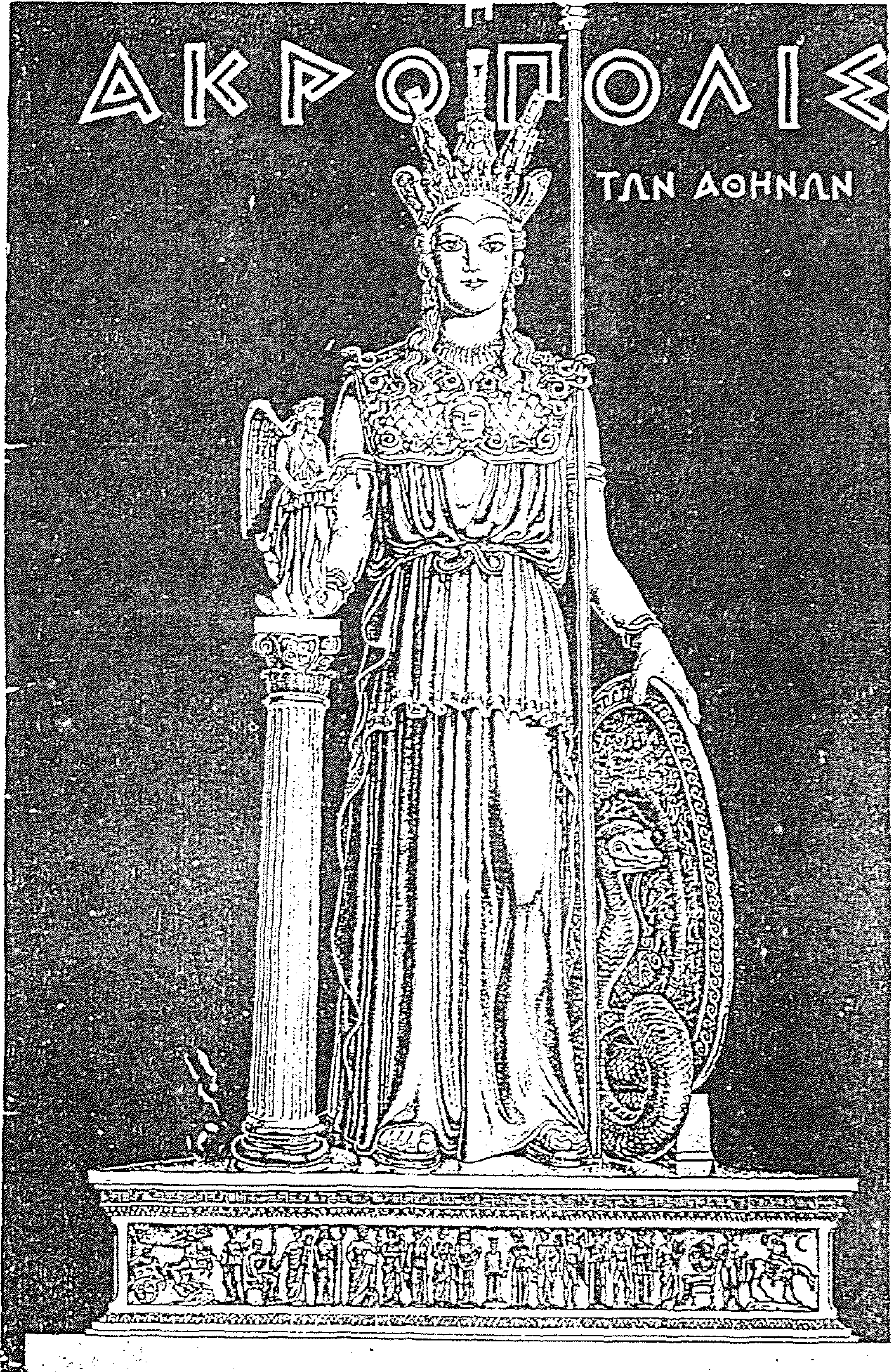
### THE 'GOLDEN IMAGE' OF ATHENA

Reconstruction of the chryselephantine statue by Pheidias in its setting in the Parthenon  
(See J. W. Graham, 'Acropolis and Parthenos', pp. 82-83)

ماكيت تخيلي لتمثال الربة أثينا - على أساس النماذج الرومانية اللاحقة - على قاعدته وبصحبة كل رموزه المقدسة ، داخل قاعته قدام الأقداس ( Cella ) ، حيث يرتفع السقف دورين / أو / مرة ونصف تقريباً . والصورة منقولة عن متحف أونتاريو الملكي - تورنتو - كندا . لاحظ التاج ، ذا الخيول الثلاثة ، والدرع وتمثال الربة نيكى المجنحة ، إلهة النصر ، واقفة في الكف الأيمن للربة أثينا .



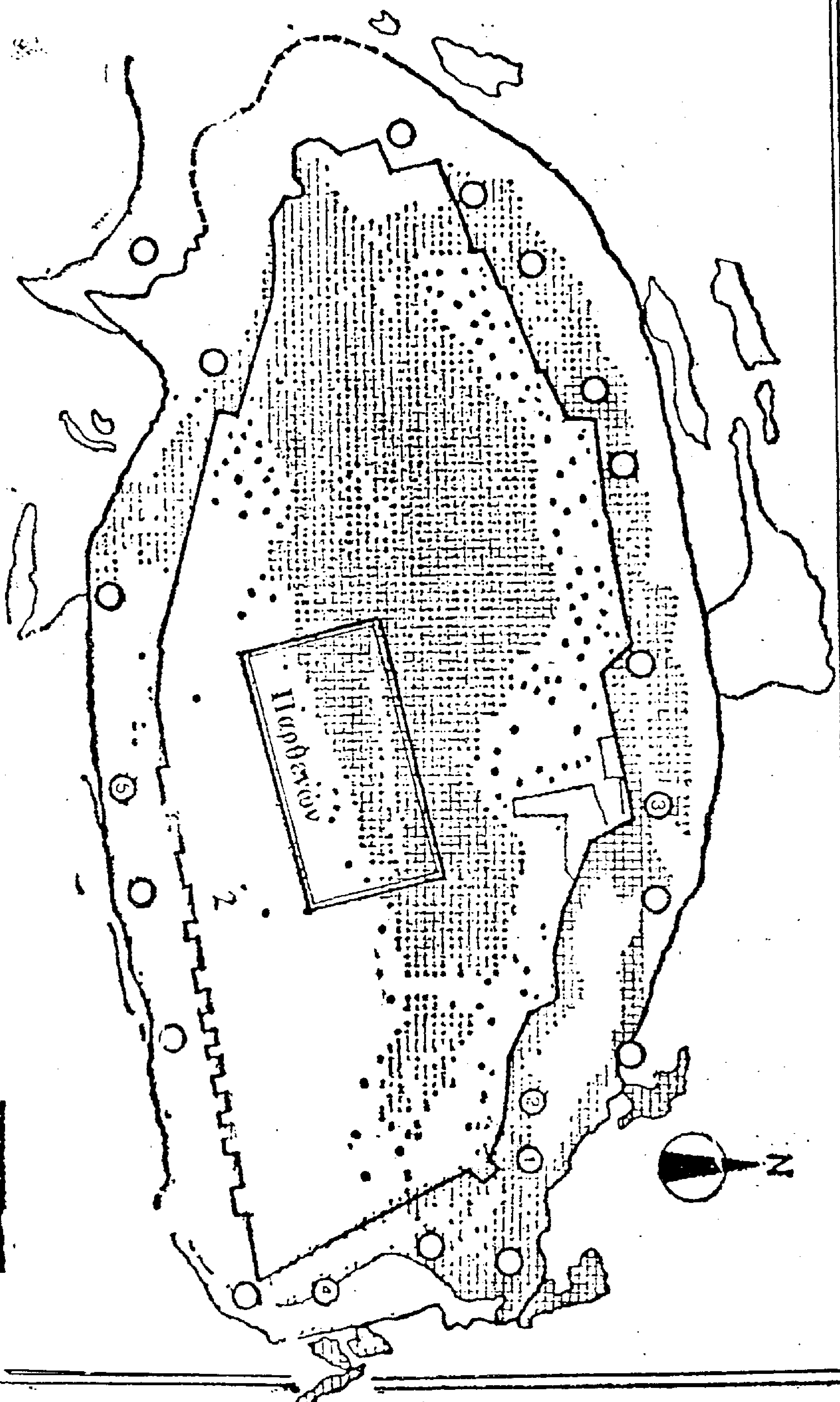
لوحة ( ٢ )



محاولة رسم دقيقة للغاية لملاح التمثال السابق ، مع إبراز تفاصيل كثيرة  
لمكونات التمثال المقدس ( e parthenos ) .

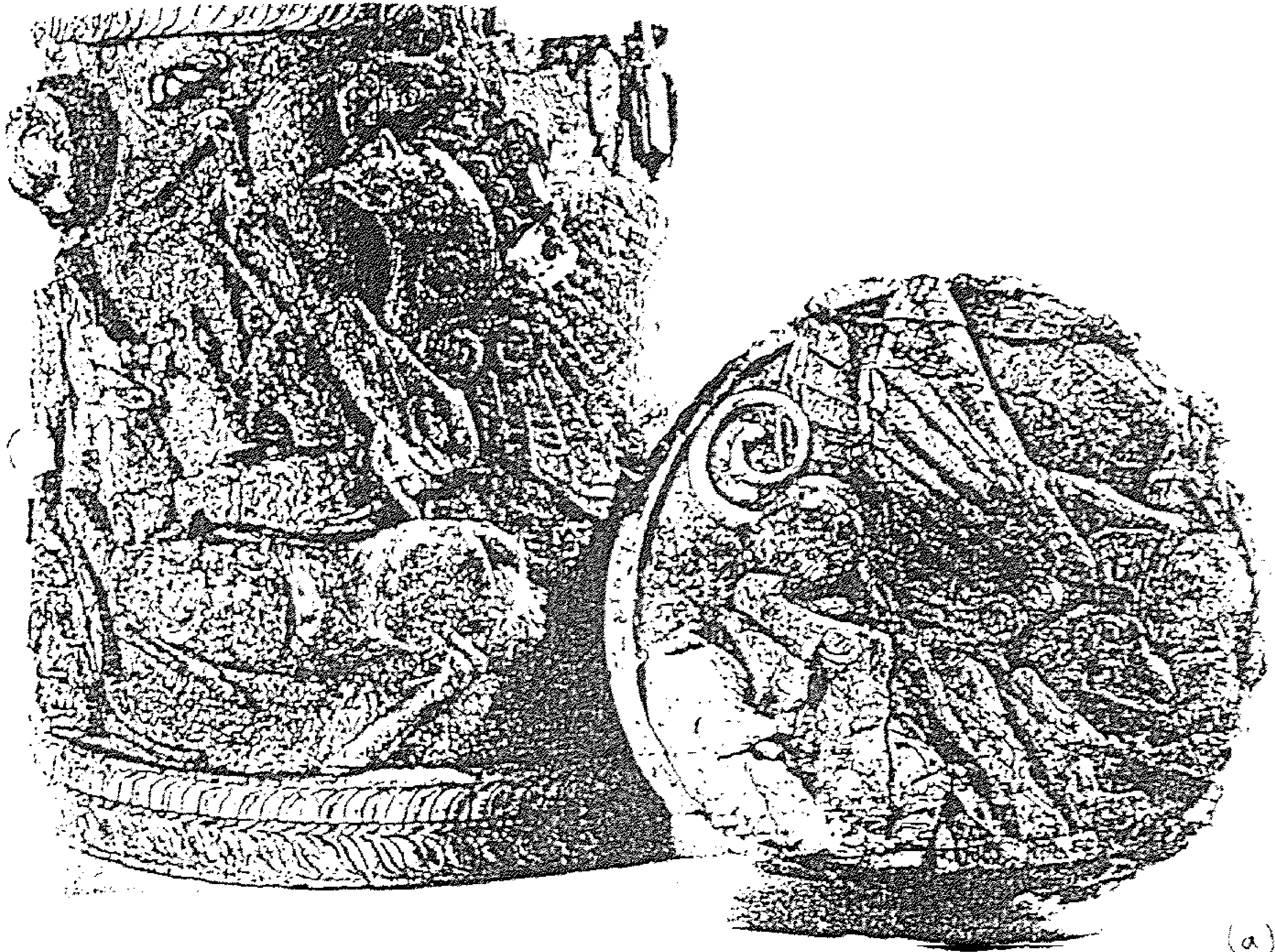


لوحة ( ٣ )

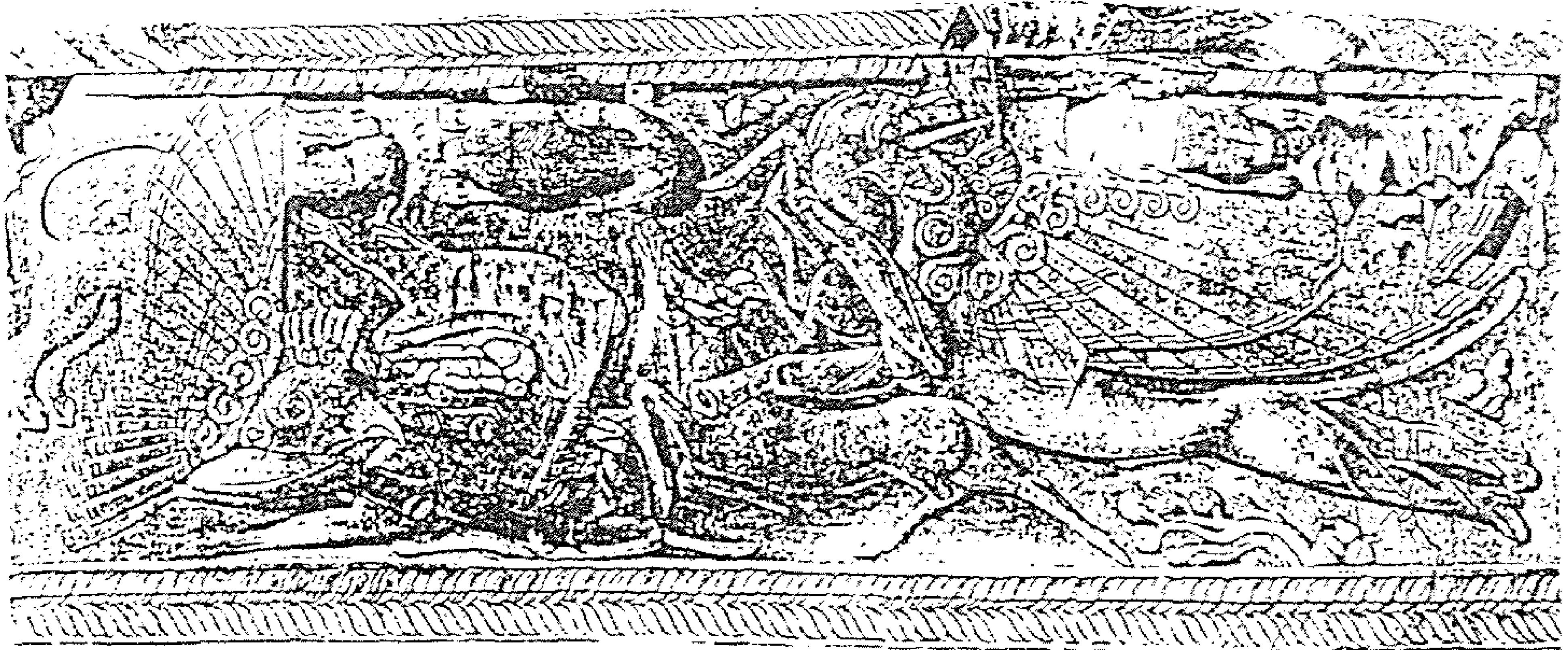


خريطة منشورة في دورية نقابة المهندسين المدنيين اليونانيين ، عدد / إبريل - مايو ١٩٨١ ، مشفوعة بدراسة للمهندس أ. موتوكر وسمو  
حول «أعمال التقوية لصخرة الأكر وبوليس في أثينا» ، حيث تتضمن مناطق التدعيم في الشمال والوسط للتحقق بالنصف الشمالي من  
البارثينون نفسه ، كما في اللوحة أمانا ، مما يوضح اهتمام يوناني اليوم بكل رموز تراثهم العريق .

لوحة ( ٤ )



Ivory pyxis (cosmetic-box) carved from a cross-section of a tusk (above) from a tomb at Athens of the fourteenth century B.C. A development of the decoration (below) shows a lively scene of winged griffins hunting deer. Crouched near the top rim are two small lions, seen from above



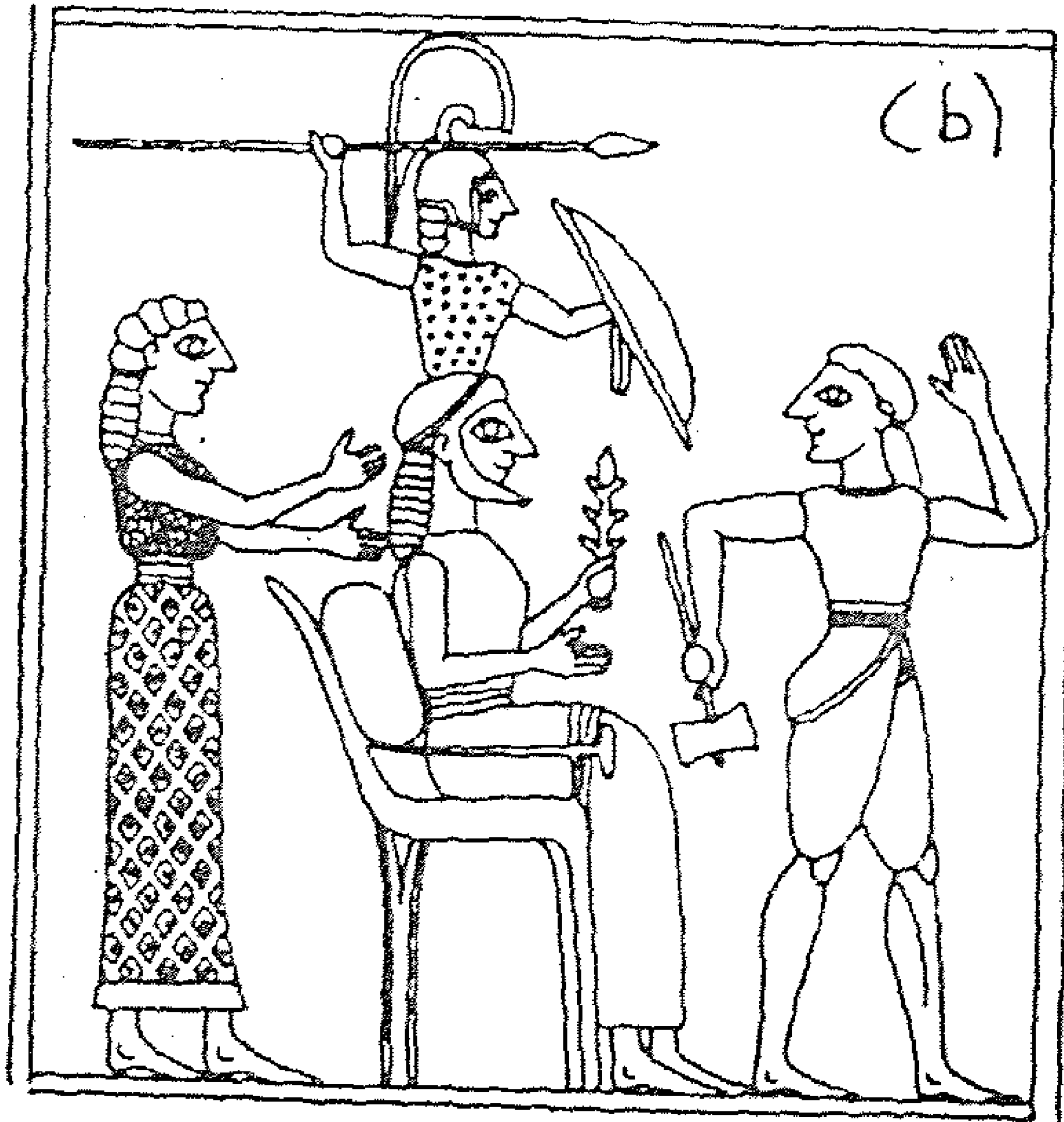
(a) ، صندوق الزينة العاجي ( Pyxis ) المكتشف في مقبرة ميكنية فوق أكروبوليس أثينا ، مع لوحة تفصيلية للموضوع الزخرفي للطائر الأسطورة الـ Griffin ، أحد أهم الرموز الملكية الميكنية . مؤرخ بالقرن (١٤) ق.م .



## لوحة (٥)



(a) مولد أثينا ، من رأس أبيها زيوس ، في حضور هرميس / أو / هيفايستوس ، الذي يحمل المطرقة بيده اليسرى ، كما صورها هنا في حافة الأناء الصغير ، بينما يمسكها بيده اليمنى في شكل (b) أسفل .

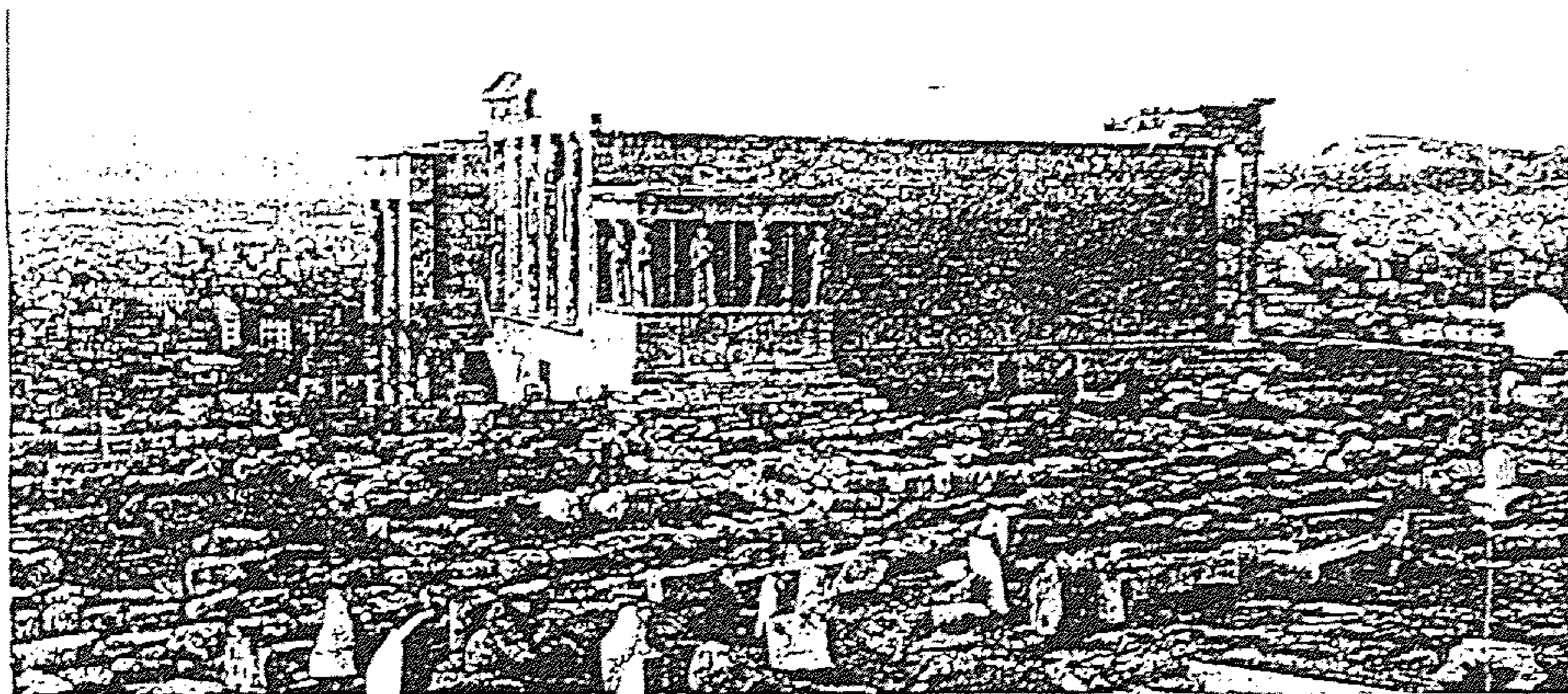


(b) الموضوع نفسه ، مع وجود الحورية إيثيا ، ( الكريتية ١١١٢ ) مما يرجح الأصل الدورى لهذه الأسطورة ، وتم نقلها إلى أثينا وأولمبيا ، حيث تم الكشف عن هذا التصوير فوق لوح برونزى ، من القرن (٧) ق.م .

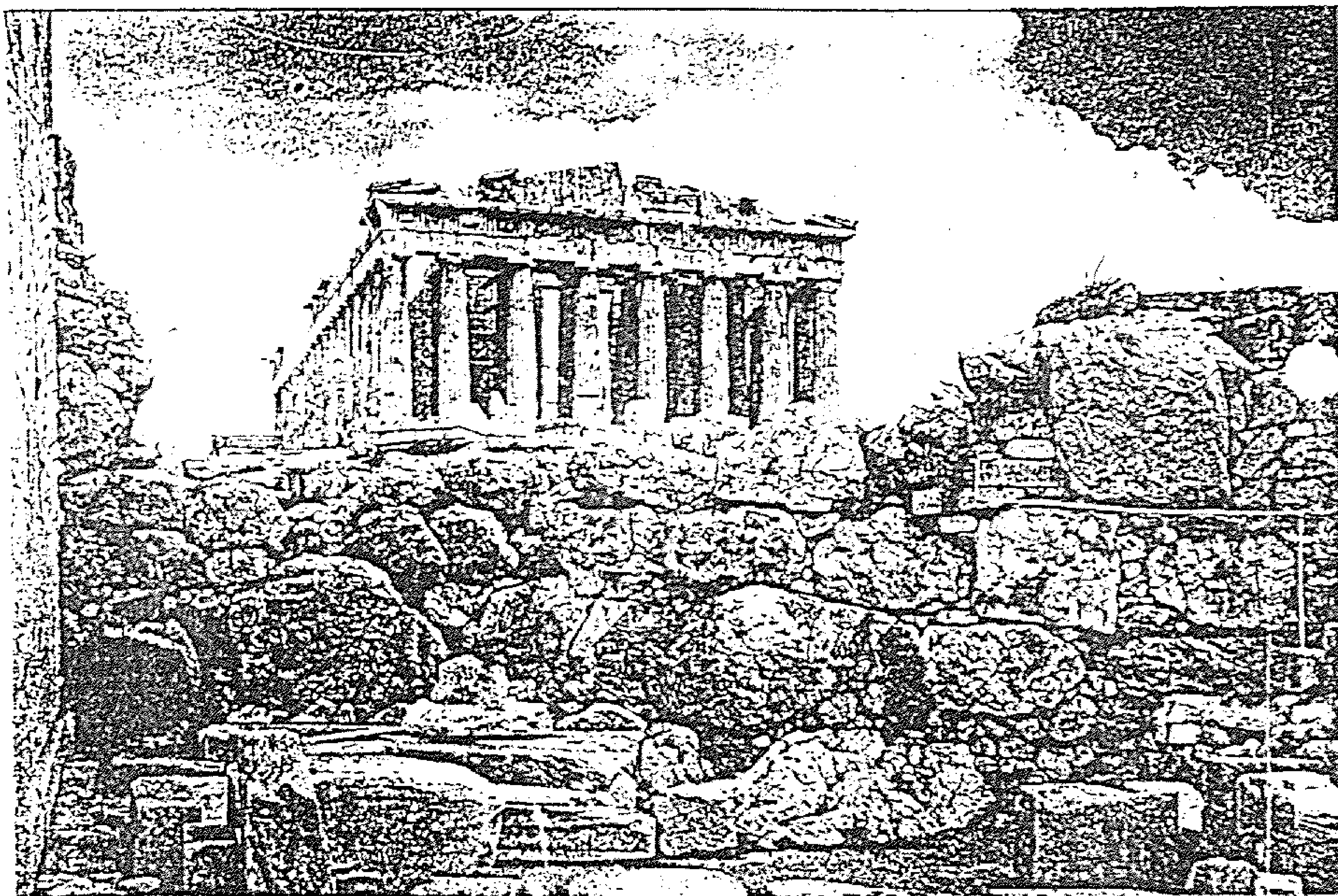


(c) أشكال لعملة أثينية ، عليها رأس أثينا ، بصورة تقليدية ، وعلى الوجه الآخر ، لإحداها ، البومة ، الطائر المقدس للربة .

## لوحة (٦)



(a)



(b)

(a) الإرخثيون ، من الجهة الجنوبية حيث مقصورة الفتيات العذراوات ( Korai ) حاملات

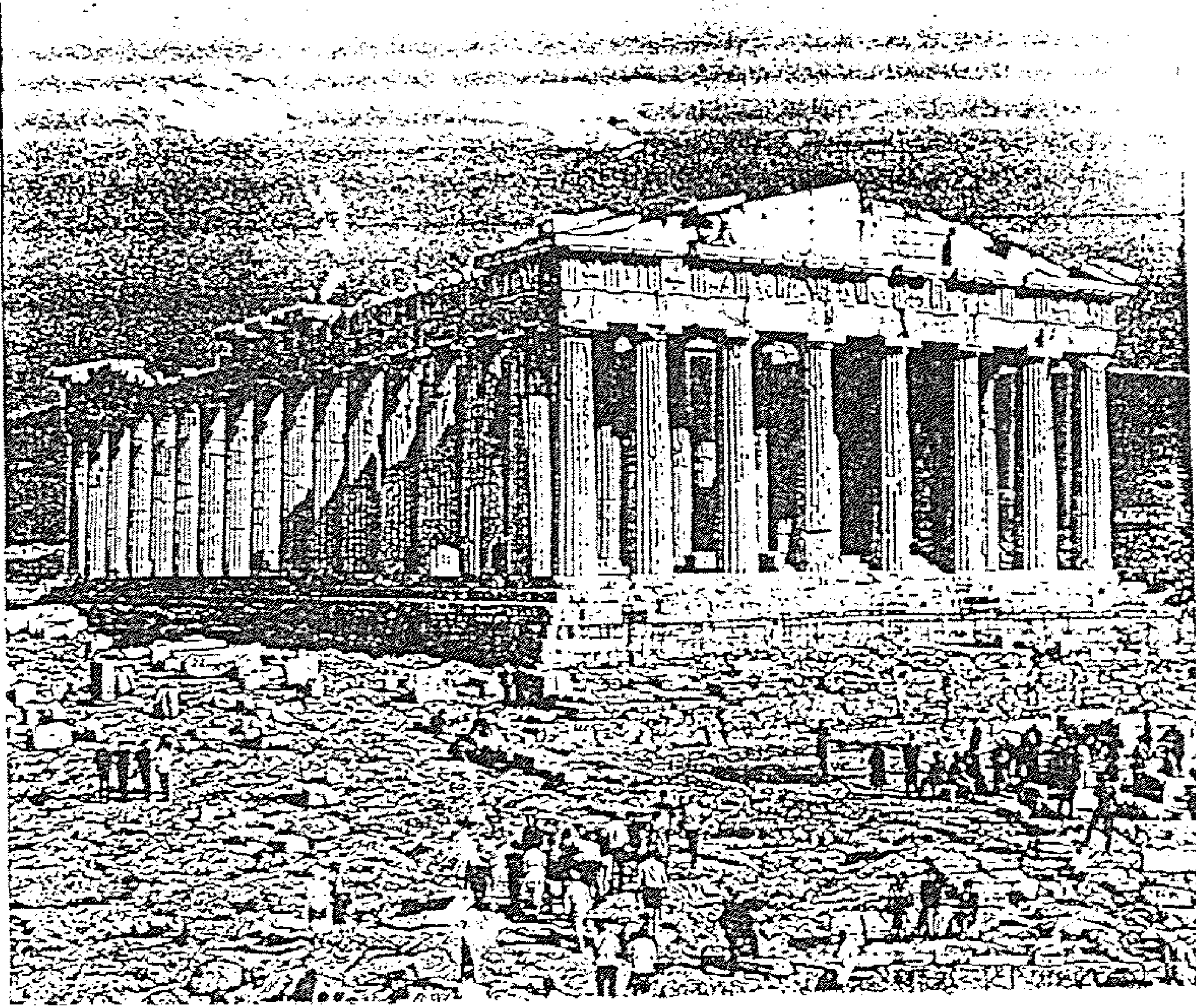
السقف، الشهيرات باسم : الكارياتيديس ( Karyatides ) .

(b) معبد البارثينون ، كما يرى من الجهة الشمالية الغربية ، والجدار الأقدم ، في الواجهة هنا في

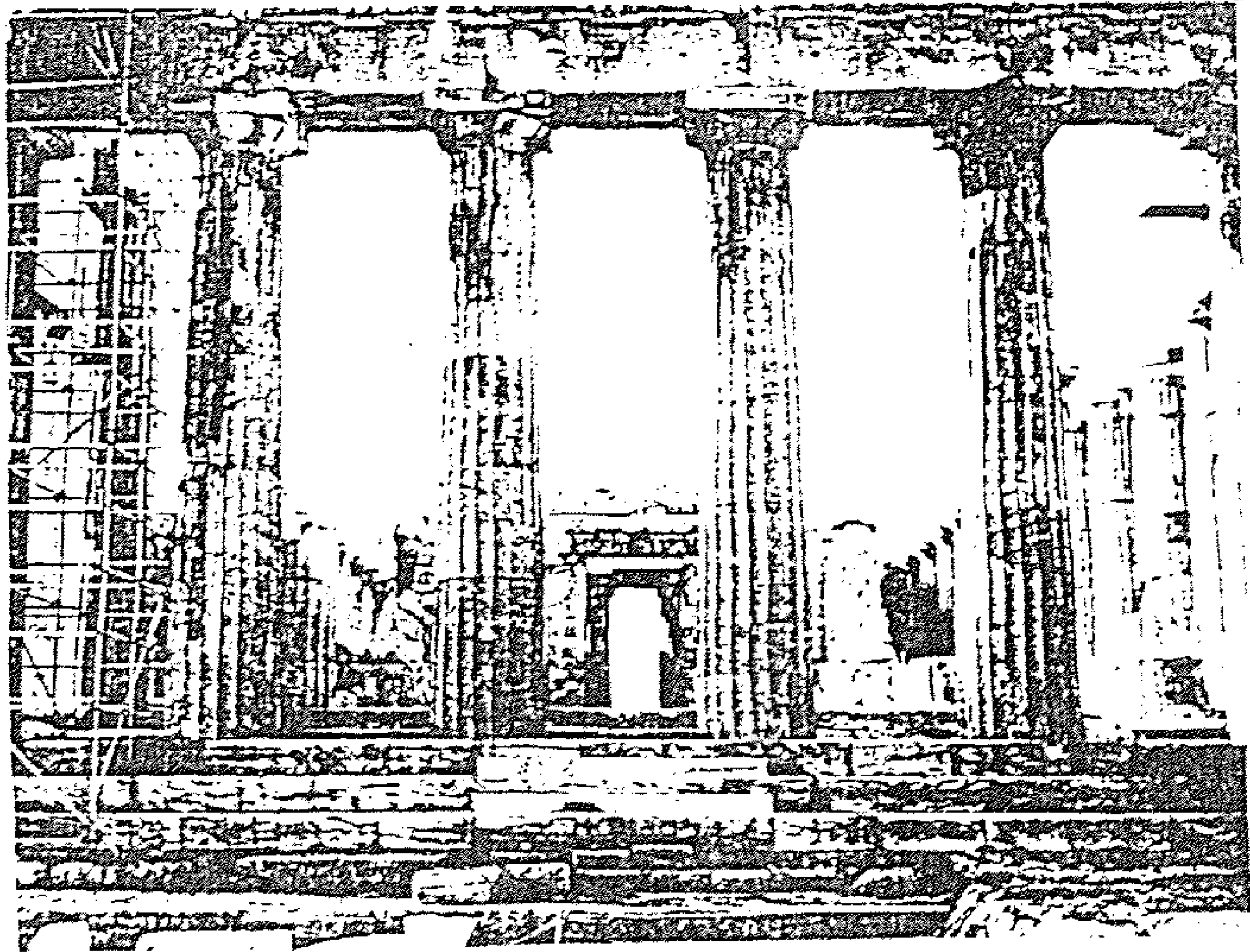
الصورة ، الحائط الميكيني ( ١٦٠٠ - ١٢٠٠ ق.م ) .



## لوحة (٧)



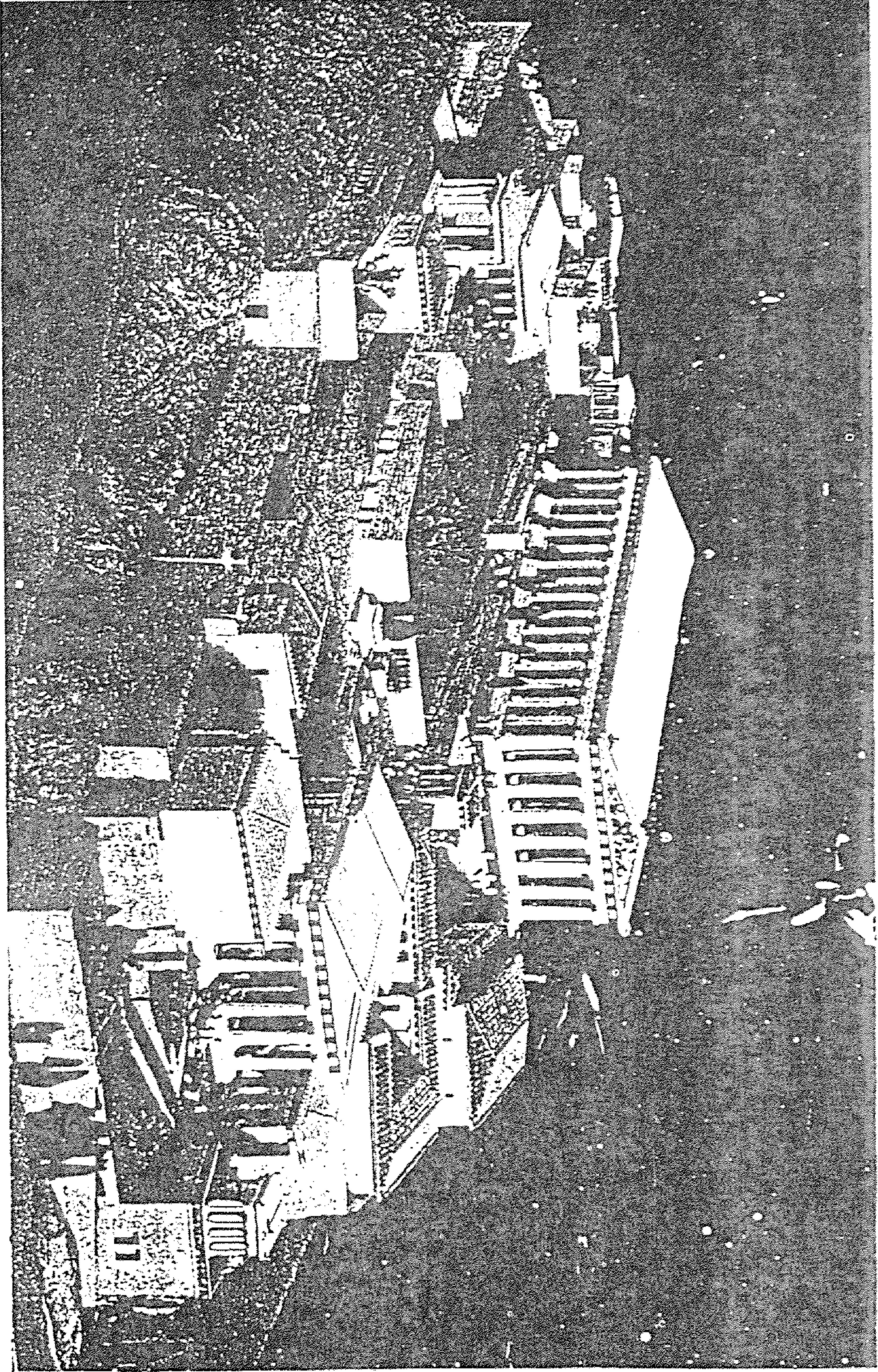
(a) البارثينون ، كما يبدو على حاله الآن ، فى التسعينات من هذا القرن العشرين ، من الواجهة الشمالية الغربية . وهى الأكثر بقاءً وحفاظاً على الشكل الأصيل للمعبد المقدس على الأكروبوليس .



(b) الواجهة الشرقية للبارثينون ، كما تبدو أثناء عمليات الترميم ( التنظيف والتثبيت ) فى السبعينات . (كاميرا المؤلف) . لاحظ مكونات العمود الدورى ، وفتحات التثبيت للميتوبات أعلى التيجان .



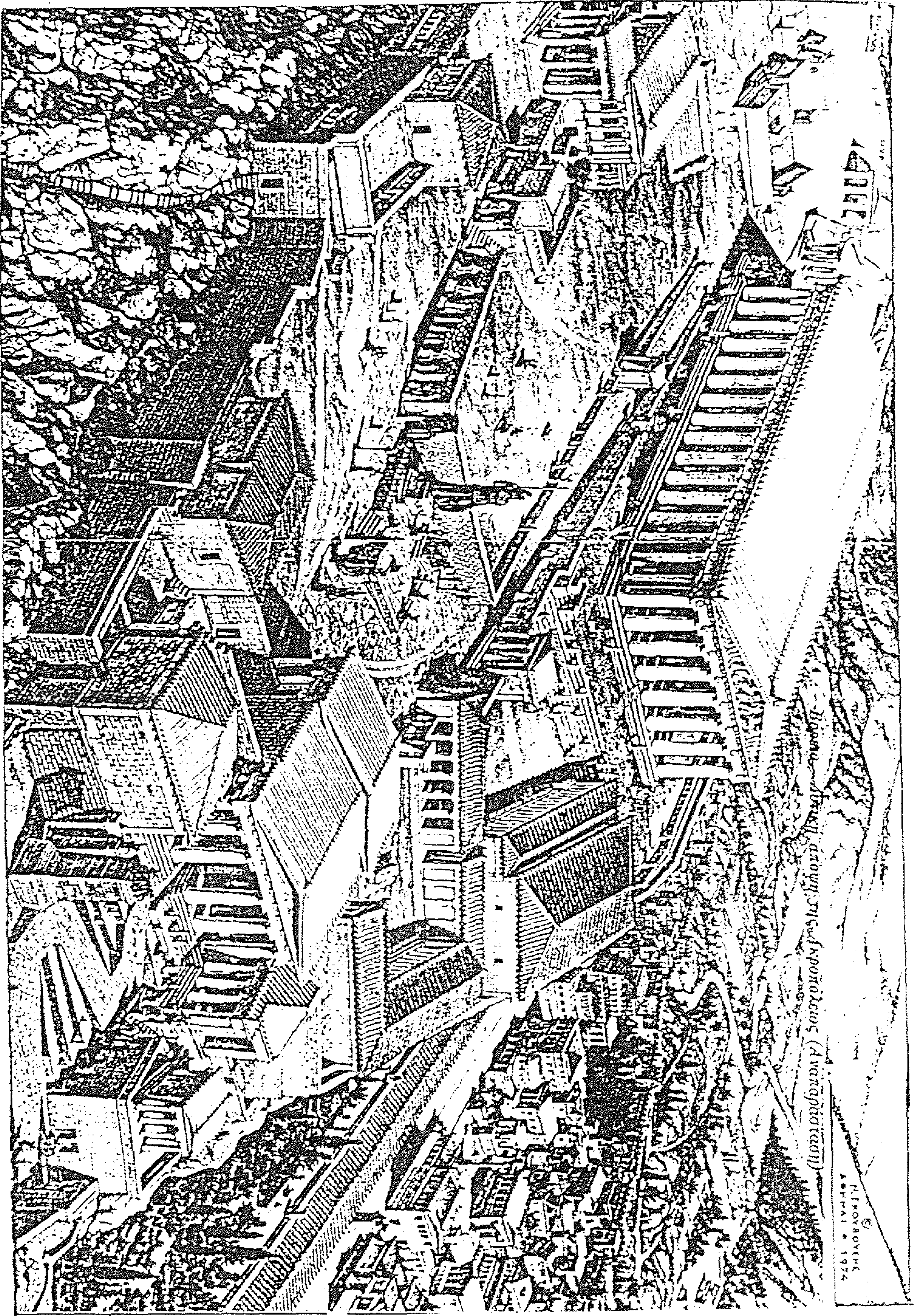
## لوحة ( ٨ )



( ماكيت كامل صغير لكل آثار ومباني الأكروبوليس ، داخل السور العلوى على )

قمة الصخرة المقدسة .





## لوحة ( ٩ )

صورة إعادة تكوين تخيلى لكل آثار الصخرة المقدسة « الأكروبوليس » من الجهة الشمالية الغربية ، بقلم / جوفوسيس / أثينا ١٩٧٤ م .



## لوحة (١٠)



١



(C)



## لوحة ( ١١ )



(a)

Το Δυτικό Αέτωμα

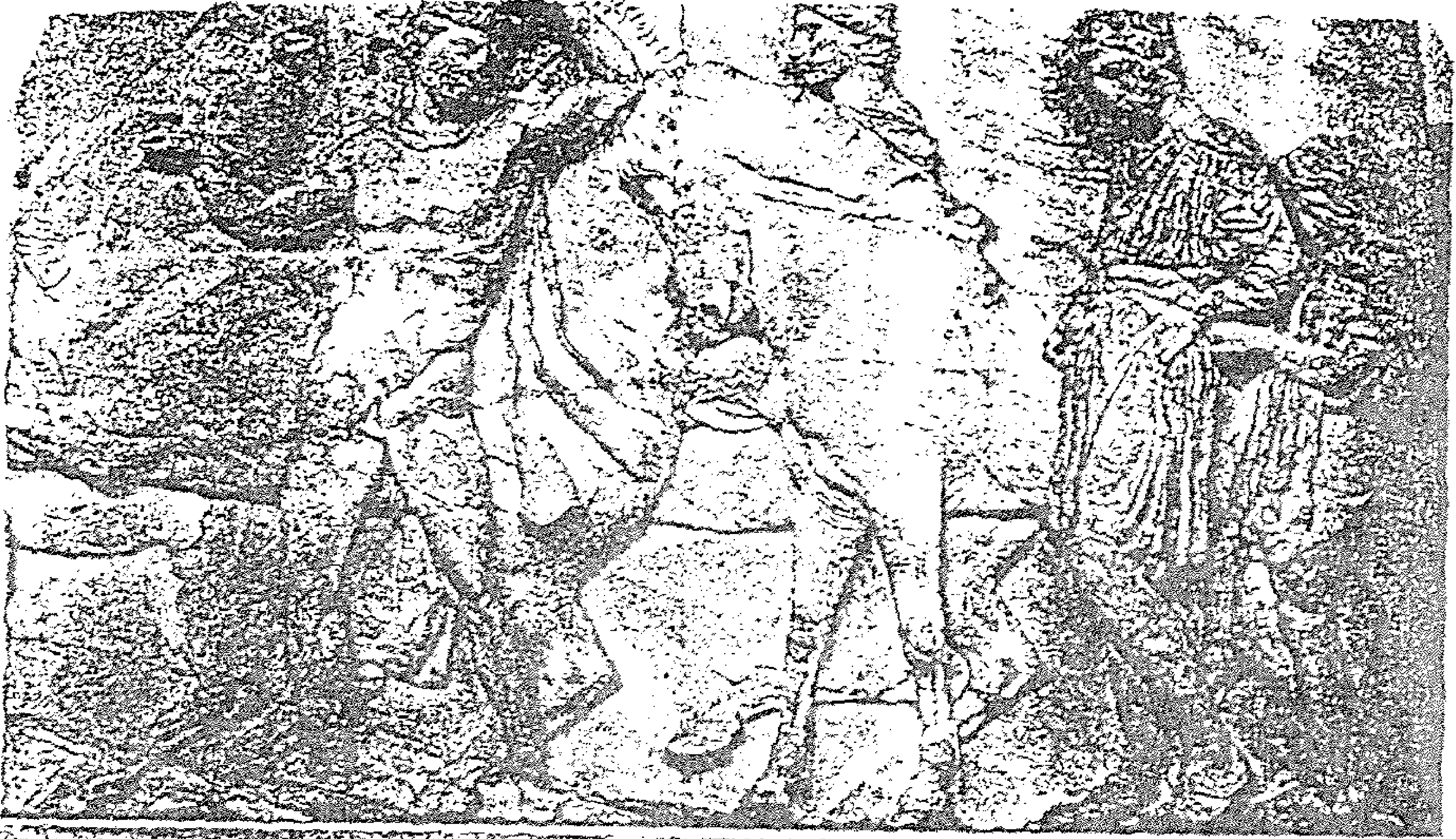
الأيثوما ( الجمالون ) الغربى ، كما يمكن أن يبدو فى الأصل القديم :

( أ ) إستناداً إلى بعض القطع النحتية الباقية حتى يومنا هذا .

(ب) واعتماداً على الوصف الشامل عن باوسانياس .

(جـ) محاولات الفنانين الرومان ( اعتماداً على النصوص اللاتينية وكذلك النسخ المقلدة عن

الأصول ) لإحياء التراث الكلاسيكى .

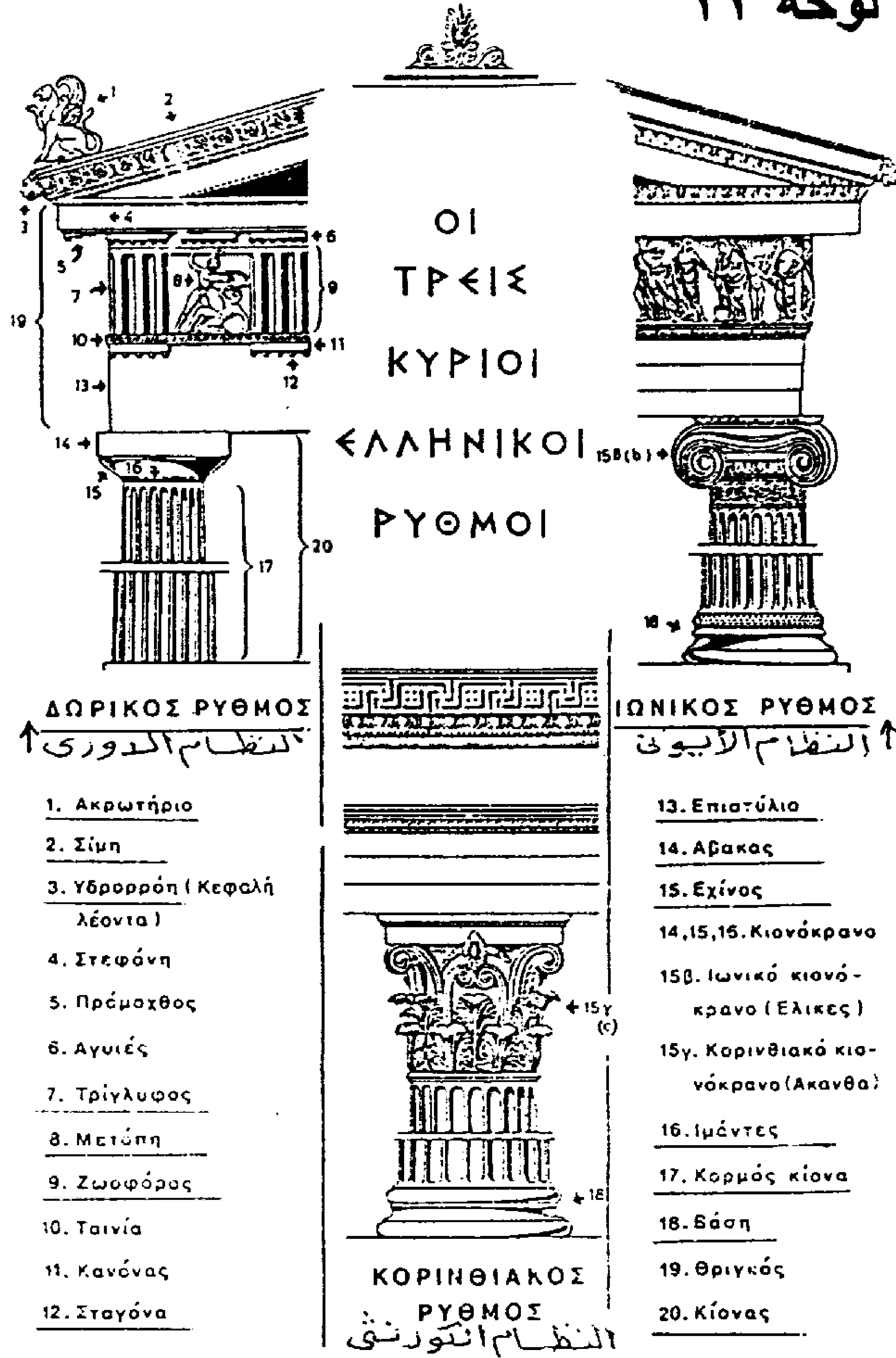


(b)



(c)

لوحة ١٢



أشهر وأهم أجزاء النظم اليونانية الكلاسيكية في أعمدة العمارة

- ١ - أكروتياريو ( akrotério ) - ١٢ - ستاجونا ( Stagona )
- ٢ - سيمي ( Simé ) - ١٣ - إپستيليو ( Epistylío )
- ٣ - هيدروروي ( Hydorróe ) - ١٤ - أباكاس ( 'Abacas )
- ٧ - تريجليفوس ( Triglyfos ) - ١٥ - إخينوس ( Ekhinos )
- ٨ - ميتوبي ( Metōpe ) - ١٦ - إمانتيس ( Imántes )
- ٩ - زواوفوروس ( Zoofóros ) - ١٧ - كورموس ( Kormós )
- ٢٠ - كيوناس ( Kionas ) - ١٨ - باسي ( Bāsē )

لاحظ الحرص على الإشارة إلى الأجزاء المعمارية بالأرقام نفسها كما في الأصل اليوناني القديم.

## الهوامش

(١) فى دراسة شاملة لكل الجوانب الحضارية فى كريت القديمة ، ولا سيما الجانب السكانى وقضية أصل السكان الأول لأرض تلك الجزيرة فى الألف الثالثة ق. م ، وتفاصيل نظرية إيفانس ( Evans ) حول ترجيح هجرة مصريين إلى هناك وتأسيس تلك الحضارة استناداً لبعض المتشابهات بين الحضارتين ، فى مصر وكريت آنذاك ، والرد الكامل على تلك النظرية وتفنيد بنودها ، بل ورفضها جملة وتفصيلاً ، راجع كتابنا : تاريخ الحضارة الهيلينية ( سلسلة قراءات فى التاريخ القديم (١) ) ( الرياض ، دار الخريجي للنشر والتوزيع ١٩٩٧ ، ص ص ٥٩ - ٨٧ .

(٢) المزجج نفسه ، ص ص ٩١ - ١٢٥ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ص ١٢٧ - ١٣٨ .

(٤) راجع مثلاً :

(a)Snodgrass, A. M., The Dark Ages of Greece, Edinburgh 1971.

(b)Desborough, R. A. The Greek Dark Ages, London - Bonn 1972.

(5) « The Builders of the Parthenon », Greece and Rome, Vol.X (1963), p. 23 .

(6)Ibid., pp. 29 -34

حيث تم تقدير حجم العمالة الماهرة من النحاتين ، بحوالى ١٥ - ٢٠ رجلاً ، لمدة (٣٠) يوماً فى العام ، وعلى مدى (١٥) عاماً تقريباً ( من ٤٤٧ / ٤٤٦ إلى ٤٣٣ / ٤٣٢ ق. م . ) وأن هؤلاء كانوا قد تقاضوا مبلغاً إجمالياً (لاستكمال نحت الإفريز ) Pediment حوالى ١٦,٣٩٢ دراخمة فى العام الواحد . أما إجمالى عدد العمال العاملين فى كل المشروع ، ولكل الأعمال ، فيمكن أن يكون حوالى ١٠٠٠ (ألف) رجل ، وكان الأجر اليومى ، للنحات ، لا يزيد عما كان فى بناء الإرخثيون ، وهو حوالى ١,٥ - ٢ دراخمة. وكان هذا مبلغاً كبيراً ، بمعيار عصره ، حتى أن، بلوتارخوس يحتفظ لنا بحكاية طريفة عن أحد الحمالين للأحجار ، كان قد ترك ليستريح ، ولكنه رفض ذلك ، واستمر يهرول إلى جانب فريق عمله ، وكأنه يشجعهم فى صعود التل ، ولذلك قرر الأثينيون ، منذ تلك اللحظة ، أن يقدم له الطعام فى الموقع على نفقة المدينة ( راجع Plut., Cato The elder, 5:8 ) .



(7)I. E. E., Vol. III.2, Athens 1972, p.

فى واحد من أكبر وأفخم سلاسل التاريخ بايدى يونانية ، فى السنوات الأخيرة، خرج إلى النور أجود عمل - على أغلى ورق وبأحدث تكنولوجيايات إخراج الكتب والموسوعات العلمية وبأقلام أكبر علماء اليونان فى التاريخ والآثار - وهو موسوعة « تاريخ الأمة اليونانية » Historia tou Hellenikou Ethmou فى اثنى عشر جزءا ، ومن أكبر دور النشر اليونانية، وهى شركة متخصصة فى نشر الأعمال التاريخية

( ١/٧ ) ولعل أوضح رد فعل اثنى معاصر ، لمجرد انتشار بعض الإشاعات حول مخاطر انهيار الصخرة المقدسة وما عليها من آثار ، جاء فى تقرير ، أو بمعنى صحفى أدق تحقيق ، مطول بقلم السيد / ب. بانايوتوبولو ، فى العدد الأسبوعى للجريدة الرسمية اليمينية « كاثيميرينى » Kathemerine ، ليوى الأحد والاثنين ١٤ - ١٥ أغسطس عام ١٩٨٣ ، مؤكدا للكافة فى منشيت كبير : « آثار تل الأكروبوليس لا تتعرض لأى خطر مباشر » ، وكانت معظم الجرائد اليومية الأثينية قد كتبت فى تلك الأيام ، عن مخاطر جمة يتعرض لها التل المقدس ، وبخاصة من ارتفاع منسوب المياه الجوفية، فوق الأكروبوليس ، وكذلك بسبب نشاط الأمطار وكثافتها ، ويسجل هذا الصحفى الحس القومى اليونانى ، والأثينى بوجه خاص ، تجاه « التل المقدس : Hiero Brakho ، لأنهم يدركون إدراكا عظيما أن مصيرهم مرتبط ارتباطا شديدا بمصير مدينتهم ، وكيف أن كبار السن منهم يعرفون تماما فضل الأكروبوليس وآثاره فى ألا تمتحن مدينتهم بقصف جوى عنيف - كما حدث لمدن أوربية أخرى - إبان الحرب العالمية الثانية ، ولهذا كله ، ودون الدخول فى تفاصيل نوعية الأخطار ، تقرر تشكيل لجنة - من رئيس هيئة الآثار آنذاك ، البروفيسور يورغوس ميلوناس ( G.Mylonas ) ، على رأسها ، وعضوية آخرين من هيئة البحوث الجيوفيزيكية وكذلك الأرصاد ، فضلا عن المدير العام لمتحف وآثار الأكروبوليس السيد يورغوس نوفتاس ( Dontas ) لمزيد من الاطمئنان واليقين ، مع لجان الترميم الخاصة بالموقع ، على أن تعرض أعمالها وتقررها خلال أسبوعين على الناس ، وكان القائمون على هذا الأمر قد

حددوا حوالى (٢٢) موقعًا تحتاج إلى تدخل سريع ومباشر فى أجزاء التل المختلفة، وبخاصة فى اتجاه الشمال والجنوب منه .

(8) The Greeks and Their Heritages, Oxford 1981, p. 25.

(9) Andrewes, A., Greek Society, (Pelican Books ), England 1967, (Rep. 1975, 77, 79 ) P. 36.

(10) Ibid., P. 37.

(11) Ibid., PP. 32, 41.

ويؤكد بيرن ( Burn ) فى كتابه The Pelican History of Greece, Penguin Books 1965, [ Rep. 79, p. 57.] على أن كل القصة بعودة أبناء هيراكليس ، ما هى إلا اختراع لعمل مصالحة بين إدعاء الملوك الدوريين بأنهم أحفاد هيراكليس وبين الحقيقة القائلة - كما تؤكد الروايات المحلية - بأن هيراكليس كان معروفًا وله أنشطة وأعمال مشهورة فى جنوب اليونان إبان العصر الأخرى ( الميكينى ) .

(12) The Ancient Greeks ( Pelican Books ), England 1963, ( Rep. with revisions 1971, 75, 77 ) P. 16.

(13) Ibid., P. 28.

(14) Ibid.

(15) Ibid., P. 25.

(16) Homeros, Ody. VIII: 489-491.

(17) Iliad., II: 546-556.

(١٨) جاء فى قاموس أكسفورد الكلاسيكى تحت اسم هذا العلم ( O. C. D.) Oxford [

أسطورى لأثينا ، كانت الربة أثينا (Athena) قد أرضعته ، وغالبًا ما يتم الخلط

بينه وبين اريخثونىوس ، ولكن الأسطورة الرئيسية الخاصة بهذه الشخصية هى فى

بناته الثلاث أو الأربع وعلى وجه التحديد ابنته خثونيا ( Khthonia ) التى ضحى

بها أبوها لتحقيق النصر على الغازى لإقليم أتيكى ، ابن بوسيدون ، كما أمره بذلك

وهى دلفى .

(19) Iliad., II: 558.

(20) Iliad., II: 556.

(21) Odyssey, VII: 80-81.

(22) Hopper, R. J., «Athena and the early Acropolis », Greece and

Rome, Vol. X (1963), Supplement, p. 2.

(23) Lysistrata, 640-647.

(24) Periegesis, I: 27, 3.

(25) Hopper, Op. Cit., p. 4.

وفى تاريخ الموسوعة اليونانية الحديثة ( I. E. E., P. 257 ) ، جاءنا أن الاسمين هما لشيء واحد ، وهى الاحتفال الآثينى للربة أثينا ، والذى حافظ (خلافاً للاحتفالات الباناتينيا والديونيسيا ) على المضمون الدينى له ، ذات ليلة من أيام صيف شهرى يونيو ويوليو ، لنقل المتاع السرى للربة ، على أيدي طفلتين صغيرتين ، منحدرتين من أصل آثينى عريق ، وأن تتراوح أعمارهن فيما بين (٧) إلى (١١) سنة ، حتى يقمن بطقوس دينية تستلزم الطهر والبراعة ، وإلا تفسد تلك الطقوس (١١٢) .

(٢٦) ويذهب البعض إلى أن الربة أثينا حصلت على لقبها « أثينا باللاس » ، من انتصارها عليه ، أو من اللفظة اليونانية القديمة « Pallax » ، التى تعنى «عذراء» . راجع / 2, p. 772. « Pallas, » O. C. D., Op. Cit., s. v. حيث نجد رأياً يخالف ذلك رأى الأول ، ويميل إلى الاشتقاق اللغوى من معنى « الشابة أو العذراء » الذى كان فى الأصل ، عبارة عن اسم صديقة للربة قتلتها خطأ ، ومن ثم حملت اسمها لتخليدها (١١٢) .

(٢٧) وهناك رأى آخر يؤكد على زرقة العينين كقاسم مشترك بين البومة والربة أثينا ، وليس على شكل البومة نفسه ، راجع / هوبر

Hopper, Op. Cit., p. 6.

(٢٨) مثلما حدث ، فى الاوديسيا ( Ody. I: 306-18 ) عندما تخفت الربة أثينا فى شخصية منتيس ( Mentis ) الضيف الصديق لأسرة اوديسيوس ، وقابلت ابنه تليماخوس ( Telemachus ) ، الذى دعاه ( وبالأحرى / دعاها ) إلى منزله ( أو / قصره ) ليقدم له واجب الضيافة ، آنذاك ، وقد جاء على لسانه ذكره لمظهرين اثينيين كانا معروفين ، بين الأسر الارستقراطية لمثل تلك الضيافة ، وهما : إقامة طيبة لمدة من الوقت ، وكذلك تقديم هدية قيمة للضيف .

(29) Hopper, Op. Cit., p. 6.

(٣٠) هذا بالرغم من إعداد الممر الصاعد للتل ، الآن ، بطريقة آمنة نسبياً ، إلا أن طبيعة الصخر الملساء ، وكثرة الاحتكاك والسير عليه من السياح ، جعله أكثر خطورة للزائرين للموقع . راجع / لخراطة ممتازة للموقع :



- Rossiter, S. – Flower, J. Blue Guide Greece, Ernest Benn Limited, London and Jonbridge, 4th edition 1981, pp. 100-104.
- (31) CF. Higgins, R. Minoan and Mycenaean Art, Thames and Hudson, London 1967, Rep. 1974, Fig. 160-161.
- (31/a) Journal of Hellenic Studies, 95 (1976), pp. 8-17 & CF. Snodgrass, A. M., Archaeology and the Rise of the Greek State, ( an inaugural lecture ) Cambridge Univ. Press, Cambridge 1977, pp. 30-31.
- (31/b) Ibid.
- (31/c) Ibid.
- (32) CF., Richter, G. A Hand book of Greek Art, ( Translated into Modern Greek by K. G. Korre ) London 1959, by Paidon press Ltd., Athens 1974, pp. 61-62, for kouroi & pp. 65, 70 for seated Figures.
- (33) CF., the O. C. D., Op. Cit., p. 1053, s. v. Themistocles, Also see, e. g., Burn, A. R., The Pelican History of Greece, 1965, ( Rep. with revisions 1978, 79 ), pp. 159-196.
- (34) Herod., V: 77.3 & VIII: 144.
- (٣٥) لا نعرف أصلاً لغويًا لهذه الصفة ( بعد أن أعيانا البحث فى القواميس اليونانية المتخصصة ) ، كما لا يمكننا التكهن ، إن جاز لنا ذلك ، بموقع جغرافى ، بهذا الاسم ، على خريطة اليونان القديمة !!! وليس هناك احتمال ثالث لمعنى مثل تلك الصفة ، فإما أنها ترجع إلى العنصر السكانى ، وإما إلى المكان نفسه الذى ينتمى إليه الشخص المذكور ، كما كان شائعًا فى وثائق أوراق البردى ، من بعد ذلك ، وكذلك النقوش فى الـ « stelae » ، قارن مثلاً ، من الفترة نفسها ( حوالى ٤٤٠ ق. م. ) نقشاً على حجر كريم لخاتم كتب عليه : « Dexamenos epoie chios » بمعنى : « ديكسامينوس من خيوس ، صنع هذا » راجع مثلاً : Boardman, J., Greek Art, ( New Revised edition ), London. 1987, p. 157, fig. 162.
- (36) Paus., I: 26-7.
- (37) « The Goddess of the Golden Image », Greece and Rome, vol. X (1963), pp. 17-22.
- (٣٨) تحكى الأسطورة ، كما جاءت عند كل من أبوللودوروس ( Apollod., III: 14-6 ) وكذلك باوسانياس ( Paus., I: 18-2. ) بأن الإله هيفايستوس أنجب ولداً من الإلهة الأرض « Ge » فأخفته عن العيون ووضعته فى صندوق ، وأحضرتة إلى

الأكروبوليس وعهدت به إلى بنات ملك أثينا ، كيكروبس ( Kekrops ) - فى العهد الأسطورى الأول لنشأة المدينة ١١١٤ - محذرة إياهن بالآلا يفتحن ذلك الصندوق أبدًا . ولكنهن ، مع ذلك ، ( بدافع الفضول الأنثوى الطبيعى ) فتحن الصندوق ، وراعهن ما رأيته بداخله من طفل رضيع ، هو إريخثونيوس ، فى حماية شعبانين اثنتين ، فهرب الجميع ، ولكن أثينا تقدمت إليه وحملته ، وربته فى محرابها ، حتى صار وأصبح إريخثونيوس ملكاً على أثينا . وعندئذ رد لها الدين وأقام لها تمثالاً خشبياً على الأكروبوليس ، وأرسى قواعد الاحتفال الباناثينى ، وشارك فيها بنفسه بعربته ذات الأربع خيول ( التى هى من اختراعه هو ١١١٤ ) وعندما مات ، تم دفنه فى المحراب نفسه الذى كانت أثينا قد ربته بداخله .

(39) CF., e. g. Athens Acropolis Museum, Nr. 433 ( or. J. H. S., XIV, pl. 10 & Kerenyi, Gods of the Greeks, p. 127. & I. E. E., III. 2., Athens 1972, p. 346.

حيث لوحة جنائزية من القرن ( ٦ ) ق. م. ، تصور بنات كيكروبس يرقصون وفى أيديهم إريخثونيوس كطفل صغير يرقص معهم ( من متحف الاكروبوليس ) .

(40) Applod., III: 4.3.

(41) Ibid., I: 1.6. & Paus., IV: 33.1. An Intermediate Greek - English Lexicon, ( Liddellend Scott ), 7th ed., Oxf. 1968., p. 19.

(٤٢) الأيجيس ( Aegis ) كان فى الأصل عبارة عن عباءة أو درع للإله زيوس (كما جاء فى أقدم إشارة له فى الإلياذة : Iliad, V: 738 ff. من جلد الماعز ، على وجه الخصوص ، وكانت تغطى به تماثيل الربة أثينا ، على أكتافها وصدرها ، وتتوسطه رأس الجورجونا أو ميدوسا ، وينتهى بأهداب على هيئة رأس الثعابين ، ولمزيد من التفاصيل ، راجع / هيرودوت

Horodotus, IV: 189.

(٤٣) عن أسطورة الجورجونا أو الميدوسا ( Medusa ) ، راجع / The O. C. D., Op. Cit., p. 472, « Gorgo » نحن ، هنا ، نطلق هذا الاسم وفق مسماه باليونانى الحديث الأشهر .

(44) Paus., I: 27-4.

(45) Hooker, Op. Cit., p. 19.

(46) Finley, M. I., *The Ancient Greeks*, (Penguin Books), England 1963, (Rep. 1977), pp. 160-161.

(47) Liddle – Scott, *Op. Cit.*, p. 388., وكذلك راجع / هامش (٢٥)

(48) Hooker, E., *Op. Cit.*, p. 20.

(49) Apollod., III: 4,3,13.

(50) Burford, A., *Op. Cit.*, p. 24.

أما النقش نفسه ، فهو منشور ومترجم فى *Inscriptiones Graecae*, I. 2, Nr. 372.

(٥١) وهو هنا ، للأسف ، غالب وغير واضح على الحجر ، ولم يتم التعرف عليه أو تحديده ، بالضبط .

(52) Plutarchus, *Pericles*: 12 ff., see ( e. g. Plutarch: *The Lives of the Noble Grecians and Romans*, Translated by John Dryden the Modern Library, New York, U. S. A. 1970, 1st Published and revised by A. H. Clough, 1864, pp. 182-212).

وهنا يعطينا بلوتارخوس تفصيلا لعلاقة بيريكليس المتينة بالنحات فيدياس وثقته الشديدة فيه ، وقيام أحد المواطنين ، أحد اعمال فيدياس ، باتهامه بتبديد أموال مشروع البارثينون ، وتقديمه للمحاكمة ، مما تسبب ( وكذلك من جراء تصرفات أسباسيا زوجة بيريكليس ) فى توجيه اللوم وإثارة الشكوك حول نزاهة الرجل الأول فى أثينا ، بيريكليس نفسه ، وكذلك يفصل بلوتارخوس فى علاقة القائد الآثينى بحكام إسبرطة اللاكيديمونيين ، ولكنه يشير إلى أن حقيقة تلك التفاصيل غير مؤكدة .

(53) *CF.*, e. g. *The O. C. D.*, *Op. Cit.*, p.

(54) Vitruvius, *De Architectura*, VII: praef. 3.

(55) Paus, V: 11.9.; VIII: 41.9.

(٥٦) يعرض العلامة الإنجليزى الأثرى الشهير جون بوردمان ( J. Boardman ) فى كتابه القديم الجديد ( حيث يتم إعادة نشره كل حين لبساطته وإحاطته بموضوعه ، منذ عام ١٩٦٤ وحتى الآن ، وبفضل تنقيحه وإضافاته الأثرية المستمرة تمشيا مع نتائج الحفائر الأحدث ) للبدايات السياسية المشجعة ، منذ منتصف القرون ٥ ق. م. ، حينما تم نقل خزائن الاتحاد الكونفدرالى بزعامة أثينا ، إلى أثينا نفسها فى عام ٤٥٤ ق. م. ، ومن ثم تمكن بيريكليس من تنفيذ مشروعه العملاق بستزين المدينة

وإقامة المشروعات الدينية والمدنية ( بين معابد ومباني عامة ) بالقدر اللائق لتلك الزعامة . راجع /

Greek Art ( New Revised edition, World of Art, Thames and Hudson ) Great Britain 1964, ( Rep. 73, 85, 87 ), London, pp. 114-121.

(57) I. G., II. 1675.

(58) I. G., I. 373 f.

(٥٩) هي تلك التثنيات المحزرة في بدن العمود اليوناني والتي تميزه دائما بوجودها.  
(٦٠) هناك رأى أحدث ومخالف تماما ويستند على شهادة المصادر القديمة ، وهو للسيدة عالمة جيزيلا ريختر ( Gisela Richter ) صاحبة أشهر مرجع عن الفن اليوناني، حتى الآن ، وهو A Handbook of Greek Art, ( Paidon Press Ltd.), London 1959. ترجمته اليونانية بأثينا : Instituton tou Bibliou : Arkhaia Ellenike Tekhne, Athenai 1974. P. 34. ( حيث يجمع الخبر التاريخي الجديد ) فيما بين عام ٤٢١ وحتى ٤١٥ ق. م ) بين تمثال الإله ايفايستوس وكذلك أثينا ليؤكد أنهما لم يرتفعا في مكانهما من معبديهما قبل ذلك التوقيت ، راجع / Cicero, De Natura Deorum, 1.30 & I. G. 2,370, 371.

(61) Robertson, M. 'The Sculptures of the Parthenon ', Greece and Rome, X (1963), P. 47.

(٦٢) ذلك لأن ارتفاع أعمدة البارثينون نفسه ، الحاملة للسقف ، لم تصل أطوالها إلى هذا الحد ، وعليه فربما كان في الأمر مبالغة على الأرجح .

(٦٣) لقد تم ذلك بالفعل مرتان :

المرّة الأولى : بعد وقت قصير من إتمام عمل تمثال ، وبسبب كثرة الشائعات وتوجيه الاتهام فعلا ضد فيدياس بالاختلاس من الذهب المشترى لاستكمال زينة العمل المقدس للربة أثينا ، وذلك بهدف إعادة وزن تلك الرقائق الذهبية والتثبيت من الواقعة .

المرّة الثانية : بعد حوالي قرن ونصف ، عندما أمر بذلك الدكتاتور الآثيني المدعو لاخاريس ( Lachares ) لكي يدفع مرتبات جنوده ، وحاصره

ديمترىوس واستولى على أثينا فى عام ٢٩٥ ق. م راجع  
. O. C. D. P.575.

(٦٤) راجع هامش (٤٢) و(٤٣) مما سبق .  
(٦٥) الهامش نفسه .

(٦٦) كان الثعبان - كما ذكرنا من قبل - هو التجسيد الملكى للإله الأقدم فى موقع  
الأكروبوليس ، إريخثونيوس ، وظل كذلك طيلة قرون حتى جاءت الربة أثينا  
واستطاع كهنتها المزج بينه ، كرمز ملكى أقدم للحاكم المحلى ، وبين الربة القادمة  
فى أسطورة خالدة لتبرز الدور الجديد لها ، مع الإبقاء على ذلك الرمز الأقدم ،  
الذى ارتبط بمثل تلك الأرواح الأرضية على شاكلة ثعبانية .

(67) O. C. D., op. Cit., p. 50.

وهن محاربات ( Amazones ) من الفتيات اللاتى يسكن على حدود العالم المأهول  
القديم ، يختلطن بالرجال ، فى مواسم معينة وعندما ينجبن يقتلن أطفالهن الذكور ،  
ويستبقين البنات ، حتى إذا كبرن ، قطعن ثديهن الأيمن حتى لا يرضعن ، ومن ثم  
جاء اسمهن ( a + mazos ) ، بمعنى : اللاتى ليس لهن حلمة للرضاعة / وكان  
أول ذكر لهن عند هوميروس ، فى الإلياذة ، بالكتاب السادس .

(٦٨) وهى الأجزاء المستطيلة الصغيرة ، الحجرية ، التى تقع بين تريجليفين  
( Triglyphs ) ، أعلى العتب ( وفوق الأعمدة ) وأسفل السقف المثلث ( Aetoma ) ،  
للمعبد . وهى هنا جمع ، ومفردا ميتوبى ( Metope ) بمعنى : واجهة .

(٦٩) ومن بين هذه الأسباب ، مثلا ، وقوع انفجار على الأكروبوليس عام ١٦٨٧ م ، مما  
عرض حوالى ٩ ميتويات كاملة للتلف التام ، وبالتالي فإن موضوعاتها لا يمكن  
اليقين حولها ، وإن كان هنا ترجيح قوى بأنها تناولت حياة إريخثيوس .

(٧٠) هى الجزء المعمارى ، المثلث الشكل فى الواجهة وانظر للمبعد ، حيث ينحصر  
فيما بين السقف والميتوبات والتريجليف ، أما التسمية اليونانية ( الأيتوما ) ، فمن  
المحتمل ، أن تكون مشتقة من لفظة ( aetos ) ، أى / الصقر ، حيث يتفق اللفظان  
فى علو مكانهما ، وسيادتهما على مادونهما من أشياء . إن هو المعروف فى  
مصطلحات العمارة ، عندنا ، باسم « الجمالون ».

(71) Robertson, op. Cit., p. 51.

(٧٢) هذا الموضوع ، بالضبط ، ظهر فى رسومات الآتية الآتيكية ، التى تؤرخ بالقرن الرابع ق. م ، مما يؤكد وجوده ، فوق البارثينون ، بهذا الشكل الأصيل . ويبقى أن نذكر ، بكل أسف ، أن كثيرًا من القطع النحتية لهذا الجمالون توجد الآن معروضة فى متحف لندن ، وبعضها فى اثينا .

راجع / British Museum, An Historical Guide to the Sculptures of the parthenon (1962) وهو عبارة عن سجل كامل لكل القطع النحتية التشكيلية اليونانية ، من البارثينون ، مع عرض تاريخى لهذه التماثيل وكذلك راجع / N. Yalouris-F. Kenett, Classical Greece: The Sculptures of the Parthenon, London 1960. وفيه لوحات صور جيدة / وبخاصة تلك القطع فى المتحف البريطانى بلندن .

# قبرص فى المصادر المصرية القديمة

د. محمد السيد عبد الحميد(\*)

قام البحر المتوسط بدور كبير فى تشكيل تاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم ، فعلى سواحلها نمت وترعرعت مدنات العالم القديم ، وكان لتقاربها فى أكثر من موقع وكثرة الجزر التى تنتشر فى أرجائها الدافع الأكبر فى الاتصال بين شعوبه واحتكاكهم وأن يرتبطوا ببعضهم البعض ولحضارتهم أن تتداخل وتمتزج ومن ثم تصبح مراكز لوحدات حضارية إن لم تكن متجانسة تماما فى كثير من مناطقها فعلى أقل تقدير متكاملة<sup>(١)</sup> .

وكما هيا موقع مصر الجغرافى لها أن تلعب دورا فعلا على مدى تاريخها الطويل فى التأثير على حضارات غيرها من شعوب المنطقة ؛ فإن هذا الكلام ينسحب بدوره على قبرص<sup>(٢)</sup> ، كجزيرة فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط لها دورها ، وأهميتها الجغرافية بسبب موقعها الممتاز الذى يتوسط القارات الثلاث آسيا وأفريقية وأوروبا مما جعلها همزة الوصل الحضارى بين بلدان الشرق الأدنى القديم والغرب ، فضلا عن كونها من أكبر موانئه البحرية<sup>(٣)</sup> .

وباستثناء السلاسل الجبلية المحيطة بها فإن السهول الخصبة الصالحة للزراعة - التى ساهمت فى اتصال سكان قبرص ببعضهم البعض منذ أقدم العصور - تشكل الجزء الأكبر من طبيعة الجزيرة<sup>(٤)</sup> .

ومعنى هذا أن النشاط السكانى فى الجزيرة تركز فى البداية فى المناطق الداخلية . وبالإضافة إلى ذلك فإن توافر الموارد المعدنية (النحاس) فى مناطقها الداخلية واكتشافه بها مع بداية القرن السادس عشر ق. م. أدى إلى تحول الاهتمام إلى المناطق الساحلية وخاصة فى مدينتى انكومى Enkomi وكيثيون Kition (شكل ١)

(\*) مدرس التاريخ القديم - كلية الآداب - قنا - جامعة جنوب الوادى .

مما شجعها على الاتصال بعالمها الداخلى المتمثل فى مناطق بحر ايجة وبلاد اليونان الداخلية من جهة والعالم الخارجى المحيط بها وخاصة مناطق الشرق الأدنى القديم ومصر من جهة أخرى<sup>(٥)</sup> ، مما أسهم بطريقة فعالة فى إثبات الكرونولوجيا الصحيحة للآثار القبرصية عن طريق الكرونولوجيا المصرية التى باتت تحدد كرونولوجيا الحضارات الأخرى ببلاد اليونان وكثير من بلدان أوروبا والشرق<sup>(٦)</sup> وبناءا على ذلك أمكن تحديد الحضارة القبرصية القديمة بثلاثة عصور متعاقبة :

العصر القبرصى المبكر E. C. ( ٣٠٠٠ - ١٨٠٠ ق.م . )

( ٢٣٠٠ - ١٩٠٠ ق.م . )

العصر القبرصى المتوسط M.C ( ١٩٠٠ - ١٦٠٠ ق.م . )

العصر القبرصى الأخير L.C. ( ١٦٠٠ - ١٠٥٠ ق.م . )

وهذه العصور الثلاثة تكاد توافق على وجه التقريب عصور الدولة القديمة فالوسطى فالحيثة المصرية<sup>(٧)</sup> .

ومما سبق يتضح لنا أن قبرص كانت تشغل مكانة مرموقة بين المجتمعات القديمة فى عالم البحر المتوسط ، الأمر الذى هيا لها الفرصة للقيام بدور فعال فى تاريخ المنطقة<sup>(٨)</sup> .

لقد أدت أعمال الحفائر والتنقبات الأثرية المتواصلة فى المواقع الأثرية المختلفة داخل الجزيرة إلى الكشف عن آثار عديدة تدل على وجود علاقات متبادلة بين قبرص وجيرانها فى الشرق الأدنى ومصر خلال عصر البرونز المتأخر ١٦٠٠ - ١٠٥٠ ق.م الذى - يتزامن مع فترة الاستيطان المينوى والموكينى فى



قبرص - بزغت فيه بوادر ثقافية قبرصية جديدة ومراكز حضارية جديدة أهمها إنكومي ، كيتيون ، مورفو - تومبا توسكورو ، فريسي، توباربا في لايبثوس ، مواقع التعدين في نقوسيا ، وأثينوا وتيكى وأغيوس سوزومينوس وأبليكى ومائياتيس<sup>(٩)</sup> .

وقد يسرت طبيعة الملاحة في البحر المتوسط سبل الاتصال المبكر لقبرص بحضارات الشرق الأدنى القديم والعكس ... ، وأصدق صورة لذلك رحلة « ون آمون »<sup>(١٠)</sup> عبر طريق الشرق ( شكل ٢ ) الذى يعد أكثر أمنا وخاصة بالنسبة للسفن الصغيرة ، ومن أنسب الطرق البحرية في العصور القديمة<sup>(١١)</sup> .

ويرجح أن الحاجة الاقتصادية قد عجلت التعاون فيما بين مراكز الحضارة القديمة في الشرق الأدنى . وربما كان لتوافر النحاس في الجزيرة وحاجة مصر إليه هى التى دفعتها إلى الملاحة البحرية والتجارة البعيدة المدى التى كانت عناصرها الأساسية موجودة منذ الألف الثانى ق. م ونظرا لأن مصر الأقوى والأرفع حضارة ، بالإضافة إلى كونها أكثر اكتفاء ذاتيا من قبرص منذ أقدم عصورها ؛ لذا يرجح أن القبارصة كانوا هم البادئين فى الاتصال بمصر ، ومن ثم يبدو لنا أن العلاقات المصرية القبرصية كانت على غرار العلاقات المصرية - الكريتية ذات صبغة تجارية<sup>(١٢)</sup> .

الواقع أن تحديدا زمنيا لبداية تاريخ العلاقات المصرية القبرصية أمر صعب الجزم به ، وبخاصة فى عصرى الدولة القديمة والوسطى ؛ نظرا لأن وثائق كلا العهدين لم تشر إلى هذه الجزيرة . وعلى الرغم من غياب الدليل الوثائقى القاطع إلا أنه يرجح قيام علاقات أو صلات من نوع ما مباشرة أو غير مباشرة فى تلك العصور ، وكانت غالبا ما تتم عن طريق الساحل السورى خاصة مدينة « أوجاريت »<sup>(١٣)</sup> .

ومع ذلك ، فإنه يمكن ترجيح تأريخها بالقرن الخامس عشر ق. م. ويستدل على ذلك بالآثار المصرية التى عثر عليها فى الجزيرة من ( حلى وخزف وجعارين ) ويرجع تاريخها إلى النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشرة ، أظهرها تلك الخواتم والجعارين التى عثر عليها فى المناطق التالية :

( أ ) Dhima عثر فيها على خاتم نقش عليه اسم الملك تحوتمس الثالث<sup>(١٤)</sup> .

(ب) انكومى عثر فيها على جعارين منقوش عليها اسم الملك أمنحتب الثالث وزوجته الملكة تى وأمنحتب الرابع ورمسيس الثانى والثالث<sup>(١٥)</sup> .

(جـ) انكومى عثر فيها على خاتم فضى للملك أمنحتب الرابع بالإضافة إلى خواتم برونزية صدرية ، جعارين ، لؤلؤ بشكل جعران ، ضفدعة ، أوانى من الألباستر والزجاج والفيانس ، وبيض النعام ، ولوحة من العاج بيضاوية الشكل عليها نقش بارز يمثل زنجى<sup>(١٦)</sup> .

وفى عصر إخناتون أصبحت قبرص حاضرة مملكة ميسينية على علاقة بمصر . ويحتمل أنها لعبت دوراً بارزاً فى تقدم التجارة الموكينية . ويستدل على ذلك بالآثار التى تتمثل فى كسرات الفخار القبرصى الذى عثر عليها فى العمارنة<sup>(١٧)</sup> يرجح أن تاريخها يرجع إلى العصر الميكينى الثالث(أ)<sup>(١٨)</sup> . وقد عثر على آثار عديدة فى « أبو غراب » ( ثلاث جرار ركابية ) « وريفة » ( جرتان ركابيتان كرويتان ) أحدهما من مقبرة « باسر Pasar » يرجح أنها قبرصية ويرجع تاريخها إلى العصر الميكينى الثالث الانتقالى ( أ ) و ( ب ) - وفى أبيدوس عثر على جرار قبرصية يرجع تاريخها إلى العصر الثالث (ب)<sup>(١٩)</sup> .

ومما يعضد ذلك ما ذكره : هول H.R. Hall من أن القبارصة من أنكومى قد مثلوا فى الوفود الإيجية ( كفتيو والجزر التى فى وسط البحر ) التى قدمت إلى مصر فى عهد إخناتون<sup>(٢٠)</sup> .

وقد أسفرت التحريات الأثرية فى كيتيون عن العثور على الآثار التالية:


- ١ - صولجان خزفى منقوش عليه اسم الملك « حور محب » .
- ٢ - إناء للخمر منقوش عليه اسم الملك « سيتى الأول » .
- ٣ - تمثال صغير للمعبود بس يرجع تاريخه إلى القرن الحادى عشر ق. م.
- ٤ - معبد للمعبود « بس » يرجع تاريخه إلى عام ١٢٠٠ ق.م يشبه النماذج المصرية لبناء المعابد<sup>(٢١)</sup> .

وأخيراً يذكر « هيرودوت » فى كتابه الثالث ( فقره ٣٩ ) أن الملك «أمازيس» عندما أدرك قوة فارس وملكها « قورش » وشدته ، مقدراً عواقب نشاطه الخطير، سارع إلى إخضاع قبرص وكان ذلك فى عام ٥٧٠ ق.م.<sup>(٢٢)</sup>.

وقد أدت وثائق الشرق الأدنى القديم دوراً مهماً فى التعريف بهذه الجزيرة خلال عصر البرونز المتأخر على الرغم من عدم الاتفاق فيما بينها فى ذكرها باسم موحد ، ولقد جرت محاولات عديدة لتحديد هوية الإشارات الواردة إلى هذه الجزيرة فى مصادر هذه الفترة . فالوثائق المصرية ووثائق الشرق الأدنى المعاصرة لها - تردد اسم ألأشيا ( Alashia )<sup>(٢٣)</sup> ، « ألأسا » ( Alasa ) ، « إيسرس » ، « يرس » ( Yeres ) أو « إيسى ، آسى ، إيزى » ( Asy ) « وكفتيو » ( Keftieu ) و « كتيم » ( Kitim ) و « كابتار » ( Kaptar ) .

والجدير بالذكر انه قد ثار جدل طويل بين المؤرخين حول هوية هذه البلدان وأين تقع ؟ وما مدى صلتها بقبرص ؟ وهل هى جزيرة بالفعل أم أراضى قارية تقع فى آسيا ؟ وأياها قبرص ؟ والواقع أن عصر الدولة الحديثة فى مصر والعالم الخارجى كان عصر لإتصال الشعوب بعضها ببعض ، وفيه شهدت مصر حركة هجرة غير عادية منها وإليها ، لم تشهدا من قبل فاستخدموا الأجانب بكثرة ؛ ومن ثم أصبحت الأسماء الأجنبية متداولة على السنة العامة<sup>(٢٤)</sup> . وقد تعددت الأمثلة التى

وردت بها تلك الأسماء ومن أهمها - والتي تخص موضوعنا - « الأاشيا » وقد ظهر في شكلين :

الاسم وهو « الأاشيا » A-la-si-ia<sup>(٢٥)</sup>  و « الأاسيا » A-la-sa<sup>(٢٦)</sup> أو « ايرس »  
A-la-si-ia وهي الصورة التي عرفت في النصوص المسمارية كما وردت في رسائل  
العمارنة. أما « الأاسيا » A-la-sa أو « ايرس » فهو  
المقابل المصرى الهيروغلى لها . وهاتان الصورتان هما مجرد شكلين  
لنفس الاسم<sup>(٢٦)</sup> . وأقدم ذكر لهذه الأسماء ورد في النصوص المصرية جاء  
في الشكل ( P3 - a - la - sa ) في حساب أرض ، يرجع  
تاريخه إلى عهد الملكة « حتشبسوت »<sup>(٢٧)</sup> .

وقد ذكرت كأحد المدن التي تقع في مجاورات حلب والفرات ، في نص  
يرجع تاريخه إلى عهد الملك تحتمس الثالث .

ويرجح أن هذا الاسم كان يطلق على بلاد مهمة تقيم علاقات سياسية  
واقتصادية مع مصر وبلدان الشرق الأدنى القديم<sup>(٢٨)</sup> . ورغم ذكرها في عهد  
حتشبسوت إلا أن<sup>(٢٩)</sup> البعض يميل إلى القول بأن العلاقات المصرية الآشية كانت  
قد بدأت منذ عصر تحتمس الثالث .

وفي عهد إخناتون تغيرت الأمور عنها في عهد تحتمس الثالث ففي رسائل  
العمارنة وردت سبع أشارت إلى مملكة تسمى « الأاشيا » (EA-33-39)<sup>(٣٠)</sup> . وفيها  
يخاطب ملكها - الذى لم يذكر اسمه - الملك المصرى ، والذى يرجح أنه  
«إخناتون» . هذا بالإضافة إلى رسالة ( EA 40 ) من رئيس وزراء الأاشيا إلى نظيره  
المصرى<sup>(٣١)</sup> .

وقد ورد هذا الاسم في هذه الرسائل بالأشكال التالية : الأاشيا A-La-ši-ia  
(شكل ٣) كما في الرسائل ( ٢/٢٣ ؛ ١/٣٤ ، ٣٩ ، ٢/٣٥ ، ٣٠ ، ٢/٣٨ ،  
٣/٤٠ ؛ ٥٢/١١٤ ) والشكل A-La-si-ia الأاسيا كما في الرسالة ( ٢/٣٧ )<sup>(٣٢)</sup> .

ويلاحظ فى هذه الرسائل أن ملك الآشيا يخاطب الفرعون مخاطبة الأخ لأخيه، فى الرسالة (٣٣) نقرأ تهنئة ملك الآشيا لأمنحتب الرابع بارتقائه العرش ، وينتهز هذه الفرصة ليعرض على فرعون تبادل الرسائل بين الجانبين وقد أرسل ملكها مائتى « ثلثت » من النحاس ( الثلثت وزنة ٥٧ رطلا ) (٣٣) ( شكل ٤ ) .

ويستمر الملك الآشى فى المخاطبة الودية لفرعون مصر «أمنحتب الرابع» فى الرسالة (٣٤) نقرأ : « هكذا تكلم ملك الآشيا إلى ملك مصر ، أخى أعلم أننى على ما يرام وأن أرضى على ما يرام ... وقد أرسلت إليك مائة ثلثت من النحاس ... » (٣٤) .

وفى الرسالة ( ٣٥ ) يعتذر الملك الآشى لفرعون عن صغر حجم رسالة النحاس التى بعث بها إلى مصر ( والتى تبلغ خمسمائة ثلثت ) . فقد حل الوباء ببلاده ودمرها ، وأمتد إلى قصره فقتل ابنه أيضا ، وفى خطابه يلقى الملك الآشى تبعه ما حدث على المعبود الأكبر نرجال (٣٥) ، وجعله مسؤولا عن موت كثير من المدنيين والمشتغلين بصهر المعادن حيث يقول : « قتلت يد نرجال كل الناس فى بلدى ، ولهذا لم يعد هناك من يستطيع إنتاج النحاس » ويعتذر فى نفس الخطاب عن احتجازه المبعوث المصرى ثلاث سنوات فى بلاده ، ويخبره أيضا أن يد نرجال ما زالت مستمرة فى الضغط على بلده ، بل إنها قد طالت قصره حيث قتلت ابنه (٣٦) .

وفى موضع آخر من نفس الخطاب يطلب الملك الآشى من فرعون الفضة « فليرسل أخى الفضة التى سألتك عنها فى كميات كبيرة ... » (٣٧) . كما أنه كتب لفرعون فى موضع آخر من نفس الخطاب يرجوه ألا يعقد تحالفا مع ملك «خاتى» أو ملك « شنعار » ( سنجر ) (٣٨) . غير أنه لم يذكر السبب لذلك (٣٩) . وفى نفس الخطاب نجد أن الملك الآشى يطلب من فرعون أن يرسل إلى الآشيا متاع أحد رعاياه وكان قد مات فى مصر لصالح ابنه وأرملته (٤٠) . ويرجح البعض أن هذا

الطلب ربما يمثل نوعا من المساومات الدبلوماسية الخاصة التي تعد إرهاصا بمولد القانون الدولي الخاص ، وربما نمت على التنظيم الرفيع للعلاقات الدولية في ذلك العصر<sup>(٤١)</sup> . وفي الرسالة (٣٦) نقرأ أن ملك الأاشيا كتب إلى الفرعون يخبره بأنه أرسل إليه قوالب النحاس المنتج من بلده ( والآن ) أرسلت لأخى ٨ تالنت من النحاس والمتبقى سبع تالنت من أصل ثلاثين تالنت من النحاس ) . وبالرغم من أن الرسالة ناقصة إلا أن المتبقى منها يشير إلى غنى الأاشيا بالنحاس<sup>(٤٢)</sup> .

وفي الرسالة (٣٧) استمر ملك الأاشيا يتوعد إلى الملك المصري ويخاطبه (بأخى) وتتضمن هذه الرسالة إقرار من الملك الأاشي بإستلامه الفضة والخيول من فرعون وعودة رسوله<sup>(٤٣)</sup> . وفي الرسالة (٣٨) يبدو أن ملك مصر أخذ يتشكك في إخلاص ملك الأاشيا فاتهمه بأنه يقوم بالتآمر على مصر مع قراصنة من بلاد اللوكى Lukki<sup>(٤٤)</sup> ، ولذلك كتب إليه ملك الأاشيا مبرئا نفسه من تلك التهمة وينفى مسئولية بلاده عن الخسائر التي تعرضت لها السفن المصرية ، مشيرا إلى أن بلاد اللوكى يغيرون سنويا على أراضى الأاشيا نفسها وينهبون مدنها ، وهم مسئولون عن هذه الخسائر وليس البحارة التابعون له<sup>(٤٥)</sup> . ومما يؤكد ذلك أنه فى الرسالة (٣٩) يتوسل لفرعون ويرجو إعادة رسله من التجار<sup>(٤٦)</sup> .


هذا بالإضافة إلى الخطاب (٤٠) الذى يعد من الخطابات الهامة إذ أرسله رئيس الوزراء الأاشي إلى نظيره المصرى يطلب إليه تبادل السلع ، وكذلك يرجوه أن يطلق سراح سفنه وبعض الناس التابعين لملك الأاشيا ويعتقد البعض أن هؤلاء هم أعوان بلاد لوكى الذين اتهم الفرعون ملك الأاشيا بالتواطؤ معهم على مصر<sup>(٤٧)</sup> .


وذكرت الأاشيا - أيضا - فى الخطاب ( ١١٤ ) الموجه من ( ريبادى ) Rib-Addi حاكم بيبلوس ( جبيل ) إلى إخناتون فى إشارة فحواها أنه جهز لسفر شخص يدعى « أمنامشا » Amanmasa إلى « الأاشيا » أرضاء لفرعون<sup>(٤٨)</sup> .

وفى عصر الرعامسة ذكرت الأشياء : فى النصوص المصرية فى الشكل  
التالى :


ايرس أويرس Yeres {  } (٤٩) .

ويلاحظ على هذا الاسم أن أول ظهور له كان فى عصر ( الأسرة التاسعة  
عشر ) حيث يذكر فى قائمة على قاعدة تمثال « أبو الهول » يرجع تاريخها إلى  
عهد الملك « سيتى الأول » عثر عليها فى معبد الجنائزى بالقرنة نقش عليها ما  
يأتى :

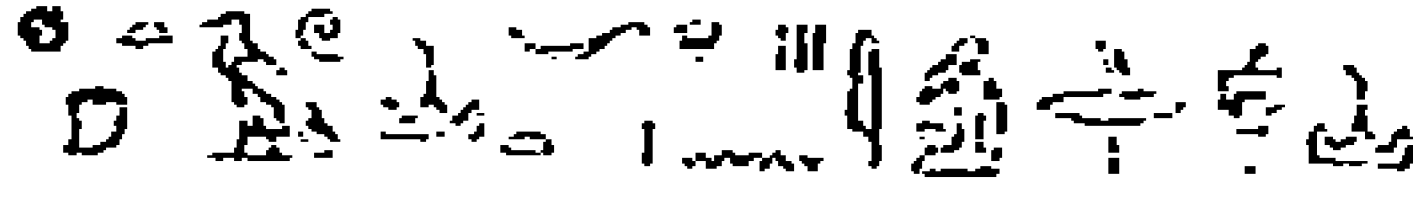
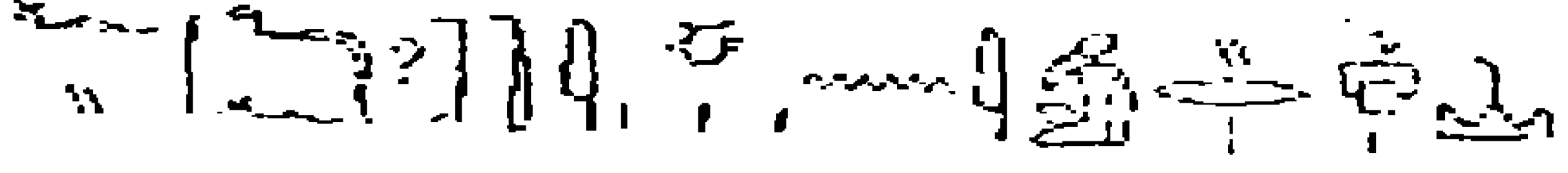
« ( ١ - ٩ ) قائمة الأقواس التسعة ، ( ١٠ ) بلاد خيتا ، ( ١١ ) بلاد نهرين ،  
( ١٢ ) إرسا  ( ١٣ ) عكا ، ( ١٤ ) سميرا ... » (٥٠) .

ويذكر « وينرايت » أنه فى مستهل إحدى قوائم الأسرى التى ترجع إلى عهد  
الملك سيتى الأول وبعد ذكر بعض البلاد الأجنبية وخاصة « مجدو Megiddo » نجد  
المتن مهشما ويحتمل أن الاسم المهشم الذى يلى « مجدو » وقبل « حمتو » أنه  
« ألسا »  (٥١) .

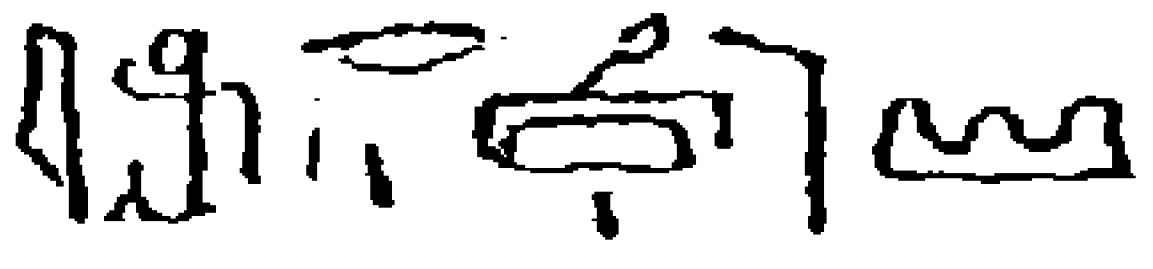
وقد ورد هذا الاسم - أيضا - فى قائمة أخرى ( للأسرى ) ترجع إلى عهد  
الملك رمسيس الثانى « منقوشة على حائط معبد « سرة » فى النوبة (٥٢) مرتبة على  
النحو التالى :

( ١ ) نهارين (أعلى الفرات) ( ٢ ) خيتا ( الحيشين ) ( ٣ )   
إرس (أشيا = قبرص ) ، بدلا من أرش irh ( الألاخ ) ( ٤ ) ( بلاد ما بين  
النهرين ) ( ٥ ) محطم ( ٦ ) كفتيو ( ٧ ) ق ... ( على الأرجح قرقيش ) ( ٨ ) توينب  
( ٩ ) قادش ( ١٠ ) أوجاريت ( ١١ ) كدن ، أما بقية القائمة فمحطمة (٥٣) .

ونكرت أيضا فى عهد هذا الملك فى نص واحد مع ( إسى ) . (ألسا)  
«خيتا» « سنجار » « كفتيو » وفى النصوص المتأخرة للأسرة التاسعة عشرة

إشارات متعددة إلى منتجات « إرسا »  حيث تذكر  
بردية « انستاسي » « أن زيت » فيدي ( Fidi ) و « انبو » ( Inbu ) قد احضروا  
من « إرسا » ( ألسا ) مع زيوت « خيتا » و « سنجارا » وأرض « أمور »  
و « تيخس »<sup>(٥٤)</sup> وفي موضع آخر ذكرت أن أبناء « ألسا »<sup>(٥٥)</sup>  
قد احضروا زيت « أيوبا » ( Iupa ) وذكرت بغا « ألسا » مع خيول « سنجارا »  
و « خيتا »<sup>(٥٦)</sup>  <sup>(٥٧)</sup>.

ويذكر « ماسبيرو » أن هذا الزيت غير معروف لكن ( ربما يكون الزيت ،  
القار ) ، أما « أنبو » فيرى فيه « دي . روجيه » العنب بينما يرجح « ماسبيرو »  
أنه نوع من أنواع النبيذ<sup>(٥٨)</sup>.

وفي عهد رمسيس الثالث تعرضت إيسر  
 <sup>(٥٩)</sup> ، لهجمات شعوب البحر .  
ففي نقش السنة الثامنة من حكمه على جدران معبد مدينة هابو نقراً :

« أما أهل الممالك الأجنبية فقد تأمروا في جزرهم وقد خربت  
الأراضي وشتتت في ساحة الوغى في وقت واحد ، ولم تكن هناك أرض  
يمكن أن تقف أمام أسلحتهم من بلاد « خاتي » و « قودي » و « كركميش »  
ويرث « (إزراوا « كليشيا ») « ويرس » ( الأشييا - قبرص ) ولكنهم سحقوا  
في وقت واحد ... »<sup>(٦٠)</sup>.

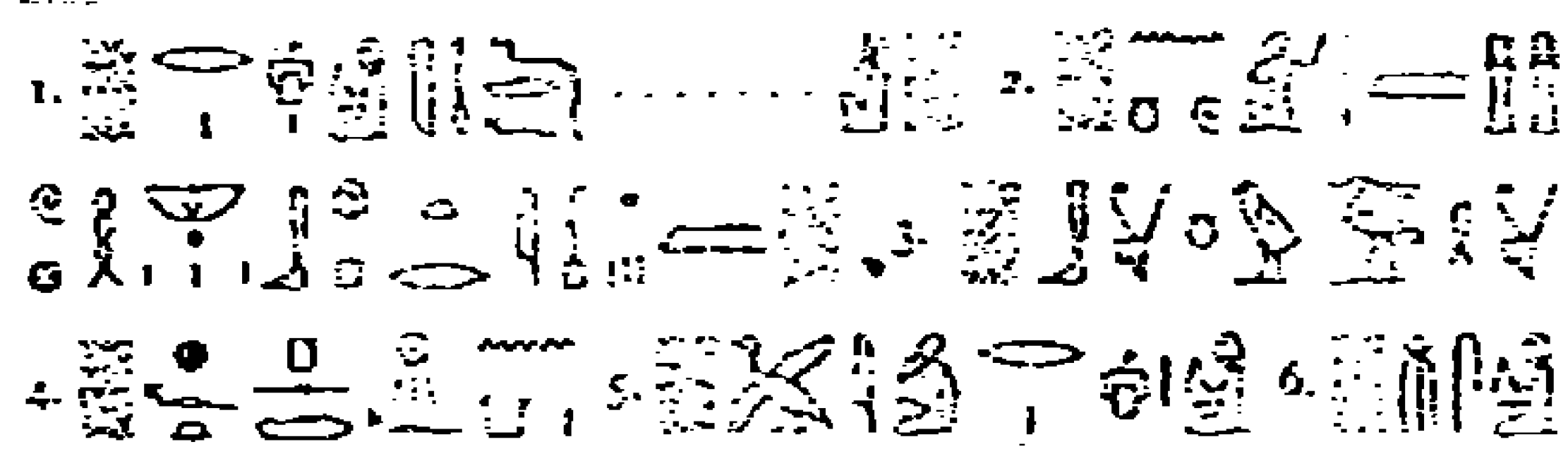
وقد ورد ذكرها - أيضا - في نقش بالشكل التالي :


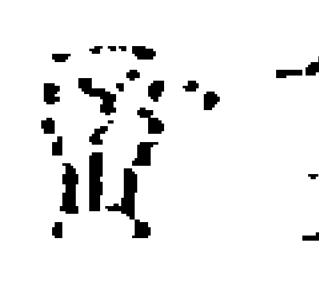


ويرجع تاريخه إلى عهد الأسرة العشرين<sup>(٦١)</sup> . وهذا اسم « يرس »  
أو « إرس » IRS الذي وجدته المؤرخون بالأشيا وطابقوه بقبرص<sup>(٦٢)</sup> . ذكر  
مرة أخرى على لوحة من الحجر الجيري - في مجموعة فرايبورج



(Freiburg) فى بـادن ( Baden ) التى نفذت بأسلوب الأسرة التاسعة عشرة بالشكل التالى :



ونكرت « ألشيا »  قصة « ون آمون »  
مبعوث حريحور Hrihor إلى فينيقية للحصول على ألواح خشبية من لبنان لقارب الاحتفالات الخاص بالإله مون ، وبعد عدد من النكبات التى صادفته وصول « ون آمون » إلى ألشيا حيث لجأ مبعوث حريحور إلى أميرة « ألشيا » « حاتيبا »  أو « حتب » Heteb<sup>(٦٣)</sup> ملكة قبرص ويقول ون آمون :

« عندما أتى الصباح ، استدعى معيته ووقف فى وسطهم ، وقال « لماذا جئتم وراءه » ؟ فقالوا له : جئنا وراء السفن المعصوفة التى ترسلها إلى مصر مع خصومنا لكنه قال لهم « لا يمكننى القبض على رسول آمون فى داخل أرضى . فدعونى أبعده وطاردوه لتقضوا عليه » . وحملنى ، وأبعدنى من هناك عند ميناء البحر . وألقت بى الرياح على أرض « ألشيا Alashiya . وخرج الذين فى المدينة ضدى ليقتلونى ، لكنى اخترقت طريقى بينهم إلى المكان الذى توجد فيه حتب Heteb ، أميرة المدينة ، فقابلتها حينما كانت تخرج من إحدى منازلها لتدخل منزلا آخر لها . ومن ثم قدمت لها التحية ، وقلت للناس الذين كانوا بالقرب : « أليس ثمة واحد بينكم يفهم لغة مصر . فقال أحدهم : « إننى أفهم ، وعلى ذلك قلت له : « بلغ سيدتى إننى سمعت حتى طيبة ، فى المكان الذى يقيم فيه آمون أن الظلم يرتكب فى كل مدينة ، لكن العدالة تقام فى أرض ألشيا ذلك فإن المظالم تكتب كل موجة هنا : « فقالت لماذا ، ما الذى تعنيه بقولك ؟ » فقلت لها : « إذا كان البحر هائجا والرياح تدفعنى على الأرض حيث تقيمين ، فلا يجب أن تسمحى لهم بقتلى ، لأننى

رسول آمون . أنظري - أما فيما يختص بى ، فسيبحثون عنى كل الوقت! أما فيما يختص ببشارة أمير بيلوس الذين مالوا إلى القتل ، فلسوف لا يجد سيدها عشرة من بحارتك ، ليقتلهم أيضا « ولهذا أرسلت تدعو لقومها ووقفوا ( هناك ) ، وقالت لى : « امض الليل » .

وعند هذه النقطة تتوقف البردية . ولا نعرف نتيجة ما حدث . ولكن لما كانت القصة قد رويت فى ضمير المخاطب فيرجح أن « ون آمون » عاد إلى مصر ليروى قصته سالما أو ناجحا فى مهمته إلى حد ما<sup>(٦٤)</sup> ويفهم من النص أن «ون آمون» ذهب إلى الأشياء ورأى الحياة فيها وأن الناس فيها يمثلون شعبا واحدا تحكمهم أميرة ، ويفسر البعض ذلك باستمرار النظام الأموى الذى ظلت له آثار باقية فى ملاحم هوميروس وفى أنظمة دويلات المدن الإغريقية وكذا الشرقية . ومن ثم يبدو الأمر عاديا فى قبرص أبان القرن الثانى عشر ق. م أن تحكمهم امرأة<sup>(٦٥)</sup> .

ومما سبق يتضح أن رسائل العمارنة فى مجملها تحمل طابع الود وذات لهجة دبلوماسية تتم على حرص الملك الآشى على أن تكون علاقاته طيبة مع مصر ، وكسب ود الفرعون المصرى ، وعدم معاداته . لذلك نجده دائما يخاطبه بلقب أخى « أنت أخى » . ومن ثم فإن الود والصداقة كانا هما طابع العلاقات بين مصر والأشياء فى زمن إخناتون . ومما يدل على ذلك الاعتذار الرقيق الذى أرسله ملك الأشياء إلى إخناتون يعتذر فيه عن عدم تهنئته بعيد تنصيبه وأنه يرجوه ألا يأخذ ذلك عليه وألا يكون سببا فى تكدير صفو العلاقات الطيبة التى بينهما ، وأرسل إليه رسولا يحمل الهدايا الجمّة وطلب إليه أن يغدق عليه من خيرات بلاده<sup>(٦٦)</sup> .

وبلغت رغبة ملك الأشياء فى صداقة مصر أنه حذر فرعون من الدخول فى أية معاهدة مع مملكة « خيتا » أو « بابل » . ونستشف تلك العلاقات الوثيقة بين

البلدين من تلك التلميحات العابرة الواردة فى الخطاب والتي تدل دلالة واضحة على ما كان بين البلدين من روابط وثيقة من الناحيتين السياسية والاجتماعية .

وعلى الصعيد التجارى فإن الخطابات من ( ٣٣ - ٣٦ ، ٤٠ ) تدل بما لا يدع مجالا للشك أنه كانت هناك علاقة تجارية بين البلدين تدعمها معاهدات تجارية، إذ كانت مصر تستورد النحاس من الأشياء وتتلقى فى مقابلها مجموعة مختلفة من السلع أهمها الفضة التى كانت معدومة فى الأشياء ، والأبنوس وآنية الزيت ( ٣٦ - ٣٧ ) . وتعد نصوص بوغاز كوى أكبر شاهد على إنتاج النحاس من قبرص كما تعد الأشياء مركزا للسفن ( رسائل العمارنة ١٣/٣٦ (٢) - ١٧/٣٩ - ١٧/٤٠ (٦٧) .

وهكذا يتضح لنا أن بلاد الأشياء كانت المصدر الرئيسى للنحاس فى عالم البحر المتوسط وكانت تبعث بكميات كبيرة منه إلى مصر . وقد أوضحت الرسائل أنها أرسلت مرة ( ٢٠٠ تلنت ١٦/٣٣ ) وأخرى ١٠٠ تلنت ( ١٨/٣٤ ) وثالثة ٥٠٠ تلنت ( ١٠/٣٥ ) ورابعة ٨ تلنت ( ٥/٣٦ ) (٦٨) .

ومن ثم يمكن تحديد طبيعة العلاقة بين مصر والأشياء فى تلك الفترة بأنها ذات صبغة تجارية (٦٩) ، وأن النحاس كان على رأس قائمة البضائع المتبادلة . وأهمية هذا تكمن فى ترجيح اعتبار الأشياء مصدرا رئيسيا للنحاس وبالتالي ترجيح مطابقتها بقبرص التى كانت تعتبر موطننا للنحاس فى العالم القديم (٧٠) .

والجدير بالذكر أنه قد ثار جدل كبير بين المؤرخين وتعدت آرائهم حول إذا ما كانت كلمة « الأشياء » التى وردت فى نصوص الدولة الحديثة السابقة هو الاسم الذى أطلقه المصريون على جزيرة قبرص أم لا ؟ . والجدل ليس حديثا بل تمتد جذوره إلى ما قبل عام ١٩٠٠ حول تحديد موقع الأشياء ، فقد رأى كل من ماسبيرو ( ١٨٨٨ ) وأ. فيديمان ( ١٨٩٠ ) وم. ميللر ( ١٨٩٣ ) أن أصل موقع الأشياء فى

سوريا على مقربة من مصب نهر الأورنت على طول الساحل ، ويقول « ميللر » أنها تمتد حتى البلدة التي تقع جنوب النهر في حين أن ماسبيرو يرى أنها تمتد حتى سفوح جبال الأمانوس في شمال النهر<sup>(٧١)</sup> . غير أن « ميللر » حاول في عام (١٨٩٥) أن يبين أن الأشياء كانت شكلا آخر لاسم « إسي Asy » الذي أقره على أنه قبرص ، أي أن « ميللر » يحول « الأشياء » من الوطن الأم إلى قبرص ودعم نظريته بناء على إنتاج وتصدير النحاس وسياسة الحياد التي أتبعها الملك الألاشي بين المصريين والحيثيين والتي ركن إليها في اعتبار الأشياء جزيرة - أو تقع في جزيرة مثل قبرص - أكثر من أن يكون مكانا في الوطن الأم<sup>(٧٢)</sup> .

وقد أكد « كوندرا » هذا الاتجاه في كون الأشياء جزيرة وعضد ذلك بمطابقتها مع الاسم أليشه وجزائر أليشه التوراتية ( سفر التكوين ١٠/٤ حزقيال ٢٧ / ٧ ) المصحوبة بكلمة إيبى ( التي ترجمت بوجه عام جزر أو جزائر . وقد ظهرت في محيط يوناني كما ورد في التوراة « وبنو ياوان أليشه وترشيش وكتيم ودودانيم » ، ومن النص فإن الأشياء تبدو على وجه التأكيد أنها ضمن مجموعة تتألف أساسا من أراضي وجزر يونانية ، ومن ثم فإن أليشه هي الأشياء التي تشير إلى قبرص<sup>(٧٣)</sup> ، وفي عام ١٨٩٦ / ٩٥ أقر « Jensen » بأن الأشياء هي قبرص معتمدا في ذلك على النقش الموجود في « تاماسوس Tamasos » والذي يطابق الاسم « ألاسوتاس Alasotras » مع الاسم « أبوللو » غير أن « Jensen » نفسه يقر عدم استبعاد احتمال الأصل الأجنبي<sup>(٧٤)</sup> .

وقد عارض هذا الاتجاه بشدة « وينرايت Wainwright » واعتمد في تقييم معلوماته على عدة أدلة :

- ١ - صناعة وتعددين النحاس في سوريا .
- ٢ - العلاقات السياسية بين هذه الأراضي كما تظهر في حوليات تحوتمس الثالث وخطابات تل العمارنة .
- ٣ - معادلة الأشياء مع إليشا التوراتية .

أولا : يذكر وينرايت أن عنصر النحاس ليس عاملا حاسما لمطابقة الأشياء مع قبرص ، وفوق ذلك فهو يرى أن الأشياء ليست قبرص بل هي بلدة في شمال سوريا ويستند إلى أن الجانب الصخري من هذه الأراضي مغطى بطبقة من النحاس ، وأنه إذا كان النحاس كثير الوجود في قبرص فسيكون أيضا كثير الوجود على امتداد القارة حسب المعلومات الجيولوجية - جبال امانوس - أو المنطقة الشمالية لسلاسل هذه الجبال . كما أن معدن النحاس الخام موجود بكثرة في آسيا الصغرى وفي شمال سوريا ، بالتحديد في منطقة حلب<sup>(٧٥)</sup> . كما أن مناجم النحاس القديمة توجد في شمال لبنان وليست بعيدة عن جب ( Arba ) المجاور لكفتيو<sup>(٧٦)</sup> و ( Riha ) في الرحلة من حلب إلى جبل ( Ala )<sup>(٧٧)</sup> . ويعضد نظريته بأن الأشياء أراضي قارية ، ولم تكن في يوم من الأيام جزيرة كما ادعى « ميللر » وأن فكرة الحياد التي استند إليها في تدعيم رأيه في كون الأشياء جزيرة يمكن الرد عليها بأن ملك تلك البلدة لم يكن هو الحاكم الوحيد الذي كان يؤمن بمكانه مصر ، إذ أن كثيرا من الأمراء التابعين له لم يبدو رغبة في التمرد على السلطة بل ظلوا موالين للحكام ، ومن ثم فمن الطبيعي أن يكون موقع هذه البلدة في الوطن الأم أكثر من كونه في جزيرة<sup>(٧٨)</sup> بالإضافة إلى أن كلمة ٨٠ - - آيبي ( التوراتية تشير على حد سواء إلى حدود السواحل ، ولا تتضمن بالضرورة جزيرة .

إذن فليست هناك ضرورة في أن نقول في « أليشة » سوى أنها بلد ضمن الوطن الأم أو الأجزاء الرئيسية من البلاد - الواقعة في شمال سوريا وآسيا الصغرى - كما أنه ليس هناك داع لأن نضفي عليها صبغة يونانية بوجه خاص ، أما بخصوص النص التوراتي ( سفر التكوين ( ١٠ / ٤ ) فقد طابق بين يافان وأيونيا وترشيش بطرسوس . أما « كتييم » فقد طابقها بقبرص ، غير أنه لم يوافق على مطابقة « دودانيم » برودس بل ذكر بأنه لو أمكن القول بأن دودانيم - الاسم المعروف جيدا في المصادر المصرية - هي دانونا Danuna (شعب في شمال سوريا)، فإنه من غير المقبول اعتبار أليشه جزيرة يونانية بسبب جوارها للحدود اليونانية ،

ويخلص « وينرايت » إلى أن موضوع أليشة بالتحديد هو ألاشيا ، على الساحل بجوار دانونا ( شمال سوريا ) بالقرب من كيليكيا ( طرسوس ) وقبرص ( كتييم ) . ومن ثم فإن الاسم الأخير يضعف أى احتمال فى النظرية التى تقول أن اليشة هى قبرص، وذلك لأن الاسم « كتييم » فى الغالب يوضع فى الاعتبار على أنه يشير إلى تلك الجزيرة<sup>(٧٩)</sup> .


ويؤكد « وينرايت » نظريته ذات الاتجاه السورى فى تفسير كلمة ألاشيا بإضافة جزئية أخرى ولكنها دينية وتتمثل فى العنوان *Alaiaolotras* الموجود على نقش « تاماسوس » . وأسماء الأماكن القبرصية الحالية مثل (Alassos, Ailasyka Arsos) التى استخدمها البعض دليلا على أن قبرص هى ألاشيا - فإن « وينرايت » لا يعلق أهمية على ذلك ، ويرى أن هذا اللقب يتضمن أن حامله هو إله ألاسى *Alas* ، غير أنه لم يكن من أصل تاماسوس ولكنه صدر من « ألاسى » إلى هناك ، وأنه اضطر إلى الإبقاء على هويته فى الصراع من أجل البقاء مع المنافسة المحلية وذلك عن طريق إضافة اسم الأسرة . ويرجح أن تلك كانت عادة سائدة بالنسبة للآلهة المستوردة . وأما بالنسبة لأسماء الأماكن فعلى الرغم من أهميتها الكبيرة ، فإن هذه الأسماء تشبه « ألاشيا » ولا تقتصر على « قبرص » ولكنها فى أماكن أخرى مجاورة مثل أرسوس على الساحل الشمالى من سوريا<sup>(٨٠)</sup> .

ولكن محاولة « وينرايت » وتقييمه لهذه المعلومات فى تحديد موقع « ألاشيا » لم تلق قبولا لدى قطاع عريض من العلماء وعلى رأسهم « فيركوتيه » علم ( ١٩٥٦ ) الذى يرى أن قبرص تسمى فى النصوص المصرية « ايزى إسى *Isy* » أو « ايرزا / إرسا *Yrsa* » و « ألازيا / الاسيا *Alasia* »<sup>(٨١)</sup> .

وفى دراسة له عام ( ١٩٣١ ) ذكر « سايس *Sayce* » أن « كابتار » التى ظهرت فى معبد « كوم أمبو » ( *K-p-t-a-r-a* ) ضمن قائمة جغرافية ترجع إلى عهد « سرجون الأكدي » ٢٧٠٠ ق.م جاء فى نهايتها أن التجارة البابلية كانت تمتد إلى

أرض القصدير ( و ) كابتار هي الأراضي التي تقع خلف البحر العلوى ( البحر المتوسط ) ، وترجم التعبير « kuki » المصاحب لها على أنه الرصاص وعليه فإن « كابتار » تكون إما قبرص أو جزء من الساحل جنوب شرق آسيا الصغرى .

وبالإضافة إلى ذلك يرى أن هناك فرقاً بين « كابتار » « وكفتي » يتمثل فى اللاحقة ( ar ) التي يفسرها على أنها تعنى جزيرة أو شيئاً مشابهاً، ومن ثم يخلص إلى أن اسم « كابتار » بقبرص أو بآسيا وليس بكريت<sup>(٨٢)</sup> .

وقد خرج علينا فريق من العلماء برأى مخالف تماماً لما جرت عليه العادة من اختلافات بين المؤرخين حول اسم جزيرة قبرص فى الآثار المصرية - مؤداه أن  « كفتيو »<sup>(٨٣)</sup> التي وردت فى وثائق الدولة الحديثة هو الاسم الذى أطلقه المصريون على جزيرة قبرص ، ويرجع ذلك إلى ما قبل عام ١٩٠٠ ورأى « بيرش S. Birch » وتبعه « روجيه G.de Rouge » عام (١٨٥٧) أنها قبرص ، أو أنها كانت تقع فى قبرص نظراً للتشابه بين كفتيو مع الاسم كفتور أو كافتور التوراتية وعضدوا ذلك ببعض الأشياء الميكينية التى كان يجلبها سفراء الكفتيو وقرب قبرص من مصر<sup>(٨٤)</sup> . وتبعهم « شتندورف Steindorff » فى عام (١٨٩٢) الذى قرر أن كفتيو يمكن البحث عنها فى مكان ما فى قبرص<sup>(٨٥)</sup>، ثم «بروجش» عام ( ١٨٩٨ ) الذى رأى أن كفتيو هي قبرص<sup>(٨٦)</sup> .

وفى مقالة له نشرت عام ( ١٩٧٣ ) ثم أعقبها بكتابه تحت عنوان كافتور / كفتيو عام ( ١٩٨٦ ) نهج « سترانج J. Strang »<sup>(٨٧)</sup> منهج السابقين عليه رأى العودة للأخذ بالافتراح القديم عن قبرص - والذى يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر - بدلا من كريت . ويضيف قائلاً أن تلك الجزيرة (قبرص) تفى بمعظم شروط المطابقة الأساسية مع كفتيو / كافتور وقد أورد أدلة عديدة ليعضد بها نظريته منها:

( أ ) أنها تقع فى الغرب وفقاً للنصوص المصرية .

(ب) أنها جزيرة أو أرض ساحلية فى البحر من وجهة النظر المصرية والآسيوية .



- (جـ) أنها قريبة تماما من الأراضي الآسيوية الأم ( وفقا لنص سرجون ) .
- ( د ) أنها أكبر بلدة تنتج النحاس وتصدره لمنطقة شرق البحر المتوسط في أواخر عصر البرونز بالإضافة إلى كونها مستقرا لإله التعدين .
- (هـ) دخول قبرص العصر البرونزي ٢٣٠٠ ق.م وهو الوقت الذي ذكرت فيه كفتيو / كافتور لأول مرة . وتختفى من الأفق الجغرافي في نهاية عصر البرونز / لما تداعت تجارة النحاس بسبب الهجرة الكبيرة من اليونان إلى قبرص . وقد عثر على اسم حديث للجزيرة كما أن اسم الجزيرة قبل الوجود اليوناني لم يكن متيقنا منه ، ومع ذلك أشار إلى هذا الاسم في الخطية ( B ) ( Ku - pi - ri - jo ) من كنوسوس .

ويخلص « سترانج » مما سبق أن ذكرته النصوص المصرية لهذا الاسم هو لجزيرة قبرص وموقعها ، أو ربما لجزر قريبة منها . وبالتالي ليس هناك ما يستدعي الإشارة إلى كريت بينما يرجح أن اسم « ألشيا » هو اسم السهل الشرقي فقط ، أو ربما يمكن البحث عنه في مكان آخر في قبرص<sup>(٨٨)</sup> .

ونستخلص مما سبق أن بحوث ( برش وروجيه شتيندورف وبروجش وسترانج ) أوصلتهم إلى نتيجة مؤداها ان الكفتيو هي جزيرة قبرص . وهذا الفرض لا أساس له من الصحة لعدة أسباب :

- ( أ ) أن ظهور هذه الكلمة في مفردات اللغة المصرية حوالى نهاية الألف الثالثة أو في بداية الألف الثانية ق.م مواكبا تماما لظهور الفخار المينوي في مصر .
- (ب) أن اختفاء هذه الكلمة - أيضا من مفردات اللغة المصرية جاء مواكبا - أيضا - لاختفاء السيطرة البحرية الكريتية .

(جـ) أن تصاوير الكفتيو المسجلة على جدران مقابر أشراف الأسرة الثامنة عشرة بطيبة تشبه إلى حد كبير رسوم الإيجيين على جدران مقابر كنوسوس في تلك

الفترة وأن أغلب سماتهم كلون البشرة وطريقة تصفيف الشعر وعدم وجود اللحية، وكذلك نوعا الزى والأحذية - تدل بما لا يدع مجال للشك أنهم إيجيين.

( د ) أن أغلب الأشياء التى جلبها الكفتيو سواء المحمولة أو الموضوعه أمامهم إيجابية أو مبنوية .

( هـ ) أن كفتيو هي كفتور أو كافتور التوراتية ومن ثم فالمعادلة كفتور = كريت رغم اختفاء حرف ® من النطق المصرى - التى تشير إلى الساحل الجنوبى من آسيا الصغرى ( جزر بحر إيجة وكريت ) .

( و ) تميزها عن الجزر التى فى وسط البحر وقبرص .

( ز ) أنها تقع فى الغرب من البلاد الآسيوية .

ومن ثم فإن كفتيو هي كريت وليست قبرص كما أن هذه المحاولة لم تلق قبولاً لدى العديد من المؤرخين<sup>(٨٩)</sup> .

وفى ستينات هذا القرن ومن خلال الحفائر والتنقيبات الأثرية الحديثة التى أجريت فى جزيرة قبرص قدمت لنا العديد من الأدلة التى تشير بقوة إلى وجوب المطابقة لأشياء = قبرص وإقرارها<sup>(٩٠)</sup> وما يعضد تلك المطابقة ما ذكرته نصوص الشرق الأدنى المعاصرة التالية :

١ - النصوص الحيثية ( بوغاز كوى ) ذكرت :

- أن النحاس كان يستورد من جبل « تجاتا » فى الأشياء .

- وقوع الأشياء تحت النفوذ الحيثى فى القرن الثالث عشر ق.م ( ما ذكره توتاليا الرابع ) .

- اتخاذ الأشياء كمكان لنفى المبعدين السياسيين ( مثلما نفى قتله « تود خالياش » إليها وكذلك نفى « خاتوشيليش الثالث » خصومه إليها ) .

- غزو « مادواتاش » - الاشيا واستيلائه على أسرى منها - أحد أتباع الملك «  
أرنوانداش الثالث » ( ١٢٤٥ - ١٢٢٠ ) ق.م ومطالبة الأخير له بإعادة  
الأسرى إليه<sup>(٩١)</sup> .

- انتصار الحيثيين على الألاشييين بحريا وحرقت سفنهم فى البحر .

٢ - نصوص « مارى » ورد بها إشارات تفيد بتصدير النحاس إليها من الاشيا  
حوالى ٢٠٠٠ ق.م<sup>(٩٢)</sup> لاستخدامه فى تشييدات قصر مارى .

٣ - نصوص « الألاخ » من القرن الثامن عشر ق.م ورد بها ذكر الاشيا .

٤ - نصوص « أوجاريت » ورد بها عدة إشارات عن الاشيا تبين لنا تفاصيل  
العلاقات بين الجانبين أهمها :

- رسالة من ملك أوجاريت إلى ملك الاشيا تحوى شكوى من أعمال القرصنة  
فى أراضى الأول التى لا تحصى بالحماية .

- رسالة من أحد كبار رجال البلاط الألاشى المدعو « أشوارا Eshuwora » إلى  
ملك أوجاريت تحوى التأكيد على شكوك الأخير فى أحد رعاياه .

- ذكر سفن الاشيا .

- العثور على فخار قبرصى ، يرجع تاريخه إلى العصر القبرصى المتوسط  
الثانى .

- وثيقة تتناول بعض الأشخاص الذين فروا من الاشيا إلى المملكة الحيثية.

- لوحة أوجاريتية يستدل منها على وجود أسرى حرب من الاشيا فى خدمة  
عائلة أوجاريتية .

- وثيقة حكم مدون ربما أنطوى على نوع من العقاب يعلم منه أن الملكة الأم  
لاوجايت قد أخذت أخوين لملك أوجاريت إلى الاشيا للقسم أمام الربة عشتار  
بأنهما لن يطلببا شيئا فى المستقبل من أخيهما ملك أوجاريت أو ابنه<sup>(٩٣)</sup> .

كل هذه النصوص ترجح مطابقة الأشياء بقبرص . هذا بالإضافة إلى أن الحفائر والتقييات الأثرية الحديثة التي أجريت في الجزيرة قدمت لنا العديد من الأدلة التي تعضد من ذلك الاتجاه ناهيك عن وفرة إنتاج النحاس في قبرص أهمها :

( أ ) العثور على قوالب لصب المعدن منقوش عليها أحرف من أبجدية قبرو - ميسينية .

( ب ) العثور على أدلة متعلقة باستخراج المعدن في عصر البرونز في عدد من المواقع .

( جـ ) اكتشاف الخام والخبث في حفائر موقع مدينة<sup>(٩٤)</sup> يرجع تاريخها إلى عصر البرونز المتأخر يرجح أنها الأشياء ذاتها .

( د ) الكشف عن حطام سفينة غارقة تحت الماء يرجع تاريخها إلى عصر البرونز في رأس جيليدونيا Cap Gelidoniya<sup>(٩٥)</sup> على الشاطئ الجنوبي لتركيا ، وكانت تحمل كمية كبيرة من قوالب ( أو سبائك ) النحاس حوالى أربعين سبيكة يرجح أنها جاءت من قبرص وبعضها يحمل علامة صاهر المعدن القبرو - ميسيني .

( هـ ) العثور على السبائك القبرصية ذات الأضلاع المقوسة من الداخل وذات أطراف ( زوائد ) أربع ليسهل حملها ( استخداما ) والوجه الأسفل للسبيكة به لسان صلب يشبه دفة السفينة مخصص للوصل في قاعدة . والواقع أن هذا الطراز من السبائك يعتبر طرازا خاصا بقبرص، وكان يصدر إلى بلدان الشرق الأدنى .

( و ) أرجعت التقييات والحفائر الحديثة تاريخ بداية المناجم وصناعة النحاس في الجزيرة إلى أواسط الألف الثالث ق.م<sup>(٩٦)</sup> . وكافة الأدلة السابقة تؤيد أن قبرص كانت تستخرج وتنتج النحاس بوفرة ، ومن ثم فإن هذا يدعونا إلى مطابقتها كمصدر هام للنحاس . وقد ثبتت تلك المطابقة - فيما يرى « البرايت

كمصدر هام للنحاس . وقد ثبتت تلك المطابقة - فيما يرى « أبرايت » بالدليل فى تقرير « ون آمون »<sup>(٩٧)</sup> .

ومن الأدلة التى تعضد رأى السابق ما جاء فى الخطاب رقم (٣٥) من أن نقص كمية النحاس ترجع إلى المعبود ( نرجال ) الذى قضى على كثير من الرجال، ويبدو أن ذكر ( نرجال ) البابلى هنا يعنى أن الأشياء كانت تمارس التجارة مع بابل منذ زمن بعيد جدا وأنهما كانا على معرفة ببعض ، فقد عثر بها على أختام بابلية تشهد على وجود تجار فيها وفدوا إليها من أرض الجزيرة . وإذا كان ذلك قد حدث ، فإن الأشياء تكون أبعد بلد فى الغرب باستثناء بعض النواحي فى آسيا الصغرى أتخذ من اللغة البابلية لغة للمخاطبات الدبلوماسية فى العلاقات الدولية<sup>(٩٨)</sup>.


- ويرجع « كلود . ف. شيفر » أن المعبود « نرجال » المنتمى إلى جميع أرباب بابل ، والذى يمثل بمظهر إله محارب ، كان يماثل « الرب ذا السبيكة » فى الجزيرة وهو يمثل حامى المعدنيين ، والذين يبحثون عن الصخور المحتوية على النحاس فى جبال الجزيرة ، والمشتغلين بصهر المعادن والقبرصيين الذين كانوا يستخرجون منها وينتجون السبائك . وهو أحد الأرباب التى قدمتها شعوب الشمال وشعوب البحر ، وكان يصور بمظهر إله محارب مسلح<sup>(٩٩)</sup> . كما كان يماثل المعبود « رشف » الذى كان يقدس فى مدينة أوجاريت وكان يصور بمظهر إله محارب . ويخلص « شيفر » إلى أنه طالما أن « نرجال » فى بابل « ورشف » فى سوريا وأوجاريت يمثلان بمظهر إله محارب - أيضا - كالمعبود ذى السبيكة فى قبرص فإن هناك صلة بينهما ، ومن ثم فليس غريبا أن يكون معبودا ساميا مصدره الشرق الأدنى . وربما يكون الرب ذو السبيكة هو الرب « أبو للو كرياتاس = أبو للو ذو القرون » الذى كان يسمى أيضا «أبو للو الألسيوى»<sup>(١٠٠)</sup> ، أى المنتمى إلى مدينة ألسيا ، حيث كان يعبد فى قبرص أولا . ومن أنكوفى انتشرت عبادة أبوللو كرياتاس إلى مدن أخرى بالجزيرة مع لقبه الجديد ( الألسيوى ) وأن الرب (نرجال)

ما هو إلا أبوللو كريأتاس فى الأشياء ، كما أن رشف المعبود الفينيقي ، كان مناظرا (لأبوللو الأسيوي) كما جاء فى نقش « تاماسوس »<sup>(١٠١)</sup> . وعلى الرغم من أن « كاتلنج » قد أسهم بشكل فعال فى إلقاء الضوء على كل الأدلة السابقة ، والتي تدعم من المعادلة الأشياء = قبرص ، إلا أنه يقول أن هذه المطابقة مفتقرة إلى الدليل ، وحتى تتوافر أدلة أخرى جديدة<sup>(١٠٢)</sup> . ويرى « عبد المعطى سمرة » أنه فى ظل ما توفر من دليل حتى الآن ، تعتبر المطابقة قبرص = الأشياء كما عرفت فى نصوص الشرق الأدنى مطابقة مرجحة . صحيح أنها لا تصل إلى حد اليقين ولكنها لا تبتعد عن حدود الترجيح المقبول الذى يأخذ به جمهرة الباحثين فى الوقت الراهن . ويدعمها بقوة الآثار المصرية التى اغفلها « كاتلنج » - وعثر عليها فى قبرص<sup>(١٠٣)</sup> . ويذكر « م . برنال » أنه على الرغم من الجدل الذى أثاره الاسم « ايرس » أنه ربما يكون اسم لجزيرة قبرص<sup>(١٠٤)</sup> ويبدو أن هذا الفرض مغرى لأن نطابق الأشياء بقبرص ، أو كونها مدينة فى قبرص . ومما يعضد ذلك الفرض الاختلاط بين الثقافات الشرقية والإغريقية فى الأشياء المدينة أو الجزيرة الذى يعد السمة المميزة لقبرص منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا<sup>(١٠٥)</sup> ونخلص من كل هذا أن قبرص هى بعينها الأشياء التى ذكرتها رسائل العمارنة ، وكل هذا يدل دلالة قاطعة على الصلة الوثيقة بين قبرص وبلدان الشرق الأدنى وتقارب أفكار شعوبها .

وقد اختلف المؤرخون حول إذا ما كان هذا الاسم يقصد به الجزيرة كلها أو قسم منها أو يقصد به مدينة بعينها . فالبعض يرى أن هذا الاسم يقصد به جزيرة قبرص كلها ، ويعتمدون فى ذلك على ما جاء فى نقش فينيقي أن شبه الجزيرة حملت هذا الاسم « الأشياء » حتى القرن السابع ق.م وربما إلى ما بعد ذلك التاريخ . ويرى آخرون عكس ذلك وأن هذا الاسم قد أطلق على قسم منها كان الأقوى وكانت له السيادة على مناجم النحاس والمعادن الأخرى ومن ثم عمم هذا الاسم على الجزيرة بأكملها . بينما يرى فريق ثالث أن هذا الاسم قد يكون اسما لمدينة فى الجزيرة ، ومن ثم يرجح أنها كانت أكبر وأهم مدينة ، وأن هذه المدينة كانت

العاصمة لدولة ممتدة ربما سميت مملكة الأشيا ، حيث كان ملوكها على قدم المساواة مع ملوك الشرق الأدنى آنذاك<sup>(١٠٦)</sup> . بل أفترض البعض أن هذا الاسم (الأشيا) يقصد به مدينة أنكومى كما يفترض أحيانا أن الاسم يخص بلدة « كالوبسيذا Kalopsidha » شرق جزيرة قبرص<sup>(١٠٧)</sup> ، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن «الأشيا» كانت تابعة لمصر منذ عصر تحتمس الثالث ، واستمرت كذلك حتى عهد إخناتون ، إذ نراها في هذه الفترة متحررة من الحكم المصرى<sup>(١٠٨)</sup> .

ولكن « جلوتز G. Glotz » يرى - غير ذلك - أن الأشيا لم تكن خاضعة أو تابعة لمصر ، ويعلل ذلك بأن الوفود الألاشية كانت مثل نظيرتها الكريتية تعامل بما لا يوحي بأنها وفود من ولاية تابعة لمصر جاءت لتؤدى فروض الطاعة والولاء أو لدفع الجزية للفرعون المصرى<sup>(١٠٩)</sup> .

أما الاسم « إسى » ، « آسى » ، « ايزى » (  ) Sy فقد رددته النصوص المصرية مرات عديدة وأقدم إشارة ترجع إلى عهد الملك « تحوتمس الثالث » على اللوحة الشعرية التى أمر بإقامتها فى معبد الكرنك . وفيها يخاطب « آمون رع » رب الكرنك ابنه تحوتمس قائلا :

١ - « ... لقد حضرت : لأجلك تتمكن من أن تطأ الأرض الغربية فـ «كفيتو» و « إسى » تحت سلطانك ولأجعلهم يشاهدون جلالتك مثل الثور الصغير ثابت القلب ، جاد لا تمكن مهاجمته ... »<sup>(١١٠)</sup> .

وقد ذكرت جزية « إسى » فى متن الحملة التاسعة لـ «تحوتمس الثالث» على بلدة « نجس » فى السنة الرابعة والثلاثون من حكمه حيث نقرأ :

٢ - « جزية ( إسى ) فى هذه السنة : مائة وثمانية قوالب من النحاس النقى وسيبىكة من النحاس زنتها ألفان وأربعون دينا ، وكذلك خمسة قوالب قصدير وألف ومائتا قطعة من القصدير وعشرة ومائة دين من اللازورد وشن فىل واحد ، وقطعتان من خشب « ثاجو » ... »<sup>(١١١)</sup> .



وقد ذكرت جزيرة « إسى » - أيضا - فى متن الحملة الثالثة عشرة فى السنة الثامنة والثلاثون إلى بلدة « يونجس » من أعمال سوريا - من حكم تحوتمس الثالث حيث نقرأ :

٣ - « الجزيرة التى يحملها أمير « إسى قالب نحاس من بلاده وجواد واحد »<sup>(١١٢)</sup> .

وقد ورد ذكر جزيرة « إسى » كذلك فى متن الحملة الرابعة عشرة لـ « تحوتمس الثالث » فى السنة التاسعة والثلاثين حيث نقرأ :

٤ - « جزيرة أمير « إسى » سنا فيلين وأربعون قالب من النحاس وقالب من ... القصدير ... »<sup>(١١٣)</sup> .

وفى عصر الرعامسة تبدلت طبيعة المصادر الكتابية التى تشير إلى « إسى » عما كانت عليه فى عهد « تحوتمس الثالث » فأصبح ذكرها فى قوائم جغرافية هو الصفة الغالبة فى هذا العصر<sup>(١١٤)</sup> .

وأول ظهور لها فى هذا العصر يرجع إلى عهد الملك « سيتى الأول » فى آثاره فى معبد الكرنك فقد ذكرتها قوائمه ثلاث مرات على النحو التالى :

٥ - « بابخ Pabekh » « تخس Tikhsi » « إسى Asy » « طنپ Tunip »<sup>(١١٥)</sup> .

٦ - بابخ Pabek ، إسى Asy ، مانوس Mannus<sup>(١١٦)</sup> .

٧ - « قاش Qadesh » ، « بابخ Pabekh » ، « قدنا Qedna » ، « إسى Asy » ، « مانوس Mannus »<sup>(١١٧)</sup> .

وذكرت « إسى » - أيضا - فى قوائم ترجع إلى عهد « رمسيس الثانى » فعلى الجدران الأمامى من معبد أبيدوس - نقوش تمثل سلسلة من الأقوام الأسرى - صور الـ « إسى » فى قائمة الشعوب الشمالية<sup>(١١٨)</sup> حيث نقرأ :

٨ - التحنو ( ليبيا ) - نهارين ( ميتانى ) - سنجار ( بلاد النهرين ) الحِيثين -  
الكفتى - إسى ( إزى ) شات - إشر - بدجتى - شو « الأقوام التسعة » (١١٩) .

وقد ذكرت « إسى » مع « ألأسا » فى نقش واحد على قائمة يرجع تاريخها إلى  
« رمسيس الثانى » على النحو التالى :

٩ - « جبل ( مفكت ) . ( إسى ) ( ألأسا ) خيتا . سنجار .  
كفيتو (١٢٠) .

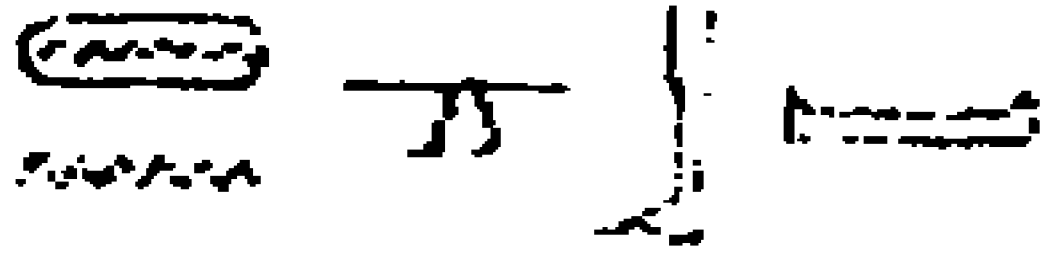
مما سبق يتضح لنا أن « إسى » ذكرت فى النصوص المصرية تسع مرات  
وفى عهود كل من « تحوتمس الثالث » و « سيتى الأول » و « رمسيس الثانى » أى  
شملت عصر الدولة الحديثة . وفى النص الأول قورنت « إسى » بـ « كفيتو »  
ووصفت على أنها بلد غربى ، ويرجح أن هذه القصيدة وضعت فى آسيا وأن كاتبها  
حين كان يحدد مواقع البلدان المهزومة كان يذكرها وفقا لموقعها بالنسبة لآسيا -  
المكان الموجود فيه الكاتب حين أنشد القصيدة - فـ « إسى » هنا بلد غربى أى إلى  
الغرب من المكان الذى سجلت فيه اللوحة ، وهى فى هذا النص تقع بعد « كفيتو » .

وفى النصوص ( ٢ ، ٣ ، ٤ ) علمنا أن « إسى » كانت ترسل جزيئها (؟)  
إلى مصر وكانت تتضمن النحاس ( سبائك وقوالب ) والقصدير واللازورد والعاج  
« سن الفيل » والخشب ( ثاجو ) والخيول . وفى النصوص ( ٥ ، ٦ ، ٧ ) قرنت  
« إسى » ببلدان تقع فى البر الرئيسى لآسيا وهى « بابخ » و « قدنا » و « طنب »  
وقادش » و « مانوس » و « تخس » . وفى النصوص ( ٨ ، ٩ ) نجد مجموعة  
أخرى من الجيران « نهارين » « سنجار » « خيتا » « كفيتو » والملاحظ هنا أن  
« إسى » على غرار « ألأسيا » كانت ضمن دول شعوب أقصى الشمال ، وتبين  
القوائم عددا من الأسماء التى تشيع بين كلا البلدين - « إسى » و « ألأسا » مثل  
نهارين ، خيتا ، سنجار ، تخس . ويتضح من جوار تلك البلدان استنتاج قرب  
« إسى » و « ألأسا » الشديد من بعضها .

والواقع أن القارئ لقائمة الأسماء فى النص التاسع يجد أن أسماء البلدان التى ذكرت فيها مرتبة جغرافيا فهناك أسماء فى الغرب ، الشمال الغربى والشمال الشرقى والشرق . يهمنى فى هذا المقام الأسماء التى تقع فى الغرب والشمال الغربى البعيد وتمثلها هنا « الكفيتو » و « إسى » ، وهذا الجمع بين « كفيتو » و « إسى » ظهر من قبل فى نصب الكرنك الشاعرى حيث وضعهما ضمن الأراضى الغربية . ويرجح أن ذكر « إسى » مع أسماء أخرى ربما كان استمرارا للتقليد القديم الباقي من أيام « تحوتمس الثالث » أو أن هذه البلاد أخذت تنتهج سياسة المودة مع مصر ، وترسل هداياها لتؤكد صداقتها لها<sup>(١٢١)</sup> .

والملاحظ أن الكثير مما قيل أن « ألأشيا » يرمز تماما إلى « إسى » وخاصة إنتاجهما للنحاس . وما يميز « إسى » عن « ألأشيا » هو أنها كانت تقدم لمصر القصدير واللازورد والعاج والشب والخيول ، مما حدا بالبعض إلى القول بأنها كانت ضمن البلاد الخاضعة لمصر وقتئذ نظرا لقوتها البرية والبحرية . ويعلمون ذلك بأن أمير « إسى » كان يخشى بأس « تحوتمس الثالث » وأصبح خاضعا لإرادته . هذا إلى أن الأسطول المصرى جعل جزر الشمال تخشى بأسه ، وأصبح سلطانه ممتدا على شرق البحر المتوسط حتى بحر إيجه ، مما جعل قائده « جحوتى مس » يعد الجزر التى فى وسط البحر من الممتلكات التى كانت تحت سلطانه ، إذ كان يلقب بحاكم الأقطار الشمالية<sup>(١٢٢)</sup> .

وقد اعتبرت « إسى » - لفترة من الوقت - قبرص أو جزء من قبرص مما أدى إلى إثارة الجدل والاختلاف حول « إسى » وهويتها وأين تقع ؟ . وعلى الرغم من أن علماء المصريات قد اعتمدوا المطابقة بين « إسى » وقبرص وسلموا بها<sup>(١٢٣)</sup> . إلا أنهم وجدوا معارضة شديدة من « وينرايت » الذى كتب مقالة طويلة حاول أن يبرهن فيها على عدم صحة هذه المطابقة . وقد اعتمد « وينرايت » فى بحثه على تقييمه للمعلومات المتاحة عن موضوع « إسى » من حيث إنتاج النحاس فى « إسى » و إنتاج قبرص منه فى العصور القديمة ، والتداخل بين أرض



## الثامنة عشرة « إسى » والأراضى البطليموسية

جزيرة سب جزيرة "سيناي" . ويطلق على هذين المكانين جزر كما توجد لهما علاقة مباشرة مع قبرص أو أن تكون بغير شك أسماء بطليموسية لقبرص . إلا أنها لا يمكن أن تظهر لها علاقة باسم الأسرة الثامنة عشرة « إسى » التى يشترك معها الاسم الأول فقط فى رمز واحد وتشترك مع الثانى فى رمزين . وحتى ذلك لن يدلل على أن « إسى » القديمة كان يقصد بها قبرص ، لأن قبرص على عهد البطالمة كانت مشهورة بالنحاس - وعلى ذلك الأساس فقط - ربما كان الكتبة البطالمة يعتبرون بكل بساطة ، مثلما فعل علماء الآثار المحدثون، أن اسم أرض كانت تنتج على عهد الأسرة الثامنة عشرة كميات كبيرة من النحاس كما كانت تنتج « إسى » لابد أنها ، فى تلك الأيام العتيقة كانت اسم الأرض التى كانوا يعرفونها بشهرتها للنحاس أى قبرص ، و لو كانت تلك هى الحالة عند ترجمة الأصل الأغريقى أو الديمقوطيقى إلى الهيروغليفية لكانوا استخدموا هذا الاسم بدلا من قبرص بصورة طبيعية<sup>(١٢٤)</sup> .

واعتمد « وينرايت » فى تعضيد نظريته بعدم مطابقة « إسى » لقبرص على تقييمه للمعلومات المتاحة عن العطايا التى كانت تقدمها لمصر برفضه أن « إسى » كانت تنتج العاج ، لعدم قبوله الاعتقاد بوجود فيله بأى عدد من الأعداد فى قبرص فى وقت متأخر جدا فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ق.م. هذا بالإضافة إلى أن الرصاص ليس من منتجات قبرص ولم يثبت بعد وجوده فى الجزيرة . كما أن الرصاص يعتبر دائما من المعادن الغير مألوفة فى النقوش المصريين . كذلك يرى أن « إسى » لا يطلق عليها لفظ جزيرة ، ويستند فى ذلك إلى أن المصريين أنفسهم لم يتحدثوا عن « إسى » على إنها جزيرة<sup>(١٢٥)</sup> . ويضيف « وينرايت » أن موقع « إسى » بالنسبة لجيرانها فى القوائم يجعلها أقرب إلى مجموعة الدول الغربية ، ومن ثم فإنها تقع إلى ناحية الشمال ، على عكس « ألسا » التى كانت تقع إلى جوار

أربعة من الجيران في ناحية الجنوب ، مما جعلها تنتمي بصلة قرابة كاملة مع سوريا على عكس « إسى » التي تمت بصلة خفيفة إلى سوريا كما تتصل أيضا بصلة جزئية مع آسيا الصغرى<sup>(١٢٦)</sup> . ويخلص « وينرايت » إلى أن المطابقة إسى = قبرص غير كاملة ، وجعلها تتبع الوطن الأم ( سوريا ) في موضع على مقربة من مصب نهر « أورونت » العاصي حديثا<sup>(١٢٧)</sup> .

وفي عام ١٩٤٦ ذهب « بوسير M. H. Bossert » في تحديده لمكان « إسى » في حدود « ليديا الكلاسيكية » على الساحل الغربي من آسيا الصغرى وهذا يعنى أنها تقع على حدود بحر إيجه في مواجهة كريت تقريبا<sup>(١٢٨)</sup> .

ويرى « هلك W. Helk » أن « إسى » ليس هو المكان كما كان يعتقد مرارا أنه قبرص ولكنه مكان يقع في جنوب غرب الأناضول<sup>(١٢٩)</sup> . وتود : « م. دروار » على ذلك بقولها أن أى محاولة لوضع « إسى » أو « ألشيا » على الشاطئ الشمالى لسوريا تواجه صعوبات كبرى ، لأسباب كثيرة من بينها أن الخريطة السياسية لهذه المنطقة قد شغلت بالفعل تماما بدول المدن المزدهرة ، ومن الصعب أن نعثر على مكان على امتداد الشاطئ لمملكة هامة أخرى<sup>(١٣٠)</sup> .

ومن ثم فإن وضع « إسى » بعد « كفتيو » كما جاء فى النص الأول هو تسلسل منطقى وطبيعى . وهذا الجمع بين « إسى » و « كفتيو » فى نصب الكرنك الشاعرى ظهر فيما بعد فى نص من عصر « رمسيس الثانى » ( النص التاسع ) حيث وضعهما ضمن الأراضى الغربية . ومن ثم فإذا كانت المعادلة كفتيو = كريت فإن إسى هى قبرص أو جزء من قبرص<sup>(١٣١)</sup> .

ويدعم لوى - أ. كريستوف مطابقة إسى بقبرص مما استخلصه من لوحة انتصارات « تحوتمس الثالث » من أن المصريين فى تحديدهم للاتجاه فى آسيا اعتبروا أن الشمال الشرقى هو الشمال الذى نعرفه الآن ، وأنه ( أى المصرى ) لما كان يعتبر زاهى والليطانى واقعتين فى شمال مصر ، فمن المنطقى أن يعتبر «

إسى » و « كفتيو » من بلدان الغرب ، ومن ثم فإن الغرب فى تلك اللوحة يبدأ فى سوريا الشمالية ، وربما أن « كفتيو » مقرونة بـ « إسى » ، بل قبل هذه الجزيرة فإن كلا من البلدين متجاورتين<sup>(١٣٢)</sup> .

وبالغرم من ذلك فإن « كريستوف » يشير فى موضع آخر إلى أن تلك المطابقة ليست مؤكدة تأكيداً تاماً<sup>(١٣٣)</sup> . أما بخصوص تقديم « إسى » الجزيرة لمصر وتفسير ذلك بأنها كانت خاضعة لمصر آنذاك ، فقد أكد على تلك الفرضية العالم الأثرى القبرصى « قاسواكارابورغى » بقوله « أن قبرص وجدت نفسها مضطرة أمام قيام مصر بدور فعال فى المنطقة أن تدفع ضريبة من نوع ما لفراعنة مصر<sup>(١٣٤)</sup> . فى حين يرفض فريق آخر هذا الرأى ويرون أن العلاقات المصرية القبرصية كانت حميمة بحيث لا تسمح بتداول مثل هذا الرأى ، وأن الوفود القبرصية قدمت إلى مصر مثل نظيرتها الكريتية لتعقد صفقات لتبادل المنتجات والمصنوعات ، ويعلمون ذلك بأن قبرص فى هذه الفترة كانت قوة بحرية واقتصادية، وساعدها على ذلك ما توافر لها من ثروات وبخاصة مناجم النحاس<sup>(١٣٥)</sup> .

والملاحظ فى النص التاسع ذكر « إسى » مع « ألأسا » فى نص واحد مما دفع إلى الاعتقاد بأن الاسمين كان ينطبقان على منطقتين مختلفتين من قبرص<sup>(١٣٦)</sup> . وتدعم « م . دروار » ذلك بقولها أن قبرص فى الألف الأول ق. م لم تكن جزيرة موحدة ولكن كانت مقسمة إلى عدة ممالك مستقلة ، وبناء على ذلك ترجح أن «ألأشيا» و« وأسى » قبل ذلك التاريخ كانتا مملكتين قبرصيتين من ممالك عصر البرونز ، وكانت لكل منهما علاقاتها المباشرة بدول البر الرئيسى<sup>(١٣٧)</sup> .

وقد اقترح البعض أن « إسى » هى الشكل الأول لـ « ألأشيا » ويدللون على ذلك بما جاء فى نقوش ميت رهينة . ويرى « م. برنال » أن «إسى» ربما تدل على « إنكومى » أو إحدى المدن الرئيسية فى قبرص<sup>(١٣٨)</sup> .

وعلى الرغم من كل هذا الجدل الذى أثير حول هوية الإشارات الواردة إلى قبرص فى النصوص المصرية ووثائق الشرق الأدنى القديم ، فإن أهم ما تبقى من ثمار هذا الجدل تلك الصورة من صور الفكر الأثرى فى سعيه إلى الحقيقة من خلال المنهج العلمى السليم المعتمد على دراسة الوثائق واستقرائها ، فضلا عما قدمه هذا الجدل من إسهام فى جلاء بعض الحقائق المتعلقة بقبرص فى المصادر المصرية .

وبعد كل ما ذكرناه آنفا يمكن القول :

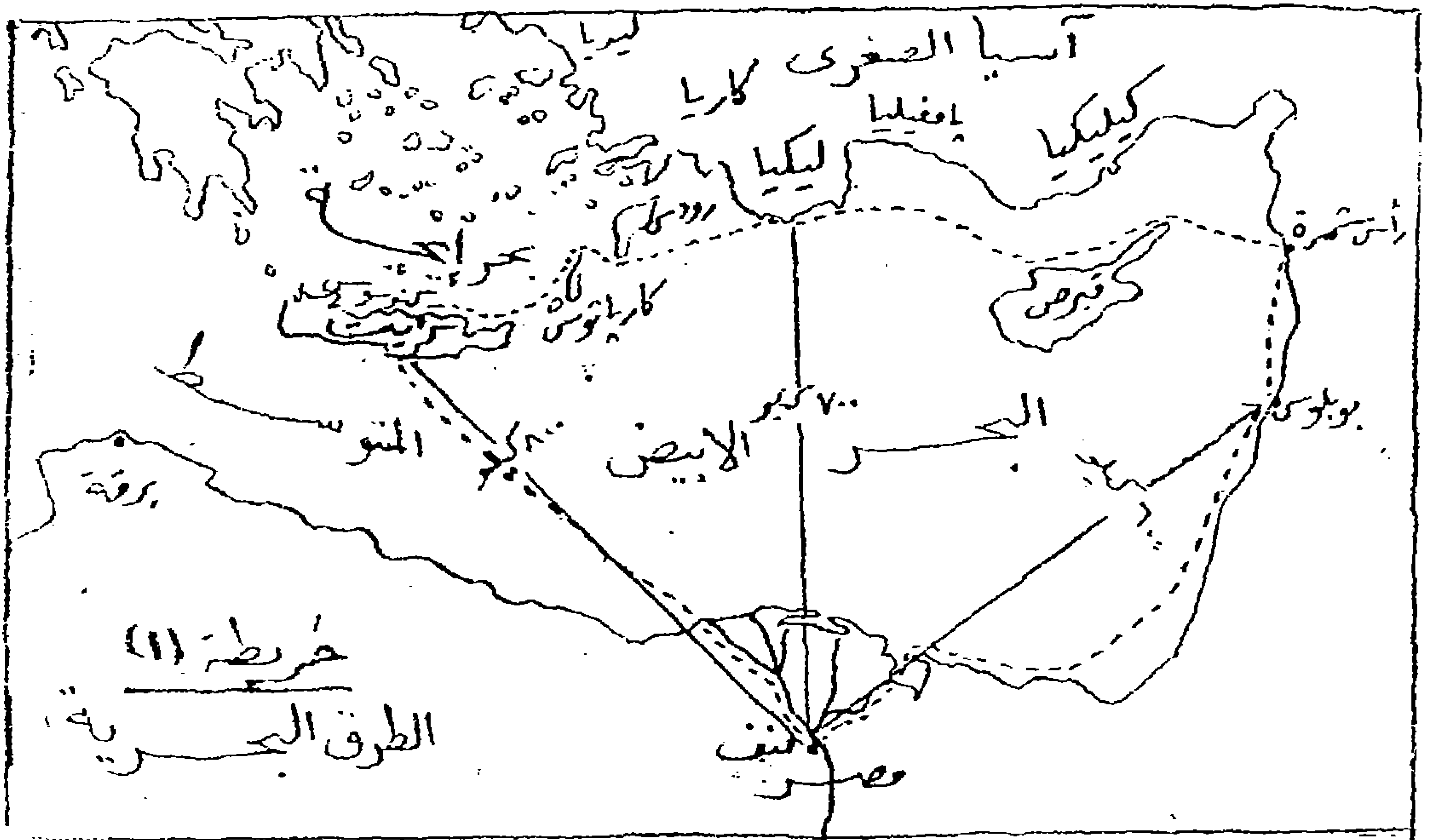
( أ ) استبعاد المطابقة كفيثو = قبرص ؛ لأن المصادر الأثرية المختلفة، والمصادر النصية الأدبية أثبتت أن كفيثو التى وردت فى النصوص المصرية هى الاسم الذى أطلقه المصريون على جزيرة كريت .

(ب) كذلك استبعاد مطابقة « كابتار » و« كتيم » بقبرص لعدم كفاية الأدلة .

(جـ) من الأرجح أن تتطبق على جزيرة قبرص التسمية التى وردت فى محفوظات العمارنة « الأشياء » ، والتسمية المصرية القديمة « إيرس » أو « يرس » ، أما « إسى » فتعتبر هى أيضا قبرص أو جزء من قبرص . كما أن ذكر « الأشياء » مع « إسى » فى نص واحد يحمل على الاعتقاد أن الاسمين ينطبقان على منطقتين مختلفتين من قبرص .







شکل (۲)

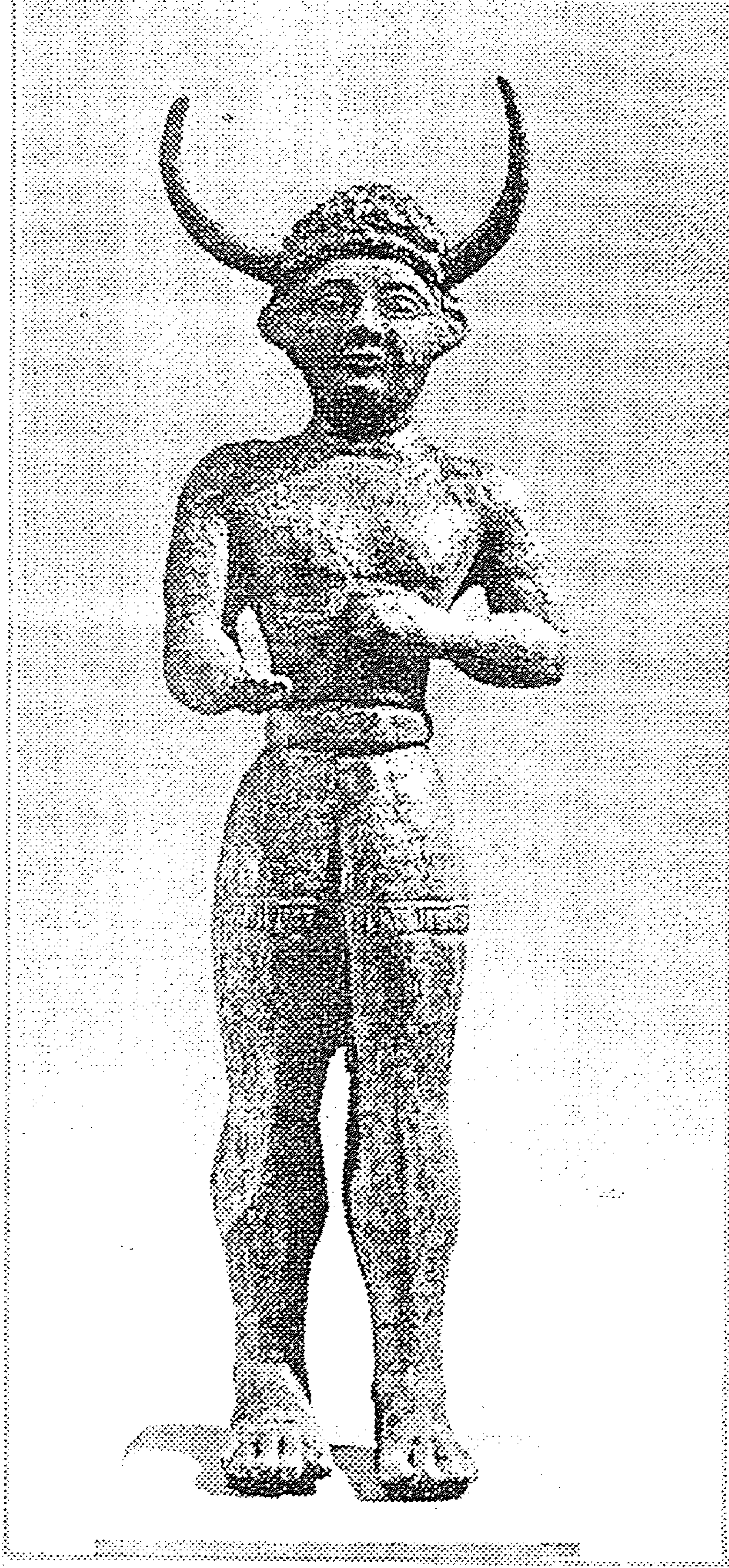
خريطة للطرق البحرية بين مصر والعالم الإيجي عن : فركوته، قداماء المصريين والإغريق .

الرسالة	السطر	ألاشيا	ألاسيا
		A-La- si- ia	A-La-si-ia
٣٣	٢	X	
٣٤	٣٩,١	X	
٣٥	٣٠,٢	X	
٣٦			
٣٧	٢		X
٣٨	٢	X	
٣٩	٣	X	
٤٠	٣	X	
١١٤	٥٢	X	

شكل ( ٣ )

الرسالة	السطر	الكمية ( بالتالنت )	Mercer, AT., I. P.
٣٣	١٦	٢٠٠ تالنت	191
٣٤	١٨	١٠٠ تالنت	193
٣٥	١٠	٥٠٠ تالنت	195
٣٦	٥	٨ تالنت	199

شكل (٤)



شكل (٥)

تمثال للرب ذا السبيكة محفوظ في متحف قبرص عن أحمد عثمان، تاريخ قبرص.

### الهوامش

(١) رؤوف عباس ، مصر وعالم البحر المتوسط ، ط١ القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٥ ؛ ر. أ. س مكلستر ، نظرة عامة فى ثقافات البحر المتوسط ( تاريخ العالم ، المجلد الأول ) ، القاهرة د. ت . ، ص ٦١٩ ؛ لطفى عبد الوهاب ؛ اليونان مقدمة فى التاريخ الحضارى ، الإسكندرية ١٩٩٦ ، ص ٢٦ - ٢٩ .

(٢) تعد جزيرة قبرص من أكبر جزر الحوض الشرقى للبحر المتوسط إذ تبلغ مساحتها الإجمالية حوالى ٩٢٥١ كم٢ طولها بين طرفيها الشرقى والغربى ٢٢٥ كم وعرضها ٩٦ كم وأهميتها ترجع إلى أنها كانت مطمعا لملوك المنطقة المحيطة بها ومن ثم مصدر للتنازع بين الشرق والغرب طوال تاريخها وهو ما يمثل الطابع التاريخى العام لها ، أحمد عثمان ، تاريخ قبرص ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ٢٣ .

(٣) أحمد عثمان ، المرجع السابق ، ص ٢٣ ، سليمان بو جمعه ، شعوب البحر وعلاقتهم بمصر ١٣٠٠ - ١١٥٠ ق.م دراسة تاريخية ( رسالة ماجستير - غير منشورة ) كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٩٩٢ ص ٢٤ .

(٤) سليمان بو جمعه ، المرجع السابق ، ص ٤٩ « كانت الزراعة تشكل القاعدة الأساسية فى حياة المجتمع القبرصى حيث السهول الخصبة ، على عكس طبيعة بلاد اليونان الصخرية الجبلية ، راجع : لطفى عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ص ٣٥ - ٣٨ ؛ محمود السعدنى ، الحضارة الهلنينية منذ أقدم العصور حتى نهاية القرن السابع الميلادى ، ج١ ، القاهرة ١٩٩١ ؛ ص ٦٥ .

(٥) سليمان بو جمعه ، المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(6) H.Kantor, The Aegean and the orient in the second millennium B. C., Bloomington Indian 1947, p. 17; M. R. Bell, preliminary Report on the mycenaean Pottery From Dier El-Medina ( 1979 - 1980 ), ASAE, Lxviii ( 1980 ), p. 143; E. J. Bickerman, chronology of the Ancient World. Revised Edition Thomas and Hudson 1980, P. 62F.

والكرونولوجيا Chronology علم تحديد تواريخ الحوادث ، أو علم حساب التواريخ .

(7) R. S. Merrillees, the Cypriot Bronze Age pottery Found in Egypt, SMA (xviii), Lund 1968, p. xvii; H. W. Catling, Cyprus in the middle Bronze Age, CAH13, Chapter iv, p. 165.

(8) N.G.L.Hammond, A History of Greece to 322 B. C., 2 nd, Oxford, P. 32.

(٩) أحمد عثمان ، المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(١٠) عن قصة « ون أمون » راجع : جـ برينشارد ، نصوص الشرق الأدنى القديم ، ج ١ ، ترجمة وتعليق عبد الحميد زايد ومراجعة محمد جمال الدين مختار ، سلسلة المائة كتاب (٩) ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ١٠١ وما بعدها .

(11) V Schachermeyr, « Agypten Und Kreta », AFO, XVI ( 1952 – 53 ), P81-82.

وراجع أيضا : عبد القادر خليل ، علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية عصر الدولة الحديثة، الإسكندرية ١٩٨١ ، ص ٦٧ ، وقد عدد «فيركوتيه» محطات هذا الطريق من كريت إلى مصر بادئا بـ « كاسوس » ( Kasos ) و«كرباثوس» (Karpathos) حتى « رودس » وساحل الأناضول ثم يتجه إلى قبرص ثم الساحل السوري والفلسطيني ويسير بحذائه حتى مصر والعكس . فيركوتيه ، قدماء المصريين والإغريق ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢٢ .

(١٢) جمال حمدان ، شخصية مصر ( دراسة في عبقرية المكان ) المجلد الأول القاهرة ١٩٨١ م ، ص ٤٣٠ ؛ ألن جاردنر ، مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٥٦ ، ٦١ ؛ ج. ويلسون ، الحضارة المصرية ، ترجمة أحمد فخري . القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٤١ ؛ رالف لنتون ، شجرة الحضارة جـ ٢ ، ترجمة أحمد فخري ، القاهرة د. ت. ص ٤٩٥ .

(١٣) رأس شمر حاليا مدينة ساحلية تقع في مواجهة انكومي ، وقد عثر فيها على عدد كبير من الألواح التي تتضمن رسائل موجهة إلى ملوك آخرين ، ووثائق قضائية

واقتصادية ، وقصائد أدبية ودينية ومعظمها مكتوب باللغة الأكديّة عبد اللطيف أحمد على ، التاريخ اليوناني ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٧٧٥ - ٧٧٦ .

(14) LA VI 1453 .

(15) R. H. Hall Catalogue of Egyptian Scarabs In BM, London 1913, p. 276.

وانظر : عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، ج١ ( مصر والعراق ) ط٣ ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ٢٢٣ ؛ جون ويلسون ، الحضارة المصريّة ، ترجمة أحمد الفخري ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٣٠٨ - ٣١٠ ، أحمد عثمان ، المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(16) LA. VI, p. 1453.

(17) RH. Hall, « Egypt and External World in the time of Akhenaten ». JEA, 7 (1921), p. 49 - 50 .

(١٨) يرجح « بترى » و « ستابنجز » أن أصول هذه الكسرات قبرصية راجع :

F. Petrie, Tell El amarna, London, 1981, Pl.XXVI, 11 - 15, XXV1.126 - 29; F. H. Stubbings, Myanaean Pottery from the Levant, Cambridge, 1951, p. 91 - 92.

(19) Stubbings, Op. Cit., pp. 95, 98; F. Petrie, Gizeh and Rifeh, London, 1907, P. 23, Pl.XXV1.1

ولمزيد من التفاصيل عن الفخاري القبرصي المكتشف في مصر ، والأبحاث الأثرية التي تناولته : انظر

R. S. Merrillees, Op. Cit.

(20) Hall, Op - Cit., P. 50.

عن كفتيو و « سكان الجزر التي في وسط البحر » راجع : محمد السيد عبد

الحميد ، العلاقات المصرية اليونانية في الدولة الحديثة (رسالة دكتوراه غير منشورة)

آداب الزقازيق ، ١٩٩٦م .



(٢١) أحمد عثمان ، تاريخ قبرص ، ص ٣٠ ، ٤٣ ، محمود السعدنى ، المرجع السابق ، ص ١٧٦ . ولمزيد من التفاصيل عن الآثار المصرية المكتشفة فى قبرص والأبحاث الأثرية التى تناولتها انظر :

PM. VII2, pp. 403 – 404.

(22) LA VI 1453.

(٢٣) ورد ذكر الأشياء فى مصادر الشرق الأدنى الأخرى فقد ذكرتها المصادر الحيثية التى عثر عليها فى « بو غاز كوى » ، ونصوص « رأس شمسه » ، ومحفوظات « مارى » ، ونصوص « الألاخ » ، ونصوص « أوجاريت » راجع :

M. S. Drower, Syria C. 1550 – 1400 B.C. in CAH Vol. II3 Part I, Chapter X section VI : The Amarna Age, P. 491 – 493; H.W Catling, Cyprus And Her neighbours in The Middel Bronze Age CAHIII3 part I, Section X, p.201 – 203.

(٢٤) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ٢٠٤ ، ٢١٢ .

(25) G. Maspero, « Le Pays D'Alasia », Rec. De Trov-x ( 1888 ) p. 209.

(26) G.A. Wainwright, Alashia = Alasa; And Asy. Klio xiv (1915) Leipzig, P.4; S Mercer, The Tell E Amarna Tablets, Vol. II, Toronto 1939, p. 827; A. H. Gardiner AEO.; I Oxford 1947, p. 131.

(27) L. A. VI, p.1452; And see : S. R. K. Glanville, The Letters of A.AHMOSE of Peniati, JEA, 14 ( 1928 ), p. 311.

(28) Urk IV, 790. Nr.213, 719 Nr.236.

(29) H.W. Cating , Op. Cit., P. 202 .

(٣٠) لىلى عطا الله ، الأضواء التى تلقىها كتب العمارنة على تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم ، ( رسالة ماجستير – غير منشورة ) كلية الآداب جامعة الإسكندرية ص ٨٢ .

(٣١) رسال العمارنة مكتوبة كلها على ألواح صغيرة من الطين المحروق بالخط المسمارى البابلى ومجموعها لا يتجاوز الثلاثمائة والستين وتعتبر من أهم المصادر التاريخية التى توضح لنا ما كانت عليه الحالة السياسية فى بلاد سورية وفلسطين وبابل وآشور وميتانى وخيتا أواخر أيام أمنحتب الثالث ثم إخناتون وتوضح لنا الصلة التى كانت بين هذه البلاد ومصر وتوضح لنا أساليب المراسلات الدولية فى ذلك

العهد . ( أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، طه القاهرة ١٩٨١ ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ ؛  
سليم حسن ، مصر القديمة ، طه القاهرة ، ص ٣٤٦ - ٣٥٠ ) .

(32) S. Mercer, The Tell El Amarna Tablets, Vol.II Toronto 1939, p. 827.

(33) Ibid., p. 827 .

(34) Mercer, op. Cit., I. P. 191 .

(35) Ibid., P. 193 .

(٣٦) ينتمى هذا المعبود إلى مجمع أرباب بابل ، سيد الجبال وسيد مملكة الموتى الذى يعتقد أنه يحدث الكوارث الطبيعية والحروب كما كان يقدس من أجل اكتساب الصحة والخصب ، برستيد ، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى ، ترجمة حسن كمال ط ٢ ، الألف كتاب الثانى ( ٢٩٨ ) القاهرة ١٩٩٧ ص ٢٢١ .

(37) Mercer, Op. Cit., I. P. 194 - 197.

(38) Mercer, Op. Cit., I. P. 195.

(39) A. H. Gardiner, AEO, I, P. 209.

(٤٠) عن أسباب ذلك راجع : M. S. Drower, CSH, II, 2, p. 491 - 492.

سيرسيل ألدريد ، إخناتون ، ترجمة أحمد زهير أمين ، مراجعة محمود ماهر سلسلة الألف كتاب الثانية (١٠٠) القاهرة ١٩٩٢ ص ٥٦ .

(41) Mercer, Op.Cit., I. P. 195 and see; Catling, CAH, II, 2 P. 203

سيريل ألدريد ، المرجع السابق ، ص ٥٧ ، برستيد ، تاريخ مصر ص ٢٢١ .

(٤٢) عبد المعطى سمره ، المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

(43) Mercer, Op. Cit., J.P. 199.

(44) Ibid., pp. 200 - 201 .

(٤٥) أراضى « لوكا » على الساحل الليكى ( جنوب آسيا الصغرى ) وهم من شعوب البحر التى هاجمت مصر فى عهد رمسيس الثانى وولده مرنبتاح : محمد بيومى مهران ، مصر والعالم الخارجى فى عصر رمسيس الثالث ، (رسالة دكتوراه - غير منشورة) كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٦٩ . ص ١٨١ ، ١٨٢ .

Mercer, Op. Cit., p. 202 .

(46) Mercer, Op. Cit., p. 201; Drower, Op. Cit., I. P. 491 - 492, Catling. Op. Cit., P. 202 .

سليم حسن ، مصر القديمة ، جـ ٥ ، ص ٦٣٨ .

(47) Mercer, Op. Cit., p.203.

(٤٨) سليم حسن ، المرجع السابق ص ٦٣٨ وانظر : Mercer, Op. Cit., P. 205 .

(49) Mercer, Op. Cit., P 393.

(50) C. R. Lepsius, Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien, Vol. 5, Geneve 1972, III, 131a, A. H. Gardiner, AEO., I, 131,

(٥١) سليم حسن ، مصر القديمة ، جـ ٦ ، ص ٤٥ ، وعن النص انظر :

L D. III, 131a; Brugsch, Geographische Inschriften, II, p. XIII, p.40 .

(52) Wainwright, Op. Cit., p. 10, 34.

(٥٣) سليم حسن ، المرجع نفسه ، ص ٣٤٧ .

(54) Vercoutter, Op. Cit., p. 89; LD., III. 175 g.

(55) Maspero, Rec, de Trav., X, 1888, p. 209; Wainwright, Klio Xiv (1915), p. 35.

(56) Papyrus Anastasi IV, pl. 15, l. 2-4.

(57) Wainwright, Op. Cit., p. 34. .

(58) Papyrus Anastasi IV, pl.17, l.7 – 9.

(59) Maspero, Op. Cit. P.210.

(60) J. G. Ggreene, Fouilles Executees A Thebes Dans L'annee 1855, paris 1855 PL.II.16, 17.

(٦١) سليم حسن ، مصر ، جـ ٧ ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٢٩٣ .

(62) LD, III, 229 C12.

ترجمها أرمان ( حقل قبرص ) ؟

إرمان ، هـ . رانكه ، مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمة عبد

المنعم أبو بكر ومحرم كمال ، القاهرة د. ت ص ٥٩٦ حاشية (١) .

(63) Mercer, Op. Cit., II. P. 827; W. F. Edjerton, J. A. Wilson, Historical Records Of Ramses, Chicago 1935, P. 53; A. H. Gardinar, AEO., I. 131.

(64) A wiedemann, « Stela at Freiburg in baden » proce. SBA, X111 (1890), p. 31.

(٦٥) البردية حاليا بمتحف موسكو ، عثر عليها فى الحيبة بمصر الوسطى ، ويرجع

تاريخها إلى بداية الأسرة الحادية والعشرين ( القرن الحادى عشر ق. م. ) .

ولمزيد من التفاصيل فى هذا الموضوع انظر : ج. بريشارد ، نصوص الشرق

الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ، جـ ١ ، ترجمة وتعليق عبد الحميد زايد  
ومراجعة محمد جمال الدين مختار ، ص ١٠١ . ألن جارنر ، مصر الفراعنة ،  
ص ٣٣٦ - ٣٤٣ .

and see : BAR., IV, 557 – 591.

(٦٦) برتشارد ، المرجع السابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٦٧) كان نظام الحكم فى ألسيا مثل كل الأنظمة الشرقية ملكيا استبداديا ، ويأتى على  
قمته الملك ، وكان البلاط الملكى هو مركز الحياة السياسية والاقتصادية بل  
الإدارية والدينية والعسكرية والواقع أن هذا النظام كان هو الصورة فى العالم  
الموكينى . أحمد عثمان ، تاريخ قبرص ، ص ٤٨ .

(68) Catling, Op. Cit., pp. 202, 203; M. S. Drower, Op. Cit., pp. 490, 491.

(69) Mercer, Op. Cit., II, p. 827 – 828 ، ج ٥ ، مصر القديمة ،  
ص ٦٣٧ ، ٦٣٨ .

(70) Ibid., p. 827.

(71) Ibid., p. 827.

(72) M. S. Drower, Op. Cit., 490.

(73) A. Maspero, Rec. de Trav.X ( 1888 ), P. 210; A. Wiedman, Stela at  
Freiburg in Baden « Proce SBA XIII ( 1890 ), P. 31; And see :  
Wainwright, Op. Cit., P. 4.

(74) M. Muller, Asien Und Europa , Leipzig 1893, p.261, 394-395, Map at  
end of book; And see : Wainwright, Op. Cit., p.4.

(75) Wainwright, Op. Cit., p.7.

(76) P. Jensen, Asien und Europa nach altagyptischen Denkmälern, ZA.  
X. 1895/6, p. 380 And see : Wainwright, Op. Cit., p.4.

(77) Wainwright, op. Cit., PP. 2, 5, map at p.2.

(٧٨) عن الكفتيو بالتفصيل انظر : محمد السيد عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص  
٢٤٩ وما بعدها .

(79) Wainwright, Op. Cit., p.2.

(80) Ibid., p. 5.

(81) Ibid., pp. 7, 8.

ذكر « هـ . ر . هول » أن مطابقة الأشياء مع قبرص غير مجدية ( H. R. Hall, JEA., 7 ( 1921 ), P. 47 ) ثم عدل عن هذا الوضع وذكر أن الأشياء تطابق قبرص واستند في ذلك على تقرير « ون آمون » ونصوص بوغازكوى .

H.R.Hall « The keftians, Philistines and other peoples of the levant » in : CAH, Vol. II.

(82) Wainwright, Op. Cit., P. 6 – 7 .

(83) J. Vercoutter, L'Egypte., p. 394.

(84) A. H. Sayce : « The Home of the Keftiu », JHS, LI ( 1931 ), Notes, p. 286 – 287.

(٨٥) عن كفتيو في النصوص المصرية ومطابقتها بكريت واختلافات المؤرخين حولها انظر :

محمد السيد ، العلاقات المصرية اليونانية ، ص ١٧٧ ، وما بعدها ، ص ٢٤٩ وما بعدها .

(86) Hall, Oldest Civilization of Greece, P. 164.

(87) G. A. Wainwright « The keftiu People of the Egyptian Monuments », LAAA, VI 1913, pp. 24 – 5.

(88) Vercoutter, L'Egypt, p.33.

(89) « A new preoposal for the Identity of keftiue / caphtor » A preliminary account, GM 8 ( 1973 ), p. 47 – 51.

(90) J. Strange, op. Cit., p. 50 – 51 .

(٩١) لمزيد من التفاصيل عن الاتجاه الكريتي لكفتيو انظر :

H. R. Hall « Keftiu », in Essays in Aegean Arch. Presented To sir Evans, Oxford. 1927, p. 31 – 41; J. Vercoutter, L'Egypte et le Monde Egeen prehellenique ( IFAO ) BiB d' Etude, t.XX11, le Caire, 1956.

(٩٢) سليم حسن ، مصر القديمة ، ج ٥ ، ص ٦٣٨ ، س . الدريد ، إخناتون ،

ترجمة أحمد زهير ، الألف كتاب الثانية ( ١٠٠ ) ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٥٦ .

(93) H. W. Catling, Cyprus in the late Bronze Age – In : CAH II3, Pa. Chapter XXII(b), Sec. 1X. pp.202.

(94) See. G. Dossin, Les Archives Economique du palais de Mari, in Syria, 20 (1917), p. 111; H. W. Catling, in CAH 113 part, Section x. Cyprus and her neighbours in the Middle Bronze Age, p. 174.

(95) H. W. Catling, CAH II3, part 2 A , chapter XXII(b), pp. 202 – 204; M-S. Drower, Op. Cit., 490.

(٩٦) وهي تقع في بلدة أنكومى قرب سـلاميس Salamis بقبرص على الشاطئ الشرقى من الجزيرة في مواجهة أوجاريت . سليمان بو جمعة ، شعوب البحر ، ص ٥٣ .

(٩٧) هذا الكشف منشور في :

G. F. Bass, Cap Gelidoniya, A. B. bronze Age Shepwreck, Philadelphia, 1967.

(98) C. F. A. Scheaffer, Les peuples de la Mer et leurs Sanctuaires a Enkomi – Alasia, College de France, Paris, 1972, p. 506 et pls. I – III.

عبد المعطى سمره ، المرجع السابق ، ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(99) Mercer, Op. Cit., II. P. 827.

(١٠٠) ر. أ. س. مكليستر ، نظرة عامة في ثقافات البحر المتوسط الأولى ، المجلد

الأول من تاريخ العالم ، ص ٦٤٢ ؛ وعلى الرغم من عدم العثور على أى

استخدامات للخط المسمارى لدى هؤلاء الناس إلا أننا نعرف استخدام الخط

المسمارى فى الأشياء ( فى رسائل العمارنة ) .

And see : G. A. Wainwright, Op. Cit., P.9.

(١٠١) عثر الأثرى الفرنسى « كلود . ف . شيفر » فى حفرياته بقبرص عام ١٩٦٣

على تمثال برونزى لهذا المعبود وهو محفوظ حالياً فى متحف نيقوسيا يبلغ

ارتفاعه ٣٥ سم مغطى بزنجار ذى لون أخضر فاتح ويمثل إلها بهيئة بشرية ،

رأسه مغطى بقلنسوة ذات قرنين ، ويمسك المعبود بيده المرتفعة إلى أعلى بحربة

رأسها على هيئة ورقة الغار ، كما كان يمسك بيده اليسرى الممتدة إلى الأمام

بترس صغير لاتقاء حراب أو سهام أعدائه ، ويضع المعبود قدميه على سبيكة

من النحاس ، ذات هيئة قبرصية مميزة وهو يجسد الخصوبة بالمفهوم الشائع فى

الشرق ( شكل ٥ ) .

See, Scheaffer, Op. Cit., P. 5-6, PL. I-II.

(١٠٢) أبوللو ذو القرون ، وفد إلى قبرص مع الأخيين القادمين من اركاديا فى القرن الثالث عشر ق. م. ، أحمد عثمان ، تاريخ قبرص ص ٤٩ .

(103) Schaeffer, Op. Cit., pp. 9 – 10 .

عبد المعطى سمره ، المرجع السابق ، ص ٣٩٤ – ٣٩٥ .

(104) Catling, CAH. II3, Part,I, p.167, Part 2A, Map 7, p. 194; Id., Sec-x, p. 205 .

(١٠٥) عبد المعطى سمرة ، المرجع السابق ، ص ٤١٧ .

(١٠٦) أحمد عثمان ، المرجع السابق ، ص ٤٤ حاشية (٣) .

(١٠٧) أحمد عثمان ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(١٠٨) أحمد عثمان ، تاريخ قبرص ، ص ٤٤ .

(109) Catling , Op. Cit., 201 – 202.

(١١٠) سليم حسن ، مصر القديمة ، ج ٥ ، ص ٦٣٦ ، ٦٣٧ ؛ ج . هـ . برسيدي ، تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسى ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٩٩ ، ص ٢٢١ .

(111) G. glotz, The Aegean Civilization, 1928, pp. 207 – 208.

(١١٢) سليم حسن ، مصر القديمة ، ج ٤ ، ص ٥١٣ . وعن النص المصرى راجع :  
Urk., IV, p. 615, 11, 11, 12; p. 616, 11. 12.

(١١٣) سليم حسن ، المرجع السابق ، ص ٤٤٢ ، وعن النص المصرى راجع :  
Urk., IV, p. 707:15-16.

ينكر « سليم حسن » أنه فى متن الحملة العاشرة على بلاد النهرين فى السنة الخامسة والثلاثين من حكم تحوتمس الثالث « وعند ذكر جزيرة البلاد الآسيوية الأخرى نجد المتن مهشما ، ويحتمل أنه قياسا على ما سبق فى المتون الأخرى – يشير إلى « إسى » و « خيتا » ... ... أنية من الذهب ... ... خشب ثاجو وكل الخضر الجميلة من هذه البلاد » المرجع نفسه ، ص ٤٤٢ .

(١١٤) سليم حسن ، المرجع السابق ، ص ٤٤٧ . وعن النص المصرى راجع :  
Urk., IV, p. 719 : 12-13.



(١١٥) سليم حسن ، المرجع السابق ، ص ٤٤٩ ، وعن النص المصرى راجع : Urk., IV, p. 724 : 9-13. وفى متن الحملة السادسة عشرة والأخيرة على قادش وحلفائها فى العام ٤٢ من حكمه ذكرت جزية بلاد آسيوية أخرى يحتمل « سليم حسن » أنها « إسى » و « خيتا » حيث نقرأ :  
« الجزية التى أحضرها أمير ... فى هذه السنة ... فضة ... وكذلك أطبلق ورؤس ثيران زنتها ٣٤١ دبنا وقنتان ، وثلاثة وثلاثون قنتا من اللازورد الحقيقى وعصا جميلة من خشب « ثاجو » ... قالب نحاس منها ( من مناجم هذه الجهة ) ... »  
المرجع نفسه ، ص ٤٥٢ .

(116) J.Vercoutter, L'Egypt et Le Mond Egeen, IFAO, BiB. D'etude, T-XXII, Le Cairo, 1956, p. 86.

(117) LD., III., 131a.

(118) Wainwright, Op. Cit., p. 34.

(119) LD., 111, 129 .

(١٢٠) سليم حسن ، مصر القديمة ، ج٦ ، ص ٥٧٣ - ١٧٣ .

(121) Vercoutter, Op. Cit., p. 87.

وعن النص راجع : A. Mariette, Abyds II, Paris 1880, p. L2a.

(122) Wainwright, Op. Cit., p. 34, M. Muller, Egyptological Researches, 11, p. 90 - 92.

(123) Catling, Op. Cit., p.203., Vercoutter, L'Egypt., p. 87, 88.

أحمد فخرى تاريخ مصر الفرعونية ، ط ٥ ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ٣٤٢ .

(١٢٤) سليم حسن ، مصر القديمة ج٦ ، ص ٤٤١ - ٤٤٢ ؛ عبد الحميد زايد ،

مصر الخالدة ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٥٤٦ ؛ برستيد ، تاريخ مصر ، ص ٢٠١ .

(125) Miiller, Op. Cit., P. 91 Id., Asien und Europa., map at end of Book.

(126) Wainwright, Op. Cit., P. 14 , 15 .

(127) Ibid., P. 17 , 18.

يذكر « أ. لوكاس » فى معرض حديثه عن الرصاص أنه ليس هناك ما يدل على وجود هذا الخام فى قبرص ، ويرى أن « إسى » هذه ليست قبرص بل إقليم على

الساحل الشمالى لسوريا . أ. لوكاس ، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ،  
ترجمة زكى اسكندر ومحمد زكريا غنيم ، القاهرة ١٩٤٥ ، ص ٨٦ .

(128) Wainwright, Op. Cit., p. 19 , 20.

(129) Ibid., p. 31 .

(130) L. A. Christophe, Notes Geographiques a propos des campagnes de  
thoutmosis III, Rev. d'Egypte VI ( 1951 ), p. 112 nots (2), see : MUIR'S  
Atlas of Ancient and Classical History, London 1986, Map. 2

عبد المعطى سمره ، المرجع السابق ، ص ٤٠٥ .

(131) LA. VI, p. 1452.

(132) M. Drower, Syria C. 1550 – 1400 B. C. in : CAH II3, part I. chapter  
x. p. 491.

(133) Catling, Op. Cit., p.201; BAR., II, p. 264 ( 659 /16 ).

برستيد ، تاريخ مصر ، ط٢ ص ٢١ .

(134) L. A. Christophe, Op. Cit., P. 107, 110, 112.

(135) Ibid., p. 110 Note 7.

(١٣٦) محمود السعدنى ، تاريخ الحضارة الهلينية ، ج١ ، القاهرة ١٩٩٠ ص ١٧٥ .

(137) G. Glotz, The Aegean Civilization, I ed, London, 1925, pp. 207 –  
208.

أحمد عثمان ، تاريخ قبرص ، ص ٤٥ ، عبد المعطى سمره ، المرجع السابق ، ص  
٢٥٤ .

(138) Catling, Op. Cit., p. 203.

(139) Drower, Op. Cit., p. 491.

عبد المعطى سمره ، المرجع السابق ، ص ٤١٣ .

(١٤٠) أحمد عثمان ، تاريخ قبرص ، ص ٤٤ .



## قبرص بين السيادة المصرية

### والأشورية القديمة

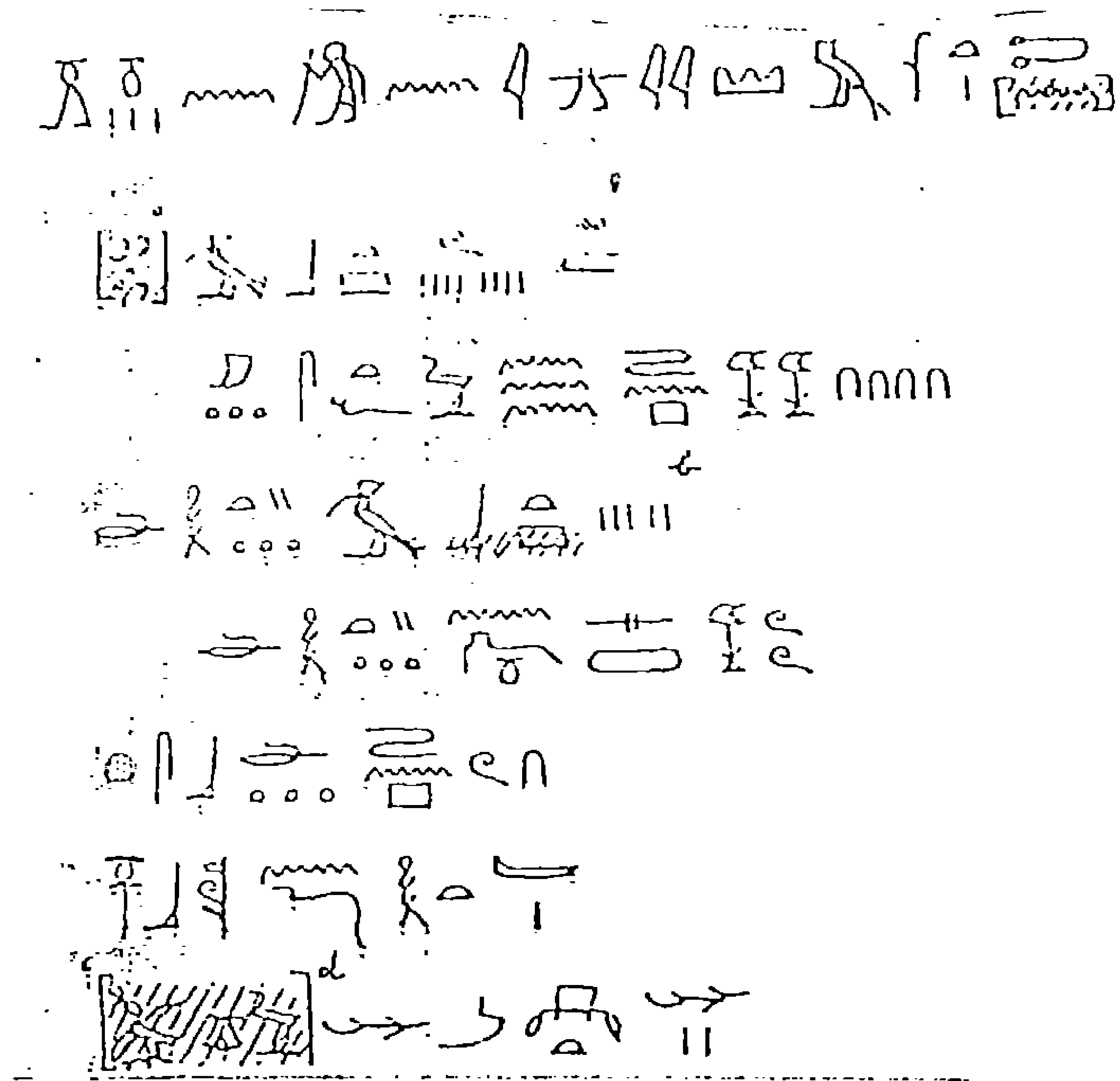
د. محمد علي سعد الله (\*)

تقع جزيرة قبرص في شرق حوض البحر المتوسط ، حوالى ٤٠ ميل ( ٦٤ كيلو متراً ) جنوبى تركيا ، ٦٠ ميل غرب الساحل السورى ( حوالى ١٠٠ كم من أقرب نقطة عند رأس الشمرة ) ، ٢٥٠ ميل ( ٤٠٠ كم ) شمالى نيل الدلتا ، وتمتد الجزيرة من رأس ( Arnauti ) فى الغرب إلى رأس اندرياس فى الشرق ( Andreas ) ، والجزيرة فريدة من ناحية الشكل بسبب وجود سلسلة من الجبال ، جزؤ منها يعد من أعظم المنحنيات المتجهة من آسيا نحو جزيرة كريت ، بقاياها جبال كيرنيا Kyrenia الموجودة فى شمال قبرص ، وفى الجنوب سلسلة جبال طرودس ( Troodos ) ، والأرض السهلية مفتوحة على البحر من الشرق والغرب فيما يعرف بسهل مزورياً ( Mesaoria )<sup>(١)</sup> ، وتمتاز الجزيرة بوفرة ما فيها من الأحجار الثمينة والمعادن وخاصة النحاس ، كما اشتهرت بثروتها الزراعية من الحبوب والكروم وشجر الزيتون ، وكذلك تنتشر بها الغابات التى جعلت بعض السكان يتجهون نحو تصنيع السفن .

وقد اتجه بعض سكان قبرص إلى صناعة الخزف والأوانى الفخارية<sup>(٢)</sup> ، وكان لموقعها المتميز فى شرق البحر المتوسط ، بجانب ثرواتها المعدنية والزراعية ، أثر فى اهتمام الدول القديمة وبخاصة الدول القوية المطلّة على البحر المتوسط ببسط سيادتها على هذا الجزء من العالم القديم ومن هذه الدول مصر وخاتى وأشور والمدن الفينيقية ، وهو ما تؤكده النصوص والأدلة الأثرية القديمة .

(\*) أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم المساعد - كلية الآداب بنها - جامعة الزقازيق .

والواقع أنه كانت لمصر علاقات قديمة بسكان جزر البحر المتوسط بمعنى أن هذا البحر لم يكن يمثل عائقاً يفصل بين المصريين وسكان هذه الجزر منذ أقدم الأزمنة وخاصة منذ عصر الدولة القديمة وهو ما تدعمه الأدلة الأثرية<sup>(٣)</sup> ، وبعد محنة الهكسوس ، عاد الاهتمام بالجانب الشرقي من البحر المتوسط وضرورة السيطرة على مداخل التجارة ، ومداخل الهجرات التي يمكن أن تهدد الأمن المصري ، وهذا ما تؤكدُه النصوص المصرية بالنسبة لقبرص على وجه الخصوص خلال هذه الفترة التي اصطلح على تسميتها بعصر البرونز الأخير في قبرص ( ١٥٥٠ - ١٠٥٠ ق.م )<sup>(٤)</sup> ، من ذلك أن « تحوتمس الثالث » ( ١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م ) قاد على الأقل ست عشرة حملة عسكرية إلى آسيا في خلال عشرين عامًا تقريبًا ، وكانت بعض هذه الحملات للقضاء على مشاكل تهدد الأمبراطورية المصرية التي جعل حدودها من ( أقاصى النوبة جنوبًا ) إلى أقاصى آسيا شمالاً ، كما كانت بعض تلك الحملات لإظهار قوة مصر وسيطرتها على أنحاء إمبراطوريتها ، وسجلت هذه الحملات الجزية الواردة إلى مصر من بلاد عديدة منها قبرص<sup>(٥)</sup> ، حيث جاء في نص الفرعون « تحوتمس الثالث » عن حملته التاسعة التي تمت في العام الرابع والثلاثين من حكمه ما يلي :



$\bar{I}$  nw n (w) wr (w) Isy n rnpt t n

b  $\bar{I}$  3  $\underline{dbt}$  108  $\frac{1}{2}$

b  $\bar{I}$  3 stfw dbn 2040

dh $\dot{t}$ y  $\underline{dbt}$  5

dh $\dot{t}$ y nws 1200

h s b d dbn 110

3 b ndht 1

t 3 gw m 3 wt 2

الترجمة العربية للنص :

هدايا حاكم قبرص في هذا العام ( العام الرابع والثلاثين ) :

مائة وثمانية ونصف قالب من النحاس .

نحاس خام : ٢٠٤٠ دينا ( الدين = ٩١ جرام ) .

( وحمولة ) خمس قوارب قصدير ، وألف ومائتا قطعة من القصدير ومائة وعشرة دين من الفيروز ( اللازورد ) وناب ( سن فيل ) واحد ، وقطعتان من خشب تاجو .

كذلك تضمنت حوليات «تخوتمس الثالث» في العام الثامن والثلاثين ( الحملة الثالثة عشرة ) ما يفيد قيام قبرص بإرسال جزيتها باعتبارها ضمن البلاد الخاضعة لمصر التي كان اسطولها يسيطر على شرق البحر المتوسط في المنطقة الممتدة حتى بحر ايجه .

وتكرر نفس الأمر في الحملة الرابعة عشرة في السنة التاسعة والثلاثين من حكم تخوتمس الثالث، وكذلك في الحملة الخامسة عشرة في العام الأربعين من حكمه حيث سجلت جزيرة قبرص ( أسي Isy ) التي تضمنت النحاس وعدداً من الخيول ( فرسين )<sup>(٧)</sup> .

وقد حوت لوحة أنشودة النصر للملك « تخوتمس الثالث » التي عثر عليها في معبد الكرنك وهي حالياً موجودة في المتحف المصري بالقاهرة رقم (34010):  
« ..... لا يوجد متمردون إنهم يأتون حاملين الجزية فوق ظهورهم ،  
ينحنون لجلالتك ، إنى جعلت الطغاة المعتدين الذين يقتربون منك ضعفاء وقلوبهم  
تحترق وأجسامهم ترتعش ، جعلتهم تحت قدميك ..... » .

لقد سحقت تحت سيطرتك الأراضي الغربية والشرقية كفيتو ( كريست ) ، «  
اسي Isy ( قبرص ) .....»<sup>(٨)</sup> .

كذلك يبدو من المؤكد استمرار خضوع « اسي » ( قبرص ) للنفوذ المصري في عهد الأسرة التاسعة عشرة ، حيث استمر ورود الاسم في القوائم الجغرافية مع ملوك مصر : الفرعون سيتي الأول ( ١٣٠٦ - ١٢٩٠ ق.م ) ، والفرعون



رمسيس الثانى ( ١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق. م )<sup>(٩)</sup> ، ومع بداية القرن الثانى عشر ق. م اجتاحتها شعوب البحر<sup>(١٠)</sup> ، وهو ما عبرت عنه نصوص الفرعون « رمسيس الثالث » فى العام الثامن من حكمه حوالى عام ١١١٨ ق. م ، حيث تصدى لخطر هذه العناصر التى جاءت من البحر ومن الأراضى الساحلية وقضت على الدولة المينوية ( Minoen ) فى كريت ، كما قضت على الامبراطورية الحيثية .

« ..... فى العام الثامن من حكم جلالة ( رمسيس الثالث ) تأمرت الشعوب الأجنبية فى جزرها وأزالت بلادا وشربت الحرب ( أهلها ) ، ولم تستطع دولة أن تقف أمامهم ابتداء من خاتى ( الامبراطورية الحيثية ) وقدى ( شاطئ قيليقية وشمال سوريا ) وقرقميش ، وأرزاوا ( بالقرب من قيليقية ) وإسى ( قبرص ) ..... »<sup>(١١)</sup>.

وتشير الأدلة الأثرية إلى ازدياد النفوذ الحضارى الفينيقي وخاصة فى الجوانب الاقتصادية خلال القرنين التاسع والثامن ق. م ( ٨٥٠ - ٧٥٠ ق. م ) ، وعندئذ نمت العلاقات التجارية بين مدن صور وصيدا وغيرهما فى فينيقية وعلى الجانب القبرصى مدن « كيتون » ، وأيداليون ، وانكومى ، وتماسوس ، ولايبثوس ، ولارناكا وغيرها ، ( خريطة رقم ١ ) ولا بد من القول أن العناصر الفينيقية لم تنفرد وحدها بالجزيرة ، وإنما شاركتها عناصر اليونان التى انتشرت على سواحل آسيا الصغرى واستقرت أيضا فى الجزيرة . فى حين قامت جزيرة « رودس » بدور الوسيط الأساسى بين قبرص واليونان<sup>(١٢)</sup> ( خريطة رقم ٢ ) .

ثم كان أن انتقلت السيادة على قبرص إلى دولة آشور ، وذلك فى الفترة التى عرفت اصطلاحا باسم العصر الآشورى الحديث ، وخاصة بين سنتى ٧٥٠ - ٦١٢ ق. م<sup>(١٤)</sup> ، وفى تلك الفترة اتجهت سياسة الامبراطورية الآشورية إلى السيطرة على الطرق التجارية والبحرية والوصول غربا إلى شاطئ المتوسط ومحاولة الحلول محل الامبراطورية المصرية القديمة التى بلغت دور الشيخوخة ، ويمكن تتبع ذلك من خلال نصوص الملك الآشورى « سرجون الثانى » ( ٧٢١ -

٧٠٥ ق. م ) الذى تحدث فيها بفخر عن انتصاراته واستيلائه على السامرة عاصمة العبرانيين الشمالية التى صمدت أمام حصار الآشوريين خلال عهد سلفه « شلما نصر الخامس » ، ولكنها انهارت أمام سرجون فى العام الأول من حكمه عام ٧٢١ ق. م ، وبذلك قضى على ( مملكة ) إسرائيل ونهب أشدود ، وذكر بفخر تبعية حكام جزيرة قبرص له :

« ... أخضع ( سرجون الثانى ) الملوك السبعة لبلاد أسى « قبرص » (إيادنانا) الذى يسكن فى جزيرة فى البحر ( على مسافة ) سبعة أيام إن مكانها بعيد جدًا ، لم يذكرها أحد من أسلافه الملكيين منذ الأيام البعيدة جدًا ..... »<sup>(١٥)</sup> .

ويتضح من النص السابق أن الجزيرة كان يسودها نظام أقرب إلى دويلات المدن بسبب وجود عدد من الحكام للجزيرة بلغ عددهم سبعة كما أشار النص ، ويبدو أن الجزيرة اضطرت للخضوع إلى الآشوريين بعد أن نجحوا فى إخضاع المدن الفينيقية ومنها مدينة صور التى أشارت النقوش التى عثر عليها فى الجزيرة على ما يدل على أن صور كانت لها مستعمرة فى قبرص أو أن دويلة قبرصية كانت خاضعة لصور ويحتمل أن هذه الدويلة كانت كيتيون<sup>(١٦)</sup> .

كذلك ذكرت نصوص سينا خريب ( سنخريب ) . ( ٧٠٤ - ٦٨١ ق. م ) التعاطف الذى كان موجوداً بين قبرص وبعض المدن الفينيقية ، حيث يشير النص :

« ..... لولى Lulu ملك صيدا كان خائفاً من محاربتى ، وفر إلى مدينة قبرص ( إيادنانا ) وهى جزيرة فى وسط البحر واتخذها ملجأ ، ولكن حتى فى هذه الأرض قابل الموت بسبب تأثير الرعب من أسلحة سيدى ( الإله ) آشور أنا عينت أيتى بعل ( على صيدا ) على العرش الملكى وفرضت عليه الجزية ..... »<sup>(١٧)</sup> .

والنص إشارة واضحة لاستمرار سيادة آشور على قبرص ومحاولات الخروج عن سيطرة آشور من جانب صيدا وأيضًا جزيرة قبرص التي سبق وأعلنت الولاء لحكام آشور حتى لا تتصدى للنشاط التجارى القبرصى بينهم وبين سوريا ومصر وبلاد الأناضول<sup>(١٨)</sup> .

وقد ترك الملك الآشورى « أسرحدون » ( ٦٨٠ - ٦٦٩ ق. م ) فى نصوصه قائمة بأسماء الحكام التابعين له ومن بينهم حكام قبرص :

« ..... كل ملوك الجزر التى تتوسط البحر ، من مدينة إيدانانا ( قبرص ) ، حتى أيضا تارسيسى Tarsisi ( كونسوس حسب رأى Luckenbill ) انحنوا تحت قدمى وأخذت منهم جزية كبيرة » .

والنص يشير إلى خضوع جزيرة قبرص للسيطرة الآشورية فى عهد الملك « أسرحدون » كما تتحدث نصوص أخرى عن استدعاء ملوك ( حكام ) بلاد عديدة ، وعشرة ملوك من قبرص ( إيدانانا ) التى تتوسط البحر ، للذهاب إلى عاصمته « نينوى » للمشاركة فى بناء قصره<sup>(١٩)</sup> ، وقد يعنى هذا أيضا من جانب الملك الآشورى « أسرحدون » من دعوته لهذا العدد الكبير من الملوك والحكام البالغ عددهم اثنين وعشرين ملكا بما فيهم حكام قبرص ، الشروع فى تأسيس حصن جديد للملك الآشورى فى العاصمة « نينوى » ما يؤكد إحكام قبضته على الطرق التجارية الممتدة من الساحل الفينيقى حتى جزيرة قبرص صاحبة الموقع البحرى الهام . ذلك أن سيطرة آشور على تلك الطرق يعنى فقدان مصر شريانها هامما فى طرق التجارة العالمية فى تلك الفترة<sup>(٢٠)</sup> .

وقد استمرت السيادة الآشورية على قبرص فى عهد الملك الآشورى « آشوربانيبال » ( ٦٦٨ - ٦٣٣ ق. م ) الذى أشار فى نصوصه إلى حكامها التابعين لأشور فى عهده ، وعندما إنهارت بعد ذلك الإمبراطورية الآشورية ودمرت عاصمتها حوالى ٦١٢ ق. م نعت قبرص بالاستقلال .

على أن هذه الفترة كانت محدودة ، إذ عادت قبرص من جديد تحت السيادة المصرية فى نهاية الأسرة السادسة والعشرين حينما استطاع الفرعون « أحمس الثانى » حوالى عام ٥٦٨ق. م السيطرة على الجزيرة ذات الموقع الاستراتيجى بالإضافة للأهمية الاقتصادية (٢١) .

وحوالى عام ٥٢٥ق. م وقعت مصر فريسة فى أيدى الفرس ، فانتقلت سيادة الجزيرة إلى الفرس الاخمينيين حتى عام ٣٣٣ق. م ، ثم تعاقب السيادة عليها الإسكندر الأكبر وخلفائه من الملوك البطالمة حتى عام ٥٨ق. م .

## خاتمة البحث

يتضح من هذه الدراسة أن للموقع الجغرافى المتميز لجزيرة قبرص فى شرق حوض البحر المتوسط بجانب ثرواتها المعدنية والزراعية أثر فى اهتمام الدول القديمة وبخاصة الدول القوية المطلّة على البحر المتوسط ومنها مصر وخاتى وأشور بالسيطرة عليها لما فى ذلك من فوائد اقتصادية وعسكرية .

تركز الاهتمام المصرى بجزر بحر ايجيه وشرق البحر المتوسط فى بداية الأسرات الفرعونية وحتى نهاية عصر الدولة الوسطى على تغليب علاقات الود مع تلك الجزر واتخاذ الصلات التجارية معها سبيلاً إلى التأثير الحضارى فيها ، وبعد انتهاء الاحتلال الهكسوسى وبدء عصر الدولة الحديثة ، عادت مصر إلى الاهتمام بالجزء الشرقى من البحر المتوسط ، وضرورة السيطرة على مداخل الهجرات التى يمكن أن تهدد الأمن المصرى . كذلك الحرص والسيطرة على المواقع الاستراتيجية الهامة التى تتحكم فى التاريخ السياسى والتجارى لدول البحر المتوسط .

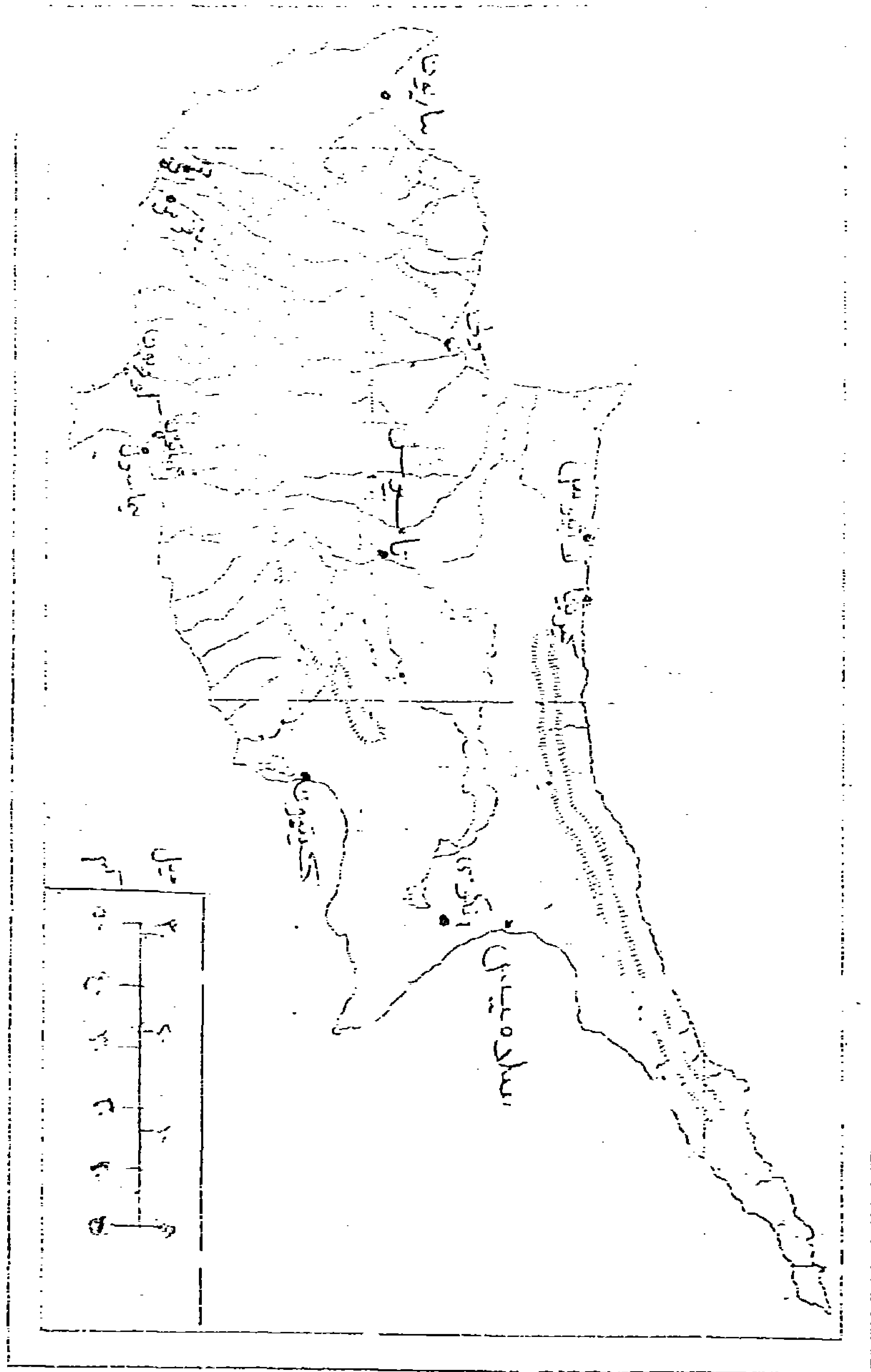
وقد سجلت النصوص الأثرية لملوك عصر الدولة الحديثة سيادة مصر على جزيرة قبرص ، وحرص حكامها على التودد وضمنان رضاء ملوك مصر عليهم وذلك باستمرار تقديم الجزية ، وهو ما عبرت عنه نصوص تلك الفترة .

كذلك مثلت قبرص مركزاً تجارياً أو سوقاً للشرق الأدنى القديم استفادت منه المدن الفينيقية وشاركتها العناصر اليونانية التى كانت قد استقرت فى الجزيرة ، وقامت جزيرة رودس بدور الوسيط الأساسى بينها وبين اليونان .

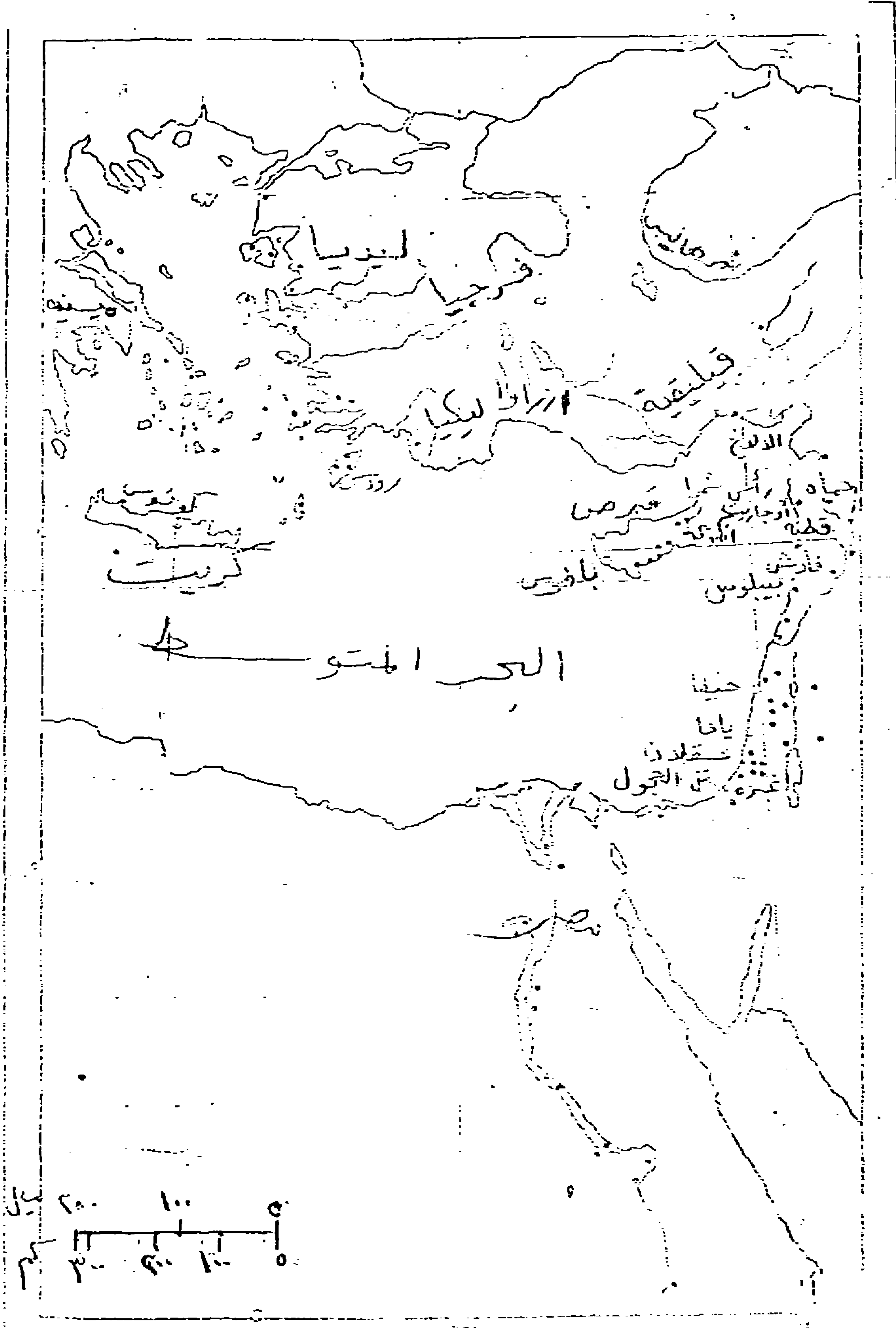
وحيثما دخلت مصر مرحلة من مراحل الضعف بعد انتهاء عصر الدولة الحديثة ، انتقلت السيادة على قبرص إلى دولة آشور التى عبرت نصوصها عن هذه السيطرة ، والتى يفهم منها أن الجزيرة كانت مقسمة إلى دويلات لكل منها حاكمها الذى حرص على تقديم فروض الولاء للدولة الآشورية .

كذلك دلت النصوص الآشورية على ما يؤكد إحكام آشور سيطرتها على الطرق التجارية الممتدة من الساحل الفينيقي وحتى جزيرة قبرص ، وحرمان مصر من موقع استراتيجي واقتصادي هام في الفترة من ٧٥٠ - ٦١٢ ق. م .

ونظرًا لأهمية قبرص السياسية والاقتصادية والعسكرية قام الفرعون المصري « أحمس الثاني » ( الأسرة السادسة والعشرين ) بإعادة السيطرة عليها من جديد . وعندما فقدت مصر استقلالها على أيدي الفرس ، انتقلت سيادة الجزيرة إلى الفرس ، ثم تناوبت السيادة عليها القوى الجديدة التي ظهرت على مسرح التاريخ .



( خريطة رقم ١ ) أهم المدن القديمة في قبرص



( خريطة رقم ٢ ) قبرص وشرق البحر المتوسط  
 نقلاً عن : Blegen, C.W. CAH, Vol. II, P.2, P.183



### حواشي البحث

(1) Goult, Herman, The New Encyclopaedia Britannica Vol. 5, P. 402.

(٢) ج . كوننتو : الحضارة الفينيقية ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة ، مراجعة طه حسين ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ١٠٥ .

(٣) راجع للباحث الأقواس التسعة من خلال مقابر الأسرة الثامنة عشرة في مصر القديمة، مجلة كلية الآداب بالإسكندرية المجلد ٣٨ ، ١٩٩٠ .

عن العلاقات بين مصر وسكان جزر بحر ايجيه والكلمة المصرية « حاونبوت » ، ووجود الأواني الحجرية وغيرها من الأدلة الأثرية في كريت ، والطرق التجارية من مصر إلى سوريا ومنها إلى قبرص وكريت وغيرها من جزر البحر المتوسط ، راجع .

Vercoutter, T, The Near East, London, 1967, P. 367.

(٤) عصر البرونز الأخير في قبرص ينقسم إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى من ١٥٥٠ - ١٤٠٠ ق.م ، والثانية من ١٤٠٠ - ١٢٠٠ ق.م ،  
والثالثة من ١٢٠٠ - ١٠٥٠ ق.م انظر :

Catling, H. W., Cyprus in the late Bronze Age, CAH, Vol. II, P. 2, P. 188.

(٥) بعض هذه الجزى كانت جزى حقيقية من بلاد مهزومة ، وبعضها هدايا من حكام بلاد بعيدة تطلب ود الفرعون تحوتمس الثالث الذى يسيطر بأسطوله القوى على موانى فينيقية وفلسطين وجزر البحر المتوسط ، انظر :

Wilson, J., The Asiatic Campaigns of Thut - mose III, ANET, P. 238.

(6) Urk, IV, PP. 707-708.

(7) Urk, IV, P. 719, ARE, II, PP. 210-212.

(8) Wilson, J., The Hymn of Victory of Thut – mose III, ANET, PP. 373-374.

(9) Wilson, J., Lists of Asiatic Campaigns under the Egyptian Empire, ANET, 242;

Catling, H. W, Op. Cit, P. 203 – 242, Ibid, P. 204. وكذا

(10) The Hittite Archives, JEA, Vol. 25, 1939, PP. 148-150.

Redford, D., Egypt, Canaan, and Isreal, in Ancient Times, Cairo, 1995, P. 253.

Wainwright, G. A, Some Sea – Peoples and Others in Hill, G. F., A History of Cyprus, 1., CAH, 1940, P. 44.

Roberts, J. M, History of the World, New York, 1993, P. 86.

(11) Wilson, J., The War Against the Peoples of the Sea, ANET, P. 262.

كما ورد اسم « الأشيا Alashiya » في رحلة ون آمون ، راجع :

Wilson, J., The Journey of Wen – Amon to Phoenicia, ANET, PP. 25-29;

تم قبول أن «اسى» هي قبرص ، وفي عام ١٨٩٥ «ماكس مولر Max Müller» حاول توضيح أن أليسا ( الأشيا ) كانت شكلا آخر لنفس الكلمة ، والأشيا هي أيضا قبرص ، راجع :

Wainwright, G. A., Alashia = Alasa, and Asy, Klio, Leipzig, 1915, P. 2.

(١٢) خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق. م الإيجيون وصلوا إلى الجزيرة في البداية كتجار ، ولكن في نهاية هذه الفترة كمستوطنين .

كما يوجد اتصال بين فينيقيا وقبرص من القرن الثالث عشر وما بعده ، وهناك اسطورة الأميرة «اليسا» التي فرت من صور إلى قبرص في طريقها إلى قرطاجة في القرن التاسع ق. م ، انظر .

Harden, D, The Phoenicians, New York, 1971, PP. 52-60.

Baramki, D., The Phoenicians, P. 59.

جـ . كوننتو :المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(13) Bickham Sweet – Escott, The New Encyclopaedia Britannica Vol. 5, P. 406.

(14) Ibid, 406.

(15) Oppenheim, L., Babylonian and Assyrian Historical Texts, ANET, 284.

(١٦) محمد أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٥٩ .

Baramki, D., Op. Cit, P. 32.

وكذا :

خضوع حكام قبرص للملك الأشورى « سرجون الثانى » جعله يقيم لوحة لتسجيل الحدث فى عاصمته «دار شاروكين» ( خورسباد ) وكذلك فى كيتيون واللوحه موجوده حاليا فى متحف برلين ، وفيها تتم الإشارة إلى قبرص باسم « يا أتانانا Yatnana » وقد سمح حكام الجزيرة بحفر صورة سرجون الثانى ورموز آشور على اللوحه ، راجع :

The New Encyclopaedia Britannica, P. 406.

(17) Oppenheim, L., Op. Cit., P. 288; Smith, S., Sennacherib and Esarhaddon, CAH, Vol. III, P. 72.

(١٨) « لولى » وصف كحاكم لمدينتى صيدا وصور ، وصف بالنشاط والتصدى للحكم الأشورى ، تحالف مع مصر ويهوذا ، فى عام ٧٠١ ق. م اجبره «سنحريب» على الفرار إلى قبرص ، انظر :

Harden, D., Op. Cit., P. 49.

(19) Oppenheim, L., Op. Cit., pp. 290-291.

(20) Smith, S., Op. Cit., p. 84.

(21) Gardiner, A., Egypt of the Pharaohs, London, 1974, p. 362.



## مرويات عمر بن شبه في تاريخ الطبرى

بين سنتى ٥٩ ، ٦٥ هـ

د. عبد العزيز عبد الله السلومى (\*)

من الواضح أن تاريخنا الإسلامى الذى دون عبر الأجيال المتتابعة يعطينا صورة عملية ووجه كامل لأحداث تاريخ هذه الأمة . وقد تم نقل وجمع وتدوين هذا التاريخ بطرق شتى من أهمها أسلوب المحدثين فى الإسناد ويقوم هذا المنهج على الاستقرار والتجرد فى معرفة أى قضية أو حدث من خلال التعرف على حقيقة الرواية بدراسة أسانيدها وكان الإمام الطبرى رحمه الله أحد أعلام هذا المنهج فى مؤلفاته وبخاصة كتابه « تاريخ الرسل والملوك » ، حيث اعتمد فى رواياته التاريخية على عدد كبير من مشايخه المحدثين والإخباريين وغيرهم أمثال سيف بن عمر ، والمدائنى وعوانه بن الحكم ، وأبى مخنف ، والواقدى ، وابن الكلبى ، وعمر بن شبه ، وغيرهم ممن تباينوا فى الدقة والاتجاه والأسلوب وحتى فى كيفية الرواية . ولم يشترط الطبرى صحة كل ما رواه فى كتابه وإنما أورد الروايات وأسندها إلى رواتها تاركاً الحكم فيها للقارئ ، ويتفق هذا مع ما قاله فى مقدمة كتابه : « فما يكن فى كتابى هذا من خير ذكرناه عن بعض الماضين ، مما يستكره قارئه ، أو يستشنع سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً من الصحة ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا ، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا<sup>(١)</sup> ، وهكذا فإن الأمر يحتاج إلى تحقيق ودراسة وتمحيص فى الأسانيد ورواتها ، والروايات وممتها مع مقارنتها

(\*) أستاذ الحضارة والنظم الإسلامية المساعد - كلية الشريعة جامعة أم القرى - مكة المكرمة .

بما ورد في المصادر الأخرى ، وهذا ما حدث بالفعل حيث عني عدد لا بأس به من الباحثين في كل من جامعتي أم القرى بمكة المكرمة والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بدراسة مرويات العديد من شيوخ الطبري خلال فترة معينة من التاريخ عبر رسائل علمية مهمة في التاريخ والدراسات التاريخية والحضارية ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري<sup>(٣)</sup> ، مرويات عوانه بن الحكم والواقدي<sup>(٣)</sup> ، ومرويات سيف ابن عمر<sup>(٤)</sup> ، ومرويات عمر بن شبه<sup>(٥)</sup> ، وغيرها من المرويات التي اتفقت جميعها في الطريقة والمنهج وقد اخترنا أن نضيف إلى تلك الدراسات هذه الدراسة وموضوعها مرويات عمر ابن شبه في تاريخ الطبري خلال سنتي ٥٩ - ٦٥ هـ دراسة مقارنة وعددها اثنان وعشرون رواية .

وفي دراستي لهذه الفترة امتداداً واتصالاً لما سبق فقتت بجمع مرويات عمر ابن شبه برواياتها وأسانيدها ، وأجريت دراسة لرجالات السند حيث استقيت الحكم عليهم من خلال ما كتبه عنهم علماء الجرح والتعديل ، صحة أو ضعفاً كل بحسبه، ولهذا يتضح للباحث مستوى سند الرواية .

كذلك عملت عند دراسة الرواية على مقارنتها بما وردت في المصادر الأخرى سواء من خلال تتبع السند أو مقارنة المتن ، حرصت قدر جهدي على تبيان الفروق بينها من خلال كتب التاريخ والتراجم التي رجعت إليها ، كما عملت على الترجمة المختصرة للأعلام غير المشهورين الذين وردوا في النص ، وقمت بتوضيح معاني الكلمات أو المصطلحات أو الأماكن المهمة وشرح معانيها وتحديد أماكنها ، وذلك بالاعتماد على المصادر المتباينة . وحيث أن علمي هذا البحث وهما : محمد بن جرير الطبري ، وعمر بن شبه ،

قد تمت دراستهما دراسة مستوفية عبر كثير من المصادر القديمة والحديثة فإننى أثرت فى ذلك عدم التكرار أو حتى الاختصار .

أما من حيث ترتيب الروايات فقد أوردتها وفق ترتيبها كما ذكرها الطبرى فى كتابه تاريخ الرسل والملوك من غير تقديم ولا تأخير حتى لا يكون هناك تداخل فى بعض الروايات أو فى تاريخ حدوثها .

### الرواية الأولى : ٥ / ٣٢٨

١ - حدثنى عمر ، قال : حدثنا على ، عن إسحاق بن خلود ، عن خليل بن عجلان مولى عباد : مات معاوية ويزيد بحوارين<sup>(٦)</sup> ، وكانوا كتبوا إليه حين مرض ، فأقبل وقد دفن ، فأتى قبره فصلى عليه ، ودعا له ثم أتى منزله ، فقال :

جاء البريد بقرطاس يخب به	فأوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا : لك الويل ماذا فى كتابكم ؟	قالوا : الخليفة أمس مثبتا وجعا
فمادت الأرض أو كادت تميد بنا	كأن أغبر <sup>(٧)</sup> من أركانها انقطعا
من لا تزل نفسه توفى على شرف	توشك مقاليد تلك النفس أن تقعا
لما انتهينا وباب الدار منصفق	وصوت رمله ريع القلب فانصدعا

### رجال السند :

- أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف المدائنى الأخبارى : قال عنه يحيى بن معين ؛ ثقة ثقة ثقة ، وقال ابن عدى : « ليس بالقوى الحديث » وقال الطبرى : « كان عالما بأيام الناس صدوقا فى ذلك » وقال الذهبى : العلامة الحافظ الصادق الإخبارى « وقال أيضا : « صدوق » ولد سنة ١٣٢هـ وتوفى سنة ٢٢٤هـ<sup>(٨)</sup> .

- إسحاق بن خليد : مولى سعيد بن العاص القرشى ، قال عنه البخارى : شيخ ، وذكره ابن حبان فى الثقات<sup>(٩)</sup> .

- خليد بن عجلان مولى عباد : لم أقف على ترجمته .

### دراسة الرواية (١) :

لهذه الرواية عدة وجوه ، اتفقت جميعها من ناحية المضمون ، وأن اختلفت فى تطابق النص ، فقد ذكرها ابن عبد البر<sup>(١٠)</sup> بسنده بقوله : روى محمد بن عبد الله ابن الحكم<sup>(١١)</sup> ، قال : سمعت الشافعى ، يقول : لما ثقل معاوية كان يزيد غائبا فكتب إليه بحاله ، فلما أتاه الرسول أنشأ يقول : وذكر الأبيات الواردة فى الرواية مع اختلاف فى بعض الكلمات ، فقد اتفقت الأبيات الثلاث الأولى مع أبيات النص وأن اختلف فى بعض كلماتها ، كما ذكر الشافعى أن البيتين الأخيرين للأعشى<sup>(١٢)</sup> .

أما صاحب العقد الفريد<sup>(١٣)</sup> ، فقد أوردها بسنده إلى الهيثم بن عدى<sup>(١٤)</sup> ، بقوله : أخرج إلى يزيد بريدا بكتاب يستقدمه ويستحثه ، فخرج مسرعا . فتلقاه يزيد فأخبره بموت معاوية ، فقال يزيد الأبيات المذكورة . وأورد قول محمد بن عبد الحكم : قال الشافعى : سرق هذين البيتين من الأعشى .

أما ابن سعد فقد أورد رواية على بن محمد المدائنى هذه من طريق آخر بسند حسن عن سليمان بن أيوب وذكر مطولا أحداث وفاة معاوية رضى الله عنه والأبيات التى قيلت فى ذلك ، حيث أوردها ثمانية أبيات مع تقديم وتأخير فى بعضها<sup>(١٥)</sup> .

كما أورد ابن الأثير<sup>(١٦)</sup> هذه الرواية غير مسندة بقوله : وقيل : لما اشتد مرضه - أى مرض معاوية - كان ولده يزيد بحوارين ، فكتبوا إليه يحثونه على المجئ ليدركه فقال يزيد شعرا وذكر الأبيات .



أثبتت النصوص بعد يزيد عن أبيه معاوية عند وفاته ، وإنشاده تلك الأبيات عند تلقى نبأ مرضه ، وحثه على الحضور إلى دمشق ، وكذا ما ذكره عمر ابن شبة في روايته للنص أن يزيد بن معاوية قد أقبل بعد دفن أبيه وإنشاده للشعر في منزله بعد أن أتى قبر أبيه وصلى عليه .

أما صاحب الاستيعاب<sup>(١٧)</sup> ، فذكر أن معاوية قد أفاق حين وصل ابنه يزيد وأوصى إليه بقوله : يا بني إني صحبت رسول الله ﷺ ، فخرج لحاجة فاتبعته بإداوة ، فكساني أحد ثوبيه الذي كان على جلده فخبأته لهذا اليوم ، وأخذ رسول الله ﷺ من أظفاره وشعره ذات يوم ، فأخذته وخبأته لهذا اليوم ، فإذا أنامت ، فاجعل ذلك القميص دون كفني مما يلي جلدي ، وخذ ذلك الشعر والأظافر فاجعله في فمي ، وعلى عيني ، ومواضع السجود مني ، فإن نفع شيء فذاك وإلا فإن الله غفور رحيم .

كذلك أورد ابن كثير<sup>(١٨)</sup> هذه الوصية بسنده في آخر خطبة لمعاوية ، حيث ذكرها بقوله : وقد ورد من غير وجه أنه أوحى إليه أن يكفن في ثوب رسول الله ﷺ الذي كساه إياه ، وكان مدخرا عنده لهذا اليوم ، وأن يجعل ما عنده من شعره وقلامة أظفاره في فمه وأنفه وعينه وأذنيه .

### الرواية الثانية : ٥ / ٣٥٩

٢ — ذكر عمر بن شبة ، عن هارون بن مسلم ، عن علي بن صالح ، عنه قال : لما جاء كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد<sup>(١٩)</sup> ، انتخب من أهل البصرة خمسمائة ، فيهم عبد الله بن الحارث بن نوفل<sup>(٢٠)</sup> ، وشريك بن الأعور<sup>(٢١)</sup> — وكان شيعة لعلي فكان أول من سقط بالناس شريك ، فيقال : إنه تساقط غموة ومعه ناس ثم سقط عبد الله بن الحارث وسقط معه ناس ، ورجوا أن يلى عليهم عبيد الله ويسبقه الحسين إلى الكوفة ، فجعل لا يلتفت إلى من سقط ،

ويمضى حتى ورد القادسية<sup>(٣٢)</sup> وسقط مهران مولاه ، فقال : أيا مهران ، على هذه الحال ، إن أمسكت عنك حتى تنظر إلى القصر فلك مائة ألف ، قال : لا ، والله ما أستطيع فنزل عبيد الله فأخرج ثيابا مقطعة من مقطعات اليمن ، ثم اعتجر<sup>(٣٣)</sup> بمعجرة يمانية ، فركب بغلته ، ثم انحدر راجلا وحده ، فجعل يمر بالمحارس فكلما نظروا إليه لم يشكوا أنه الحسين ، فيقولون : مرحبا بك بابن رسول الله ﷺ ! وجعل لا يكلمهم ، وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم ، وسمع بهم النعمان بن بشير<sup>(٣٤)</sup> فخلق عليه وعلى خاصته ، وانتهى عبيد الله وهو لا يشك أنه الحسين ومعه الخلق يضجون ، فكلمه النعمان ، فقال : أنشدك الله إلا تتحيت عني ما أنا بمسلم إليك أمانتي ، ومالي في قتلك من أرب ، فجعل لا يكلمه . ثم إنه دنا وتدلى الآخر بين شرفتين ، فجعل يكلمه فقال : افتح لا فتحت ، فقد طال ليالك ، فسمعها إنسان خلفه ، فتكفى إلى القوم ، فقال : أي قوم ، ابن مرجانه ، والذي لا إله غيره فقالوا : ويحك إنما هو الحسين ، ففتح له النعمان ، فدخل ، وضربوا الباب في وجوه الناس ، فانفضوا ، وأصبح فجلس على المنبر فقال : أيها الناس إنى لأعلم أنه قد سار معي ، وأظهر الطاعة لي من هو عدو للحسين حين ظن أن الحسين قد دخل البلد وغلب عليه ، والله ما عرفت منكم أحدا ، ثم نزل وأخبر أن مسلم بن عقيل<sup>(٣٥)</sup> قدم قبله بليلة ، وأنه بناحية الكوفة ، فدعا مولى لبني تميم فأعطاه مالا ، وقال : انتحل هذا الأمر ، وأعنيهم بالمال ، واقصد لهاني<sup>(٣٦)</sup> ومسلم وأنزل عليه ، فجاء هائئا فأخبره أنه شيعة ، — وأن معه مالا ، وقدم شريك بن الأعور شاكيا ، فقال لهاني : مر مسلما يكن عندي ، فإن عبيد الله يعودني ، وقال شريك لمسلم : أرأيتك إن أمكنتك من عبيد الله أضاربه أنت بالسيف ؟ قال : نعم والله .

وجاء عبيد الله شريكا يعود في منزل هاني - وقد قال شريك لمسلم : إذا سمعتني أقول : اسقوني ماء فأخرج عليه فأضربه - وجلس عبيد الله على فراش شريك ، وقام على رأسه مهران ، فقال : اسقوني ماء ، فخرجت جارية بقدر ، فرأت مسلما ، فزالت ، فقال شريك : اسقوني ماء ، ثم قال الثالثة : ويلكم تحمونني الماء اسقوني ولو كانت فيه نفسى ، ففطن مهران فغمز عبيد الله ، فوثب ، فقال شريك : أيها الأمير ، إنى أريد أن أوصى إليك ، قال : أعود إليك ، فجعل مهران يطرد به ، وقال : أراد والله قتلك ، قال : وكيف مع إكرامى شريكا وفى بيت هاني ويد أبى عنده يد فرجع فأرسل إلى أسماء بن خارجة<sup>(٢٧)</sup> ومحمد بن الأشعث<sup>(٢٨)</sup> فقال : انتيانى بهاني ، فقالا له : إنه لا يأتى إلا بالأمان ، قال : وما له وللأمان ! وهل أحدث حدثا! انطلقا فإن لم يأتى إلا بالأمان فأمناه ، فأتياه فدعوا ، فقال : إنه إن أخذنى قتلنى . فلم يزالا به حتى جاء به وعبيد الله يخطب يوم الجمعة ، فجلس فى المسجد ، وقد رجل هاني غديرتيه<sup>(٢٩)</sup> ، فلما صلى عبيد الله ، قال : يا هاني ، فتبعه ، ودخل فسلم ، فقال عبيد الله : يا هاني ، أما تعلم أن أبى قدم هذا البلد فلم يترك أحدا من هذه الشيعة إلا قتله غير أبيك وغير حجر<sup>(٣٠)</sup> ، وكان ابن حجر ما قد علمت ، ثم لم يزل يحسن صحبتك ، ثم كتب إلى أمير الكوفة : إن حاجتى قبلك هاني ؟ قال : نعم ، قال : فكان جزائى أن خبأت فى بيتك رجلا ليقتلنى ! قال : ما فعلت ، فأخرج التميمي الذى كان عينا عليهم ، فلما رآه هاني علم أن قد أخبره الخبر ، فقال : أيها الأمير ، قد كان الذى بلغك ، ولن أضيع يدك عنى ، فأنت آمن وأهلك فسر حيث شئت ، فكبا عبيد الله عندها ، ومهران قائم على رأسه فى يده معكزة<sup>(٣١)</sup> ، فقال : وأذلاه ! هذا العبد الحائك يؤمنك فى سلطانك! فقال : خذه ، فطرح المعكزة ، وأخذ بصفيرتى هاني ، ثم أقنع بوجهه ، ثم أخذ عبيد الله المعكزة فضرب بها وجه هاني ، وندر الزجاج ، فارتز فى الجدار ، ثم ضرب وجهه حتى كسر أنفه وجبينه ، وسمع الناس الهيعة وبلغ الخبر مذحج ، فأقبلوا ،

فاطافوا بالدار ، وأمر عبيد الله بهانئ فألقى في بيت ، وصيح المذحجيون ، وأمر عبيد الله مهران أن يدخل عليه شريحاً<sup>(٣٢)</sup> ، فخرج ، فأدخله عليه ، ودخلت الشرط معه ، فقال : يا شريح ، قد ترى ما يصنع بي قال : أراك حياً ، قال : وحى أنا مع ما ترى ! أخبر قومي أنهم إن انصرفوا قتلنى ، فخرج إلى عبيد الله فقال : قد رأيته حياً ، ورأيت أثراً سيئاً ، قال : وتكر أن يعاقب الوالى رعيته ! أخرج إلى هؤلاء فأخبرهم ، فخرج ، وأمر عبيد الله الرجل فخرج معه ، فقال لهم شريح : ما هذه الرعة السيئة ! الرجل حى ، وقد عاتبه سلطانه بضرب لم يبلغ نفسه ، فانصرفوا ولا تحلوا بأنفسكم ولا بصاحبكم فانصرفوا .

#### رجال السند :

- هارون بن مسلم بصرى ، من السابعة مستور ، وذكره ابن حبان فى الثقات<sup>(٣٣)</sup>.
- على بن صالح بن حى الهمداني أبو محمد : ثقة عابد من السابعة ، مات ١٥١ هـ وقيل بعدها ، وثقه أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين<sup>(٣٤)</sup> .

#### دراسة الرواية (٢) :

تقاربت رواية ابن الأثير<sup>(٣٥)</sup> التى أوردها بدون سند مع رواية عمر بن شبة هذه فى أحداث الجزء الأول من الرواية ، وإن اختلف فى أسماء من خرج مع عبيد ابن زياد حيث ذكر ابن الأثير ، أن مسلم بن عمرو الباهلى<sup>(٣٦)</sup> كان ممن خرج مع ابن زياد ، وفى رواية ابن شبة ، أن عبيد الله بن الحارث بن نوفل ، كان ممن أنتخبه ابن زياد للخروج معه إلى الكوفة ، وأفاض فى تفاصيل دخوله ، مع إيجاز ابن زياد لأهل الكوفة ، والتى أفردها ابن الأثير .

ويروى المسعودى وابن كثير بدون سند<sup>(٣٧)</sup> ، أن يزيد بن معاوية ولى عبيد الله بن زياد ، إمرة الكوفة وحثه على قتل مسلم بن عقيل أو نفيه ، وكيف استقبله والى الكوفة ، النعمان بن بشير ظاناً منه أنه الحسين بن على .

وأوردت كثير من المصادر الوسيلة التي لجأ إليها عبيد الله بن زياد ، في تقصى ومعرفة مكان مسلم بن عقيل ، فقد أوردها الحافظ ابن حجر<sup>(٣٨)</sup> بسنده : وقال عمار بن معاوية الدهنى<sup>(٣٩)</sup> ، قلت لأبى جعفر محمد بن على ابن الحسين<sup>(٤٠)</sup> ، حدثنى عن مقتل الحسين حتى كأنى حضرته ، فذكر فى روايته الطريقة التي لجأ إليها ابن زياد لمعرفة مكان مسلم بن عقيل .

كما اتفقت رواية ابن الأثير وابن كثير<sup>(٤١)</sup> ، مع رواية عمر بن شـبـه ، من حيث الإطالة وتفصيل الأحداث ، دون الإخلال بالمعنى العام للرواية ، خاصة فى ذكر ما أقدم عليه عبيد الله بن زياد مع هانىء بن عروة المرادى ، إلا أن تلك الأحداث جاءت موجزة من طريق ابن حبان<sup>(٤٢)</sup> حيث قال : وأخبر عبيد الله بن زياد ، أن مسلم بن عقيل فى دار هانىء بن عروة المرادى ، فدعا هانىءا وسأله فأقر به ، فهشم عبيد الله وجه هانىء ، بقضيب كان فى يده حتى تركه وبه رمق ، ثم أورد القصة كاملة مع اختلاف فى الطريقة التى تم القبض فيها على مسلم ابن عقيل وقتله .

كذلك أشار الدينورى إلى هذه القصة بقوله : « ... أن ابن هانىء خرج إلى عبيد الله بن زياد ، ومعه عصاه وكان أعرج ، ثم دخل على ابن زياد فقال له : يا هانىء أما كانت يد زياد عندك بيضاء ؟ قال : بلى ، قال ويدنى ؟ قال : بلى فقال هانىء : قد كانت لكم عندى يد بيضاء ، وقد أمنتك على نفسك ومالك ، فتناول العصا التى كانت بيد هانىء فضرب بها وجهه حتى كسرها ، ثم قدمه فضرب عنقه ... »<sup>(٤٣)</sup> .

### الرواية الثالثة : ٥ / ٤٧١ - ٤٧٣

٣ - حدثنى عمر ، قال : حدثنى على بن محمد ، قال : حدثنا مسلمة بن حارب ابن سلم بن زياد ، قال : وفد سلم بن زياد<sup>(٤٤)</sup> ، على يزيد بن معاوية وهو

ابن أربع وعشرين سنة ، فقال له يزيد : يا أبا حرب ، أوليك عمل أخويك : عبد الرحمن وعباد<sup>(٤٥)</sup> ؟ فقال : ما أحب أمير المؤمنين ، فولاه خراسان وسجستان ، فوجه سلم ، الحارث بن معاوية الحارثي جد عيسى بن شبيب من الشام إلى خراسان ، وقدم سلم البصرة ، فتجهز وسار إلى خراسان ، فأخذ الحارث بن قيس بن الهيثم السلمي فحبسه ، وضرب ابنه شبيباً وأقامه في سراويل ، ووجه أخاه يزيد بن زياد إلى سجستان .

فكتب عبيد الله بن زياد إلى عباد أخيه — وكان له صديقاً — يخبره بولاية سلم ، فقسم عباد ما في بيت المال في عبيده ، وفضل فضل فنأدى مناديه : من أراد سلفاً فليأخذ ، فأسلف كل من أتاه ، وخرج عباد عن سجستان ، فلما كان بجيرفت<sup>(٤٦)</sup> بلغه مكان سلم — وكان بينهما جبل — فعدل عنه ، فذهب لعباد تلك الليلة ألف مملوك ، أقل ما مع أحدهم عشرة آلاف قال : فأخذ عباد على فارس ، ثم قدم على يزيد ، فقال له يزيد : أين المال ؟ قال كنت صاحب ثغر ، فقسمت ما أصبت بين الناس . قال : ولما شخص سلم إلى خراسان شخص معه عمران بن الفصيل البرجمي<sup>(٤٧)</sup> ، وعبد الله بن خازم السلمي<sup>(٤٨)</sup> ، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي<sup>(٤٩)</sup> ، والمهلب بن أبي صفرة<sup>(٥٠)</sup> ، وحنظلة بن عراذه<sup>(٥١)</sup> ، وأبو حزابه الوليد بن نهيك<sup>(٥٢)</sup> أحد بني ربيعة بن حنظلة ، ويحيى بن يعمر العدواني<sup>(٥٣)</sup> حليف هذيل ، وخلق كثير من فرسان البصرة وأشرافهم ، فقدم سلم بن زياد بكتاب يزيد ابن معاوية إلى عبيد الله بن زياد بنخبة ألفى رجل ينتخبهم — وقال غيره : بل نخبة ستة آلاف — قال : فكان سلم ينتخب الوجوه والفرسان .

ورغب قوم في الجهاد فطلبوا إليه أن يخرجهم ، فكان أول من أخرجه سلم حنظلة بن عراذه ، فقال له عبيد الله بن زياد : دعه لي ، قال : هو بيني وبينك ، فإن اختارك فهو لك ، وإن اختارني فهو لي ، قال : فاختر سلماً ، وكان الناس يكلمون سلماً ويطلبون إليه أن يكتبهم معه ، وكان صله بن أشيم العدوي<sup>(٥٤)</sup> يأتي

الديوان فيقول له الكاتب : يا أبا الصهباء ، ألا أثبت أسمك ، فإنه وجه فيه جهاد وفضل ؟ فيقول له : استخير الله وانظر ، فلم يزل يدافع حتى فرغ من أمر الناس ، فقالت له امرأته معاذة ابنة عبد الله العدوية<sup>(٥٥)</sup> : ألا تكتب نفسك ؟ قال : حتى انظر ، ثم صلى واستخار الله ، قال : فرأى في منامه آتيا آتاه ، فقال له : أخرج فإنك تربح وتفلح وتتجح ، فأتى الكاتب فقال له : أثبتني ، قال : قد فرغنا ولن أدعك ، فأثبتته وابنه ، فخرج سلم فصيره سلم مع يزيد بن زياد فصار إلى سجستان .

قال : وخرج سلم وأخرج معه أم محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي ، وهي أول امرأة من العرب قطع بها النهر .

#### رجال السند :

- علي بن محمد المدائني : سبقت ترجمته في سند رقم ١ .
- مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد ، كوفي روى عن أبيه . أن معاوية كتب إلى زياد سمعت النبي ﷺ يقول : أن العجم أو العدو لا ينصروني على قوم ، روى عن ابن جريج ، وروى أبو الحسن المدائني عنه . ذكره ابن حبان في الثقات<sup>(٥٦)</sup> .

#### دراسة الرواية (٣) :

أورد خليفة بن خياط<sup>(٥٧)</sup> مختصراً أن سلم ابن زياد غزا خوارزم في أحداث عام ٦٢ هـ .

فيما أورد ابن كثير وابن الأثير<sup>(٥٨)</sup> أن ولاية سلم بن زياد في أحداث عام ٦١ هـ فقد يكون تولى سلم بن زياد خراسان نهاية ٦١ هـ وقيامه بغزو بلاد خوارزم جاء في أوائل عام ٦٢ هـ ، وعليه فليس هناك اختلاف في ذكر عامي ٦١ ، ٦٢ . فقد وافق ابن الأثير عمر ابن شبيه في عرضه للنص وتفصيل الأحداث منذ ولاء يزيد بن معاوية لخراسان وانتخابه للوجوه التي خرجت معه من البصرة ، بينما أوجز ابن كثير تلك الأحداث بصورة أكثر اختصاراً .

أما ابن عساكر وابن عبد ربه<sup>(٥٩)</sup> فقد أوردا نصيحة يزيد بن معاوية لسلم حين ولاه خراسان فقال له : إن أباك كفى أخاه عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً فلا تتكلن على عذر منى ، وقد اتكلت على كفاية منك ، وإياك منى قبل أن أقول إياى منك فإن الظن إذا أخلف منك أخلف فيك ، وأنت فى أدنى حظك فأبلغ أقصاه ، وقد أتعبك أبوك فلا ترح نفسك ، واذكر فى يومك أحاديث غدك .

فى حين أبرز صاحب كتاب الفتوح<sup>(٦٠)</sup> الدور الذى قام به عبيد الله بن زياد تجاه من خرج على سلم بن زياد إلى خراسان وبين سر العداوة التى بينه وبين أخيه سلم بن زياد .

وقد جاء اسم سلم بن زياد عند ابن الجوزى<sup>(٦١)</sup> سالم بن زياد وأما الذهبى<sup>(٦٢)</sup> فقد ذكره سالم بن أحور .

وقد اتفقت المصادر السابقة على خروج زوج سلم بن زياد ، أم محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبى العاص الثقفية معه وهى أول امرأة من العرب قطع بها النهر إلى جانب ذكر غنائم المسلمين والتى بلغت نيف وعشرين ألف، كما ذكر ابن الأثير أن سلم كان يأخذ الرأس والدابة والمتاع بنصف الثمن .

كما أوردها الطبرى من طريق المدائنى بسنده عن شيخ ، من خزاعة وذكرها مختصرة<sup>(٦٣)</sup> .

### الرواية الرابعة : ٥ / ٤٩٩

٤ - حدثنى عمر بن شبة ، قال : حدثنا محمد بن يحيى ، عن هشام بن الوليد المخزومى ، أن الزهرى كتب لجده أسنان الخلفاء ، فكان فيما كتب من ذلك : مات يزيد بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين ، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر فى قول بعضهم ، ويقال : ثمانية أشهر .

رجال السند :

- محمد بن يحيى بن على بن عبد الحميد بن عبيد بن غسان بن يسار الكنانى أبو غسان المدنى ، شيخ ثقة من العاشرة ، لم يصب السليمانى فى تضعيفه . ذكره ابن حبان فى الثقات<sup>(٦٤)</sup> .



- هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي . ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب بالسياط ، ليس بثقة ولا مأمون ولا تحل الرواية عنه لما مر لسعيد<sup>(٦٥)</sup> .

- محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ، الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته وإتقانه من رؤوس الطبقة الرابعة ، توفي سنة ١٢٥ هـ وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين<sup>(٦٦)</sup> .

#### دراسة الرواية (٤) :

اختلفت المصادر في تحديد فترة خلافة يزيد بن معاوية ، وعمره عند الوفاة ، حيث ذكر خليفة بن خياط<sup>(٦٧)</sup> ، أنه مات يزيد بن معاوية بحوارين من بلاد حمص ، وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ليلة البدر في شهر ربيع الأول ، ومات وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وقالوا : ابن بضع وأربعين سنة ، وكانت ولايته ثلاث سنين وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً .

كما ذكر المحقق ابن كثير<sup>(٦٨)</sup> : أنه مات لأربع عشرة ليلة من ربيع الأول سنة أربع وستين ، وهو ابن خمس أو ثمان وثلاثين سنة ، فكانت ولايته ثلاث سنين وستة أو ثمانية أشهر .

كما أرج ابن الجوزي<sup>(٦٩)</sup> وفاته بقوله : توفي لأربع عشر خلت من ربيع الأول من هذه السنة ( أربع وستون ) بقرية من قرى حمص يقال لها حوارين ، وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، وقيل تسع وثلاثين ، وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر وقال الواقدي : وثمانية أشهر إلا ثمان ليال .

وقد ذكر ابن الأثير<sup>(٧٠)</sup> في حوادث سنة أربع وستين وفاة يزيد بن معاوية بقوله : وفي هذه السنة توفي يزيد بن معاوية بحوارين من أرض الشام لأربع عشر

خلت من شهر ربيع الأول ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة في قول بعضهم ، وقيل : تسع وثلاثين ، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر ، وقيل ثمانية أشهر .

كما أن الطبرى أورد رواية بسند مجهول عن أحمد بن ثابت عن حدثه ... « أن يزيد بن معاوية توفى لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثمان ليال » (٧١) .

ثم إنه أورد رواية عن هشام بن محمد الكلبى شذ فيها عن بقية المؤرخين من أن ولاية يزيد بن معاوية كانت سنتين وثمانية أشهر ... وأنه توفى سنة ثلاث وستين وهو ابن خمس وثلاثين سنة (٧٢) . إلا أن هذه الرواية لا تصمد مع ما سبق إيراده من روايات كلها أجمعت على أن مدة خلافته ثلاث سنين وبضعة أشهر تفاوتت بين الستة إلى ثمانية .

### الرواية الخامسة : ٥ / ٥٠٣

٥ - حدثني عمر ، عن علي بن محمد ، قال : لما استخلف معاوية بن يزيد وجمع عمال أبيه ، وبويع له بدمشق ، هلك بها بعد أربعين يوماً من ولايته ، ويكنى أبا عبد الرحمن ، وهو أبو ليلى ، وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم ابن عتبة بن ربيعة ، وتوفى وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يوماً .

رجال السند (٥) :

- علي بن محمد المدائنى : سبق ترجمته . ( سند رقم ١ ) .

### دراسة الرواية :

أورد ابن شبه هذه الرواية من رواية المدائنى الذى رواها من دون ذكر لسنده كما تعددت الروايات فى مدة خلافة معاوية بن يزيد ، وعمره حين وفاته ، فقد أورد خليفة بن خياط (٧٣) ، قوله : « استخلف ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ، فأقر

عمال أبيه ولم يول أحداً ، ولم يزل مريضاً حتى مات وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، ويقال : عشرين سنة » . ولم يذكر شيئاً عن مدة خلافته .

أما ابن قتيبة<sup>(٧٤)</sup> فذكر أنه « لما مات يزيد بن معاوية ، استخلف ابنه معاوية ، وهو يومئذ ابن ثمانى عشرة سنة ، فلبث والياً شهرين وليالى محجوباً لا يرى ، ثم خرج بعد ذلك ، قال : فجمع الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إني نظرت بعدكم فيما صار إلى من أمركم ، وقلدته من ولايتكم فوجدت ذلك لا يسعنى فيما بينى وبين ربي ، فاختاروا منى إحدى خصلتين : إما أن أخرج منها ، واستخلف عليكم من أراه لكم رضا ومقنعاً ، وإما تختاروا لأنفسكم وتخرجوني منها .

قال : فلم يلبثوا بعدها إلا أياماً حتى طعن ، فدخلوا عليه ، فقالوا له : استخلف على الناس من تراه لهم رضا ، فقال لهم : عند الموت تريدون ذلك؟ لا والله لا أتزورها ، ما سعدت بحلاوتها ، فكيف اشقى بمرارتها ، ثم هلك ولم يستخلف أحداً » .

أما ابن كثير<sup>(٧٥)</sup> فقد أورد عدة أقوال فى ذلك ، فمن قوله : ببيع له بعد موت أبيه وكان ولى عهده من بعده فى رابع عشر ربيع الأول سنة أربع وستين ، وكان رجلاً صالحاً ناسكاً ، ولم تطل مدته ، وقيل : إنه مكث فى الملك أربعين يوماً ، وقيل عشرين يوماً ، وقيل شهرين ، وقيل شهراً ونصف الشهر ، وقيل ثلاثة أشهر وعشرين يوماً ، وقيل أربعة أشهر .

ثم مات معاوية بن يزيد عن إحدى وعشرين وقيل ثلاث وعشرين سنة وثمانية عشر يوماً ، وقيل تسع عشرة سنة ، وقيل عشرون سنة ، وقيل ثلاث وعشرون سنة ، وقيل : إنما عاش ثمانى عشرة سنة ، وقيل تسع عشرة سنة ، وقيل عشرون ، وقيل خمس وعشرون كما أورد الذهبى فى حوادث سنة ٦٤هـ —<sup>(٧٦)</sup> ، قوله : « ولما هلك يزيد ببيع بعده ابنه معاوية بن يزيد ، فبقى فى الخلافة أربعين

يومًا ، وقيل شهرين ، أو أكثر متمرضا ، والضحاك بن قيس يصلى بالناس ، فلما احتضر قيل له : ألا تستخلف ؟ فأبى وقال : ما أصبت من حلاوتها ، فلم أتحمل مرارتها ! وكان لم يغير أحدًا من عمال أبيه.

وكان شابًا صالحًا ، أبيض جميلًا وسيما ، عاش إحدى وعشرين سنة».

كما أن الطبرى أشار فى بعض رواياته أنه لم يلبث فى الخلافة إلا ثلاثة أشهر حتى مات (٧٧) .

### الرواية السادسة : ٥ / ٥٠٤

٦ - حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا حماد ابن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن ، قال : كتب الضحاك بن قيس (٧٨) إلى قيس بن الهيثم (٧٩) حين مات يزيد بن معاوية : سلام عليك ، أما بعد ، فإن يزيد بن معاوية قد مات ، وأنتم إخواننا ، فلا تسبقونا بشئ حتى نختار لأنفسنا .

### رجال السند :

- موسى بن إسماعيل المنقرى ، مولاهم أبو سلمة التبوذكى البصرى ، ثقة ثبت من صغار التاسعة ، توفى سنة ١٢٣هـ (٨٠) .

- حماد بن سلمة بن دينار البصرى أبو سلمة مولى تميم : ثقة ، عابد ، من كبار الثامنة ، أثبت الناس فى ثابت ، تغير حفظه فى آخره ، توفى ١٦٧هـ (٨١) .

- على بن زيد بن جدعان أبو الحسن القرشى التميمى البصرى الأعمى ، ليس بالقوى ، لا يحتج بحديثه ، كان يتشيع ، توفى سنة ١٣١هـ (٨٢) .

- الحسن بن أبي الحسن يسار البصرى أبو سعيد مولى الأنصار ، وأمه خيره مولاة أم سلمه ، ثقة فقيه فاضل مشهور ، كان يرسل كثيراً ويدلس ، وهو رأس أهل الطبقة الثالثة ، توفى سنة ١١٠ هـ وقد قارب التسعين<sup>(٨٣)</sup> .

### دراسة الرواية (٦) :

جاءت هذه الرواية مسندة من عدة وجوه ، وأن اتفق بعضها فى الإسناد إلى الحسن كما جاءت فى رواية عمر بن شبة ، التى خلت من حديث رسول الله ﷺ ، والذى تصدر الرواية عند الإمام أحمد ابن حنبل<sup>(٨٤)</sup> ، بقوله :

حدثنا عبد الله حدثنى أبى<sup>(٨٥)</sup> ثنا عفان<sup>(٨٦)</sup> ثنا حماد بن سلمه قال أخبرنا على ابن زيد عن الحسن أن الضحاك بن قيس ، كتب إلى الهيثم حين مات يزيد بن معاوية ، سلام عليك أما بعد فإنى سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ، فتناً كقطع الدخان يموت فيها قلب الرجل ، كما يموت بدنه ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع أقوام خلأهم ودينهم بعرض من الدنيا ، وإن يزيد بن معاوية قد مات وأنتم إخواننا وأشقائنا فلا تسبقونا حتى نختار لأنفسنا .

وقد وردت هذه الرواية مسندة عند ابن كثير ، وابن الأثير والذهبي<sup>(٨٧)</sup> .

كما اتفق البلاذرى<sup>(٨٨)</sup> مع ابن شبة فى النص ، مسنداً من طريق بسام الحمال عن حماد بن سلمه بسنده ، ثم ذكر الرواية كما وردت عند ابن شبة هنا .

### الرواية السابعة : ٥ / ٥٠٤

٧ - حدثنى عمر ، قال : حدثنا زهير بن حرب ، قال : حدثنا وهب قال : حدثنا محمد بن أبى عيينة ، قال : حدثنى شهرک ، قال : شهدت عبيد الله بن زياد حين مات يزيد بن معاوية قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل

البصرة أتسبونى ، فوالله لتجدن مهاجر والدى ومولدى فيكم ، ودارى ،  
ولقد وليتكم وما أحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل ولقد أحصى  
اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين ألفا ، وما أحصى ديوان عمالكم إلا تسعين ألفا ،  
ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفا ، وما تركت لكم ذا ظنه أخافه  
عليكم إلا وهو فى سجنكم هذا .

وإن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفى ، وقد اختلف أهل الشام وأنتم  
اليوم أكثر الناس عدداً ، وأعرضه فناء ، وأغناه عن الناس ، وأوسع به بلاداً ،  
فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترتضونه لدينكم وجماعتكم ، فأنا أول راض من رضيتموه  
وتابع ، فإن اجتمع أهل الشام على رجل ترتضونه ، دخلتم فيما دخل فيه المسلمون ،  
وإن كرهتم ذلك كنتم على جديلتكم حتى تعطوا حاجتكم ، فما بكم إلى أحد من أهل  
البلدان حاجة ، ما يستغنى الناس عنكم فقامت خطباء أهل البصرة فقالوا : قد سمعنا  
مقاتلك أيها الأمير ، وأنا والله ما نعلم أحداً أقوى عليها منك ، فهلم فلنبايعك ، فقال :  
لا حاجة لى فى ذلك فاختاروا لأنفسكم ، فأبوا عليه ، وأبى عليهم ، حتى كرروا  
ذلك عليه ثلاث مرات ، فلما أبو بسط يده فبايعوه ، ثم انصرفوا بعد البيعة وهم  
يقولون : لا يظن ابن مرجانه أنا نستقاد له فى الجماعة والفرقة ، كذب والله ! ثم  
وثبوا عليه .

#### رجال السند :

- زهير بن حرب بن شداد الحرشى أو خيثمة النسائى ، ثقة ثبت ، أحد أعلام  
الحديث من العاشرة . روى عنه مسلم أكثر من ألف حديث . مات سنة ٢٣٤هـ  
وهو ابن أربع وسبعين (٨٩) .

- وهب بن جرير بن حازم البصرى ثقة حافظ من التاسعة روى له الجماعة ، مات  
سنة ٢٠٦هـ (٩٠) .

- محمد بن أبي عيينة بن المهلب البصري ، ليس من أهل العلم الذي يرجع إلى روايته<sup>(٩١)</sup> .

- شهرک : لم أقف على ترجمته .

### دراسة الرواية (٧) :

وردت خطبة عبيد الله بن زياد ، في بعض المصادر بإسناد يوافق إسناد ابن شبه ، فقد أوردها البلاذري<sup>(٩٢)</sup> بسنده قال : حدثني أحمد بن إبراهيم<sup>(٩٣)</sup> حدثنا وهب ابن جرير ، حدثنا محمد بن أبي عيينة ، حدثني شهرک ، قال : شهدت عبيد الله بن زياد حين جاء موت يزيد بن معاوية ، فقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا أهل البصرة ... » ثم ذكر نص الخطبة كاملاً ، مع اختلاف في بعض ألفاظها .

كما جاءت هذه الخطبة في رواية لابن الأثير<sup>(٩٤)</sup> ، وابن الجوزي<sup>(٩٥)</sup> غير مسنده ، وعرضاً خطبة عبيد الله بن زياد ، كاملة مع اختلاف في بعض ألفاظها .

وفي رواية للذهبي<sup>(٩٦)</sup> ، بسنده : وقال سعيد بن زيد الأزدي<sup>(٩٧)</sup> : قال عبيد الله لأهل البصرة : اختاروا لأنفسكم ، قالوا نختارك ، فبايعوه وقالوا : أخرج لنا إخواننا ، وكان قد ملأ السجون من الخوارج ، فقال : لا تفعلوا فإنهم يفسدون عليكم فأبوا عليه فأخرجهم ، فجعلوا يبايعونه ، فما تنام آخرهم حتى أغلظوا له ، ثم خرجوا في ناحية بني تميم .

كما يروى عن جرير بن حازم<sup>(٩٨)</sup> ، عن عمه ، أنهم خرجوا ، فجعلوا يمسحون أيديهم بجدار باب الإمارة ، ويقولون : هذه بيعة ابن مرجانه ، واجترأ عليه الناس ، حتى نهبوا خيله من مربطه .

## الرواية الثامنة : ٥ / ٥٠٥

٨ - حدثني عمر ، قال زهير : قال : حدثنا وهب ، قال . وحدثنا الأسود بن شيبان عن خالد بن سمير ، أن شقيق بن ثور<sup>(٩٩)</sup> ومالك بن مسمع<sup>(١٠٠)</sup> وحضين<sup>(١٠١)</sup> ابن المنذر أتوا عبيد الله ليلاً وهو في دار الإمارة ، فبلغ ذلك رجلاً من الحى من بنى سدوس ، قال : فانطلقت فلزمت دار الإمارة ، فلبثوا معه حتى مضى عليه الليل ، ثم خرجوا ومعهم بغل موقر مالا ، قال : فأتيت حضينا فقلت : مر لى من هذا المال بشئ - قال : وعلى المال مولى له يقال له : أيوب<sup>(١٠٢)</sup> - فقال : يا أيوب ، أعطه مائة درهم ، قلت : أما مائة درهم والله لا أقبلها ، فسكت عني ساعة ، وسار هنيهة ، فأقبلت عليه فقلت : مر لى من هذا المال بشئ ، فقال : يا أيوب ، أعطه مائتي درهم ، قلت : لا أقبل والله مائتين ، ثم أمر بثلاثمائة ثم أربعمائة ، فلما انتهينا إلى الطفاوه<sup>(١٠٣)</sup> قلت : مر لى بشئ ، قال : رأييت إن لم أفعل ما أنت صانع ؟ قلت : أنطلق والله حتى إذا توسطت دور الحى وضعت إصبعي في أذني ، ثم صرخت بأعلى صوتي : يا معشر بكر بن وائل هذا شقيق بن ثور وحضين بن المنذر ومالك بن المسمع ، قد انطلقوا إلى ابن زياد ، فاختلفوا في دمائكم ، قال : ماله فعل الله به وفعل ! وملك أعطه خمسمائة درهم ، قال : فأخذتها ثم صبحت غاديا على مالك - قال وهب : فلم أحفظ ما أمر له به مالك - قال : ثم رأييت حضينا فدخلت عليه ، فقال : ما صنع ابن عمك ؟ فأخبرته وقلت : أعطني من هذا المال ، فقال : أنا قد أخذنا هذا المال ونجونا به ، فلن نخشى من الناس شيئا ، فلم يعطني شيئا .

رجال السند :

- زهير بن حرب : سبق ترجمته في سند رقم (٧) وهو ثقة .



- وهب بن جرير : سبقت ترجمته في سند رقم (٧) وهو ثقة .
- الأسود بن شيبان السدوسي البصري ، ثقة عابد من السادسة ، توفي سنة ٦٠ هـ (١٠٤) ، صالح الحديث .
- خالد بن سمير السدوسي البصري : صدوق يهم قليلاً ، من الثالثة (١٠٥) .

### دراسة الرواية (٨) :

أورد البلاذري هذه الرواية موجزة بعض الشيء عن رواية ابن شـبـه ، مع اختلاف في بعض رجال السند بقوله : حدثني أحمد بن إبراهيم (١٠٦) ، وخلف ابن سالم (١٠٧) قال : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا الأسود بن شيبان عن خالد ابن سمير ، أن شقيق بن ثور ومالك بن مسمع وحضين بن المنذر ، أتوا ابن زياد وهو في دار الإمارة ليلاً ، قبل أن يتحول إلى مسعود بن عمرو ، فأقاموا عنده عامة ليله ، ثم خرجوا ومعهم بغلاً موقر مالا ، فقال رجل من بني سدوس : خوفتهم بأن أنادي إن فلاناً وفلاناً قد اجتمعوا في دمائكم ، فأعطوه خمسمائة درهم . وإسناد البلاذري هنا إسناد حسن .

### الرواية التاسعة : ٥ / ٥١٠ - ٥١١

- ٩ - قال أبو جعفر وأما عمر فحدثني قال : حدثني زهير بن حرب ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا أبي ، عن الزبير بن الخريت ، عن أبي ليبيد الجهضمي ، عن الحارث بن قيس ، قال : عرض نفسه - يعني عبيد الله بن زياد - علي ، فقال : أما والله إنني لأعرف سوء رأي كان في قومك ، قال : فوقفت له ، فأردفت علي بغلتي - وذلك ليلاً - فأخذت علي بنو سليم ، فقال من هؤلاء ؟ قلت بنو سليم ، قال : سلمنا إن شاء الله ، ثم مررنا ببني ناجيه وهم جلوس ومعهم السلاح - وكان الناس يتحارسون إذ ذاك في مجالسهم - فقالوا : من هذا ؟ قلت : الحارث ابن قيس ، قالوا : امضي

راشدا ، فلما مضينا قال رجل منهم : هذا والله ابن مرجانه خلفه ، فرماه  
بسهم ، فوضعه فى كور عمامته ، فقال : يا أبا محمد ، من هؤلاء ؟ قال :  
الذين كنت تزعم أنهم من قریش ، هؤلاء بنى ناجیه ، قال : نجونا إن شاء  
الله ، ثم قال : يا حارث ، إنك قد أحسنت وأجملت ، فهل أنت صانع ما  
أشير عليك ؟ قد علمت منزلة مسعود بن عمرو فى قومه وشرفه وسنه  
وطاعة قومه له فهل لك أن تذهب بى إليه فأكون فى داره ، فهى وسط  
الأزد ، فإنك إن لم تفعل صدع عليك أمر قومك ، قلت : نعم ، فانطلقت به فلما  
شعر مسعود بشئ حتى دخلنا عليه وهو جالس ليلتئذ يوقد بقضيب على لبنة ،  
وهو يعالج خفيه قد خلع أحدهما وبقي الآخر ، فلما نظر فى وجوهنا عرفنا  
وقال : إنه كان يتعوذ من طوارق السوء ، فقلت له : أفتخرجه بعدما دخل  
عليك بيتك ! قال : فأمره فدخل بيت عبد الغافر بن مسعود - وامرأة  
عبد الغافر يومئذ خيرة بنت خفاف بن عمرو - قال : ثم ركب مسعود من  
ليلته ومعه الحارث وجماعة من قومه ، فطافوا فى الأزد ومجالسهم ، فقالوا :  
إن ابن زياد قد فقد وأنا لا نأمن أن تلطخوا به ، فأصبحوا فى السلاح ، وفقد  
الناس ابن زياد فقالوا : أين توجه ؟ فقالوا : ما هو إلا فى الأزد ! .

#### رجال السند :

- زهير بن حرب : سبقت ترجمته فى سند رقم ( ٧ ) وهو ثقة .
- وهب بن جرير بن حازم ، سبقت ترجمته فى سند رقم ( ٧ ) وهو ثقة .
- جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله بن شجاع الأزدي البصرى ، أبو النضر ،  
توفى سنة ١٦٩هـ ، ثقة لكن فى حديثه عن قتادة ضعف ، له أوهام إذا حدث  
من حفظه ، من السادسة ، لم يحدث بعد اختلاطه (١٠٨) .
- الحارث بن قيس بن صهبان بن جهضم بن فهم (١٠٩) .

- الزبير بن الخريت البصرى : ثقة من الخامسة ، له فى مسلم حديث واحد ، قال العجلي : تابعى<sup>(١١٠)</sup> ثقة .

- أبو لييد الجهضمى هو لمازه بن زبار الأزدي الجهضمى البصرى : صدوق ناصبى من الثالثة ، صالح الحديث ، أثبته عليه أحمد بن حنبل ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الثانية من أهل البصرة ، ذكره ابن حبان فى الثقات<sup>(١١١)</sup> . وقال ابن معين قد رأى حماد بن زيد أبا لييد ، وأبو لييد رأى عليا .

### دراسة الرواية (٩) :

أورد البلاذرى<sup>(١١٢)</sup> ، والذهبى<sup>(١١٣)</sup> هذه الرواية بإسناد وافق إسناد ابن شبة وإن كان فى رواية البلاذرى إبراهيم الدورقى<sup>(١١٤)</sup> ، وبدأ الذهبى إسناده بابن الخريت وساق كلا منهما الرواية نفسها .

أما ابن الأثير<sup>(١١٥)</sup> فقد ذكر الرواية موافقة لرواية ابن شبة من دون إسناد .

كما أوردها ابن الجوزى<sup>(١١٦)</sup> أيضا بدون إسناد بقوله : وقدم مسلمة بن ذؤيب فدعا الناس إلى بيعة ابن الزبير ، فمالوا إليه وتركوا ابن زياد ، فكان فى بيت المال يومئذ تسعة عشر ألف ألف ، ففرق ابن زياد بعضها فى بنى أمية وحمل الباقي معه ، وخرج فى الليل يتخفى ، فعرفه رجل فضربه بسهم فوقع فى عمامته وأفلت ، فطلبوه فماتوا وانتهبوا ما وجدوا له فطلب الناس من ثار عليهم . كما يتفق البلاذرى<sup>(١١٧)</sup> مع ابن شبة ، فى الجزء الآخر من النص ويذكر فيه نفس الإسناد ، بقوله : وحدثنى أبو خيثمة وأحمد بن إبراهيم قالا : حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، حدثنى أبى عن الزبير بن خريت عن أبى لييد عن الحارث بن قيس ، قال : قال لى ابن زياد : إنك قد أحسنت وأجملت فهل أنت صانع ما أشير به عليك ؟ قد عرفت منزلة مسعود بن عمرو وشرفه وسنه وطاعة قومه له ... إلخ .

أما خليفة بن خياط<sup>(١١٨)</sup> ، فيذكر المدة التي أقامها ابن زياد عند مسعود بن عمرو بقوله : فرقع ابن زياد العطاء ، وشاور أخوته وأهل بيته في قتال من عصاه وخالفه ، فأشاروا عليه بالكف عن ذلك ، فتتحي وصار إلى مسعود في جمادى الآخرة سنة أربع وستين ، وأقام عنده أكثر من شهرين ، وإنما صار إلى الدار في شعبان ، ويقال : أقام ابن زياد عند مسعود أربعين يوماً ، ويقال : أقام عنده ثلاثة أشهر فانتهبت دار الإمارة .

ويذكر ابن أعثم<sup>(١١٩)</sup> هذه الرواية بقوله : فأرسل عبيد الله بن زياد إلى هؤلاء القوم فجمعهم إليه ثم أمر بهم فحبسهم ، ثم خرج في جوف الليل في جماعة من خاصة حتى صار إلى دار مسعود بن عمرو الأزدي وهو شيخ الأزدي بالبصرة ، فاستجار به عبيد الله بن زياد ، فأجاره وأجار من كان معه.

### الرواية العاشرة : ٥ / ٥١١ - ٥١٢

١٠ - حدثني عمر ، قال : حدثني زهير بن حرب ، قال : حدثنا الأسود بن شيبان ، عن عبد الله بن جرير المازني ، قال : بعث إلى شقيق بن ثور<sup>(١٢٠)</sup> فقال لى : إنه قد بلغني أن ابن منجوف<sup>(١٢١)</sup> هذا وابن مسمع<sup>(١٢٢)</sup> يدلجان<sup>(١٢٣)</sup> بالليل إلى دار مسعود ليردا ابن زياد إلى الدار ليصلوا بين هذين الغارين ، فيهريقوا دماءكم ويعزوا أنفسهم ، ولقد هممت أن أبعث إلى ابن منجوف فأشده وثاقاً ، وأخرجته عني ، فذهب إلى مسعود فقرأ عليه السلام مني ، وقل له : إن ابن منجوف وابن مسمع يفعلان كذا وكذا ، فأخرج هذين الرجلين عنك . قال : وكان معه عبيد الله<sup>(١٢٤)</sup> وعبد الله ابنا زياد . قال : فدخلت على مسعود وابنا زياد عنده : أحدهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ، فقلت : السلام عليك أبا قيس ، قال : وعليك السلام ، قلت : بعثني إليك شقيق بن ثور يقرأ عليك السلام ويقول لك : إنه بلغني ، فرد الكلام بعينه إلي « فأخرجهما عنك » ، قال

مسعود: والله فعلت ذاك ، فقال عبيد الله : كيف أبأثور - ونسى كنيته ، إنما كلن يكنى أبا الفضل - فقال أخوه عبد الله : إنا والله لا نخرج عنكم ، قد أجر تمونا ، وعقدتم لنا ذمتكم ، فلا نخرج حتى نقتل بين أظهركم ، فيكون عارا عليكم إلى يوم القيامة .

#### رجال السند :

- زهير بن حرب : سبقت ترجمته في سند رقم ( ٧ ) وهو ثقة .
- الأسود بن شيبان : سبقت ترجمته في سند رقم ( ٨ ) وهو ثقة .
- عبد الله بن جرير المازني بن عبد الله البجلي : جاء في تقريب التهذيب ، وعبيد الله بن جرير بن عبد الله البجلي ، مقبول ، من الثالثة .
- روى عن أبيه روى عنه يزيد ابن أبي زياد(١٢٥) .

#### دراسة الرواية(١٠) :

يروى خليفة بن خياط(١٢٦) ، التحالف الذي تم في دار مسعود بن عمرو مما يوافق رواية ابن شبه بقوله : فانطلق مالك بن مسمع وسويد بن منجوف إلى مسعود ابن عمرو ليحالفوه ويردا ابن زياد إلى دار الإمارة ، وقال ابن زياد لعباد بن زياد : أكد بينهم الحلف .

فكتبوا كتابا بينهم ، وختمه مسعود بخاتمه ، وكتب لمالك بن مسمع كتابا وختمه بخاتمه ، ودفع الكتابين إلى ذراع بن أبي هارون بن ذراع النميري ، فوضعهما على يده ، ثم قالوا لابن زياد : انطلق حتى نردك إلى دار الإمارة . فقال لهم ابن زياد : انطلقوا فمسعود عليكم ، فإن ظفرتم رأيتم حينئذ رأيكم .

## الرواية الحادية عشر : ٥ / ٥٢١

١١ - قال أبو جعفر محمد بن جرير : وأما عمر ، فإنه حدثني في أمر خروج عبيد الله إلى الشام ، قال : حدثني زهير ، قال : حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، قال : حدثنا الزبير بن الخريت ، قال : بعث مسعود مع ابن زياد مائة من الأزديين ، عليهم قرة بن عمرو بن قيس<sup>(١٢٧)</sup> ، حتى قدموا به الشام .

### رجال السند :

- زهير بن حرب : سبقت ترجمته في سند رقم ( ٧ ) وهو ثقة .
- وهب بن جرير بن حازم : سبقت ترجمته في سند رقم ( ٩ ) وهو ثقة .
- الزبير بن الخريت : سبقت ترجمته في سند رقم ( ٩ ) وهو ثقة .

### دراسة الرواية (١١) :

أورد البلاذري<sup>(١٢٨)</sup> نص الرواية بإسناده الذي وافق إسناد ابن شبة ، وأن كلن في إسناده زيادة بقوله : حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير عن أبيه ... قال : بعث مسعود مع ابن زياد مائة عليهم فروة بن عمرو<sup>(١٢٩)</sup> حتى قدموا به الشام . فذكره باسم فروة بن عمرو .

كما ذكر ابن أعثم<sup>(١٣٠)</sup> هذه الرواية بقوله : واتفق عبيد الله بن زياد أن يعلم بمكانه ، فأقبل على مسعود بن عمرو فقال له : إنك قد أجرتني وأجرت أصحابي هؤلاء وأنا خائف على نفسي من أهل البصرة ، وأنا أريد منك أن تتم إحسانك وأن تخلصني كيف شئت وأنى شئت ، فقال له مسعود بن عمرو : أفعل ذلك إن شاء الله ! فقد كان لأبيك على حق واجب . قال : ثم دعى بثلاثين رجلا من أصحابه وأمرهم أن يخفروا عبيد الله بن زياد حتى يلحقوه بالشام قال : فخرج

عبيد الله بن زياد فى جوف الليل مع جماعة من خاصته وغلما نه وحشمه ومعه هؤلاء الثلاثة رجلا .

كما روى ابن الأثير<sup>(١٣١)</sup> الرواية بدون إسناد . وقد ترأس الأزد قرّة بن عمرو ابن قيس .

كما ذكرها الذهبى<sup>(١٣٢)</sup> بسنده قال : وقال الزبير بن الخريت ، عن أبى لييد<sup>(١٣٣)</sup> ، إن مسعودا جهز مع عبيد الله بن زياد مائة من الأزد ، فأقدموه الشام .

### الرواية الثانية عشرة : ٥ / ٥٥٢ - ٥٢٣

١٢ - وحدثنى عمر ، قال : حدثنا أبو عاصم النبيل ، عن عمرو بن الزبير وخلاد ابن يزيد الباهلى والوليد بن هشام ، عن عمه ، عن أبيه ، عن عمرو بن هبيرة ، عن يساف بن شريح اليشكرى ، قال : وحدثني على بن محمد ، قال - قد اختلفوا فزاد بعضهم على بعض - إن ابن زياد خرج من البصرة ، فقال ذات ليلة : إنه قد ثقل على ركوب الإبل ، فوطئوا لى على ذى حافر ، قال : فألقيت له قطيفة على حمار ، فركبه وإن رجليه لتكاد أن تخذان فى الأرض ، قال اليشكرى : فإنه ليسير أمامى إذ سكت سكتة فأطالها ، فقلت فى نفسى : هذا عبيد الله أمير العراق أمسى نائم الساعة على حمار ، لو قد سقط منه أعنته ، ثم قلت : والله لئن كان نائما لأنغصن عليه نومه ، فدنوت منه ، فقلت : أنائم أنت ؟ قال : لا ، قلت : فما أسكتك ؟ قال : كنت أحدث نفسى ، قلت : أفلا أحدثك ما كنت تحدث به نفسك ؟ قال : هات ، فوالله ما أراك تكيس ولا تصيب ، قال : قلت : كنت تقول : ليبتى لم أقتل الحسين ، قال : وماذا ؟ قلت : كنت تقول : ليبتى لم أكن بنيت البيضاء ، قال : وماذا ؟ قلت : تقول : ليبتى لم أكن استعملت الدهاقين ، قال : وماذا ؟ قلت : تقول : ليبتى كنت أسخى

مما كنت ، قال : فقال : والله ما نطقت بصواب ، ولا سكت عن خطأ ، أما الحسين فإنه سار إلى يريد قتلى ، فاخترت قتله على أن يقتلنى ، وأما البيضاء فإنى أشتريتها من عبد الله بن عثمان الثقفى<sup>(١٣٤)</sup> ، وأرسل يزيد بألف فأنفقتها عليها ، فإن بقيت فلاهلى ، وإن هلكت لم آس عليها مما لم أعنف فيه ، وأما استعمال الدهاقين فإن عبد الرحمن بن أبى بكره<sup>(١٣٥)</sup> وزاذان فروخ<sup>(١٣٦)</sup> وقعا فى عند معاوية حتى ذكرا قشور الأرز ، فبلغا بخراج العراق مائة ألف ألف ، فخيرنى معاوية بين الضمان والعزل ، فكرهت العزل ، فكنت إذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج ، فتقدمت إليه أو أغريت صدور قومه ، أو أغريت عشيرته أضرت بهم ، وإن تركت مال الله وأنا أعرف مكانه ، فوجدت الدهاقين<sup>(١٣٧)</sup> أبصر بالجباية ، وأوفى بالأمانة ، وأهون فى المطالبة منكم ، مع أنى قد جعلتكم أمناء عليهم لئلا يظلموا أحدا .

وأما قولك فى السخاء ، فوالله ما كان لى مال فأجود به عليكم ، ولو شئت لأخذت بعض مالكم فخصصت به بعضكم دون بعض ، فيقولون : ما أسخاه ! ولكنى عممتكم ، وكان عندى أنفع لكم . وأما قولك : ليتنى لم أكن قتلت من قتلت ، فما عملت بعد كلمة الإخلاص عملا هو أقرب إلى الله عندى من قتلى من قتلت من الخوارج ، ولكنى سأخبرك بما حدثت به نفسى ، قلت : ليتنى قاتلت أهل البصرة ، فإنهم بايعونى طائعين غير مكرهين ، وأيم الله لقد حرصت على ذلك ، ولكن بنى زياد أتونى فقالوا : إنى إذا قاتلتهم فظهروا عليك لم يبقوا منا أحدا ، وإن تركتهم تغيب الرجل منا عند أخواله وأصهاره ، فرقت لهم فلم أقاتل . وكنت أقول : ليتنى كنت أخرج أهل السجن فضربت أعناقهم ، فأما إذ قاتت هاتان فليتنى كنت أقدم الشام ولم يبرموا أمرا .

قال بعضهم : فقدم الشام ولم يبرموا أمرا ، فكأنما كانوا معه صبيانا ، وقال بعضهم : قدم الشام وقد أبرموا ، فنقض ما أبرموا إلى رأيه .



### رجال السند :

- أبو عاصم النبيل هو الضحاك بن مخلد الشيباني البصري : أجمعوا على توثيقه ، مات بالبصرة ٢١٢هـ أو بعدها ، كان فقيها ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الثانية من الفقهاء والمحدثين من أهل البصرة ، كان يحيى بن معين يوثقه ، قال أحمد ابن صالح : هو ثقة وله فقه ، وهو كثير الحديث (١٣٨) .

- عمرو بن الزبير البصري : ترجم له البخارى وسكت عنه فى التاريخ الكبير (٣٣٢/٦) ، وذكره ابن حبان فى الثقات (٢٢٠/٧) .

- خلاد بن يزيد الباهلى البصرى المعروف بالأرقط ، صدوق جليل من التاسعة هو شيخ ، قال عنه أبو زيد عمر بن شبة : كان من الجبال الرواسى نبلا (١٣٩) .

- الوليد بن هشام القحزمى البصرى أبو عبد الرحمن ، ثقة ، ذكره ابن حبان فى الطبقة الثالثة من الثقات ، من أهل البصرة (١٤٠) .

- عمرو بن هبيرة : الصواب عمر بن هبيرة ابن معاوية بن سكين : الأمير أبو المثنى الفزارى ، أمير العراقيين ، والد أميرها يزيد ، كان ينوب ليزيد بن عبد الملك فعزله هشام ، جمعت له العراق سنة ١٠٣هـ ، عزل بخالد القسرى (١٤١) .

- يساف بن شريح اليشكرى : ذكره ابن الأثير باسم مسافر بن شريح اليشكرى ولم أجد له ترجمة فى كتب الرجال بهذين الاسمين . انظر الكامل (٣٢٣/٣) .

### دراسة الرواية (١٢) :

أورد البلاذرى (١٤٢) نص هذه الرواية مسندة عن أبى الحسن المدائنى عن عامر بن حفص (١٤٣) ، قال : ... خرج ابن زياد من البصرة هاربا إلى الشام فى قوم وفواله ، فقال ذات ليلة : إنه قد ثقل على ركوب الإبل فوطئوا لى على ذات حافر ، فألقيت له قطيفة على حمار فركبه وإن رجليه لتخدان فى الأرض ، فقال

بعض من كان معه ورآه قد سكت سكتة طويلة : هذا عبيد الله بن زياد أمير العراق بالأمس نائماً .

ثم أورد الرواية كاملة كما رواها ابن شبة .

كما يذكر ابن أعثم<sup>(١٤٤)</sup> بدون إسناد روايته التي توافق رواية عمر بن شبة في المعنى مع الإيجاز وأن اختلفت في ألفاظها .

ويروى ابن الأثير<sup>(١٤٥)</sup> روايته أيضاً إسناداً فكان فيما روى قوله : ... فبينما هو يسير ذات ليلة قال : قد ثقل على ركوب الإبل فوطئوا لي على ذى حافر فجعلوا له قطيفة على حمار فركبه ثم سار وسكت طويلاً ، قال مسافر بن شريح اليشكري : فقلت في نفسي لئن كان نائماً لأوقظن عليه نومه فقلت : أناائم أنت ؟ قال : لا كنت أحدث نفسي ... ويستمر ابن الأثير في روايته التي وافقت رواية ابن شبة .

### الرواية الثالثة عشر : ٥٢٧/٥ - ٥٢٨

١٣ - قال أبو جعفر : وأما عمر بن شبة ، فإنه حدثني في أمر عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كريز وأمر بيه ومسعود وقتله ، وأمر عمر بن عبيد الله غير ما قال هشام عن عوانه<sup>(١٤٦)</sup> والذي حدثني عمر بن شبة في ذلك أنه قال : حدثني علي ابن محمد عن أبي مقرن عبيد الله الدهني ، قال : لما بايع الناس بيه<sup>(١٤٧)</sup> ولي بيه شرطته هميان بن عدى<sup>(١٤٨)</sup> ، وقدم على بيه بعض أهل المدينة ، وأمر هميان بن عدى بإنزاله قريباً منه ، فأتى هميان داراً للليل<sup>(١٤٩)</sup> مولى زياد التي في بني سليم وهم بتفريغها لينزلها إياه ، وقد كان هرب وأقفل أبوابه ، فمنعت بنو سليم هميان حتى قاتلوه ، واستصرخوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كريز ، فأرسل بخاريته ومواليه في السلاح حتى طردوا هميان ومنعوه الدار ، وغدا عبد الملك من الغد إلى در الإمارة ليسلم على بيه ، فلقيه على الباب رجل من بني قيس بن ثعلبه ، فقال : أنت المعين

علينا بالأمس ! فرفع يده فاطمه ، فضرب قوم من البخارية يد القيسى فأطارها ، ويقال : بل سلم القيسى ، وغضب ابن عامر فرجع ، وغضبت له مضر فاجتمعت وأتت بكر بن وائل أشيم بن شقيق بن ثور<sup>(١٥٠)</sup> فاستصرخوه ، فأقبل ومعه مالك بن مسمع<sup>(١٥١)</sup> حتى صعد المنبر فقال : أى مضرى وجدتموه فأسلبوه وزعم بنو مسمع أن مالكا جاء يومئذ متفضلاً فى غير سلاح ليرد أشيم عن رأيه .

ثم انصرف بكر وقد تحاجزوا هم والمضريه ، واغتمت الأزدي ذلك ، فحالفوا بكرأ وأقبلوا مع مسعود إلى المسجد الجامع ، وفزعت تميم إلى الأحنف<sup>(١٥٢)</sup> ، فعقد عمامته على قناه ودفعها إلى سلمة بن ذؤيب الرياحي<sup>(١٥٣)</sup> ، فأقبل بين يديه الأساوره حتى دخل المسجد ومسعود يخطب ، فاستنزلوه فقتلوه ، وزعمت الأزدي أن الأزارقة قتلوه ، فكانت الفتنة ، وسفر بينهم عمر بن عبيد الله بن معمر<sup>(١٥٤)</sup> وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام<sup>(١٥٥)</sup> حتى رضيت الأزدي من مسعود بعشر ديات ، ولزم عبد الله بن الحارث بيته ، وكان يتدين ، وقال : ما كنت لأصلح الناس بفساد نفسى .

#### رجال السند :

- على بن محمد : سبقت ترجمته فى سند رقم ( ١ ) .
- أبو مقرن عبيد الله الدهنى : تولى شرطة واسط أيام أبى جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ حينما خرج إبراهيم بن محمد بالبصرة وما حولها<sup>(١٥٦)</sup> .

#### دراسة الرواية (١٣) :

ورد فى بعض المصادر أن أهل البصرة بايعوا عبد الله بن الحارث بن نوفل ، بعد خروج عبيد الله بن زياد عن البصرة ، واختلاف الناس بينهم ، فيذكر ابن سعد<sup>(١٥٧)</sup> ، قوله : وتداعت القبائل والعشائر وأجمعوا أمرهم فولوا عبد الله بن

الحارث بن نوفل صلاتهم وفيئهم وكتبوا بذلك إلى عبد الله بن الزبير إنا قد رضينا به فأقره عبد الله بن الزبير على البصرة .

كما يروى البغدادى<sup>(١٥٨)</sup> : أنه لما كان أيام مسعود بن عمرو وخرج عبيد الله ابن زياد عن البصرة ، واختلف الناس بينهم أجمعوا أمرهم فولوا عبد الله بن الحارث بن نوفل صلاتهم وفيئهم وكتبوا بذلك إلى ابن الزبير ، فأقره على البصرة ولم يزل عاملاً عليها سنة ثم عزله .

كذلك يذكر ابن الأثير<sup>(١٥٩)</sup> وعمل ذلك بقوله : « أنه هو الذى اتفق عليه أهل البصرة عند موت يزيد بن معاوية ، حتى يتفق الناس على أمام ، وإنما فعلوا ذلك لأن أباه من بنى هاشم وأمه من بنى أمية ، فقالوا : من ولى الأمر رضى به » .

هذا وقد وافق ابن حجر<sup>(١٦٠)</sup> هذه الروايات . أما رواية البلاذرى<sup>(١٦١)</sup> ، والتى وافقت رواية ابن شبه بسنده حيث ذكر : قال أبو الحسن المدائنى : جعل بيه على شرطته هميان بن عدى ... إلخ القصة ، ويذكر الرواية كاملة كما أوردها ابن شبه فيوردها بسند حسن من رواية أبو عبيدة<sup>(١٦٢)</sup> حدثني زهير بن هنيذ<sup>(١٦٣)</sup> عن عمرو ابن عيسى<sup>(١٦٤)</sup> ، قال : كان مالك ابن مسمع فى المسجد فبينما هو قاعد ، وفى الحلقة رجل من ولد عبد الله بن عامر بن كريز إذ نازع القرشى مالكا فأغلظ له القرشى ، فلطم رجل من بكر القرشى فتهايج من ثم مضى وربيعه ، وكثرتهم ربيعه ممن فى المسجد ، فنادى رجل يال تميم ، فوثب قوم من بنى ضببه على رماح حرس المسجد وترستهم ، ثم شدوا على الربيعين فهزموهم ، وبلغ ذلك أشيم بن شقيق بن ثور وهو يومئذ رئيس بكر بن وائل ، فأقبل إلى المسجد فقال : لا يجدن ربيعى مضرباً إلا قتله ، فبلغ ذلك مالك بن مسمع فأقبل متفضلاً فسكن الناس حتى كف بعضهم عن بعض ، وسأل مالك أن يجدد الحلف بين الأزد وربيعه<sup>(١٦٥)</sup> .

وذكر الطبرى رواية عن أصحابه من دون أن يسميهم قال : « ... فلما أمروا بيه على البصرة ولى شرطته هميان بن عدى السدوسى »<sup>(١٦٦)</sup> .

### الرواية الرابعة عشر : ٥ / ٥٢٨

١٤ - قال أبو الحسن : فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير فكتب إلى أنس بن مالك يأمره بالصلاة بالناس ، فصلى بهم أربعين يوماً .

رجال السند :

- أبو الحسن علي بن محمد المدائني : سبقت ترجمته في سند رقم ( ١ ) .

دراسة الرواية ( ١٤ ) :

لم يحدد خليفة بن خياط<sup>(١٦٧)</sup> ، المدة التي صلى بها أنس بن مالك في البصرة حيث ذكر أن عبد الله بن الزبير كتب إلى أنس بن مالك أن يصلي بالناس وكذا ابن كثير<sup>(١٦٨)</sup> .

أما بقية المصادر الأخرى فإنها تتفق مع ما أورده الطبري من رواية ابن شبه فيروى ابن عساكر والذهبي<sup>(١٦٩)</sup> روايتهما بسنده أن أنس بن مالك صلى بالناس أربعين يوماً .

كما ذكر ابن الأثير<sup>(١٧٠)</sup> نص الرواية بدون إسناد وحدد المدة التي صلى بها أنس بن مالك بالناس أربعين يوماً .

ويوافق البلاذري<sup>(١٧١)</sup> سند ونص رواية ابن شبه فيذكر روايته مسندة إلى المدائني وأن ابن الزبير كتب إلى أنس بن مالك يسأله أن يصلي بهم فصلى بهم أربعين يوماً .

### الرواية الخامسة عشر : ٥ / ٥٢٨ .

١٥ - حدثني عمر قال : حدثنا علي بن محمد ، قال : كتب ابن الزبير إلى عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي<sup>(١٧٢)</sup> بعثه على البصرة ، ووجه به إليه ، فوافقه

وهو متوجه يريد العمرة ، فكتب إلى عبيد الله <sup>(١٧٣)</sup> يأمره أن يصلى بالناس ،  
فصلى بهم حتى قدم عمر .

رجال السند :

- على بن محمد : سبقت ترجمته فى سند رقم ( ١ ) .

دراسة الرواية ( ١٥ ) :

روى البلاذرى <sup>(١٧٤)</sup> هذه الرواية ، كما جاءت عند ابن شبة موافقة لها فى  
النص والإسناد .

كما رواها ابن الأثير <sup>(١٧٥)</sup> بدون إسناد موافقة لرواية ابن شبة .

أيضاً ذكر ابن عساكر <sup>(١٧٦)</sup> وابن حجر <sup>(١٧٧)</sup> ، أن عبد الله بن الزبير كتب إلى  
عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى بولايته ، وقد جاء اسم عمر بن عبيد الله عند ابن  
عساكر ، عمرو بن عبيد الله بن معمر التيمى .

الرواية السادسة عشر : ٥ / ٥٢٨ .

١٦ - حدثنى عمر ، قال : حدثنى زهير بن حرب ، قال : حدثنا وهب بن جرير ،  
قال : حدثنى أبى ، قال : سمعت محمد بن الزبير ، قال : كان الناس  
اصطلحوا على عبد الله بن الحارث الهاشمى <sup>(١٧٨)</sup> ، فولى أمرهم أربعة أشهر ،  
وخرج نافع بن الأزرق إلى الأهواز <sup>(١٧٩)</sup> ، فقال الناس لعبد الله : إن الناس قد  
أكل بعضهم بعضاً ، تؤخذ المرأة من الطريق فلا يمنعها أحد حتى تفضح ،  
قال : فتريدون ماذا ؟ قالوا تضع سيفك ، وتشد على الناس ، قال : ما كنت  
لأصلحهم بفساد نفسى ، يا غلام ، ناولنى نعلى ، فانتعل ثم لحق بأهله ،  
وأمر الناس عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى <sup>(١٨٠)</sup> ، قال أبى ، عن  
الصعب ابن زيد <sup>(١٨١)</sup> إن الجارف وقع وعبد الله على البصرة ، فماتت أمه فى

الجارف ، فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة إعالج<sup>(١٨٢)</sup>  
فحملوها إلى حفرتها ، وهو الأمير يومئذ .

#### رجال السند :

- زهير بن حرب : سبقت ترجمته في سند رقم (٧) وهو ثقة .
- وهب بن جرير : سبقت ترجمته في سند رقم ( ٩ ) وهو ثقة .
- جرير بن حازم : سبقت ترجمته في سند رقم ( ٩ ) وهو ثقة .
- محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر بن درهم الأسدي مولا هم أبو أحمد الزبيرى الكوفى ، ثقة ثبت من التاسعة ، إلا أنه قد يخطئ في الحديث الثورى ، مات سنة ثلاث ومائتين ، قال عنه العجلي : أبو أحمد كوفى ثقة وكان يتشيع<sup>(١٨٣)</sup> .

#### دراسة الرواية (١٦) :

اختلفت المصادر في تحديد المدة التى تولى فيها عبد الله بن الحارث الهاشمى إمرة البصرة ، فقد أورد ابن سعد<sup>(١٨٤)</sup> بسنده عن محمد بن عمر<sup>(١٨٥)</sup> ، أن ابن الزبير أقر عبد الله بن الحارث على البصرة فلم يزل عاملاً عليها سنة ثم عزله ، كما وافقه البغدادي<sup>(١٨٦)</sup> فى تحديد مدة الولاية على البصرة ، ثم يروى الخبر مرة ثانية مسنداً إلى يعقوب بن سفيان<sup>(١٨٧)</sup> دون أن يحدد مدة ولاية عبد الله بن الحارث.

كما يذكر ابن عساكر<sup>(١٨٨)</sup> بسنده عن خليفة بن خياط : إن ابن الزبير أقر عبد الله بن الحارث الهاشمى على البصرة أشهراً ثم عزله .

ويروى ابن الأثير<sup>(١٨٩)</sup> وصاحب العقد الثمين<sup>(١٩٠)</sup> بدون إسناد ، أن عبد الله ابن الحارث بن نوفل تولى أمره البصرة ولم يحدد مدة الولاية .

ويوافق ابن شبة فى تحديد مدة ولاية ببه للبصرة ، كلاً من ابن الجوزى ، والبلاذرى<sup>(١٩١)</sup> الذى وافق ابن شبة فى روايته بإسناده عن أحمد بن إبراهيم

الدورقي<sup>(١٩٢)</sup> ثم يذكر الإسناد الذي ذكره ابن شبة ، وإن عمد البلاذري إلى تقسيم النص إلى جزئين ذكر فيهم ما رواه ابن شبة في هذه الرواية .

### الرواية السابعة عشر : ٥٢٩/٥ .

١٧ - حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، عن القافلاني ، عن يزيد ابن عبد الله بن الشخير ، قال : قلت لعبد الله بن الحارث بن نوفل<sup>(١٩٣)</sup> ، رأيتك زمان استعملت علينا أصبت من المال ، وأتقيت الدم ، فقال : إن تبعة المال أهون من تبعة الدم .

#### رجال السند :

- علي بن محمد : سبقت ترجمته في سند رقم (١) .
- القافلاني : أبو الربيع سليمان بن محمد أبو سليمان القافلاني ، كان سليمان يبيع السفن بالبصرة ، سئل عنه ابن معين فقال : ليس بشيء<sup>(١٩٤)</sup> .
- يزيد ابن عبد الله بن الشخير أبو العلاء العامري ، البصري ، أحد الأئمة ، ثقة من الثانية ، مات سنة ١١١ هـ أو قبلها ، كان مولده في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فوهم من زعم أن له رؤيا ، له أحاديث صالحة<sup>(١٩٥)</sup> .

#### دراسة الرواية (١٧) :

من خلال البحث في كتب التاريخ التي رجعت إليها لم أعث على رواية بهذا المعنى ، كما بحثت في كتب التراجم التي ترجمت لعبد الله بن الحارث بن نوفل فلم أعث على إشارة بهذا النص .

### الرواية الثامنة عشر : ٥٤٥ / ٥ .

- ١٨ - حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي بن محمد ، قال : أخبرنا مسلمة بن محارب ، قال : بحث سلم بن زياد<sup>(١٩٦)</sup> بما أصاب من هدايا سمر قند



وحوارزم إلى يزيد بن معاوية مع عبد الله بن خازم<sup>(١٩٧)</sup> ، وأقام سلم والياً على خراسان حتى مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ، فبلغ سلماً موته ، وأتاه مقتل يزيد بن زياد في سجستان وأسر أبي عبيدة بن زياد ، وكنتم الخبر سلم ، فقال ابن عرادة<sup>(١٩٨)</sup> :

يا أيها الملك المغلق بابـه	حدثت أمور شأنهن عظيم
قتلى بجنزه والذين بكابل	ويزيد أعلن شأنه المكتوم
أبنى أميه إن آخر ملككم	جسد بحوارين ثم مقيم
طرقت منيته وعند وساده	كوب وزق راعف مرثوم
ومرنة تبكى على نشوانه	بالصنج تقعد تارة وتقوم

قال مسلمة : فلما ظهر شعر ابن عرادة أظهر سلم موت يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ، ودعاً الناس إلى البيعة على الرضا حتى يستقيم أمر الناس على خليفة ، فبايعوه ، ثم مكثوا بذلك شهرين ، ثم نكثوا به .

رجال السند :

- علي بن محمد : سبقت ترجمته في سند رقم (١) .
- مسلمة بن محارب : سبقت ترجمته في سند رقم (٣) .

دراسة الرواية (١٨) :

ذكرت المصادر هذه الرواية بدون إسناد ، فيروى صاحب كتاب الفتوح<sup>(١٩٩)</sup> هذه الرواية والتي تتفق في معناها مع ابن شبة .

كما يذكرها ابن الجوزي<sup>(٢٠٠)</sup> في أحداث سنة ٦٤ هـ ، وإن لم يورد الأبيات التي أوردها ابن شبة في نصه هذا .

ويروى ابن الأثير<sup>(٢٠١)</sup> فى أحداث سنة ٦٤هـ بيعة أهل خراسان لسلم بن زياد واختلافهم بعد بيعتهم كما يروى شعر حنظلة بن قيس لهذه الواقعة .

أما الذهبى<sup>(٢٠٢)</sup> فيروى هذه القصة فى أحداث سنة ٦٥هـ خبر سلم بن زياد وبيعة أهل خراسان له ، وخروجه من خراسان بعد اختلافهم عليه ، كما أنه لم يورد شعر حنظلة بن قيس .

### الرواية التاسعة عشر : ٥ / ٦١٢

١٩ - حدثنى عمر بن شبه ، قال : حدثنى زهير بن حرب ، قال : حدثنى وهب ابن جرير ، قال : حدثنى أبى ، عن المصعب بن زيد أن الجارف وقع وعبيد الله بن عبيد الله بن معمر<sup>(٢٠٣)</sup> على البصرة ، فماتت أمه فى الجارف ، فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة علوج فحملوها إلى حفرتها وهو الأمير يومئذ .

#### رجال السند :

- زهير بن حرب : سبقت ترجمته فى سند رقم (٧) .
- وهب بن جرير : سبقت ترجمته فى سند رقم (٩) .
- جرير بن حازم : سبقت ترجمته فى سند رقم (٩) .
- المصعب بن زيد : سبقت ترجمته فى سند رقم (١٦) .

#### دراسة الرواية (١٩) :

سبق جزء من هذه الرواية فى سند رقم (١٦) وقد أشرت فى دراسة الرواية السابقة أن البلاذرى<sup>(٢٠٤)</sup> قسم روايته التى وافقت رواية ابن أشبه إلى قسمين ، فكان القسم الثانى منها والذى جاء مستقلاً هو ما يتعلق بنص هذه الرواية .

وقد اختلفت المصادر في السنة التي وقع فيها الجارف ، حيث ذكره ابن الجوزي<sup>(٢٠٥)</sup> في أحداث سنة ٦٤ هـ ، كما يرويها ضمن حوادث سنة ٦٥ هـ كلا من ابن الأثير وابن كثير وصاحب النجوم الزاهرة<sup>(٢٠٦)</sup> .

أما الذهبي<sup>(٢٠٧)</sup> فيسجله في حوادث سنة ٦٩ هـ وهذا هو المشهور ، في تعليق لابن كثير على هذه السنوات المتفاوتة<sup>(٢٠٨)</sup> وأن جاءت عند الطبري في حوادث سنة ٦٥ هـ .

أما هذه الروايات فقد اتفقت جميعها أن أم عبيد الله بن عبيد الله بن معمر ماتت في هذا الجارف وأنه كان الأمير على البصرة وقتئذ فلم يجد من يحملها واستأجر لها أربعة أنفس .

### الرواية العشرون : ٦١٣/٥

حدثني عمر بن شبه ، قال : حدثنا زهير بن حرب ، قال : حدثنا وهب بن جرير قال : حدثنا أبي ، عن محمد بن الزبير أن عبيد الله بن عبيد الله بن معمر<sup>(٢٠٩)</sup> بعث أخاه عثمان بن عبيد الله إلى نافع بن الأزرق<sup>(٢١٠)</sup> في جيش فلقهم بدولاب<sup>(٢١١)</sup> ، فقتل عثمان وهزم جيشه .

#### رجال السند :

- زهير بن حرب : سبقت ترجمته في سند رقم (٧) .
- وهب بن جرير : سبقت ترجمته في سند رقم (٩) .
- جرير بن حازم : سبقت ترجمته في سنة رقم (٩) .
- محمد بن الزبير : سبقت ترجمته في سند رقم (١٦) .

### دراسة الرواية (٢٠) :

يذكر ابن الأثير وابن الجوزي<sup>(٢١٢)</sup> هذا النص بدون سند في حوادث سنة ٦٥هـ ، ففي رواية ابن الأثير قوله قيل : إن عثمان بن عبيد الله بن معمر قاتل الخوارج ، ونافع بن الأزرق قبل مسلم فقتل عثمان ، وانهزم أصحابه بعد أن قتل من الخوارج خلق كثير .

ولم يذكر ابن الجوزي في روايته عن مقتل عثمان ، وإنما أفاد عن مقتل نافع بن الأزرق .

كما جاء ذكر هذا الخبر عند الكوفي في : كتاب الفتوح<sup>(٢١٣)</sup> وهي تعليق على قتل عثمان أخو عبيد الله بن الماحوز ، وأيضاً كتاب الدينوري والأغانى في ترجمة ابن الماحوز ، أشار مؤلف الكتاب أن الماحوز كانت له معركة مع عثمان بن عبيد الله بن معمر ، قتل فيها عثمان<sup>(٢١٤)</sup> .

### الرواية الواحدة والعشرون : ٦١٣ / ٥

قال عمر : قال زهير : قال وهب : وحدثنا محمد بن أبي عيينه ، عن سبره ابن نخف أن ابن معمر عبيد الله<sup>(٢١٥)</sup> بعث أخاه عثمان<sup>(٢١٦)</sup> إلى ابن الأزرق<sup>(٢١٧)</sup> ، فهزم جنده وقتل ، قال وهب : فحدثنا أبي أن أهل البصرة بعثوا جيشاً عليهم حارثة ابن بدر<sup>(٢١٨)</sup> ، فلقاهم ، فقال لأصحابه :

كربنوا ودولبوا<sup>(٢١٩)</sup> وحيث شئتم فأذهبوا

### رجال السند :

- زهير بن حرب ، سبق ترجمته في سند رقم (٧) .
- وهب بن جرير ، سبق ترجمته في سند رقم (٩) .
- محمد بن أبي عيينه : سبقت ترجمته في سند رقم (٧) .

- سبره بن نخف : ويقال سمره بن نخف ويقال سمره بن يحيى ، اختلفوا فى اسمه واسم أبيه . حيث ذكره أبو الأحوص عن سماك عن سمره بن يحيى وفى التقات سبره ابن نخف كذلك على بن صالح وقد يكون أبو الأحوص : أخطأ فى اسم أبيه وأصاب فى اسمه وعكس على بن صالح خطأ فى اسم الرجل وأصاب فى اسم أبيه فيكون الصواب : سمره بن نخف (٢٢٠) .

#### دراسة الرواية (٢١) :

أورد ابن خياط من دون إسناد قصة تولية أهل البصرة لحارثة بن بدر الغداني لتولى قيادة الجيش بعد قتل قائدهم على يد الخوارج (٢٢١) .

#### الرواية الثانية والعشرون : ٥ / ٦١٣

حدثنا عمر ، قال : حدثنا زهير ، قال : حدثنا وهب ، قال : حدثنا أبو ومحمد بن أبي عيينه قالاً : حدثنا معاوية بن قرّة ، قال : خرجنا مع ابن عبيس (٢٢٢) فلقيناهم ، فقتل ابن الأزرق (٢٢٣) وابنان أو ثلاثة للماحوز (٢٢٤) ، وقتل ابن عبيس .

#### رجال السند :

- زهير بن حرب سبق ترجمته فى سند رقم (٧) وهو ثقة .
- وهب بن جرير سبق ترجمته فى سند رقم (٩) وهو ثقة .
- جرير بن حازم سبق ترجمته فى سند رقم (٩) وهو ثقة .
- محمد بن أبي عيينة سبق ترجمته فى سند رقم (٧) .
- معاوية بن قرّة بن إياس بن هلال المزنى ، أبو إياس البصرى ، ثقة عالم ، من الثالثة ، مات سنة ثلاث عشرة ومائة ، وهو ابن ست وسبعين سنة ، له أحاديث ، ذكره ابن حبان فى التقات (٢٢٥) .

### دراسة الرواية (٢٢) :

ذكر الدينورى من دون إسناد قصة مقتل مسلم بن عبيس على يد الخوارج فى مكان يسمى الدولاب ، ولم يورد مقتل ابن الأزرق هنا ، لكنه أشار فيما بعد أن ابن الأزرق قتل على يد المهلب بن أبى صفرة<sup>(٢٢٦)</sup> .

وأوردها ابن خياط من رواية معاوية بن قرّة المزنى بقوله : « خرجنا مع ابن عبيس نحواً من عشرين ألفاً ... إلخ القصة حيث ذكر مقتل ابن الأزرق ، وابن عبيس<sup>(٢٢٧)</sup> .

## الهوامش

- (١) تاريخ الطبرى ٨/١
- (٢) د. يحيى بن إبراهيم على يحيى .
- (٣) د. عبد العزيز بن سليمان السلومى .
- (٤) د. خالد محمد الغيث .
- (٥) أ. خالد يمانى .
- (٦) حوارين : بالضم وتشديد الواو ، من قرى حلب معروفة ، بها مات يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ . ياقوت الحموى ، معجم البلدان : ٣١٥/٢
- (٧) أغبر : ذكرها ابن الأثير بعين مهملة ساكنة . ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ (٢٦١/٣) .
- (٨) الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد (٥٥/١٢) . الذهبى ، ميزان الاعتدال (١٥٣/٣) . المغنى فى الضعفاء (٤٥٤/٢) . ابن حجر العسقلانى ، لسان الميزان (٢٥٣/٤) .
- (٩) البخارى ، التاريخ الكبير (٣٨٥/١/١) . الرازى ، الجرح والتعديل (٢١٩/٢) . ابن حبان ، الثقات (٤٧/٦) .
- (١٠) ابن عبد البر ، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (٣٩٩/٣) .
- (١١) محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث ، أبو عبد الله بن المصرى الفقيه، من فقهاء مصر من أصحاب مالك ، وثقه النسائى وابن أبى حاتم ، ت ٢٦٨هـ . ابن حجر تهذيب التهذيب (١٦٩/٥) .
- (١٢) وإليه أشار أيضاً ابن كثير — رحمه الله — وكذا ابن عساكر فى تاريخ دمشق (٧٥٩/١٦) . البداية والنهاية (١٤٤/٨) .
- (١٣) أحمد بن محمد بن عبد ربه (٣٧٣/٤) .
- (١٤) الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن بن زيد الطائى الكوفى . ت ٢٠٧هـ ، قال البخارى : سكتوا عنه ، وقال النسائى وغيره : متروك الحديث . الرازى ، الجرح والتعديل (٨٥/٩) . الذهبى ، سير أعلام النبلاء (١٠٣/١٠) .
- (١٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، الطبقة الرابعة ، تحقيق د. عبد العزيز السلومى (١٥١/١) - ١٥٣ .
- (١٦) الكامل (٢٦١/٣) .

(١٧) ابن عبد البر النمري (٣٩٩/٢ - ٤٠٠) . وانظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى - الطبقة الرابعة من الصحابة الذين أسلموا بعد فتح مكة (١٤٦/١ ، ١٤٧) .

(١٨) الحافظ ابن كثير ، البداية والنهاية (١٤٤/٨ ، ١٤٦) .

(١٩) عبيد الله بن زياد أبو حفص : أمير العراق ، ولي البصرة سنة ٥٥هـ ، وولى خراسان ، أول عربي قطع جيحون . انظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء (٥٤٥/٣) . ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب (٧٩/١) .

(٢٠) عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث الهاشمي : أبو محمد المدني ، أمير البصرة ، له رؤية ولأبيه وجده صحبه ، أجمعوا على ثقته ، مات سنة تسع وسبعين ، ويقال أربع وثمانين ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب (٢٩٩) .

(٢١) شريك بن الأعور الحارثي من أتباع علي رضي الله عنه شارك في معركة صفين وتولى اصطخر وكرمان . انظر الطبري ، تاريخ (٣٠١/٤ ، ٣٢١/٥ ، ٣٦١) .

(٢٢) القادسية : تبعد عن الكوفة بأربعة عشر فرسخاً ، من أهم المعارك التي انتصر فيها المسلمون على الفرس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ياقوت الحموي ، معجم البلدان (٢٩١/٤) .

(٢٣) الإعتجار : لف العمامة دون التلحي ومنه حديث « أن الرسول صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح معتجراً بعمامة سوداء . بمعنى أنه لفها على رأسه ولم يتلح بها ، والمعجر والمعاجر ضرب من ثياب اليمن . ابن منظور ، لسان العرب (٢٨١/٥) .

(٢٤) النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي : له ولأبويه صحبه ، سكن الشام ، ثم ولي إمرة الكوفة ، ثم قتل بحمص سنة خمس وستين ، وله أربع وستون سنة ، وهو أول مولود من الأنصار ولد بالمدينة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ابن سعد ، الطبقات الكبرى (٥٣/٦) ، ابن حجر ، تقريب التهذيب (٥٦٣) .

(٢٥) مسلم بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي ، عن عمرو بن شعيب قال : أخبرني من سمع أبا هريرة يقول : ما رأيت من ولد عبد المطلب أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من مسلم بن عقيل وهو الذي كتب إلى الحسين بن علي يخبره ببيعه اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة ويأمره بالقدوم لها . البخاري ، التاريخ الكبير (٢٦٦/٧) . الطبري ، تاريخ (٣٤٨/٥) .

(٢٦) هاني بن حميد عروة بن الفضفاض المرادي : مخضرم سكن الكوفة ، وكان من خواص علي رضي الله عنه . ابن حجر ، الإصابة (٦١٦/٣) .



(٢٧) أسماء بن خارجة ابن حصن بن حذيفة بن بدر الأمير أبو حسان . الفزارى الكوفى من كبار الأشراف ، قال خليفة بن خياط : مات أسماء سنة ست وستين ، ولخارجة صحبة يسيرة ولا رواية له وكان جوادا ممدحا . البداية والنهاية (٤٥/٩) . والذهبي ، سير أعلام النبلاء (٥٣٥/٣) .

(٢٨) محمد بن الأشعث بن قيس أبو القاسم الكوفى ، مقبول ، من الثانية ، ووهم من ذكره فى الصحابة ، مات سنة سبع وستين ، فى قتال المختار مع مصعب بن الزبير . ابن حجر العسقلانى ، تقريب التهذيب (٤٦٩) . الإصابة فى تمييز الصحابة (٥٠٩/٣) .

(٢٩) الغديرتان : الذوابتان التى تسقطان على الصدر ، وفى صفته ﷺ : « قدم مكة وله أربع غدائر هى الذوائب واحدها غديرة » . انظر ابن منظور ، لسان العرب .

(٣٠) حجر بن عدى بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن كندى : كان جاهليا إسلاميا ، شهد القادسية ، قيل هو حبيه بن عدى وإلا فمجهول ، من الثالثة حبيه ، بوزن عليه ، ابن عدى الكندى ، صدوق يخطئ من الثالثة . ابن سعد ، الطبقات الكبرى (٢١٧/٦) ، ابن حجر ، تقريب التهذيب (١٥٤) .

(٣١) معكزه : ومنه العكازه وهى عصا فى أسفلها زج يتوكأ عليها الرجل . انظر ابن منظور ، لسان العرب (٣٠٥٦/٥) .

(٣٢) شريح بن الحارث بن قيس الكوفى النخعى : القاضى ، أبو أميه ، مخضرم ، ثقة ، وقيل له صحبة ، مات قبل الثمانين أو بعدها ، يقال : حكم سبعين سنة ، قاض المصريين .

انظر الحافظ جمال الدين المزى ، تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ٤٣٥/١٢ . ابن حجر ، تهذيب التقريب (٢٩٥) . الذهبي ، سير أعلام النبلاء (١٠٠/٤) . ابن العماد ، شذرات (٨٥/١) .

(٣٣) الرازى ، الجرح والتعديل (٩٤/٩) . البغدادى ، تاريخ بغداد (٢٣/١٤) . ابن حجر ، تقريب التهذيب (٥٦٩) .

(٣٤) الرازى ، الجرح والتعديل (١٩٠/٦) . الذهبي ، ميزان الاعتدال (١٣٢/٣) . ابن حجر ، تقريب التهذيب (٤٠٢) .

(٣٥) الكامل (٢٦٨/٣) .

(٣٦) مسلم بن عمرو الباهلى : كان من أتباع مصعب بن الزبير وخرج معه فى السنة التى قتل فيها مصعب إلا أن مسلم جرح فى تلك المعركة سنة ٧٢هـ .

انظر البسوى ، المعرفة والتاريخ ٣٣١/٣ . الذهبي / تاريخ الإسلام (١١٠/٣) .

- (٣٧) المسعودى ، مروج الذهب (٦٦/٣ ، ٦٧) . فى البداية والنهاية (١٥٥/٨) .
- (٣٨) ابن حجر ، الإصابة (٣٣٣/١ - ٣٣٤) .
- (٣٩) عمار بن معاوية الذهبى البجلي ودهن قبيلة من بجيلة ، من أهل الكوفة ، كنيته أبو معاوية روى عن أبى الطفيل ، ربما أخطأ ، وكان راويا لسعيد بن جببر ، روى عنه سفيان بن عيينة ، وسفيان الثورى ، مات سنة ١٣٣هـ . انظر ابن حبان ، الثقات (٢٦٨/٥) . ابن حجر ، تهذيب (٤٠٦/٧) .
- (٤٠) أبو جعفر محمد بن على بن الحسين ، روى عن جابر بن عبد الله وروى عن أبيه وجديه الحسن والحسين ، كان ثقة كثير الحديث فقيها فاضلا ، توفى سنة ١١٤هـ على الصحيح ، روى له حديث العائد فى هبته ... إلخ . انظر ابن حبان ، الثقات (٣٤٨/٥) . ابن حجر ، تهذيب التهذيب (٣٥٠/٩) .
- (٤١) الكامل (٢٧٠/٣ ، ٢٧١) . البداية والنهاية (١٥٥/٨) .
- (٤٢) محمد بن حبان ، الثقات (٣٠٧/٢) .
- (٤٣) ابن قتيبة الدينورى ، الإمامة والسياسة (٥/٢) .
- (٤٤) سلم بن زياد بن أبيه : أمير . كنيته أبو حرب . ولاء يزيد خراسان عام ٦٠هـ — ، غزا سمرقند ، ذكره ابن حبان فى الثقات (٣٢٤/٤) ، وانظر أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني (٨٧/٧) .
- (٤٥) عبد الرحمن بن زياد بن أبى سفيان : ذكره ابن حبان فى الثقات (٨٣/٥) ، وقال ابن حجر مقبول من الرابعة ، بقى إلى أيام الحجاج . ابن حجر ، تهذيب التهذيب (٣٦٢/٣) . - عبلا ابن زياد بن أبى سفيان ، يكنى أبا حرب ، ولاء معاوية سجستان عام ٥٣هـ ، مات سنة ١٠٠هـ . كان يوم مرج راهط مع مروان ، له حديث فى المسح على الخفين يرويه مالك . انظر ابن حبان ، الثقات (١٥٨/٧) . ابن حجر ، تهذيب التهذيب (٦٤/٣) . الذهبى ، تلخيص الإسلام (٣٩٦ ، ٣٩٧) .
- (٤٦) جيرفت : بالكسر ثم السكون ، وفتح الراء ، وسكون الفاء ، وتاء فوقها نقطتان ؛ مدينة بكرمان من أعيان مدنها ، فتحت فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ينسب إليها جماعة من العلماء منهم أبو الحسن أحمد بن عمر بن إسحاق الجيرفتي ، وبها ناس من الأزد والمهالبة منهم محمد بن هارون النسابة . وانظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان (١٩٨/٢) .

(٤٧) عمران بن الفضيل بقاء ومهمله ابن عائذ التميمي أبو خالد له صحبة واستعمله عثمان رضي الله عنه على سجستان سنة ٢٩هـ . قال أبو موسى أوردته الحافظ أبو زكريا بن منده يعني مستدركا على جده ، ذكره ابن ياسين الحافظ فيمن ورد هراة من الصحابة بسنده ، وتعقب ابن الأثير كلام ابن ياسين ، فجاء أنه ذكره استطرادا في ترجمة الهياج وأنه ذكره في الجملة ولم يصرح بأنه ورد هراة . الطبري ، تاريخ (٢٦٥/٤) ، ابن حجر ، الإصابة (٢٨/٣) .

(٤٨) عبد الله بن خازم السلمي ، أبو صالح البصري ، أمير خراسان ، يقال له صحبة ورواية . ولي خراسان عشر سنين ، ثم شار به أهل خراسان فقتلوه سنة ٧١هـ وحمل رأسه إلى عبد الملك بن مروان . ابن حجر ، تهذيب التهذيب (١٢٨/٣) .

(٤٩) طلحة بن عبد الله بن خلف بن أسعد بن عامر الخزاعي : المعروف بطلحة الطلحات أبو المطرف البصري ، أصالاً جواد ، أمير سجستان من الثالثة ، لم يثبت أن أباً داود روى له . ابن حجر ، تقريب التهذيب (٢٨٢) .

(٥٠) المهلب بن أبي صفرة ، أبو سعيد ، قائد الكتائب ، أدرك عمر ولم يرو عنه ، غزا الهند سنة ٤٤هـ ، وولى الجزيرة لابن الزبير ، حارب الخوارج ، ولي خراسان ومات بمرورود سنة ٨٣هـ في خلافة عبد الملك بن مروان . ابن سعد ، الطبقات الكبرى (١٢٩/١) .  
الذهبي ، سير أعلام النبلاء (٣٨٣/٤) . ابن حجر ، تهذيب التهذيب (٣٢٩/١٠) .

(٥١) حنظلة بن عرادة : لم أقف له على ترجمة .

(٥٢) أبو حزابة الوليد بن نهيك : الوليد بن حنيفة من بنى ربيعة بن حنظلة من تميم ، من شعراء الدولة الأموية ، سكن البصرة وعمل في الديوان ، خرج مع ابن الأشعث على عبد الملك ، كان راجزاً ، فصيحاً ، هجاءً . الأصفهاني ، الأغاني (١٥٨/٦) .

(٥٣) يحيى بن يعمر ، أبو سليمان العدوانى / قاضى مرو أيام قتيبة بن مسلم ، أول من نقط المصحف ، قال خليفة : توفي قبل الـ ٩٠ ، يكنى أبا عدى ، ثقة ، فصيح من الثالثة ، نفاه الحجاج إلى مرو فقبله قتيبة بن مسلم ، قضى في أكبر مدن خراسان ، أكثر روايته عن التابعين . ابن سعد ، الطبقات الكبرى (٣٦٨/٧) . ابن حجر ، تهذيب التهذيب (١٩٢/٦) .  
الذهبي ، تاريخ (٥٠٢) .

(٥٤) صله بن أشيم العدوى : من كبار تابعي أهل البصرة ، كنيته أبو الصهباء ، كان ذا فضل وعبادة وزهد ، زوج معاذة العدوية ، روى حديث واحد عن ابن عباس . مات شهيداً . ابن كثير ، البداية (١٧/٩) . الذهبي ، سير أعلام النبلاء (٤٩٧/٣) .

- (٥٥) معاذة ابنة عبد الله العدوية أم الصهباء البصرية ، ثقة من الثالثة ، ذكرها ابن حبان في الثقات وقال : كانت من العابدات . روت عن عائشة رضى الله عنها ، وثقها ابن معين وأرخها ابن الجوزى في سنة ٨٣هـ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى (٤٨٣/٨) . تهذيب التهذيب (٦١٥/٦) . الذهبي ، تاريخ الإسلام (١٩٨) .
- (٥٦) البخارى ، التاريخ الكبير (٣٨٧/٧) ، الرازى ، الجرح والتعديل (٢٦٦/٨) ، ابن حبان ، الثقات (٤٩٠/٧) .
- (٥٧) تاريخ خليفة بن خياط (٢٣٥) .
- (٥٨) البداية (٢١٣/٨) . الكامل (٣٠٤/٣) .
- (٥٩) تاريخ دمشق (٢٣٧/٦) . العقد الفريد (١٣/١) .
- (٦٠) ابن أعثم الكوفى .
- (٦١) المنتظم (٣٤٧/٥) .
- (٦٢) تاريخ الإسلام (٢٢) .
- (٦٣) تاريخ الطبرى (٤٧٣/٥) .
- (٦٤) الرازى ، الجرح والتعديل (١٢٣/٨) . ابن حبان ، الثقات (٧٤/٩) . ابن حجر ، تقريب التهذيب (٥١٣) .
- (٦٥) الرازى ، الجرح والتعديل (٥٢/٩) . ابن حجر ، تعجيل المنفعة (٤٣١) .
- (٦٦) الرازى ، الجرح والتعديل (٧١/٨) . ابن حجر ، تقريب التهذيب (٥٠٦) .
- (٦٧) تاريخ خليفة بن خياط (٢٥٥) .
- (٦٨) فى البداية والنهاية (٢٢٨/٨ ، ٢٢٩) .
- (٦٩) المنتظم (٣٤/٦) .
- (٧٠) الكامل (٣١٦/٣ ، ٣١٧) .
- (٧١) الطبرى ، تاريخ (٤٩٩/٥) .
- (٧٢) المصدر السابق (٤٩٩/٥) .
- (٧٣) تاريخ خليفة بن خياط (٢٥٥) .
- (٧٤) الإمامة والسياسة (١٠/٢) .
- (٧٥) فى البداية والنهاية (٢٤٠/٨ ، ٢٤١) .
- (٧٦) تاريخ الإسلام (ص ٣٦) .
- (٧٧) تاريخ الطبرى (٥٠٣/٥) .

(٧٨) الضحاك بن قيس ابن خالد الفهرى القرشى ، شهد صفين وفتح دمشق ، قتل بمرج راهط ، مختلف فى صحبته ، ولد قبل وفاة الرسول ﷺ بسبع سنين أو نحوها ، كان على شرطة معاوية ، واستعمله على الكوفة من سنة ٥٣ - ٥٧ هـ وكان مع يزيد وابنه معاوية إلى أن ماتا . انظر ابن كثير ، البداية والنهاية (٢٤٦/٨) . ابن حجر ، تهذيب التهذيب (٥٦٩/٢) . ابن الأثير ، أسد الغابة (٤٩/٣) .

(٧٩) قيس ابن الهيثم السلمى ، وقيل السامى بالمهملة ، جد عبد القاهر بن السرى ، ذكره البخارى فى الوجدان من الصحابة ، وذكر غيره أنه من التابعين . ابن حجر ، الإصابة (٢٦٢/٣) . محمد بن سلام الحمصى ، طبقات فحول الشعراء (٤٨٢/١) .

(٨٠) الرازى ، الجرح والتعديل (١٣٦/٨) . ابن حجر ، تقريب التهذيب (٥٤٩) .  
 (٨١) الذهبى ، سير أعلام النبلاء (٤٤٤/٧) . ابن حجر ، تقريب التهذيب (١٧٨) .  
 (٨٢) الرازى ، الجرح والتعديل (١٨٦/٦) . الذهبى ، ميزان الاعتدال (١٢٧/٣) .  
 (٨٣) الذهبى ، سير أعلام النبلاء (٥٦٣/٤) . ابن حجر ، تقريب التهذيب (ص ١٦٠) .  
 (٨٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٤٥٣/٣) .

(٨٥) عبد الله بن أحمد بن حنبل : أبو عبد الرحمن ، محدث بغداد ، روى عن أبيه شيئاً كثيراً من أهمه المسند والزهد ، كان ثقة ثبت روى له النسائى ت عام ٢٩٠ هـ وعمره سبع وسبعين سنة . انظر عنه ، الرازى ، الجرح والتعديل (٧/٥) ، البغدادى ، تاريخ بغداد (٣٧٥/٩) . ابن الجوزى ، المنتظم (٣٩/٦) .

(٨٦) عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار ، أبو عثمان البصرى ، قال العجلى : ثقة ثبت ، صاحب سنة ، متفق على توثيقه ، أخرج له الجماعة . ابن حجر ، تهذيب التهذيب (١٤٧/٤) — (١٤٩) .

(٨٧) البداية (٢٤٧/٨) . أسد الغابة (٥٠/٣) . سير أعلام النبلاء (٢٤٢/٣) .  
 (٨٨) البلاذرى ، أنساب الأشراف (٣٥٠/١/٤) .  
 (٨٩) البغدادى ، تاريخ بغداد (٤٨٢/٨) . ابن حجر ، تقريب التهذيب (٢١٧) .  
 (٩٠) البخارى ، التاريخ الكبير (١٦٩/٨) . ابن حبان ، الثقات (٢٢٨/٩) . ابن حجر ، تقريب التهذيب (٥٨٥) . وتهذيب التهذيب (١٠٣/٦) .  
 (٩١) الرازى ، الجرح والتعديل (٤٢/٨) . ابن حبان ، الثقات (٤١٨/٧) .  
 (٩٢) أنساب الأشراف (٤١٨/١/٤) .

(٩٣) أحمد بن إبراهيم بن كثير العبدى ، مولى عبد القيس أبو عبد الله البغدادي الدورقي ، ١٦٨ هـ — ٢٤٦ هـ ، من العلماء البارزين في علم الحديث ، روى عنه الإمام مسلم ، وابن ماجه — وثقه صالح بن محمد المعروف بحزره . متفق عليه . قال عنه ابن أبي حاتم صدوق ، ثقة حافظ ، من العاشرة . ابن حجر ، تقريب التهذيب (٧٧) .  
د. محمد جاسم المشهداني ، موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف (٥٢٨/٢) .

(٩٤) الكامل (٣٢٠) .  
(٩٥) المنتظم (٢٤/٦) .  
(٩٦) تاريخ الإسلام (٣٦) .  
(٩٧) سعيد بن يزيد بن مسلمة الأزدي ثم الطاحن ، أبو مسلمة البصري القصير ، ثقة من الرابعة . ابن حجر ، تقريب التهذيب (٢٤٢) .

(٩٨) جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله بن شجاع الأزدي البصري ، يكنى أبا النضر ، ت ١٦٩ هـ ، ثقة لكن في حديثه عن قتاده ضعف ، وله أوهام إذا حدث من حفظه ، من السادسة ، اختلط في آخره . ابن سعد ، الطبقات الكبرى (٢٧٨/٧) . ابن حجر ، تقريب التهذيب (١٣٨) .

(٩٩) شقيق بن ثور بن عفير السدوسي ، أبو الفضل البصري : صدوق ، مخضرم ، مات سنة أربع وستين .

ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب (٢٦٨) . الرازي ، الجرح والتعديل (٣٧٢/٤) .  
(١٠٠) مالك بن مسمع بن غسان البصري : كان شديد الاجتهاد في العبادة والزهادة ، كان سيد ربيع ، مات سنة ٧٣ هـ أو ٧٤ هـ . ابن كثير ، البداية (٣٥٣/٨) . ابن حجر ، الإصابة (٤٨٥/٣) .

(١٠١) حضين بن المنذر بن الحارث الرقاشي ، أبو ساسان ، وهو لقب وكنيته أبو محمد ، كان من أمراء على بصفين ، وهو ثقة ، من الثانية ، مات على رأس المائة ، ابن حجر ، تقريب التهذيب (١٧١) .

(١٠٢) أيوب بن حمران مولى عبيد الله بن زياد ، كان رسول عبيد الله إلى معاوية في حياته وإلى يزيد بنت معاوية ، أرسله عبيد الله إلى الشام ليأتيه بخبر يزيد ، فقدم وأسر إليه بموت يزيد بن معاوية . ابن عساكر (٢٠٦/٣) .

- (١٠٣) الطفاوة : حى من قيس عيلان . انظر ابن منظور ، لسان العرب (٢٦٨٤/٥) .
- (١٠٤) الرازى ، الجرح والتعديل (٢٩٣/٢) . ابن حجر ، تقريب التهذيب (ص ١١١) .
- (١٠٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى (٢٥٣/٧) ، ابن حجر ، تقريب التهذيب (ص ١٨٨) .
- (١٠٦) أحمد بن إبراهيم الدورقي : سبقت ترجمته ضمن دراسة رقم (٧) ، وهو ثقة .
- (١٠٧) خلف بن سالم أبو محمد المخرمي البغدادي ، المهلبى مولاهم ، السندی ، ثقة حافظ ، من العاشرة ، صنف المسند ، عابوا عليه التشيع ، أشاد به ابن سعد ، قال عنه ابن معين : صدوق ، ليس به بأس ، وكان أحمد لا يشك فى صدقه ، وثقه أبو حاتم والرازى والنسائى ، (ت ٢٣١هـ) . ابن حجر ، تقريب التهذيب (١٩٤) . المشهدانى ، موارد البلاذرى (٤٨٠/٢) .
- (١٠٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى (٢٧٨/٧) . ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب (٢٧٠/١) .
- (١٠٩) لم أقف له على ترجمة .
- (١١٠) الرازى ، الجرح والتعديل (٥٨١/٣) . ابن حجر ، تهذيب التهذيب (١٨٥/٢) .
- (١١١) الرازى ، الجرح والتعديل (١٨٢/٧) . ابن حبان ، الثقات (٣٤٥/٥) . ابن حجر ، تقريب التهذيب (٤٦٤) . الذهبى ، تاريخ الإسلام (٥٣٨) .
- (١١٢) أنساب الأشراف (٤٢٠/١/٤) .
- (١١٣) تاريخ الإسلام (٣٧) .
- (١١٤) سبق ترجمته فى دراسة المسند رقم (٧) وهو ثقة .
- (١١٥) الكامل (٣٢١/٣) .
- (١١٦) المنتظم (٢٥/٦) .
- (١١٧) أنساب الأشراف (٤٢١/١/٤) .
- (١١٨) تاريخ خليفة بن خياط (٢٥٨) .
- (١١٩) الفتوح (٣٠٦/٥) .
- (١٢٠) سبقت ترجمته ضمن الرواية رقم (٨) وهو صدوق .
- (١٢١) سويد بن منجوف السدوسى من أهل البصرة ترجم له الرازى وسكت عنه وذكره ابن حبان فى الثقات . الرازى ، والجرح والتعديل (٢٣٤/٤) . الثقات (٣٢٣/٤) .
- (١٢٢) سبقت ترجمته ضمن الرواية رقم (٨) .
- (١٢٣) الدلجة سير السحر والدلجة بالفتح سير الليل كله ومعنى يدلجان بالليل يسيران من آخر الليل أو فى أى ساعة من أول الليل إلى آخره . ابن منظور ، لسان العرب (١٤٠٧/٣) .

- (١٢٤) عبيد الله بن زياد سبقت ترجمته في سند رقم (٢) .  
وعبد الله بن زياد : هو عباد بن زياد سبقت ترجمته في سند رقم (٣) .  
(١٢٥) الرازي ، الجرح والتعديل (٢٤/٥) . ابن حجر . تقريب التهذيب (٣٧٠) .  
(١٢٦) تاريخ خليفة بن خياط (٢٥٨) .  
(١٢٧) قرّة بن عمرو بن قيس : لم أقف له على ترجمة .  
(١٢٨) أنساب الأشراف (٤٢٢/١/٤) .  
(١٢٩) ورد عند الطبري : قرّة بن عمرو بن قيس .  
(١٣٠) الفتوح (٣٠٨/٥) .  
(١٣١) الكامل (٣٢٣/٣) .  
(١٣٢) تاريخ الإسلام (٣٧) .  
(١٣٣) الزبير بن الخريت وأبو ليبيد الجهضمي : سبقت ترجمتهما في سند رقم (٩) .  
(١٣٤) عبد الله بن عثمان النقي : مجهول من الثالثة . ابن حجر . تقريب التهذيب (ص٣١٣) .  
(١٣٥) عبد الرحمن بن أبي بكره : وهو نفيع بن الحارث النقي البصري ، يكنى أبا بحر ، ثقة كبير القدر ، مقرئاً عالماً ، كان جواداً ، أول مولود ولد في الإسلام بالبصرة ، توفي سنة ست وتسعين .  
ابن سعد ، الطبقات الكبرى (١٩٠/٧) . الذهبي ، سير أعلام النبلاء (٣١٩/٤ ، ٤١١) .  
ابن حجر . تهذيب التهذيب (١٤٨/٦) .  
(١٣٦) زاذان فروخ : أبو عمرو الكندي ، مولا هم البزار الضرير ، أحد العلماء الكبار ، ولد في حياة النبي ﷺ ، وكان ثقة ، صادقاً ، مات سنة ٨٢ هـ .  
الذهبي ، سير أعلام النبلاء (٢٨٠/٤) . ابن كثير ، البداية والنهاية (٥٠/٩) .  
(١٣٧) الدهاقين : بضم الدال وكسر ها وهو زعيم فلاص العجم ورئيس الأقاليم في بلادهم —  
مغرب من دهمخان بالفارسية . الأصفهاني ، الأغاني (٣٥٥/١٣) .  
(١٣٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى (٢٩٥/٧) . ابن عساكر ، تاريخ دمشق (٢٧/٧) . الذهبي ،  
ميزان الاعتدال (٣٢٥/٢) .  
(١٣٩) الرازي ، الجرح والتعديل (٣٦٧/٣) . الذهبي ، ميزان الاعتدال (٦٥٧/١) . ابن حجر .  
تقريب التهذيب (١٩٧) .  
(١٤٠) الرازي ، الجرح والتعديل (٢٠/٩) . ابن حبان ، الثقات (٥٥٥/٧) . الذهبي ، ميزان  
الاعتدال (٣٤٩/٤) . ابن حجر . لسان الميزان (٢٢٨/٦) .



- (١٤١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء (٥٦٢/٤)
- (١٤٢) أنساب الأشراف (٤١٠/١/٤ ، ٤١١) .
- (١٤٣) عامر بن حفص ، لقبه أبو اليقظان ، كان عالماً بالأنساب والمآثر والمثالب ، ثقة فيما يرويه ، ت سنة ١٩٠ هـ ، له جملة كتب في الأخبار والأنساب . ابن النديم ، الفهرست (١٣٨) . د. بدرى محمد فهد ، شيخ الإخباريين أبو الحسن المدائنى (١٦٦) .
- (١٤٤) الفتوح (٣٠٨/٥ ، ٣٠٩) .
- (١٤٥) الكامل (٣٢٣/٣ ، ٣٢٤) .
- (١٤٦) انظر رواية هشام عن عوانه في تاريخ الطبرى (٥٢٤/٥) .
- (١٤٧) هو عبد الله بن الحارث بن نوفل ، أبو محمد القرشى الهاشمى ولقبه بيه ، أقره ابن الزبير على البصرة سنة ثم عزله لأبيه وجده صحبه ، حنكة النبى ﷺ ، قال العجلي : مدنى تابعى ثقة ، أخرج له الجماعة . ابن سعد ، الطبقات الكبرى (٢٤/٥) . الذهبي ، سير أعلام النبلاء (٥٢٩/٣) . ابن حجر ، تهذيب التهذيب (١١٩/٣) .
- (١٤٨) هسيان بن عدى السدوسى كان من الولاة فى عهد الدولة الأموية ، ثم وجهه الحجاج فى مسلحة إلى كرمان ليمد عامل سجستان والسند ولكنه عصى الأوامر فوجه الحجاج بن الأشعث فى محاربته فهزمه وأقام بموضعه . انظر الطبرى ، تاريخ (٣٢٩/٦) .
- (١٤٩) الفيل مولى زياد ترجم له البخارى وقال هو مولى زياد بن سميه روى عنه محمد بن الزبير الحنظلى ، وسكت البخارى عنه فى التاريخ الكبير (١٤٠/٧) وذكره الرازى فى الجرح والتعديل (٩٠/٧) .
- (١٥٠) أشيم بن شقيق بن ثور : من أتباع على رضى الله عنه وشيعته والمحاربين إلى جانبه الطبرى ، تاريخ (٥١٥/٥ ، ٥٢٠) .
- (١٥١) مالك بن مسمع : سبقت ترجمته فى سند رقم ( ٨ ) .
- (١٥٢) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمى السعدى ، أبو بحر ، اسمه الضحاك ، وقيل صخر ، مخضرم ثقة ، قيل مات سنة سبع وستين وقيل اثنتين وسبعين ، أسلم فى حياة النبى ﷺ ولم يره ، يضرب بطله المثل ، قال العجلي : هو بصرى تابعى ثقة ، كان سيد قومه ، جواداً صالحاً . ابن كثير ، البداية (٣٣١/٨) ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى (٩٣/٧) . ابن حجر ، تهذيب التهذيب (١٢٣/١) .

(١٥٣) سلمه بن نؤيب بن عبد الله بن محكم بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة الرياحي هو الذي جمع الناس في البصرة ودعاهم إلى اللحاق بعبد الله بن الزبير - العائد بالحرم - وحاول الأحنف - صخر بن قيس - منعه وصدده ولم يستطع إلى ذلك سبيلاً مما جعل الناس يقعدون عن عبيد الله بن زياد . الطبرى ، تاريخ (٥٠٧/٥ ، ٥٠٨) .

(١٥٤) عمر بن عبيد الله بن معمر : الأمير ، من أشرف قريش ، كان جواداً ، شجاعاً له فتوحات مشهودة ، ولى البصرة لابن الزبير ، ولى أمره فارس ، روى عن العراقيين وذكره ابن حبان في الثقات (١٧٧/٧) .

وانظر ابن كثير ، البداية (٤٩/٩) . الذهبي ، سير أعلام النبلاء (١٧٢/٤) .

(١٥٥) عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، أبو محمد المدني ، له رؤية ، وكان من كبار ثقات التابعين ، مات سنة ثلاث وأربعين ، قال الدارقطني مدني جليل يحتج به ، كان ممن أمره عثمان بن عفان أن يكتب المصاحف مع زيد بن ثابت وسعيد ابن العاص وعبد الله بن الزبير ابن حجر ، تهذيب التهذيب (٣٥٠/٣) .

(١٥٦) تاريخ الطبرى (٦٣٦/٧) .

(١٥٧) الطبقات الكبرى (١٠٠/٧) .

(١٥٨) تاريخ بغداد (٢١١/١) .

(١٥٩) أسد الغابة (٢٠٧/٣) .

(١٦٠) الإصابة (٥٨/٣) .

(١٦١) أنساب الأشراف (٤٠٥/١/٤ ، ٤٠٧) .

(١٦٢) أبو عبيدة . معمر بن المثنى التيمي ، صاحب التصانيف ، أخبارى صدوق ، رمى برأى الخوارج ، من السابعة ، ت ٢٠٨هـ أو بعد قارب المائة . قال الجاحظ : لم يكن فى الأرض خارجى أو جماعى أعلم بجميع العلوم من ابن عبيدة . ابن حجر ، تهذيب التهذيب (٥٤١) . الذهبي ، ميزان الاعتدال (١٥٥/٤) .

(١٦٣) زهير بن هنيد العدوى أبو الذيال البصرى ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وأبى زرعة العراقى في نيل الكاشف (١١١) ، ابن حبان ، الثقات (٣٣٨/٦) . البخارى ، التاريخ الكبير (٣٩٢/١/٢) .

(١٦٤) عمر بن عيسى بن سويد العدوي البصري وثقه أحمد والنسائي والعجلي وذكره ابن حبان في الثقات (٢٢٦/٧) . البخارى ، التاريخ الكبير (٣٥٨/٢/٣) . ابن حجر ، تهذيب التهذيب (٨٧/٨) .

(١٦٥) وقد أورد هذه الرواية الطبرى بهذا السند وبتفصيل أكثر فى تاريخ الأمم (٥١٤/٥) .

(١٦٦) الطبرى ، تاريخ (٥١٣/٥) .

(١٦٧) تاريخ خليفة بن خياط (٢٥٩) .

(١٦٨) البداية (٢٤٢/٨) .

(١٦٩) تاريخ دمشق (١٥١/٣) . سير أعلام النبلاء (٤٠٢/٣) .

(١٧٠) الكامل (٣٢٥/٣) .

(١٧١) أنساب الأشراف (٤٠٧/١/٤) .

(١٧٢) عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى . سبقت ترجمته ضمن الرواية (١٣) .

(١٧٣) هو عبيد الله بن عبيد الله بن معمر التيمى القرشى ، قال ابن المثنى حدثنا معاذ حدثنا ابن

عون عن محمد : أن أول من رفع يديه فى الجمعة عبيد الله بن عبيد الله بن معمر ،

وأول من أحدث فى الوصية برأيه ...

انظر البخارى ، التاريخ الكبير (٣٩٩/٥) .

(١٧٤) أنساب الأشراف (٤٠٧/١/٤) .

(١٧٥) الكامل (٣٢٥/٣) .

(١٧٦) تاريخ دمشق (١٥١/٣) .

(١٧٧) تعجيل المنفعة (٢٩٩) .

(١٧٨) عبد الله بن الحارث الهاشمى : سبقت ترجمته فى سند رقم (١٢) .

(١٧٩) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى البكرى الوائلى الحرورى أبو راشد ، رأس الأزارقة

واليه نسبتهم ، كان جباراً فتاكاً قاتله المهلب بن أبى صفرة ولقى الأهوال فى حربته ،

قتل يوم (دولاب) ت ٦٥ هـ . الأصفهاني ، الأغاني (٨١/١) .

(١٨٠) عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى : سبقت ترجمته فى سند رقم (١٣) .

(١٨١) الصعب بن زيد : روى جرير خمس روايات عن صعب بن زيد وهو مجهول ، أكد

الذهبي روايته عنه ، بينت أوضاع البصرة بعد هروب ابن زياد عنها ووقوع مرض

- الطاعون فيها . البلاذرى ، أنساب الأشراف (٤٢٦/١/٤) . الذهبى ، ميزان الاعتدال (٣١٥/٢) . الرازى ، الجرح والتعديل (٤٥٠/٤) .
- (١٨٢) العلي : الرجل الضخم من كفار العجم . ابن منظور ، لسان العرب (٣٠٦٥/٥) . الأصفهاني ، الأغاني (١٠٧/١٣) .
- (١٨٣) البغدادي ، تاريخ بغداد (٤٠٥/٥) . الذهبى ، ميزان الاعتدال (٥٩٥/٣) . ابن حجر ، تقريب التهذيب (٤٨٧) .
- (١٨٤) الطبقات الكبرى (٢٥/٥) .
- (١٨٥) محمد بن عمر الواقدي صاحب التصانيف والمغاز ، قال عنه البخارى سكتوا عنه ، وقال النسائي ليس بثقة ، وقال عنه الذهبى أحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه ، توفى سنة ٢٠٧هـ . انظر البخارى ، التاريخ الكبير (١٧٨/١) . ابن سعد ، الطبقات (٣٣٤/٧) . البغدادي ، تاريخ بغداد (٣/٣) . الذهبى ، سير أعلام النبلاء (٤٥٤/٩) .
- (١٨٦) تاريخ بغداد (٢١٢/١) .
- (١٨٧) يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسى أبو يوسف ذكره ابن حبان فى الثقات وقال : مات سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وكان ممن جمع وصنف وأكثر مع الورع والنسك والصلابة فى السنة . الثقات (٢٨٧/٩) .
- (١٨٨) تاريخ دمشق (١٥١/٣) .
- (١٨٩) الكامل (٣٢٥/٣) .
- (١٩٠) الفاسى ، العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين (١٢٨/٥) .
- (١٩١) المنتظم (٢٥/٦) . أنساب الأشراف (٤٢٦/١/٤) .
- (١٩٢) أحمد بن إبراهيم الدورقى : سبقت ترجمته ضمن دراسة الرواية رقم (٧) وهو ثقة .
- (١٩٣) عبد الله بن الحارث بن نوفل : سبقت ترجمته فى سند رقم (١٣) .
- (١٩٤) أبو أحمد عبد الله بن عدى الجرجانى ت ٣٦٥هـ ، الكامل فى الضعفاء (١١١١/٣) . السمعانى ، الأنساب (٣٠٩/١٠) . ابن حجر ، لسان الميزان (١٠٣/٧) .
- (١٩٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى (١٥٥/٧) . الرازى ، الجرح والتعديل (٢٧٤/٩) . ابن حجر ، تقريب التهذيب (٦٠٢) .
- (١٩٦) سلم بن زياد : سبقت ترجمته فى سند رقم (٣) .

- (١٩٧) عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت البصرى ، أمير خراسان ، يقال له صحبة ورواية ، قتل سنة ٧٢هـ بعد قتل عبد الله بن الزبير ، أول ما ولى خراسان سنة ٦٤هـ بعد موت يزيد بن معاوية وابنه معاوية .
- ابن كثير ، البداية والنهاية (٣٣٠/٨) . ابن حجر ، تهذيب التهذيب (١٢٨/٣) .
- (١٩٨) ابن عراده : هو حنظلة بن قيس بن عراده التميمي .
- (١٩٩) ابن أعثم الكوفى (٣٠٩/٥) .
- (٢٠٠) المنتظم (٢٨/٦) .
- (٢٠١) الكامل (٣٣٠/٣) .
- (٢٠٢) تاريخ الإسلام (٤٤) .
- (٢٠٣) عبيد الله بن عبيد الله بن معمر التيمى ، سبقت ترجمته ضمن الرواية رقم (١٥) .
- (٢٠٤) أنساب الأشراف (٤٢٧/١/٤) .
- (٢٠٥) المنتظم (٢٥/٦) .
- (٢٠٦) الكامل (٣٥٦/٣) . البداية (٢٦٥/٨) .
- يوسف بن تغرى بردى الاتابكى : النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة (١٦٨/١) .
- (٢٠٧) تاريخ الإسلام (٦١ — ٦٦/٨٠) .
- (٢٠٨) البداية والنهاية (٢٦٥/٨) .
- (٢٠٩) عبيد الله بن عبيد الله بن معمر : سبقت ترجمته فى سند رقم (١٥) .
- (٢١٠) نافع بن الأزرق : سبقت ترجمته فى سند رقم (١٦) .
- (٢١١) دولا ب : بفتح أوله ، وآخره باء موحدة ، وهى قرية من قرى الأهواز بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ ، كان بها وقعة أهل البصرة . وأميرهم مسلم بن عبيس بن كريز وبين الخوارج ، قتل فيها نافع بن الأزرق . ياقوت ، معجم البلدان (٤٨٥/٢) .
- (٢١٢) المنتظم (٤٠/٦) . الكامل (٣٥١/٣) .
- (٢١٣) ابن أعثم الكوفى (١٦/٦) .
- (٢١٤) الدينورى ، الأخبار الطوال (٢٧٣) . أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني (١٥٣/٦) .
- (٢١٥) سبقت ترجمته فى سند رقم (١٥) .
- (٢١٦) سبق معنا ضمن سند رقم (٢٠) .
- (٢١٧) سبق معنا ضمن سند رقم (١٦) .

- (٢١٨) حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغداني : تابعي من أهل البصرة ، له أخبار في الفتوح ، أمر على قتال الخوارج في العراق فهزموه ، حارب في زمن علي عليه السلام ، له أخبار مع زياد وغيره في دولة معاوية وولده ، توفي بنيسابور ودفن فيها . ابن عساكر ، تاريخ دمشق (٤٣٣/٣) . الأصفهاني ، الأغاني (١٥٥/٦) .
- (٢١٩) كرنبوا : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، ثم فتح النون ، وباء موحدة ، وألف : موضع في نواحي الأهواز كانت به وقعة بين الخوارج وأهل البصرة بعد وقعة دولا ب . انظر ياقوت ، معجم البلدان (٤٥٧/٤) .
- (٢٢٠) البخاري ، التاريخ الكبير (١٧٨/٢/٢) . الرازي ، الجرح والتعديل (١٥٥/٤ ، ٢٩٥) .
- (٢٢١) تاريخ خليفة بن خياط (٢٥٦) .
- (٢٢٢) مسلم بن عبيس بن كرز بن ربيعة ، خليفة عبد الله بن الحارث بن نوفل ، أيام ابن الزبير ، كان فارساً شجاعاً ديناً ، وكان أميراً على جيش أهل البصرة ، مات سنة ٦٥ هـ الأصفهاني ، الأغاني (١٥٢/٦) .
- (٢٢٣) نافع بن الأزرق : سبق ترجمته في سند رقم (١٦) .
- (٢٢٤) الماحوز : هو عبد الله بن بشير بن الماحوز السليطي اليربوعي التميمي : رئيس الأزارقة في الأهواز وما حولها ، كانت له معركة مع عثمان بن عبيد الله بن معمر ، قتل فيها عثمان ، ومعارك مع المهلب ، قتل في نهايتها ابن الماحوز . ابن أعثم الكوفي ، الفتوح (٢٢/٦) . الأصفهاني ، الأغاني (١٥٣/٦) .
- (٢٢٥) ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٢١/٧) . الرازي ، الجرح والتعديل (٣٨٧/٨) . ابن حبان ، الثقات (٤١٢/٥) . ابن حجر ، تهذيب التهذيب (٤٨٤/٥) .
- (٢٢٦) انظر الأخبار الطوال (٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥) .
- (٢٢٧) تاريخ خليفة بن خياط (٢٥٧) وعن مقتل ابن الأزرق وابنا ماحوز انظر تاريخ خليفة (٢٥٦) .

## قائمة المصادر والمرجع

- ابن أعثم ( ت ٣١٤هـ ) : أبو محمد بن أعثم الكوفى :
- الفتوح ، الطبعة الأولى - دائرة المعارف العثمانية بالهند عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- ابن الأثير ( ت ٦٣٠هـ ) : عز الدين أبو الحسن على بن أبو الكرم محمد بن عبد الكريم الشيبانى :
- أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، تحقيق : محمد إبراهيم البنا وآخرون ، ط . دار الشعب المصرية .
- الكامل فى التاريخ ، طبعة دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- أحمد بن حنبل ( ت ٢٤١هـ ) : الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى :
- المسند ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م دار الفكر ، بيروت .
- البخارى ( ت ٢٥٦هـ ) : أبو عبيد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم :
- التاريخ الكبير ، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ١٤٠٧هـ .
- البسوى ( ت ٢٧٧هـ ) : يعقوب بن سفيان البسوى .
- المعرفة والتاريخ ، تحقيق د. أكرم ضياء العمرى ، ط مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية عام ١٤٠١هـ .
- البغدادى ( ت ٤٦٣هـ ) : الحافظ أبو بكر أحمد بن على الخطيب :
- تاريخ بغداد ، ط دار الكتاب العربى ، بيروت .
- البلاذرى (ت ٢٧٩تقريبا ) : أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى .

- أنساب الأشراف ، تحقيق د. أحسان عباس ، النشرات الإسلامية ، المطبعة الكاثوليكية ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م .

- فتوح البلدان ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، ط مكتبة النهضة المصرية .

بدرى : د. بدرى محمد فهد

- شيخ الأخباريين أبو الحسن المدائنى ، مطبعة القضاء ، النجف ، العراق .

ابن تغرى بردى ( ت ٨٧٤هـ ) : يوسف بن تغرى بردى

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ط المؤسسة المصرية للتأليف عام ١٩٦٣م .

ابن الجوزى ( ت ٥٩٧هـ ) : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن

- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد - الهند عام ١٣٥٧هـ .

ابن حبان ( ت ٣٥٤هـ ) : محمد بن حبان بن أحمد التميمى

- الثقات ، طبعة دار المعارف العثمانية بحيدر آباد - الهند عام ١٣٩٣هـ .

ابن حجر ( ت ٨٥٢هـ ) : الإمام أحمد بن على بن حجر العسقلانى :

- الإصابة فى تمييز الصحابة ، ومعه الاستيعاب ، تحقيق : طه محمد الزينى ، ط الأولى ١٣٩٧هـ - القاهرة .

- تقريب التهذيب ، تحقيق : محمد عواد ، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ ، دار الرشيد ، سوريا .

- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ، مصورة عن دار المحاسن بالقاهرة عام ١٣٨٦هـ .



- تهذيب التهذيب ، مصورة عن الطبعة الأولى الهندية عام ١٣٢٥هـ - بحيدر آباد .

- لسان الميزان ، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ، مؤسسة الأعلمى بيروت .

الحمصى : محمد بن سلام الحمصى

- طبقات فحول الشعراء ، تحقيق د. محمود محمد شاكر ، مطبعة المدنى بالقاهرة.

ابن خياط ( ت ٢٤٠هـ ) : أبو عمر خليفة بن خياط العصفري

- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د. أكرم ضياء العمرى ، ط دار العلم ومؤسسة الرسالة بيروت ، ط الثانية ١٣٩٧هـ .

الدار قطنى ( ت ١٣٨٥ هـ ) : على بن عمر الدار قطنى

- الضعفاء والمتروكين ، تحقيق : موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، ط مكتبة المعارف ، الرياض ، ط الأولى عام ١٤٠٤هـ .

الدينورى ( ت ٢٨٢هـ ) : أبو حنيفة أحمد بن داود .

- الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، وجمال الدين الشيال ، ط المغنى ببغداد ، الطبعة الثانية .

الذهبى ( ت ٧٤٨هـ ) : الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان

- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والإعلام ، تحقيق : د. عمر عبد السلام ، طبعة السعادة بمصر عام ١٣٦٧هـ .

- دول الإسلام ، تحقيق فهم شلتوت ، ومحمد مصطفى إبراهيم ، ط الهيئة المصرية للكتاب عام ١٩٧٤م .

- سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وحسين الأسد ، طبعة مؤسسة الرسالة ، ط الثانية ١٤٠٢هـ .

- المغنى فى الضعفاء ، تحقيق : د . نور الدين عتر .
- ميزان الاعتدال ، تحقيق : محمد على البجاوى ، ط دار المعرفة بيروت ،  
مصورة عن الطبعة الأولى .
- الرازى ( ت ٣٢٧هـ ) : عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن أدريس التميمى
- الجرح والتعديل ، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، ط الأولى .
- ابن سعد ( ت ٢٣٠هـ ) : محمد بن سعد بن منيع الكاتب
- الطبقات الكبرى ، طبعة بيروت المصورة عن الطبعة المصرية .
- الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك ، تحقيق د. عبد  
العزیز بن عبد الله السلومى ، ط الأولى ، مكتبة الصديق بالطائف ١٤١٦هـ .
- ابن شبه ( ت ٢٦٢هـ ) : أبو زيد عمر بن شبه النميرى البصرى
- تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق : فهم محمد شلتوت ، ط الأصفهاني بجده عام  
١٣٩٣هـ .
- الطبرى ( ت ٣١٠هـ ) : أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى
- تاريخ الطبرى المسمى بتاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، ط  
دار المعارف بمصر ، ط الثانية .
- ابن عبد البر ( ت ٤٦٣هـ ) : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد
- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، ومعه كتاب الإصابة ، الطبعة الأولى ، مطبعة  
السعادة بالقاهرة عام ١٣٢٨هـ .
- ابن عبد ربه ( ت ٣٢٨هـ ) : احمد بن محمد الأندلسى

- العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة عام ١٣٨٥هـ بالقاهرة .

ابن عساكر ( ت ٥٧١هـ ) : الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن

- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق / نشاط غزاوي ، مطبعة دار الفكر بدمشق .

العقيلي : أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد

- الضعفاء الكبير ، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت .

ابن العماد ( ت ١٠٨٩هـ ) : أبو فلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ط دار المسيرة ببيروت عام ١٣٩٩هـ .

أبو الفرج الأصفهاني ( ت ٣٥٦هـ ) : علي بن الحسن بن محمد القرشي

- الأغاني ، تحقيق الأستاذ علي مهنا ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

الفاسي ( ت ٨٣٢هـ ) : تقى الدين محمد بن أحمد الحسن الفاسي المكي

- العقد الثمين في تاريخ البلاد الأمين ، تحقيق : فؤاد السيد ، طبعة القاهرة ١٣٨٥هـ .

ابن قتيبة ( ت ٢٧٦هـ ) : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري

- الإمامة والسياسة « منسوب إليه » تحقيق / طه محمد الزينى ، ط القاهرة ، مؤسسة الحلبي .

ابن كثير ( ت ٧٧٤هـ ) : أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي .

- البداية والنهاية ، تحقيق : مجموعة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ — دار الريان للتراث بالقاهرة .

المزى : الحافظ جمال الدين المزى

- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ، تحقيق د. بشار عواد ، ط الثانية مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

المسعودى ( ت ٣٤٥هـ ) : أبو الحسن على بن الحسين بن على

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين ، ط دار الفكر بيروت عام ١٣٩٣هـ ط الخامسة .

المشهدانى : د. محمد جاسم المشهدانى

- موارد البلاذرى عن الأسرة الأموية فى أنساب الأشراف ، طبعة مكتبة الطالب الجامعى بمكة المكرمة .

ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد

- لسان العرب ، تحقيق / عبد الله على الكبير وآخرون ، ط دار المعارف بمصر .

ابن النديم : محمد بن إسحاق بن النديم البغدادى

- الفهرست ، طبعة دار المعرفة بيروت عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

ياقوت ( ت ٦٢٦هـ ) : ابن عبد الله الحموى الرومى

- معجم البلدان ، طبعة صادر بيروت عام ١٤٠٤هـ .

## خطط الراشدين فى البحر المتوسط

د. عبد العزيز بن إبراهيم العمرى(\*)

---

غدت الدولة الإسلامية بعد امتدادها فى عصر الخلفاء الراشدين إلى مصر والشام تحكم مناطق مطلة على البحر الأبيض المتوسط ، تعد من أكثر الأماكن المطلة عليه أهمية ، وبالتالي فإنها اضطرت لعمل خطط خاصة بأملأها وقواتها ورعاياها فى المنطقة وكانت هذه الدولة فى بداية أمرها وخصوصا فى عصر عمر رضى الله عنه لا ترغب فى خوض غمار البحر واضطرت للتخطيط فيما يتعلق بأملأها الساحلية عن طريق الدفاع والقوات البرية ، إلا أن هذه السياسة والخطط تعرضت للتغيير وخصوصا فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وذلك بعد تزايد الخطر البحرى الرومى ، والهجوم المتكرر على المدن الساحلية فى مصر والشام ، مما اضطر معه عثمان رضى الله عنه وبمساعدة قيادات الدولة الإسلامية للعمل على إيجاد قوات بحرية رادعة تقف فى وجه بحرية الروم بل وتهددها فى عقر دارها . وعملت دور الصناعة فى مصر والشام على تجهيز الأساطيل الإسلامية وما تستلزمه من احتياجات فى خطة منتظمة استفاد فيها المسلمون من الأقباط فى مصر والنصارى فى الشام ، الذين لم يترددوا فى تقديم خبراتهم للجيش الإسلامى فى ميدان التجهيز والملاحة ، فى مقابل التسامح والبذل الذى قام به المسلمون فى تلك المناطق ، حيث شعر أولئك بالأمان فى العمل مع المسلمين لأنفسهم ولبلدانهم وشعوبها . وقد أعدت الجيوش الإسلامى فى البحر فى فترة وجيزة، وأبدى المسلمون تطوعهم للتجنيد فى الجهاد البحرى كما كانوا فى البر ، وجاهدوا بحرا فى مواقع مختلفة ، حيث تمكنوا من فتح قبرص وأرواد ونزلوا فى رودس وهددوا سواحل أوربا وأصبحت لهم السيطرة البحرية ، وخصوصا بعد موقعة ذات الصوارى . واستبسل عدد من الصحابة والتابعين فى تلك التحركات

---

(\*) أستاذ التاريخ الإسلامى المشارك - كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود

البحرية ، التي شارك فيها النساء مع الرجال ، والتي رعتها الدولة الإسلامية ، وهكذا فإن المسلمين في عصر الراشدين خططوا للجهاد في البحر كما فعلوا في البر .

والمصادر المختلفة في التاريخ الإسلامي تتحدث عن تلك الروايات التي نستشهد بها في الحديث عن تلك الخطط والإنجازات ، في مراحلها وتغييراتها المختلفة ، كما أن مصادر التاريخ البيزنطي تتحدث عن نفس الموضوعات بما يخدم الباحث فيها ، ويمكننا أن نقول باختصار إن المسلمين ترددوا في التخطيط والغزو البحري في البحر المتوسط في خلافة عمر نظرا لظروف واقعية كان يدركها عمر أكثر من غيره ، تتعلق بالقدرات والاستعداد . وحينما زالت هذه الظروف في خلافة عثمان غير الخطة . وغزا المسلمون البحر وأصبح لهم قواعدهم وتجهيزاتهم الخاصة ، وصرف عثمان عليها الكثير من بيت مال المسلمين ، ساعده على ذلك القواد وعامة المسلمين بما لديهم من قناعات مؤصلة في الجهاد البحري وشرعيته وأهميته، ونجح عثمان رضي الله عنه وجيشه في قهر الروم في البحر في وقت قهرهم المسلمون في البر . وهكذا فإن المسلمين في عهد الراشدين ببساطتهم وواقعيتهم خططوا فأنجزوا وعملوا فاعجزوا واجتهدوا فقادوا ونزلوا البحر وانتصروا فيه وسادوا في سواحل البحر المتوسط كما سادوا في سواحله الشرقية والجنوبية .

## عصر الراشدين

يعد العصر النبوي بداية التأسيس لدولة الإسلام وإقامة المجتمع المسلم في بقعة من ارض الله ، وكانت البداية الواقعية لهذا المجتمع وتأسيس كيانه المستقل من الهجرة النبوية وتكوين قاعدته في المدينة المنورة فمنذ ذلك اليوم وكيان الدولة الإسلامية قائم يسوسه الرسول ﷺ .

كانت البداية بسيطة لا تتجاوز المدينة المنورة بل لا تكاد تسيطر عليها جميعا وأخذ نور الله يتم في المدينة ، وأخذت دولة الإسلام تمتد خارجها تدريجيا بالجهاد والسلام حتى صارت معظم بلاد العرب خاضعة لرسول الله ﷺ وخصوصا بعد فتح مكة حيث دخل الناس في دين الله أفواجا<sup>(١)</sup> ، لقد كان عصر النبوة المبارك ودولته القائمة بقيادة الرسول ﷺ مقدمة لعصر الراشدين ، كما أن الرسول ﷺ قرن بين العصرين<sup>(٢)</sup> .

ولذلك فإن عصر الراشدين يعد أميز العصور الإسلامية على الإطلاق بعد عهد النبي ﷺ وقد أجمعت الأمة على ذلك خلال العصور المختلفة ، وبالتالي فإن أحداثه لها أهميتها الخاصة في التشريع والقياس والتاريخ<sup>(٣)</sup> .

ويبدأ عصر الراشدين ببيعة ابي بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة النبوية<sup>(٤)</sup> . وينتهي باستشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في اليوم الثالث والعشرين من رمضان سنة أربعين للهجرة النبوية<sup>(٥)</sup> .

وقد انشغل المسلمون في اول خلافة أبي بكر بالقضاء على المرتدين في بلاد العرب وإخماد الفتن التي أثاروها وإعادة الوحدة لبلاد العرب تحت راية الإسلام<sup>(٦)</sup> ، كما كانت بداية الفتوح في خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - ضد فارس والروم.

فكان لهذا العصر سماته المميزة ، حيث خاض المسلمون جهادا قويا ضد المجاورين لبلاد العرب من المجوس في فارس ، والروم وأتباعهم في الشام ومصر وكان جزء من هذا الصراع مع نصارى العراق والشام ، وخصوصا من وقف منهم مع الفرس أو الروم .

وقد نتج عن هذا الجهاد امتداد الإسلام إلى أماكن جديدة وتضاعف رقعة الأراضي المحكومة من قبل الراشدين وخصوصا في عهد عمر - رضى الله عنه - ومن جاء بعده ، وتبع ذلك تعدد الشعوب واللغات ، والاختلاط بحضارات ونظم كانت سائدة في العديد من الأقاليم التي تم ضمها للدولة الإسلامية ، كما أن الراشدين أطلعوا على تلك النظم وعرفوا الأساليب المدنية والعسكرية المختلفة التي كانت سائدة فيها من دواوين وبريد ودور أموال وضرب للعملات ، وتنظيمات إدارية وعسكرية ، وغير ذلك مما يصعب حصره ، فأفادوا مما رأوه لا يعارض جوهر الإسلام وقواعد العدل فيه ، وبالتالي فإن هذا العصر تميز بالانفتاح على الحضارات القديمة السائدة في المناطق التي سيطر عليها المسلمون ومع هذا الانفتاح فإن المسلمين بقوا على ثوابتهم ، بل ونشروها في المجتمعات المفتوحة ، ولم يجمدوا على ما يقبل التغيير والتحسين فحسنوها إلى الأفضل ، فتمت الدولة والمجتمع ، وتطورت أساليبهم الإدارية والعسكرية لتستوعب النمو في رقعة الدولة والزيادة في الرعاية، والتغير في الظروف فكانوا عامل نمو وانضباط لمجتمع جديد.

وعندما حدثت الفتنة الكبرى في آخره أدت إلى استشهاد أمير المؤمنين عثمان ابن عفان - رضى الله عنه - ، وما تلى ذلك من أحداث امتدت طيلة خلافة على ابن أبى طالب - رضى الله عنه - لكنها لم تمنع المسلمين من سد ثغورهم أمام الروم وغيرهم في البر والبحر<sup>(٧)</sup> .

### البحر المتوسط الموقع والأهمية :

يعرف هذا البحر عند العلماء العرب ببحر الشام أو بحر المغرب أو بحر الروم<sup>(٨)</sup> ويكسب أهميته من عدة أمور منها ما يرتبط به من أنشطة بشرية مختلفة



وعلاقات دولية متعددة ، وما يرتبط بذلك من خصائص اجتماعية واقتصادية وحضارية متنوعة<sup>(٩)</sup> ، ومن هذا المنطق فإن البحر المتوسط يعد أهم البحار في العالم منذ القدم ، حيث تقع عليه أقدم الحضارات في مصر والشام وجنوب أوروبا وغرب بلاد الأناضول ، وقد تميز هذا البحر بامتداده الواسع من الشرق إلى الغرب ، وباستيعاب عدد من المدن التجارية ذات الحضارة المميزة عبر التاريخ مثل الإسكندرية ومدن الشام الساحلية وبعض المدن الأوربية الهامة وعلى رأسها القسطنطينية ، كما تقع في هذا البحر العديد من الجزر والمدن المأهولة ذات النشاط البشرى الاقتصادى والعلمى والحضارى المختلف ، التى لها تأثير على مجريات الأحداث في العالم عبر العصور هذا فضلا عن انتعاش الزراعة والتجارة على جوانبه المختلفة وبالتالي فإن أهمية هذا البحر واضحة جلية عبر العصور<sup>(١٠)</sup> ، وتبرز الأهمية لهذا البحر كلما زاد الصراع بين الحضارات الواقعة على جوانبه المختلفة<sup>(١١)</sup> ، أو نشبت المعارك والحروب فيما بينها ، ويمكننا أن نعتبر هذا البحر تاريخيا أنشط البحار ، وما تسميته بالبحر المتوسط إلا لتوسطه الفريد بين القارات والحضارات ، يقول عنه ابن خلدون : ( ويسمى البحر الرومى والبحر الشامى نسبة إلى أهل عدوته والساكنون بسيف هذا البحر وسواحه من عدوته يعانون من أحواله ما لا تعانيه أمة من أمم البحار فقد كانت الروم والإفرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومى وكانت أكثر حروبهم ومتاجرهم فى السفن فكانوا مهرة فى ركوبه والحرب فى أساطيله )<sup>(١٢)</sup> .

وكانت القوافل عبر العصور تربط البحر المتوسط بالتجار فى بلاد العرب وفارس وغيرها ، وقد راودت بعض الحكام فكرة ربطه ببحر القلزم ( الأحمر ) عن طريق قناة مائية وكان من هؤلاء هارون الرشيد ، الذى فكر فى هذه القناة (التى حفرت بعد ذلك بعشرات القرون وسميت قناة السويس) فمنعه من ذلك بعض مستشاريه بقوله : « كان يختطف الروم الناس من الحرم وتدخل مراكبهم إلى الحجاز »<sup>(١٣)</sup> .

وقد ورد عند المفسرين للقرآن الكريم ما يؤيد هذه التسمية فقد قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ والبحر المسجور ﴾<sup>(١٤)</sup> أنه البحر المتوسط : « إن هذه البحر بركة يعنى بحر الروم وسط الأرض والأنهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه »<sup>(١٥)</sup> .

### العرب والبحرية :

قبل الدخول فى الحديث عن البحرية فى عصر الراشدين لابد من معرفة الأوضاع التى كانت عليها بلاد العرب فيما يتعلق بالبحرية سواء قبل الإسلام مباشرة أم قبل عصر الراشدين خلال العصر النبوى ، حتى يتبين لنا المستوى الذى كان عليه العرب والمسلمون قبل عصر الراشدين فى هذا المجال . تحيط البحار ببلاد العرب من جهاتها الثلاث ، وبالتالي فقد كانوا على صلة بالبحر قبل الإسلام ، إلا أن الحكم على العرب بشكل عام فى المعرفة البحرية سلباً أو إيجاباً يعد بعيداً عن الواقع ، ولذلك فإنه لابد من التفريق بين الأقاليم المختلفة من بلاد العرب فى مستوى المعرفة بالبحر وفنونه .

ففى مناطق الخليج فى الشرق نجد أن أهل البحرين وعمان على دراية بالبحر منذ العصور القديمة<sup>(١٦)</sup> ، حيث كانت لهم صلات بحرية قوية ببلاد فارس فى الناحية الأخرى من الخليج ، وكذلك ببلاد الهند وما وراءها ثم تأتى اليمن فى المقلم الثانى بحكم موقعها الجغرافى وعلاقاتها بالحبشة وامتداد تلك العلاقة إلى الشرق ببلاد الهند وما وراءها<sup>(١٧)</sup> .

أما أهل الصحراء فى وسط الجزيرة فكانوا عديمى الخبرة بالبحر وركوبه ومختلف أموره ، بحكم موقعهم وعدم حاجتهم لتلك المعرفة .

وأما أهل الحجاز وتهامه فقد كانت لهم معرفة محدودة بالبحر ، حيث كانت لديهم بعض الموانئ القريبة من المدن ، والتى كان أهلها يركبون البحر ويتصلون

بالعمل فيه على نطاق ضيق مثل ميناء الشعبية قرب مكة المكرمة ، الذى كانت تمر به بعض سفن الروم ، المتوجهة إلى الحبشة ، حيث ذكر تحطم إحدى هذه السفن بالقرب من الشعبية<sup>(١٨)</sup> ، قبل البعثة النبوية بقرابة خمس سنوات ، وكانت هذه السفينة تحمل الأخشاب وبعض مواد البناء التى اشتراها أهل مكة فكانت عوناً لهم فى بناء الكعبة<sup>(١٩)</sup> .

كذلك تدل الأخبار المتفرقة على أن الذين هاجروا من أصحاب النبى ﷺ إلى الحبشة — ركبوا البحر إما من بعض المواقع فى تهامة ( الساحل الحجازى ) أو من سواحل اليمن<sup>(٢٠)</sup> ، حيث كان لليمن نشاط بحرى مع الحبشة ومع الهند ، فى عصور مختلفة قبل الإسلام<sup>(٢١)</sup> .

كما كان من أحكام الإحرام بالحج والعمرة تحريم الصيد البرى وإباحة صيد البحر مما يدل على معرفتهم بالبحر والصيد ويقول الشاعر طرفة بن العبد<sup>(٢٢)</sup> .

كأن حدوج المالكية غدوة      خلايا سفين بالنواصف من دد

عدولية أو من سفين ابن يامن      يجور بها الملاح طورا ويهتدى

يشق حباب الماء حيزموها بها      كما قسم الترب المفاید باليد<sup>(٢٣)</sup>

ولا شك أن الشاعر العربى عمرو بن هند<sup>(٢٤)</sup> كان مبالغاً حينما قال :

ملأنا البر حتى ضاق عنا      وموج البحر نملؤه سفينا<sup>(٢٥)</sup>

وهو وإن كان مبالغاً فى ذلك إلا أن فيه دليل على الوجود البحرى ومعرفه العرب للسفن قبيل الإسلام بل وتمييزهم بين أسمائهم وأنواعها .

ويقول ابن خلدون من مهارة العرب البحرية مقارنة بغيرهم وقبل امتداد الإسلام واستفادتهم من خبرة غيرهم فيقول : « أن العرب لبدأوتهم لم يكونوا مهرة

فى ثقافته وركوبه ، والروم والإفرنجة لمارستهم أحواله ومرباهم فى القلب على أعواده مرنوا عليه وأحكموا الدراية بثقافته » (٢٦) .

ولا شك فى أن معظم ما نسب للعرب من تقدم فى علوم البحار يعود للعصور الإسلامية ، حيث أن معلوماتهم فى هذا الجانب قبل الإسلام تعد محدودة مقارنة بغيرهم من الأمم الأخرى وبما حصلوا عليه بعد الإسلام واحتكاكهم بالأمم الأخرى . واهتمامهم بهذا الجانب .

### المعرفة البحرية فى العصر النبوى :

نزل القرآن على رسول الله ﷺ للناس كافة ، وجاءهم بعلوم الدين والدنيا وقد ورد الحديث عن البحر فى القرآن الكريم فى اثنين وأربعين موضعا مشيرا إلى فوائده وأهميته فى النقل والاتصال وما فيه من سفن يقول تعالى : ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ ١٦٤ البقرة .

ويقول تعالى : ﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ﴾ ٣٢ إبراهيم .

وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ ٦٥ الحج .

كما قال تعالى : ﴿ وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام ﴾ ٢٤ الرحمن . كما تحدث الكتاب العزيز عن منافع البحار المختلفة فى قوله تعالى : ﴿ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ ١٤ النحل .

ويقول تعالى : ﴿ وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ ١٢ فاطر .

كما قال تعالى : ﴿ الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ ١٢ الجاثية .

كذلك أشار القرآن الكريم إلى الملاحة فيه وما يحتاج البحار من الأهتداء والدلالة على الطريق بقوله تعالى : ﴿ وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ ٩٧ الأنعام .

ويقول تعالى : ﴿ ومن آياته الجوارى فى البحر كالإعلام \* إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور \* أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ﴾ ٣٤ الشورى .

وأشار إلى الرياح وأهميتها فى الملاحة وأنها من رحمة الله لأهل البحر فى قوله تعالى : ﴿ أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أتله مع الله تعالى الله عما يشركون ﴾ ٦٣ النمل .

وأشار إلى الموج وظلمات البحر فى قوله تعالى : ﴿ أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ ٤٠ النور .

كما تحدث القرآن عن إفساد الناس فى البحر كإفسادهم فى البر وذلك فى سورة الروم ( وهذا البحث يتعلق ببحر الروم ) أو بحر الشام يقول تعالى : ﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ﴾ ٤١ الروم .

## التوجيه النبوى وأثره فى خطط المسلمين البحرية :

كان الرسول ﷺ يتحدث لأصحابه باستمرار عن ما ستتاله هذه الأمة من فتوح وما ستسيطر عليه من مواقع مختلفة ، وكان بهذا يوجه أنظارهم لهذا الأمر بل ويدعوهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة للمشاركة فيما سيحصل من فتح بحرى وغيره ، وفى تصورى أن هذا وإن كان إخبارا بالغيب لا ينطق به الرسول من عنده ، إن هو إلا وحى يوحى إلا أنه كان ذا أثر بالغ فى التخطيط لغزو البحر ، ومنه ما يتعلق بالبحر المتوسط الذى ورد على لسان رسول الله ﷺ بالاسم أو الإشارة تسمية وصدقه واقع الأحداث ، ومن أشهر ذلك ما رواه البخارى فى ( باب ما قيل فى قتال الروم ) عن أم حرام أنها سمعت النبى ﷺ يقول : ( أول جيش من أمتى يغزون البحر قد أوجبوا قالت أم حرام قلت يا رسول الله أنا فيهم قال أنت فيهم ثم قال النبى ﷺ أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم فقلت أنا فيهم يا رسول الله قال لا ) (٢٧) .

ولا شك فى أن هذا الحديث كان دافعا للصحابة للغزو فى البحر والتخطيط له سواء غزو الروم عامة من البحر أو غزو القسطنطينية خاصة ، وهى أهم قواعد الروم على البحر المتوسط ، وهذا الحديث من معجزات رسول الله ﷺ (٢٨) .

وقد وردت ألفاظ فى تسمية البحر المتوسط بتسمية أخرى منها قوله : ( أنلس من أمتى عرضوا على يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرة ) (٢٩) .

وقد استلفتت هذه الرواية وغيرها نظر البخارى فوضع بابا فى صحيحه سماه ( باب ركوب البحر ) . كما وضع مسلم فى صحيحه بناء على هذه الرواية بابا سماه ( باب فضل الغزو فى البحر ) (٣٠) .

وقد ذكر ابن المبارك فى كتابه الجهاد أن رسول الله ﷺ قال : « إنكم ستجندون أجنادا وتكون لكم ذمة وخراج وسيكون لكم على سيف البحر مدائن

وقصور فمن أدرك ذلك فاستطاع أن يحبس نفسه في مدينة من تلك المدائن أو قصر من تلك القصور حتى يموت فليفعّل . وقال : « ومن نزل منزلاً يخيف فيه المشركين ويخيفونهم حتى يدركه الموت كتب به كاجر ساجد لا يرفع رأسه إلى يوم القيامة وأجر قائم لا يقعد إلى يوم القيامة وأجر صائم لا يفطر » (٣١) .

كما أن رسول الله ﷺ قال : « من لم يدرك الغزو معي فعليه بغزو البحر » (٣٢) .

ولم يقتصر الحديث النبوي على ركوب البحر للجهاد والغزو فقط بل ورد ما يدل على طلب التجارة في البحر من خلال بعض الأحاديث مما دفع البخاري لوضع باب في صحيحه وضع له عنواناً سماه ( باب التجارة في البحر ) (٣٣) .

كما وضع باباً سماه ( باب ما يستخرج من البحر ) (٣٤) .

## خطط الراشدين فى البحر المتوسط

### عهد أبى بكر الصديق :

كان عصر أبى بكر الصديق قصيرا جدا مقارنة ببعض الخلفاء الراشدين ، وقد انشغل رضى الله عنه بقتال المرتدين من العرب ، وما أن فرغ منهم حتى وجه أجناد المسلمين للقتال ضد فارس والروم فى وقت واحد ، وكانت معظم جهوده موجهة للقتال البرى . ومع أنه - رضى الله عنه - خطط لفتح الشام بما لها من سواحل على البحر المتوسط إلا أن تلك الخطط لم تتم فى فترة خلافته ، حيث كان المسلمون والروم يعدون لمعركة اليرموك الحاسمة التى غيرت مجرى الأحداث فى بلاد الشام بما فيها المواقع الساحلية ، ولا تظهر لنا الروايات أخبارا تذكر عن نشاط المسلمين فى بحر الشام ( المتوسط ) خلال فترة أبى بكر لبقائهم فى الأطراف الجنوبية من الشام وعدم وصولهم للساحل خلال خلافة أبى بكر - رضى الله عنه - ونكاد نجزم إن الموقف البحرى للمسلمين لم يتغير عن ما كانت عليه العرب فى الجاهلية وزمن النبى ﷺ .

### عهد عمر بن الخطاب :

امتدت الدولة الإسلامية فى أيام عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى أصقاع مختلفة من بلاد الشام ومصر ، ومن ذلك شواطئ البحر المتوسط الشرقية المرتبطة ببلاد الشام ، وشواطئ مصر الشمالية ، وبالتالي كان مضطرا للعمل والتخطيط فى البحر المتوسط - على شواطئه فى مصر والشام - حيث اهتم بتحصين الموانئ والسواحل .

والحديث العملى عن خطط المسلمين لركوب البحر مجاهدين يبدأ مع عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - سواء منها ما يتعلق ببحر الروم أم بالبحار والخلجان الأخرى التى كانت تدخل فى نطاق الدولة الإسلامية أيام عمر بن الخطاب ، فتذكر



الروايات وقائع مختلفة أدت لوقوع جماعات من المسلمين فى أخطار ومهلك بحرية. وهذا يعنى ابتداء وجود تخطيط لهذا الأمر ، وممارسة بحرية من قبل أمراء عمر حيث قام بعضهم بالعبور من عمان إلى السند فقد روى البلاذرى قال : ولى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عثمان بن أبى العاص الثقفى<sup>(٣٥)</sup> البحرين وثمان سنة خمس عشرة فوجه أخاه الحكم إلى البحرين ومضى إلى عمان فأقطع جيشاً إلى تانه بالهند<sup>(٣٦)</sup> . فلما رجع الجيش كتب إلى عمر يعلمه ذلك فكتب إليه عمر يا أخا ثقيف حملت دوداً على عود وإنى أحلف بالله أن لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم<sup>(٣٧)</sup> .

ومن ذلك أن عمر بن الخطاب بعث سنة عشرين للهجرة النبوية علقمة بن مجرز<sup>(٣٨)</sup> ، فى أناس إلى الحبشة يقاربون الثلاثمائة رداً على إحدى غاراتهم البحرية<sup>(٣٩)</sup> ، فأصيبوا فى البحر<sup>(٤٠)</sup> .

ولا شك فى أن هذه الحوادث وغيرها جعلت عمر يتردد فى حمل المسلمين على ركوب البحر ، ولعله كان على قناعة بأنهم لم يستعدوا بعد ، ولم يكسبوا الخبرة اللازمة لهذا الأمر ، وبالتالي فهم غير مؤهلين لذلك ، ليس على الدوام ، بل فى تلك الأيام التى حاول فيها معاوية بن أبى سفيان أميره على الشام إقناعه بهذا ، فقد نقل المؤرخون ما دار بين عمر ومعاوية من مراسلات حيث ( ألح معاوية على عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فى غزو البحر ) .

وكان لهذا الطلب دوره فى دراسة عمر للموضوع والتخطيط له واستشارته أهل الرأى من أمرائه ، الذين عايشوا المواقع البحرية وعرفوا أخبارها وما يدور فيها . وكان من هؤلاء أميره فى مصر عمرو بن العاص فكتب إليه : ( صف لى البحر وراكبه فإن نفسى تتازعنى إليه ... ) . فكتب إليه عمرو إنى رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير إن ركن خرق القلوب وإن تحرك أزعج العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق<sup>(٤١)</sup> .

ولا شك في أن جواب عمرو لعمر كان له تأثيره في اتخاذ قرار مرحلى حاسم حيث أن عمر لما قرأ الرسالة كتب إلى معاوية : ( لا والذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا )<sup>(٤٢)</sup> .

وكان لقرار عمر ما يتبعه من خطط تنفيذية سلبا أو أيجابا ، حيث كتب لأمرائه منع ركوب البحر ، وتؤكد الروايات التزام معاوية وغيره من أمراء المناطق الواقعة على بحر الروم بأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه<sup>(٤٣)</sup> ، ولم يجرؤ أحد منهم على مخالفته مع أن بعضهم خاض مغامرات بحرية قبل الأمر ، منهم عرفة بن هزيمة<sup>(٤٤)</sup> ، وقصته أن العلاء بن الحضرمي عامل عمر على البحرين وجهه في البحر فعبره إلى أرض فارس سنة اربع عشرة للهجرة<sup>(٤٥)</sup> ففتح جزيرة مما يلي فارس . فأنكر عمر ذلك لأنه لم يستأذنه وقال غررت المسلمين وعاقبه بطرده من البحرين وأمره أن يلحق بالكوفة<sup>(٤٦)</sup> .

وعلى كل فإن عمر رغم تردده في ركوب البحر إلا أنه سعى بكل جهده لحماية الثغور البحرية وخطط لهذا الأمر واجتهد رأيه في تعيين الأمراء وتحصين الثغور وتجنييد السواحل<sup>(٤٧)</sup> .

وكان المسلمون ينظرون نظرة خاصة لمن مات مرابطا في الثغور البحرية كالإسكندرية وغيرها<sup>(٤٨)</sup> . ولذلك فإن عمرو بن العاص جعل قسما كبيرا من جيشه مرابطا بالساحل بعد فتح الإسكندرية الثاني<sup>(٤٩)</sup> . وكان عمر بن الخطاب يبعث في كل سنة ( غازية من أهل المدينة ترابط بالإسكندرية )<sup>(٥٠)</sup> . كما كان كثير من المتطوعة يحرص على المراقبة في الثغور البحرية أكثر من غيرها<sup>(٥١)</sup> .

وكان لهذا التصرف ما يبرره فقد حرص الروم على التغلب على بعض السواحل في بلاد الشام آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان رضى الله عنهما<sup>(٥٢)</sup> .

ولا شك في أن هناك ترابطا بين الثغور البحرية في الشام والثغور في مصر بل إن البعض يشير إلى أن مما شجع المسلمين على حرب الروم في الإسكندرية زمن عمر وإصرارهم على فتحها ، فتح قيسارية في الشام<sup>(٥٣)</sup> .

ومن هنا يمكننا القول : أن عهد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كان يعتمد في خطته في البحر المتوسط على مدافعة الروم وتحصين المواقع الإسلامية عليه ، ولذا عين أمراء محددين لسواحل الشام مسؤولين عن الدفاع عنها ، أثناء زيارته للشام في السنة السابعة عشر للهجرة<sup>(٥٤)</sup> .

ومن الملفت للنظر أن ترتيبات عمر لأمر السواحل في الشام جاءت بعد رسالة معاوية التي يطلب الآن له في الغزو في البحر<sup>(٥٥)</sup> .

ومن ناحية أخرى فإن الصحابة عرفوا التجارة بالبحر وذهبت بعض أموالهم فيه زمن النبي ﷺ<sup>(٥٦)</sup> ، كما مارسوا ذلك زمن أبي بكر الصديق ، وكان من سياسة عمر - رضى الله عنه - إتاحة الفرصة لتجار المسلمين للتبادل مع تجار البحر الآخرين في البحر المتوسط ، حيث ثبت أن بعض الصحابة كانوا يتعاطون التجارة فيه زمن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقد أورد ابن عساکر رواية قال فيها : « كان أصحاب نبي الله يتجرون في بحر الشام إلى الروم منهم طلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد »<sup>(٥٧)</sup> .

كذلك أشتهر عن عمر - رضى الله عنه - أنه أول من حمل الطعام في السفن<sup>(٥٨)</sup> .

ولا شك في أن نظام العشور ، الذي يتم التعامل به مع التجار الذين يمرون ببلاد المسلمين كان له نصيب من التطبيق مع تجار البحر المتوسط الذين كانوا يعبرون بلاد الإسلام ، حتى أن بعض القاطنين بنواحي فلسطين من الروم والنبط يصلون إلى المدينة للتجارة زمن عمر - رضى الله عنه -<sup>(٥٩)</sup> .

وكان الروم يعاملون تجار المسلمين بمثل هذا النظام .

ومن هنا يمكننا القول إن عمر لم يخطط للأساطيل الإسلامية التي أسست بعد عصره - رضى الله عنه - فى الوقت الذى لم يتجاهل المصالح الأمنية لشواطئ المسلمين على البحر المتوسط .

### عهد عثمان :

عند الحديث عن خلافة عثمان - رضى الله عنه - لابد من التأكيد على أنه سار على طريقة عمر فى تحصين الثغور وحمايتها وتجنيدها ، ( لما استخلف عثمان بن عفان - رضى الله عنه - كتب إلى معاوية يأمره بتحصيل السواحل وشحنها وإقطاع من ينزله إياها القطائع ففعل ) (٦٠) .

وينبغى التأكيد على أن عثمان لم يكن وحده المخطط ، بل كان معه عدد كبير من الصحابة ممن تدربوا على يد رسول الله ﷺ ، وممن تولى المسئوليات المختلفة فى عهد عمر بن الخطاب وفى عهد أبى بكر الصديق - رضى الله عنهما - وقد تلقى كثير منهم أحاديث فى فضل غزو البحر ، فقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : غزوة فى البحر أحب إلى من قنطار متقبلا (٦١) .

بل أن هناك روايات عن بعض الصحابة تدل على تفضيلهم للشهادة فى البحر وأنه بأجر شهيدين ، وأن من فاتته الغزو مع النبى ﷺ - فعليه الغزو فى البحر لعظم أجره (٦٢) .

وكان من أشد أمراء عثمان - رضى الله عنه - حماسة لركوب البحر معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنهما - (٦٣) الذى سبقت له عدة محاولات لإقناع عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بركوب البحر فلم ينجح فى ذلك فلما استقرت الأمور لعثمان بن عفان - رضى الله عنه - كتب إليه مكررا المحاولة (يستأذنه فى غزوة قبرص ويعلمه قربها وسهولة الأمر فيها فكتب إليه أن قد شهدت

ما رد عليك عمر - رحمه الله - حين استأمرته في غزو البحر (٦٤) ، وكان رد عثمان في بداية الأمر هو إتباع سياسة عمر في المنع من ركوب البحر المتوسط والجهاد فيه رغم محاولات معاوية المتكررة . لكن معاوية لم ييأس وكرر الأمر سنة سبع وعشرين طالبا الآن من عثمان ، وهذا يعنى محاولة إعادة النظر في الخطة التي سار عليها عمر وألزم عثمان بها نفسه في صدر خلافته . ولا شك في أن عثمان بحث الأمر مع بعض مستشاريه قبل أن يغير رأيه ويكتب لمعاوية ردا على رسالته: « فإن ركبت البحر ومعك امرأتك فأركبه مأذونا لك وإلا فلا » (٦٥) .

ومن المؤكد أن عثمان حينما أصر على ركوب معاوية البحر بأهله كان يريد التأكيد والتأكيد على سلامة جند المسلمين من الخطر الطبيعي الناتج عن الجهل بالإبحار . أما الخطر الناتج عن الجهاد والقتال ففي نظر عثمان وغيره من الصحابة أمر مقبول ولا يمكن التهرب منه . ( فركب البحر من عكا ومعه مراكب كثيرة وحمل امرأته ) (٦٦) .

كان عثمان حريصا على أن من يغزو في البحر يكون مختارا لذلك غير مجبر عليه ، ولذلك أكد على معاوية في كتابه ( لا تنتخب الناس ولا تفرع بينهم خيرهم فمن أختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه ، ففعل ) (٦٧) .

ولا شك في أن تخطيط عثمان شمل الرجال والعدة والقواعد ، كما تم تنفيذ العديد من الأنشطة المرتبطة بما خطط له في البحر المتوسط .

### التجديد البحري :

على أن توجه عثمان - رضى الله عنه - للنشاط البحري كان يتطلب جند معدين لهذا الأمر كما تطلب عدة خاصة من سفن الحرب ، وما يرتبط بكل ذلك من آلات وعدد . ولا شك ان الغزو في البحر كان من أهداف المجاهدين المسلمين منذ سمعوا الرسول ﷺ يخبر بغزو المسلمين في البحر ويرغب فيه ، وبالتالي كان جمع

الجند للغزو فى البحر فى عصر الراشدين مىسرا نظرا لأنهم شبوا على يد رسول الله ﷺ وتشبعوا بتعاليمه ، فضلا عن أنهم لمسوا أمثلة للنشاط البحرى فى البلاد التى فتحوها بعد ذلك وبخاصة فى مصر والشام . لذلك نرى بعض رجال الحديث بل معظمهم يفردون فى كتبهم أبوابا خاصة لغزو البحر وثواب الجهاد فيه فعند البخارى ( باب ركوب البحر )<sup>(٦٨)</sup> ، وعند مسلم ( باب فضل الغزو فى البحر )<sup>(٦٩)</sup> ، كما تحدث ابن مبارك ، فى كتاب الجهاد بإسهاب عن الغزو فى البحر وفضل الشهادة فيه<sup>(٧٠)</sup> . كذلك أورد أبو داود من الأحاديث فى هذا الجانب<sup>(٧١)</sup> ، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « » خمس من قبض فى شئ منهن فهو شهيد القتل فى سبيل الله شهيد والغريق فى سبيل الله عز وجل ... الحديث »<sup>(٧٢)</sup> ، فسر ابن مبارك هذا الحديث على أن الغريق مرتبط بالجهاد البحرى .

وقد اعتمد التجنيد البحرى فى زمن عثمان على مبدأ التطوع وعدم إكراه الناس عليه وذلك وفقاً لرسالة عثمان وشرطه على معاوية حينما أذن له بالغزو فى البحر ( لا تتخب الناس ولا تفرع بينهم خيرهم ، فمن اختار الغزو طائعا فأحمله وأعنه )<sup>(٧٣)</sup> .

وتدل النصوص على مشاركة النساء فى ركوب البحر بمصاحبة المجاهدين فيه ( وكان الناس يغزون بنسائهم فى المراكب )<sup>(٧٤)</sup> ولهن دور فى المساعدة والإعداد لما يحتاجه المجاهدون من طعام أو شراب أو دواء وكن بالطبع بمصاحبة أزواجهن أو محارمهن<sup>(٧٥)</sup> ، مستترات عن الرجال . وقد بحث الفقهاء هذه القضية فرأى بعضهم جواز ركوبهن فى السفن الكبيرة التى لا يضطر الرجال فيها للإطلاع على عورات النساء ولا شك فى أن ركوب النساء السفن زمن الراشدين هو المستند للفقهاء فى بحث القضية<sup>(٧٦)</sup> .

ولعل مما شجع الجند على ركوب البحر زمن عثمان — رضى الله عنه — وجود عدد كبير من الصحابة ممن تطوع للجهاد فى البحر فى سبيل الله ، من

هؤلاء أبو أيوب الأنصارى - رضى الله عنه - وأبو الدرداء ، وأبو ذر الغفارى ،  
وأم حرام بنت ملحان ، وغيرهم من أصحاب النبى ﷺ (٧٧) .

وكانوا من أحرص الناس على توفير الأمن لراكب البحر فقد اورد من  
صحب أبا أيوب الأنصارى فى غزوة بحرية أنه قال : « صعدت به على سطح  
أجلح<sup>(٧٨)</sup> فنزل . وقال : كدت أن أبيت الليلة ولا ذمة لى » كما ورد عن النبى ﷺ  
أنه قال : « من بات على إنجار<sup>(٧٩)</sup> فوق منه فمات برئت منه الذمة ومن ركب  
البحر حين يرتج يعنى يغتلم<sup>(٨٠)</sup> فهلك برئت منه الذمة » (٨١) .

### التجهيزات البحرية :

لا شك فى أن المسلمين حينما ركبوا البحر فى بدايات عصر عثمان كانوا من  
أقل الناس خبرة به إذ أنهم لم يكونوا بمستوى الروم ولا قرييين منهم فى الخبرة لكن  
دخول أقوام كثيرة من أهل الشام ومصر فى الإسلام زمن عمر وعثمان - رضى  
الله عنهما - ، أكسب المسلمين خبراء بحريين نوى مكانة عالمية ، كما أن هؤلاء  
بدخولهم فى الإسلام كانوا من أهل الحماسة له ، لأن دخولهم جاء عن قناعة تامة ،  
ولم يجبر أحد منهم على ذلك . وقد استفاد المسلمون من غير المسلمين فيما يتعلق  
بالإعداد البحرى وصناعة السفن وما يتعلق بها من الحرف المختلفة ولعل تسامح  
المسلمين مع من لم يكونوا على دينهم كان سببا فى مثل هذا التعاون<sup>(٨٢)</sup> ، وقد  
اشتهرت بلاد الشام ومصر بوجود دور لصناعة السفن فيها قبل الإسلام ، وبعد فتح  
تلك البلاد أصبحت تلك الدور بكامل عددها تحت سيطرة الدولة الإسلامية  
وخصوصا ما كان ملكا لدولة الروم على أن المسلمين لم يكونوا على خبرة فى  
التعامل معها فى بداية الأمر وبالتالي اضطروا لاستخدام غيرهم مقابل أجر فى  
الغالب ، حيث كان الكثير من سكان مصر والشام يقبلون العمل مع المسلمين طلبا  
للرزق أو غير ذلك . هذا إلى أن القبط فى مصر رغبوا فى مساعدة المسلمين  
ضد الروم عن طواعية فى أكثر من موضع<sup>(٨٣)</sup> . ولدينا من الشواهد ما يدل

على تعاونهم مع المسلمين وأنهم كانوا يعملون فى سفن المسلمين أثناء معركة ذات الصواري<sup>(٨٤)</sup>، كما تؤكد المصادر مشاركة الموالى فى غزوة ذات الصواري<sup>(٨٥)</sup> بل إن بعض المصادر تشير إلى أنه كانت لهم مراكب خاصة شاركت المسلمين فى المعركة<sup>(٨٦)</sup> وبالتالى فمن المرجح أنهم شاركوا فى صناعة السفن وما يلزم البحرية الإسلامية فى مصر من تجهيزات زمن الخليفة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - .

وقد سيطر المسلمون على أماكن عديدة على سواحل الشام ومصر كانت مؤهلة لبناء السفن وتجهيز الأساطيل ، كما أن المواد اللازمة لصناعة السفن وعلى رأسها الأخشاب والمعادن كانت تتوفر فى جبال الشام ، وفى الأطراف الشمالية منها وفى مناطق مصر المختلفة<sup>(٨٧)</sup> ، بل إن البعض يرجع أسباب معركة ذات الصواري إلى محاولة البيزنطيين منع المسلمين من الوصول إلى مناطق الأخشاب **المالحة لصناعة السفن على سواحل الأناضول**<sup>(٨٨)</sup> .

ومع توفر المواد الخام والخبرة اللازمة كان من المنطقى توجه المسلمين لإعداد ما يحتاجونه بأنفسهم لتنمية أساطيلهم ، ويرى البعض أنه : ( نتيجة لهذه الانتصارات تقدم العرب إلى شواطئ البحر المتوسط حيث طوروا قوتهم البحرية وشنوا هجوما على قلب الإمبراطورية البيزنطية )<sup>(٨٩)</sup> . ويقول آخر : « لم تبدأ البحرية البيزنطية حقا إلا فى عهد هرقل فإن قوة العرب البحرية النامية كانت تستلزم إجراء مضادا ، كما أن المغيرين على الإمبراطورية بلغوا من الكثرة حدا جعل السفر البرى من الصعوبة حيث كان من المستحسن فيما نرجح اللجوء إلى الطرق البحرية المحروسة بالجند »<sup>(٩٠)</sup> ، وقد اشتهرت مواقع معينة بتصنيع السفن أيام عثمان - رضى الله عنه - هى بمثابة قواعد بحرية قائمة بذاتها ، كما كان يتم التنسيق بينها عند الحاجة لذلك .



## القواعد البحرية

### الإسكندرية :

هى مدينة قديمة من أهم مدن العالم القديم والحديث ، لها مكانتها التجارية والسياسية والعسكرية عبر العصور ، عريقة فى بناء السفن وتجهيزها منذ أقدم العصور وفيها من الإمكانيات وعند أهلها من الخبرة ما جعلها من أهم مدن العالم فى تصنيع السفن قبل الفتح الإسلامى وبعده<sup>(٩١)</sup> . ولا شك فى أن المسلمين استفادوا مما فيها من التجهيزات السابقة بعد السيطرة عليها ، ولعل خروج الأسطول المسلم منها قبيل موقعة ذات الصوارى مما يبرهن على أهميتها ، وعلى التجهيزات القائمة فيها للأسطول الإسلامى فى بداية عهده فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه . كما أن قيادة عبد الله بن سعد بن أبى السرح أمير مصر من قبل عثمان - رضى الله عنه - لها أكبر شهادة على دور الإسكندرية وأهلها فى الإعداد للأسطول المسلم وكانت الإسكندرية تتعرض باستمرار لهجمات من الروم خلال عصر عمر وعثمان رضى الله عنهما . فى محاولة لاستعادتها<sup>(٩٢)</sup> مما يدل على أهميتها الكبرى فى رسم السياسة الحربية للروم فى تلك الفترة ، وعلى مكانة هذه المدينة فى الخطط البحرية فى البحر المتوسط لدى كل الأطراف .

ويكثر الحديث عن دور صناعة السفن فى الإسكندرية فى العصور الإسلامية اللاحقة لعصر الراشدين عموماً إلا أن النصوص لا تسعفنا فيما يرتبط بعصر الراشدين ، وإن كان من المؤكد قيام هذه الدار بدورها ونشاطها قبل وبعد عصر الراشدين ، واستمرارها فى عصر الراشدين من باب أولى .

### طرابلس الشام :

تعد طرابلس الشام من أهم الموانئ البحرية على الساحل الشرقى للبحر المتوسط . وكانت من أقربها إلى دمشق وحمص قاعدتى الشام فى عصر الخلفاء

الراشدين ، كما كانت طرابلس مركزا بحريا هاما للأساطيل الرومية ، إعدادا وتجهيزا ومعسكرا . ولذلك تمسكوا بها أكثر من غيرها<sup>(٩٣)</sup> . وقد حرص المسلمون على فتحها منذ أيام عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لكن الفتح لم يتم إلا سنة ٢٥هـ فى بداية خلافة عثمان بن عفان - رضى الله عنه -<sup>(٩٤)</sup> . ومنذ تلك الفترة وطرابلس تحتل مكانتها الخاصة فى الإعداد للقوى الإسلامية البحرية فى عصر الراشدين وما بعده .

وكان لطرابلس نشاط فى بناء السفن وتجهيزها فى زمن عثمان بن عفان ، حيث أن أميره على الشام معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - كان يتابع ذلك عن كثب<sup>(٩٥)</sup> ، وكان لطرابلس دورها فى معركة ( ذات الصواري ) حيث خرج منها عدد كبير من السفن التى شاركت فى هذه المعركة<sup>(٩٦)</sup> .

### عسقلان :

مدينة ساحلية هامة على بحر الروم<sup>(٩٧)</sup> ، وهى من أهم مدن الشام فى زمن الفتح وكانت مركزا بحريا هاما حاول الروم المحافظة عليها أطول فترة ممكنة ، حتى تمكن المسلمون من فتحها سنة ٢٣هـ على يد معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - فى آخر خلافة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه<sup>(٩٨)</sup> .

ولأهميتها فإنها تسمى (عروس الشام)<sup>(٩٩)</sup>، كان عبد الله بن عمر يسميها (نروة سنام الشام)<sup>(١٠٠)</sup> . ومنذ فتحها دخلت عسقلان فى عداد القواعد البحرية الإسلامية فى عصر الراشدين وما تلاه ، ولعل قربها من مصر جعلها من أكبر مراكز التنسيق والاتصال بين أساطيل الشام وأساطيل مصر عبر العصور الإسلامية .

### عكا :

مدينة ساحلية فى فلسطين تعد من أهم موانئ بحر الروم<sup>(١٠١)</sup> ، ومن أهم مدن فلسطين<sup>(١٠٢)</sup> ، وتعد ميناء لبيت المقدس ، بها قوات بحرية رومية عبر العصور .

تمكن شرحبيل بن حسنة - رضى الله عنه - من فتحها فى خلافة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه<sup>(١٠٣)</sup> ، كما أهتم بها المسلمون فى زمن عثمان وجعلوها قاعدة عسكرية ونقل إليها معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عثمان عددا كبيرا من صنّاع السفن ، وجعلها بالأخشاب من لبنان ، وجعلها أهم مراكز صناعة السفن فى الشام فى خلافة عثمان - رضى الله عنه<sup>(١٠٤)</sup> - وقد ركب معاوية البحر من عكا ومعه مراكب كثيرة فى أول غزوة بحرية لقبرص<sup>(١٠٥)</sup> .

وهناك مراكز بحرية أخرى اشتهرت زمن عثمان ، كانت على ساحل بحر الروم منها بيروت وصور ، وكان بها بعض المراقبة من أصحاب النبى ﷺ منهم سلمان الفارسي - رضى الله عنه - وغيره من الصحابة<sup>(١٠٦)</sup> ، كما كان فى بعضها دور لصناعة السفن .

ومن خلال استعراض هذه القواعد البحرية ، نلاحظ أنه كانت فى آخر عهد عثمان بن عفان - رضى الله عنه - قواعد بحرية ذات أهمية كبرى فى الموقع والتجهيزات فى مصر والشام ، وكانت كافية للدفاع عن السواحل الإسلامية فى مصر والشام ، كما استعدت تلك القواعد بأساطيل بحرية أصبحت سفنها كافية للحفاظ على سواحل المسلمين والقيام بفتوح جديدة فى البحر المتوسط<sup>(١٠٧)</sup> .

### النشاط العسكرى البحرى :

اعتمدت الدولة الإسلامية حتى آخر خلافة عمر - رضى الله عنه - على سياسة الدفاع عن مواقعها وثورها فى البحر المتوسط ، وكان معاوية - رضى الله عنه - يحاول إقناع عمر بالمبادرة بالهجوم عن طريق البحر إلا أنه لم ينجح فى ذلك ، وما أن حصل معاوية على الأذن من عثمان بركوب البحر حتى كانت الأنشطة البحرية العسكرية المختلفة التى احتاجت إلى تخطيط وتنفيذ ومنها :

### فتح قبرص ( ٢٨هـ - ٦٤٩م ) :

هي جزيرة بحرية قبالة ساحل الشام ، وتعد من أهم جزر بحر الروم وكانت من قواعد الأسطول البيزنطي التي تهدد الشام باستمرار<sup>(١٠٨)</sup> ، وقد اهتم معاوية لفتحها منذ أيام عمر - رضى الله عنه<sup>(١٠٩)</sup> - إلا أن الخليفة منعه من ذلك ، حتى إذا أذن له عثمان - رضى الله عنه - بذلك ، خرج سنة ٢٨هـ<sup>(١١٠)</sup> من عكا ومعه أهله ، وعدد من الصحابة<sup>(١١١)</sup> . منهم عبادة بن الصامت الذي خرج بزوجه أم حرام في هذه الغزوة فاستشهدت خلالها<sup>(١١٢)</sup> .

وقد انتهت هذه الغزوة بفتح الجزيرة عنوة ، مما اضطر أهلها لمصالحة المسلمين على جزية يدفعونها ، وعلى شرط إطلاع المسلمين على أخبار الروم<sup>(١١٣)</sup> . وهذا الشرط كان بلا شك يخدم القوات الإسلامية في البحر المتوسط فالمعلومات من أهم أسس التخطيط والممارسة العسكرية ، وبالتالي فإن هذا الشرط يعد رافدا للخطط الإسلامية في البحر المتوسط في مرحلة من المراحل .

على أن أهل قبرص أخلوا بشروطهم وبالتالي تكرر غزو المسلمين للجزيرة سنة ٣٣هـ ، وأدبوا أهلها الذين ساعدوا الروم ، وأقاموا فيها حامية إسلامية من ١٢ ألف مقاتل<sup>(١١٤)</sup> ، وهذا يعنى تغيير الخطة فيما يتعلق بقبرص وذلك بتحويلها إلى قاعدة بحرية إسلامية ، بدلا من الاكتفاء بكونها مجرد حليفة بناء على المعاهدة السابقة ، كذلك يعد هذا تغييرا في خطط المسلمين في هذه الجزيرة بعد أن اتضحت أهميتها .

ولتعدد معاهدات المسلمين مع أهل قبرص عبر العصور ، واختلاف الشروط معهم فإن الفقهاء المسلمين بحثوا موضوعها بدقة<sup>(١١٥)</sup> ، نظرا لأن الفقهاء هم الذين يصدرون الأحكام في التعامل مع الأراضي المفتوحة وفقا لوضعها الشرعى .

## فتح جزيرة أرواد :

أرواد جزيرة صغيرة تبعد عن الساحل السوري حاليا عشرات الكيلو مترات ، وكانت في عصر عثمان - رضى الله عنه - مدينة مزدهرة ، وتشكل خطرا على المسلمين لأنها ذات موقع بحرى هام<sup>(١١٦)</sup> يمكن أن يستغله الروم لضرب المسلمين على سواحل الشام ، وقد استولى عليها المسلمون بقيادة معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - عند عودتهم من قبرص سنة ٢٨هـ — ، كما تشير إلى ذلك المصادر البيزنطية<sup>(١١٧)</sup> .

ولعل ترك معاوية لهذه الجزيرة حتى عودته من قبرص يعنى تخطيطا عسكريا بحريا رائعا ، إذ أن الاستيلاء على قبرص وراء أرواد يعد فى الوقت نفسه حصارا لأرواد ومنعا للإمدادات عنها وتمهيدا لفتحها ، كما أن المسلمين باستيلائهم على هذه الجزيرة كسبوا موقعا عسكريا بحريا جديدا فى الوقت الذى زالت منه أقدام عدوهم .

وتتحدث المصادر العربية بإسهاب عن فتح أرواد سنة ٥٤هـ<sup>(١١٨)</sup> فى خلافة معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - ولعل ذلك يعنى استيلاء الروم عليها مرة أخرى وإعادة فتحها ، كما حصل فى العديد من المواقع ، وبالتالي فإن فتحها على ما يبدو كان ذیلا لفتح قبرص ولذلك لم تشر له المصادر العربية .

## الهجوم على رودس وكريت ( ٦٥٤ م ) :

رودس جزيرة هامة فى بحر الروم<sup>(١١٩)</sup> ، وتعد من قواعد الروم البحرية الهامة فى الصراع المبكر على البحر المتوسط<sup>(١٢٠)</sup> . وكذلك الحال بالنسبة لكريت .

وقد قوى الأسطول الإسلامى وبلغ أوج نشاطه فى آخر خلافة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فأصبح يهدد سواحل أوروبا الجنوبية ، والجزر المقابلة

لإيطاليا ، خصوصاً قبيل وبعد معركة ذات الصواري التي انتصر فيها المسلمون على الإمبراطور البيزنطى . وقد ثبت أن معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - قد نزل برودس فى زمن عثمان - رضى الله تعالى عنه - ومعه بعض الصحابة - رضى الله عنهم<sup>(١٢١)</sup> - وتؤكد المصادر البيزنطية هذا الهجوم<sup>(١٢٢)</sup> ، إلا أن فتح هذه الجزيرة والاستقرار بها كان سنة ٥٣هـ فى أثناء خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه<sup>(١٢٣)</sup> ، كما جرى إعادة فتحها سنة ٥٩هـ<sup>(١٢٤)</sup> .

### موقعة ذات الصواري (٥٣١-٦٥٥ م) :

وقعت هذه المعركة البحرية سنة ٣١هـ وشارك فيها<sup>(١٢٥)</sup> الأسطول الإسلامى الشامى والأسطول المصرى ، حيث التقوا بأسطول الروم الذى يقوده الإمبراطور البيزنطى قسطنطين بن هرقل بنفسه وسط البحر المتوسط<sup>(١٢٦)</sup> ، وكانت وجهته سواحل مصر ، إلا أنه فوجئ بتحريك الأساطيل الإسلامية من قواعدها البحرية فى الشام بقيادة معاوية بن أبى سفيان ، ومن قواعدها البحرية فى الإسكندرية بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى السرح<sup>(١٢٧)</sup> ، مما يدل على التخطيط والتنسيق التام بين هذه القواعد البحرية وقوادها<sup>(١٢٨)</sup> ، كما يدل على تحرى أخبار العدو ومتابعته والإعداد له والتخطيط المسبق . وقد شارك فى هذه المعركة بعض الصحابة - رضى الله عنهم<sup>(١٢٩)</sup> - وعندما دارت المعركة قبالة سواحل الأناضول<sup>(١٣٠)</sup> ، شهدت تنسيقاً بين سفن المسلمين رائعاً وتخطيطاً حريماً وحماسة فى القتال فائقة حتى نصر الله المسلمين على الروم نصراً مؤزراً . وكان فى سفن المسلمين بحارة من غير المسلمين ، من أقباط مصر ونصارى الشام<sup>(١٣١)</sup> ، إلا أنه لم يكن لهم دور فى القتال وإنما كانوا ملاحى السفن وخبرائها .

وتعد هذه المعركة من أشهر المعارك البحرية عبر التاريخ ، فهى أول معركة بحرية كبرى يخوضها المسلمون وينتصرون فيها انتصاراً حاسماً غير مجرى الأحداث فى البحر المتوسط حتى اعتبرها بعض المؤرخين البيزنطيين نظيراً

لانتصار المسلمين البرى فى اليرموك<sup>(١٣٢)</sup> ، وأرجع أرشيبالد انتصار المسلمين فى المعركة إلى أنه ( جاء لخطط غير عادية إذ ربطوا سفنهم بعضها ببعض بسلاسل ثقيلة ، فاستحال على أعدائهم اختراق صفوفهم )<sup>(١٣٣)</sup> .

والواقع أن انتصار المسلمين فى ذات الصوارى كان دافعاً لمزيد من التجديد والتغيير فى الخطط البحرية للمسلمين ، الذين أصبحوا أسياد البحر المتوسط بعد تلك المعركة بعد أن كانوا يعتمدون على السياسة الدفاعية فيه<sup>(١٣٤)</sup> ، كذلك كان لهذه المعركة تأثيرها على مستقبل المسلمين فى البحر المتوسط ، وإن كان هذا قد تأخر قليلاً بسبب مقتل عثمان - رضى الله عنه - ، وما حدث بعد ذلك من اضطراب ، إلا أن معاوية نفسه بعد استقرار الأمور له بالخلافة عاد ليستغل نتائج معركة ذات الصوارى<sup>(١٣٥)</sup> .

### تهديد القسطنطينية :

أما القسطنطينية فقد كان التخطيط لفتحها من أهم أهداف المسلمين منذ أن بشرهم الرسول ﷺ بفتحها أكثر من مرة<sup>(١٣٦)</sup> ، ومنها قوله : لتفتحن القسطنطينية على يد رجل فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش<sup>(١٣٧)</sup> ، كما قال ﷺ : « أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم »<sup>(١٣٨)</sup> .

وفى ضوء ذلك يرجح البعض حرص المسلمين على إنشاء الأساطيل لتحقيق هذا الهدف ، وقد قام المسلمون بنشاط بحرى متكرر فى زمن عثمان كان بعضه موجه ضد القسطنطينية عاصمة الروم وما حولها من سفن بحرية<sup>(١٣٩، ١٤٠)</sup> .

وتذهب بعض المصادر إلى تأكيد وصول أساطيل المسلمين فى زمن عثمان - رضى الله عنه - إلى سواحل الأندلس<sup>(١٤١)</sup> ، وتهديدها لأوروبا فى إطار خطة بحرية من المسلمين للالتفاف على القسطنطينية من الشرق والغرب . يقول الطبرى : « وسرح العبدین علی الجند ورماهما بالرجال وسرحهما إلى الأندلس وأمرهما وعبد الله بن سعد بالاجتماع على الأجل »<sup>(١٤٢)</sup> .

## قواد البحر زمن عثمان

### معاوية بن أبي سفيان :

يعد معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه أهم قواد البحر والمخططين له زمن عثمان بن عفان ، وهو صاحب المحاولات في إقناع عمر ثم عثمان من بعده في ركوب البحر<sup>(١٤٣)</sup> . كان يغزو بنفسه ويصطحب معه أهله ، وتؤكد المصادر أنه أول من ركب البحر من أمراء المسلمين وقادتهم في خلافة عثمان - رضى الله عنه<sup>(١٤٤)</sup> - ، بالتالي فإن معاوية يعد أكثر المخططين لغزو البحر المتوسط في زمن الخلفاء الراشدين<sup>(١٤٥)</sup> ، وقد سار على نفس الخطط التي وضعت زمن عثمان حينما أصبح خليفة للمسلمين .

### عبد الله بن سعد بن أبي السرح :

كان قائدا عسكريا وسياسيا لمصر في خلافة عمر وعثمان بن عفان ، وهو من المجاهدين الفاتحين في البر ، قاد سفن المسلمين في ذات الصواري ، وتعرض للخطر أكثر من مرة .

### عبد الله بن قيس الجاسي :

كان أحد القواد المشهورين في الشام التابعين لمعاوية بن أبي سفيان زمن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وقد عينه عثمان قائدا للأساطيل البحرية في سواحل الشام ، فكانت له غزوات استطلاعية متعددة ، إذا غامر بنفسه في جزر البحر المتوسط في أكثر من خمسين غزوة بحرية حتى صارت الروم تخشاه استشهد وهو متكرر في أحد تلك الاستطلاعات البحرية<sup>(١٤٦)</sup> .

### فضالة بن عبيد الأنصاري :

صحابي جليل شهد أحد وما بعدها مع النبي ﷺ<sup>(١٤٧)</sup> ، كما شهد فتوح الشام في زمن أبي بكر وعمر - رضى الله عنهما - ، وأصبح من قضاة الشام في خلافة معاوية بن أبي سفيان وبها توفي في خلافة معاوية<sup>(١٤٨)</sup> .



### بسر بن أرطاة :

كان من قضاة الشام في خلافة عمر ، وكذلك في خلافة عثمان (١٤٩) جاهد في العديد من المعارك البرية والبحرية (١٥٠) ، حتى أصبح من أشهر قواد البحر وخصوصاً في خلافة معاوية (١٥١) ، وقد توفي سنة ٥٣هـ (١٥٢) .

### وائل بن الأسقع الكناني :

من نبلاء الصحابة له أحاديث في كتب الصحاح (١٥٣) ، من مجاهدي المسلمين في بلاد الشام في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه - شهد فتح معاوية لقبرص وغيرها .

### عبد الله بن بشر المازني :

صحابي جليل بايع النبي ﷺ (١٥٤) شارك في فتوح الشام ، وغزو البحر في زمن عثمان (١٥٥) ، توفي بحمص (١٥٦) ، في خلافة الوليد بن عبد الملك (١٥٧) .

### شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري :

صحابي جليل شهد بعض الغزوات مع النبي ﷺ (١٥٨) ، كما شهد الفتوح في زمن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما (١٥٩) - ، وشهد بعض الغزوات البحرية مع معاوية بن أبي سفيان في زمن عثمان بن عفان - رضي الله عنه (١٦٠) - ، اشتهر بالعلم واثى عليه كثير من الصحابة (١٦١) ، أصبح من القواد المشهورين في خلافة معاوية توفي سنة ٥٣هـ في الشام بدمشق (١٦٢) ، وقيل بعد ذلك (١٦٣) بفلسطين (١٦٤) .

### جبير بن نفيير الحضرمي :

كان جاهلياً ، فأسلم في خلافة أبي بكر (١٦٥) ، وعد من أكابر التابعين (١٦٦) شارك في الجهاد في زمانه وزمن عمر رضي الله عنهما - غزا البحر في زمن

عثمان - رضى الله عنه - وعد من القادة<sup>(١٦٧)</sup> ، توفى فى حمص<sup>(١٦٨)</sup> زمن عبد الملك بن مروان سنة ٨٠هـ<sup>(١٦٩)</sup> .

### عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن عبد القيس الفهريين :

نسبت لهما الروايات قيادتهما لحملات بحرية فى خلافة عثمان رضى الله عنه تجاه الأندلس ، وأن هدف تلك الحملة كما صرح به عثمان رضى الله عنه هو الالتفاف على القسطنطينية وفتحها من الخلف<sup>(١٧٠)</sup> ، وتحتاج هذه الروايات إلى مزيد من الدراسة والتروى ، والنظر الفاحص فيها .

### عهد على بن أبى طالب :

انشغل على بن أبى طالب رضى الله عنه بالنزاع مع معاوية رضى الله عنه مما منعه من السيطرة على الشام ، وبالتالي لم يكن بيده التخطيط أو التنفيذ لأى نشاط بحرى فى المتوسط من سواحل الشام . أما مصر فقد كانت فترة انضمامها لعلى رضى الله عنه قصيرة جداً إذ انشغل أمراؤه بأحداث داخلية كثيرة منعتهم من أى نشاط بحرى على سواحلها الشمالية ، ويبدو أن المسلمين استمروا فى السيطرة البحرية فى المتوسط فى خلافة على عن طريق أمراء مصر والشام فى تلك الفترة وكانوا فى الغالب مرتبطين بمعاوية الذى بذل جهده لحماية الثغور البرية والبحرية التى تقع تحت سيطرته فى تلك الفترة .

### المعاهدات فى البحر المتوسط :

تعد معاهدة المسلمين مع أهل قبرص أشهر المعاهدات فى البحر المتوسط زمن الخلفاء الراشدين . ذلك أنه بعد استيلاء المسلمين على الجزيرة « أذعن أهلها فصالحهم على سبعة آلاف ومائتى دينار يؤدونها فى كل عام ، وصالحهم الروم على مثل ذلك ، فهم يؤدون خراجين . واشترطوا أن لا يمنعهم المسلمون أداء الصلح مع إلى الروم واشترط عليهم المسلمون أن لا يقاتلوا عنهم من أرادهم من

ورائهم وأن يؤذّنوا المسلمين بسير عدوهم من الروم فكان المسلمون إذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ولم ينصرهم أهل قبرص ولم ينصروا عليهم» (١٧١) .

ويتضح من شروط هذه المعاهدة أن المسلمين لم يطلبوا من أهل قبرص التدخل العسكرى لصالح المسلمين عند الحاجة ، وإنما طلبوا منهم عدم مساعدة الأعداء ، وهذا يعنى الوقوف على الحياد فى الجانب العسكرى أما جانب المعلومات والاستخبارات فإنه بموجب هذه المعاهدة يلتزم أهل قبرص بإمداد المسلمين بالمعلومات عن أعدائهم ، وعن تحركاتهم المختلفة . وقد وافق المسلمون على دفع أهل قبرص الأموال للروم ولم يمانعوا فى ذلك ، وبالتالي فإن المفترض فى أهل قبرص أن يكونوا قد أرضوا الروم بالمال ، والمسلمين بالمال والمعلومات ، وأن يؤمنوا بلادهم فى هذه الحالة من الطرفين ، وهذه المعاهدة عقدت سنة ٢٨هـ واستمرت فترة من الوقت ، إلا أن أهل قبرص على ما يبدو لم يوفوا بشروط المعاهدة للمسلمين .

« فلما كان سنة اثنتين وثلاثين أعانوا الروم على الغزاة فى البحر بمراكب أعطوهم إياها فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين فى خمسمائة مركب ففتح قبرص عنوة فقتل وسبى ثم أقرهم على صلحهم » (١٧٢) .

ولا شك فى أن استمرار المسلمين فى معاهداتهم مع أهل قبرص بعد تأديبهم كان جزءا من خطة عامة تجاه قبرص وغيرها من الجزر البحرية فى المتوسط .

### أثر خطط الراشدين على من بعدهم :

لا شك فى أن التحركات البحرية وما سبقها من تخطيط فى خلافة عثمان - رضى الله عنه - كان لها دور فى الأحداث التى جرت بعد ذلك وخصوصا فى عصر بنى أمية ، حيث أن الإعدادات الحربية البحرية وقواعدها المختلفة آلت لدولة بنى أمية ، فقام الخليفة معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - بالسير على نفس

الخطط السابقة ، خصوصاً أنه كان من صانعي تلك الخطط . ولذلك استمر في دعم الأساطيل البحرية وتجهيزها بالعتاد والرجال ، كما استمر في فرض السيطرة البحرية ، بتحركات الأساطيل البحرية وفتوحها المختلفة في جزر البحر المتوسط ، وتبعه في ذلك بقية خلفاء بني أمية ، حتى هددوا القسطنطينية نفسها واستولوا على عدد من الجزر البحرية فيما لا يتسع المجال لذكره في هذا البحث ، كما أنهم نظروا نظرة خاصة لتطبيق المعاهدة التي عقدت مع أهل قبرص وشارك العلماء في النظر في هذه المعاهدة وتطبيقها طوال عصر بني أمية والعصور اللاحقة<sup>(١٧٣)</sup> .

كما أن ما تم من تحقيق تفوق للمسلمين في البحر المتوسط زمن عثمان بنيت عليه الدول الإسلامية المطلة على المتوسط مكانتها العسكرية في ذلك البحر ، حيث استفادت من تلك الإنجازات ، وتحركت لمد نفوذها في مناطق جديدة في صقلية وجنوب إيطاليا والأندلس وغيرها حتى صارت السيطرة البحرية في المتوسط طيلة العصور الوسطى للبحرية الإسلامية في مصر والشام عبر الدول المختلفة .

\* \* \*

وبعد ، فإنه من خلال هذا البحث يتبين أن ما تم في زمن الراشدين من نشاط بحري لم يكن امتداداً تاريخياً لما كان عليه الوضع قبل الإسلام حيث أن هذه المرحلة تعد جهاداً مركزاً ومخططاً مع قوى بحرية مختلفة في مناطق جديدة تمكن المسلمون من السيطرة عليها وتوجيهها لتحقيق أهداف وغايات الدولة الإسلامية ، وحماية مواقعها الجديدة . وقد تفاوتت جهود الراشدين في هذا الأمر حيث نرى تركيز عمر - رضي الله عنه - على التحصين والدفاع عن ثغور المسلمين في البحر المتوسط وشحنها بالمقاتلة باستمرار ، أما عثمان فمع السير على خطة عمر - رضي الله عنهما - إلا أنه خطا خطوة جديدة ببناء الأساطيل الإسلامية في عدد من القواعد البحرية في بلاد الشام ومصر ، كما بادر بالهجوم على مواقع الروم في البحر المتوسط واستولى على بعض الجزر وهدد مواقع أخرى في بلاد الروم ،

منها جزر متصلة بأوربا اتصالا مباشرا ، كما يتضح دور معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن سعد وغيرهم من القواد في الجهود المبذولة لتقوية الأسطول الإسلامي أيام عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، وأما خلافة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقد شغل فيها عن بحر الروم ومنع من الوصول إليه ، وذلك بمنعه من مد نفوذه إلى الشام ، وسلخ مصر ، في وقت مبكر من خلافته ، وبالتالي فإنه لم تتضح له خطة معينة في البحر المتوسط بسبب الظروف التي سادت فترة خلافته .

\* \* \*

## الهوامش

- (١) انظر البخارى ( فتح البارى ) جـ ١٦ / ١٣٤ .
- (٢) ابن ماجه ، سننه ، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين جـ ١٧ / ١ .
- ورواه الإمام أحمد فى مسند الشاميين ، باب حديث العرياض بن سارية جـ ١٢٦ / ٤ .
- (٣) ابن ماجه ، سننه ، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين جـ ١ / ١٥ .
- (٤) خليفة بن خياط ، تاريخه ص ٩٤ .
- (٥) خليفة بن خياط ، تاريخه ص ١٩٨ .
- (٦) انظر : الكلاعى الأندلسى ( حروب الردة ) تحقيق أحمد غنيم .
- (٧) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٤ .
- (٨) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ ١ / ٢١ ، ٣٤٥ .
- (٩) للتوسع حول الموضوع انظر : فرنان برديول ، البحر المتوسط المجال ، والتاريخ ، ترجمة يوسف شلب الشام ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٠ م .
- (١٠) أرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ص ١٦ .
- (١١) العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٧٢ .
- (١٢) المقدمة ص ٢٥٢ .
- (١٣) انظر الذهبى : سير أعلام النبلاء ، جـ ٩ / ٢٨٩ . السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، جـ ٢ / ٢٨٦ .
- (١٤) سورة الطور : الآية ٦ .
- (١٥) ابن كثير ، تفسيره ، جـ ٤ / ٤٧٧ ، القرطبى ، تفسيره ، جـ ١٩ / ٢٣١ .
- (١٦) سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الإسلامية ، ص ٥٦ .
- (١٧) نخبة من الأساتذة ، تاريخ البحرية المصرية ص ٢٦٦ ، أنور عبد العليم ، الملاحنة وعلوم البحار عند العرب ، ص ٢٢ .
- (١٨) الشعبية : قرية على شاطئ البحر الأحمر مقابل مكة المكرمة ، وهى ميناؤها منذ القدم وقبل أن تعرف جدة فى العصور المتأخرة . وقد زرتها بنفسى وتبعد عن مكة

قراية ١٠٠ كيلو متر إلى الغرب على طريق الليث ( انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان جـ ٣ / ٣٥١ )

(١٩) ابن هشام ، السيرة النبوية، جـ ١ / ١٩٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ / ٤٤ .  
ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، جـ ١ / ١٤٦ ، الصالحى الشامى ، سبيل الهدى والرشاد ، جـ ٢ / ٢٢٨ .

(٢٠) الطبرى ، تاريخه ، جـ ٢ / ٢١٥ ، السهلى ، الروض الأنف ، جـ ٢ / ٢٥٠ ،  
وانظر جواد على ، جـ ٧ / ٢٥٩

(٢١) انظر : سعاد ماهر ، البحرية الإسلامية ، ص ٦٠ .

(٢٢) شاعر جاهلى فحل هجاء يخشاه الناس ، من أصحاب المعلقات المشهورين ، ولد بالبحرين ، وتنقل بينها وبين العراق ونجد ، قتل بسبب شعره . انظر : يحيى الخشاب ( طرفة بن العبد حياته وشعره ) ١٩٩٧ ، وانظر : الأنبارى ، شرح المعلقات السبع ، ص ١١٥ .

(٢٣) الأنبارى ، شرح المعلقات القصائد السبع ، ص ٣٥ ، الألوسى ، بلوغ الأرب جـ ٣ / ٣٦٥ . جواد على ، المفصل ، جـ ٧ / ٢٥١ . المالكية ، والعدولية : من أنواع السفن المعروفة عند العرب ( المصدرين السابقين ) .

(٢٤) هو عمرو بن هند ، ويسمى عمرو بن منذر بن ماء السماء أحد ملوك العرب فى الحيرة قبل الإسلام من بنى تغلب . ( يحيى شامى ، طرفة بن العبد والأنبارى ، شرح القصائد السبع ص ٤٢٦ .

(٢٥) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١٣ / ٢٠٩ . الزبيدى ، تاج العروس جـ ٩ / ٢٣٦ .  
الأنبارى ، شرح المعلقات السبع ، ص ٤٢٦ . وانظر إلى مزيد من الشواهد الشعرية: أنور عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، ص ٢٤ .

(٢٦) المقدمة ، ص ٢٥٣ .

(٢٧) البخارى ، صحيحه ، جـ ٣ / ١٠٦٩ .

(٢٨) ( البخارى باب من زار قوما فقال عندهم ) . جـ ٥ / ٢٣١٦ .

(٢٩) البخارى ، ( باب فضل من يصرع فى سبيل الله فمات فهو منهم ) جـ ٢ / ١٠٣٠ .

- (٣٠) مسلم ، صحيحه جـ ١٥١٨/٣ .
- (٣١) عبد الله بن المبارك ، كتاب الجهاد جـ ١ / ١٤٤ .
- (٣٢) ابن مبارك ، كتاب الجهاد جـ ١ / ١٥٤ .
- (٣٣) صحيح البخارى ، جـ ٧٢٧/٢ .
- (٣٤) صحيحه ، جـ ٥٤٤/٢ .
- (٣٥) هو عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام الثقفى أبو عبد الله نزيل البصرة أسلم فى وفد ثقيف فاستعمله النبى ﷺ على الطائف ، خطبهم بعد وفاة النبى ﷺ ومنعهم من الردة ، وأقره أبو بكر ثم عمر ثم استعمله عمر على عمان والبحرين سنة خمس عشرة ، ثم سكن البصرة حتى مات بها فى خلافة معاوية سنة خمسين ، وقيل سنة إحدى وخمسين . ( ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٤ / ٤٥١ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٥ / ٥٠٨ ) .
- (٣٦) تانة ، من قرى الهند القريبة من بمباى ( سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الإسلامية ص ٦٢ ) .
- (٣٧) البلاذرى ، فتوح البلدان ، جـ ٢ / ٤٢٠ .
- (٣٨) هو علقمة بن مجرز بن الأعور الكنانى ، صحابى جليل ، كان يؤمره رسول الله ﷺ اشتهر بجهاده فى بلاد الشام زمن أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - توفى سنة ثلاث وعشرين للهجرة النبوية ، ( الطبرى ، تاريخه ، جـ ٢ / ٤٤٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٧ / ١٤٣ ، ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٤ / ٥٥٩ ) .
- ( ٣٩ ) البكرى ، معجم ما استعجم ، جـ ٢ / ٦٣٢ .
- (٤٠) الطبرى ، تاريخه ، جـ ٢ / ٥١٧ ، ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٤ / ٥٥٩ ، عبد الرزاق ، المصنف جـ ٥ / ٢٨٤ .
- (٤١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٣ / ٢٨٥ .
- (٤٢) الطبرى ، تاريخه جـ ٢ / ٦٠٠ .
- (٤٣) انظر : البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٧ .
- (٤٤) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٥٣ .



وعرفجة بن هرثمة صحابي جليل كان من قواد الفتح أيام أبي بكر وعمر له نكاية شديدة في العدو شارك في القضاء على المرتدين واشتهر بفتح الموصل وما جاورها ( ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٤/ ٤٨٥ ) .

( ٤٥ ) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٤/ ٣٦٢ .

( ٤٦ ) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٢/ ٢٢٧ .

( ٤٧ ) عبد الله بن المبارك ، كتاب الجهاد ، جـ ١/ ١٤٤ .

( ٤٨ ) المقرئ ، الخطط ، جـ ١/ ١٦٣ .

( ٤٩ ) المقرئ ، الخطط ، جـ ١/ ١٦٧ .

( ٥٠ ) المقرئ ، الخطط ، جـ ١/ ١٦٧ .

( ٥١ ) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣/ ١٤٦ .

( ٥٢ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، جـ ٢/ ١٣٣ .

( ٥٣ ) المقرئ ، الخطط ، جـ ١/ ١٦٤ .

( ٥٤ ) الطبري ، تاريخه ، جـ ٢/ ٤٩١ .

( ٥٥ ) الطبري ، تاريخه ، جـ ٢/ ٦٠٢ .

( ٥٦ ) انظر : الطبراني ، كتاب الدعاء ، ص ٢١ .

( ٥٧ ) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، جـ ٢٥/ ٥٧ .

وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل من العشرة المبشرين بالجنة من أصحاب النبي ﷺ .

( ٥٨ ) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٣/ ٢٨٢ .

( ٥٩ ) انظر : القاسم بن سلام ، الأموال ، ص ٦٤١ .

( ٦٠ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٣٤ .

( ٦١ ) ابن المبارك ، كتاب الجهاد ، جـ ١/ ١٥٧ .

( ٦٢ ) ابن المبارك ، كتاب الجهاد ، جـ ١/ ١٥٤ .

( ٦٣ ) انظر : السيد الباز العريني ، الدولة البيزنطية ، ص ١٤٣ .

( ٦٤ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٧ .

- (٦٥) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٧ .
- (٦٦) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٧ .
- (٦٧) الطبرى ، تاريخه ، ج ٢ / ٦٠١ .
- (٦٨) صحيحه ، ج ٣ / ١٠٦٠ .
- (٦٩) صحيحه ، ج ٣ / ١٥١٨ .
- (٧٠) كتاب الجهاد ، ج ١ / ١٥٥ .
- (٧١) سنن أبى داود ، ج ٣ / ٦ .
- (٧٢) ابن المبارك ، كتاب الجهاد ، ج ١ / ١٥٤ .
- (٧٣) الطبرى ، تاريخه ، ج ٢ / ٦٠١ .
- (٧٤) المقرئى ، الخطط ، ج ١ / ١٦٩ .
- (٧٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ / ٩٧ .
- (٧٦) فتح البارى ، ج ١١ / ٧٨ - ٧٦ .
- (٧٧) انظر : البخارى ، صحيحه ٣ / ١٠٦٠ ، الأدب المفرد ، أبو داود ، سننه ، ج ٣ / ٦ ،
- البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٧ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج ٢ / ٢٢٧ .
- (٧٨) السطح الذى لا جدار له ، وكل ما لا جدار له من هودج أو سفينة أو غير ذلك :
- (انظر : لسان العرب ، ج ٢ / ٤٢٥) .
- (٧٩) إنجار : يقصد به السطح ، ويقصد به مرساة السفينة ، كما يأتى بمعنى سطح
- السفينة ( ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ / ١٩٤ ) .
- (٨٠) ( الإغتلان ) الارتفاع ومجاوزة الحد المعهود ، ولعل المقصود به شدة اضطراب
- البحر وعلو موجه ( انظر : الجزرى ، النهاية فى غريب الأثر ، ج ٣ / ٣٨٢ ) .
- (٨١) البخارى ، الأدب المفرد ، ص ٤٠٨ .
- (٨٢) انظر : أرشيالدا ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ص ٨٨ .
- (٨٣) انظر : المقرئى ، الخطط ، ج ١ / ١٦٦ .
- (٨٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ / ١١٨ .
- (٨٥) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٥٢ / ٢٧٢ .

- (٨٦) الطبرى ، تاريخه ، ج٢/٢٢٠
- (٨٧) انظر : نخبة من الأساتذة ، تاريخ البحرية المصرية ، ص ٣٧٠ - ٣٨٢ .
- (٨٨) ارشيبالد ، القوى البحرية والتجارية فى حوض المتوسط ، ٩٢ ، السيد عبد العزيز سنالم والسيد الباز العربى ، البحرية الإسلامية ج١/٦ .
- (٨٩) رتشارد أ. ساليقان ، ورثة الإمبراطورية الرومانية ص ٧٠ .
- (٩٠) ستيفن رنسيمن ، الحضارة البيزنطية ، ١٧٦ .
- (٩١) نخبة من الأساتذة ، تاريخ البحرية المصرية ، ٣٤١ .
- (٩٢) المقرئى ، الخطط ، ج١ / ١٦٧ ، سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الإسلامية ص ٧٧ ، نخبة من الباحثين ، تاريخ البحرية المصرية ، ص ٢٨١ ، السيد الباز العربى ، الدولة البيزنطية ، ص ١٤١ .
- (٩٣) تدمرى ، تاريخ طرابلس ، ص ٨٩ .
- (٩٤) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٣٣ ، عمر تدمرى ، تاريخ طرابلس ، ص ٩٢ .
- (٩٥) نخبة من الأساتذة ، تاريخ البحرية المصرية ، ص ٣٥٧ .
- (٩٦) تدمرى ، تاريخ طرابلس ، ص ١٠١ .
- (٩٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٦٢ .
- (٩٨) الطبرى ، تاريخه ، ج٢/٥٨٨ ، وانظر : البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٤٨ .
- (٩٩) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج٤/١٢٢ .
- (١٠٠) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج٢/١٢٢ .
- (١٠١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٦٢ .
- (١٠٢) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج١/١٤٨ .
- (١٠٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٢٣ .
- (١٠٤) العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٨ .
- (١٠٥) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٧ .
- (١٠٦) انظر الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج١/٥٥ ، ج٢/١٨٨ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج١/٥٢٥ .

- (١٠٧) انظر : السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، ص ٢٦ .
- (١٠٨) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤/٣٠٥ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٦٥ ،  
العريني ، الدولة البيزنطية ، ص ١٣٢ ، العدوي ، الأمويون والبيزنطيون ص ٨٠ .
- (١٠٩) العريني ، الدولة البيزنطية ، ص ١٤٢ .
- (١١٠) الطبري ، تاريخه ، ج٢/٦٠٠ .
- (١١١) لمعرفة بعض أسماء الصحابة الذين شهدوا هذه الغزوة مع معاوية - رضى الله عنهم - انظر البلاذري ، فتوح البلدان ص ١٥٧ ، الطبري ، تاريخه ، ج٢/٦٠٠ .
- (١١٢) البخاري ، صحيحه ، ج٣/١٠٣٠ ، ١٠٦٠ ، مسلم ، صحيحه ، ج٣/١٥١٨ ،  
أبو داود ، سننه ، ج٣/٦ ، ابن المبارك ، كتاب الجهاد ، ج١ / ١٥٧ ،  
البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٧ ، ابن حجر ، فتح الباري ، ج١١/٧٨-٧٦ .
- (١١٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٨ ، الطبري ، تاريخه ، ج٢ / ٦٠٢ .
- (١١٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٨ ، الطبري ، تاريخه ، ج٢ / ٦٠٢ .
- (١١٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ .
- (١١٦) العدوي ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٨٧ .
- (١١٧) نخبة من الأساتذة ، البحرية المصرية ، ص ٢٨٤ ، العدوي ، الأمويون  
البيزنطيون ، ص ٨٩ .
- (١١٨) الطبري ، تاريخه ، ج٣ / ٢٤١ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٣٧ ، ياقوت  
الحموي ، معجم البلدان ، ج١/٢٢٨ .
- (١١٩) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١/٢٢٨ ، البكري ، معجم ما استعجم  
ج٢/٦٨٣ .
- (١٢٠) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣/٧٨ .
- (١٢١) ابن المبارك ، الجهاد ، ج١/١٥٥ .

- (١٢٢) انظر : نخبة من الأساتذة ، تاريخ البحرية المصرية ، ص ٢٨٥ ، السيد الباز العرينى ، الدولة البيزنطية ، ص ١٤٢ العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٩١ .
- (١٢٣) الطبرى ، تاريخه ، ج ٢٣٨/٣ ، البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٢٣٧ .
- (١٢٤) خليفة بن خياط ، تاريخه ، ج ٢٢٧/٢ ، ٢٢٩ .
- (١٢٥) الطبرى ، تاريخه ، ج ٢٢٠/٢ .
- (١٢٦) الطبرى ، تاريخه ، ج ٦٢٠/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣١٢/٧ .
- (١٢٧) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج ٣/٣٤ .
- (١٢٨) انظر : العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٩٦ .
- (١٢٩) ابن حجر ، الإصابة ، ج ٥/١٣٧ .
- (١٣٠) يرجح البعض أن المعركة كانت بسبب محاولة السيطرة على أماكن الأخشاب الصالحة لصناعة السفن ( انظر : السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى ، تاريخ البحرية الإسلامية ج ١/٦ ) .
- (١٣١) انظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣/١١٨ .
- (١٣٢) نخبة من الأساتذة ، تاريخ البحرية المصرية ، ص ٢٨٨ .
- (١٣٣) القوى البحرية والتجارية فى البحر المتوسط ، ص ٩٢ .
- (١٣٤) سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الإسلامية ، ص ٨٤ .
- (١٣٥) السيد الباز العرينى ، الدولة البيزنطية ، ص ١٤٣ .
- (١٣٦) الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٤/٣٠٣ .
- (١٣٧) الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٤/٣٣٥ .
- (١٣٨) البخارى ، صحيحه ، ج ٣/١٠٦٩ .
- (١٣٩) كان من أمراء أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - فى حرب المرتدين ( الطبرى ، تاريخه ، ج ٢/٢٦٦ ) .
- (١٤٠) الطبرى ، تاريخه ، ج ٢ ، ٦٠١ .

- (١٤١) الطبرى ، تاريخه ، ج٢/٥٩٧ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧/١٥٢ .
- (١٤٢) الطبرى ، تاريخه ، ج٢/٥٩٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧/١٥٢ .
- (١٤٣) العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٧٣ .
- (١٤٤) الطبرى ، تاريخه ، ج٢/٦٠١ .
- (١٤٥) العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٧٤ .
- (١٤٦) كان من أمراء أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - فى حرب المرتدين ( الطبرى ، تاريخه ، ج٢/٢٦٦ ) .
- (١٤٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨/٧٨ ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج٢/١٧ .
- (١٤٨) ابن سعد ، الطبقات ، ج٧/٤٠١ .
- (١٤٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨/١٤٥ .
- (١٥٠) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج٣/١١٤ .
- (١٥١) الطبرى ، تاريخه ، ج٣/٢٠٧ ، خليفة بن خياط ، تاريخه ، ج٢/٢١٨ .
- (١٥٢) ابن زبر الربعى ، مولد العلماء ووفياتهم ، ج١/١٥٥ .
- (١٥٣) الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، ج١/٤٥ .
- (١٥٤) الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ، ج٦/٢٤ ، ابن حجر ، الإصابة ، ج٧/٢٢٢ .
- (١٥٥) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٩ .
- (١٥٦) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج٥/٥٠ .
- (١٥٧) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ج٢/٢٢٥ .
- (١٥٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨/٧٨ .
- (١٥٩) الطبرى ، تاريخه ، ج٢/٣٥٥ .
- (١٦٠) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ج ١٥٩ .
- (١٦١) ابن حجر ، الإصابة ، ج٣/٣١٩ .

- 
- (١٦٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٧ / ٤٠١ .
- (١٦٣) ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ٥٠ / ١ .
- (١٦٤) ابن زبر الربعى ، مولد العلماء ووفياتهم ، جـ ١ / ١٦٢ .
- (١٦٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٧ / ٤٤٠ .
- (١٦٦) الذهبى ، المعين فى طبقات المحدثين ، جـ ٢ / ٣٢ .
- (١٦٧) البلاذرى ، فتوح البلدان ، جـ ص ١٥٩ .
- (١٦٨) الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، جـ ١ / ٥٢ .
- (١٦٩) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٧ / ٤٤٠ .
- (١٧٠) الطبرى ، تاريخه ، جـ ٢ / ٥٩٨ .
- (١٧١) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٨ .
- (١٧٢) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٨ ، وانظر : الطبرى ، تاريخه ، جـ ٢ / ٦٢٠ .
- (١٧٣) انظر : البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٩ .

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم ( ت ٦٣٠هـ ) .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ( د. ت . )
- الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٥ .
- أرشيبالد : ر. لويس
- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد عيسى ،  
مراجعة شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- الألوسى : محمود شكرى
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق محمد بهجت الأثرى ، ط ٣  
القاهرة ، ١٣٤٢هـ .
- الأتبارى : أبو بكر محمد بن القاسم ( ت ٣٢٨هـ )
- شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٥ ، دار  
المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٣م .
- البخارى : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ( ١٩٤ - ٢٥٦هـ )
- صحيح البخارى ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ،  
١٤٠٧هـ .
- الأدب المفرد ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ٣ ، دار البشائر الإسلامية ،  
بيروت ١٤٠٩هـ .
- بردويل : فرنان
- البحر المتوسط في المجال والتاريخ ، ترجمة يوسف شلب الشام ، ترجمة وزارة  
الثقافة السورية ، دمشق ١٩٩٠ .



- البكرى : عبد الله بن عبد العزيز الأندلسى ( ت ٤٦٧هـ )
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣هـ .
- البلاذرى : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر ( ت ٢٧١هـ ) .
- فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٣٩٨هـ .
- تدمرى : عمر عبد السلام
- تاريخ طرابلس السياسى والحضارى عبر العصور ( عصر الصراع العربى البيزنطى والحروب الصليبية ) مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٨هـ .
- الترمذى : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ( ٢٠٩ - ٢٧٩هـ )
- الجامع الصحيح ( سنن الترمذى ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت لبنان ( ب . ت ) .
- ابن حبان : محمد بن أحمد التميمى البستى ( ت ٣٥٤هـ )
- صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٤هـ .
- مشاهير علماء الأمصار ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار الجيل ، بيروت ١٤١٢هـ .
- ابن حجر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على العسقلانى ( ت ٨٥٢هـ )
- الإصابة فى تمييز الصحابة ط ١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٨هـ .
- ابن حنبل : الإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد ( ت ٢٤١هـ )
- المسند ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ( د . ت ) .
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ، ( ت ٨٠٨هـ )
- المقدمة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٩١هـ .
- خليفة بن خياط : بن أبى هبيرة الليثى العصفرى ( ١٦٠ - ٢٤٠هـ )
- التاريخ ، تحقيق أكرم ضياء العمرى ، ط ٢ ، دار طيبة ، الرياض ١٤٠٢هـ .

- ابن الجزرى : المبارك بن محمد بن عبد الكريم ، أبو السعادات ( ٦٠٦هـ ) .
- النهاية فى غريب الأثر ، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطبّاخى ، دار الفكر ، بيروت ( د.ت ) .
- أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني
- سنن أبى داود ، تحقيق محى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ( د.ت ) .
- الذهبي : الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ( ٨٣٧هـ )
- سير أعلام النبلاء ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ، ١٤٠٥هـ .
- رنسيمن : ستيفن
- الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، راجعه زكى على ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٩٣م .
- ابن زبر الربعى : محمد بن عبد الله بن احمد
- تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، تحقيق عبد الله أحمد الحمد ، دار العاصمة ، الرياض ، ١٤١٠هـ .
- الزبيدي : محب الدين محمد مرتضى الحسينى ( ت ١٢٠٥هـ )
- تاج العروس من جواهر القاموس ، ط ١ ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ .
- سالم : السيد عبد العزيز ، وأحمد مختار العبادى .
- تاريخ البحرية فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، الجزء الأول البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، مؤسسة شباب الإسكندرية ، ١٩٧٩م .
- ساليغان : رتشارد أ. ساليغان
- ورثة الإمبراطورية الرومانية ، ترجمة جوزيف نسيم ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٥م .
- ابن سعد : محمد بن منيع الهاشمى ، مولاهم - كاتب الواقدي - ( ت ٢٣٠هـ )
- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ( ب.ت )

السهيلي : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله

- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، تعليق طه عبد الروؤف سعد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨م .

السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر ( ت ٩١١هـ )

- تاريخ الخلفاء ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٧١م .

شامي : يحيى

- طرفة بن العبد ( حياته وشعره ) ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٧م .

ابن شبة : أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري ( ت ٢٦٤هـ )

- تاريخ المدينة ، ط ١ ، تحقيق محمود شلتوت ، نشر السيد حبيب ، المدينة المنورة ١٣٩٣م .

الصالحى الشامى : محمد بن يوسف ( ت ٩٤٢هـ )

- سبل الهدى والرشاد فى هدى خير العباد ، تحقيق مجموعة من العلماء ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٤٠٤م .

الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير ( ت ٣١٠هـ )

- تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧م .

- جامع البيان فى تفسير القرآن ( تفسير الطبرى ) ، دار الفكر ، بيروت لبنان ١٤٠٥م .

عبد الرزاق : أبو بكر بن همام الصنعاني .

- المصنف ، تحقيق حبيب عبد الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامى ، بيروت ١٤٠٣م .

عبد العليم : أنور

- الملاحة البحرية وعلوم البحار عند العرب ، عالم المعرفة ، الكويت ١٣٩٩م .

العدوى : إبراهيم أحمد

- الأمويون والبيزنطيون ( البحر المتوسط بحيرة إسلامية ) ، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة ١٣٧٢هـ .

العرينى : السيد الباز

- الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٢م .

ابن عساكر : أبو القاسم على بن الحسن ( ٤٩٩ - ٥٧١هـ )

- تاريخ دمشق ، مركز التراث ، الأردن ، عمان ١٤١٩هـ .

- تاريخ دمشق ، تراجم النساء ، تحقيق سكينه الشهابى ، ط ١ ، دمشق ١٩٨٢م .

على : جواد

- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٨م .

ابن فهد : عمر بن محمد ( ت ٨٨٥هـ )

- إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق فهم شلتوت ، مركز البحث العلمى ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ .

القرطبى : محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح

- الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق أحمد عبد العليم البردونى ، ط ٢ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٤١١هـ .

ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ( ت ٧٧٤هـ )

- البداية والنهاية ، ط ٣ ، مكتبة المعارف بيروت ١٩٧٨م .

- تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١هـ .

النسائى : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على ( ٢١٤ - ٣٠٣هـ )

- السنن الكبرى ، تحقيق عبد الغفار البندارى وسيد حسن ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١هـ .

- النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ( ٦٧٧ - ٧٣٣هـ )
- نهاية الأرب فى فنون الأدب ، دار الكتب الوطنية ، القاهرة ( ب. ت ) .
- ابن ماجه : الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ( ٢٠٧ - ٢٧٥هـ )
- سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ( د. ت ) .
- ماهر : سعاد .
- البحرية فى مصر الإسلامية وأثارها الباقية ، دار الكتاب العربى القاهرة ١٩٦٧م .
- ابن المبارك : عبد الله أبو عبد الرحمن الحنظلى مولاهم ( ت ١٨١هـ )
- كتاب الجهاد ، تحقيق ، نزيه حماد ، الدار التونسية ، تونس ١٩٧٢م .
- مجموعة من العلماء :
- المعجم الوسيط ، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، طبعته المكتبة الإسلامية ، استانبول ( د. ت ) .
- مسلم : الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابورى ( ت ٢٦١هـ )
- الجامع الصحيح ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ( د. ت ) .
- المقرئى : أحمد بن على ( ت ٨٤٥هـ )
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بـ ( الخطط المقرئيه ) ، دار صادر ، بيروت ( د. ت ) .
- الجامع الصحيح ( صحيح مسلم ) ، دار الآفاق ، بيروت ( د. ت ) .

- ابن منظور : محمد بن مكرم بن على ( ت ٧١١هـ )
- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ( د.ت ) .
- نخبة من الأساتذة : المتخصصين بجامعة الإسكندرية .
- تاريخ البحرية المصرية ، جامعة الإسكندرية ، الإسكندرية ١٩٧٣م .
- ابن هشام : أبو محمد عبد الملك المعافى ( ٢١٣هـ )
- السيرة النبوية ، تعليق طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة شقرون ، القاهرة ( د.ت ) .
- ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله ( ت ٦٢٦هـ )
- معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت لبنان ( د.ت )
- اليقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب ( ت ٢٨٢هـ )
- تاريخ اليقوبى ، دار صادر بيروت ١٣٧٩هـ .

# المحاولات العربية لفتح القسطنطينية

## فى العصر الأموى

د. صلاح حسن العاوير<sup>(\*)</sup>

---

يمثل ظهور الإسلام نقلة حاسمة فى تاريخ العرب ، إذ حقق لهم وحدتهم السياسية ، وجعل منهم أمة قوية موحدة مرهوبة الجانب ، تغلبت فى عصر الفتوحات زمن الخليفتين الراشدين أبى بكر وعمر على أمم عريقة فى الحضارة ، لها نظمها الإدارية والاقتصادية المنظمة . وأحس العرب بعد أن فتحوا بلادا تطل على البحر المتوسط بضرورة اصطناع سياسة بحرية لمواجهة غارات الروم البحرية ، أصحاب السيطرة البحرية على هذا البحر . ولم يكن الخليفة عمر بن الخطاب يرهب البحر ويخشاه أو يشفق على المسلمين من ركوبه ، كما يزعم البعض ، ولكنه كان بعيد النظر ، سديد الرأى فالعرب كانوا حديثى عهد بما بلغوه من حدود بحرية على البحر المتوسط . والعدو الذى يواجهونه هم الروم أو البيزنطيون خصم عنيد متمرس فى شؤونه وثقافته متدرب على ركوبه وخوض مياهه<sup>(١)</sup> . وكان أن أدرك الخليفة عمر أن العرب فى ذلك الدور المبكر لا يستطيعون مجاراة الروم فى البحر لقلة خبراتهم البحرية<sup>(٢)</sup> .

وقد علل ابن خلدون سبب امتناع العرب فى أوائل العصر الإسلامى من ركوب البحر بقوله<sup>(٣)</sup> : ( والسبب فى ذلك أن العرب لبدأوتهم لم يكونوا فى أول الأمر مهرة فى ثقافته وركوبه ، والروم والفرنجة لممارستهم أحواله ومزاياهم فى التغلب على أعواده ، مرنوا عليه فأحكموا الدراية بثقافته . فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت أمم البحر خولا لهم وتحت أيديهم ، وتقرب كل ذى صنعة إليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النوتية فى حاجاتهم البحرية أمما ، وتكررت

---

(\*) مدير مركز خان يونس - جامعة القدس المفتوحة .

ممارساتهم البحر وثقافته استحدثوا بصراء بها ، فتأقت نفوسهم إلى الجهاد فيه فأنشأوا فيه السفن والشوانى ، وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر المقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر ، واختصوا بذلك من ممالكهم وثورهم ما كان أقرب إلى هذا البحر وعلى حافته مثل الشام وأفريقية والمغرب والأندلس ) .

ومن أمثلة القصص والروايات التى نسبت إلى عمر بن الخطاب والتى يفهم منها كراهيته لركوب البحر وتخوفه منه ، ما هو سائد عند جمهور مؤرخى المسلمين من أن العرب لم يكونوا محيين لركوب البحر فى يوم من الأيام . وهذا قول خاطئ إذا ما أخذ على إطلاقه .

والواقع أن عمر كان بما جبل عليه من روية يستهدى المنطق السليم وهو يكبح جماح قواده عن الغزوات التى قد يبدو له فيها ولو نذر يسير من مخاطرة بأرواح المسلمين . ولم يكن سلوكه هذا مقصوراً على الحروب البحرية فحسب ، بل كان كذلك بالنسبة للحروب البرية ، فقد عارض أيضاً من قبل ما عرضه عليه عمرو بن العاص من فتح مصر رغم أن طريق الغزو كان براً . فعمر من حرصه على سلامة المسلمين كان يخشى أن يتسع نطاق الغزو إلى حدود لا يمكنه الدفاع عنها . وجرياً على السياسة الحميدة التى أنتهجها المسلمون وهى الشورى فى أمور الدولة العليا ، فقد رأى عمر أن يعرف آراء قادة المسلمين فى طلب معاوية غزو قبرص ، وهى غزوة بحرية ، وفيها من المخاطرة ما يستوجب الدرس والروية ، خاصة أنه لم يكن لدى العرب فى ذلك الوقت عدد كاف من السفن ينزلون به الأسطول البيزنطى إذا التقوا به<sup>(٤)</sup> .

وكان الصراع شديداً بين الدولة الإسلامية الفتية والإمبراطورية البيزنطية العتيدة ، وخاصة عقب فتح الشام ومصر ، فجهز البيزنطيون فى سنة ٢٥هـ — ٦٤٥م حملة بحرية من ثلاثمائة سفينة بأمر الإمبراطور قسطنطين بن هرقل



« كونسٲانز الٲانى » فى سرية تامة ، واستطاعوا استرجاع ثغر الإسكندرية بقاءة ما نويل .. وكانت مصر آنذاك تحت إمرة مندوب عمرو بن العاص وهو عبد الله ابن سعد أبى سرح . ولكن سرعان ما جهز عمرو عقب عودته للبلاد حملة برية استعاد بها الإسكندرية من أيدي البيزنطيين .

ويعتبر معاوية بن أبى سفيان فى الواقع مؤسس البحرية الإسلامية إذ فطن إلى أهمية الأسطول البحرى لحماية الثغور ورد هجوم البيزنطيين من البحر<sup>(٥)</sup> .

وكان أول من قام بغارة بحرية من شواطئ شبه الجزيرة هو عثمان بن العاص الثقفى والى البحرين ، فقد أبحر من عمان فى غارة جريئة على ساحل الهند « تانة » بالقرب من بمباى ، كما اتجه أخوه إلى خور « الديبل » عند مصب نهر السند ، ولما رجع جيش عثمان الثقفى من تانة كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يعلمه بذلك ، فكتب إليه عمر : ( يا أخا ثقيف حملت دودا على عود ، وأنى أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم )<sup>(٦)</sup> . وأراد العلاء بن الحضرمى خليفته فى ولاية البحرين أن يظهر جرأته وأقدامه فعبر إلى فارس وتوغل فيها بعيدا حتى اصطخر فارس ، وكان ذلك بتحريض من أهل ولايته فجمع لذلك اثنتا عشر ألفا من المسلمين وركب البحر . وعلى الرغم من أن المسلمين عادوا إلى البصرة محملين بالغنائم إلا أن الحملة باءت بالفشل وقد المسلمون سفنهم التى عبروا بها الخليج إلى فارس . فلما علم الخليفة بأمر تلك الحملة غضب على العلاء غضبا شديدا لأنه قام بها دون إذن منه لذا قرر عزله<sup>(٧)</sup> .

طلب معاوية بن أبى سفيان إلى عمر بن الخطاب وألح فى أن يأذن له بغزو بلاد الروم بحرا لقربها منه ، إذ كان يشغل وقتئذ ولاية الشام ، طلب عمر إلى والى مصر عمرو بن العاص أن يصف له البحر وراكبه ، على اعتبار أن مصر من الأمم التى مارست ركوب البحر وعرفت فنونه كما عرفت أخطاره ومخاوفه منذ العهد الفرعونى ، فكتب عمرو يقول : ( يا أمير المؤمنين إنى رأيت البحر خلقا

كبيراً يركبه خلق صغير ليس إلا السماء والماء ، أن ركد أحزن القلوب وإن ثار  
أزاع العقول ، يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة هم فيه كدود على عود إن مال  
غرق وإن نجا برق (٨) . فلما جاء عمر هذا الكتاب كتب إلى معاوية يمنع من  
ركوب البحر قائلاً : ( لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً . إنا  
سمعنا أن بحر الشام يشرف على أطول شئ على الأرض ، يستأن الله في كل يوم  
وليلة أن يفيض على الأرض فيغرقها ، فكيف أحمل الجنود في هذا الكافر  
المستصعب . وثأله لمسلم أحب إلى مما حوت الروم فأياك أن تعرض وقد تقدمت  
إليك وقد علمت ما لقي العلاء منى ولم أتقدم إليه في مثل ذلك (٩) .

وعلى الرغم من سياسة الحذر والحيلة التي انتهجها عمر في ركوبه البحر  
الأبيض المتوسط فإنه لم يتوان عن تسيير حملة بحرية في البحر الأحمر ضد  
الأحباش رداً على هجماتهم على السواحل الغربية (١٠) .

ففي سنة ٢٠هـ / ٦٤١م أرسل عمر علقمة بن مجزر في حملة بحرية عبر  
البحر الأحمر إلى الحبشة لينبذ عن المسلمين ويدفع عنهم هجمات على الشاطئ  
الحبشي وقد استبسل المسلمون في الحرب .

ولكن هذه الحملة منيت بخسارة جسيمة وغرقت السفن كلها ، وبسبب هذه  
الكوارث المتتابة صمم الخليفة ألا يقوم بأى عمل بحرى قائلاً : ( لا يسألني الله  
عز وجل عن ركوب المسلمين البحر أبداً ) (١١) .

ومع ذلك فقد بدأت الملاحة النهرية للمسلمين في عهد عمر ، فالخليفة  
أمر عمرو ببناء سفن لتحمل الغلال ومحصولات أخرى إلى المدينة قللاً : ( إن الله  
قد فتح على المسلمين مصر وهي كثيرة الخير والطعام وقد ألقى في روعي  
لما أحببت من الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم حين فتح الله عليهم مصر  
وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين أن أحفر خليجا من نيلها حتى يسيل في البحر

فهو أسهل لما يزيد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة فإن حمله على الظهر يبعد ولا نبليغ منه ما نريد (١٣) .

ولما تلكأ عمرو في تنفيذ ما أمر به الخليفة رد عليه عمر قائلاً :  
( إلى العاص بن العاص فقد بلغنى كتابك ... وأيم الله لتفعلن ... أو لأبعثن من يفعل ذلك ) (١٣) .

ويقال إنما دل عمرو بن العاص على الخليج رجل من قبـط مصر فعافاه عمرو من الضرائب مكافأة له ، فشق قناة ملاحية طولها ٦٩ ميلاً تصل بين النيل والبحر الأحمر ، وسميت خليج أمير المؤمنين ، وحينما اجتاحت المجاعة شبه الجزيرة العربية لعبت هذه القناة دوراً هاماً في نقل القمح من مصر إلى الجزيرة العربية فقد أفرغت عشرون سفينة محملة بمنتجات مصر حمولتها في ميناء الجار قرب المدينة المنورة ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه حاضراً مرحباً بهذه السفن عند وصولها (١٤) .

ولكن حين أراد عمرو بن العاص أن يجعل الإسكندرية حاضرة مصر كتب عمر يقول له : إني لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف . فلا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى أردت أن أركب إليكم براحتي حين أقدم إليكم قدمت .

ولعل في ذكر البحر والفلـك التي تجرى فيه بما ينفع الناس في آيات كثيرة من القرآن الكريم ما يشعر بأن من العرب من كانوا يعرفون ركوب البحر .

فقد ورد القرآن الكريم ٢٨ آية عن الفلك والبحر والملاحة منها في سورة النحل ما يؤدي معنى الصيد واستخراج اللؤلؤ ونقل التجارة والركاب : { وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون } (١٥) .

ومنها ما يتعلق بالملاحة الفلكية مثلما جاء فى قوله تعالى : { وعلامات  
وبالنجم هم يهتدون } (١٦) .

وفى سورة الأنعام : { وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر  
والبحر } (١٧) .

كما صور القرآن حال المسافرين فى بحر مضطرب لجى فى سورة النور  
فى قوله تعالى : { أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه  
سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له  
نورا فما له من نور } (١٨) .

وقوله تعالى : { مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأى آلاء ربكما  
تكذبان ، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان } (١٩) .

وقوله سبحانه وتعالى : { ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من  
فضله أنه كان بكم رحيم } (٢٠) .

فهذه الآيات الكريمة تشير فيما تشير إليه إلى تسخير البحر وتذليله وجريان  
الفلك فيه بطلب فضل الله كالربح بالتجارة واستيراد محاصيل الأمم الأخرى  
وغير ذلك من المصالح الدينية والدنيوية ، وهذا كله يتطلب السفر وركوب البحر .

وكذلك جاء ذكر البحر وركوبه فى الأحاديث النبوية فى سبيل نشر الدعوة  
الإسلامية ، فقد روى الجاحظ بن السنى عن الحسين بن على رضى الله عنه عن  
الرسول ﷺ فيما يذكره راكب البحر إلى الجهاد جهاد الكفار قال : { أمان لأمتى من  
الغرق إذا ركبوا البحر أن يقولوا بسم الله مجراها ومرساها ، إن ربى لغفور رحيم  
وما قدروا الله الحق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات  
بيمينه سبحانه وتعالى عما يشكرون } (٢١) .

## سياسة معاوية البحرية :

يرجع الفضل الأعظم فى إنشاء الأسطول العربى الإسلامى إلى معاوية بن أبى سفيان ، عامل الشام فى خلافة كل من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، الذى فطن إلى أهمية الأساطيل فى الدفاع عن السواحل أثناء قيام أخيه يزيد بغزو مدن الساحل فقد تعرض للكثير من المتاعب فى فتح بعض تلك المدن كقيسارية وطرابلس وعسقلان . أما قيسارية فقد عجز عمرو بن العاص عن فتحها ، إذ كانت تتلقى الإمدادات من البحر ، فتولى معاوية فتحها قسرا فى شوال ١٩هـ — ٦٤٠م بعد أن كان قد يأس من ذلك .

وأما طرابلس فقد استعصت على المسلمين فى ولاية يزيد بن أبى سفيان لمناعتها ووثاقة تحصيناتها ، وكان فتحها يستلزم حصارا برى وبحريا قد يطول أمده كما حدث فى حصار قيسارية الذى دام ما يقرب من سبع سنوات من جمادى الأولى سنة ١٣هـ إلى شوال سنة ٢٠هـ فاضطر يزيد إلى إرجاء فتح طرابلس حتى تتوفر لديه الإمكانيات<sup>(٣٢)</sup> . أما عسقلان فقد فتحها صلحا بعد كيد ، وأسكنها الروابط ووكل بها الحفظة . فلما توفى يزيد بن أبى سفيان فى طاعون عمواس آلت ولاية الشام إلى أخيه معاوية الذى كان يشاركه فى فتوحه لمدن الساحل .

أطل المسلمون على مياه البحر المتوسط من شواطئ طويلة ، تمتد من طرسوس شمالا إلى برقة جنوبا ، وتواجه فى هذه المياه أعداء ألداء ، دأبوا على الإغارة على هذه الشواطئ الإسلامية وقض مضاجعهم بها .

أدرك معاوية بثاقب نظره المقومات الضرورية اللازمة لبقاء المسلمين فى حوض هذا البحر ، والاحتفاظ بهيبتهم بين دوله . فالبحر المتوسط يعتبر منذ أقدم التاريخ المحور الذى دارت عليه أحداث النزاع بين قوى العالم الكبرى من أجل السيطرة والسلطان وكان بقاء الدولة المنتصرة رهنا بسيطرتها على مياه هذا البحر وما له من مراكز استراتيجية هامة . فتطلع معاوية إلى أبعاد مخابل البيزنطيين

التي كانت تتحفر لتتشب مرة أخرى في شواطئ الشام ، وعمد إلى الاستيلاء على الجزر القريبة من مقر ولايته والتي كانت قواعد للأساطيل البيزنطية ، تخرج منها لتسديد ضرباتها حيثما تشاء إلى أرض المسلمين<sup>(٢٣)</sup> .

وتعتبر فترة ولاية معاوية على الشام الحجر الأساسي في صرح العمليات البحرية الأموية فيما بعد ، وفاتحة المجد البحري الإسلامي على الإطلاق . وتجلت الخطوط الرئيسية لهذا البرنامج البحري الذي رسمه معاوية حين أرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه في غزو جزيرة قبرص مبينا له شدة خطورة هذا المعقل البيزنطي على سلامة مدن الشام ، إذ جاء في خطابه : ( يا أمير المؤمنين إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم ، وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص ) ، وختم خطابه بعد هذا الوصف الدقيق المؤثر طالبا السماح له بغزو هذه الجزيرة فرفض عمر طلبه<sup>(٢٤)</sup> .

ولكن معاوية لم يكن بالوالى الذى يغض عينه تماما عن أى خطر يلوح فى الأفق مهددا ولايته وأرض الإسلام . فكتب إلى عمر بن الخطاب مرة أخرى يعرض عليه سوء حال سواحل الشام وما هى عليه من خراب وافتقارها إلى وسائل الدفاع القوية ، إذ كانت الخطة التى اتبعت فى الفتوحات على عهد عمر هو أن المسلمين كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر من يحتاج لها إليه من المسلمين فإن حدث فى شئ منها حدث من قبل العدو ، سربوا إليها الإمداد . فكان هذا الأسلوب المتبع يتطلب العناية بحالة المدن الساحلية لتصبح مهياة لإقامة الجند الإسلامى ، وتمكنه من الدفاع عنها . ولم يتردد الخليفة عمر فى أن يطلق يد معاوية لإصلاح حال السواحل بما يراه كفيلا لسلامتها<sup>(٢٥)</sup> .

وامتثل معاوية لما أمره به عمر ، فحصن الثغور الإسلامية وشحنها بالمقاتلة الذين يرابطون بها طوال فصل الصيف ، ويتولون حراستها فى المناظر والأبراج والمناور ، وأقطع من ينزل السواحل من المسلمين القطائع والأخاند . وعلى هذا النحو أصبحت سواحل الشام سلسلة متصلة من التحصينات التى ترابط فيها

حاميات مرابطة تنقسم كل منها إلى عرافات أى مجموعات وكل عرافة تتألف من مائة رجل. وكانت هذه التحصينات مزودة فى أعلاها بمواقيد يشعلها الحراس والقائمون بالدفاع عن الساحل عند اقتراب سفن الأعداء منه ليلاً<sup>(٣٦)</sup> .

وبهذا حصن معاوية المدن الساحلية وزودها بالقوات المحاربة ، بما يجعلها قواعد فى المستقبل تنقل منها الجنود بحرًا إلى أى مكان يشاء . ووضع لهذه المدن نظامًا عرف بالرباط وهو ما يقصد به الأماكن التى تتجمع بها الجند والركبان استعدادًا للقيام بحملة على أرض العدو . واعتنى معاوية بهذا النظام حتى أصبح جزءًا مرتبطًا أشد الارتباط بالجهاد . حيث اجتذب الرباط إليه كل الأتقياء المتحمسين العاملين دائمًا على إعزاز الإسلام ونصرته .

فأصبحت الرباط حصونًا يتجمع فيها الجند للدفاع عن المناطق المعرضة لاغارات الأساطيل البيزنطية ، وملجأ يحتوى بها الأهالى فى المناطق التى يدهمها العدو . وقد خصص حاميات فى الرباط لإنذار الأهالى فى المناطق الساحلية بأن يأخذوا حذرهم إذا ما لاح خطر السفن البيزنطية فى مياه الإقليمية . فكان الحصن فى الرباط يضم حجرات للجند ومساكن لهم ومخازن للأسلحة والمؤن ، وبرج للمراقبة . ثم لم يلبث الرباط أن اتسع وازدادت أهميته حتى أصبح قاعدة للهجوم وشن الغارات<sup>(٣٧)</sup> .

ولما قويت شوكة المسلمين بعد ذلك وتوسعت فتوحاتهم وزادت خبرتهم بالبحر وفنونه كتب معاوية إلى عثمان يستأذنه فى غزو جزيرة قبرص .

ويعلمه قريبا وسهولة الأمر فيها ، فرد عليه ينهاه عن ذلك كما نهاه عمر بن الخطاب من قبل ، ويأمره بتحصين السواحل وشحنها وإقطاع من ينزله إياها القطائع ففعل .

وفى بداية خلافة عثمان تغلب البيزنطيون على بعض سواحل الشام ، فقصده لهم معاوية حتى افتتحها ، ثم رمها وشحنها بالمقاتلة ، ومنحهم القطن (٣٨) .

### فتح قبرص سنة ٢٨هـ :

وفى سنة ٢٧هـ أعاد معاوية طلبه موضعاً أهمية البحر مهوناً ركوبه فأنن له عثمان وأوصاه : ( فإن ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأنوناً لك وإلا فلا ، ولا تتخب الناس ولا تفرع بينهم ، خيرهم فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه ) (٣٩) . وقد نفذ معاوية أمر الخليفة وحمل معه امرأته فأخته بنت قرظة وجماعة من الصحابة فيهم أبو الدرداء ، وأبو ذر الغفارى ، وفضالة بن عبيد الأنصارى ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت الذى حمل معه زوجته أم حرام بنت ملحان الأنصارية . وأعدت السفن لنقل القوة العربية على ساحل عكا ، وهناك أقام معاوية بعض الوقت رمم خلاله تحصينات عكا وصور ، ثم أبحرت الحملة إلى قبرص فى ربيع سنة ٢٨هـ ، وكانت هذه الحملة أول غزو للمسلمين فى البحر ، ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها . وما كادت السفن العربية ترسو إلى ساحلها حتى أذعن أهل قبرص بالطاعة للمسلمين ، وبعث حاكمها يطلب الصلح ، فصالحه معاوية على جزية سنوية يؤديها له أهلها ، واشترط عليهم أن يلتزموا موقفاً حيادياً فى الصراع العربى البيزنطى ، وأن يبلغوا المسلمين بسير عدوهم من البيزنطيين .

فلما كانت سنة ٣٢هـ أعان أهل قبرص البيزنطيين على الغزو فى البحر بسفن قدموها لهم فغزاهم معاوية فى سنة ٣٣هـ فى خمسمائة سفينة ، وافتتح قبرص فى هذه المرة عنوة ، ثم أقرهم على صلحهم (٣٠) .

وعاد معاوية إلى الشام منتصراً ، مدوناً أول سطر فى سجل النشاط البحرى الإسلامى وحقق فوزاً باهراً فى ميدان جديد ، رفع به من روح المسلمين المعنوية ، وأزال ما اتصف به العرب من تهيب لركوب المياه ، واطهر أنهم فى سبيل عزة



الإسلام وأرضه يذللون سائر العقبات . كذلك برهن معاوية بانتصاره على أهالي قبرص أن سياسته البحرية قامت على أسس وطيدة لا بد أن يؤتى أكلها ، حيث كلن خضوع قبرص لمطالب معاوية بداية طريق جديد سلكه المسلمون مظفرين .

وهكذا بدأ نشاط بحرى إسلامى اتسم بطابع الغارات سنويا ، صيفا وشتاء «الصوائف والشواتى» على الجزر البيزنطية ، التى يخشى خطرها ، أو التى قد ينبعث منها ضرر يحيط بأرض الإسلام . وأثبت المسلمون فى هذه المرحلة المبكرة من تاريخهم البحرى فهما جيدا لطبيعة الجزر البيزنطية فى البحر المتوسط الشرقى، إذا رأوا ضرورة الاستيلاء عليها لما تتمتع به من مراكز استراتيجية هامة، ولشل حركات البيزنطيين البحرية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

ولذا سارت الغارات الإسلامية على هذه الجزر وفق خطوات منظمة مرسومة تهدف أولا إلى تأمين سلامة البلاد الإسلامية من الجزر القريبة مباشرة من أراضيهم ، ثم الاستيلاء على غيرها من الجزر التى تتحكم فى أكبر عدد من المضائق البحرية لسد الطريق فى وجه الأساطيل البيزنطية . وأظهر أمراء البحار المسلمون فى سبيل تنفيذ هذه الأهداف من المهارة والجلد ما رفعهم إلى مصاف كبار رجال البحار الذين عرفهم التاريخ .

وقد استرعى نظر المسلمين أثناء إغارتهم على قبرص وقوع جزيرة تدعى أرواد بالقرب من ساحل الشام بين مدينة جبلة وطرابلس وكان أهلها يحترفون القرصنة . وكان أن عقد معاوية العزم على التخلص من مخاوفه من تلك الجزيرة بالاستيلاء عليها وأعد حملة لمهاجمتها سنة ٢٩هـ أى فى العام التالى لعودته من جزيرة قبرص بعد إغارته الأولى عليها . واستطاع المسلمون أن ينزلوا بأرض الجزيرة ، ولكن رفض الأهالى الإذعان لهم والتسليم ، واعتصموا بقلعة

الجزيرة . وهكذا عاد المسلمون إلى دمشق مصممين على تأديب أهالي هذه الجزيرة في العام التالي .

وفي العام التالي هاجم المسلمون جزيرة أرواد بقوة كبيرة ، وأحرقوا العاصمة وقلعتها ، وألزموا جميع أهاليها بإخلاء الجزيرة تماما جزاءا على عنادهم الذي تجلى في مقاومتهم الشديدة في المرة السابقة . ولم يكن في هذا التصرف الذي اتخذه المسلمون شئ من التعسف ، وإنما جاء وليد بعد نظرهم وفهمهم لطبيعة سكان هذه الجزيرة ، ووسائلهم التي اعتمدوا عليها لإنهاك مهاجميهم . فكان أهالي أرواد يتجنبون دائما الهزائم القاصمة ، ويحتفظون بقوتهم ونشاطهم بالاعتصام بالمياه حتى يزول الخطر المحيق بهم ، ولذا قضى المسلمون نهائيا على هذه الجزيرة ومنعتها ، وأمنوا ما قد يجيش بنفوس أهاليها من عدوان ، ولا سيما بعد أن كشفوا القناع عن نواياهم في وضوح وجلاء<sup>(٣١)</sup> .

### إعادة فتح قبرص عام ٣٣هـ / ٦٥٣ - ٦٥٤ م :

وفي عام ٣٣هـ / ٦٥٣ م قام المسلمون بهجوم ثان على قبرص لأن القبارصة لم يرعوا شروط الصلح التي فرضها معاوية ، وكانت تهمتهم أنهم أعاروا الإمبراطور سفنا ، فخرج إليهم أسطول إسلامي يتكون من خمسمائة سفينة تحت إمرة أبي الأعور ، ولكن السكان عندما سمعوا بهذا النبأ اعتصموا بالتلال ، وبقي أبو الأعور أربعين يوما في كونستانتيا حتى أذعن له الأهالي ووعدهم أن يؤمنهم على حياتهم ، وعاد إلى سوريا ومعه الغنائم الوفيرة بعد أن ترك وراءه قوة من اثني عشر ألف رجل في مدينة شيدت لهم خصيصا وثبت شروط الجزية التي فرضت عليهم في المرة الأولى وقد شيد المساجد في هذه الجزيرة<sup>(٣٢)</sup> .

### فتح رودس سنة ٣٣هـ / ٦٥٣ - ٦٥٤ م :

وفي سنة ٣٣هـ / ٦٥٣ - ٦٥٤ م اتجه الأسطول الإسلامي نحو رودس أهم جزر بحر إيجه ، وأعلاها مكانة في الدولة البيزنطية من حيث نشاطها البحري ،

وحركة صناعة السفن بها . فهذه الجزيرة أول حلقة في سلسلة أرخبيل بحر إيجه من ناحية الشرق ، وتمتد من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى على بعد اثنى عشر ميلا تقريبا من الساحل لآسيا الصغرى . وأهلها هذا الموقع لأن تكون خطرا جاثما على أطراف الشام الشمالية المتاخمة للحدود البيزنطية بآسيا الصغرى ، وشوكة مسلطة على إقليم العواصم والثغور الشامية .

وكانت هذه الحملة تحت قيادة جنادة بن أمية الأزدي ، الذى استطاع أن يستولى على الجزيرة عنوة ، وأسس المسلمون فيها رباطا لهم يدافعون منه عن الشام ، وأمر معاوية ببناء حصن بالجزيرة ، وبعث إليها جماعة من المسلمين يتولون الدفاع عنها وبلغ من اهتمامه بحماية رودس أنه كان يجدد أفرادها دائما ، ويسحب الذين قضوا بالجزيرة مدة طويلة ليبقى على بأس الحامية وقوتها . وأثر معاوية أن يحيط المسلمين فى رودس بالجو الإسلامى الدينى ، ويعلى راية الإسلام بين سائر أهاليها ، فأرسل إليها فقيها يدعى مجاهد بن جبر يقرئ الناس القرآن ويفقههم فى الدين .

وأراد معاوية أن يتوج حملاته البحرية بغلق بحر إيجه وسد منافذه الرئيسية فى وجه السفن البيزنطية ، ومنعها من الوصول إلى بلاد المسلمين . وعمل على تحقيق ذلك بالاستيلاء على جزيرة إقريطش ( كريت ) ، إذ تسيطر هذه الجزيرة تماما على بحر إيجه ، الذى يشبه طرفه الجنوبى فوهة قربة تمتد إقريطش عبرها بامتدادها البالغ ١٦٠ ميلا ، وتقسم الجزيرة هذه الفتحة إلى مدخلين تتحكم فى كل منهما . وأرسل معاوية جنادة الذى استولى على رودس لفتح هذه الجزيرة الهامة ومنع الأساطيل البيزنطية من التسلل عبر الفتحات البحرية المتاخمة لمهاجمة السلم . على أن جنادة لم يستطع الاستيلاء على هذه الجزيرة لضخامتها واكتفى بالإغارة عليها والبطش بالبيزنطيين وأساطيلهم بها<sup>(٣٣)</sup> .

ونستطيع القول أن هذه الحملات دعمت سيادة العرب على الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط . فقد أدرك الإمبراطور قنسطانز ومن جاء بعده من الأباطرة أن الأسطول الإسلامي صار قوة عظيمة في البحر الأبيض المتوسط ، وأن دولة الروم لن تستطيع بعد الآن إخراج العرب من الديار التي حلوا بها على شاطئ هذا البحر ، فصرفوا النظر نهائياً عن فكرة استرداد البلاد التي كانت تابعة لهم من يد العرب ، وفضلوا الاعتراف بالأمر الواقع .

### معركة ذات الصواري ٣٤هـ / ٦٥٥م :

كان النجاح البحري الذي حققه المسلمون في قبرص ورودرس وكريت وأرواد حافزاً شجع معاوية بن أبي سفيان على توسيع خطته البحرية لتأمين أرض الدولة الإسلامية وإزالة أية شبح بيزنطى يحتمل أن يهدد أمنها .

فاتجه نظره إلى القسطنطينية المحرك الذي يدير شؤون الدفاع البحري عن الجزر البيزنطية في البحر المتوسط فهي الرأس المدبر للتنظيم البحري للدولة البيزنطية .

وأدرك المسلمون ألا استقرار لفتوحاتهم إلا بالاستيلاء على القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية وإدخالها في حظيرة الإسلام ، كما تم لهم من قبل الاستيلاء على المدائن عاصمة الدولة الفارسية .

وانقسمت الإدارة البيزنطية البحرية إلى قسمين لكل منهما اختصاصاته ، ومظاهر تعاونه مع بعضها البعض بما يكفل صد أي عدوان يقع على أراضي الدولة البيزنطية . فكان هناك نوعان من الأساطيل التابعة للإدارة البحرية البيزنطية، الأولى أساطيل تابعة للأقاليم والمقاطعات التي تنظمها الدولة البيزنطية، والثانية أساطيل خاصة بالعاصمة نفسها .

وكان التعاون بين الأسطولين البيزنطيين إبان غارات معاوية البحرية غير وثيق لفساد الأحوال في العاصمة البيزنطية ، وامتلائها بالمؤامرات والفساد ولكن ما كاد الإمبراطور قنسطانز الثاني ينفرد بالعرش ويبلغ سن الرشد ، حتى عمد إلى مقاومة نشاط معاوية البحري<sup>(٣٤)</sup> ، فعمل على بث روح الحياة والنشاط في أسطول العاصمة لشد أزر أساطيل الولايات ، استعداداً لمناهضة حركات معاوية المقبلة .

وكان معاوية على رأس القوات البرية المتجهة إلى مدينة قيصريّة في قبادوقيا في آسيا الصغرى . أما الأسطول الإسلامي المكون من سفن شامية ومصرية فكان بقيادة عبد الله بن أبي السرح الذي ألقى مرساه بالقرب من ساحل ليكيا عند فوينكس حيث بلغه هناك نبأ اقتراب أسطول بيزنطي على رأسه الإمبراطور نفسه يهدف صد تقدمه .

ودلت استعدادات الأسطول البيزنطي على أن قنسطانز الثاني صمم على وضع حد لاتساع الفتوحات الإسلامية وكسر شوكتها نهائياً ، على حين دلت المجهودات التي بذلها معاوية في إعداد أساطيله على صدق عزيمة المسلمين في الجهاد أرض الإسلام ، وإظهار التعاون الوثيق بين قوات مصر والشام البحرية في هذه المرحلة المبكرة من دخولها في حظيرة الإسلام<sup>(٣٥)</sup> .

والتقى الجمعان في البحر وكانت الرياح غير ملائمة فقضى المسلمون والبيزنطيون ليلتهما انتظاراً لما يسفر عنه الصباح ، وأخذاً يستعدان فيها ويعملان على تقوية روحهما المعنوية . فبات المسلمون ليلتهم يصلون ويدعون الله على حين قضى البيزنطيون ليلتهم يضربون بالنواقيس . وفي صبيحة اليوم التالي دارت المعركة .

وقد هال المسلمين منظر البحر الذي امتلأ سفناً بيزنطية . ويروى الطبري رواية على لسان مالك بن أوس بن الحدثان أحد رجال المسلمين قال<sup>(٣٦)</sup> : ( كنت معهم في البحر ، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلاً قط ، وكانت الرياح علينا

فأرسلنا ساحة ، وأرسلوا قريباً منا ، وسكنت الريح عنا فقلنا : الأمن بيننا وبينكم . قالوا : ذلك لكم ولنا منكم ، ثم قلنا : إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم ، وإن شئتم فالبحر . قال : فنخروا نخرة واحدة ، وقالوا : الماء فدنونا منهم فربطنا السفن بعضها إلى بعض حتى كنا يضرب بعضنا بعضاً على سفننا وسفنهم فقاتلنا أشد القتال ، ووثب الرجال على الرجال يضربون بالسيف على السفن ويتواجثون بالخناجر ، حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج ، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما ) .

وهكذا اشتبكت سفن المسلمين مع سفن الروم في معركة عنيفة ، بعد أن ربط المسلمون سفنهم بعضها إلى بعض وحولوا المعركة البحرية إلى معركة أقرب ما تكون إلى المعارك البرية وقام عبد الله بن سعد بصف المسلمين على نواحي السفن وجعل يأمرهم بقراءة القرآن ، ويأمرهم بالصبر والثبات فكان القتال شديداً ، وقتل من الجانبين أعداداً هائلة وانتهت المعركة بانتصار حاسم للمسلمين ، ولم ينج من الروم إلا من تمكن من الهرب<sup>(٣٧)</sup> .

( وأقام عبد الله بذات الصواري أياماً بعد هزيمة القوم ، ثم أقبل راجعاً )<sup>(٣٨)</sup> .

وبهذا الانتصار الرائع ثبتت للمسلمين السيطرة على حوض البحر المتوسط والتفوق على البيزنطيين ، ويعتبر هذا الانتصار حداً فاصلاً في تاريخ البحر المتوسط ، ذلك أن قنسطانز كان يرمى إلى تحطيم قوة المسلمين البحرية في مهدا ، ولو أنه وفق في ذلك لظلت سيادة البحر الأبيض أو حوضه الشرقي على الأقل بيد البيزنطيين دون المسلمين<sup>(٣٩)</sup> .

غير أن معاوية لم يفد من هذا النصر الذي أحرزه في متابعة الغزو البحري ، فقد شغل بالمطالبة بدم عثمان منذ سنة ٣٥هـ ، ومناوءة على بن أبي طالب من أجل الظفر بالخلافة عن مواجهة البيزنطيين ، أما هؤلاء فقد اغتتموا ذلك لتدعيم جبهتهم ، ثم وجهوا هجوماً عاتياً على سواحل الشام في سنة ٤٩هـ . ويبدو أن

البيزنطيين سببوا بهذا الهجوم خسائر كبيرة للمسلمين حملت معاوية على إقامة دار لصناعة الأسطول في عكا ، لتنتج له سفناً بدلاً من الاعتماد على دار صناعة مصر وحدها ، فأمر بجمع الصناع والنجارين فجمعوا . ورتبهم على السواحل ، وظلت عكا دار الصناعة في الشام إلى أن نقلت في زمن بني مروان إلى صور<sup>(٤٠)</sup>.

ومنذ أن أسست دار الصناعة بعكا حتى أخذ المسلمون يشكلون خطراً متزايداً على البيزنطيين ، فقد استعمل معاوية على البحر القائد العربي عبد الله بن قيس الذي غزا خمسين غزوة ما بين شامية ودعائفة .

والجدير بالذكر أن هذه الموقعة قد دارت بالقرب من ساحل ليكيا ، والسبب الذي دعا المسلمين إلى الاقتراب من هذا الساحل بآسيا الصغرى أن المسلمين كانوا يسعون إلى الحصول على مصدر جديد للأخشاب الجيدة اللازمة لصناعة السفن ، مثل خشب البلوط الصلد اللازم لصناعة الصواري والقرايا والأقواس ، وخشب التتوب الكليكي الذي ينمو في آسيا الصغرى ، والعرعر الشبيه بشجر الأرز ، ونستدل على هذا الرأي بأن كلمة ذات الصواري لم تطلق نسبة إلى كثرة صواري السفن ، كما يزعم فريق من المؤرخين المسلمين<sup>(٤١)</sup> ، ولكن نسبة إلى موضع بهذا الاسم استنتاجاً من قول الطبري<sup>(٤٢)</sup> : ( فركب في مركب وحده ما معه إلا القبط حتى بلغوا ذات الصواري ، فلقوا جموع الروم في خمسمائة مركب أو ستمائة ) ، وقوله أيضاً : ( وأقام عبد الله بذات الصواري أياماً بعد هزيمة القوم ) ، ولا يمكن أن يسمى موضع بهذا الاسم إلا لكونه مصدراً لأخشاب تصنع منها الصواري .

ومن هذا الوقت لم تتعرض قوة المسلمين لأي تهديد خطير وأصبحت مصر والشام في مأمن من هجمات الروم ولو أن بعض المدن الساحلية ما فتئت تتعرض لغارات فردية لم يكن لها تأثير على الوضع العام للمسلمين .

## محاولات الأمويين فتح القسطنطينية

المحاولة الأولى لفتح القسطنطينية ( ٥٤ - ٦٠ هـ / ٦٧٣ - ٦٧٩ م ) :

لم ينتهز معاوية فرصة النصر فى معركة ذات الصواري ويهاجم القسطنطينية لأن أسطول المسلمين منى بخسائر لا يستهان بها ، ولذلك نبذ فكرة حملة القسطنطينية ذاك العام ، وفى ساعة النصر الحيوية قتل الخليفة عثمان ، وصاحب ذلك قلق داخلى ورأى معاوية أنه من الأفضل عقد هدنة مع الامبراطور قسطنطز الثانى سنة ٣٨ هـ / ٦٥٩ م وتعهد فيها معاوية بأن يدفع مائة ألف دينار . ولكن سرعان ما رفض المسلمون دفع هذه الإتاوة بعد ذلك ، مما أدى إلى فتح الطريق أمام حملات جديدة أمكن للقوة البحرية الإسلامية أن تلعب دورها فيها<sup>(٤٣)</sup> .

والواقع أن فتح القسطنطينية كان هدفاً ترنو إليه أفئدة المسلمين ، إذ كانت هذه المدينة حاضرة البحر المتوسط الكبرى ومركزاً للتجارة وسوقاً وداراً للمقاصدة لجزء كبير من العالم المتحضر ، وقد بشر الرسول ﷺ بفتح القسطنطينية وأخبر أن الله سبحانه وتعالى سيغفر الذنوب جميعاً لجنود أول جيش يحاصرها ويفتحها ، قتل ﷺ : ( أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم )<sup>(٤٤)</sup> .

وأراد معاوية بن أبى سفيان أن يضرب ضربة قوية يقسم بها ظهر الامبراطورية البيزنطية وذلك بالاستيلاء على عاصمتها القسطنطينية وخيل إليه أن سقوط العاصمة سيجعل الإمبراطورية كلها تخر له كما خرت من قبل إمبراطورية الفرس بعد سقوط عاصمتها المدائن . ولم يكن ثمة ما يتوقع معاوية من أجله الفشل فقد اختبر المسلمون قوة بيزنطة فى الميادين المختلفة وجمع الخليفة المعلومات الكافية عن تحصينات المدينة ومواطن الضعف فيها وأعد لهذا الأمر الجليل عدته .

وكان أن وجه معاوية عنايته إلى الأسطول فأكثر من دور صناعة السفن فى الشواطئ السورية والمصرية فتضاعف إنتاج السفن وبلغ عددها فى أيامه ألفاً



وسبعمائة سفينة ذوات أحجام مختلفة وبعد أن تم تجهيز الجيش أخذ يشن على الروم حربا شعواء رتب فيها الشواطىء والصوائف حتى لا يترك للبيزنطيين فترة من الزمن يريحون فيها جندهم وتيسيرا لذلك الصدام المستمر نقل ميدان تجهيز الجند من الجابية إلى معسكر دابق القريب من الحدود .

ومهد معاوية للحروب التى خاضتها قواته البحرية والبرية حول القسطنطينية نفسها فيما بين عامى ٥٤ - ٦٠هـ بحملات استطلاعية برية وبحرية متتابعة بقصد دراسة الطرق المؤدية إلى الحاضرة البيزنطية .

فى سنة ٤٩هـ أرسل حملة برية لغزو القسطنطينية بقيادة سفيان بن عوف ثم أُرْدِف به ابنه يزيد بعد ما أصاب المسلمين جوع ومرض شديد وقد اشرك فى هذه الحملة تحت قيادة يزيد بن معاوية كبار الصحابة مثل ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبا أيوب الأنصارى .

فأوغلت الحملة فى بلاد الروم حتى بلغ المسلمون القسطنطينية واشتبكوا مع البيزنطيين فى قتال عنيف وتغانى المسلمون فى القتال ، واستشهد من أبناء الصحابة عبد العزيز بن زرارَةَ الكلابى فلما بلغ خبر استشهاده معاوية قال : والله هلك قتلى العرب<sup>(٤٥)</sup> . وفى هذه الواقعة توفى أبو أيوب الأنصارى وهو يحاصر القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها ، وعاد يزيد بعد ذلك مع جيشه إلى الشام فى نفس العام .

لقد أصبح قبر أبى أيوب الأنصارى مثار قصص وأشعار تدعو المسلمين لمعاودة الحصار وفتح القسطنطينية حتى لا يبقى البطل أبو أيوب وحيدا فى مدفنه بتلك البقاع<sup>(٤٦)</sup> .

فمعاوية منذ أن كان واليا كان يحلم بفتح القسطنطينية ولما تولى منصب الخلافة أراد أن يضع هذا الحلم موضع التحقيق لذلك بدأ بالعمل من حيث انتهى قبل عشرة سنوات حين اضطر لعقد صلح مع البيزنطيين ، وكما رأينا فقد احتل العرب

أنداك قبرص وروُدس وكيوس خلال الفترة الأولى من معاركهم البحرية مع بيزنطة، وبعد أن تسلم معاوية الخلافة أكمل احتلال هذه السلسلة من الجزر الموصلة إلى القسطنطينية باحتلال جزيرة كزيكوس «أرواد» التي تقع بجوار العاصمة البيزنطية مباشرة . وهكذا أصبح للعرب قاعدة للانقضاض على القسطنطينية لا يفصلها عن الهدف إلا مسافة قصيرة . وقبل أن يوجه معاوية الضربة القاضية لبيزنطة ، احتل قسم من أسطوله أزميز وذلك سنة ٥٣هـ / ٦٧٢م كما احتل قسم آخر من هذا الأسطول شواطئ ليسيا وكيليكيا<sup>(٤٧)</sup> .

واتخذ المسلمون أرواد مقراً لإدارة حملتهم على القسطنطينية . فكانت الأساطيل الإسلامية تتقل الجنود من هذه الجزيرة إلى البر لمحاصرة أسوار القسطنطينية ، على حين يكمل الأسطول حلقة الحصار بأن تقف سفنه بين رأس هيدومون التي تبعد سبعة أميال عن أسوار المدينة ، وبين رأس كيكليبيوس الواقعة بالقرب من باب الذهب . واستمر الحصار البري والبحري للقسطنطينية من شهر إبريل إلى سبتمبر تتخلله مناوشات بين أساطيل وجنود المسلمين والبيزنطيين من الصباح إلى المساء ، على حين تتراشق القوات البرية الإسلامية مع الجند البيزنطي المرابط على أسوار القسطنطينية بالقذائف والسهام .

واستطاعت المدينة أن تصمد أمام الحصار طيلة هذا الوقت لأن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع ملأ خزائنها بالمؤن والعتاد ، وأصلح أسوارها قبل هجوم المسلمين بزمان يسير . على أن المسلمين أظهروا من المثابرة والجد ما أثار قلق سكان القسطنطينية . إذ في شهر سبتمبر عادت السفن والجند الإسلامي إلى مقرها بجزيرة كزيكوس تقضى بها فصل الشتاء وتنتظر تحسن الأحوال الجوية لإعادة الحصار على المدينة . وبمطلع الربيع عادت السفن الإسلامية محملة بالجند لحصار القسطنطينية براً وبحراً على النحو السالف ، وأذاقت حاميات المدينة أشد أنواع الضنك والإرهاق . وقد اقتصرَت العمليات الحربية بين المسلمين والبيزنطيين

على الربيع والصيف فقط طيلة السنوات السبع التى استغرقتها عملية حصار القسطنطينية فى هذه المرة .

وكان البيزنطيون قد جهزوا سفنا مزودة بآلات خاصة تقذف نوعًا من النار لا يطفئها الماء ، وإنما يزيد لها اشتعالاً ، واستطاعوا أن يحرقوا كثيرًا من السفن الإسلامية بهذا السلاح الجديد . على أن هذا السلاح لم يثن المسلمين عن عزمهم ، ولم يفت فى عضدهم ، أو يبعث فى نفوسهم القنوط ، إذ تابعوا الحصار كلما تهيأت لهم العوامل الطبيعية من اعتدال المناخ أثناء الربيع والصيف .

وساهم كثير من القادة الأمويين فى إدارة عمليات هذا الحصار ، فخلف القائد عبد الرحمن بن خالد شخصية أخرى كبيرة ، وهو سفيان بن عوف واشترك ولى العهد يزيد بن معاوية فى حصار القسطنطينية كذلك ، حتى أن هذه الشخصيات الهامة ألهمت روح الجند الإسلامى حماسة ، وشجعته على متابعة النضال طيلة السنوات السبع . ولكن فى نهاية تلك الفترة أحس معاوية بن أبى سفيان دنو أجله ، وأن صالح الدولة الإسلامية العام يحتم سحب قواته المرابطة أمام القسطنطينية (٤٨) .

ومن ثم دخل معاوية فى مفاوضات مع الدولة البيزنطية تمهيدًا لسحب قواته المحاصرة للقسطنطينية وإعادتها إلى قواعدها بالشام .

وكانت الدولة البيزنطية تتلهف لإنهاء حالة الحرب مع الدولة الإسلامية ، إذ أرسلت إلى دمشق رجلاً يدعى يوحنا ، من أشهر رجالها الدبلوماسيين وأكثرهم ذكاء وفطنة . وحضر هذا الرجل جلسات كثيرة تضم خيرة أبناء البيت الأموى ، وأبدى فيها من الإجلال للدولة الإسلامية ما أكسبه تقدير معاوية واحترامه . ونجحت مفاوضاته فى عقد صلح بين الطرفين مداه ثلاثون سنة . وبعد إبرام المعاهدة أخذت القوات الإسلامية المرابطة برًا وبحرًا أمام القسطنطينية تلم شملها للعودة إلى الشام ، وتركت عاصمة البيزنطيين تنن من جراحها المثخنة (٤٩) .

ونستطيع أن نجمل الأسباب التي أدت إلى فشل المسلمين في فتح القسطنطينية في عهد معاوية بن أبي سفيان إلى :

استخدام المدافعين عن القسطنطينية النار الإغريقية ذلك السلاح البحري المرعب الذي لا ينطفئ بملامسته الماء ، فأوقع أضرار جسيمة بسفن الأسطول الإسلامي .

وتحصينات المدينة الطبيعية لا يتيسر التغلب عليها ، وأيضاً الأسوار البرية التي أقيمت في القرن الخامس الميلادي ، وتكونت من جدار داخلي وآخر خارجي أقوى ما عرف في الأزمنة الغابرة ، وكانت الأسوار الداخلية على بعد بضع ياردات خلف الأسوار الأمامية ، وأعلى منها حتى يمكن قذف النار الإغريقية من أربع مستويات مختلفة على المحاصرين .

أما أسوار البحر ، فكانت أقل مناعة لعزلتها ، ولكن الأسطول البيزنطي كان يحميها ، ولو أن هذا الأسطول لم يكن متفوقاً على الأسطول الإسلامي إلا أنه كان رابضاً في مأمن في القرن الذهبي تحميه السلسلة العظيمة التي مدت عبر المدخل ، لذا لم يقدم المهاجمون على مهاجمة واجهة المدينة من جهة البحر حيث يكونون عرضة من هجوم مضاد من المراكب البيزنطية التي يمكن إرسالها من القرن الذهبي .

إن القسطنطينية لم تكن في موقع مكشوف بل كان يحميها بحر الأرخبيل وجزائره وخليجانه ، هذا من ناحية ومن ناحية الأخرى حماها بحر مرمرة ومن بعده البحر الأسود . هذا في حين كانت مراكز القوة العربية البحرية في مصر وسورية وإفريقية مكشوفة<sup>(٥٠)</sup> .

هذا بالإضافة إلى أن أسوار القسطنطينية المنيعة وما فوقها من أبراج دأب الروم على حفظها وصيانتها .

وحملات المسلمين فقدت بشكل شبه دائم عنصر المفاجأة ، فساكن شمال بلاد الشام مع أجزاء كبيرة من الجنوب كانوا يدينون بنفس العقيدة التي كانت تدين بها بيزنطة لذلك كانت بيزنطة تعرف دائماً وبشكل مسبق أخبار الحملات وغاياتها وما لها وما عليها وكانت بيزنطة تملك من المقدرة ما يمكنها من الاستعداد التام قبل وصول الخطر بوقت كاف .

يضاف إلى ذلك ضعف الخطط الإسلامية التي رسمت لفتحها حيث أن المسلمين صرفوا معظم جهدهم من الجهة الآسيوية وكان عليهم أن يقوموا بعزل القسطنطينية من الجهة الأوروبية حتى يمنع عنها العون الأوروبي ، كما فعل آل عثمان فيما بعد.

وقابل هذا الضعف في الخطط الإسلامية استبسال الروم في الدفاع عن مدينتهم لأنهم اعتقدوا أن الأمر أصبح بالنسبة لهم مسألة حياة أو موت فما بعد ذلك الخطر الداهم الذي يكاد ينتزع قلب دولتهم شيء يلهب الحماس ويزيد الحمية خاصة بعد أن وجدوا أنفسهم أمام عدو يعمل لنشر عقيدة تغاير عقيدتهم وليس وراءهم من يستطيع أن يحمي العقيدة المسيحية آنذاك فاتخذت الحرب في نظرهم صبغة دينية فاستبسلا في الدفاع .

هذا كله فضلاً عن عوامل طبيعية ، منها هبوب رياح عاتية على الأسطول الإسلامي أثناء سيره بالقرب من سواحل آسيا الصغرى دمرت عدداً كبيراً من سفنه وتفشى المرض في المسلمين المرابطين في بلاد لم يألفوا الإقامة في مثل مناخها البارد .

وكان البيزنطيون يملكون ما يلزم لصناعة الأساطيل من أخشاب وحديد وغير ذلك ، واستطاعوا أن يحولوا دون حصول المسلمين على ما يلزمهم منها . لذا جددوا أسطولهم باستمرار .

### المحاولة الثانية لفتح القسطنطينية ( ٩٨ - ٩٩ هـ / ٧١٧ - ٧١٨ م ) :

وبدأ التأهب للحصار الثانى منذ بداية عهد الوليد بن عبد الملك ، الذى تسابع سياسة تقوية الأسطول الإسلامى وعمل على تنسيق التعاون بين القوتين البرية والبحرية وخلق مناخ طيب للعمليات الحربية ضد الإمبراطورية البيزنطية ، واتخذ من منطقة الثغور بآسيا الصغرى مجالا لتدريبات قواته ، كما أنه اهتم بالصوائف والشواتى البحرية ليقض مضجع الروم البيزنطيين ويمهد للهجوم الكبير على القسطنطينية<sup>(٥١)</sup> .

وجعل الوليد هدف تحركاته الحربية الأولى الاستيلاء على المعاقل الهامة الواقعة فى الطريق الرئيسى المؤدى إلى القسطنطينية فحاصر مدينة طوانة - مفتاح الطريق الهام بين الشام والبسفور والذى تسلكه الجيوش الإسلامية فى طريقها لمهاجمة القسطنطينية وتمكن من فتحها بعد عامين من الحصار الشديد .

واستمر المسلمون فى شن غاراتهم على مدن آسيا الصغرى فنشروا الذعر والخوف فى صفوف الجيش البيزنطى واستولوا على معاقل هامة بالقرب من البسفور .

ولكن هذه الحملات لم تكن إلا حملات استطلاعية تمهد للزحف الأكبر على القسطنطينية .

وكان أن بدأ المسلمون فى تجهيز جيش عظيم لفتح القسطنطينية بقيادة مسلمة ابن عبد الملك فعلمت بيزنطة بذلك فأوفد الإمبراطور أنسطاس سفارة إلى دمشق لتتباحث مع الدولة الإسلامية فى شأن عقد هدنة بين الدولتين ، ولكنه زود السفارة البيزنطية بتعليمات سرية تقضى التجسس على مدى استعداد المسلمين الحربى ، والتحقق من صدق عزمهم على مهاجمة القسطنطينية . وكان رئيس هذه السفارة

رجلاً حصيفاً يدعى دانيال حاكم مدينة سينوب ، ومن الشخصيات الكبرى التى تعتمد الدولة البيزنطية على صدق تقاريره .

ولما وصلت السفارة البيزنطية إلى دمشق شاهدت عظمة المسلمين فى عاصمتهم ، ونشاط الخليفة فى أعداد الجيوش لتوجيهها ضد القسطنطينية ، فعادت السفارة تحمل إلى الإمبراطور البيزنطى صدق عزيمة المسلمين على الجهاد ، وتتصح بضرورة اتخاذ الاحتياطات للدفاع عن العاصمة ، ونفذ أنسطاس تعليمات السفارة ، فأعلن فى القسطنطينية أخبار الحملة الإسلامية المنتظرة ، وأمر كل فرد أن يخزن لنفسه مؤونة تكفيه ثلاث سنوات ، ثم ملأ خزائن الإمبراطورية بكميات هائلة من القمح وغيره من الحاجات التى يتطلبها المدافعون عن المدينة ، واهتم كذلك بتجديد أسوار المدينة ووضع وسائل الدفاع عليها<sup>(٥٣)</sup> .

ولكن وفاة الوليد أدت إلى إرجاء إنفاذ الحملة إلى مقصدها .

فلما تولى سليمان الخلافة أخذ يجهز الجيوش للسير إلى القسطنطينية ومهد لذلك بغزوه بحرية بقيادة عمر بن هبيرة الفزارى على بلاد الروم فى سنة ٩٧هـ<sup>(٥٣)</sup> .

وفى العام التالى حشد سليمان قوات كثيفة برية وبحرية وزودها بمقادير هائلة من المؤن والأقوات والسلاح لحرب طويلة الأمد بقيادة أخيه مسلمة وأمره بأن يتوجه إلى القسطنطينية وأن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتية أمره .

وترك الخليفة سليمان عاصمته وأقام فى دابق بالقرب من حلب ليكون أقرب إلى ميدان القتال . ( فلما نزل دابق أعطى الله عهداً ألا ينصرف حتى يدخل الجيش الذى وجهه إلى الروم القسطنطينية )<sup>(٥٤)</sup> .

ولما توغل مسلمة فى آسيا الصغرى هابه الروم فاتصل به قائد أرمنى اسمه ليو الأيسورى كان يتطلع للوصول إلى العرش الامبراطورى فاتفق ليو مع مسلمة

على خطة تتيح للمسلمين فتح القسطنطينية وما كاد يصل إلى القسطنطينية حتى غرر بهم وخدعهم بعد أن تحايل على تجريدهم من كل أقواتهم وتوج إمبراطورا على القسطنطينية باسم ليو الثالث الأيسورى فى مارس سنة ٩٨هـ / ٧١٧م .

نصب مسلمة المنجنيق وضرب القسطنطينية بعنف وشدّد الضغط عليها وحفر حول معسكره حفيرا عميقا وانتسف المزارع القريبة ومنع الأقوات من التسرب إلى داخل القسطنطينية .

أما الأسطول فقد رابطت قطعه حول المدينة بقيادة سليمان بن معاذ الأنطاكى وتمكن هذا الأسطول الذى بلغ ١٨٠٠ سفينة من إغلاق الممرات المؤدية إلى البحر الأسود ولكن عاصفة عاتية حطمت عددا كبيرا من السفن وسلط البيزنطيون نيرانهم اليونانية على الأسطول الإسلامى .

ومع ذلك فقد واصل مسلمة بعناد محاصرة المدينة وشدّد الضغط عليها ، ( وعمل بيوتا من خشب ، فشتا فيها ، وزرع الناس ... وأكلوا من الزرع فأقام مسلمة بالقسطنطينية قاهرا لأهلها معه وجوه أهل الشام ) (٥٥) .

وبرهن المسلمون بهذا الثبات طوال الشتاء القارس أنهم أولو بأس وعزم صادق فى الجهاد ، وأنهم حريصون على رفع راية الإسلام فى كل مكان .

وبمطلع الربيع وصلت نجدات بحرية وبرية للقائد مسلمة بن عبد الملك من الشام ومصر .

واستخدم المسلمون النفط ، واستعانوا بنوع أشبه بالمدفعية فى حصار القسطنطينية وأبلى الجند من ضروب الشجاعة ما شهد لهم بعلو روحهم المعنوية وحبهم للاستشهاد فى سبيل إعلاء كلمة الإسلام .

ولكن ما أن حل الشتاء ببرده وتلجه حتى هلك عدد كبير من الجند المسلمين ونفقت معظم الخيول والدواب ، وعمت الأقوات ، ومات قائد الأسطول الإسلامى



سليمان الانطاكى مما أدى إلى اضطراب فى صفوف البحرية الإسلامية ، وأصاب المسلمين قحط وضنك شديد حتى أكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق ، وكل شئ غير التراب وسليمان مقيم بدابق<sup>(٥٦)</sup> .

توفى الخليفة سليمان بن عبد الملك - رحمه الله - والجيش الإسلامى محاصرا القسطنطينية وتولى الخليفة عمر بن عبد العزيز بعده الذى رأى أنه يجب أن يكون هناك فترة هدوء واستقرار لتدعيم الصرح الإسلامى وتنظيم الدولة وتأمين حدودها فأرسل إلى مسلمة فى ١٥ أغسطس سنة ٧١٨م بعد حصار دام سنة كاملة يطلب منه العودة بجيشه وأسطوله إلى الشام ، ووجه إليه خيلا عتاقا وطعاما كثيرا، وحث الناس على معونتهم<sup>(٥٧)</sup> .

وهكذا عادت الجيوش الإسلامية إلى قواعدها بعد أن أدت رسالتها فى إعزاز دولة الإسلام ، وحملت عاصمة البيزنطيين وأباطرتها على التخلّى عن مشاريعهم وأحلامهم القديمة فى استعادة سالف أراضيمهم التى دخلت فى رقعة الإسلام .

\* \* \*

وقد صرفت أحداث الحصار الأموى للقسطنطينية أنظار الأباطرة عن التفرغ لدفع المسلمين عن شمال إفريقية ، واعتبروا حماية هذا الإقليم فى المرتبة الثانية بالقياس عن الدفاع عن عاصمتهم . وهكذا جنى الأمويون ثمار جهودهم ضد القسطنطينية ، حيث جعلوا من شمال إفريقية ركنا هاما من أركان الدولة الإسلامية القوية الأوتاد وأثبت العرب المسلمون للروم أن عاصمتهم ليست بعيدة المنال عن قبضة البحرية الإسلامية وضربات الشديدة .

وترك الخلفاء الأمويون بحملاتهم المتكررة على القسطنطينية سجلا حافلا بجهودهم فى نصرته الإسلام ، وحافزا جعل خلفاءهم من الدولة الإسلامية يتطلعون للاستيلاء على هذه العاصمة . وظلت رسالتهم ماثلة حتى حققها شعب إسلامى فتى،

هم الأتراك العثمانيون بعد انقضاء سبعة قرون تقريبًا على الحملة الأموية الكبرى  
زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك .

فشرف الله تعالى هذه المدينة بالفتح الإسلامي سنة ١٤٥٣م على يد القائد  
العثماني البطل محمد الثاني « الفاتح » لتصبح فيما بعد عاصمة للدولة الإسلامية  
العثمانية المترامية الأطراف .

## مراجع البحث

- (١) العبادى ، د. أحمد مختار ، ود. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية فى جوض البحر الأبيض المتوسط ، ٢ جـ ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية سنة ١٩٧١ م ، جـ ٢ ص ١٤ - ١٥
- (٢) العبادى : جـ ٢ ص ١٥
- (٣) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ( ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م ) : المقدمة ٢ جـ ، تحقيق د. على عبد الواحد ، القاهرة ، جـ ٢ ص ٦٢٨
- (٤) ماهر د. سعاد : البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، وزارة الثقافة المصرية ، نشر دار الكتاب العربى ، القاهرة سنة ١٩٦٧ م ، ص ٦٤ .
- (٥) عبد العليم ، د. أنور : الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، مجلة عالم المعرفة ، إصدار المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت عد ١٣ ، يناير ١٩٧٩ م ، ٩١
- (٦) البلاذرى ، أبو الحسن أحمد بن يحيى ( ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م ) : فتوح البلدان ، القاهرة سنة ١٩٣٢ م ، ص ٣٧
- (٧) البلاذرى : ص ٤٦٤
- (٨) المقرئى ، تقي الدين أحمد ( ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م ) : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، ٢ جـ ، طبعة بولاق القاهرة سنة ١٢٧٠ هـ ، جـ ٢ ص ١٩٠
- (٩) المقرئى ، جـ ٢ ص ١٩٠
- (١٠) ماهر : ص ٥٦
- (١١) المقرئى ، جـ ٢ ص ١٩٠
- (١٢) ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ( ت ٢١٤ هـ ) : فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة سنة ١٩١١ م ، ص ١٦٣
- (١٣) ابن عبد الحكم : ص ١٦٥
- (١٤) اليعقوبى ، أحمد بن أبى يعقوب ( ت ٢٨٤ هـ ) : تاريخ اليعقوبى ، ٢ جـ ، دار صادر بيروت لبنان ( د. ت ) ، جـ ٢ ص ١٧٧
- (١٥) سورة النحل : الآية ١٤
- (١٦) سورة النحل : الآية ١٦
- (١٧) سورة الأنعام : الآية ٩٧

- (١٨) سورة النور : الآية ٤٠
- (١٩) سورة الرحمن : الآية ١٩ - ٢٢
- (٢٠) سورة الإسراء : الآية ٦٦
- (٢١) رواه .
- (٢٢) سالم ، د. السيد عبد العزيز : طرابلس الشام فى التاريخ ، الإسكندرية ، سنة ١٩٦٧م ، ص ٣٢
- (٢٣) العدوى ، د. إبراهيم أحمد : الأمويون والبيزنطيون ( البحر المتوسط بحيرة إسلامية ) ، الدار القومية للطباعة والنشر ط ٢ ، القاهرة سنة ١٩٦٣م ، ص ٨١
- (٢٤) الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ( ت ٣١٠هـ ) : تاريخ الرسل والملوك ، ج ١١ : ط ٤ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٧٧م ، ج ٤ ص ٢٥٨
- (٢٥) البلاذرى : ص ١٣٤
- (٢٦) العبادى : ج ١ ص ١٦
- (٢٧) العدوى : ص ٨٢ - ٨٤
- (٢٨) البلاذرى : ص ١٥٠
- (٢٩) الطبرى : ج ٤ ص ٢٦٠
- (٣٠) البلاذرى : ص ١٨١
- (٣١) العدوى : ص ٩٤ - ٩٦
- (٣٢) البلاذرى : ص ١٥٣
- (٣٣) البلاذرى : ص ٢٢٤
- (٣٤) العدوى : ص ١٠١
- (٣٥) العدوى : ص ١٠٣
- (٣٦) الطبرى : ج ٤ ص ٢٩٠
- (٣٧) ابن عبد الحكم : ص ٢٥٥ - ٢٥٨
- (٣٨) الطبرى : ج ٤ ص ٢٩٢
- (٣٩) عثمان ، فتحى : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى ، ج ٣ ، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٦٧م ، ج ٢ ص ٣٣٨
- (٤٠) العبادى : ج ٢ ص ١٩

- (٤١) انظر ابن عبد الحكم : ص ٩٠ ، والكندى : الولاة ، ص ١٣ ، والمقرئزى : ج ٣ ص ١٦٥ ، وابن تغى : ج ١ ص ٨٠
- (٤٢) الطبرى : ج ٤ ص ٢٩٠
- (٤٣) اليعقوبى : ج ٢ ص ٢٥٨
- (٤٤) صحيح البخارى ، كتاب الجهاد ، باب ٩٣
- (٤٥) ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن على بن محمد الشيبانى ( ت ٦٣٠ هـ ) : الكامل فى التاريخ ، بيروت سنة ١٩٦٥ م ، ج ٣ ص ٤٥٩
- (٤٦) شلبى ، د. أحمد : موسوعة التاريخ الإسلامى ج ٢ ص ١١٥
- (٤٧) عاقل ، د. نبيه : الإمبراطورية البيزنطية ، دمشق سنة ١٩٧٠ م ، ص ١١٤ - ١١٥
- (٤٨) العدوى : ص ١٧٣ - ١٧٤ .
- (٤٩) العدوى : ص ١٧٥
- (٥٠) أرشيبالد ، د. لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ( ٥٠٠ - ١١٠٠ م ) ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة سنة ١٩٦٠ م ، ص ٢١ - ٢٢
- (٥١) عواد ، د. محمد أحمد : الجيش والأسطول الإسلامى فى العصر الأموى ، ط ١ ، الأدبية للطباعة والنشر ، الخليل سنة ١٩٩٤ م ، ص ٢٧١
- (٥٢) العدوى : ص ٢١٥
- (٥٣) ابن الأثير : ج ٥ ص ٥٣١
- (٥٤) الطبرى : ج ٦ ص ٥٣١
- (٥٥) الطبرى : ج ٦ ص ٥٣٠
- (٥٦) الطبرى : ج ٦ ص ٥٣١
- (٥٧) الطبرى : ج ٦ ص ٥٥٣



# التاريخ السياسى لمدينة أستجة الأندلسية

مند الفتح الإسلامى حتى نهاية عصر الدولة الأموية

د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا (\*)

---

## تقديم :

أقبل المؤرخون المحدثون على الكتابة فى التاريخ المحلى لمدن الأندلس وأولوه جانبًا كبيرًا من عنايتهم ، دفعهم إلى ذلك - لاسيما الأسبان منهم - شعورهم بالتفاخر بهذه المدن التى ينتمون إليها ، وكذلك إعجابهم الشديد - خاصة مؤرخى العرب - بتاريخ هذه المدن فى العصر الإسلامى وحرصهم على إبراز أمجاد إسلامية تكمن فى هذا التاريخ . ولقد لفت نظرى الدور الهام الذى لعبته مدينة أستجة الأندلسية منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية عصر الدولة الأموية على الصعيدين السياسى والحضارى . ومع ذلك فلم يوجه المؤرخون لهذه المدينة العظيمة ما تستحقه من اهتمام ، فلم يفرّدوا لها بحثًا قائمًا بذاته ، وكل ما كتب عنها لا يعدو نتفًا متفرقة فى ثنايا الحديث عن تاريخ الأندلس العام . وهى كتابات لا تتناسب مع الدور الهام الذى لعبته أستجة فى تاريخ وحضارة الأندلس . ولهذا خصصت هذا البحث لدراسة تاريخها السياسى خلال تلك الحقبة المشار إليها . وتجدر الإشارة إلى أنه جرت العادة عند الجغرافيين المسلمين فيما يتصل بالأندلس أن يكتفوا بذكر المدن كناية عن الكور التى هى قواعدها ، رغم ما يسببه ذلك من أخطاء واضحة لأن الكورة فى الأندلس - كما سنرى - كانت تضم أكثر من مدينة كبيرة ، وليست كل مدينة كورة .

---

(\*) مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية .

## ١ - الموقع الجغرافى للكورة والمدينة والأسماء التى سميت بها :

تعتبر كورة أستجة فى قول<sup>(١)</sup> ، أو إستجة فى قول آخر<sup>(٢)</sup> ، من أشهر كور الأندلس<sup>(٣)</sup> ، وتقع مدينة أستجة مركز الكورة على مسافة ٣٠ ميلاً جنوب غربى قرطبة<sup>(٤)</sup> ، وفى منتصف الطريق على وجه التقريب بين قرطبة وإشبيلية ، وتبلغ المسافة ما بين حصن شنت ياله أحد حصون قرطبة إلى أستجة غرباً خمسة عشر ميلاً<sup>(٥)</sup> ، كما أن المسافة بينها وبين مرشانة تصل إلى عشرين ميلاً ، وبينها وبين قرمونة خمسة وأربعين ميلاً<sup>(٦)</sup> ، وتتصل أحوازها بأحواز كورة رية من ناحيتها الشمالية الغربية<sup>(٧)</sup> . ومدينة أستجة من بناء الرومان ، أقيمت على الضفة اليسرى لنهر شنيل Genil أحد روافد الوادى الكبير<sup>(٨)</sup> ، وتطل على الرصيف الأعظم الذى شيده الرومان بشبه جزيرة أيبيريا Via Augusta<sup>(٩)</sup> ، وهو الطريق الذى عرف عند العرب بالمحجة العظمى ، وتقع المدينة فى وادى شديد الحرارة ، ولذلك أطلق عليها اسم « مقلاة إسبانيا » El Sarten de Espana<sup>(١٠)</sup> .

ولقد أطلق مؤسسوها الرومان عليها اسم أستجى Astigi<sup>(١١)</sup> . وأغلب الظن أنها أنشئت فى عصر يوليوس قيصر . ويدعم هذا التخريج أنه كان كما يذكر الرازى من البناء العظام الذين تتسب إليهم اعمال معمارية وإنشاءات عمرانية جلية، فهو الذى أمر ببناء المدن العظيمة بالأندلس ، وزعموا أنه « وجه أربعة منى أعيان ملوكه للأندلس فبنى كل واحد منهم مدينة فى الجهة التى ولاه عليها وسماها باسمه وأن هذه الأسماء الأربعة كانت أسماء لأولئك الملوك »<sup>(١٢)</sup> ، وهو الذى أمر بإنشاء الرصيف الأعظم الذى كان يخترق موسطة الأندلس إلى جنوبها ، وهو الرصيف الذى كانت أستجة تطل عليه<sup>(١٣)</sup> ، وأخيراً فإن إحدى الأقضية الأربعة لولاية باطقة Baetica الرومانية فى شبه الجزيرة الأيبيرية - والتى أصبحت مقر أسقفية أستجة القوطية - كانت مستعمرة رومانية تتسب إليه وتسمى Julia Augusta Firma<sup>(١٤)</sup> ، أى « بصمة يوليوس قيصر » .



وتشير بعض النصوص العربية إلى أن مدينة أستجة قبل الفتح الإسلامي كانت بلدًا في غاية الحصانة والمنعة ، إذ كان يطوقها سور مزدوج ، فابن حيان يذكر أن سورها المحيط بها قد عقد بسورين أحدهما صخر أبيض والثاني صخر أحمر بأجمل صنعة وأحكم بناء ، وردم وسوى ، ووضع في مواضع الشرفات من المرمر صور بني آدم من كل الجهات تواجه القاصد نحوها فلا يشك الناظر أنها رجال وقوف»<sup>(١٥)</sup> . وكان يفتح في هذا السور عدة أبواب ، احتفظ لنا الحميري بأسماء بعضها في العصر الإسلامي ، منها باب القنطرة في الجانب الشرقي المطل على نهر شنيل ، وباب أشونة الذي يفتح في الركن الجنوبي للسور ، وباب رزق في الجهة الغربية ، وباب السويقة في القطاع الشمالي من السور<sup>(١٦)</sup> ، ولعله سمي بذلك لوجود سوق صغير بجواره . ويذكر أحد الدارسين أن من أبواب أستجة أيضًا باب رضى ، غير أنه لا يعرف من هو هذا الرضى<sup>(١٧)</sup> . ولعل هذا الباب هو باب رزق الذي ذكره الحميري . ويبدو أن الرومان والقوط أمهروا أستجة بكثير من المنشآت المعمارية ، غير أن أغلبها اندثر وعاثت بها حوادث الأزمان ، فالحميري يذكر « وباستجة آثار كثيرة ورسوم تحت الأرض موجودة »<sup>(١٨)</sup> . ومع ذلك فقد تبقت بعض هذه الآثار حتى العصر الإسلامي مثل سورها المنيع ، وكنائسها<sup>(١٩)</sup> ، وأديرتها العديدة<sup>(٢٠)</sup> ، وقنطرة نهر شنيل<sup>(٢١)</sup> .

وتجدر الإشارة إلى أن عامة الأندلس كانوا ينطقون اسم المدينة تارة أسجة ( بفتح الهمزة وتشديد السين )<sup>(٢٢)</sup> . وإسجة ( بكسر الهمزة والسين ) تارة أخرى<sup>(٢٣)</sup> . والصواب كما يذكر ابن هشام اللخمي أستجة ( بفتح الهمزة وسكون السين وكسر التاء المثناة بعدها وفتح الجيم )<sup>(٢٤)</sup> . ويلاحظ أن التسمية العربية الصحيحة لاسم المدينة توافق اسمها القديم الذي أطلقه عليها الرومان ( أستجي Astigi ) . في حين أن الرسم الإسباني الحالي لاسم المدينة Ecija يطابق نطق العامة في العصر الإسلامي<sup>(٢٥)</sup> . ولعل السبب في ذلك يرجع إلى تأثير الألفاظ

الأعجمية التي دخلت لغة العامة في الأندلس عن طريق جيرانهم أصحاب اللغتين القشتالية والبربرية<sup>(٢٦)</sup> . ومن المرجح أن كلاً الرسمين كان متداولاً على السنة الخاصة حتى أواخر العصر الإسلامي في الأندلس . ويؤيد ذلك أن ابن حيان وابن الخطيب استعملهما في كتاباتهما عن المدينة ، فتارة يذكرانها أستجة ، وتارة أخرى يرسمانها أسجة<sup>(٢٧)</sup> . ومعنى اسم أستجة عند سكان شبه الجزيرة الأيبيرية « جمعت الفوائد »<sup>(٢٨)</sup> . ولعل مرجع ذلك ثراؤها وتنوع مصادر ثروتها الاقتصادية وكثرة مرافقها<sup>(٢٩)</sup> ، أو لأنها جمعت فوائد البر والبحر ، فقد كانت واسعة العمران منفسحة البطحاء ، كما أنها كانت تطل على نهر شنيل<sup>(٣٠)</sup> ، الذي كان صالحاً للملاحة في قسمه الواقع أسفلها<sup>(٣١)</sup> .

ونستدل من النصوص القليلة الواردة في المصادر العربية وتتعلق بتاريخها السابق على الفتح الإسلامي ، أن أهلها كانوا يميلون دائماً إلى إثارة الشغب والانحراف عن الحكم وشق عصا الطاعة وإعلان العصيان والثورة عليهم . ويبدو أن هذا الاتجاه لم يكن قاصراً على تاريخها القديم ، بل استمر سمة واضحة في تاريخها الإسلامي ولذلك وصف الحميري أهلها بقوله « لم يزل أهلها في جاهلية وإسلام على انحراف وخروج عن الطاعة »<sup>(٣٢)</sup> .

## ٢ - الفتح الإسلامي لأستجة :

تتفق الروايات التاريخية على أن لذريق Rodrigo ملك إسبانيا كان مشغولاً بإخماد ثورة قام بها البشكنس Vascos سكان نبرة في أقصى شمال البلاد<sup>(٣٣)</sup> . في الوقت الذي عبرت فيه قوى المسلمين الزقاق ونزلت في شعبان ٩٢هـ — / يونيو ٧١١م ، بقيادة طارق بن زياد بالساحل الجنوبي لشبه الجزيرة الأيبيرية عند جبل كالبى الذي عرف منذ ذلك الحين بجبل طارق Gibraltar<sup>(٣٤)</sup> ، وتمكنت من السيطرة على حصن قرطاجنة الذي يقع بسفحه<sup>(٣٥)</sup> ، والجزيرة الخضراء التي اتخذها طارق بن زياد قاعدة عسكرية لحماية جنده في حالة الانسحاب<sup>(٣٦)</sup> . ولما

بلغت لذريق هذه الأخبار ترك نبرة وبادر بالزحف جنوبا إلى قرطبة ، وحشد قوات كثيفة العدد ومعدات هائلة لملاقاة المسلمين ، ودارت بين الجيشين معركة ضارية على وادى لكة Guadalete من كورة شنونة استغرقت ثمانية أيام ( ٢٨ رمضان - ٥ شوال ٩٢هـ / ٢٦ يوليو ٧١١م ) وانتهت بانتصار حاسم للمسلمين ، بعد أن مزقوا شمل جيش القوط ، واختفى لذريق من أرض المعركة ، وفرت جموع كثيرة من قواته ولاننت بمدينة أستجة<sup>(٣٧)</sup> . عندئذ تقدم طارق واستولى على معسكر لذريق وغنم غنائم كثيرة يصعب تقديرها ، فجمعها وأخرج خمس بيت المال ، ثم قسم الباقي على جنده ، فامتألت بها أيديهم<sup>(٣٨)</sup> ، فلما بلغ أهل العدو المغربية خبر هذا الانتصار وسعة المغنم تدفقت جموعهم إلى الأندلس « وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر ، فلاحقوا بطارق »<sup>(٣٩)</sup> .

تضخم جيش طارق بمن انضم إليه من المجاهدين والمغامرين العرب والبربر من أهل العدو المغربية ، وتقدم إلى مضيق الجزيرة ، ثم تحرك إلى مدينة أستجة<sup>(٤٠)</sup> . ولعل طارق استخدم الجادة الرومانية القديمة التي كانت تخرج من قادش وتمر بإشبيلية وأستجة ثم قرطبة وهذا يفسر سرعة وصوله إلى أستجة على ظهور الخيل التي غنمها من القوط بعد انتصاره عليهم في وادى لكة<sup>(٤١)</sup> . ومما يؤيد هذا التخريج أن اجتياز مضيق الجزيرة كان يشكل في حد ذاته خطرا كبيرا على قوات المسلمين ، كما أن أستجة كانت تقع على مسافة ٦٠ كم من مخرج هذا المضيق<sup>(٤٢)</sup> . ويبدو أن السبب السريع وراء تحرك المسلمين السريع نحو أستجة ، أنها أصبحت تؤلف مركز مقاومة القوط الأول بعد هزيمتهم في وادى لكة ، فقد بلغ طارق بن زياد عن طريق العيون والجواسيس أن عددا عظيما من فلول القوط قد تحصن فيها ، فخشى أن تصبح أستجة مركزا للمقاومة القوطية ويستفحل أمرهم ويحاولون رد قواته مما يعرض جيشه للخطر ويعرقل تقدم مسيرته الظافرة .

التحمت قوات المسلمين مع حشود القوط التي تجمعت فى أستجة ، دارت معركة عنيفة أبلى فيها القوط بلاء حسناً وتفانوا فى قتال المسلمين وصد هجماتهم ، وتمكنوا فى بداية الأمر من تمزيق صفوفهم ، والفتك بأجنادهم ، وعلق الرازى على شراسة هذا القتال وكثرة ما تكبده المسلمون فيه من خسائر فادحة فى الأرواح بقوله « ولم يلق المسلمون فيما بعد ذلك حرباً مثلها »<sup>(٤٣)</sup> ، وربما يرجع السبب فى استبسال القوط فى القتال وعظم مقاومتهم إلى أنهم كانوا يعلمون أن هذه المعركة من المعارك الحاسمة التى يمكن أن يتقرر على نتائجها مصير شبه الجزيرة كلها ، وهذا ما دفعهم إلى الاستماتة فى المقاومة والصمود ، وحول معركة أستجة إلى موقعة حاسمة فى تاريخ الفتح الإسلامى للأندلس ، وتعذر على المسلمين أن يحرزوا فيها نصراً سهلاً<sup>(٤٤)</sup> . ويبدو أن طارق أعاد تنظيم قواته وحمل على أهل أستجة والقوط حملة قوية زحزحتهم عن مواقعهم ، فدارت عليهم الدائرة ، وانسحبوا من ساحة المعركة إلى داخل مدينتهم وتحصنوا بأسوارها المنيعة أملاً فى النجاة من بطش المسلمين ، وتكليفهم برجالهم ، فأقام طارق على حصارهم مدة<sup>(٤٥)</sup> .

وكان غرور صاحب مدينة أستجة وسوء تدبيره وعدم حرصه على توفير الحماية الكافية لأمنه وسلامته أثناء حصار المسلمين لمدينته ، وراء إذعان أهلها لطارق ونزولهم على أمره . فقد ورد فى بعض المصادر العربية أن صاحب أستجة خرج بمفرده إلى نهر شنيل لقضاء بعض حاجاته والاغتسال ، واتفق أن طارق بن زياد أتى لنفس الحاجة ، فوثب عليه طارق وكان لا يعرفه ، فصرعه وقاده إلى معسكره أسيراً ، فبقى أهل أستجة بلا أمير ، حتى صالح طارق أميرهم وأطلق سراحه مقابل تسليم المدينة والدخول فى طاعة المسلمين وأداء الجزية لهم<sup>(٤٦)</sup> . وربما كانت هذه الرواية إحدى القصص الخيالية التى يعتمد بعض المؤرخين إلى دسها بين سطور مصنفاتهم تشويقاً للقارئ ، وما أكثر هذه الروايات الخيالية التى ملأت صفحات تاريخ الفتح الإسلامى للأندلس ، وأعتقد أن أهل أستجة هم الذين

التمسوا الصلح من طارق والاستسلام مقابل الحصول على الأمان لأرواحهم وأموالهم . ولقد دخل المسلمون أستجة صلحاً ، وتم ذلك عن طريق عهد يعتبر أول عهد عقد بين المسلمين والمغلوبين في إسبانيا .

ويذكر بعض المؤرخين المحدثين أن طارق احتاج لمساعدة يليان ففى قتال أهل أستجة ، فلم يتردد الأخير فى ذلك وخف إليه مسرعاً<sup>(٤٧)</sup> . ويبدو أن الأمر اختلط على هؤلاء ففهموا أن مجئ يليان إلى طارق وهو فى أستجة إنما كان بهدف المساعدة فى فتحها ، بينما كان يليان كما ذكر الرازى فى الجزيرة الخضراء عندما فتح طارق أستجة ، ولم يأت إلى أستجة إلا بعد فتحها<sup>(٤٨)</sup> . وتجدر الإشارة إلى أن سافدرا يسوق خبراً غريباً لا يستند فيه على أى مصدر موثوق به ، فقد ذكر أن تدمير Teodomiro صاحب مدينة تدمير وأحد كبار رجال لذريق دخل فى طاعة المسلمين عند نزولهم إسبانيا دون أن يعتنق الإسلام وتعاون معهم ، وقاد جماعة من المسلمين سارت لفتح أستجة<sup>(٤٩)</sup> . والأرجح أن تدمير الذى كان ينوب عن لذريق فى حكم البلاد أثناء غيابه فى غزو البشكنس ، شارك معه فى معركة وادى لكسة ، ولما وقعت الهزيمة على القوط وفر لذريق من أرض المعركة ، كر تدمير عائداً إلى قاعدته بشرق الأندلس لحمايتها من أى هجوم قد يشنه المسلمون ، وظل بها يرقب الأحداث إلى أن توجه إليه عبد العزيز بن موسى فى عام ٩٠٥هـ / ٧١٤م ، فسلمه بلده صلحاً ودخل فى طاعته<sup>(٥٠)</sup> .

وهكذا فرق المسلمون بقايا قوات القوط ، واستولوا على مدينة أستجة الحصينة مركز المقاومة القوطية العتيدة ، فهبت رياح النصر على المسلمين وانفتحت أمامهم أبواب إسبانيا ، ويغلب على الظن أن عسكر المسلمين أصابهم الإعياء والإرهاق الشديد بعد هذه المعركة ، لاسيما وأنهم كانوا يواصلون المعارك مع قلول القوط وحامياتهم فى مدن الأندلس ولم ينالوا القدر الكافى للراحة منذ نزولهم أرض إسبانيا . ولعل ذلك كان سبباً فى نزول طارق على عين ماء من نهر

شنيل على مسافة أربعة أميال من أستجة طلبا للراحة والاستعداد للخطوة التالية ، فسميت العين عين طارق<sup>(٥١)</sup> . ولقد التبس الأمر على المستشرق الإسباني بدرو شالميتا فاعتد خطأ أن طارق بن زياد نزل في هذا المكان قبل الاستيلاء على أستجة ، وظل به شهرا أو أكثر حتى ظفر بصاحبها وأسر<sup>(٥٢)</sup> .

ولعل نزول المسلمين عند عين طارق بأستجة طلبا للراحة أوعز إلى القوط أنهم باقون في بلادهم بعد أن غنموا كل هذه الغنائم وتعمقوا في سيطرتهم على جنوب الأندلس وأنهم لن يمتثلوا طريف بن مالك في حملته على جزيرة طريف<sup>(٥٣)</sup> ، وأنهم ينوون مواصلة الزحف للاستيلاء على بقية بلادهم ، « فسقط في أيديهم وتطايروا عن السهول إلى المعازل ، وصعد نوو القوة منهم إلى دار مملكتهم طليطلة »<sup>(٥٤)</sup> . وأدرك يليان أن الظروف أصبحت مهيأة أمام المسلمين للاستيلاء على معظم قواعد الأندلس التي أخلاها أهلها وفروا عنها إلى المعازل وإلى طليطلة ، كما يبدو أنه قد شعر بخطورة تجمع رؤساء القوط في عاصمتهم طليطلة . ولذلك قدم يليان على طارق من الجزيرة الخضراء حيث كان يقيم منذ فتحها<sup>(٥٥)</sup> ، وشجعه على الاستمرار في الفتح ، ونصحه بأن يوزع كتائب من جيشه في بعوث جانبية يعاونون أدلاء من رجال يليان لفتح أقاليم الجنوب والموسطة ، ويمضى هو بالجيش الرئيسى إلى طليطلة ليفتحها قبل أن يلتف القوط حول زعيم جديد ويحكمون الدفاع عنها ، فيصعب الأمر على طارق بعد ذلك<sup>(٥٦)</sup> .

ولا شك في أن طارق كان يخطط لفتح مدينة قرطبة قاعدة جنوب الأندلس<sup>(٥٧)</sup> ، إلا أنه امتثل لنصيحة يليان ووضع على الفور خطة القتال ، فاتخذ من أستجة قاعدة لانطلاق قواته لفتح بلاد الأندلس ، وتوزيع فرق من عساكره منها ، فبعث مغيث الرومى إلى قرطبة ، وبعث فرقة أخرى إلى مالقة ، وأرسل فرقة ثالثة إلى البيرة ، وسار هو بمعظم قواته من أستجة إلى طليطلة - عبر كورة جيان Jaen - ونجح في دخولها والاستيلاء عليها<sup>(٥٨)</sup> . ومما لا شك فيه أن طارق

ترك حامية كبيرة العدد من جنده فى استجة لحفظها ، نظرا لأهميتها ، وخشية أن ينقلب أهلها ضد الفاتحين الجدد ، أو أن تهاجمها قوة من القوط وتتحصن بها وتتخذها قاعدة لمقاومة المسلمين من جديد ، لاسيما بعد رحيل معظم القوات الإسلامية عنها لفتح بقية أقاليم الأندلس .

### ٣ - الوضع الإدارى لكورة أستجة :

استكمل موسى بن نصير ومن بعده ابنه عبد العزيز بن موسى فتح بلاد الأندلس<sup>(٥٩)</sup> .

واهتم ولاة الأندلس بعد موسى بن نصير بتنظيم البلاد إداريا ، فاعتمدوا التقسيم الإدارى القديم الذى كان قائما منذ العصر الرومانى ، مع بعض التعديل الذى استلزمته الظروف السياسية الجديدة وما اضطرروا إلى اقتباسه من التنظيمات الإدارية بالمشرق الإسلامى . وكانت أستجة وفقا للتقسيم الإدارى الرومانى الذى عرف بتقسيم قسطنطين فى القسم السادس وقاعدته إشبيلية<sup>(٦٠)</sup> ، وكان هذا التقسيم يقضى بتجزئة إسبانيا إلى ستة أقسام كل قسم منها يتبعه عدد من المدن التى يتبعها بدورها عدة أقاليم<sup>(٦١)</sup> . كما كانت أستجة وفق التقسيم الكنسى لإسبانيا زمن القوط مركزا لأسقفية أستجة التابعة لمطرانية باطقة وقاعدتها إشبيلية ، وكان هذا التقسيم الكنسى هو نفسه التقسيم الإدارى<sup>(٦٢)</sup> . وظل هذا الوضع قائما حتى الفتح الإسلامى ، فأخذ الفاتحون هذا التقسيم وأسبغوا عليه طابعا إداريا ، ثم أدخلوا عليه بعض التعديلات التى اقتضتها ظروف الدولة الجديدة .

فى أعقاب الفتح اعتبر المسلمون الأندلس كله - كما كان فى النظام القديم - مدنا ذات أحواز تابعة للولايات الكبيرة<sup>(٦٣)</sup> . ورغم ظهور مصطلح الكورة<sup>(٦٤)</sup> ، لأول مرة فى الأندلس فى عام ١٢٥هـ / ٧٥٢م<sup>(٦٥)</sup> ، وتقسيم جنوب الأندلس إلى كور مجندة ، واعتراف يوسف الفهرى بهذا الوضع القائم حين تقلد إمارة البلاد فى



عام ١٢٩ - ١٣٨هـ ، فإنه - الفهرى - عندما أعاد تنظيم الأندلس إداريا ، قسم البلاد إلى ولايات كما كانت فى التقسيم الرومانى مع إدخال بعض التعديلات على حدودها ، فأصبحت ولاية الأندلس وهى ولاية باطقة القديمة تقع بين نهر وادى يانة والبحر المتوسط ، وكانت أستجة من أشهر قواعد هذه الولاية<sup>(٦٦)</sup> . واستلزمت الأحوال السياسية للدولة الأموية فى الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الداخل بأن يكتفى المسلمون بوحدات إدارية صغيرة بدلا من الأقسام الرومانية الكبيرة ، فقسموا البلاد إلى كور يتبع كل منها عدد من المدن ، وتتبع كل مدينة أقاليمها وقراها وحصونها<sup>(٦٧)</sup> . وقد عمم نظام الكور على جميع نواحي الأندلس عدا نواحي الثغور ، فقد ظلت حتى نهاية الخلافة الأموية مدنا عسكرية ذات أحواز . وساهمت هذه الوحدات الإدارية الصغيرة فى تبسيط السلم الإدارى ، مما ساعد على ضبط الأمن وربط المال<sup>(٦٨)</sup> .

وفى ظل هذا التقسيم الإدارى الإسلامى أصبحت أستجة كورة عظيمة من كور الأندلس الغربية<sup>(٦٩)</sup> ، فقد كانت تشتمل على أقاليم وأراضى واسعة<sup>(٧٠)</sup> ، حدها الحميرى بخمسة أقاليم<sup>(٧١)</sup> . ولقد طرأ على حدود كورة أستجة بعض التغيير فى العصر الإسلامى . ولعل سبب ذلك يرجع إلى التعديلات الإدارية التى أدخلها بعض الحكام على التقسيم الإدارى لعدد من كور الأندلس ، لاسيما تلك الكور التى كانت تشتمل على مدن عظيمة وأقاليم كبيرة مثل أستجة . فبعض الجغرافيين يذكرون أن إقليم تاكرنا Takurna كان يدخل ضمن حدود كورة أستجة<sup>(٧٢)</sup> . ويذكر الرازى أن مدينة رنده Ronda كانت تابعة لإقليم تاكرنا من كورة أستجة<sup>(٧٣)</sup> . وتجدر الإشارة إلى أن مدينة تاكرنا كانت تشتمل على قسمين كبيرين ، الأول منهما يعرف باسم إقليم السهل ، وقد عرف بذلك لقربه من أستجة ، أما القسم الآخر فكان يعرف باسم إقليم الجبل لقربه من جبال تاكرنا<sup>(٧٤)</sup> . ومن المرجح أن تاكرنا كانت جزءا هاما من كورة أستجة منذ الفتح الإسلامى للأندلس حتى السنوات الأولى من عصر



الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣هـ) . وبعد ذلك ، وفي أثناء عصر  
الأمير محمد نفسه ، فيبدو أنها انفصلت عنها ويؤيد ذلك ما ذكره ابن حيان عن عدد  
الفرسان المستقرين من كور الأندلس المختلفة لغزو جليقية في عام  
٢٥١هـ/٩٧٦م، فقد ساهمت أستجة بألف ومائتي فارس ، في حين استتفر من  
تاكرا مائتين وتسعة وتسعين فارساً<sup>(٧٥)</sup> ، ولو أن تاكرنا كانت تابعة لأستجة حينئذ  
لما ذكرها ابن حيان كوحدة إدارية منفصلة تساهم بهذا العدد من الفرسان . ويقدم  
ابن حيان دليلاً جوهرياً على صحة ما ذهبنا إليه من أن تاكرنا انفصلت إدارياً عن  
أستجة وأصبحت كورة مستقلة قائمة بذاتها منذ النصف الثاني من القرن الثالث  
الهجري ، فكلما تعرض للحديث عنها في السفر الخاص بعصر عبد الرحمن بن  
محمد - الناصر - من كتابه المقتبس يصفها بالكورة ، كذلك كان يميز حاكم كورة  
أستجة عن حاكم كورة تاكرنا ، وذلك في سجل الولايات والعزل الذي كان يذيل به  
تأريخه لكل عام من سني حكم الناصر<sup>(٧٦)</sup> . وأضيف إلى ما سبق أن ذكرته أن  
الحميري يذكر أن مدينة تاكرنا كانت تنسب إليها الكورة - كورة تاكرنا - وذلك بعد  
أن كان قد ذكر أن إقليم تاكرنا كان مضافاً إلى أستجة ، فلا يعقل أن يقصد كورة  
أستجة بالطبع<sup>(٧٧)</sup> . وتجدر الإشارة إلى أن عبد الرحمن بن محمد أنشأ حصناً يعرف  
بالمدينة بالقرب من لماية ، ليضيق به على المنتزين في قلعة ببشتر ، وأصبحت  
لماية والحصن الجديد تابعين لكورة تاكرنا<sup>(٧٨)</sup> .

وكان حصن أشونة Osuna أحد أقاليم كورة أستجة ، وكان حصناً عظيماً  
عامراً بالسكان ، وكان يقع على مقربة من أستجة من جهة الجنوب<sup>(٧٩)</sup> . ولا يبعد  
عنها إلا بنحو ١٤ ميلاً<sup>(٨٠)</sup> ، وتبلغ المسافة من أشونة إلى مدينة بلشانة عشرين  
ميلاً<sup>(٨١)</sup> ، غير أن تبعية أشونة لكورة أستجة كانت تتغير من وقت إلى آخر ، ويبدو  
أنها انفصلت عنها منذ بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وأصبحت  
كورة قائمة بذاتها شأنها شأن تاكرنا وبالذات منذ عام ٣١٠هـ / ٩٢٢م ، عندما

خرج الأمير عبد الرحمن بن محمد من قرطبة ليتنقذ أحوال البلاد ويستطلع أمر رعاياه القائمين على الطاعة . فقصده تآكرنا و « وصل نظره فيها بالنظر في كورة أشونة وما يليها »<sup>(٨٢)</sup> ، ويؤكد ابن حيان استقلال أشونة إداريا عن أستجة وذلك عندما نكر اسم واليها منفصلا عن اسم والي كورة أستجة<sup>(٨٣)</sup> . ولقد أضيف إلى أشونة بعض المدن والحصون بعد أن أصبحت كورة مستقلة بذاتها ، فالإدريسى يصف إقليم أشونة بعد حديثه عن أستجة بقوله « وفيه حصون عامرة كالمدن منها لورة وأشونة . وهو إقليم صغير »<sup>(٨٤)</sup> كذلك يشير الحجارى إلى أن أشونة كانت كورة قائمة بذاتها<sup>(٨٥)</sup> .

ويتضح من إحدى روايات ابن بشكوال أن كل من أستجة وتآكرنا وأشونة كانت وحدات إدارية قائمة بذاتها ، فيذكر أن المنصور محمد بن أبى عامر قلد عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن المشاط قضاء عدة كور مثل أستجة ، وأشونة ، وتآكرنا وقرمونة ، ومورور ، جمعهن له ، ثم صرفه عنهن بعد ذلك<sup>(٨٦)</sup> .

ومن أقاليم كورة أستجة أيضا وفقا لما ذكره ابن الفرضى إقليم أشبرة Espera ، وكان هذا الإقليم يضم عدة قرى من بينها قرية تعرف باسم بلاط أبى العجنس . ولعلها عرفت بذلك نسبة إلى أبى العجنس الزاهد الأستجى لأنها كانت موطنه<sup>(٨٧)</sup> .

وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخ الإشباني المستشرق دون خواكين باليه يرى أننا لا نستطيع أن نخلط بين إقليم أشبرة الذى ذكره ابن الفرضى ، وحصن أشبرة الذى يقع على مقربة من حصن أركش Arcos de la Frontera ، لأنه - أشبرة - سيصبح فى هذه الحالة تابعا لكورة شذونة التى تتبعها أركش بالفعل<sup>(٨٨)</sup> . وواضح أن الأمر التبس على المستشرق الإشباني الكبير ، فالنص الذى اعتمد عليه وهو لابن حيان لا يودى إلى هذا التخريج ، فلقد فهم دون خواكين باليه أن حصن أشبرة يقع بالقرب من أركش التابعة لكورة شذونة ، بينما يذكر ابن حيان فى سياق حديثه

عن غزوة الأمير عبد الرحمن بن محمد بالصائفة في عام ٣٠١هـ / ٩١٣م التي تجول فيها على كور الوسطة والجنوب الخارجة على طاعته ، أن الأمير عبد الرحمن بعد أن نازل حصن أركش ودخل حصن شلبر أكمل « النظر في شد كورة شنونة » ، وبعد ذلك بنى حصن أشبرة ليضيق به على حصن أقوط ، القريب من بيشتر قاعدة الثائر عمر بن حفصون وابنه سليمان من بعده<sup>(٨٩)</sup> . ولما كانت أستجة تمثل الحصن الشمالى الغربى لبيشتر قبل افتتاحها ، ففي تصورى أن الأمير عبد الرحمن بن محمد جعل هذا الحصن الذى شيده حديثا تابعا لكورة أستجة . وهذا يوافق ما ذكره ابن الفرضى الأستجى . كذلك أمدنا ياقوت الحموى بنص على جانب كبير من الأهمية يؤيد رواية ابن الفرضى ذكر فيه أن أشبورة - بضم الهمزة وسكون الشين - ناحية بالأندلس من أعمال أستجة<sup>(٩٠)</sup> .

ومن الجدير بالذكر أن نص ابن حيان المشار إليه سابقا ، يتضمن ما يشير إلى أن الأمير عبد الرحمن بن محمد عندما شيد حصن أشبرة على حصن أقوط ، قلد جميل بن عقبة البلوى واليا عليه ، و« صير معه فيه عدة كثيفة من الفرسان والبربر الطنجيين والرجال الملحقين والعدة التامة من الأطعمة والأسلحة »<sup>(٩١)</sup> .

وغم أن ابن الفرضى قد أمدنا برواية قيمة تتعلق بطبوغرافية كورة أستجة ، إلا أنه عاد وأوقعنا فى حيرة من أمرنا عندما ذكر أن أحد أهالى أستجة « توفى بضيعته بأستجة من إقليم طليطلة ودفن بها » ، وكانت وفاته فى عام ٣٥٤هـ /<sup>(٩٢)</sup> ، وسبب حيرتنا أننا لا نعلم فيما ورد فى كتب الجغرافية الأندلسية موضعا باسم طليطلة غير مدينة طليطلة قاعدة الثغر الأوسط التى تبعد عن أستجة بمسافة بعيدة . ولعل هذه الحيرة هى التى دفعت خواكين باليه إلى وضع علامة استفهام بعد إشارته لرواية ابن الفرضى السابقة دون تعليق<sup>(٩٣)</sup> . كما أن اسم مدينة طليطلة وهى أقرب فى حروفها إلى اسم طليطلة الذى ذكره ابن الفرضى تبعد بمسافة كبيرة عن أستجة ، كما أنها تتبع كورة إشبيلية<sup>(٩٤)</sup> .

ومع ذلك فإننى أميل إلى الأخذ برواية ابن الفرضى عن وجود ناحية باسم طليطلة ضمن حدود كورة أستجة ، يدفعنى إلى ذلك عدة اعتبارات :

١ - جرت العادة فى الأندلس على إطلاق اسم أحد الأعلام الجغرافية على عدة مواضع فى أماكن مختلفة والأمثلة على ذلك كثيرة<sup>(٩٥)</sup> .

٢ - أن ابن الفرضى كان يتمتع بملكة الكتابة فى الجغرافية ووصف البلدان ، فقد كان يزعم - كما ذكر فى مقدمة كتابه - تأليف معجم للتراجم على البلدان<sup>(٩٦)</sup> . فلا يعقل والأمر كذلك ألا يميز بين طليطلة وبين أقاليم كورة أستجة .

٣ - أن ابن الفرضى كان من أهالى أستجة ، كما كان قاضيا لها فى دولة الخليفة محمد المهدى الأولى عام ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م<sup>(٩٧)</sup> ، كما كان معاصرا لصاحب الترجمة الذى توفى فى إقليم طليطلة عام ٣٥٤هـ .

ومن نواحى أستجة أيضا بلاط أبى عطاء الذى كان ينسب إلى أبى عطاء الأستجى زعيم القبائل العربية القيسية بها<sup>(٩٨)</sup> . وكذلك كانت قرية مقريانة من قرى أستجة المشهورة<sup>(٩٩)</sup> . ولقد كانت بعض أقاليم أستجة التى تحدثنا عنها متصلة بأعمال قرطبة<sup>(١٠٠)</sup> . وربما كان قرب كورة أستجة من قرطبة ، واتصال أقاليمهما فيما بينهما ، سببا وراء اعتقاد بعض الجغرافيين بأن كورة أستجة نفسها كانت من أعمال قرطبة ، فالحجارى يذكر أن مملكة قرطبة كانت تضم أحد عشرة كورة من بينها كورة أستجة<sup>(١٠١)</sup> .

وتعددت عناصر السكان فى أستجة فى العصر الإسلامى ، فقد استقرت فيها أغلب العناصر السكانية والأجناس التى شكلت خريطة الأندلس البشرية من عرب وبربر ومولدين وموالى ومستعربين . وكانت الأزد ، والأنصار ، وخولان ، وبنى مراد والكنديين من أهم القبائل اليمنية العربية التى استقرت فى أستجة<sup>(١٠٢)</sup> ، ومن أشهر القبائل العربية القيسية التى استوطنت أستجة نصر ، وباهلة ، وبنى مرة ،

وسليم ، وتميم ، وبعض بنى أمية<sup>(١٠٣)</sup> . وقد نزل هؤلاء العرب فى أخصب مناطق كورة أستجة وأطيبها خاصة الفحوص الخضراء لوادى شنيل . أما البربر فقد استوطنوا أستجة ونزل بعضهم كقبيلة هواره بجوار العرب فى المناطق الخصبة<sup>(١٠٤)</sup> ، ونزل بنو عبد الوهاب الصنهاجيين وقبيلة مصمودة بأشونة<sup>(١٠٥)</sup> ، كما استقر عدد كبير من البربر فى مرتفعات تاكرنا مثل بنى الخليع من قبيلة مديونة<sup>(١٠٦)</sup> . وكانت أستجة مركزا رئيسيا للمولدين ، وكان معظمهم يسكن فى بوادى أستجة مختلطين مع بقية عناصر السكان بها كما يذكر ابن الفرضى<sup>(١٠٧)</sup> . وكان يسكن أستجة جماعات كبيرة من المستعربين الذين آمنهم المسلمون على دينهم وأموالهم وأبقوا لهم كنائسهم وأديرتهم .

#### ٤ - التاريخ السياسى لأستجة :

( أ ) عصر الولاية ( ٩٥ - ١٣٨هـ / ٧١٤ - ٧٥٦م ) :

لعبت القبائل العربية والبربرية التى استقرت فى كورة أستجة دورا هاما ومؤثرا فى تاريخ الأندلس خلال عصر الولاية ، فقد شاركت فى حدثين هامين وحاسمين من أحداث هذا العصر وأعنى بهما الصراع على الزعامة السياسية بين العرب القيسية واليمينية فى الأندلس ، والمساهمة فى مساندة الأمير عبد الرحمن بن معاوية فى صراعه ضد يوسف الفهري والى الأندلس حتى ظفّره بالإمارة فى عام ١٣٨هـ / ٧٥٦م ، والجدير بالملاحظة أن دور عرب وبربر أستجة فى هذين الحدثين كان قاصرا على المشاركة الفعالة فى الحرب بالعتاد والجند فحسب ، علما بأن معظم المعارك التى خاضتها القيسية ، وعبد الرحمن الداخل لم تمس كورة أستجة .

قلد حنظلة بن صفوان صاحب أفريقية أبا الخطار الحسام بن ضرار الكلبى ولاية الأندلس فى عام ١٢٥هـ / ٧٤٣م<sup>(١٠٨)</sup> ، لكى يضع حدا للفتنة المحتدمة بين

أهل الأندلس البلديين وعرب الشام الطارئين ، وفي أول عهده توسم فيه أهل الأندلس خيرا ، فقد أمر بإطلاق سراح أسرى العرب البلديين والبربر الذين قدمهم ثعلبة بن سلامة العاملى الوالى قبله إلى مصارة قرطبة ليبييعهم كعبيد فى سوق النخاسة ، فأطلقوا على جنده الذين اصطحبهم معه من أفريقية عسكر العافية<sup>(١٠٩)</sup> . واجتمع على أبى الخطار أهل الشام والعرب البلديين ، ودانت له الأندلس بالطاعة بعد أن وحد كلمة المسلمين بعد الفرقة ، واجتث جذور الفتنة بما اتخذه من إجراءات حاسمة ، فاستقامت حال الناس فى البلاد واطمأنوا إلى معاشهم<sup>(١١٠)</sup> . غير أن أبى الخطار لم يلبث أن انحرف عن طريق الإصلاح عندما تعصب لقومه اليمنية ومال إليهم واعتزل القيسية ، وأساء إلى الصميل بن حاتم الكلابى زعيم القيسية<sup>(١١١)</sup> ، إساءة بالغة ، ولعل الخصومة القائمة بين الرجلين ترجع إلى النفرة القديمة بين القيسية واليمنية ، بالإضافة إلى ما ذكره صاحب الأخبار المجموعة من أن الصميل كان يفوق الأمير بالنجدة والسخاء ، فاغتم أبو الخطار به وأراد كسره<sup>(١١٢)</sup> . وانتهز فرصة قدوم الصميل إليه يشكوه غبنا لحق بأحد القيسية كان أبو الخطار قد جار عليه فى حكم له ، فتعمد أبو الخطار إهانته وأمر رجاله بسبه ولكزه ، فخرج من القصر غاضبا دون أن يقيم عمامته واتجه رأسا إلى داره بعدوة النهر قبلى قرطبة ، وقد قر عزمه على إثارة قومه على اليمنية ، فدعا خيار قومه ، وشكا إليهم ما لقيه عند أبى الخطار ، وبحث معهم السيل التى يستطيعون بها أن يغسلوا هذه الإهانة ويدركوا ثأرهم من اليمنية<sup>(١١٣)</sup> .

ويتضح من الروايات أن سلطان الصميل على قومه بلغ مبلغا عظيما ، وكانوا يطيعونه فى كل ما يأمرهم به ، فقد أجابوه إلى دعوته للثأر من اليمنية والعمل على عزل أبى الخطار من ولاية الأندلس ، وقالوا له « نحن تبع لك »<sup>(١١٤)</sup> . ولقد أحكم الصميل التدبير لتنفيذ مخططه ، فلم يمانع فى أن يتعامل مع منافسيه من القبائل القيسية الأخرى فى سبيل تحقيق أهدافه ، فذهب إلى استجة يسترضى أبى

العطاء القيسى زعيم قبيلة غطفان بها ويسأله النصرة . ولعله أدرك أهمية أن يتعاون مع أبي العطاء الأستجى ؛ فقد كان يناظره فى الرياسة ويحسده على زعامة القيسية بعد رحيل كبار ساداتهم عن الأندلس ، بالإضافة إلى عظم مكانته بين قومه فى أستجة تلك المكانة التى تجعلهم يأترون بأمره ويرجحون كفة الحزب الذى يناصرونه . فأراد الصميل ألا يوسع هوة الخلاف بينهما بتجاوزه له وعدم التعاون معه كما أشار عليه بعض أصحابه ، خوفا من أن ينقلب قيسية أستجة ويشعلونها حربا عليه ويعضدون جانب أبى الخطار ويفسدون تدبير الصميل ، ولقد عبر أحد أنصار الصميل عن هذا رأى بقوله « رأى أنك تأتى أبا عطاء وتشد أمرك به فإنه تحركه الحمية وينصرك ، وإن تركته مال إلى أبى الخطار وأعانه عليك ليبلغ فيك ما يريد » (١١٥) .

عاهد أبو العطاء الأستجى الصميل على قتال أبى الخطار وأمر أهله وأصحابه فى أستجة بنصرته ، وسار الصميل مع جند أستجة نحو مورور للاستعانة ببعض القبائل اليمينية المناوئة لأبى الخطار ، فتحالفوا مع ثوابة بن سلامة الجذامى من جند فلسطين على حربه على أن يكون له أمر الأندلس ، فوافقهم على ذلك لإنحرافه عن أبى الخطار لعزله إياه عن إشبيلية ، وأجابتهم كذلك قبائل لخم وجذام فى شذونة وإشبيلية ولبلة وباجة ، وهكذا « تساربت المضريبة إلى أبى العطاء والصميل فاستغلظ أمرهم » (١١٦) . ولما علم أبو الخطار بذلك خرج لمحاربتهم ، والتقى الجمعان بالقرب من وادى لكة ، فهزمهم ثوابة وأسره وقتل أكثر عسكره ، ثم دخل ثوابة قصر الإمارة بقرطبة وأبو الخطار معه يرسف فى قيوده ، وتولى إمارة الأندلس بتدبير الصميل فى عام ١٢٧هـ / ٧٤٥م (١١٧) . وبعد أن استتب الأمر لثوابة فى قرطبة انصرف عنه سادات العرب إلى منازلهم عدا الصميل الذى علت منزلته فى السيادة بقرطبة ، وأصبح الأمر كله له ، وانصرف أبو العطاء القيسى مع قواته من قرطبة عائدين إلى موطنهم أستجة (١١٨) . وهكذا

ساهم عرب أستجة مساهمة فعالة فى حسم الصراع لصالح حزب الصميل ، لتعلو بذلك كلمة القيسية فى الأندلس ويكون لهم السلطان الفعلى فى البلاد .

ومن المرجح أن الصميل ظل على علاقته الطيبة بقيسية أستجة خلال عصرى ثوابة بن سلامة العاملى ويوسف بن عبد الرحمن الفهرى الذى تولى الأندلس بعده فى ربيع الآخر ١٢٩هـ / ٧٤٧م<sup>(١١٩)</sup> . ويؤيد هذا التخرىج مشاركتهم هم وغيرهم من القيسية تحت قيادته ويوسف الفهرى فى معركة شقندة فى عام ١٣٠هـ / ٧٤٨م ، عند تجدد الصراع بين القيسية واليمنية بسبب تطلع أبى الخطار - الذى فر من أسر ثوابة بن سلامة - إلى السلطان من جديد ، وفى هذه المعركة التى لم « يك بالمشرق ولا بالمغرب حرب أصدق منها جلادا ولا أصبر رجالا »<sup>(١٢٠)</sup> ، انهزمت اليمنية ، وقتل منهم خلق كثير ، وهرب أبو الخطار ثم قتل حين ظفر به<sup>(١٢١)</sup> ، كما أسرت القيسية عددا كبيرا من اليمنية فأمر الصميل بقتل سبعين رجلا منهم ، وتشفع أبو العطاء الأستجى لبقيتهم ، فأمر الصميل بعد أن هدده أبو العطاء بالانقلاب عليه « برفع السيف وأمن الناس على يدى أبى عطاء بعد بلاء طويل »<sup>(١٢٢)</sup> . وهكذا يتضح أنه رغم مشاركة أستجة فى هذا الصراع المحتدم بين العصبيتين اليمنية والقيسية ، ورغم تعصبهم لقيسيتهم ، إلا أن زعيمهم أبا العطاء رفض أسلوب التشفى والوحشية الذى مارسه الصميل بإقدامه على قتل الأسرى ، وساهم أبو العطاء فى حقن دماء إخوانه فى العروبة ، فقد كان يخاف من هذه الفتنة العظمى على بوار الإسلام فى الأندلس<sup>(١٢٣)</sup> . كما يتبين عظم مكانة أبى العطاء بين القبائل القيسية فى الأندلس ، وخشية الصميل من سطوته هو وعرب أستجة ، رغم أنه كان يعتبر الحاكم الفعلى للأندلس والمحرك الرئيسى لأحداثها .

وتجدر الإشارة إلى أن عرب أستجة لم يشاركوا فى بقية أحداث عصر الولاة خاصة مساندة الصميل زعيم القيسية الذى حاصره اليمنية فى سرقسطة رغم استتجاده بهم ، بسبب وفاة أبى عطاء القيسى ، وعدم وجود زعيم كفاء يخلفه فى



رئاستهم ، ويعلق المؤرخ المجهول على ذلك بقوله « وكانت غطفان تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، ولم يكن لهم رأس يجمعهم كان قد هلك رأسهم أبو عطاء »<sup>(١٢٤)</sup> .

وينفرد ابن القوطية بخبر يشير إلى تعصيد بربر كورة أستجة لعبد الرحمن ابن معاوية عند عبوره إلى الأندلس في ربيع الأول عام ١٣٨هـ/٧٥٦م ، فيذكر أنه عندما وصل إلى بنى الخليع نبأ دخوله الأندلس ووصوله إلى كورة ربة ، خرجوا إليه في قوة من أربعمئة فارس ليكونوا في طليعة قواته فاشتد بهم ساعده<sup>(١٢٥)</sup> . ولعل ولاء بنى الخليع للخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ/٧٢٠ - ٧٢٤م) كان وراء إسراعهم بمساندة الأمير الأموي الذي كان يسعى لإحياء دولة بنى أمية في الأندلس . كما يبدو أن مساندة بربر تاكرنا وغيرهم من القبائل البربرية الموالية لبنى أمية كانت عاملا هاما في انتصاره على الفهرى وظفره بولاية الأندلس<sup>(١٢٦)</sup> .

### (ب) عصر الإمارة الأموية :

واجه الأمير عبد الرحمن بن معاوية كثيرا من الثورات الداخلية والأخطار الخارجية التي كانت تتهدد دولته الناشئة ، ويتمثل ذلك في بعض الثورات التي قام بها البربر والعرب القيسية واليمنية على السواء . وكانت أستجة من بين المناطق التي خرجت عليه عند قيام حيوة بن ملامس الحضرمي الإشبيلي بالثورة في عام ١٤٤هـ/٧٦١م ، بسبب الهزيمة القاسية التي أنزلها الأمير عبد الرحمن الداخل بالثائر عبد الغفار اليحصبي زعيم اليمنية بغرب الأندلس ومقتل ثلاثين ألفا من الثوار<sup>(١٢٧)</sup> . ثار حيوة بن ملامس وخلع طاعة الأمير عبد الرحمن الداخل رغم الصداقة التي كانت بينهما<sup>(١٢٨)</sup> وتغلب على إشبيلية وأستجة وكثيرا من نواحي غرب الأندلس ، والتف حوله أهل هذه الأنحاء واستفحل أمره<sup>(١٢٩)</sup> .

ومن المرجح أن حيوة بن ملامس استولى على أستجة أملا في أن يتقوى بمن فيها من عرب يحصب ليساندوه على الثار لهزيمة زعيمهم القاسية ومقتل إخوانهم

اليمنية . ومن الأسباب التي دفعته إلى الاستيلاء عليها أيضاً - فى تصورى - موقعها الاستراتيجى المتميز على مقربة من قرطبة وحصانة أسوارها التي تيسر لمن يتحكم فيها مغامرة قرطبة ومهاجمتها والاستيلاء عليها والقضاء على عبد الرحمن الداخل . وأيا ما كان الأمر فقد توجه عبد الرحمن لمقابلة حشود حيوة بن ملامس ونشبت بين الفريقين معارك عنيفة دامت بضعة أيام ، استمات حيوة ورجاله خلالها فى القتال وتصدوا بضراوة شديدة لهجمات قوات عبد الرحمن ، ولكن عبد الرحمن واصل هجماته بعنف حتى تحقق له النصر فى القتال وانهمز حيوة وأصحابه ، ففر إلى ناحية فريش الواقعة شمالى قرطبة<sup>(١٣٠)</sup> ، وأرسل إلى عبد الرحمن يلتمس منه العفو والأمان ، فأمنه<sup>(١٣١)</sup> .

وفى عام ١٧٨هـ/٧٩٤م ، اندلعت فتنة خطيرة فى تاكرنا عندما أعلن سكانها البربر الثورة على الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (١٧٣-١٨٠هـ) ونبذوا الطاعة ، ثم هاجموا الإقليم واستباحوه وعاثوا فيه فساداً وقطعوا الطريق وهددوا أمن المنطقة وقتلوا وسبوا عدداً كبيراً من أهلها<sup>(١٣٢)</sup> ، فأراد الأمير هشام الرضا أن يقضى على هذه الفتنة دون أن يستخدم القوة لردع هؤلاء المتمردين ، فابن عذارى يذكر أنه أعذر إليهم ، فأبوا الاتصياح إليه<sup>(١٣٣)</sup> ، ولعل مناعة حصونهم ووعورة مسالكها كانت وراء تماديهم فى التمرد ، وإصرارهم على الثورة. ومن المرجح أن الأمير هشام ساءه أن يعين هؤلاء الثوار فى عنادهم وتمردهم ، ولم يسعه إلا كبح جماحهم وإخماد ثورتهم والحيلولة دون معاونتهم الثورة مرة أخرى فى هذه المنطقة وتطهيرها منهم بتغريبهم عنها . فالرواية تذكر أنه سير جيشاً كثيفاً بقيادة عبد القادر بن أبان بن عبد الله ، فهاجم الثوار وأخمد ثورتهم دون رافة وأباد جموعهم قتلاً وأسراً ، وخرب نواحيهم وضياعهم ، ولانت فلولهم الباقية بمدينتى طلييرة<sup>(١٣٤)</sup> ، وترجيلة<sup>(١٣٥)</sup> ، فدخلوا فى غمار قبائلها البربرية وبقيت تاكرنا خراباً طوال سبع سنوات<sup>(١٣٦)</sup> .

وفى عام ١٨٣هـ/٧٩٩م ، كانت أستجة مسرحا لفصل جديد من فصول الصراع بين الأمير الحكم بن هشام ( ١٨٠ - ٢٠٦هـ ) وعمه سليمان بن عبد الرحمن الداخل الذى لم ييأس رغم هزائمه المتكررة من محاولة دخول قرطبة والسيطرة على الحكم . فبعد عبوره من العدو المغربية فى عام ١٨٢هـ/٧٩٨م ، زحف إلى قرطبة فى حشود هائلة من البربر فى شوال من نفس العام ، فتصدى له الأمير الحكم على مقربة منها فى موضع يسمى فنجيط وأنزل به هزيمة نكراء ، ولى سليمان على إثرها الأدبار ، وتتبع الحكم فلول قواته فاعتصم بالأوعار والجبال ومع ذلك لم تفت هذا الهزيمة فى عضده ، فقد أعاد تنظيم قواته البربرية وزحف بها إلى أستجة فى صفر ١٨٣هـ ، فسار إليه الحكم والتقى الفريقان بالقرب من أستجة ، ودارت بينهما معارك ضارية استمرت عدة أيام ، وانتهت بهزيمة سليمان للمرة الثانية وفر مع أصحابه إلى ماردة Merida يستعد فيها لكرة أخرى (١٣٧) .

وفى اعتقاده أن سليمان بن عبد الرحمن خرج إلى أستجة لحصانتها ولإعجابه الشديد بموقعها الفريد بالقرب من قرطبة . ويبدو أنه كان ينوى اتخاذها قاعدة ينطلق منها نحو الحاضرة . غير أن الأمير الحكم بن هشام لم يمهله كثيرا حتى يستولى عليها ويشد بها أمره وباغته بهجوم ساحق انتهى بهزيمة مخزية ألحقها بقوته .

وفى عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ) عادت تآكرنا إلى الثورة من جديد ، ولعل قبضة الأمير الحكم الربضى القوية على البلاد وسرعة مباغتته الثوار فى عقر دارهم ، جعلت أهالى تآكرنا التى عمروها بعد سنوات من تخريبها على أيدي قوات هشام الرضا ، يلوذون بالطاعة . ومن المرجح أن انشغال الأمير عبد الرحمن الأوسط عند توليه الإمارة فى قمع الثورات المحلية الخطيرة التى اندلعت فى بداية عهده ، ومواجهة غارات النصارى فى

الشمال ، بالإضافة إلى طبيعة هؤلاء البربر الثائرة التي جعلتهم يجنحون دائما إلى الثورة والخروج عن الطاعة محتمين بمعاقلمهم الحصينة ، كل هذه الأسباب دفعت أحد زعماء البربر ويدعى طوريل إلى الثورة على الأمير عبد الرحمن الأوسط فى عام ٢١١هـ/٨٢٦م ، فوجه إليه الأمير قائده عبد الرحمن بن معاوية بن غانم على رأس جيش كثيف ، فظفر به وأحمد ثورته<sup>(١٣٨)</sup> . غير أن بربر تآكرنا ما لبثوا أن عاودوا الثورة على الحكومة المركزية فى أواخر عهد عبد الرحمن الأوسط ( فى عام ٢٣٥هـ/٨٤٩م) فجرد إليهم جيشا ضخما قاتلم وألحق بهم الهزيمة<sup>(١٣٩)</sup> .

وتجدر الإشارة إلى أن أستجة تعرضت لإحدى الكوارث الطبيعية فى يناير عام ٢٣٥هـ/٨٤٩م وتتمثل فى سيلين خطيرين اجتاحا مجرى نهر الوادى الكبير ورافده وادى شنيل اعتبرا من أمهات السيول التى تعرضت لها البلاد ، فطغى النهر مدة ، وتخرب حنيتين من حنايا قنطرة أستجة ، ودمر السدود وأبطل عددا من أرحائها المقامة عليه<sup>(١٤٠)</sup> . ومن المرجح أن الأمير عبد الرحمن الأوسط اهتم بترميم هذه القنطرة ، فقد نشطت فى عهده فنون البناء والتعمير ، وإليه ينسب تأسيس مدينة مرسية وتوسيع جامع قرطبة والمسجد الجامع بإشبيلية ، واهتم بإقامة الجسور والقناطر<sup>(١٤١)</sup> .

ويبدو أن أستجة نعمت بالهدوء والاستقرار فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، فلم يرد فى المصادر ما يشير إلى اندلاع فتن أو قيام ثورات فيه مما يؤكد تمسك أهلها بطاعة الأمير الجديد . ويؤيد هذا التخريج أنها ساهمت مثل غيرها من كور المنطقة بألف ومائتى فارس وهو عدد لا بأس به من الأجناد والمطوعة الذين استنفرهم الأمير للصائفة التى جردها بقيادة ابنه عبد الرحمن والوليد بن عبد الرحمن الوزير صاحب المدينة إلى جليقية فى عام ٢٥١هـ/٨٦٥م<sup>(١٤٢)</sup> . ولقد أولاها الأمير محمد اهتمامه ، فأصلح مسجدها الجامع ، واهتم بأمر القضاء فيها<sup>(١٤٣)</sup> .

### (ج) أستجة إبان ثورة عمر بن حفصون :

يذكر الرازي أن السياسة التعسفية التي انتهجها ولاية الأمير محمد بن عبد الرحمن مع أهالي كور الوسطة والجنوب - رية والجزيرة وتاكرنا - أدت إلى ظهور الخلاف فيها ، فاستهان أهلها بالأمير واجتروا على رجاله وسارعوا إلى معصيته ، فكانت ثورتهم هذه مقدمة لثورة عمر بن حفصون<sup>(١٤٤)</sup> ، التي اندلعت في قلعة ببشتر بكورة رية في عام ٢٦٧هـ / ٨٨٠م<sup>(١٤٥)</sup> ، وطال أمدها بحيث « طمت على جميع فتن الأندلس بعمومها وامتداد أيامها ، ورفع أهل الشر رؤوسهم نحوها »<sup>(١٤٦)</sup>. ولقد تأثرت أستجة بشدة بثورة عمر بن حفصون ، فقد تأرجحت خلالها بين الثورة على حكومة قرطبة والإذعان والطاعة لها ، فكلما استولى عليها عمر بن حفصون سارع الأمير عبد الله بن محمد باستردادها نظراً لخطورة موقعها وأهميته الاستراتيجية . فقد كان ابن حفصون يتخذها قاعدة عسكرية وحصناً أمامياً ينطلق منه للإغارة على قرطبة ، وظلت هكذا حتى فتحها الأمير عبد الرحمن بن محمد وهدم أسوارها وأعادها إلى حظيرة الحكومة المركزية .

وفي أعقاب وفاة الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٧٣هـ / ٨٨٦م) تمكن الثائر عمر بن حفصون في عهد خلفه الأمير المنذر (٢٧٣-٢٧٥هـ) من توسيع نفوذه بالاستيلاء على الحصون المجاورة في كورتي رية والجزيرة وتاكرنا ، كما دخلت في طاعته عدة حصون بدون قتال ، فقد افتتن أهلها من المولدين والمستعربين بدعواه إلى الأخذ بثأرهم وتحريرهم من عبودية العرب<sup>(١٤٧)</sup> . « فكان ابن حفصون لا يورد هذا على أحد إلا أجابه وشكره ، فكانت طاعة أهل الحصون بهذا الوجه »<sup>(١٤٨)</sup> . وبعد أن تظاهر بالطاعة للأمير عبد الله عدة شهور ، عاد ونكث عهده في عام ٢٧٥هـ / ٨٨٨م ، وأغار على كورة رية والكور المجاورة لها ، وأضرم البلاد سعيراً وقطع السبيل ، وأخرج قائده حفص بن المرة وكان شديد المراس والتمرد في خيل كثيفة للإغارة على أستجة وأشونة ، كما شملت غارته هذه نواحي

قرطبة حتى هم أهلها بالجلاء عنها ، وضجوا إلى الأمير مما أصابهم من جورهِ ، فأخرج الأمير عبد الله قائده عبد الملك بن مسلمة الباجي في جيش كثيف ، فالتقى مع قوات ابن حفصون في موضع من كورة أستجة بين حيزها وحيز أشونة ، فدارت الدائرة على القوات الحكومية ، وقتل قائدها<sup>(١٤٩)</sup> .

ولقد ترتب على معركة أستجة تعاضم قوة ابن حفصون ، واستفحال وخطورة دعوته ، كما أسفر انتصاره على القوات الحكومية عن إعلان هدفه الحقيقي وهو منابذة الأمير والسعى لهدم سلطانه . ومن نتائج هذا الانتصار أيضا تطلع نفوس الناس إلى الفتنة وتفاقم العلاقات بين العرب من جهة والمولدين والمستعربين من جهة ثانية ، فظهرت بينهم النعرات والسخائم العصبية في كل جهة من جهات البلاد وتسافكوا الدماء ودانوا بالاستباحة ، وتحزبت المسالمة مع المولدين والمستعربين « فصار جميعهم إلبا على العرب قائمين بدعوة عمر بن حفصون »<sup>(١٥٠)</sup> . التي أصبحت دعوة صارخة للشعبوية .

ولقد اكتوت أستجة بنيران هذه الفتنة ، فقد استتجنا من بعض النصوص أن المولدين ثاروا على العرب في أستجة ووقع بينهم قتال شديد ، انتهى بهزيمة العرب وقتل منهم عدد كبير . كما اتضح لنا أن هذه الفتنة دفعت بعض عرب أستجة إلى الفرار منها أمام عداء المولدين الشديد لهم . فابن الفرضي يذكر أن جده نصر الأزدي قتل في الفتنة التي كانت بين المولدين والعرب بأستجة ، مما دفع أسرته إلى الرحيل عنها والانتقال إلى موضع آخر<sup>(١٥١)</sup> ، كما خرج تميم بن علاء بن عاصم التميمي ( توفي قبل عام ٣٠٠هـ ) من أستجة زمن الفتنة ، ونزل بقربة بريشة من قرى شذونة<sup>(١٥٢)</sup> . ولعل النكبات التي حلت بكثير من أفاضل العرب وخيارهم إما بالقتل أو التشريد في هذه الفتنة ، هو ما دفع البعض إلى أن يطلق قولا صار مثالا شعبيا يصور أوضاع العرب في أستجة ، فقالوا : « أستجة البغي مذكرة باللعنة والخزي ، يذهب خيارها ويبقى شرارها »<sup>(١٥٣)</sup> .

وفى عام ٢٧٦هـ/٨٨٩م استعاد الأمير عبد الله بن محمد عدة حصون من كورة رية كانت تدين بالطاعة لعمر بن حفصون ، وشحنها بالمقاتلة ، ثم غزا حصن ببشتر ، فأفسد ما حوله من غلات وثمار ، وعاد بعدها إلى قرطبة . ويبدو أن هذه الغزوة لم تفت فى عضد الثائر ، فقد استغل عمر بن حفصون عودة الأمير إلى قرطبة وخرج فى جيشه إلى ناحية أستجة ، فتحالف مع بنى الخليع بتاكرنا ، واستولى على حصون أشونة ، فانتهر أهل أستجة على ما يبدو فرصة وجوده فى كورتهم وأعلنوا العصيان والخروج عن طاعة الأمير عبد الله والانضواء إلى عمر ابن حفصون ، ثم إنهم لم يترددوا بعد ذلك فى دعوة عمر بن حفصون إليهم وأدخلوه مدينتهم<sup>(١٥٤)</sup> . انزعج الأمير عبد الله من استيلاء عمر بن حفصون على أستجة وغيرها من الحصون ، وجرد إليه جيشاً بقيادة عمه المنذر بن عبد الرحمن الأوسط ، فبادر عمر بن حفصون بالاعتذار عما فعله ، واختلق الأعذار لما اقترب منه ، وسأل الأمير تجديد الأمان له وأن يوليه على ما تحت يده ، وأرسل إليه ذلك كله مع رجلين من قريش كان أصابهما بأستجة فوافق الأمير على ذلك وولاه على رية دون بقية الحصون الأخرى<sup>(١٥٥)</sup> .

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال : هل رجع ابن حفصون عن أستجة أم ظل متمسكاً بها ؟! ، يرى الأستاذ محمد عبد الله عنان اجتهداً دون الاستناد على مصدر معلوم أن جيش المنذر بن عبد الرحمن رد عمر بن حفصون عن أستجة<sup>(١٥٦)</sup> . والواقع أن رواية ابن حيان السابقة لم تشر إلى وضعية أستجة بعدما استأمن عمر ابن حفصون الأمير عبد الله . غير أنه من المرجح أن أستجة ظلت تابعة لسلطان ابن حفصون ، بل اعتقد أنه اتخذها قاعدة عسكرية لعملياته الحربية ، وكان ينطلق منها للإغارة على قرطبة وتضييق الخناق عليها وترويع أهلها . ويؤيد هذا التخريج نص لابن حيان نقله عن الرازى فى أحداث عام ٢٧٨هـ/٨٩١م ، ذكر فيه أن عمر بن حفصون تجرأ على إفساد مضرب الأمير عبد الله الذى أبرزه فى شقندة -

الربض القبلى من قرطبة - تمهيداً لغزوه ، فقال « فبلغ من جرأة اللعين عمر بن حفصون أن أسرى من مدينة أستجة عمله ليلاً حتى وقف بفج المائدة المطل على باب قرطبة بقبليها وأرسل أصحابه لإفساد مضرب الأمير عبد الله »<sup>(١٥٧)</sup> . وفى موضع آخر يقول ابن حيان نقلاً عن معاوية بن هشام الشينسى تعليقاً على هذا الحدث « ركب - عمر - إلى قرطبة فى سرية ثقيلة خرج بها من حضرته مدينة أستجة وهم يومئذ فى طاعته ... »<sup>(١٥٨)</sup> . وتجدر الإشارة إلى أن عمر بن حفصون عمل على تحصين أستجة وتقويتها ، كما شحنها بصنوف كثيرة من آلات الحرب والقتال<sup>(١٥٩)</sup> .

جد الأمير عبد الله فى الخروج إلى قتال عمر بن حفصون فى عام ٢٧٨هـ / ٨٩١م ، بعد أن اشتدت شوكته واستفحل واضطهد الرعية بأقاليم قرطبة عندما كان يغير عليهم من حصن بلاى Poley « فيتصل صيحة الروع منه بالمدينة وأرباضها ، ويفزع أهلها فى كل حين فيلحق بالسلطان الغضاضة حتى صير حضرته كطرف من أطراف الثغر »<sup>(١٦٠)</sup> . واشتبكت قوات قرطبة مع قوات عمر من جنده ، واضطر إلى الاحتماء بحصن بلاى والامتناع بدخله مع بعض رجاله الذين ما لبثوا أن خرجوا من الحصن فارين على وجوههم وكان فى طليعة هؤلاء الفارين أتباعه من أهل أستجة ، فلم يجد ابن حفصون مفراً بعد انفضاضهم من حوله سوى الفرار إلى ببشتر وترك حصن بلاى ، فاستولت عليه القوات القرطبية وضبطته<sup>(١٦١)</sup> . وعلى إثر ذلك زحف الأمير عبد الله وقواته إلى مدينة أستجة قلعة ابن حفصون وكان قد لاذ بها معظم الفارين من حصن بلاى ، فنازلهم بالقتال ، فامتنعوا داخل أسوارها ، فحاصروهم حصاراً شديداً ولم يتردد فى قذفهم بالمنجنيق وتدمير تحصينات المدينة ، فلما أشرفوا على الهلاك سألوه الأمان على أن يعودوا إلى طاعته ، وأبرزوا أطفالهم ونساءهم بأعلى الأسوار ، فأجابهم الأمير وأمنهم



بعدما أخذ رهائن من وجوههم ، وأقام على المدينة عاملاً من قبله ، ثم مضى إلى بيشتر وأرشدونة فاستعادها ، ومنها قفل عائداً إلى قرطبة<sup>(١٦٢)</sup> .

وهكذا استطاع الأمير عبد الله أن يحد من شوكة عمر بن حفصون وأن يضع حداً مؤقتاً لطغيانه ، وأن يعيد الأمن والأمان لأهل قرطبة بالاستيلاء على حصن بلاى ومدينة أستجة . وكان فتح أستجة حدثاً عظيماً أثار قرائح الشعراء فقرحت نظماً حسناً ، ومن القصائد الحسنة فى فتح أستجة ووصف النصر الباهر الذى أحرزه الأمير عبد الله قصيدة لأحمد بن محمد بن عبد ربه أولها<sup>(١٦٣)</sup> :

هو الفتح منظوماً على أثره الفتح      وما فيهما عهد ولا فيهما صلح  
سوى أن صفحاً كان من بعد قدرة      وأحسن مقرون إلى قدرة صفح  
سل السيف والرمح الردينى عنهما      فتسمع ما ينبى به السيف والرمح

ومن المرجح أن طاعة بعض أهالى أستجة لم تكن خالصة للأمير عبد الله ، وأنهم اضطروا إلى الإذعان له كما رأينا ليتخلصوا من حصاره الشديد لمدينتهم . كما يبدو أن عصبيتهم المولدة كانت أقوى من ولائهم لحكومة قرطبة ، يؤكد ذلك أن رجالهم الذين انضموا إلى الجيش النظامى وشاركوا فى بعض غزواته إلى إشبيلية وقرمونة فى عام ٢٨٢هـ / ٨٩٥م ، هربوا من صفوف الجندية إلى أحد الثوار المولدين المنتزين على الأمير عبد الله ، فابن حيان يذكر أن ابن سالم الأسجى هرب فى عدة من رجال أستجة إلى الخبيث طالب بن مولود أثناء قتاله له على حصن منت فىقى ، وقد تأثر جيش الإمارة تأثراً شديداً لفرارهم ، إلا أن أحمد بن هاشم قائد الجيش أعاد تنظيم قواته وهاجم بها الثائر فى حصن آخر من حصونه وهو حصن أقوط ، وهزمه وقتل من رجاله - ومنهم أهل أستجة الفارين إليه - سبعين رجلاً ، فطلب الثائر الأمان فأمنه قائد الجيش بعد أن توثق منه<sup>(١٦٤)</sup> .

ومع ذلك فقد ظلت أستجة فى حوزة الأمير عبد الله منذ أن افتتحها فى عام ٢٧٨هـ حتى عام ٢٨٤هـ (٨٩١ - ٨٩٧م) . فقد استغل عمر بن حفصون انشغال عسكر الإمارة بقيادة أبان بن الأمير عبد الله فى قتال ابن خصيب المولد الثائر بحصن منت ميور Montemayor من كورة لبلة Niebla<sup>(١٦٥)</sup> ، فى ربيع الأول ٢٨٤هـ/مايو ٨٩٧م ، وجمع جموعه وزحف على أستجة واستولى عليها للمرة الثانية فى نفس العام . فأدرك الأمير عبد الله خطورة سقوط أستجة فى يد ابن حفصون فى الوقت الذى غابت قواته عن قرطبة الحاضرة فأرسل كتابا يستعجل عودة قواته بسبب أستجة ، فقتل العسكر<sup>(١٦٦)</sup> . وتذكر الرواية أن القوات الحكومية التى عادت من لبلة بسبب الاستيلاء على أستجة ، لم تمكث بقرطبة إلا أياما تجهزت خلالها لغزو ابن حفصون فى الغزوة المعروفة بالجزيرة<sup>(١٦٧)</sup> ، ومع ذلك لم تغزو أستجة .

ومن المرجح أن ابن حفصون أحكم سيطرته على أستجة ، فلم يستطع الأمير منازلته بها كما أنها استعادت مكانتها كقاعدة عسكرية منيعة لابن حفصون ، كان يخرج للإغارة منها على قرطبة<sup>(١٦٨)</sup> . ورغم الهزيمة القاسية التى منى بها ابن حفصون أمام جيش الإمارة بقيادة أحمد بن أبى عبدة فى ( إستبة ) الواقعة جنوبى أستجة فى عام ٢٨٩هـ/٩٠٢م ، وكان ابن حفصون يهدف إلى القضاء على القوات الحكومية عند أستجة ، ثم مهاجمة قرطبة والاستيلاء عليها<sup>(١٦٩)</sup> ، فلم تستطع القوات الحكومية استرجاع أستجة وظلت تحت سلطان ابن حفصون بقية عهد الأمير عبد الله . ولعل بقاء أستجة فى حوزة المولدين فترة طويلة خلال ثورة ابن حفصون ، ما دفع العوام إلى إطلاق بعض الأمثال الشعبية التى تعبر عن هجائهم وتحقيرهم لها ولأهلها ، وقالوا : « نكرت المدن ، قامت أستجة تجن »<sup>(١٧٠)</sup> أى ترهـو وتختال بالثورة على حكومة قرطبة .

وبعد وفاة الأمير عبد الله في ربيع الأول ٣٠٠هـ/٩١٢م ، تولى حفيده عبد الرحمن بن محمد إمارة الأندلس . وفي مستهل ولايته عمد إلى إخماد نيران الفتن واستتزال أهل العصيان المنتظرين في معظم أنحاء البلاد . وكانت أستجة كما رأينا شوكة في جنب الحكومة المركزية لقربها من قرطبة ، كما كان أهلها يميلون دائماً إلى الشقاق والنفاق ، وطالما خرجوا على طاعة أمير البلاد ، ولذلك فقد ركز لها عبد الرحمن بن محمد منذ توليه الإمارة معظم طاقته ، فجرد إليها حملة كثيفة بقيادة الحاجب بدر بن أحمد في جمادى الأولى ٣٠٠هـ/٩١٢م ، وأمدّه بالقائد أحمد بن محمد بن حدير في قوة من الحشم ، فحاصر الجيشان أستجة ، فلما عاين أهلها ضخامة الجند أدركوا صعوبة المقاومة وأن الأمير جاد في استتزالهم ، ولذلك أعلنوا طاعتهم وطلبوا الأمان ، فأمنهم الحاجب بدر بن أحمد ودخل مدينتهم في ١١ من جمادى الأولى ٣٠٠هـ/٩١٢م<sup>(١٧١)</sup> .

واعتقد أن الأمير عبد الرحمن بن محمد أراد أن يضمن ولاء أهل أستجة وعدم خروجهم عن الطاعة . يتضح ذلك من سياسة الترهيب والترغيب التي اتبعها معهم ، فقد أمضى أمانهم وصفح عن جرائمهم ونظر في مصالحهم ، كما ألحق فرسانهم وحماتهم في ديوان العطاء وأقطعهم القطائع الواسعة ، ومن جهة أخرى فقد أمر بهدم أسوارها وتسويتها بالأرض ، وهدم قنطرة نهرها ليعزلها عن بقية المناطق النائية وتصبح بذلك عاجزة عن التمرد والعصيان ، وترك فيها القائد أحمد ابن محمد بن حدير في قوة من جنده لحفظ الأمن بها ، واستعمل عليها حمدون بن بسيل ، « فسكنت الحال بها ، وتوطدت الطاعة فيها »<sup>(١٧٢)</sup> . وكان لفتح أستجة أهمية كبيرة للأمير عبد الرحمن بن محمد ؛ فقد كانت مقدمة الفتوحات لأهم المدن الخارجة عن الطاعة ، « وتوالت فتوح الجهات بعدها ، فكانت كسلك القلادة انقطع فهوت ترره تترى » ، ولذلك فقد أرسل الأمير عبد الرحمن بن محمد كتب الفتح بشأنها إلى الأفاق ، ونظم الشعراء في فتحها قصائد كثيرة ، ومنهم عبد الله بن

يحيى بن إدريس ، وأحمد بن محمد بن عبد ربه وغيرهما<sup>(١٧٣)</sup> ، ومن شعر ابن عبد ربه فى فتحها<sup>(١٧٤)</sup> :

ألا إنه فتح يقر له الفتح      فأولاه سعد وآخره نجح  
سرى القاعد الميمون خير سرية      تقدمها نصر وتابعها فتح  
ألم تر أروى باستجة العدا      فلقوا عذابا كان موعده الصبح  
ومبالغة فى الاحتراز من انتقاض أستجة والمناطق المجاورة لها على طاعته،  
أمر الأمير عبد الرحمن بن محمد قائد الحشم سعيد بن عبد الوارث فى عام  
٣٠١هـ / ٩١٣م ، بأن يتجول بعسكره ما بين أستجة وتاكرنا<sup>(١٧٥)</sup> . ولعل الأمير  
كان يرغب فى أن يجعل من هؤلاء الجند فرقة طوارئ تكون على أهبة الاستعداد  
لمواجهة أى تمرد قد يحدث فى أستجة ، وتساعد حاميتها على سحقه فور وقوعه .

#### ( د ) أستجة فى عصر الخلافة الأموية :

تمكن الأمير عبد الرحمن بن محمد الذى تلقب بالناصر لدين الله فى عام ٣١٦هـ — /  
٩٢٨م ، من القضاء على الفتن والثورات وسحق المتمردين ، وأعاد للبلاد وحدتها  
ويتضح من الروايات أن جهوده فى هذا الصدد حققت نجاحا باهرا ، فظلت أستجة على  
طاعة الأمويين ، ولم تخرج عن الطاعة مرة أخرى<sup>(١٧٦)</sup> . وينكر ابن حيان أن الخليفة عبد  
الرحمن الناصر مر عليها فى عام ٣١٦هـ / ٩٢٨م. فى طريقه لضبط ببشتر التى كان  
قد فتحها فى عام ٣١٥هـ / ٩٢٧م. ولعله قصد لها - أستجة - فى طريقه لينظر فى  
أحوال أهلها ، ويستوثق من طاعتهم. ويبدو أنه لم يتوقف بها طويلا ، فقد خرج من قرطبة  
فى النصف من المحرم ووصل إلى ببشتر بعد ٥ أيام ( ٢٠ من المحرم )<sup>(١٧٧)</sup> . مما يؤكد  
استتباب الأمور بها وتمسكها بطاعته . ولقد أولى الخليفة الناصر عنايته الشديدة بأهالى  
أستجة ، فقد أدى لأهلها الكثير من الخدمات وأعمال البر فأمر ببنيان سقاية ماء  
لشرب أهلها ، فتم ذلك على يد واليها أمية بن محمد بن شهيد فى المحرم من عام

٣١٨هـ/٩٣٠م<sup>(١٧٨)</sup> . وتجدر الإشارة إلى أن ابن حيان احتفظ لنا بأسماء بعض ولاية أستجة في عهد الخليفة الناصر<sup>(١٧٩)</sup> .

ظلت أستجة تتمتع بالهدوء والاستقرار في عصرى الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ) ، وابنه الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ) ، ولم تقع بها حوادث ذات أهمية ، وكل ما وصلنا عنها خلال هذه الفترة لا يعدو مشاركة وجوه رجالها في المناسبات الدينية وحفلات الاستقبال التي كان يقيمها الخلفاء للشخصيات الهامة ، ويستدعون لحضورها بياض وأعلام رجال الكورة . ففي عام ٣٦٠هـ — / ٩٧٢م ، استدعى الخليفة المستنصر وجوه وأعلام الكور لمشاهدة دخول يحيى بن على بن حمدون وبنى خزر الزناتيين القادمين برأس زيرى بن مناد الصنهاجى ورؤوس أعيانه<sup>(١٨٠)</sup> ، فجاء وجوه أهل أستجة وشهدوا هذا الحفل . وكانت هذه الاحتفالات مناسبة لكى يتفقد الخليفة المستنصر أحوال هذه الكور والاطمئنان على سير ولائهم ، فابن حيان يذكر أن الخليفة استمع من « كبيرهم وصغيرهم ما ذكروه مما استخبرهم عنه من سير عمالهم ، فكافأ المشكور منهم سعيه ، وقارض المذموم منهم بسيئة »<sup>(١٨١)</sup> . ولم يكتف الخليفة المستنصر بسؤال وجوه أهل الكور الذين يحضرون احتفالاته بقرطبة عن أحوال بلدانهم فحسب ، وإنما كان يرسل مبعوثين من كبار رجال الدولة إلى هذه البلاد للقيام بهذه المهمة ، ففي عام ٣٦٢هـ/٩٧٤م ، بعث عبد الملك بن المنذر بن سعيد صاحب الرد بقرطبة إلى الكور الغربية ومنها أستجة « لمطالعة رعاياها وتعرف أحوالهم ، والكشف عن سير أعمالهم فيه »<sup>(١٨٢)</sup> . ويبدو أن أهالى أستجة استغلوا فرصة وجودهم فى حضرة الخليفة أو قدوم هذه البعثات الرسمية إلى بلادهم للسؤال عن أحوالهم ، ورفعوا إلى الخليفة الحكم المستنصر شكاوهم من سوء معاملة القاضى أصبغ بن قاسم الأستجى لهم ، فعزلهم عنهم . وربما تبين للخليفة بعد ذلك أن القاضى لم يكن بهذا السوء الذى صور له أهالى أستجة ، وأن سبب شكاوهم منه شدته وصرامته فى أحكامه ، فقد كان زاهدا

ورعا ، فلم يلبث أن أعاده إلى منصبه . ولم « يزل يلى صلاتهم وأحكام قضائهم إلى أن توفى وكلهم يسئ الثناء عليه والقول فيه » (١٨٣) .

كذلك استدعى الخليفة الحكم المستنصر بياض الرعية من أهل كور الأندلس للحضور إلى قرطبة لحضور حفل استقبال القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري<sup>(١٨٤)</sup> ، بعد عودته ظافرا من المغرب فى عام ٣٦٤هـ / ٩٧٦م ، فحضر وجوه أهل أستجة هذا الاحتفال ، وبعدها انطلقوا عائدين إلى بلادهم وظلوا يتحدثون مع غيرهم عن فخامة هذا الحفل وجلالة يومه<sup>(١٨٥)</sup> .

وكان أهالى أستجة يشاركون مثل غيرهم من أهل الأندلس فى الحملات التى كان يجردها الخليفة الحكم المستنصر لحرب الممالك المسيحية فى شمال إسبانيا ، وفى عام ٣٦٤هـ / ٩٧٦م ، خرج صاحب الشرطة الوسطى إلى كور الغرب لاستئجار أهلها للتطوع فى جيش الصائفة التى يجردها الخليفة إلى نصارى جليقية الذين أغاروا فى هذا الوقت على أهل الثغور الشرقية فأجابوه<sup>(١٨٦)</sup> .

ولقد اهتمت السيدة صبح البشكنسية أم الخليفة هشام المؤيد ، وكذلك المنصور محمد بن أبى عامر بأهل أستجة ، فأقاما الكثير من أعمال البر والخير بأستجة . وفى عام ٣٦٧هـ / ٩٧٨م ، أمرت السيدة صبح الشرطة وقاضى كورة أستجة أحمد بن عبد الله بن موسى ببناء سقاية بأستجة ، فتم البناء فى ربيع الآخر من نفس العام<sup>(١٨٧)</sup> . كما أمر ابن أبى عامر ببناء قنطرة على نهر شنيل بأستجة ، وأنفق عليها أموالا عظيمة ، فعمت بها منفعة أهل أستجة ، حيث سهلت لهم هذه القنطرة الطرق والشعاب الصعبة ، واعتبر ابن عذارى بناء هذه القنطرة من أعمال البر والتقوى التى تقدم المنصور بها إلى الله زلفى<sup>(١٨٨)</sup> .

#### (هـ) أستجة فى زمن الفتنة :

لم يمر وقت طويل حتى تحولت الثورة التى قام بها الأمويون بزعامة محمد بن هشام بن عبد الجبار على العامريين فى ١٦ جمادى الآخر ٣٩٩هـ / ١٥

فبراير ١٠٠٩م إلى فتنة دموية رهيبة . ولقد فجرت هذه الفتنة الأوضاع الداخلية في الأندلس وأحيت الأحقاد الدفينة بين عناصر المجتمع الأندلسي الذي انقسم إلى ثلاث طوائف متناحرة فيما بينها ، الطائفة الأندلسية والطائفة البربرية ( البربر الطارئين منذ عصرى الحكم المستنصر والمنصور العامرى ) والطائفة الصقلية ، وتنتج عن الصراع بينهم وقوع البلاد فريسة للفتن والاضطرابات والتفتت السياسى ، مما أدى إلى انهيار الخلافة وانتزاع السلطة من الأمويين وانتقالها إلى بعض الأسرات العربية والبربرية والعناصر الصقلية أيضا فيما عرف بدويلات الطوائف<sup>(١٨٩)</sup> . ويعلق الأمير عبد الله الزيرى على أحوال الأندلس إبان هذه الفتنة بقوله : « فلما تمت الدولة العامرية ، وبقي الناس لا إمام لهم ، ثار كل قائد بمدينته، وتحصن فى حصنه بعد تقدمه النظر لنفسه ، واتخاذ العساكر ، وادخاره الأموال ، فتنافسوا على الدنيا وطمع كل واحد فى الآخر »<sup>(١٩٠)</sup> .

ولقد تأثرت أستجة مثل معظم مدن الأندلس بأحداث هذه الفتنة ، فعقب نجاح الثوار فى الإطاحة بالعامريين ، تقلد محمد بن هشام الخلافة وتلقب بالمهدى ودانت له البلاد ، وكانت أستجة حينئذ على طاعة المهدى وتخضع لسلطانه ومن مظاهر ذلك ، قيامه بتعيين قياداتها الإدارية والقضائية ، فالحجارى يذكر أن الخليفة المهدى قلد ابن الفرضى قضاء مدينة أستجة<sup>(١٩١)</sup> .

ورغم أن المصادر المتاحة لدينا لم تأت على ذكر أستجة خلال أشد سنوات الفتنة ضراوة ودموية وهى الفترة الممتدة من فشل انقلاب الرشيد على الخليفة المهدى فى شوال ٣٩٩هـ /يونيو ١٠٠٩م إلى دخول البربر مع سليمان المستعين قرطبة للمرة الثانية فى شوال ٤٠٣هـ / إبريل ١٠١٣م<sup>(١٩٢)</sup> . إلا أننا نرى أنها قاست مثل غيرها من كور الجنوب والموسطة من ويلات هذا الصراع العنيف بين الأندلسيين والبربر ، فقد اجتاحت البربر فى إحدى غزواتهم التخريبية عقب رحيلهم عن مدينة الزهراء فى شعبان ٤٠١هـ /إبريل ١٠١١م ، مدنا قريبة من أستجة

وتمتد أحوازها بأحواز أستجة مثل جيان ، ومالقة ، وقبرة<sup>(١٩٣)</sup> . كما خربوا أحواز قرطبة نفسها ، وكانت هذه الأحواز تختلط بأحواز قبرة وأستجة . فلا يعقل والأمر كذلك ألا تتعرض أستجة لمثل ما تعرضت له جاراتها ، خاصة وأنها كانت كثيرة الثمار والبساتين ، ولها أعمال كثيرة تريد على ألف قرية<sup>(١٩٤)</sup> ، فى وقت كان البربر يعانون فيه من قلة الأقوات والميرة . ويؤيد وجهة نظرنا هذه أن ابن الأبار يعلق على هذه الغزوة بقوله « وسليمان أثناء ذلك يجوس خلال الأندلس ، ورجاله ومن معهم من البربر ينهبون ، ويقتلون ، ويقرون المدائن والقرى بالسيف ، وينهبون كل ما يجدون من الأموال »<sup>(١٩٥)</sup> . كذلك يذكر ابن الخطيب أن البربر بعد استيلائهم على الزهراء فى ٤٠١هـ / ١٠١١م ، خربوا كور الأندلس الجنوبية واتصل التخريب بأحواز قرطبة<sup>(١٩٦)</sup> . كذلك يؤكد هذا التخريج أن أهالى أستجة لم يأمنوا على أنفسهم خلال هذه الفتنة ، ولذلك سارعوا بوضع بلادهم تحت حماية أبى عبد الله محمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة الذى أعلن الاستقلال بها عن حكومة قرطبة فى عام ٤٠٤هـ / ١٠١٣م<sup>(١٩٧)</sup> . وكان هذا الزعيم قد ضبط قرمونة وجمع رجالها ، ورتب جنودها ، وأحسن إلى أهلها ونشر العدل فيهم ، فعمرت قرمونة وجهاتها وحاشى البربر حوزتها ولم يهاجموها من أجله ، ولذلك طمع أهالى أستجة أن يشملهم بحمايته ، فألقوا بأمورهم إليه وبايعوه « فأمنت بأمنه وكثر خيرها بيمنه »<sup>(١٩٨)</sup> .

وتجدر الإشارة إلى أن أستجة ظلت تابعة لبني برزال أصحاب قرمونة<sup>(١٩٩)</sup> ، ثم انتقلت تبعيتها إلى باديس بن حبوس الصنهاجى صاحب غرناطة منذ عام ٤٣٩هـ / ١٠٤٩م<sup>(٢٠٠)</sup> . وهذا منذ عام ٤٠٤هـ / ١٠١٣م ، فقدت أستجة مكانتها المتميزة كولاية كبرى منذ الفتح الإسلامى لها وطيلة عصر الدولة الأموية ، وأصبحت مجرد مدينة تابعة تبحث عن الأمن والحماية فى ظل التبعية لأمير من أمراء الطوائف . والواقع أن تاريخ أستجة فى عصر الطوائف يكتنفه بعض الغموض ، فلا توجد سوى إشارات قليلة عنها فى هذا العصر ، وربما كان فقدانها لأهميتها السياسية وراء قلة هذه الإشارات .



ملحق

أسماء بعض ولاة أستجة في عصر الدولة الأموية

م	اسم الوالى	اسم الأمير أو الخليفة الذى تولى فى عهده	مدة ولايته
١	حمدون بن بسيل	الأمير عبد الرحمن بن محمد <sup>(١)</sup>	٣٠٠هـ -
٢	أمية بن محمد بن شهيد	الخليفة عبد الرحمن للناصر <sup>(٢)</sup>	٣١٧ - ربيع الآخر ٣١٨هـ
٣	مالك بن محمد الزجالى	الخليفة عبد الرحمن الناصر <sup>(٣)</sup>	ربيع الآخر ٣١٨هـ - ٣١٩هـ
٤	سعيد بن أبى القاسم	الخليفة عبد الرحمن للناصر <sup>(٤)</sup>	٣١٩ - ٣٢٢هـ
٥	عمر بن أحمد	الخليفة عبد الرحمن للناصر <sup>(٥)</sup>	٣٢٢ - ٣٢٣هـ
٦	يحيى بن محمد	الخليفة عبد الرحمن للناصر <sup>(٦)</sup>	٣٢٣ - ٣٢٤هـ
٧	عبيد الله بن موسى	الخليفة عبد الرحمن للناصر <sup>(٧)</sup>	٣٢٤ - ٣٢٦هـ
٨	طرفة بن عبد الرحمن	الخليفة عبد الرحمن للناصر <sup>(٨)</sup>	٣٢٦ - ٣٢٨هـ
٩	محمد بن طرفة	الخليفة عبد الرحمن للناصر <sup>(٩)</sup>	٣٢٨ - ٣٢٩هـ
١٠	سليمان بن أيوب	الخليفة عبد الرحمن للناصر <sup>(١٠)</sup>	٣٢٩هـ -

(١) - (١٠) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٧٤ ، ٢٥٣ ، ٢٨٤ ، ٣١٥ ، ٣٧٧ ، ٣٩١ ،

٣٢٩ ، ٤٦٢ ، ٤٧١ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٦٢ ،

Una cronica Anonima, p. 65; Levi - Provncal, Inscriptions Arabes, P. 36, Meouak (M.) Deux Familles d'Origine affranchip au service de L'Etat hispano-Umayyade, Les Banu Durri et Banu Tarafa, R. Anaquel Vol. II, Madrid, 1991, P. 188.

يتضح من دراسة هذا الملحق الحقائق التالية :

- (١) أن حمدون بن بسيل كان أول وال لأستجة وأمير الجماعة عبد الرحمن بن محمد ، بعدما كانت تتأرجح بين الطاعة والعصيان خلال ثورة ابن حفصون .
- (٢) أن مدة ولاية معظم هؤلاء الحكام كانت لا تتجاوز العام الواحد . وكانت هذه هي سياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي دأب على تغيير حكام الولايات وإبدالهم .
- (٣) أن مدة بعض ولاءة أستجة تجاوزت العام ، فقد ظل كل من سعيد بن أبي القاسم ، وعبيد الله بن موسى ، وطرفة بن عبد الرحمن مدة تراوحت ما بين ٣ - ٤ أعوام .
- (٤) تعاقب على ولاية أستجة بعض ولاءة من بيت واحد ، فقد تولى محمد بن طرفة ولاية أستجة بعد عزل أبيه طرفة بن عبد الرحمن عنها .

## الهوامش

(١) ابن هشام اللخمي ، المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان ، تحقيق خوسيه بيريث لاثارو ، مدريد ١٩٩٠ ، م ٢ ، ص ٢٤٨ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، نشر بدرو شالميتا ، مدريد ١٩٧٩ ، ص ٥٤ - ٥٦ ، مجهول ، فتح الأندلس ، تحقيق لويس مولينا ، مدريد ١٩٩٤ ، ص ٢٠ . ولقد رسمها بعض المؤرخين بكسر الهمزة والتاء وفتح الجيم « إستجة » ( راجع : ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الإيباري ، القاهرة - بيروت ١٩٨٢ ، ص ٣٥ ؛ مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الإيباري ، القاهرة ، بيروت ١٩٨١ ، ص ١٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٨ ، م ٤ ، ص ٢٩١ ؛ يساقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٨ ، م ١ ، ص ١٧٤ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ ، م ١ ، ص ٢٦٠ ، ٤٠٩ .

(٢) ابن غالب ، فرحة الأنفس ، تحقيق لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ . ويذكر ابن الشباط أن إستجة بكسر الهمزة ويقال بفتحها ( ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، مدريد ، ١٩٧١ ، ص ١٧٣ ) ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، ط ٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، تحقيق كولان ليفي بروفنسال ، ط ٣ ، دار الثقافة بيروت ١٩٨٣ ، ج ٢ ، ص ٥١ ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ج ١ ، ص ١٠١ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، نشره ليفي بروفنسال ، ط ٢ ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨٨ ، ص ١٤ ،

Joaquin Vallve, la division territorial de la Espana Musulmana, Madrid, 1986, p. 331.

(٣) الإصطخرى ، المسالك والممالك ، نشر دى غويه ، ليدن ، ١٩٢٧ ، ص ٤١ - ٤٢ ،  
المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، نشر دى غويه ، ليدن ، ١٩٠٦ ،  
ص ٢٢٤ ؛

Levi Provencal, L'Espagne Musulmane au Xe Siecle, Paris 1932, p. 117.

(٤) ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٩٥ ؛ الرشاطى وابن الخراط ، الأندلس فى كتاب  
اقتباس الأنوار وفى اختصار اقتباس الأنوار ، تحقيق إميليو مولينا وبوسك فيلا ،  
مدريد ، ١٩٩٠ ، ص ١٠١ . ويذكر الإدريسى ( صفة المغرب وأرض السودان  
ومصر والأندلس ، نشر دوزى ودى غويه ، ليدن ، ١٨٩٤ ، ص ٢٠٥ ) أنها تقع على  
بعد ٣٥ ميلا من قرطبة .

Levi Provencal, la description de l'Espagne d'Ahmed Al-Razi, R. Al-Andalus, Vol. XVII, Madrid 1953, p. 99.

(٥) الإدريسى ، نفس المصدر ، ص ٢٠٥ .  
(٦) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٥ ، ١٥٨ . وقرمونة Carmona مدينة  
أندلسية قديمة البناء ، يحدها من الشرق قرطبة ، ومن الغرب إشبيلية ، وهى على سفح  
جبل يحيط بها سور من الحجارة قديم البناء ، وقربها فحص عريض يضم عدداً كبيراً  
من القرى ، وبها حمامات ودار صناعة ، وهى الآن مركز إدارى فى مقاطعة إشبيلية  
( عن وصفها راجع : ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٩٢ ، الرشاطى ، نفس  
المصدر ، ص ١٨١ ؛ الحميرى ، نفسه ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ) .

(٧) ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٩٥ ، Joaquin Vallve, Op. Cit., p. 331.  
ورية Rayya من أعظم حواضر الأندلس ، وهى تتصل بأحواز الجزيرة الخضراء ،  
وتقع فى قبلى قرطبة ، وهى كثيرة الخيرات ، ومدنها كثيرة ، وحصونها حامية ، ومن  
مدنها أرشذونة ، وكانت حاضرتها وقاعدة كورتها ، ومالقة وهى مدينة أولية تطل  
على البحر المتوسط ( عن وصفها راجع : ابن غالب ، نفس المصدر ، ص ٢٩٤ ؛  
الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٧٩ ) .

(٨) ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٩٥ ؛ ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ١٧٤ ؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ١٤١ ؛ تسيبولد ، إستجة ، مقال بدائرة المعارف الإسلامية ، نشر إبراهيم زكى خورشيد وزميله ، دار الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ ، م ٣ ، ص ٢٣٥ . ونهر شنيل هو نهر غرناطة الكبير ، تكون من فويان الثلوج بجبالها ، وهو أحد روافد الوادى الكبير ، ومساحة مجراه خمسون فرسخا ، وقد ورد عند بعض الجغرافيين باسم سنجل وسنجيل ، ويقول ابن الشباط إنه سأل بعض أهل الأندلس عن اسمه ، فلم يعرفوا الاسم الأول ( سنجل ) وعرفوا الثانى ، وقالوا عنه شنيل . ويقال فى تفسير شنيل إنها مركبة من الشين وتعنى عند أهل المغرب ( الألف ) ، ومن لفظ ( نيل ) نهر مصر ، فمعنى شنيل إذن ألف نيل كما يذكر ابن الخطيب (ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٩٥ ؛ الزهرى ، كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، نشر بمجلة الدراسات الشرقية ، دمشق ١٩٦٨ ، ص ١٦٧ ؛ ابن الكردبوس ، نفس المصدر ، ص ١٧٣ ؛ المقرئ نقلا عن ابن الخطيب ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ١٤٨ ؛

Levi Provencal, la description, pp. 99, 101.

(٩) يقصد بالرصيف عند أهل الأندلس الطريق الرومانى القديم ، ولقد عمموا هذا المصطلح على كل طريق معبد مرصوف . ولقد كان بأيبيريا طريق قديم يعرف بطريق هرقل Via Herculea كان يربط أربونة بقرطاجنة ، فأوصله الإمبراطور الرومانى أوغسطس بطريق آخر يمتد من شاطبة مارا بجنجاله إلى قسطلونة ، ومنها إلى قرطبة ، وكان الرصيف الرومانى يتفرع عند قرطبة إلى فرعين أحدهما على الضفة اليمنى والآخر على الضفة اليسرى من نهر بيطى (الوادى الكبير) ، ثم يمتد هذا الطريق من قرطبة إلى أستجة ومنها إلى إشبيلية وينتهى عند قادش Cadiz . ولقد استخدم المسلمون هذه الجادة الرومانية عند الفتح ، ولكنهم بعد ذلك أهملوا بعض أجزاء منها ، وأجروا تعديلات تتفق مع مصالحهم السياسية والاقتصادية ، فأهملوا الطريق المؤدى إلى قادش ، واستبدلوه بطريق يمتد من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء ، وقد كان هذا الطريق أيضا طريقا رومانيا قديما ، كان يربط قرطبة بقرطاجنة الجزيرة.

وتجدر الإشارة إلى أن قرطبة كانت ملتقى شبكة الاتصالات بين إقليم باطقة الروماني وما يليه جنوباً ( عن الرصيف الروماني وشبكة الطرق القديمة في أيبيريا انظر : حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص٢٨٧ - ٢٨٩ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، الإسكندرية ١٩٨٤ ، ج١ ، ص١٦٤ - ١٦٥ ،

Torres Balbas, la via Augusta, y el Arrecife Musulman, R. Al-Andalus, Vol. XXIV, Madrid, 1959, pp. 441-448.

(١٠) تسيبولد ، إستجة ، م٣ ، ص٢٣٥ .

(١١) ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص٢٩٥ ، ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص١٤١ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص١٤ ؛ تسيبولد ، إستجة ، م٣ ، ص٢٣٥ .

(١٢) المقرئ ، نفح الطيب ، م١ ، ص٤٨١ .

(١٣) المقرئ ، نفح الطيب ، م١ ، ص٢٠٣ .

(١٤) تسيبولد ، أستجة ، م٣ ، ص٢٣٥ .

(١٥) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص٥٦ ، الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص١٤ - ١٥ ؛

Joaquin Vallve, la division territorial, p. 332.

(١٦) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص١٥ .

(١٧) التهامي الراعي الهاشمي ، الأبواب في الأندلس ، مجلة المناهل ، الرباط ، المغرب ، ١٩٧٨ ، العدد الثالث عشر ، ص٢٣٧ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ .

(١٨) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص١٥ .

(١٩) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص٥٦ ، وينكر الحميري ( نفس المصدر ، ص١٥ ) أن كنيسة أستجة الكبرى كانت تقع بجوار مسجدها الجامع .

(٢٠) من بين هذه الأبيرة كما يذكر صاحب تقويم قرطبة ذلك الدير الذي يقع في شمالها ودفن به قرشين . ولعله أحد كبار الرهبان بأستجة .

Dozy, le Calendrier de cordoue de L'annee 961, Leiden 1873, p.106.

(٢١) ابن حيان ، المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تحقيق محمود على مكي ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٥.

(٢٢) ابن هشام اللخمي ، المدخل إلى تقويم اللسان ، م ٢ ، ص ٢٤٨.

(٢٣) الزجالي ، أمثال العوام في الأندلس ، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة ، فاس ، ١٩٧٥ ، ق ٢ ، ص ٢١٨.

(٢٤) ابن هشام اللخمي ، نفس المصدر ، م ٢ ، ص ٢٤٨ . وقد ورد الاسم عند الدكتور عبد العزيز الأهواني ( ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، م ٣ ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٤٢ ) «أستجة» بتشديد الجيم ، وفي كل من مخطوطتي الكتاب بدون تشديد الجيم ( ابن هشام اللخمي ، نفسه ، م ٢ ، ص ٢٤٨ ، هـ ٥٨ ) .

(٢٥) الزجالي ، أمثال العوام ، ق ٢ ، ص ٢١٨.

(٢٦) الأهواني ، نفس المرجع ، ص ١٣٧.

(٢٧) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٢١٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، نشر ليفي بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ ، ق ٢ ، ص ٨٨ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، نشر وتحقيق لويس مولينا ، مدريد ، ١٩٨٣ ، ج ١ ، ص ٦٩.

(٢٨) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٥٦ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٤.

(٢٩) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٥٦.

(٣٠) ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٩٥ ؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٤١ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ج ١ ، ص ٦٩.

(٣١) تسيبولد ، أستجة ، م ٣ ، ص ٢٣٥.

(٣٢) الحميري ، نفس المصدر ، ص ١٤.

(٣٣) أخبار مجموعة ، ص ١٧ ؛ مجهول ، فتح الأندلس ، ص ١٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، م ٤ ، ص ١٢٢ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ٢٣١ ، ٢٥٥ . ويرجح سافدرا أن تكون هذه الثورة مفتعلة وتمت بتدبير من أعداء الملك « يليان وحزب غيطشة » لشغل أنظاره عن عمليات نزول القوات الإسلامية بإسبانيا ( حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٧٠ ، هـ ٣ ؛ أحمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ط ١ ، الإسكندرية ، ١٩٦٨ ، ص ٣٠ )

Saavedra, Estudio sobre la invasion de los Arabes en Espana, Madrid 1882, p. 65.

(٣٤) ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ن ص ١٢ ، ٤٦ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٩ ؛ أحمد مختار العبادي ، نفس المرجع ، ص ١٩ - ٢٢ . وكان هذا الجبل يسمى قديماً Mans Calpe وهو اسم فينيقي معناه مغارة أو تجويف ، ولعل المقصود بها تلك المغارة الكبيرة التي يشتمل عليها ، وتسمى اليوم بمغارة سان ميغل ، وفي العصر الإسلامي سمي هذا الجبل بأسماء متعددة مثل الصخرة ، وجبل طارق ، ثم جبل الفتح على عهد عبد المؤمن بن علي الموحدى ، غير أن اسم طارق غلب عليه آخر الأمر ، فصار يعرف به ( مجهول ، فتح الأندلس ، ص ١٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، م ٤ ، ص ١٢٢ ؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٤٦ ، هـ ١٢ ؛ عبد الواحد المراكشى ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد زينهم محمد ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٢٩٦ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ١٥٩ - ١٦٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ) .

(٣٥) قرطاجنة Cartagena تقع عند سفح جبل طارق ، وهى مدينة قديمة أولية وبها آثار كثيرة ، وتعرف بقرطاجنة الجزيرة تمييزاً لها عن قرطاجنة الخلفاء بكورة تدمير ، وبمرسى قرطاجنة الجزيرة نهر يعرف بوادى الرمل يصب فى البحر المتوسط ( الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٥١ ) .

(٣٦) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق محمد صبيح ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١٢٨ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٥ ؛ أخبار مجموعة ،



ص ١٧؛ مجهول ، فتح الأندلس ، ص ١٧ - ١٨ ؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس ، ص ٦٩ ؛

Chalmeta (p.), Invasion -e- Islamizacion, Madrid 1994, p. 131.

والجزيرة الخضراء Algeciras أو جزيرة أم حكيم تقع على مقربة من جبل طارق في أقصى جنوب الأندلس ، وهي شرق من شنونة ، وتواجه مدينة سبتة على الساحل المغربي ، ومرساها ليسر الموانئ الأندلسية للجواز إلى المغرب ، وللخضراء سور حجارة عظيمة البناء ، وكانت في العصر الإسلامي مدينة وفيرة الخيرات ( عن وصفها راجع ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٩٤ ، الحميري ؛ صفة جزيرة الأندلس ، ص ٧٣ - ٧٥ ؛

Levi Provencal, la description, pp. 97-98.).

(٣٧) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٣٩ ؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٥ ؛ أخبار مجموعة ، ص ١٨ ؛ مجهول ، فتح الأندلس ، ص ١٩ - ٢٠ ؛ الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٢١٤ ؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٤٨ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ٢٣١ - ٢٣٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ - ٢٥٩ ؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٧٠ - ٧٥ . وعن هذه الواقعة وتحديد مكانها التي دارت فيه من كورة شنونة راجع: أحمد مختار العبادي ، دراسات ، ص ٢٩ - ٣٥ ؛ عبد الواحد نون طه ، نظرة عصرية لعملية عبور مضيق جبل طارق ومعركة كورة شنونة ، الموصل ، ١٩٨٧ ، ص ١٧ ؛

Saavedra, Op. Cit., pp. 68-69, Chalmeta, Op. Cit., pp. 134-137.

وشنونة Sidona كورة جلييلة القدر تتصل بأحواز كورة مورور ، ولها أقاليم كثيرة ، ومن مدنها قانس ، وشريش وهي حاضرة الكورة ، وعمل شنونة خمسون ميلا في مثلها ، وهي من الكور المجندة ، نزلها جند فلسطين من العرب ، وقد لجأ إليها أهل الأندلس في عام ١٣٦هـ عندما قحطت البلاد ( وعن وصفها راجع : ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٩٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٣٢٩ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٠٠-١٠١ ؛

Levi Provencal, la description, pp. 96-97.

(٣٨) فتح الأندلس ، ص ٢٠ ؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ٤٨ .

(٣٩) المقرئ نقلا عن الرازي ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ٢٥٩ ؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٢٧٥ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، الإسكندرية ١٩٨٤ ، ص ١٦١ ؛

Chalmeta, Ibid., p. 137.

(٤٠) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٥ ؛ أخبار مجموعة ، ص ١٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، م ٤ ، ص ١٢٢ ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٨ ؛

Chalmeta, Ibid., pp. 138, 144.

وتجدر الإشارة إلى أن كل من الرازي وصاحب فتح الأندلس ذكر أن طارقا توجه إلى شنونة بعد الانتصار في وادي لكة ، ثم افتتح عدة مدن في غرب الأندلس مثل مورور ، وقرمونة ، وإشبيلية وذلك قبل أن يتجه نحو أسبجة ويفتحها (فتح الأندلس ، ص ٢٠ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ٣٦٠ ولا شك أن في ذلك خلط لأحداث حملتي طارق بن زياد وموسى ابن نصير ، لأننا سوف نرى أن موسى يتولى افتتاح هذه المدن الأخيرة عقب جوازه إلى الأندلس في العام التالي (٩٣هـ —) لاستكمال فتح الأندلس والجيوب الجانبية .

(٤١) يذكر الرازي أن المسلمين ركبوا جميعا خيل القوط ، حتى أنه لم يبق فيهم راجل ، وفضلت عنهم الخيل ( المقرئ ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ٢٦١ ) .

(٤٢) إسماعيل الأمين ، العرب لم يغزوا الأندلس ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ١٩٩١ ، ص ٣٠ .

(٤٣) أخبار مجموعة ، ص ١٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، م ٤ ، ص ١٢٢ ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٨ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ٢٦٠ .

Chalmeta, Invasion e Islamizacion, p. 146. (٤٤)

(٤٥) يحدد المؤرخ المجهول صاحب فتح الأندلس ، مدة الحصار بشهر ( فتح الأندلس ، ص ٢٠ ؛ تسيبولد ، أستجة ، م ٣ ، ص ٢٣٥ ) فى حين حددها ابن الشباط بعدة أشهر ( ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص ١٤١ ) .

(٤٦) فتح الأندلس ، ص ٢٠ ؛ ابن الكردبوس برواية ابن أبى الفياض ، تاريخ الأندلس ، ص ١٤١ ، ١٧٣ ، المقرئ ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ٢٦٠ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٨٢ ؛ شاکر مصطفى ، الأندلس فى التاريخ ، دمشق ١٩٩٠ ، ص ٢٢ ؛

Alvarez de Morales (C.), Aproximacion a la Figura de Ibn Abi-L-Fayyad y su historia, Cuadernos de Historia del Islam, No. 9, Granada, 1978, p. 44, Chalmeta, Op. Cit., p. 148.

(٤٧) حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٧٦.

(٤٨) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٩.

(٤٩) حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ١١٢ - ١١٣

Saavedra, Estudio sobre la invasion de los Arabes en Espana, pp. 88-89.

(٥٠) العذرى ، ترصيع الأخبار ، نشر عبد العزيز الأهوانى ، مدريد ، ١٩٦٥ ، ص ٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، م ٤ ، ص ١٢٠ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ٢٦٤ ؛

Guichard, Al-Andalus, Estructura Antropolgica de un Sociedad Islamica en Occidente, Barcelona 1976, p. 343; Alvarez de Moralez, Op. Cit., pp. 45-46.

(٥١) أخبار مجموعة ، ص ١٩ ؛ ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص ١٤٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، م ٤ ، ص ١٢٢ .

(٥٢) Chalmeta, Op. Cit., p. 147.

(٥٣) عندما بعث موسى بن نصير مولاة أبا زرعة طريف بن مالك على رأس حملة استطلاعية لغزو جنوب الأندلس فى رمضان (٩١هـ) نزل بالجزيرة التى نسبت إليه فيما بعد ( جزيرة طريف ) ثم نهض منها وأغار على الجزيرة الخضراء ، فأصاب

بها سببا كثيرا ومالا جسيما ، ثم رجع سالما إلى العدو المغربية ( أخبار مجموعة ، ص ١٦ - ١٧ ؛ مجهول ، فتح الأندلس ، ص ١٦ ؛ المقرئ برواية ابن حيان ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ٢٢٩ ) .

(٥٤) أخبار مجموعة ، ص ١٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، م ٤ ، ص ١٢٢ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٩ - ١٠ ؛ المقرئ ، نقلا عن الرازي ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ٢٦٠ ، Chalmeta, Ibid, p. 147.

(٥٥) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠ .

(٥٦) يذكر الرازي أن يليان قال لطارق بن زياد « قد فضضت جيش القوم ، ودوخت حاميتهم ، وصيرت الرعب في قلوبهم ، فأصمد لبيضتهم ، وهؤلاء أدلاء من أصحابي ، ففرق جيوشك في البلدان بينهم ، وأعد أنت إلى طليطلة بمعظمهم ، وأشغل القوم عن النظر في أمرهم ، والاجتماع إلى أولى رأيهم » ( المقرئ ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ٢٦٠ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٦٢ ؛ Saavedra, Op. Cit., p. 76; Chalmeta, Ibid, p. 148.

(٥٧) السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٥٨) أخبار مجموعة ، ص ١٩ - ٢٠ ؛ مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٢٢ - ٢٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، م ٤ ، ص ١٢٢ - ١٢٣ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠ - ١١ ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج ١ ، ص ١٠١ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ٢٦٠ - ٢٦٤ ؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٧٨ ؛ أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية بدون تاريخ ، ص ٧٣ ؛ إسماعيل الأمين ، العرب لم يغزوا الأندلس ، ص ٣٣ ؛ شاكر مصطفى ، الأندلس في التاريخ ، ص ٢٢ ؛ Saavedra, Op. Cit., p. 78; Chalmeta, Ibid, pp. 149-153.

وتجدر الإشارة إلى أن د. مؤنس ( نفس المرجع ، ص ٧٧ ) يرى أن المسلمين لم يفتحوا مالقة وإلبيرة إلا في ولاية عبد العزيز بن موسى ، أما هذه الجيوش التي وجهها طارق من أستجة فلا تعدو مجرد سرايا صغيرة إلى هذه النواحي لمجرد الاستطلاع . ولعل د. مؤنس اعتمد في ذلك على رواية معاوية بن هشام الذي ذكر

نفس هذا الرأي ( ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج١ ، ص ١٠١ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ٢٧٥ ) .

(٥٩) عبر موسى بن نصير المجاز إلى الأندلس على رأس جيش كبير من العرب فى عام ٩٣هـ/٧١٢م ، واقتتح عددا من المدن الهامة فى غرب الأندلس مثل شذونة وقرمونة ، وإشبيلية ، وماردة ، وغيرها ، وبعد عودته إلى المشرق استكمل ابنه عبد العزيز فتح جنوب غرب الأندلس وبعض مناطق من شرق الأندلس مثل تدمير ( ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٥ - ٣٩ ؛ أخبار مجموعة ، ص ٢٤ - ٢٨ ؛ مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٢٤ - ٣٢ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ٢٦٩ - ٢٨٠ ) .

(٦٠) البكرى ، جغرافية الأندلس وأوربا ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٦٤ ؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٥٤٢ .

(٦١) العنرى ، ترصيع الأخبار ، ص ٢٠ ؛ البكرى ، جغرافية الأندلس وأوربا ، ص ٥٩ - ٦٤ .

(٦٢) حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٥٧٠ .

(٦٣) يتضح ذلك من إشارات أوائل الجغرافيين العرب مثل ابن خرداذبة ، واليعقوبى ، والهمدانى ، والاصطخرى ، والمقدسى ( حسين مؤنس ، نفس المرجع ، ص ٥٧٥ - ٥٧٦ ) .

(٦٤) لم يكن مصطلح الكورة فى بلاد الإسلام محدد بالشكل الذى نتصوره كإقليم أو مديرية بالمفهوم الحديث ، وأدق تعريف للكورة هو قول ياقوت الحموى ، « والكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قصبنة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها » ( معجم البلدان ، م ١ ، ص ٣٦ - ٣٧ ) ويتفق ابن الشباط مع ياقوت فى تعريفه للكورة فيقول عنها « وهى عبارة عن الصقع والناحية » ( ابن الكريديوس ، تاريخ الأندلس ، ص ١٧١ ) وعلى هذا فالكورة تقسيم إدارى له زمام واسع يشتمل على عدة مدن وأقاليم وقرى وأجزاء - مساحات الأرض المخصصة للرعى -

وحصون ( ياقوت ، نفسه ، م ٢ ، ص ١٣٢ ؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٥٧٧ - ٥٧٨ ) .

(٦٥) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٤ ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

(٦٦) محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ع ١ ، ق ١ ، ص ١٣٢

(٦٧) أكد ذلك ابن حوقل ( صورة الأرض ، طبعة لينن ١٩٣٨ ، ص ١١٦ ) فقد ذكر عن الأندلس « وفيها مدن يزيد بعضها على بعض في المحل والجباية والارتفاع والولاية والقضاة والمخلفين على رفع الأخبار ، ويقال لأحدهم مخلف ، وليس بها مدينة غير معمورة ذات رستاق فسيح إلى كورة » .

وقد أحصى ليفي بروفنسال سبعا وعشرين كورة في الأندلس غير الثغور .

Levi Provencal, L'Espagne Musulmane, pp. 116-117.

(٦٨) حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٥٥٤ - ٥٥٥ .

(٦٩) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٤ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، الحجى ، ص ١٠٠ .

(٧٠) ياقوت ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ١٧٤ .

(٧١) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٥ ،

Joaquin Vallve, la division Territorial, p. 332.

(٧٢) ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٩٥ ؛ ابن الخراط ، اختصار اقتباس الأنوار ، ص ١٢٨ ؛ الحميري ، نفس المصدر ، ص ٦٢ .

(٧٣) الحميري ، نفسه ، ص ٧٩ ،

Levi Provencal, la description p. 99.

(٧٤) ابن الخراط ، نفس المصدر ، ص ١٢٨ .

(٧٥) ابن حيان ، المقتبس ، مكى ، ص ٢٧٢ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٩ ؛

Levi Provencal, l'Espagne Musulmane, au Xe, p. 134.

(٧٦) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ١٨١ ، ٢١١ ، ٢١٨ ، ٢٨٥ ، ٣١٥ ، ٤٦٢ ،  
٤٨٩ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٨٣ ، ١٩٤ .

(٧٧) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٦٢ . وقد وصف ابن سعيد ( المغرب ،  
ج ١ ، ص ٣٣٠ ) تاكرنا بأنها قصبة ( قاعدة ) كورة تاكرنا .

(٧٨) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

(٧٩) الرشاطى ، الأندلس فى لقتباس الأنوار ، ص ١٥ ؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق ،  
ص ٢٠٦ ؛ ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ٢٠٢ ؛ وتقدر المصادر  
العربية المسافة بينهما بمسيرة نصف يوم .

(٨٠) بالقياس إلى معلومة أوردها الحميرى أن مسافة ١١٠ ميلا تعادل مسيرة أربعة أيام  
( نفس المصدر ، ص ٢٣ ، مادة إصطبة ) فإن مسيرة نصف يوم تقدر بحوالى ١٤  
ميلا تقريبا .

(٨١) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٢٠٦ .

(٨٢) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ١٨١ .

(٨٣) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٣٥٥ ، ٣٩١ ، ٤٨٩ .

(٨٤) الإدريسي ، نفس المصدر ، ص ١٧٤ .

(٨٥) ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ص ٣١٧ . ويرى د. مؤنس ( الجغرافية  
والجغرافيين ، ص ١٥٩ ) أن بهذه الرواية بعض التجاوز ، فإن أشونة لم تكن كورة ،  
وإنما كانت مدينة كبيرة فحسب .

(٨٦) ابن بشكوال ، الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ق ١ ،  
رقم ٦٧٨ ، ص ٣٠٧ .

(٨٧) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ،  
١٩٦٦ ، ق ١ ، رقم ٩١٢ ، ص ٣٠٨ .

(٨٨) Joaquin Vallve, la division territorial, p. 332.

(٨٩) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٨٨ .

(٩٠) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ١٩٥ . وتجدر الإشارة إلى وجود إقليم يسمى الأشبورة وكان تابعا لطليطلة ( ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٩ ) ؛ كما وجدت قرية تسمى أشبرة ، من قرى سرقسطة ( ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلوة ، نشر عزت العطار ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ج ١ ، رقم ٨٠٢ ، ص ٢٩٥ ) .

(٩١) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٨٨ .

(٩٢) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ق ١ ، رقم ٣٩٠ ، ص ١٢٥ .

(٩٣) Joaquin Vallve, la division territorial, p. 332.

(٩٤) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٢٨ .

(٩٥) هناك شنتبرية الشرق وشنتبرية الغرب ، أيضا هناك حصن من حصون سرقسطة يعرف بحصن المرية ( ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٦٠ - ٣٦١ ) وهو يماثل اسم ثغر المرية الذى مصره عبد الرحمن الناصر على الساحل الجنوبى الشرقى من الأندلس ، وهناك قرطاجنة الجزيرة ، وقرطاجنة الخلفاء ، بل إن هناك موضعين باسم واحد داخل حدود الكورة الواحدة مثل طرجيلة الشيخ وطرجيلة الثانية فى كورة جيان ( المقتبس ، ص ٣٥٨ ) وإقليم الفحص فى كل من طليطلة وإشبيلية ( ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٣ ) ، ومرسنة بكورة إشبيلية ، ومرسنة أحد حصون المرية ( الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٨١ ) . والأمثلة كثيرة .

(٩٦) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ق ١ ، ص ١ ؛ حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين ، ص ٩٩ .

(٩٧) ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

(٩٨) مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٦٨ .

(٩٩) الخشنى ، أخبار الفقهاء والمحدثين ، نشر ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا ، مدريد ، ١٩٩٢ ، ص ٣٣٦ .

(١٠٠) ياقوت ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ١٧٤ .



(١٠١) ابن سعيد ، المغرب ، ج١ ، ص ٤٥٥ - ٤٥٦ . ويذكر المقرئ ( نفح الطيب ، م ١ ، ص ٥٤١ ) « وبقرطبة أقاليم كثيرة وكور جليلة » .

(١٠٢) الخشني ، أخبار الفقهاء والمحدثين ، ص ٢٣ ؛ ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، تراجم ١٤ ، ٩٩ ، ٤٦٣ ، ٨٢٨ ، ٩٢٦ ؛ العذري ، ترصيع الأخبار ، ص ٥ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، رقم ٢٨٢ ، ص ١٥٥ ؛ ابن بشكوال ، الصلة ، تراجم ٥١٣ ، ٥٨٠ ، ٨٩٢ ؛ ابن الآبار ، التكملة لكتاب الصلة ، ج١ ، رقم ١٠٠٤ ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ ؛ مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية ، الدار البيضاء ، بدون تاريخ ، ص ٤٥٤ ، ٤٧٠ ؛

Guichard, Al-Andalus, p. 343.

(١٠٣) الخشني ، نفس المصدر ، ص ٤٠ ، ٧٥ ، ٢٢٠ ؛ ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، تراجم ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٥١ ، ٣٠٦ ، ٦٥١ ، ١٠٩٤ ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٥ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٢ ، ص ٢٠٧ ، ٢٦٩ - ٢٧٠ ؛ ابن بشكوال ، الصلة ، ق ١ ، رقم ١٤١٠ ، ص ٦٤٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، م ٤ ، ص ٢٩١ .

(١٠٤) الخشني ، نفسه ، ص ٢٣٤ ؛ ابن الفرضي ، نفس المصدر ، ق ١ ، رقم ٧٧٨ ، ص ٢٥٧ .

(١٠٥) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٠٠ - ٥٠٢ ؛

Guichard, Al-Andalus, pp. 369-370.

(١٠٦) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٨ ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٠٠ ؛

Guichard, Al-Andalus, p. 388.

(١٠٧) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ق ١ ، رقم ٩٩٧ ، ص ٣٣٩ .

(١٠٨) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٥٧ .

(١٠٩) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٤٨ - ٤٩ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٣٣ - ٣٤ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٦١ .

(١١٠) أمر أبو الخطار بتغريب رؤساء الفتنة عن الأندلس ، ومنهم سلفه ثعلبة بن سلامة العاملى ، فخرجوا عن الأندلس ، وأمن ابنى عبد الملك بن قطن والى الأندلس الأسبق الذى كان قتله سبباً مباشراً فى اندلاع الصراع بين البلديين والشاميين ، كما فرق جند الشام عن قرطبة وأنزلهم فى كور الأندلس ، ليقضى على عوامل الاضطراب بها ، « وكان إنزالهم على أموال أهل النمة ، وبقي البلديون والبربر على غنائمهم لم ينقصهم شيئاً » ( ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٤٣ - ٤٤ ؛ أخبار مجموعة ، ص ٤٩ ؛ مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٥٨ - ٦٠ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٣٤ ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج ١ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، نفس المرجع ، ص ١٦١ ) .

(١١١) كان جده شمر من أشرف عرب الكوفة ، ثم لحق بالشام فأقام فيها ، وعند خروج كلثوم بن عياض القشيري غازياً إلى المغرب ، خرج معه الصميل مع بعض أشرف الشام ، ثم دخل الأندلس فى طالعة بلج بن بشر ، وكان الصميل شجاعاً ، نجداً ، جواداً ، كريماً ، إلا أنه كان أمياً ، وكانت له فى قلب الدول وتدبير الحروب أخباراً مشهورة ، وتوفى فى سجن الأمير عبد الرحمن بن معاوية فى عام ١٤٢هـ ( عن الصميل بن حاتم راجع : ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ق ١ ، رقم ٥٩٤ ، ص ١٩٨ ؛ مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٦٤ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيرة ، تحقيق حسين مؤنس ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٥ ، ج ١ ، ص ٦٧ - ٦٨ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٣٤ ) .

(١١٢) أخبار مجموعة ، ص ٥٧ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٣٤ .

(١١٣) أخبار مجموعة ، ص ٥٧ ؛ مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٦١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، م ٤ ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٣٤ ؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٢٦٤ ؛ عنان ، دولة الإسلام فى الأندلس ، ع ١ ، ق ١ ، ص ١٢٧ ؛ مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية ، ص ١٠٠ .

(١١٤) إخبار مجموعة ، ص ٥٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، م ٤ ، ص ٢٩١ ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٣٤ .

(١١٥) مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٦١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، م ٤ ، ص ٢٩١ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، م ٣ ، ص ٢٣ ؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٢٦٥ .  
(١١٦) مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٦٢ .

(١١٧) إخبار مجموعة ، ص ٥٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، م ٤ ، ص ٢٩١ ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٣٤ - ٣٥ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، م ٣ ، ص ٢٣ - ٢٤ ؛ حسين مؤنس ، نفسه ، ص ٢٢٦ .

Guichard, Al-Andalus, p. 347.

(١١٨) مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٦٣ .

(١١٩) تولى يوسف الفهري ولاية الأندلس بتقديم الصميل بن حاتم له ، وكان الأندلسيون طلبوا منه أن ينظر لهم في وال يوليه عليهم بعد وفاة ثوبة بن سلامة ، نظراً لانشغال الخليفة مروان بن محمد آخر الأمويين بالمشرق عنهم وبعده عنهم ( ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٣٦ ؛ المقرئ نقلاً عن الرازي ، نفح الطيب ، م ٣ ، ص ٢٥ ) .

(١٢٠) المقرئ برواية ابن حيان ، نفح الطيب ، م ٣ ، ص ٢٥ ؛ عنان ، المرجع السابق ، ١٤ ، ق ١ ، ص ١٣١ ؛

Aguado Bleye, Manual de la historia de Espana, Madrid, 1947, t. I, pp. 400-401.

(١٢١) مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٦١ ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٣٦ - ٣٧ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، م ٣ ، ص ٢٦ ؛ مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٦٧ .

(١٢٢) مجهول ، إخبار مجموعة ، ص ٦١ . وينكر صاحب فتح الأندلس (ص ٦٨) أن أبا العطاء تشفع في الأسرى ، غير أن الصميل رفض وقال له « بهذا عزك وعز قومك » ، فقام إليه مرة أخرى بعد قتل بعض الأسرى ، وهدده بأنه إن لم يكف عن مواصلة قتل الأسرى ليدعون دعوة شامية ضد الصميل ، فوافق على شفاعته .

غير أن ابن عذارى يرى أن الصميل ضرب أعناق الأسرى جميعًا ( البيان ، جـ ٢ ، ص ٣٧ ) .

(١٢٣) مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٤٩ .

(١٢٤) مجهول ، فتح الأندلس ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(١٢٥) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٧٧ . وينكر المؤرخ المجهول أن عبد الرحمن بن معاوية هو الذى كاتب الأجناد العرب والبربر يدعوهم إلى مساندته (أخبار مجموعة ، ص ٢٧٧ ؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٦٨٠ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ١٨٧ ) .

(١٢٦) شارك بعض موالى عبد الرحمن بن معاوية من البربر فى هذه المعركة وأبلوا فيها بلاء حسنًا وكان على رأسهم عاصم العريان الذى كان قائدًا لرجالته ، وإبراهيم بن شجرة الأورى قائد فرسان البربر فى موقعة المصارة ( ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ٥٠ ؛ مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٨١ ) .

(١٢٧) لمزيد من التفاصيل عن ثورة عبد الغفار اليعصبى بإشبيلية ومحاولته الاستيلاء على قرطبة راجع : ابن القوطية ، نفسه ، ص ٥٢ - ٥٤ ؛ ابن عذارى ، البيان ، جـ ٢ ، ص ٥٠ - ٥١ ؛ عنان ، دولة الإسلام فى الأندلس ، ع ١ ، ق ١ ، ص ١١٠ ؛

Levi Provencal, Historia de Espana Musulmana, Madrid, 1957, p. 74.

ورغم المبالغة فى عدد قتلى اليمنية فى هذه المعركة فإن ذلك يدل على عظم هذه الثورة وخطورتها . ولقد كانت هاتان الثورتان حلقة من حلقات الصراع الذى احتدم بين الأمير عبد الرحمن الداخل وبين العناصر اليمنية فى غرب الأندلس ، لأنهم لم يتمكنوا من السيطرة على البلاد من خلاله كما كانوا يخططون بموازرتهم له للإحاطة بالصميل ويوسف الفهرى ، كما ساءهم أن يوقفهم عن الانتقام من القيسية والتشفى منهم ، واعتبروا موقفه هذا تعصبًا لمضريته ( مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٨٣ ؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص ٦٨٦ ) .

(١٢٨) كان حيوة بن ملامس من جند حمص الذين نزلوا بإشبيلية ، وكان فى طليعة الذين ناصروا الأمير عبد الرحمن بن معاوية عند دخوله الأندلس (ابن القوطية ، نفسه ، ص ٤٨ ) وارتبط معه بصداقة وطيدة ، وكانت له عند الأمير منزلة عالية ، فالحميدى يذكر أن الداخل نظم أبياتاً شعرية امتدح فيها خلق حيوة وجوده ووفائه منها :

ولا خير فى الدنيا ولا فى نعيمها      إذا غاب عنها حيوة بن ملامس  
أخو السيف يقرى الضيف حقاً يراها      عليه ، وينفى الضيم عن كل يائس  
( الحميدى ، جنوة المقتبس ، رقم ٣٨٩ ، ص ١٩٨ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٣٦ - ٣٧ ) ويذكر الرازى أن حيوة بن ملامس روى للأمير عبد الرحمن بن معاوية عن حنش الصنعانى التابعى أن ملك بنى أمية لا يزال إلى خروج الدجال ، فأقطعه الأمير قطيعة معروفة ( ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، رقم ٧٥٦ ، ص ٢٨٢ .

(١٢٩) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٥١ .

(١٣٠) تقع فريش شمال غربى قرطبة ، وتتصل أحوازها بأحواز فحص البلوط ، وكانت تشتهر بأشجار القسطل ومعادن الرخام والحديد ، ولها عدة أقاليم منها لواتة ، والمرج وموالى موسى ، والسند ، وقسطنطينة ، وهى مدينة أولية من بناء الرومان ، وقد اندثرت فريش اليوم ولم يبق فى بقعتها سوى حصن قديم يسمى قلعة الحديد ، Castilla del Hierro ( عن وصفها راجع: ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ؛ الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٤٣ ) .

(١٣١) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٥١ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع ١ ، ق ١ ، ص ١٦١ ؛ مصطفى أبو ضيف ، القبائل العربية ، ص ١٥٢ ؛ حمدى عبد المنعم محمد حسين ، التاريخ السياسى لمدينة إشبيلية فى العصر الأموى ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ٤٣ ؛ وتجدر الإشارة إلى أن حيوة بن ملامس وعبد الغفار اليحصبى سيعاودان الثورة على الأمير عبد الرحمن الداخل مرة أخرى فى

إشبيلية عام ١٥٤هـ ، ولكنه سيهزمهم ويقتل منهم ستة آلاف رجل ( العذرى ،  
ترصيع الأخبار ، ص ١٠١ ) ؛

Bosch Vila (Jacinto), Historia de Sevilla, Sevilla 1984, pp. 39-40.

(١٣٢) ابن الأثير ، الكامل ، م ٥ ، ص ٩٩ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٦٤ ؛  
النويرى ، نهاية الأرب ، تحقيق أحمد كمال زكى ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ج ٢٣ ،  
ص ٣٥٧ ؛ عنان ، نفسه ، ع ١ ، ق ١ ، ص ٢٢٧ .

(١٣٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٦٤ .

(١٣٤) تقع طليبرة Talavera على مسافة سبعين ميلاً من طليطلة ، وهى مدينة قديمة  
أزلية تطل على نهر تاجة ، وكانت أقصى ثغور المسلمين ، ولذلك كانت تتوجه  
منها الجيوش الإسلامية إلى قشتالة وجاليقية ، وتعتبر قلعتها من أرفع قلاع المسلمين  
حصانة ( عن وصفها راجع : الإدريسي ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ ؛ الحميرى  
، نفس المصدر ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ) .

(١٣٥) ترجيلة أو ترجالة Trujilo مدينة كالحصن كما يذكر الجغرافيون ، وهى من  
أعمال كورة ماردة ، وبينها وبين قرطبة مسيرة ستة أيام للراكب ، وكانت يغلب  
على أهلها التلصص والخداع ، وقد استولى عليها النصارى فى عام ٦٣٠هـ (عن  
وصفها راجع : ابن غالب ، نفسه ، ص ٢٩٠ ؛ الإدريسي ، نفسه ، ص ١٨٧ ؛  
الحميرى ، نفسه ، ص ٦٣ ) .

(١٣٦) ابن الأثير ، الكامل ، م ٥ ، ص ٩٩ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٦٤ ؛  
النويرى ، نفسه ، ج ٢٣ ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ  
المسلمين ، ص ٢١٥ - ٢١٦ ؛ حمدى عبد المنعم محمد حسين ، ثورات البربر فى  
الأندلس فى عصر الإمارة الأموية ، الإسكندرية ١٩٩٣ ، ص ٢٩ - ٣٠ ؛

Levi Provencal, Historia, p. 94; Guichard, Al-Andalus, p. 372.

(١٣٧) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٧٠ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ،  
ص ٣٦٢ ؛ ويذكر الأستاذ عنان ( للمرجع السابق ، ع ١ ، ق ١ ، ص ٢٣٣ ) نقلاً  
عن القطعة المفقودة من المقتبس لابن حيان الخاصة بعصرى الحكم الربضى وابنه

عبد الرحمن ، أن الأمير عبد الله بن عبد الرحمن كان مشاركاً لأخيه سليمان في هذه المعارك ، وأنه فر بعدها إلى بلنسية حتى آمنه الأمير الحكم ( حمدى عبد المنعم ، ثورات البربر ، ص ٣١ ؛

Levi Provencal, Historia, p. 100.).

(١٣٨) ابن الأثير ، الكامل ، م ٥ ص ٢١٥ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٥٢ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٣٠ ؛ حمدى عبد المنعم ، ثورات البربر ، ص ٣٩ ؛

Levi Provencal, Historia, p. 132; Guichard, Al-Andalus, pp. 372-373.

(١٣٩) ابن الأثير ، الكامل ، م ٥ ، ص ٢١٥.

(١٤٠) ابن حبان ، المقتبس ، مكي ، ص ٥ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٨٩ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٢٨٥ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ج ١ ، ص ١٤٥

(١٤١) المقرئ ، نفح الطيب ، م ١ ، ص ٣٤٧.

(١٤٢) ابن حبان ، المقتبس ، مكي ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٠٩ . ولم يحدد ابن الخطيب ( أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٢٥ ) عدد الفرسان المستقرين من كل كورة كما فعل سابقوه ، وإنما ذكر العدد الإجمالي وهو ١٥ ألف فارس ومن بينهم أستجة .

(١٤٣) الخشنى ، قضاة قرطبة ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، القاهرة - بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٩٠.

(١٤٤) هو عمر بن حفص ( المعروف بحفصون ) بن عمر بن جعفر بن شتيم بن نبيان بن فرغلوش بن أنفونش ، كان من مسالمة أهل الزمة ، أصله من كورة تاكرنا من عمل رندة ، وكان الذى أسلم من أجداده هو جعفر المعروف بالأسلمى ، وكان عمرو ابن حفصون إمام ثوار الأندلس وكبيرهم منذ أواخر عهد الأمير محمد حتى مستهل ولاية عبد الرحمن بن محمد (الناصر) ، وقد استفحل خطره فى عهد الأمير عبد

الله ( ٢٧٥ - ٣٠٠هـ ) ، واتخذ في البداية حصن ببشتر بكورة رية قاعدة له ، ثم استولى على عدة مدن وحصون أخرى من بينها أستجة التي اتخذها في وقت من الأوقات قاعدة لعملياته العسكرية وحاضرتة ( راجع : ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ١٠٦ ؛ الونشريشى ، المعيار المغرب ، نشر وزارة الأوقاف المغربية ، ١٩٨١ ، ج ١ ، ص ١٠٩ ؛

Joaquin Vallve, De Nuevo Sobre Bobastro, R. At-Andalus, vol. XXX, Madrid 1965, p. 147.

(١٤٥) ببشتر Bobastro ، حصن في غاية المناعة والحصانة من أعمال كورة رية ، يقع إلى الشمال من مربلة ، وهو على مسافة ثمانين ميلاً من قرطبة ، وكان هذا الحصن قاعدة للنصارى ، وكان يقوم على صخرة صماء ، ولهذا الحصن قرى كثيرة ، وحصون خطيرة ( عن وصفه انظر : ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٩٥ ؛ الإدريسي ، المصدر السابق ، ص ٢٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ٣٣٣ ؛ الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٣٧ ؛

Levi Provencal, la description, p. 99; Joaquin Vallve, Op. Cit., p. 145.

(١٤٦) ابن حيان ، المقتبس ، مكى ، ص ٣٩٣ .

(١٤٧) كان ابن حفصون يقول للمولدين والبربر والمستعربين « طال ما عنف عليكم السلطان ، وانتزع أموالكم ، وحملكم فوق طاقتكم ، وأذلتمكم العرب واستعبدتكم ، وإنما أريد أن أقوم بئاركم ، وأخرجكم من عبوديتكم » ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١١٤ ؛ العبادى ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧٠ ؛ محمد عيسى الحريرى ، حركات المولدين فى الجنوب الأندلسى فى عصر الإمارة الأموية بالأندلس ، الإسكندرية ، ١٩٨٥ ، ٥٣ ؛

Joaquin Vallve, Ibid., p. 146.

(١٤٨) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

(١٤٩) ابن حيان ، المقتبس ، ملشور أنطونية ، ص ٥١ ؛ سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٠ ؛ أمين توفيق الطيبى ، عمر بن حفصون ، نشأته وبداية ثورته فى



إمارتي محمد بن عبد الرحمن وابنه المنذر ، أحد أبحاث كتاب « دراسات وبحوث  
في تاريخ المغرب والأندلس » ، ليبيا - تونس ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٥ ؛

Levi Provencal, Historia, p. 235; Joaquin Vallve, Ibid., p. 148.

(١٥٠) ابن حيان ، المقتبس ، مشور أنطونية ، ص ٥١ ؛ أمين توفيق الطيبي ، عمر بن  
حفصون ، ص ١٢٧ .

(١٥١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ق ٢ ، رقم ١٦٢٨ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ؛  
ق ١ ، رقم ٣٠٦ ، ص ٩٩ .

(١٥٢) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ق ٢ ، رقم ١٦٢٨ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ؛  
ق ١ ، رقم ٣٠٦ ، ص ٩٩ .

(١٥٣) ابن حبيب ( عبد الملك ) ، كتاب التاريخ ، نشر خورجي أجواي ، مدريد ،  
١٩٩١ ، ص ١٥٢ ؛ الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١١٤ ؛

Avila (Maria Luisa), la sociedad Hispanomusulmana Al Final del  
Califato, Madrid, 1985, pp. 80-81, nota 3.

(١٥٤) ابن حيان ، المقتبس ، مشور أنطونية ، ص ٥٤ ؛ ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ،  
ص ١٢٢ ؛ مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ج ١ ، ص ١٥٤ ؛ عنان ، المرجع  
السابق ، ع ١ ، ق ١ ، ص ٣٢٤ ؛ محمد عيسى الحريري ، حركات المولدين ،  
ص ٦٤ - ٦٥ .

(١٥٥) ابن حيان ، المقتبس ، أنطونية ، ص ٥٤ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق ٢ ،  
ص ٣١ .

(١٥٦) عنان ، نفسه ، ع ١ ، ق ١ ، ص ٣٢٤ .

(١٥٧) ابن حيان ، المقتبس ، مشور أنطونية ، ص ٩٤ .

(١٥٨) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ؛ محمد عيسى الحريري ، حركات  
المولدين ، ص ٦٨ .

(١٥٩) ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .

(١٦٠) ابن حيان ، نفسه ، ص ١٠٢ ؛ وحصن بلاى من أمنع حصون قبرة Cabra ، وكان يقع على بعد خمسين كم جنوب غرب قرطبة ، وقد أفرط ابن حفصون فى تقويته وتحصينه وجعله مركزا للسيطرة على كورة قبرة كلها ، وتقوم فى موضع بلاى اليوم قرية صغيرة تعرف باسم Aguilar de la Frontera ( انظر : ابن حيان ، المقتبس ، مكى ، ص ٥٥٦ ، تعليق رقم ٣٨٠ ؛ عنان ، دولة الإسلام ، ع ١٤ ، ق ١ ، ص ٣٢٤ ؛

Levi Provencal, Historia, p. 236.

(١٦١) لمزيد من التفاصيل عن معركة بلاى راجع : ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٢٣ ؛ النويرى ، نهاية الأرب ، ج ٢٣ ، ص ٣٩٥ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٣١ ، ٣٥ ؛ إبراهيم القادرى بوتشيش ، أثر الإقطاع فى تاريخ الأندلس السياسى ، الرباط ، ١٩٩٢ ، ص ٢٧٥

(١٦٢) ابن حيان ، المقتبس ، ملشور أنطونية ، ص ٩٦ - ٩٧ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

ولقد حدد ابن الخطيب تاريخ معركتى بلاى وأستجة بعام ٢٧٧هـ ( أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٣٦ ) ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٦١ ؛ عنان ، نفس المرجع ، ص ٣٢٥ ؛

Joaquin Vallve, De nuevo sobre Bobastro, p. 149.

(١٦٣) ابن حيان ، المقتبس ، ملشور أنطونية ، ص ٩٧ .

(١٦٤) ابن حيان ، المقتبس ، ملشور أنطونية ، ص ١١١ - ١١٢ . وكان طالب ابن مولود صنيعة للإمام عبد الله ، وكان قد بنى حصنى أقوط وجبل الحجارة ، فقلده الأمير عبد الله ولايتهما ( العنرى ، ترصيع الأخبار ، ص ١١٤ ) .

(١٦٥) إبله تعرف بالحمراء ، وهى مدينة قديمة تقع فى غرب الأندلس على مقربة من إشبيلية وبينها وبين المحيط الأطلنطى ستة أميال ، وكانت تجمع بين خيرات البر والبحر ، وبها ثمانية أقاليم ، ولها سور منيع عقد على أربعة تماثيل ، وانفردت بهذه البنية من بين سائر المدن ( عن وصفها راجع : العنرى ، نفسه ، ص ١١٠

- ١١١ ؛ ابن غالب ، فرحة الأنفس ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ ؛ الحميرى ، صفة جزيرة  
الأندلس ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ؛

Levi Provencal, la description, pp. 91-92; Castro (F. R.), Niebla  
Musulmana, Huelva, 1993, pp. 83-97.

(١٦٦) ابن حيان ، المقتبس ، ملشور أنطونية ، ص ١١٩ - ١٢٠ ؛ ابن عذارى ، البيان  
، ج ٢ ، ص ١٣٨ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٢ ؛  
بوتشيش ، أثر الإقطاع ، ص ٢٧٥ ؛

Levi Provencal, Historia, p. 238; Castro, Niebla Musulmana, pp.  
47-196.

(١٦٧) ابن حيان ، نفسه ، ص ١٢٠.

(١٦٨) ابن حيان ، نفسه ، ص ١٣٩.

(١٦٩) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ١٢٠ ؛ عنان ، دولة الإسلام فى  
الأندلس ، ع ١ ، ق ١ ، ص ٣٣٧.

(١٧٠) الزجالى ، أمثال العوام ، ق ٢ ، رقم ٩٦٣ ، ص ٢١٨.

(١٧١) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٥٤ - ٥٥ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ،  
ص ١٦٠ ؛

Levi Provencal, Historia, p. 263.

(١٧٢) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٥٤ - ٥٥ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ،  
ص ١٦٠ ؛ الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٥ ؛

Anonimo, Una Cronica anonima de Abd Al-Rahman III, Al-Nasir,  
Granada-Madrid, 1950, p. 34; Avila (M. L.), Op. Cit., pp. 80-81.

(١٧٣) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٥٥ - ٥٦ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ،  
ص ١٦٠ ؛ عنان ، ع ١ ، ق ٢ ، ص ٣٧٥ ؛ حسين مؤنس ، موسوعة تاريخ  
الأندلس ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ج ١ ، ص ٢٧٣.

(١٧٤) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٥.

(١٧٥) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٧٧.

(١٧٦) تذكر ماريا لويسا أبلا أن أستاذة لم تعد تلعب دوراً مهماً في تاريخ الأندلس (Avila (M. L.), La Sociedad Hispanomusulmana, p. 81) . ولعلها تقصد تاريخ الأندلس السياسى ، فسوف نرى أنها رغم فقدانها لأهميتها السياسية بقية عصر الخلافة إلا أنها سوف تسهم بدور عظيم في حضارة البلاد خلال نفس هذه الحقبة ..

(١٧٧) ابن حيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص ٢١٥ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٩٦ ؛ مؤنس ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٣٠٨ ؛

Levi Provencal, Historia, p. 274.

Levi – Provencal, Inscriptions Arabes, d' Espagne, Paris, 1931, (١٧٨) p. 36.

(١٧٩) انظر الملحق بأسماء ولاية أستاذة في آخر البحث .

(١٨٠) يحيى بن على بن حمدون الجذامى بن الأندلسى ، كان جده الأكبر عبد الحميد هو الداخل إلى الأندلس من الشام واستقر بالبيرة . أما جده حمدون فقد دخل في خدمة الفواطم بالمغرب ، وازداد أبوه على بن حمدون حظوة عندهم وشيد لهم مدينة المسيلة بالجزائر وتولاها ابنه جعفر من بعده ، وتحالف هو ويحيى مع بنى خزر أمراء زناتة المواليين لبني أمية ، على حرب زيرى بن مناد الصنهاجى ، فقاتلوه وانتصروا عليه وحزوا رأسه ، بعدها خاطب جعفر بن على الخليفة الحكم المستنصر معتصماً بدعوته ، فأذن له بالعبور إلى الأندلس ، ثم لحق به أخوه يحيى ، فأقاما مكرمين عند الحكم المستنصر ، إلى أن سعى بهما إليه ، فسجنهما في الزهراء فتشفع لهما عبد الملك بن منذر بن سعيد ، فعفا عنهما ، وأعادهما إلى سابق حالهما ( عن يحيى بن على بن حمدون راجع : ابن حيان ، المقتبس ، الحجى ، ص ٤١ ، ٥٦ - ٥٧ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج ١ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٨ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ؛ مجهول ، مفاخر البربر ، نشر ليفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ ، ص ٥ - ٨ ؛

Levi Provencal, Historia, p. 389.

- (١٨١) ابن حيان ، المقتبس ، الحجى ، ص٥٦ - ٥٧ ؛  
Levi Provencal, Historia, p. 389.
- (١٨٢) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص١٠٠.
- (١٨٣) ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ق ١ ، رقم ٢٥٥ ، ص٨٠.
- (١٨٤) كان من كبار موالى الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وأبرز شخصيات الموالى فى عصره وعصر ولده الخليفة الحكم المستنصر ، وتولى قيادة جيش الثغر ، وأعاد بناء مدينة سالم بأمر الخليفة الناصر فى عام ٣٢٥هـ / ٩٤٦م ، ولعب غالب الناصرى دوراً هاماً فى القضاء على ثورة الحسن بن كنون الإدريسى ضد النفوذ الأموى فى المغرب فى عام ٣٦٣هـ / ٩٧٤م ، وعند عودته إلى الأندلس حمل معه الحسن بن كنون وسائر أهله وشيعته من زعماء الأدارسة ، فعقد الخليفة المستنصر هذا الاستقبال له ( عن غالب الناصرى راجع : ابن حيان ، المقتبس ، الحجى ، ص١١٦ - ١٤٤ - ١٥١ ، ١٧٨ - ١٨٢ ، ١٩٤ - ٢٠٠ ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ، ص١١٣ - ١١٤ ، ٢٤٦ - ٢٤٨ ؛ حمدى عبد المنعم محمد حسين ، فارس الأندلس غالب الناصرى ودوره فى حوادث المغرب والأندلس ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، م٣٧ ، ١٩٨٩ ، ص١١ - ٥٠ ) .
- (١٨٥) ابن حيان ، المقتبس ، الحجى ، ص٢٠٠ - ٢٠١.
- (١٨٦) ابن حيان ، المقتبس ، الحجى ، ص٢١٦.
- (١٨٧) Levi - Provencal, Inscriptions Arabes, p. 37, Espagne Musulmane au Xe p. 93.
- (١٨٨) ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ، ص٢٨٨ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص٨٨ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، م ١ ، ص٤٠٩.
- (١٨٩) إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا ، الأندلس بين سقوط الدولة العامرية ونهاية الخلافة الأموية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، نوقشت بآداب الإسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص٤١٠.

Wasserstein (David) The Rise and Fall of the Party-Kings, Princeton, New Jersey, 1985, p. 62.

(١٩٠) الأمير عبد الله الزيرى ، كتاب التبيان ، تحقيق أمين توفيق الطيبي ، منشورات عكاظ ، الرباط ، ١٩٩٥ ، ص ٥٨.

(١٩١) ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ص ١٠٤.

(١٩٢) لمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث الدامية راجع : إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا ، المرجع السابق ، ص ١٧٦ - ٢٧١ والمصادر والمراجع المذكورة هناك.

(١٩٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ١٠٢ ؛ الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٥٩.

(١٩٤) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٥ ؛ مجهول ، نكر بلاد الأندلس ، ص ٦٩.

(١٩٥) ابن الآبار ، الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٧ ؛ إبراهيم عبد المنعم سلامة ، نفسه ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ؛

Wasserstein, The Rise and Fall of the Party-Kings, p. 66; Scales (P.), The Fall of the Caliphate of Cordoba, Leiden, New York 1994, p. 79.

(١٩٦) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ١٢٦ ؛

Levi - Provencal, Historia, p. 470.

(١٩٧) ينتسب بنو برزال إلى قبيلة زناتة البربرية ، وكانوا ينزلون بالمغرب فى منطقة الزاب حول مدينة المسيلة ، وصاروا شيعاً لبني على بن حمدون الأندلسى ، وانتقلوا إلى الأندلس بواسطة جعفر بن على بن حمدون للخدمة فى جيش الخليفة الحكم المستنصر . ولقد لعبوا دوراً هاماً فى انتقال الخلافة لابنه هشام المؤيد ، ثم صاروا بطانة للمنصور العامرى وأولاده من بعده ، وشاركوا كغيرهم من القبائل البربرية الوافدة حديثاً إلى الأندلس فى أحداث الفتنة ، واستقرت شعبة منهم فى جيان ، أما غالبيتهم فقد استقلوا بقرمونة ( عن بنى برزال راجع : ابن حزم ، جمهرة أنساب

العرب ، ص ٤٩٨ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، الحجى ، ص ٤٤ ، ٥٦ ، ١٩١ - ١٩٢ ؛  
ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ، ٢٦٨ ؛ ابن خلدون ، العبر ،  
دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٨٣ ، م ٧ ، ص ١١٢ .

Idris (H. R.), Les Birzalides de Carmona, R. Al-Andalus, vol. XXX, Fasc I, Madrid, 1965, pp. 49-52.

(١٩٨) ولقد بايعته أيضاً أشونة والمدور لنفس السبب الذى بايعته أستجة من أجله ( ابن  
عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٦٨ ، ٣١١ - ٣١٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال  
الأعلام ، ق ٢ ، ص ٢٧٢ ؛ محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف منذ قيامها حتى  
الفتح المرابطى ، ط ٣ ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ١٤٩ ؛ حمدى  
عبد المنعم محمد حسين ، دولة بنى برزال ، قرمونة ، الإسكندرية ، ١٩٩٠ ،  
ص ٥٦ - ٥٧ ؛

Idris, Op. Cit., pp. 50-52; Viguera (M. J.), Los Reinos de Taifas, Al-Andalus en el Siglo XI, Espasa Calpe, Madrid, 1994, p. 50; Scales The Fall of the Caliphate of Cordoba, p. 178.

(١٩٩) بعد وفاة أبى عبد الله البرزالى فى عام ٤٣٤هـ ، بايعت أستجة وغيرها لابنه  
المستظهر عزيز بن محمد « فسار فيها بسيرة أبيه وزاد فى إحسانه لهم » ( البيان  
، ج ٣ ، ص ٣١٢ ) .

(٢٠٠) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٠ ؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق ٢ ،  
ص ٢٦٤ ؛

Wasserstein, Op. Cit., p. 129.

ولعل اضطراب أحوال المستظهر البرزالى عندما بدأ المعتضد بن عباد (٤٣٩ -  
٤٦٤هـ) فى مضايقته وإرهاقه بغزو أراضيه وانتساف زروعه، كان وراء قيام  
صاحب غرناطة باستقطاع أستجة من أملاك البرزالى ، وبسط سلطانه عليها .

## مصادر ومراجع البحث

### ( أ ) المصادر العربية :

(١) ابن الأبار ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله ) ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ، التكملة

لكتاب الصلاة ، نشر عزت العطار ، مكتبة الخانجي بمصر والمتى ببغداد ،

١٩٥٦م.

(٢) \_\_\_\_\_ ، الحلة السراء ، تحقيق د. حسين مؤنس ، ط ٢ ، دار

المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م.

(٣) ابن بشكوال ( أبو القاسم خلف بن عبد الملك ) ت ٥٧٨هـ / ١١٨٣م ، الصلاة

فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، الدار المصرية

للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

(٤) البكرى ( أبو عبيد الله بن عبد العزيز ) ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ، جغرافية

الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق د. عبد الرحمن الحجى ،

بيروت ، ١٩٦٨م.

(٥) ابن الأثير ( أبو الحسن على بن محمد ) ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م ، الكامل فى

التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨م.

(٦) ابن حبيب ( عبد الملك ) ت ٢٣٨هـ / ٨٥٢م ، كتاب التاريخ ، نشر خورخى

أجوادى ، مدريد ، ١٩٩١م.

(٧) ابن عبد الحكم ( أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ) ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م ،

فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق محمد صبيح ، القاهرة ، ١٩٧٤م.



(٨) ابن حزم ( أبو محمد علي بن أحمد ) ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م ، جمهرة أنساب العرب ، نشر عبد السلام هارون ، ط ٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

(٩) الحميدى ( أبو عبد الله محمد بن فتوح ) ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م جنوة المقتبس فى أخبار علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

(١٠) الحميرى ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله ) ت ٧٠٥هـ أو ٧٠٩هـ / ١٣٠٦م ، ١٣٠٩م ، صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار ، نشر بروفسال ، ط ٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٨م .

(١١) ابن حوقل ( أبو القاسم ) ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م ، صورة الأرض ، ليدن ، ١٩٣٨م .

(١٢) ابن حيان ( أبو مروان حيان بن خلف بن حسين ) ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م ، المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، نشره ملشور أنطونية ، باريس ، ١٩٣٧م .

(١٣) \_\_\_\_\_ ، المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ، نشره د. عبد الرحمن الحجى ، بيروت ، ١٩٦٥م .

(١٤) \_\_\_\_\_ ، المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تحقيق د. محمود على مكى ، بيروت ، ١٩٧٣م .

(١٥) \_\_\_\_\_ ، المقتبس ، نشر بدرو شالميتا ، مدريد ، ١٩٧٩م .

(١٦) الخشنى ( أبو عبد الله محمد بن الحارث ) ت ٣٦١هـ / ٩٧٢م ، قضاة قرطبة ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، بيروت ، ١٩٨٢م .

(١٧) \_\_\_\_\_ ، أخبار الفقهاء والمحدثين ، دراسة وتحقيق ماريّا لويس-  
آبيلا ولويس مولينا مدريد ، ١٩٩٢م.

(١٨) ابن الخطيب ( لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ) ت  
٧٧٦هـ/١٣٧٤م ، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام  
، ق ٢ ، نشر ليفي بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤م.

(١٩) \_\_\_\_\_ ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله  
عنان ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ١٩٧٣م.

(٢٠) ابن خلدون ( عبد الرحمن بن محمد ) ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م ، العبر وديوان  
المبتدأ والخبر في تاريخ المغرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى  
السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، ١٩٨٣م.

(٢١) الإدريسي ( أبو عبد الله محمد بن محمد ) ت ٥٤٨هـ/١١٥٥م ، صفة  
المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق  
في اختراق الآفاق ، نشر دوزى ودى غويه ، لينن ، ١٨٩٤م.

(٢٢) الرشاطى ( أبو محمد ) ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م ، وابن الخراط الإشبيلي، ت  
٥٨١هـ/١١٨٦م ، الأندلس في كتاب اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس  
الأنوار ، تحقيق إميليو وبوسك فيلا ، مدريد ، ١٩٩٠م.

(٢٣) الزجالى ( أبو يحيى عبيد الله بن محمد ) ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م ، أمثال  
العوام في الأندلس ، تحقيق محمد بن شريفة ، فاس ، ١٩٧٥م.

(٢٤) الزهرى ( أبو عبد الله محمد بن أبى بكر ) عاش في ق٦هـ/ ق١٢م ، كتيب  
الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، نشر بمجلة الدراسات الشرقية  
بدمشق ، ١٩٦٨م.

(٢٥) الزيرى ( الأمير عبد الله ) كان حيًا ٤٨٨هـ/١٠٩٥م ، مذكرات الأمير عبد الله الزيرى ، تحقيق د. أمين توفيق الطيبي ، منشورات عكاظ ، الرباط ، ١٩٩٥م.

(٢٦) ابن سعيد ( أبو الحسن على بن موسى ) ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، ط ٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨م.

(٢٧) الاصطخرى ( أبو إسحاق إبراهيم ) ت ٣٤٦هـ/٩٥٨م ، المسالك والممالك ، نشر دى غويه ، ليدن ، ١٩٢٧م.

(٢٨) ابن عذارى المراكشى ( أبو العباس أحمد بن محمد ) كان حيًا ٧١٢هـ/١٣١٢م ، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان وليفى بروفنسال ، ط ٣ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م.

(٢٩) العزرى ( أحمد بن عمر بن أنس ) ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، ترصيع الأخبار وتتويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق د. عبد العزيز الأهوانى ، مدريد ، ١٩٦٥م.

(٣٠) ابن غالب ( محمد بن أيوب ) عاش فى ق ٦هـ/ق ١٢م ، فرحة الأنفس ، نشر د. لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ج ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٥م.

(٣١) ابن الفرضى ( أبو الوليد عبد الله بن محمد ) ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م ، تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

(٣٢) ابن القوطية ( أبو بكر محمد بن عمر ) ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م ، تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الإيبارى ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، بيروت ، ١٩٨٢م.

(٣٣) ابن الكردبوس ( أبو مروان عبد الملك ) عاش في ق٦هـ—/ق١٣م ، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، معهد الدراسات الإسلامية بمدرید ، مدرید ، ١٩٧١م.

(٣٤) المراكشي ( عبد الواحد بن علي ) ت ٦٦٩هـ—/١٢٧٠م ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد زينهم محمد ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

(٣٥) المقدسي ( أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري ) ت ٣٧٨هـ—/٩٨٨م ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق دي غويه ، لندن ، ١٩٠٦م.

(٣٦) المقرئ ( أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد ) ت ١٠٤١هـ—/١٦٣١م ، نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م.

(٣٧) مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، بيروت ، ١٩٨١م.

(٣٨) مجهول ، مفاخر البربر ، نشر ليفي بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤م.

(٣٩) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق لويس مولينا ، مدرید ، ١٩٨٣م.

(٤٠) مجهول ، فتح الأندلس ، تحقيق لويس مولينا ، مدرید ، ١٩٩٤م.

(٤١) النويري ( شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ) ت ٧٣٢هـ—/١٣٣١ ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٢٣ ، تحقيق أحمد كمال زكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠م.

(٤٢) ابن هشام اللخمي ( أبو عبد الله محمد بن أحمد ) ت ٥٧٧هـ / ١١٨١م ،  
المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان ، دراسة وتحقيق خوسيه بيريث  
لاثارو، مدريد ، ١٩٩٠م.

(٤٣) الونشريشي ( أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد ) ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م ،  
المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب  
، نشر وزارة الأوقاف المغربية ، الرباط ١٩٨١م.

(٤٤) ياقوت الحموي ( شهاب الدين أبي عبد الله ) ، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م ، معجم  
البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٨

### (ب) المراجع العربية الحديثة والأوربية المعربة :

(١) بوتشيش ( دكتور إبراهيم القادري ) ، أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي  
من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة ، منشورات عكاظ ،  
الرباط ، ١٩٩٢م.

(٢) تسيبولد ، أستجة ، مقال بدائرة المعارف الإسلامية ، نشر إبراهيم خورشيد  
وزميلاه ، دار الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(٣) حسين ( دكتور حمدي عبد المنعم محمد ) ، التاريخ السياسي لمدينة إشبيلية في  
العصر الأموي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٨م.

(٤) \_\_\_\_\_ ، فارس الأندلس غالب الناصري ودوره في حوادث  
المغرب والأندلس ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، م ٣٧ ،  
الإسكندرية ، ١٩٨٩م.

(٥) \_\_\_\_\_ ، دولة بنى برزال ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٠م.

(٦) \_\_\_\_\_ ، ثورات البربر فى عصر الإمارة الأموية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٩٣م.

(٧) الحريرى ( دكتور محمد عيسى ) ، حركات المولدين فى الجنوب الأندلسى فى عصر الإمارة الأموية بالأندلس ، الإسكندرية ، ١٩٨٥م.

(٨) سالم ( دكتور السيد عبد العزيز ) : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٣م.

(٩) \_\_\_\_\_ ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٨٤م.

(١٠) أبو ضيف ( دكتور مصطفى ) ، القبائل العربية فى الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية ، الدار البيضاء ، بدون تاريخ .

(١١) طه ( دكتور عبد الواحد دنون ) ، نظرة عصرية لعملية عبور مضيق جبل طارق ومعركة كورة شنونة ، الموصل ، ١٩٨٧م.

(١٢) الطيبى ( دكتور أمين توفيق ) ، عمر بن حفصون ، نشأته ثورته فى إمارتى محمد بن عبد الرحمن وابنه المنذر ، أحد أبحاث كتاب « دراسات وبحوث فى تاريخ المغرب والأندلس » ، ليبيا - تونس ، ١٩٨٤م.

(١٣) العبادى ( دكتور أحمد مختار ) ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية ، ١٩٦٨م.

- (١٤) \_\_\_\_\_ ، فى تاريخ المغرب والأندلس ، نشر مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، بدون تاريخ .
- (١٥) عنان ( محمد عبد الله ) ، دولة الإسلام فى الأندلس ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٨ م.
- (١٦) \_\_\_\_\_ ، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٨ م.
- (١٧) أبو العلا ( دكتور إبراهيم عبد المنعم سلامة ) ، الأندلس بين سقوط الدولة العمارية ونهاية الخلافة الأموية ، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بآداب الإسكندرية ، ١٩٩٣ م.
- (١٨) مصطفى ( دكتور شاكى ) ، الأندلس فى التاريخ ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ١٩٩٠ م.
- (١٩) مؤنس ( دكتور حسين ) ، فجر الأندلس ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٥٩ م.
- (٢٠) \_\_\_\_\_ ، الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس ، ط ٢ ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ١٩٨٦ م.
- (٢١) \_\_\_\_\_ ، موسوعة تاريخ الأندلس ، فكر وتاريخ وحضارة وتراث ، ط ١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٦ م.
- (٢٢) الأمين ( دكتور إسماعيل ) ، العرب لم يغزوا الأندلس ، رياض الرئيس للكتب والنشر لندن ، ١٩٩١ م.
- (٢٣) الهاشمى ( التهامى الراجى ) ، الأبواب فى الأندلس ، مجلة المناهل ، عدد ١٣ ، الرباط ، ١٩٧٨ م.

(٢٤) الأهواني ( دكتور عبد العزيز ) ، ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي  
في لحن العامة ، مجلة معهد المصطلحات العربية ، م ١ ، ج ١ ، القاهرة ،  
١٩٥٧م.

### المراجع الأوربية الحديثة :

- 1- Aguado Bleye (P.), Manual de la Historia de Espana, t. 1, Madrid, 1947.
- 2-Alvarez de Morales (C.), Aproximacion a la figura de Ibn Abi -L- Fayyad y su Historia, Cuadernos de Historia del Islam, No. 9, Granada, 1978.
- 3- Anonimo, Una Cronica anonima de Abd Al-Rahman III, Al-Nasir, ed. Levi - Provencal, Gacria Gomez, Granada - Madrid, 1950.
- 4- Avila (Maria Luisa), la Sociedad Hispanomusulmana Al Final del Califato, Madrid, 1985.
- 5- Bosch Vila (Jacinto), Historia de Sevilla, La Sevilla Islamica, Sevilla, 1984.
- 6- Castro (Fatima Roldan), Niebla Musulmana, Siglos VIII – XIII, Huelva, 1993.
- 7- Chalmeta (Pedro), Invasion E Islamization, ed. Mapfre, Madrid, 1944.
- 8- Dozy (R.), Le Calendrier de cordoue de l'annee 961, Leiden 1873.
- 9- Guichard, (Pierre), Al-Andalus, Estructura Antropolgica de un Sociedad Islamica en Occidente, Barcelona 1976.
- 10- Idris (H. R.), Les Birzalides de Carmona, R. Al-Andalus, vol. XXX, Fasc I, Granada Madrid, 1965.
- 11- Levi - Provencal, Inscription Arabes, d' Espagne, Paris, 1931.
- 12- -----, L'Espagne Musulmane au Xe Siecle, Paris 1932.
- 13- -----, la description de l'Espagne d'Ahmed Al-Razi, R. Al-Andalus, Vol. XVII, Madrid 1953.



- 14- -----, *Historia de Espana Musulmana*, ed Romon Menendez Pidal, Madrid, 1957.
- 15- Meouak (M.), *Deux Familles d'Origine affranchip au service de L'Etat hispano-Umayyade, Les Banu Durri et Banu Tarafa*, R. Anaquel Vol. II, Madrid, 1991.
- 16- Saavedra, *Estudio Sobre la invasion de los Arabes en Espana*, Madrid 1882.
- 17- Scales (Peter), *The Fall of the Caliphate of Cordoba*, Leiden, New York 1994.
- 18- Torres Balbas, *La Via Augusto, y el Arrecife musulman*, R. Al-Andalus, vol. XXIV, Madrid, 1959.
- 19- Vallve, (Joaquin), *De nuevo sobre Bobastro*, R. Al-Andalus, vol. XXX, Madrid 1965.
- 20- -----, *la division territorial de la Espana Musulmana*, Madrid, 1980.
- 21- Viguara (Maria Jesus), *Los Reinos de Taifas, Al-Andalus en el Siglo XI*, ed Espasa Calpe, Madrid, 1994.
- 22- Wasserstein (David), *The Rise and Fall of the Party-Kings*, Princeten, New Jersy, 1985.



# وزراء العصر العباسي الأول

١٣٢ - ٢٣٢ هـ

د. فائزة إسماعيل أكبر (\*)

## مقدمة :

ليس المقصود من هذه الدراسة تعريف القارئ بماهية منصب الوزارة ، أو إعطاء القارئ ترجمة عن حياة وزراء هذا العصر ، فقد ألفت في هذا الموضوع العديد من الكتب والبحوث المتأنية ، وإنما الهدف الذي قصدناه من وراء هذه الدراسة هو إلقاء الضوء على الدور الذي لعبه أشهر وزراء هذا العصر في مختلف الجوانب العامة مما أحدث تغييراً في أوضاع المجتمع الإسلامي ؛ سواءً سياسيًا ، أم اقتصاديًا ، أم إداريًا ، أم اجتماعيًا .

ونظام الوزارة واحد من النظم السياسية الهامة في الإسلام ، بل هو أهم النظم السياسية بعد الخلافة ، إلا أن منصب الوزارة - كمؤسسة مستقلة لها صلاحيات معينة - لم يعرف إلا في العصر العباسي . وفي ذلك يقول ابن طباطبا « الوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس . فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ، ولا مقررة القوانين ، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية ، فإذا حدث أمر استشار بنوى الحجا والآراء الصائبة ، فكل منهم يجرى مجرى وزير ، فلما ملك بنو العباس تقرررت قوانين الوزارة وسمى الوزير « وزيراً » ، وكان قبل ذلك يسمى « كاتباً أو مشيراً »<sup>(١)</sup> .

فكلمة « وزير » كانت تعنى عند العرب في صدر الإسلام « المؤازر أو المعين » ، ولم يتعد هذا الاصطلاح المشاورة والمؤازرة بالرأى والعمل .

---

(\*) أستاذ مشارك - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبدالعزيز - جدة .

وعندما أصبحت الخلافة ملكاً فى بنى أمية احتاج خلفاؤهم إلى من يستشيرونهم فى أمور الدولة ويستعينون بهم فى أمور القبائل والعصائب ، واصطناع الأحزاب منهم فاختاروا بعض البارزين من نوى الرأى والسياسة ليقوموا بمثل هذا العمل ، فكان هؤلاء يقومون بمهام معاونين والمستشارين والكتاب ، لأن الوزارة كمنصب أو رتبة سياسية لم يكن قد تقرر أمرها بعد بصورة رسمية حتى أن بنى أمية كانوا ينكرون أن يطلق على كتابهم ومعاونيهم لقب « وزير » ، وفى ذلك يقول المسعودى : كانت ملوك بنى أمية تتكبر أن يخاطب كاتباً لها بالوزارة وتقول : الوزير مشتق من الوزارة . والخليفة أجل من أن يحتاج إلى المؤازرة<sup>(٢)</sup> ولا يستثنى من هذا إلا زياد بن أبيه ؛ إذ لقبه بعض الناس « بالوزير » فى عهد معاوية بن أبى سفيان<sup>(٣)</sup> .

ويظهر من هذا أن العباسيين هم الذين عرفوا المعنى السياسى للوزارة وإن لم تظهر أهميتها فى أوائل هذا العصر أيضاً . فقد عرف أبو سلمة الخلال أحد أركان الدعوة العباسية باسم وزير آل محمد إلا أنه لم يتمتع بصلاحيات أو سلطات كاملة فى جميع الدواوين ، كما أنه لم يظهر للوزارة أبعثها ورونقها فى عهد أبى جعفر المنصور .

وباستقرار نظام الخلافة وتطور النظم الإدارية تطورت سلطة الوزير فى تصريف شئون الحكم ، ولم تكن صلاحيات من تولوا هذا المنصب محدودة ، بل كانت تتوقف على مدى سلطة الخليفة من قوة وضعف ، فبعض الوزراء تمتع بصلاحيات وسلطات إدارية واسعة وبعضهم لم يعط إلا سلطات محدودة حتى إن الماوردى صنف الوزارة صنفين رئيسين :

أولهما : وزارة التفويض الذى يمارس فيها الوزير صلاحيات الخليفة كاملة فى الإدارة فيما عدا ثلاثة أمور ، هى حق تعيين ولى العهد ، أو عزل الخليفة ، أو عزل من عينه الخليفة .

الثانى : وزارة التنفيذ ، وتأتى فى مرتبة تالية لوزارة التفويض وتقتصر فيها سلطات الوزير على تنفيذ أوامر الخليفة وقراراته<sup>(٤)</sup> .

ونظراً لأهمية منصب وزير التفويض فإن هناك شروطاً يجب توافرها فيمن يلى هذا المنصب ، وهى غير معتبرة فيمن يلى منصب وزارة التنفيذ وهى :

- الحرية .

- الإسلام .

- العلم بالأحكام الشرعية .

- المعرفة بأمرى الحرب والخراج .

ولا أدل على أن منصب الوزارة يعد من أهم مناصب الدولة بعد منصب الخلافة ، من أن أصحاب هذا المنصب شاركوا الخليفة فى صنع القرار السياسى وتركوا بصمات واضحة فى النواحي السياسية ، والإدارية والاقتصادية ، والاجتماعية والفكرية . كما استغل بعضهم هذه الرتبة لأغراض معينة ولعل أشهر من استغل هذه المرتبة لأغراض سياسية خاصة هو أبو سلمة الخلال ؛ أول الوزراء العباسيين من حيث الترتيب الزمنى .

( أ ) نشاط أبى سلمة الخلال السياسى قبل تسلم بنى العباس السلطة :

قاد أبو سلمة الخلال الدعوة للعباسيين فى الأعوام الخمسة الأخيرة قبل تسلم بنى العباس السلطة ، وهو أول من تلقب بالوزارة فى العصر العباسى . كان فارسى الأصل ، واسمه : حفص بن سليمان الهمذانى الخلال مولى بن الحارث بن كعب من العراق<sup>(٥)</sup> ، وقد اتفق أغلب المؤرخين القدامى على أنه كان من مياسير أهل الكوفة ، وكان يعمل بالصيرفة . أما تلقيبه بالخلال - نسبة إلى الخل - فربما

يعود إلى أن منزله بالكوفة كان في حارة الخلاين<sup>(٦)</sup> . تعرف أبو سلمة على الدعوة العباسية عن طريق « بكير بن ماهان » ، رئيس الدعاة بالكوفة ، وأهمهم على الإطلاق ، نظرًا لطول المدة التي قضاها في رئاسة الدعوة ، وإخلاصه لها وتفانيه في خدمتها<sup>(٧)</sup> .

ولعل أول عمل جدى قام به أبو سلمة في خدمة الدعوى العباسية هو تكليفه من قبل بكير بن ماهان بالذهاب إلى خراسان ليهيئ أنصار وشيعة العباسيين هناك ليوم الثورة المرتقب ، وقد طلب منه أن يأمر الشيعة بتسويد الثياب ، وأعطاه ثلاثة رايات سود ؛ واحدة لمن يمشي من الشيعة ، والأخرى لمن بجرجان ؛ وأن يبعث بالثلاثة إلى ما وراء النهر . واستطاع أبو سلمة أن يؤدي عمله بكفاءة عالية ، وأن يبعث دعائه ورساله . وكانت مدة إقامته في خراسان أربعة أشهر رجع بعدها إلى الكوفة ، فكان بذلك أول من أدخل الرايات السود إلى خراسان وعمل على نشر الدعوة بها<sup>(٨)</sup> .

وبعد وفاة بكير بن ماهان سنة ١٢٧هـ / ٧٤٤م تسلم أبو سلمة قيادة الدعوة بناء على توصية ابن ماهان<sup>(٩)</sup> . واتخذ من الكوفة مركزًا له كما فعل ابن ماهان من قبل ، وذلك لوقوعها في منتصف الطريق بين الحميمة في الأردن مقر إبراهيم الإمام وبين خراسان . وأخبر إبراهيم الإمام شيعته بخراسان أنه عين أبا سلمة خلال كبيرًا للدعاة بالكوفة ، وأمرهم بطاعته<sup>(١٠)</sup> . وقد عمل أبو سلمة في خدمة الدعوة العباسية بكل إتقان وإخلاص ، وبذل أموالًا طائلة من أجل إظهارها ، وذلك في أكثر مراحلها حرجًا . وكثيرًا ما كان يتردد على خراسان مشرفًا على أمورها هناك مصطحبًا معه أبا مسلم الخراساني .

وهكذا استمر أبو سلمة داعيًا مخلصًا لإبراهيم الإمام في الكوفة حتى وقع الأخير في يد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين الذي أمر بقتله في حران .

وفى تلك الفترة الحرجة من تاريخ الدعوة العباسية لعب أبو سلمة دوراً سياسياً مهماً وبارزاً ، فما أن انتصرت الجيوش الخراسانية فى خراسان ودخلت العراق حتى أرسل أبو سلمة إلى محمد بن خالد بن عبد الله القسرى أن يعلن الدعوة بالكوفة مظهرًا السواد شعار العباسيين .

وكان أن مضى محمد بن خالد إلى قصر الإمارة فدخله ، ودعا الناس إلى البيعة للرضا من آل محمد ، بعد أن هرب صاحب الشرطة الموالى للأمويين إلى واسط ملتحقاً بابن هبيرة والى الأمويين على العراق<sup>(١١)</sup> . وبعد ذلك طلب أبو سلمة من الحسن بن قحطبة قائد القوات الخراسانية أن يدخل الكوفة ، فدخلها يوم الجمعة ١٠ محرم ١٣٢هـ / ٣٠ أغسطس ٧٤٩م . وأقبل الحسن إلى أبى سلمة وسلم إليه الرئاسة ، وخاطبه باسم « وزير آل محمد » وبايعه أهل خراسان وأهل الكوفة ، وأضحى بذلك صاحب السلطة الفعلية والممثل الشرعى لآل محمد . ثم خطب أبو سلمة وهنأ القواد والجنود من أهل خراسان بالنصر وأعلن الإمامة الهاشمية دون أن يسمى الخليفة بالاسم<sup>(١٢)</sup> .

(ب) دور أبو سلمة السياسى والإدارى بعد ظهور الدعوة العباسية بالعراق :

وبعد هذا الانتصار الذى حققه أبو سلمة فى الكوفة وتسلمه جميع السلطات الفعلية بوصفه الممثل الشرعى لآل محمد ، رحل إلى حمام أعين على بعد ثلاثة فراسخ من الكوفة وعسكر بها . ومن هناك أخذ بتنفيذ سلطاته ومسئوليّاته ، فبدأ بتأسيس الدواوين وتعيين العمال عليها ، ووجه القواد إلى النواحي ليقاتلوا فلول الجيوش الأموية بها<sup>(١٣)</sup> . وفرق العمال فى البلدان ليضبطوا أمورها .

أما فيما يتعلق ببيت المال والخزائن فقد حمل ما فيها إلى المعسكر وأخرج اعطيات الجند منها . وأنفذ عمال الخراج إلى الأقاليم فجبا الخراج<sup>(١٤)</sup> .

ومن معسكره بحمام « أعين » أخذ أبو سلمة يصدر الأوامر ويراسل أبا مسلم الخراسانى فى مستجدات الأمور ، ويدير شئون الثورة باسم الدعوة للإمام القائم من بنى العباس دون أن يسمى الخليفة<sup>(١٥)</sup> .

حاول أبو سلمة للمرة الثانية أن يلعب دوراً سياسياً بارزاً وخطيراً على مسرح الأحداث . فكما كان له دوره الذي لا يستهان به في قلب الحكم الأموي، أراد كذلك قلب الحكم العباسي إلى علوى في أشد أوقات تاريخ الدعوة العباسية حرجاً . فعندما وصل أبو العباس وآل بيته إلى الكوفة في صفر سنة ١٣٢هـ - سبتمبر ٧٤٩م ، لم يستقبلهم أبو سلمة وأبقاهم خارج المدينة منكراً قدومهم بقوله : (خاطروا بأنفسهم وعجلوا ) وكنتم أمرهم عن جميع القواد ، ورفض أن يدفع لهم نفقات الانتقال<sup>(١٦)</sup> .

ويتفق أغلب مؤرخينا الثقة على انحراف أبي سلمة في هذه الفترة عن العباسيين ، ورغبته في استغلال الدعوة لصالح العلويين ، فاليقوبى يرى أن سبب إخفاء أبي سلمة العباس وآل بيته ( أنه دبر أن يصير الأمر إلى آل أبي طالب )<sup>(١٧)</sup>، بينما يرى المسعودى أن أبا سلمة حين بلغه مقتل إبراهيم الإمام أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية لآل أبي طالب ، ( لأنه خاف انتقاص الأمر وفساده عليه )<sup>(١٨)</sup> . أما الجهشيارى فيذكر ( أنه لما صح عند أبي سلمة موت إبراهيم الإمام لقي رجالاً من شيعة عليّ فناظرهم على نقل الأمر إلى ولد عليّ )<sup>(١٩)</sup> ، أى أنه لما درس أحوال بنى العباس لم يجد فيهم من يصلح أن يتولى إمامة المسلمين ، كما أشار الطبرى ، ومؤلف كتاب أخبار الدولة العباسية إلى أن تنكر أبي سلمة لأبى العباس وأهل بيته وتضييقه عليهم<sup>(٢٠)</sup> .

على أن هذه المحاولات قد باءت بالفشل ، إذ لم ترض تلك الأطراف قبول دعوة أبي سلمة خلال ، وبذلك وقع أبو سلمة ضحية سوء تقديره ، وعدم بعد نظره .

وكان أبو سلمة خلال في تلك الأثناء يتغيب عن أبى العباس وأهل بيته، وكان كلما أرسل إليه أبو العباس ليسأله عن موعد ظهورهم يطلب منه التريث ، ويخبره بأن الوقت لم يحن بعد . وبقوا على هذه الحالة أربعين يوماً . وكذلك كان



يفعل مع الخراسانيين عندما يسألونه عن الإمام<sup>(٢١)</sup> ، إلى أن اكتشف الخراسانيون عن طريق أبي الجهم بن عطية الباهلي وعدد من القادة الآخرين مكان اختفاء أبي العباس وبايعوه وأعلنوا اسمه خليفة للدولة الجديدة .

وبعد فشل أبي سلمة في جهوده التي بذلها لنقل الخلافة إلى العلويين وجد نفسه في مأزق حرج ، فلا هو عباسي كما كان مع إبراهيم الإمام ، إذ أن قادة الثورة لم يكونوا مستعدين أن يتنازلوا عن سلطاتهم التي أحرزوها ، وكانوا على يقين من أنه لتأمين استمرار نجاح ثورتهم لا بد من التمسك بالعباسيين ، أصحاب الدعوة ، ومبايعة أبي العباس إماماً لدولتهم الناشئة . كما أنه لم يجد من العلويين من ينصره ويأخذ بيده<sup>(٢٢)</sup> .

ولم يكن أمام أبي سلمة ، الذي تمت مبايعة أبي العباس له دون علمه ، إلا أن يقبل بالأمر الواقع ويبايع الخليفة ، مبرراً موقفه بأنه كان يحاول تمهيد الأمور لاستقامة الأمر<sup>(٢٣)</sup> . وتقبل السفاح عذره قائلاً : ( عذرناك يا أبا سلمة غير مفند ، وحقك لدينا معظم وسابقتك في دولتنا مشكورة وزلتك مغفورة )<sup>(٢٤)</sup> .

ويبدو مما تقدم أن أبا سلمة - بصفته الرئيس الفعلي للحكومة المؤقتة بالكوفة - كانت تقع على عاتقه مسئولية اختيار إمام جديد بعد موت إبراهيم الإمام ، ترضى عنه جميع الأطراف الهاشمية ، والخراسانية ، وقادة الثورة . لهذا ظل لمدة شهرين يبحث عن شخص قادر على استقطاب جميع هذه الأطراف ، لأن أبا العباس في رأى أبي سلمة لم يكن الشخص المناسب لتولى هذا المنصب .

وعلى الرغم من معرفة أبي العباس بكل ما فعله أبو سلمة لإبعاده عن منصب الخلافة ، إلا أنه استوزره وأقر تلقيبه بوزير آل محمد . وقد أجمع المؤرخون على اكتساب الخلال لهذا اللقب قبل فترة الدعوة إلا أنهم اختلفوا حول الصلاحيات التي ترتبت على منحه ، فبعضهم يرى أنه كان لقباً تشریفياً أطلق على الخلال نظير خدماته ، وبعضهم يرى أنه كان ينطوي على مسئوليات محدودة .

وإذا دققنا النظر في طبيعة المهام التي مارسها خلال والمسئوليات التي تقلدها في الفترة ما بين مقتل إبراهيم الإمام وتولى أبي العباس الخلافة نرى أنه كان صاحب السلطة الفعلية في الكوفة . وقد اعترف بسلطته هذه جميع أنصار الدعوة . وذكر الجهشيارى أنه ( عسكر في حمام أعين قرب الكوفة وأقام بها ووزع عماله على السهل والجبل ، وصارت الدواوين بحضرته والكتب تنفذ منه وترد عليه )<sup>(٢٥)</sup> ، بمعنى أنه أسس دواوين جديدة ، وقام بتعيين العديد من الولاة والعمال على الأقاليم ، وجهاز بعض الجيوش للقيام ببعض العمليات ، إلا أن سيطرته على الجيش لم تكن كاملة ، لأنها بقيت في يد أبي الجهم بن عطية الباهلي ، مندوب أبي سلمة السياسى الذى رافق جيش قحطبة<sup>(٢٦)</sup> .

أما عن سلطاته وصلاحياته خلال توليه الوزارة بعد تولى أبي العباس الخلافة فيبدو أن ديوان الخراج ، وديوان الجند لم يكونا داخلين في سلطته ، لأن الخليفة كان قد قلدهما لخالد بن برمك<sup>(٢٧)</sup> . ولا ريب في أن هذين الديوانين كانا من أهم الدواوين في الدولة ، فالأول يشرف على جباية الخرج ، المصدر الرئيسى لدخل الدولة ، بينما ينظم الثانى السجلات المتعلقة بمصروفات الجند ، وهى أهم باب فى مصروفات الدولة آنذاك<sup>(٢٨)</sup> . وكثيراً ما وقع الصدام بين سلطة أبي العباس وسلطة وزيره أبي سلمة ، لعدم تحديد صلاحيات الثانى ، الذى كان يرغب فى السيطرة على الجهاز الإدارى كله . وقد ذكر الثقة من مؤرخينا ( بأن أبا سلمة كان ينفذ الأمور من غير مؤامرة ، أى دون مشاورة وأنه كان يظهر الإدلال والقدرة على أمير المؤمنين )<sup>(٢٩)</sup> .

وبعد أن ثبت أبو العباس أقدامه فى الحكم أحس بأن الفرصة مواتية له بأن يتخلص من وزيره ومنافسه السياسى الخطير . فكتب إلى أبي مسلم الخراسانى فى خراسان يستشيريه فى قتل أبي سلمة ، فوافقه أبو مسلم على ذلك ، وأرسل رجاله

من خراسان لينفذوا عملية القتل في رجب سنة ١٣٢هـ - فبراير ٧٥٠م ، وأعلن رسميًا أن الخوارج اغتالته<sup>(٣٠)</sup> ، وقد كان للمنافسة بين العملايين أبي مسلم الخراساني وأبي سلمة خلال دور كبير في التعجيل بالتخلص من خلال<sup>(٣١)</sup> .

وهكذا قتل أول من وقع عليه لقب الوزارة في الدولة العباسية ، ولم تغفر له سابقته في الدعوة وإسهاماته من الناحية السياسية في قلب حكم الدولة الأموية ، وإسهاماته الجليلة في خدمة الدعوة العباسية ، حيث أنفق كثيرًا من أمواله الخاصة على رجالها<sup>(٣٢)</sup> إلا أن هذه الجهود والخدمات لم تشفع له عند أبي العباس .

اختلف المؤرخون على من احتل منصب الوزارة بعد أبي سلمة خلال، فقليل أن أبا الجهم بن عطية الباهلي هو الذي تسلم مسئوليات الوزير دون اتخاذ اللقب<sup>(٣٣)</sup>، وكان المهيم على الجيش خلال تولى أبي سلمة الوزارة . وبعد مقتل أبي سلمة أصبح من المقربين من الخليفة ، وبمناخه حاجبه ومستشاره<sup>(٣٤)</sup> . وبذلك يكون قد جمع بين السيطرة على الجيش والسيطرة على الإدارة دون أن ينال لقبًا معينًا ، أو مرتبة سياسية أو إدارية معينة .

وقد بقي أبو الجهم رجلًا موثوقًا به ومقرَّبًا من الخليفة أبي العباس مدة خلافته، فهو الذي أخرج أبا العباس من موضعه الذي أخفاه فيه أبو سلمة ، وقام بأمره حتى بويج ، ولكنه لم ينل تلك الثقة من قبل أبي جعفر المنصور ، فقد اتهمه أبو جعفر بأنه جاسوس لأبي مسلم الخراساني ، وأنه يكاتبه بأخباره فتخلص منه بالسم<sup>(٣٥)</sup> .

على أن بعض المؤرخين يرون بأن أبا العباس بعد مقتل أبي سلمة استوزر خالد بن برمك وزارة تنفيذ . غير أنه رفض أن يسمى « وزيرًا » ، لأنه شؤم على صاحبه<sup>(٣٦)</sup> ، قد خلف أبا سلمة في جميع مهامه ومسئوليته بالإضافة إلى إشرافه

على ديوان الجند ، وديوان الخراج والغنائم ، وفي الواقع أن إشراف خالد على الشئون المالية يرجع إلى ما قبل تولى أبي العباس الخلافة ، فقد تقلد خالد خراج ما يفتحه جيش قحطبة بن شيب الطائي من البلاد . كما أشرف على الغنائم وتوزيعها بين الجند ، وعرف عنه أنه كان عادلاً في توزيعها ، فأرضى بذلك جميع أهل خراسان حتى وصفه الجهشيارى « بأن ما من أحد من أهل خراسان إلا وكان عليه يد ومنة ، لأنه قسط الخراج فأحسن فيه إلى أهله »<sup>(٣٧)</sup> ، ويبدو أن أبا العباس أراد الاستفادة من خبرة خالد في الشئون المالية ، إضافة إلى خبرة قومه في الناحية الإدارية، فأقره على ما كان تحت يده من الغنائم ، ثم قلده ديوان الخراج وديوان الجند . وظل خالد شخصاً موثقاً به عند الخليفة يستشير به في الأمور العظيمة ويعمل بنصائحه وبتدبيره<sup>(٣٨)</sup> .

فلما ولى أبو جعفر المنصور الخلافة أبقى خالدًا في منصبه مدة فكان خير سند له في تثبيت دعائم حكمه ، وفي إخماد الفتن والثورات<sup>(٣٩)</sup> . كما كانت له جهود بارزة في الإصلاح الإداري ، فهو أول من ثبت الدواوين في دفاتر بعد أن كانت تثبت في صحف<sup>(٤٠)</sup> . وكان أول من سمى المستسمحين الذين يدخلون على الوزير لطلب العفو والسماح « بالزوار » ، وكانوا قبل ذلك يسمون بالسؤال ، لأنه كان يستقبح لهم هذا الاسم وفيهم الأحرار والأشراف<sup>(٤١)</sup> .

ويبدو أن لخالد بن برمك دوراً سياسياً مهماً في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والبيعة للمهدى ابن المنصور .

إلا أن أبا جعفر عزل خالدًا من جميع مهامه وقلد أبا أيوب سليمان بن مخلد المورياني وزارته . وولى خالد ولاية فارس لمدة سنتين ، ثم عزله عنها بسبب وشاية أبي أيوب المورياني . فصادر أبو جعفر أملاكه وألزمه بدفع ثلاثة ملايين درهم<sup>(٤٢)</sup> . ثم عفا عنه بعد ذلك وولاه الموصل سنة ١٥٨هـ / ٧٧٥م وظل خالد

واليًا عليها ، حتى توفي المنصور ، فأبقاه المهدي عليها ، وكانت وفاة خالد سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م في أوائل خلافة المهدي<sup>(٤٣)</sup> .

أبو أيوب سليمان بن مخلد المورياني :

يبدو أن أبا جعفر المنصور استفاد من تجربة أخيه أبي العباس مع وزيره أبي سلمة الخلال ، فعمد إلى اتباع سياسة إدارية صارمة نجحت في تحديد سلطات وزرائه . فبعد أن تخلص من أبي الجهم بن عطية ، وأبعد خالد بن برمك ، تردد المنصور في اتخاذ وزير ، خوفاً من تضخم نفوذه . وكان معظم وزراء المنصور في أعمالهم أقرب إلى الكتاب والمساعدين الإداريين منهم إلى الوزراء .

وفي ذلك يقول صاحب الفخرى « فلم تكن الوزارة في أيامه طائلة لاستبداده واستغنائاه برأيه وكفاءته ، وكانت هيئته تصغر لها هيبة الوزراء ، وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف فلا يظهر لهم أبهة ولا رونق »<sup>(٤٤)</sup> .

ولعل أبرز من ظهر على مسرح الأحداث من وزراء المنصور هو أبو أيوب المورياني ، وهو فارسي الأصل من موريان من قرى الأهواز . وكان ذا خبرة إدارية بشئون العراق ، كما كان ضليعاً في الكيمياء ، والطب والفلك، والرياضيات، والسحر ، ولكنه لم يكن متمكناً في الفقه والشريعة الإسلامية<sup>(٤٥)</sup> .

وترجع مقدرة أبي أيوب الإدارية وخبرته بالشئون المالية إلى أواخر العهد الأموي ، فقد عمل كاتباً لأمير الأهواز سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة<sup>(٤٦)</sup> . كما كان مستخدماً في الديوان في ولاية يوسف بن عمر ، على العراق في عهد هشام بن عبد الملك<sup>(٤٧)</sup> .

أما عن كيفية اتصاله بالعباسيين ، فقد حدث ذلك عندما كان أبو أيوب كاتباً لسليمان بن حبيب بن المهلب . عندما قلد سليمان هذا أبا جعفر كورة ائذج بين

خوزستان وأصبهان ، كان على أبي جعفر أن يرسل بعض الأموال إليه ، إلا أنه احتجزها لنفسه فقبض عليه سليمان وأمر بضربه، فخلصه أبو أيوب منه وكان ذلك بداية اتصال أبي أيوب بالمنصور<sup>(٤٨)</sup> .

وعندما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة رأى أن ينتفع بخبرة المورياني الطويلة بشئون العراق الإدارية والمالية ، وفي نفس الوقت مكافئته على ما أسداه إليه من معروف ، فاستدعاه ، وأسند إليه بعض الأعمال . فكان أول عمل إداري لأبي أيوب في خلافة المنصور هو النيابة عن عبد الملك بن حميد ، كاتب المنصور، في حال غيابه عن مجلس الخليفة . وحدث أن مرض عبد الملك بداء النقرس فلزم داره وقام أبو أيوب بالعمل نيابة عنه ، وقد وفق في أدائه ، مما زاد منزلته عند المنصور ، حتى قلده وزارته ، والإشراف على الدواوين وتدير شئون الدولة<sup>(٤٩)</sup> . ومما يدل على علو منزلته عند المنصور أنه عين جميع أهله وأقربائه في المناصب الإدارية<sup>(٥٠)</sup> .

ونفى جواتيائين صفات الوزارة وما يترتب عليها من صلاحيات عن أبي أيوب على الرغم من إبرازه حجم قوة مركزه بقوله : « ونستطيع أن نبرز قوة مركز أبي أيوب لو عرفنا حشد الموظفين الذين حشدهم المنصور ليحلوا محله في المهام التي كان يشغلها بعد عزله »<sup>(٥١)</sup> ، مستندًا في ذلك على رواية الجهشياري بأن المنصور بعد عزل أبي أيوب عين ثلاثة مكانه ليقوموا بعمله، أحدهم للخاتم ، والثاني لشئون الخلافة العامة والمراسلات الخاصة ، والثالث لإدارة ضياعه<sup>(٥٢)</sup> . وحصر جواتيائين بذلك عمل أبي أيوب الأساسي في تقديم الخدمات الشخصية للخليفة وتشمل :

- مصاحبة الخليفة في المناسبات العامة .

- العمل كمستشار خاص له .

- النظر في البريد الخلقى، والإشراف على الإنشاء .

= النظر في ضياع الخليفة الخاصة<sup>(٥٣)</sup> .

والحقيقة أن الجهشيارى أطلق لقب وزير على أبى أيوب فى عدة مناسبات<sup>(٥٤)</sup>، ولم يحصر سلطاته فى المهام التى حددها جواتيائين ، إذ ذكر فى عدة مواضع الصلاحيات الوزارية التى منحها المنصور لأبى أيوب مثل تقليده للدواوين مع الوزارة . واستطاع أن ينال حظوة كبرى عند المنصور ، وأن يكون له نفوذ فى الدولة حتى أنه عين جميع أقربائه فى المراكز الإدارية، إضافة إلى جباية الخراج<sup>(٥٥)</sup> ، كما كان يشارك المنصور فى اتخاذ القرارات السياسية ومنها :

القضاء على أعداء أبى جعفر ، فهو الذى طمأن أبا مسلم الخراسانى عندما أراد المنصور أن يتخلص منه ، حتى يتمكن من القبض عليه . كما كان له دور إيجابى فى القضاء على عبد الجبار الأزدي والى خراسان ، وفى العفو عن سفيان ابن معاوية قاتل عبد الله بن المقفع<sup>(٥٦)</sup> .

وهكذا نرى أن أبا أيوب لم يكن كاتباً أو مستشاراً خاصاً لدى المنصور ، وإنما كان نفوذه وسلطاته أكبر من ذلك بكثير ، حتى أصبح مهاباً عند الخاصة من أهل بيت الخلافة وعند العامة ، فهم يلجئون إليه لقضاء حوائجهم ، وإذا بدرت منهم بادرة يلتمسون العفو من المنصور على يديه .

استمرت علاقة الموريانى بالمنصور وثيقة جداً إلى أن بدأت سموم الوشاية تعمل عملها فى نفس المنصور ، وبدأ المنصور يشك فى إخلاص الموريانى ، وفائه له نتيجة لسعاية الربيع بن يونس حاجب المنصور وأبان بن صدقة كاتب أبى أيوب ، وكان فى نفسه شىء منه . فقد نجح الاثنان فى إبلاغ أبى جعفر عن أدق تفاصيل تحركات الموريانى وأقربائه الذين عينهم فى المناصب لجمع الثروات الضخمة وابتزازهم للأموال .

ويبدو أن المورياني استغل واردات الدولة المالية من جباية وخراج والنظر في ضياع وممتلكات الخليفة الخاصة لصالحه الخاص ، ومن ذلك :

- احتكاره لرخص المواد الغذائية في سواد الكوفة والبصرة طمعاً في الربح<sup>(٥٧)</sup> .
- أخذه مبلغ ثلاثمائة درهم لإصلاح ضيعة ابن الخليفة ( صالح المسكين ) بالقرب من الأهواز فأخذ المال ولم يصلحها<sup>(٥٨)</sup> .
- المتاجرة باسمه، ومركزه، ومن ذلك بيع اسمه لصاحب ضيعة من الأهواز بمبلغ من المال، يقدر بمائة ألف درهم في كل سنة، وذلك حتى يرهبه العمال والناس فلا يعتدون على ضيعته<sup>(٥٩)</sup> .

- مشاركته هو وأخوه خالد في الأرباح مع العمال الذين يعينهم على الجباية، حتى قيل بأن الأموال التي كانت تجمع من جباية الأهواز كان يذهب نصفها لبيت المال والآخر يذهب إلى بيت مال خالد شقيق أبي أيوب<sup>(٦٠)</sup> .

وعندما تحقق للمنصور سوء تصرفات وزيره وأعوانه وابتزازهم للأموال ، أمر بعزل المورياني عن الوزارة ، كما عزل جميع أقربائه وسجنهم وصادر أموالهم وضيق عليهم سنة ١٥٣هـ / ٧٧٠م . وبقي المورياني في السجن حتى مات في السنة التالية سنة ١٥٤هـ / ٧٧١م .

وبعد عزل أبي أيوب قلد أبو جعفر الفضل بن سليمان الطوسي الخاتم ، وقلد أبان بن صدقة ديوان الرسائل ، وقلد صاعداً مولاه النظر في ضياعه وممتلكاته الخاصة ، كما ولى ديوان خراج البصرة ونواحيها عمارة بن حمزة، وديوان خراج الكوفة وأرضها عمرو بن كيلغ<sup>(٦١)</sup> .

وهكذا يبدو أن توليه أبي أيوب المورياني الوزارة كانت تجربة أبطاها المنصور بعد ذلك ، إذ أنه لم يعين أحداً مكانه ، واستمر كعادته يمارس السيطرة المباشرة على شئون دولته .



## أشهر وزراء مرحلة الاستقرار وأثرهم على النواحي الاقتصادية والسياسية :

### ١ - أبو عبيد الله معاوية بن يسار وأثره على النواحي الاقتصادية :

عرف عهد المهدي بأنه بداية عهد الاستقرار والازدهار للدولة العباسية، لأن والد المنصور ترك له دولة آمنة مستقرة مليئة خزائنها بالأموال<sup>(٦٢)</sup> . ففي عهده نمت المؤسسات الإدارية ورسخ النظام الوزاري ، فازدهرت نتيجة لذلك الحياة الإدارية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وبدأ منصب الوزارة يتخذ معالمه وتتسع صلاحيات الوزراء . وقد منح المهدي الوزراء سلطات واسعة واعتمد عليهم بشكل كبير ، وكان يتم تعيينهم وفقاً لكفاءتهم الإدارية والكتابية .

ومن أشهر وزراء المهدي أبو عبيد الله معاوية بن يسار الأشعري الطبراني ، وهو جد محمد بن عبد الوهاب الكاتب<sup>(٦٣)</sup> ، أصله من فلسطين ، حيث خدمت أسرته الإدارة الأموية ، وكان والده كاتباً لقائد جند الأردن في طبرية . ومن هنا جاءت نسبة الطبراني إلى أبي عبيد الله<sup>(٦٤)</sup> .

واختار المنصور أبا عبيد الله بن يسار لتربية ابنه المهدي ، وأن يكون كاتباً له ، يقول صاحب الفخرى « أن المنصور كان قد عزم على أن يستوزره ، ولكنه أثر به ابنه المهدي وأوصاه بأن يمثل لمشورته »<sup>(٦٥)</sup> .

إن اختيار المنصور أبا عبيد الله معاوية بن يسار لتربية ابنه وولي عهده « المهدي » يرجع إلى خبرة أبي عبيد الله وأسرته في الشئون الإدارية . وكذلك إلى علمه وجسـن تصرفه ، فقد نال أبو عبيد الله في صغره نصيباً كبيراً من العلوم المختلفة ، مما كان له أثره في حسن تصرفه وإبداعه في تنظيم الشئون الإدارية والمعاملات الاقتصادية . لازم أبو عبيد الله مولاه المهدي طيلة فترة ولايته للعهد ، فقد رافقه في حملته على خراسان سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م ، وأقام معه في الري مدة طويلة عمل أثنائها على تدبير شئونه الإدارية والمالية بكل حرية وكفاءة<sup>(٦٦)</sup> . كذلك

استعان به المنصور في أخذ البيعة للمهدي من عيسى بن موسى ، وفي كتابته نص تنازل عيسى بن موسى عن ولاية العهد للمهدي<sup>(٦٧)</sup> .

وبعد وفاة المنصور أخذ أبو عبيد الله البيعة العامة من الناس في بغداد للمهدي . فكان طبيعياً أن يقلده المهدي وزارته ودواوينه سنة ١٩٥هـ / ٧٧٥م نظير كفاءته وإخلاصه<sup>(٦٨)</sup> . وبعد أبا عبيد الله من أكثر وزراء العصر العباسي إنجازاً من الناحية المالية . فكان على عكس سلفه أبي أيوب المورياني ، شديد الحرص على بيت المال ، يشير على المهدي بالاقتصاد في النفقة ، وعدم الإسراف<sup>(٦٩)</sup> . كما كان عفيفاً يحب الخير ويحض عليه ، ويعطف على المحتاجين إلا أنه يؤخذ عليه أنه كان شديد التكبر والتّيه<sup>(٧٠)</sup> .

وعلى الرغم من قصر مدة وزارة أبي عبيد الله إلا أنه أنجز عدة إصلاحات إدارية ومالية لم يعمل بها من قبل ، واحتذى بها من جاء من بعده، يقول عنه ابن طباطبا « أنه كان مقدماً في صناعته فاخترع أموراً » . فمن هذه الأمور إصلاحاته الإدارية والمالية والتي منها أنه<sup>(٧١)</sup> :

- رتب ديوان الخراج وقرر قواعده .
- أول من صنف كتاباً في الخراج وتبعه آخرون بعد ذلك فصنفوا كتب الخراج .
- نظم جباية الأموال .
- نقل الخراج من المساحة إلى المقاسمة .

وقد تم وضع نظام المقاسمة سنة ١٦٠هـ / ٧٧٦م ، وكان الخراج يؤخذ بالنقد وعلى مساحة الأرض ، زرعت أم لم تزرع . فرأى أبو عبيد الله أن تطوّر الظروف يستلزم إجراء تعديل هذا النظام . لأن إهمال الولاة الأمويين كان قد أدى إلى خراب السواد وتدهور الزراعة ، فأشار على المهدي بنظام المقاسمة<sup>(٧٢)</sup> . الذي يقوم على جعل أرض الخراج من المساحة على الجريب إلى المقاسمة على الإنتاج، وكان على النحو التالي :

« النصف على الأراضى التى تسقى سيحاً<sup>(٧٣)</sup> والثلث على الأراضى التى تسقى بالدوالى ، والرابع على تلك التى تسقى بالدواليب.. ولا شىء عليهم سوى ذلك»<sup>(٧٤)</sup> . أما خراج الكروم والنخيل والشجر فإنه بقى على النظام القديم ، ولكنه روى فيه القرب من الأسواق والموانئ ، إضافة إلى جودة الحاصل أو ردايته ، فقلل بذلك من عسف الجباة<sup>(٧٥)</sup> .

ومن ضمن سياسة أبى عبيد الله معاوية بن يسار المالية اهتمامه بتحسين وإصلاح الأراضى الزراعية ، لما للعلاقة الوثيقة بين الزراعة وواردات الخراج وغيره من الضرائب الأخرى . وقد أشار الوزير على الخليفة المهدى بأن تكون نفقات الإرواء من إنشاء شبكات الإرواء والتصريف وبناء السدود ، وعمل القناطر وسد الشقوق وحفر الأنهار وتقوية الضفاف، من بيت المال<sup>(٧٦)</sup> . ويبدو أن هذا النظام لم يستمر طويلاً ، فعندما أمر المهدى بحفر نهر الصلة وإحياء ما على ضفتيه من الأراضى وجعل نفقتها صلة لأهل الحرمين فإن نفقات حفر هذا النهر دفعت من بيت مال المسلمين ، إلا أن المهدى بعد ذلك أمر بمضاعفة الضريبة المفروضة على المزارعين المستفيدين من حفر هذا النهر لمدة خمسين سنة تعويضاً لبيت المال عن تلك النفقات<sup>(٧٧)</sup> .

وكما كانت إسهامات أبو عبيد الله معاوية بن يسار إسهامات عظيمة فى خدمة الاقتصاد الإسلامى كذلك كانت كفاءته الإدارية والكتابية . فقد كان المهدى يستعين به أثناء جلوسه للمظالم ، ويشاوره فى تعيين ولاية الأقاليم . وكان يخصه بكتابة الرسائل المهمة الصادرة عنه ، فهو الذى كتب إلى الأقاليم نيابة عن المهدى كتاب تنازل عيسى بن موسى عن ولاية العهد إلى موسى الهادى ، وكذلك فعل عندما أخذت البيعة لهارون ولياً ثانياً للعهد<sup>(٧٨)</sup> . وهو الذى قام بتحرير كتاب يأمر فيه عمال الخراج برفع العذاب عن أهل الخراج الذين كانوا يعذبون بصنوف العذاب من السباع والزنابير عندما لا يستطيعون إيفاء ما عليهم من أموال وطالب عمال الخراج بأن يعاملوهم معاملة الغرماء<sup>(٧٩)</sup> .

ظل أبو عبيد الله معاوية بن يسار ، مقرباً من المهدي ومحط ثقته، إلا أن شدة تكبره وتخطيه حدود سلطاته ، وتدخله في أمور لا تعنيه نفرت منه الخليفة ، وأصبح عرضة للمنافسين له والوشاة ، ومن لهم مصلحة في إبعاده عن منصبه . وكان الربيع بن يونس من أشد هؤلاء المنافسين لأبي عبيد الله ، ولم يجد الربيع سبيلاً إلى طعن أبي عبيد الله في شخصه ، وذلك لكفاءته وتقدمه في صناعته وورعه ، وتقواه ، ولكنه وجد السبيل إلى ذلك في اتهام أحد أبنائه بالزندقة ، واقنع المهدي بذلك ، فأمر المهدي بقتله وكان ذلك سنة ١٦٣هـ / ٧٧٩م<sup>(٨٠)</sup> .

وبعد هذه الحادثة صرف المهدي أبا عبيد الله عن وزارته ، مكتفياً بجعله على ديوان الرسائل ، ثم عزله عن ديوان الرسائل سنة ١٦٧هـ / ٧٨٣م فقلده الربيع بن يونس<sup>(٨١)</sup> . وما زال أبو عبيد الله يؤدي عمله في بلاط الخليفة بكل أمانة وإخلاص إلى أن طلب المهدي من الربيع أن يحجبه عنه استحياءً منه بسبب إقدامه على قتل ولده . فانقطع بداره ، واضمحل أمره ولم يطل العمر به إذ توفي سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦م<sup>(٨٢)</sup> .

## ٢ - يعقوب بن داود وسياسة المصالحة مع العلويين :

هو يعقوب بن داود بن عمرو بن عثمان بن طهمان ، مولى بني سليم<sup>(٨٣)</sup> ، فارسي الأصل ، نشأ في بيئة اشتغل أفرادها بالكتابة ، فقد خدم والده وأعمامه الأمويين ، واشتغلوا كتاباً في الديوان في خراسان حتى ولاية نصر بن سيار . وعرف بشغفه بالأدب وصنوف العلم<sup>(٨٤)</sup> . وبعد قيام الدولة العباسية لم يطمع أفراد هذه الأسرة في خدمة بني العباس ، لاتصالهم ببني أمية وعدم ثقة العباسيين بهم . فتقربوا من آل الحسن واعتنقوا المذهب الزيدي وطالبوا بالخلافة لمحمد بن عبد الله بن الحسن « النفس الزكية » طمعاً في أن يكون لهم دولة يعيشون في كنفها . وكان يعقوب هذا يجول في البلاد منفرداً تارة ، وأحياناً أخرى مع إبراهيم بن عبد الله في طلب البيعة لمحمد النفس الزكية . فلما قتل محمد وأخوه إبراهيم وفشلت ثورتها على يد المنصور سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م توارى يعقوب وأخوته . فطلبهم

المنصور حتى ظفر بهم وحبس يعقوب في السجن طوال عهد المنصور لأكثر من عشر سنوات<sup>(٨٥)</sup> . وعندما تولى المهدي الخلافة أمر بإطلاق سراحه من السجن بعد أن عفى عن أغلب السجناء السياسيين<sup>(٨٦)</sup> .

أما عن كيفية اتصال يعقوب بالخليفة المهدي وحصوله على ثقته ، ومن ثم اختياره وزيرا له ، فقد أرجعتها المصادر إلى أسباب سياسية ، وهي ميول يعقوب العلوية ، وقربه من الشيعة ومعرفته بهم ، ولكنها تختلف في تفسير ذلك<sup>(٨٧)</sup> ، ولكن مهما يكن من اختلاف تفسيرات المؤرخين حول كيفية وصول يعقوب بن داود إلى الخليفة المهدي ، فإن جميعها تدل على أن تقرب يعقوب كان له هدف سياسي محدد وهو السعاية بآل علي .

وبذلك حظى يعقوب برضى الخليفة فأعطاه لقبا فريدا من نوعه هو « الأخ في الله » وخط ذلك في خطاباته ومراسلاته الرسمية التي كانت تحفظ ضمن أوراق الخلافة ، وأخرج توقيعات تثبت في الدواوين وأسبغ عليه مبلغ مائة ألف درهم<sup>(٨٨)</sup> .

واستطاع يعقوب في وقت قصير أن يحوز على ثقة الخليفة فكان يدخل عليه وقتما يشاء ، ويقدم له النصائح في أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وتزويج العزاب ، وفكاك الأسرى والمحبوسين والقضاء على الغارمين، والصدقة على المتعفين<sup>(٨٩)</sup> .

ولا شك في أن تلقيب المهدي « يعقوب بن داود » بلقب « الأخ في الله » له مغزاه السياسي، فقد أراد المهدي أن يستغل ظروف يعقوب واتصالاته بالعلويين ، ليكسب جانبهم ويرصد تحركاتهم وأنشطتهم، وليأنس العلويين بحكمه من جهة ثانية.

ولتسهيل مهمة يعقوب في سياسة المصالحة مع العلويين منحه المهدي سنة ١٦١هـ/٧٧٨م سلطات سياسية كبيرة ، مثل حق تعيين أمناء له في جميع الولايات، ومنح هؤلاء الأمناء سلطة على الولاة أنفسهم « فكان لا ينفذ للمهدي كتاب إلى عامل فيجوز حتى يكتب يعقوب بن داود إلى أمينه وثقته بإنفاذ ذلك »<sup>(٩٠)</sup> .

ولم يزل أمر يعقوب يرتفع ويعلو عند المهدي حتى استوزره وفوض إليه أمر الخلافة ، أى أنه وزره وزارة تفويض ، وأصدر مرسوماً رسمياً بذلك سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م ، فازدادت منزلة يعقوب علواً ، حتى أخذ يقرب الزيدية وأتى بهم من كل ناحية ، وولاهم مناصب الدولة ليس في العراق وحدها وإنما في جميع الولايات<sup>(٩١)</sup> .

على أن سياسة المصالحة هذه لم تأت بالنتائج المرجوة منها ، وذلك لأمر منها :

أولاً : لأن الخلافات بين العلويين والعباسيين كانت عميقة جداً ، فالعلويون لم يستسيغوا سياسة المصالحة كما أنهم لم يتقوا بيعقوب ، واعتبروه شخصاً انتهازياً ، ولم يسلم عيسى بن زيد نفسه رغم التأكيدات والجوائز والضمانات التي حصل عليها من الخليفة عن طريق المهدي<sup>(٩٢)</sup> .

ثانياً : أثارت الصلاحيات الكبيرة التي منحها يعقوب لأمناء وموظفي الزيدية عداً أصحاب البريد وولاة الولايات ، فأخذوا يوغرون صدر المهدي على يعقوب ، معللين ذلك بأن ميله للعلويين هو الذي جعله يمنحهم تلك الصلاحيات<sup>(٩٣)</sup> .

وبذلك بدأت علاقة المهدي تتبدل تجاه يعقوب شيئاً فشيئاً ، ووجد حساده الفرصة سانحة للتخلص منه خاصة عندما أطلق يعقوب سراح أحد العلويين الذين عهد بهم المهدي لديه ، وهربه<sup>(٩٤)</sup> . فأمر المهدي بسجن يعقوب وطرده جميع أمنائه ، فظل في السجن حتى وفاة المهدي والهادي ، وأطلق سراحه الرشيد بعد أن شفع له يحيى بن خالد البرمكي ، فأخرج من السجن بعد أن ذهب بصره وعمى فطلب أن يجاور في مكة ، وأقام بها حتى توفي هناك سنة ١٨٧هـ/٨٠٣م . وكانت وزارته للمهدي حوالي خمس سنوات<sup>(٩٥)</sup> .

وكان يعقوب ينتقد إسراف المهدي ، وتبذيره للأموال ، وكان كثيراً ما يشير عليه بالاعتصام في النفقات ، وحفظ الأموال ، ولا يتورع عن وصف عمله صراحة بالسرف قائلاً له في أحد المواقف التي استشاره فيها : « هذا يا أمير المؤمنين السرف » .

كما أنه كان ينتقد بعض تصرفاته وجلوسه في مجالس الغناء واللهو وإنفاقه ٥٠ مليون درهم من بيت مال المسلمين على بناء منزه . وبلغ من ضيقه أن طلب منه إعفاءه من منصبه قائلاً : « ليس على هذا استوزرتي ، ولا على هذا صحبتك ، أبعد الصلوات الخمس في المسجد الجامع يشرب عندك النبيذ ، وتسمع السماع »<sup>(٩٦)</sup> . وقد اتهم المهدي بصرف وتبذير جميع الأموال التي ادخرها والده المنصور في خزينة الدولة ، وتقدر بتسعمائة وخمسين مليوناً من الدراهم<sup>(٩٧)</sup> .

#### البرامكة وزراء الرشيد :

وفي عهد هارون الرشيد ( ١٧٠ - ١٩٣ هـ ) توضحت أعمال الوزارة وتحددت صلاحيات الوزير ، وصارت الدواوين تسجل وتراقب ، ولها أصحاب متخصصون وفروع منسقة . ولعل من أبرز العناصر التي ساهمت في تنظيم الوزارة والدواوين أسرة آل برمك ، التي لعبت دوراً خطيراً في هذه الحقبة من الزمن . فلقد هيمن على الوزارة يحيى بن خالد البرمكي وأولاده ، واستأثروا بالنفوذ والسلطان . ولقد كان لهذه الأسرة أثر واضح وفعال في المجتمع الإسلامي ، مما يستوجب منا أن نلقى الضوء على نشاطها في عصر بني العباس .

تؤكد الروايات المختلفة على أن أصول البرامكة يرجع إلى الفرس ، وأن هذه الأسرة كانت لها وجاهة قبل دخولها الإسلام .

ويقال أنهم اعتنقوا الإسلام على المذهب الشيعي في عصر الدولة الأموية بعد أن فتح المسلمون أواسط آسيا ، وأن برمك أسلم زمن عبد الملك بن مروان وكان رجلاً عالمًا بالطب والتنجيم<sup>(٩٨)</sup> .

وأول من اتصل من البرامكة بالعباسيين هو خالد بن برمك جد هذه الأسرة الذى لعب دوراً مهماً فى النواحي الإدارية فى عهد كل من السفاح ، وأبى جعفر المنصور ، وشيء من خلافة المهدي ، حتى توفى سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م « كما سبق وأن أشرت إلى ذلك » ، أما أشهر شخصية فى أسرة البرامكة فكانت شخصية يحيى ابن خالد ، الذى عرف بمهارته وحسن إدارته لشئون الدولة قبل أن يتولى وزارة هارون الرشيد . ذلك أنه حاز على ثقة المنصور فولاه سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م على « أنريجان » ، و«أرمينية» قائلاً له : « أردتك لأمر من الأمور واخترتك لشغل من الثغور »<sup>(٩٩)</sup> فبقى والياً عليها حتى وفاة المنصور .

وقد ازدادت منزلة يحيى شرفاً فى عهد الخليفة المهدي ، عندما عهد إليه بتربية ابنه هارون ، فقام بأداء هذه الرسالة خير قيام ، ثم أسند إليه المهدي الإشراف على دواوين هارون ، وجعله كاتباً له بعد أن ولى المهدي ابنه الرشيد ولاية المغرب من الأنبار إلى إفريقية سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م<sup>(١٠٠)</sup> . وقد استمر يحيى فى إخلاصه لهارون طيلة فترة حكم أبيه المهدي ، وخلافة أخيه الهادي ، الذى أراد خلعه من ولاية الحكم ، وجعلها لابنه جعفر من بعده .

وحرص يحيى البرمكى دوماً على حث هارون على التمسك بحقه فى ولاية العهد ، وعدم الاستجابة لرغبة الهادي<sup>(١٠١)</sup> ، وظل يسانده حتى وصل إلى سدة الخلافة ، مزوداً إياه بالخبرات التى كانت تنقصه . ذلك أن هارون ولى الخلافة وهو فى مقتبل العمر ، تعوزه الكفاءة والخبرة فى إدارة الشئون العامة<sup>(١٠٢)</sup> .

وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك عوامل أسرية وعاطفية ربطت هارون بيحيى وأسرته ، فقد رضع هارون من زوج يحيى ، فأصبح أولاد يحيى أخوته فى الرضاعة ، كما تربى وتهذب على يدى يحيى ، الذى كان يسهر على خدمته وراحته ، معرضاً حياته للخطر ، فنزل بذلك يحيى من نفس هارون منزلة عظيمة ، حتى أنه كان يناديه بـ ( يا أبت ) . وقد عبر عن حفظه للجميل الذى أسداه له يحيى - حين ثبته على التمسك بحقه إلى أن وصل واعتلى كرسى



الخلافة - بقوله عندما بويع بالخلافة سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م : ( يا أبت أنت أجلسنى هذا المجلس ببركة رأيك ، وحسن تدبيرك ، وقد قللتك أمر الرعية ، وأخرجته إليك فاحكم بما ترى ، واستعمل من شئت ، واعزل من رأيت ، وأسقط من رأيت ، فإننى غير ناظر معك فى شئ )<sup>(١٠٣)</sup> .

إذا فلا غرو بعد ذلك وعجب فى أن يسلم هارون عنان الأمور فى الدولة ليحيى وأسرته حتى قيل إن هارون سلم لهم خاتم الدولة ، فتداولوه بينهم بين سنة ١٧٣ إلى ١٨٠هـ<sup>(١٠٤)</sup> وبذلك أصبحت ليحيى سلطة تكاد تكون مطلقة ، فكانت له إدارة الدواوين كلها مع الوزارة<sup>(١٠٥)</sup> . وكان يحيى أول أمير من الوزراء حمل لقب وكانت الكتب التى تنفذ من ديوان الخراج باسمه ، ولم تكن تنفذ إلا عن الخليفة<sup>(١٠٦)</sup> ، وهى بدعة استنها الرشيد تجعل الوزير بمثابة النائب عن الخليفة .

وقد ساعد يحيى فى إدارة شئون الدولة ، ولداه الفضل وجعفر ، مدة سبعة عشر عاما من ١٧٠هـ-١٨٧هـ/٧٨٦م-٨٠٣م وقد باشرُوا فى هذه المدة جميع النواحي الإدارية ، والعسكرية ، والمالية ، والعلمية ، والأدبية<sup>(١٠٧)</sup> حتى أن الفضل كان يلقب « بالوزير الصغير » فى حين لقب جعفر « بالسلطان »<sup>(١٠٨)</sup> . وبذلك هيمن يحيى وأبناؤه على دولة الرشيد وحياته فى بداية عهده ، حتى أنهم كانوا يقيمون معه فى قصر الخلد<sup>(١٠٩)</sup> . لهذا فإن جميع الأمور التى كانت تجرى باسم الرشيد فى بداية عهده طبعت بطابع البرامكة ، فهم الذين يديرون أمور الدولة ، وهم الذين يحلون المشاكل وهم الذين يتصدون للأعمال ، فى حين أن الرشيد حرر نفسه من جميع هذه المسئوليات الإدارية ، وتسلم قيادة الجيوش لمحاربة البيزنطيين .

وبينما كان اهتمام الرشيد منصبا على تأمين الحدود الشمالية مع البيزنطيين ، كان يحيى يشرف على الأمور الداخلية ، ويستقل تدريجيا عن الخليفة فى الرأى ، ويختار بنفسه معاونيه فى الإدارة ، ويهيمن على كتاب الدواوين ، ويراقب أعمالهم فى الدواوين المركزية<sup>(١١٠)</sup> ، حتى قيل ( إنه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد

خمسـة وعشرين رئيسًا من بين صاحب سيف وصاحب قلم<sup>(١١١)</sup> . أما ولاية الأكـسـاليم فكان يعينهم بعد أن يكتفى ظاهريًا باتباع رأى الخليفة<sup>(١١٢)</sup> .

من ذلك أنه عين ابنه الفضل سنة ١٧٦هـ/٧٩٢م على ولاية المشرق ، وهى الجهات الواقعة غربى إيران « منطقة الجبال ، طبرستان ، أرمينية توسى وأنريجان » ، لأن الأوضاع لم تكن مستقرة بها ، خاصة بعدما التجأ إليها يحيى ابن عبد الله العلوى الذى فر من موقعة فخ سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م وقام بثورته فى بلاد الديلم فى بحر قزوين سنة ١٧٥هـ/٧٩١م<sup>(١١٣)</sup> . وقد نجح الفضل بعد فترة قصيرة فى إخماد نيران هذه الثورة باللين ، ودون سفك دماء ، بعدما أقنع يحيى بقبول الصلح ، وكتب له الرشيد أماناً بشهادة القضاة والفقهاء . وكان أن سلم يحيى نفسه ، وحمله الفضل إلى الرشيد . فازدادت بذلك منزلة الفضل علواً لدى الرشيد الذى أكرمه أشد إكرام ، وأجزل له العطاء<sup>(١١٤)</sup> .

وفى سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م أضيفت خراسان إلى ولاية الفضل من أجل تجنيد قوات جديدة ، إلا أنه لم يذهب إليها حتى سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م<sup>(١١٥)</sup> . وقد استطاع الفضل خلال فترة ولايته القصيرة على المشرق أن يقوم بأداء مهمته خير قيام . وبفضل جهوده وسياسته الحكيمة وصلاته الواسعة نجح فى إقناع أمراء المنطقة المحليين ، وجماعة الدهاقين ، فى أعداد الجند المطلوبين . فكون جيشاً عظيماً قوامه ٥٠,٠٠٠ ألف جندى أطلق عليه اسم «العباسية» ، أرسل منهم عشرين ألفاً إلى بغداد وأبقى الباقين فى خراسان<sup>(١١٦)</sup> . ويبدو أن الفضل أراد أن يجعل من العشرين ألف جندى الذين أرسلهم إلى بغداد جيشاً خاصاً به وبأسرته يحميهم ويأتمر بأمرهم ، ويقف فى وجه الفئة الأخرى من الجند ، وهم الأبناء الذين كلنوا معروفين بعدائهم لسياسات البرامكة<sup>(١١٧)</sup> .

والواقع إن الفضل أولى اهتماماً بالغاً لمنطقة خراسان والمشرق أثناء ولايته عليها ، فهو بالإضافة إلى تكوينه جيش العباسية زاد رواتب الجند وبنى مساجد ورباطات كثيرة ، وحفر قناة بلخ ، وأمر بهدم معبد النوبهار ، فلم يقدر عليه لإجـكـلم

بنائه فهدم منه جزءاً بنى عليه مسجداً . وأرسل حملة بمساعدة الدهاقين لفتح بلاد كابل فاقتحمها ، وغنم منها غنائم كثيرة . وقاد حملة ضد مملكة أشروسنة . ومما يدل على عظم مكانة الفضل في خراسان أنه استطاع أن يعلن ولاية العهد لمحمد ابن الرشيد ، ويلقبه بالأمين ، ويأخذ البيعة له من الخراسانيين ، قبل أن يتمكن الرشيد من فعل ذلك في بغداد<sup>(١١٨)</sup> . وهذا يعنى أن إعلان ولاية العهد للأمين تمت في المناطق الشرقية أولاً بفضل تدبير الفضل ، ومن ثم أعلنت البيعة في بغداد والمناطق الأخرى رسمياً رغم معارضة الكثير من الهاشميين .

وبهذا يتضح الدور السياسى والإدارى الجاد الذى مارسه الفضل فى البلاط العباسى . وقد يرجع ذلك لطبيعته الجدية فقد أثر عنه أنه كان لا يشرب النبيذ ، وكان يقول لو علمت أن الماء ينقص من مروعتى لما شربته<sup>(١١٩)</sup> .

كذلك عهد يحيى لابنه جعفر بولايات عدة ، ولكنه لم يذهب بنفسه إلى هذه الولايات ، وإنما كان يرسل إليها من ينوب عنه . وفى سنة ١٧٦هـ / ٧٩٢م ، ولى جعفر على المغرب كله من الأنبار إلى أفريقية بما فيها مصر ، فلم يذهب إليها وولاها من قبله عمر بن مهران كاتب الخيزران<sup>(١٢٠)</sup> .

وفى سنة ١٨٠هـ / ٧٩٦م ولى على خراسان فانتدب محمد بن الحسن بن قحطبة لينوب عنه فيها<sup>(١٢١)</sup> . وفى نفس السنة أرسل جعفر إلى الشام لتهدئة العصبيّة القبلية التى هاجت بين أهلها ، وتفاقم أمرها ، فاستطاع جعفر أن يضع حداً للاضطرابات فسكنت الفتنة ، بعد أن أدب المتمردين ونزع السلاح من القبائل وأعاد الأمن إلى المنطقة<sup>(١٢٢)</sup> .

ويبدو أن هذه هى المرة الوحيدة التى أدى فيها جعفر مهمة خارج مدينة السلام . فقد اقتصر عمل جعفر على ملازمة الرشيد ومناذمته لسماحة أخلاقه، فكان لا يفارقه أبداً . وقد عبر جعفر للرشيد عن حزنه العميق لبعده عنه فترة ذهابه إلى الشام لتهدئة الأوضاع فيها<sup>(١٢٣)</sup> . ولعل إثثار الرشيد له وثقتيه به جعلته أكثر

البرامكة نفوذًا ذلك أن الرشيد أشركه معه في كثير من المهام الخاصة ، والتي تعد من واجبات الخليفة الرئيسية ، كالنظر في المظالم ، والإشراف على البريد ودور الضرب وصك العملة ، والطرز في جميع المناطق ، بل أكثر من ذلك ظهر اسم جعفر مكتوبًا على كل القطع النقدية في المشرق والمغرب<sup>(١٢٤)</sup> .

كذلك عهد الرشيد إليه بتربية وتأديب ابنه عبد الله المأمون ، كما عهد من قبل بتربية ابنه محمد الأمين إلى الفضل . فتمكن بذلك جعفر من الحصول على الوصاية على المأمون ، وأشار على الرشيد بتوليته العهد بعد أخيه الأمين ، وكان له دور في تثبيت حق المأمون وكتابة العهد وتعليقه في جوف الكعبة<sup>(١٢٥)</sup> .

وهكذا يبدو أن ظرف ، وفصاحة ، وذكاء وتأديب جعفر ، وسهولة أخلاقه جعلته أكثر حظًا عند الرشيد من بقية إخوته ، وأكثر إدلالاً . وقد أبدى والده يحيى للرشيد مخاوفه من الصلة الشخصية التي كانت تجمع بينه وبين ابنه جعفر قائلاً له « يا أمير المؤمنين ، أنى أكره مداخل جعفر ، ولست آمن من أن ترجع العاقبة على في ذلك منك ، فلو أعفيتّه واقتصرت على ما يتولاه من جسيم أعمالك لكان أحسب إلى ، وآمن عليه عندي »<sup>(١٢٦)</sup> .

ولكن مناداة جعفر للرشيد في مجالسه ، وبقاءه في بغداد بالقرب منه لم تمنعه من أداء الأعمال الموكولة إليه على خير وجه . وقد عرف عن جعفر أنه كان فصيحًا بليغًا لبقًا عالمًا بالآداب ، والتاريخ والفقه ، لأن أباه كان قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي ليعلمه ويفقهه<sup>(١٢٧)</sup> . وقد ذكر عنه أنه فصل في يوم واحد ، عندما كان يجلس للمظالم مع الرشيد ، في ألف قضية خاصة ، ووقع عليها ، ولم يخرج في شيء منها عن أحكام الفقه ، ولم تكن أي واحدة منها ضد العدالة<sup>(١٢٨)</sup> .

على أن أهم ما يميز سياسة يحيى وأبنائه هي سياستهم المالية ، فقد اتسمت هذه السياسة بدقة شديدة لا تتظر إلا في مصالح الخزينة المركزية التي امتلأت بثروات ضخمة لا تقدر بثمن . ولعل أكبر دليل على نجاح سياستهم المالية في ملأ

خزينة الدولة بالأموال الطائلة هي قائمة الخراج التي أوردتها الجهشيارى فى كتابه الوزراء<sup>(١٢٩)</sup> .

ذلك أن البرامكة اتبعوا أساليب صارمة فى جمع الضرائب لتعويض ما لحق بالخزينة من خسائر أيام خلافة المهدي ، وإن كانت الضرائب فى أحيان كثيرة تجمع بطريقة تعسفية غير شرعية . وفى بداية وزارة يحيى فرضت ضريبة العشور الإسلامية على معتقى الإسلام فى السواد ، إضافة إلى ما كانوا يدفعونه بناء على نظام المقاسمة الذى عمل به فى أيام المهدي . ولما كان ذلك يعنى عقوبة على اعتناق الإسلام فإنه سرعان ما أبطل<sup>(١٣٠)</sup> . ومن أساليبهم المتشددة فى جمع الضرائب أنهم كانوا يطالبون الناس بدفع الضريبة كاملة مع جميع المتأخرات « البقايا » ، فتولى مطالبتهم فى دار السلام عبد الله بن الهيثم بن سام ، الذى لم يتوان عن استخدام القوة التى تصل أحياناً إلى التعذيب ، وذلك لإجبارهم على دفع الضرائب أو البقايا ، كما عينوا من أجل ذلك فى جميع الولايات موظفين للقيام بهذه المهمة<sup>(١٣١)</sup> . وفى اليمن مثلاً أقام حماد البربرى فيها ثلاث عشرة سنة ، وسام أهلها سوء الغذاب حتى صاح قوم منهم بالرشيد وهو بمكة : اعزل عنا حماداً البربرى ، إن كنت تقدر . فامتنع الرشيد عن عزله فى البداية ، ولكنه ما لبث أن عزله بعد ذلك . والظاهر أن عزله تم بعد القضاء على البرامكة<sup>(١٣٢)</sup> .

وفى الموصل استطاع يحيى بن سعيد الحرشى تحصيل جميع المتأخرات إلى جانب الضرائب التى فرضت على الدواجن والماشية ، فبلغت ستة ملايين درهم<sup>(١٣٣)</sup> . وفى أنريجان التى تم إعفاء أهلها من دفع الضريبة على أراضيهم تشجيعاً لهم للاستيطان فى المناطق الحدودية صاروا يطالبون من قبل عمال البرامكة بدفع هذه الضريبة<sup>(١٣٤)</sup> . وطالت هذه الإجراءات المشددة شمال أفريقية فلم ينج أهلها من صرامة البرامكة وموظفيهم . ومن أجل ضمان ولاء أفريقية ، عين البرامكة هرثمة بن أعين حاكماً عليها . وكان هرثمة من أهم الشخصيات العسكرية التى ترتبط برباط وثيق مع البرامكة ، وجعلوا تحت قيادته

عدداً من جند العباسية ، الذين كان الفضل بن يحيى قد جندهم من الشرق ، فوصلها سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م وعمل على تهدئة الأوضاع بها<sup>(١٣٥)</sup> . فلما بلغ طرابلس أعطى جندهم أرزاقهم الفائتة وآمنهم وعمل مثل ذلك في القيروان التي وصلها سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م وبعد أن استقرت الأوضاع في أفريقية رجع هرثمة إلى العراق سنة ١٨١هـ/٧٩٧م فاستخلفه جعفر بن يحيى البرمكي على الحرس<sup>(١٣٦)</sup> .

وقد اضطربت الأوضاع في أفريقية بعد عودة هرثمة ، ووجدت حكومة بغداد صعوبة في الاحتفاظ بها ، وحكمها حكماً مباشراً بسبب المنافسات بين القوات المجندة من البربر والعرب في المنطقة ، والقوات الخراسانية من جهة وتوسعات إدريس بن عبد الله العلوي الذي أراد فرض سلطانه على المغرب كله من جهة أخرى<sup>(١٣٧)</sup> فقرر الرشيد - ووزراؤه البرامكة بعد مشاورة هرثمة بن أعين - إبقاء جند العباسية الذين تركهم هرثمة هناك بصورة دائمة ، وتعيين إبراهيم بن الأغلب والياً عليهم ، والاعتراف به أميراً مستقلاً استقلالاً ذاتياً ، على شرط أن تستغنى ولاية أفريقية عن المعونة المالية التي كانت تدفع من مصر ، وتقدر بحوالي مائة ألف دينار سنوياً ، وأن يدفع مقابل ذلك أربعين ألف دينار سنوياً إلى خزانة الدولة في بغداد<sup>(١٣٨)</sup> . وكان هذا الإجراء بدون شك كسباً جديداً لخزينة الدولة .

وبينما انتهج البرامكة سياسة شديدة في جمع الضرائب في كافة أنحاء الدولة في عهد الرشيد ، نراهم يتعاطفون مع أهل المشرق ، خاصة في جمع الضرائب . فالفضل بن يحيى لكي ينجح في تجنيد القوات العسكرية التي عرفت باسم «العباسية» زاد في أعطيات الجند والقادة ، ووصل الكتاب بعشرة آلاف درهم . ولكنه عندما وجد أن هذه العطاءات التي بذلها للجند والقواد والكتاب غير كافية عمل على إحراق دفاتر البقايا ، أي عمل على إلغاء متأخرات الضرائب كلها ، وإلى إحراق السجلات حتى لا يُطالبوا بهذه المتأخرات بعد ذلك<sup>(١٣٩)</sup> .

وهكذا أدت سياسة البرامكة المالية المميزة إلى امتلاء خزينة الدولة بالأموال، مما رفع من شأنهم في نظر الرشيد . وكما عمل البرامكة على ملئ خزينة الدولة

عملوا أيضاً على ملئ خزينة الرشيد الخاصة ، وذلك عن طريق مصادرة الأراضي المهجورة التي تركها أصحابها بسبب عبء الضرائب ، والأراضي التي مات عنها أصحابها بدون ورثة ، وأراضي بني أمية ، حتى ممتلكات بعض أفراد العائلة العباسية التي مات عنها أصحابها صادروها وأضافوها إلى خزائن الرشيد وعائلته<sup>(١٤٠)</sup> .

وإلى جانب ذلك خص البرامكة أنفسهم بثروات هائلة ، ولم يحرموا أنفسهم ولا أصحابهم من هذا النشاط لا بتراز الأموال ، فهم يمتلكون أحسن البقاع ، وأجمل الأبنية ، وهذا جعفر يعمر قصرًا في بغداد أنفق عليه أموالاً طائلة تقدر بعشرين مليون درهم<sup>(١٤١)</sup> . وذكر أنه كانت لديه بركة في داره أخفى فيها أربعة آلاف دينار، وزن كل دينار مائة دينار ودينار<sup>(١٤٢)</sup> . وكان للبرامكة ممتلكات وأراض كثيرة في البصرة ، وقيل إنهم كانوا لا يتورعون عن إبدال قنوات المياه لتنظيف بعض الأراضي السبخة العائدة لهم دون التفكير في الأذى الذي يصيب الأراضي الأخرى<sup>(١٤٣)</sup> . وقد بلغت واردات البرامكة السنوية من الأموال ثلاثين مليوناً وستمائة وستين ألف دينار غير ضياعهم ودورهم<sup>(١٤٤)</sup> . وعن طريق هذه الثروات الضخمة التي حصلوا عليها استطاعوا أن يكونوا علاقات ممتازة مع الخاصة والعامة ، وذوى الحاجات عن طريق الهبات والأعطيات التي كانوا يعطونها بسخاء، حتى كثر على أبوابهم أصحاب الحاجات وتغنى بهم الشعراء . والظاهر أن علاقاتهم الجيدة مع الخاصة والعامة هي التي حدثت من انتقادات الجماهير لهم ولأعمالهم .

وهكذا ظلت أسرة البرامكة تدير أمور الدولة وتحتل المنزلة العظيمة لدى الرشيد لمدة سبعة عشر عاماً ، وإن تفاوتت هذه المنزلة في هذه المدة ، حتى حصل الانقلاب الخطير في سياسة الرشيد تجاههم، فأمر بقتل جعفر في صفر سنة ١٨٧هـ/فبراير ٨٠٣م وسجن يحيى والفضل ، وقبض على أموالهم وعقاراتهم وضياعهم بالعراق<sup>(١٤٥)</sup> . وعلى الرغم من أننا لا نعرف تفاصيل الوضع الذي أدى



إلى هذا الانقلاب ، لأن الرشيد نفسه تكتم فى إظهار ذلك ، فأفسح بذلك المجال أمام الرواة والمؤرخين ومن تعرض لتاريخ هذه الأسرة بأن يؤولوها تأويلات وصور مختلفة .

وقد اتهم البرامكة بأن لهم ميولاً علوية ، فهم يؤثرون مصلحة العلويين على مصلحة الرشيد . وهى تهمة عند العباسيين أشد من تهمة الزندقة التى أودت بحياة ابن وزير المهدي . ذلك أن هذه التهمة تشكل خطراً جسيماً على سلامة الدولة . وقد استغلت حادثة إطلاق جعفر البرمكى سراح الثائر يحيى بن عبد الله العلوى أسوأ استغلال من قبل أعداء البرامكة . وهناك عدد من الروايات التى تحاول إثبات انحياز البرامكة إلى العلويين وأنهم يفضلون أن يعتلى عرش الخلافة واحد منهم<sup>(١٤٦)</sup> وهى روايات يصعب على الباحث المدقق تصديقها ، لأن البرامكة لم يكونوا لينالوا تلك المنزلة الرفيعة التى حصلوا عليها فى عهد الرشيد لو تولى أحد العلويين عرش الخلافة .

ويمكن القول بأن موقف البرامكة المتميز بالمرونة والعطف تجاه العلويين كان يتماشى تماماً مع المناخ الفكرى والسياسى فى أواخر عهد الرشيد ، والذى كان يمثل حلقاات المتقفين ويشجعه البرامكة ، بعقدهم الندوات والاجتماعات لسماع الآراء والمناقشات الفكرية المختلفة . ذلك المناخ الذى تميز بالتسامح والمرونة تجاه العلويين<sup>(١٤٧)</sup> .

ونحن فى الحقيقة لسنا بصدد ذكر الأسباب التى أدت إلى نكبة البرامكة والتى لم يخل من ذكرها كتاب من كتب التاريخ .

وقد تولى أمور بلاط الرشيد - بعد نكبة البرامكة - الفضل بن الربيع ، الذى حاول قدر المستطاع أن ينال مركزاً أو حظوة مثل ما ناله البرامكة ، ولكن دون جدوى فهو لم يكن على مستوى البرامكة فى الكرم ، ولا فى نكائهم ، أو سعة نفوذهم ولا حسن تدبيرهم<sup>(١٤٨)</sup> . ولا شك فى أن القضاء على هذه الأسرة كان



خسارة على الدولة العباسية وخاصة من ناحية النظم الإدارية. فقد أورد المؤرخون روايات عديدة عن الفراغ الذى تركه البرامكة بعد القضاء عليهم .

وقد ندم الرشيد على إيقاعه بالبرامكة لما رآه من إهمال عماله وموظفيه الذين لم يستطيعوا سد ما تركه البرامكة من فراغ فى جميع مناحى الدولة وأثر عنه قوله ( لا آمن الله من أغرائى بقتل البرامكة ، ما رأيت رخاء بعدهم ، ولا وجدت لذة ولا راحة )<sup>(١٤٩)</sup> . وخاطب جماعة من خواصه بأنه لو وثق بصفاء نيتهم لأعادهم إلى مناصبهم وإلى مكانتهم التى كانوا عليها . وكان يقول ( حملونا على نصحاتنا وكفائتنا ، وأوهمونا أنهم يقومون مقامهم فلما صرنا إلى ما أرادوا منا لم يغتوا عنا شيئاً )<sup>(١٥٠)</sup> .

وقد شغل الفضل بن الربيع المكانة الأولى فى بلاط الرشيد بعد اختفاء البرامكة عن المسرح السياسى . وبعد موت الرشيد أصبح من أبرز شخصيات حزب الأمين فى الفتنة التى حدثت بينه وبين أخيه المأمون ، وعينه الأمين وزيراً له .

### وزارة الفضل بن سهل وأثرها فى تأسيس خلافة المأمون :

لم ينته دور البرامكة بنكبتهم وإنما تركوا فى الإدارة ربائبهم وصنائعهم وهم آل سهل ، وهى أسرة فارسية تنسب إلى بلدة سرخس فى خراسان<sup>(١٥١)</sup> . وكان سهل بن زادا نفروخ - أب هذه الأسرة - من أبناء ملوك فارس المجوس ، أسلم فى أيام الرشيد ، واتصل بيحىى البرمكى وعمل قهرماناً له ، وكان ذلك بداية اتصال آل سهل بالبرامكة<sup>(١٥٢)</sup> . ثم أحضر سهل ابنه الفضل والحسن وقدمهما للبرامكة وعرفهما بيحىى بن خالد ، الذى أعجب بالفضل ونكاته وطموحه وعمق فهمه ، خاصة عندما نقل له كتاباً من الفارسية التى كان يتقنها إلى العربية ، وطلب منه أن يعتنق الإسلام حتى يستطيع أن يدخله فى خدمته . فوافق الفضل وأسلم على يد المأمون سنة ١٩٠هـ / ٨٠٦م . ومن ذلك الوقت أصبح أبناء سهل ملازمين

للبرامكة يعملون فى خدمتهم ويأخذون عنهم أمور السياسة والإدارة ، حتى نكب البرامكة ، فلزم الفضل المأمون وعمل كاتباً ومستشاراً له<sup>(١٥٣)</sup> .

وقد اتصف الفضل بن سهل بالذكاء وشدة الطموح فاسترعاہ ائزان المأمون وتعقله ونجابهه فتوقع له الخلافة ، فلزمه من أجل ذلك فى حياة أبيه. وبعد وفاة الرشيد لعب دوراً سياسياً فى ضم الخلافة إليه ، لأنه كان يعلم تماماً بأنه لن يكون له شأن وأسرته وحزبه ، إذا آلت الخلافة إلى أخيه الأمين .

وأكبر دليل على شدة طموح الفضل وإصراره على ضم الخلافة إلى المأمون هو تحريضه للمأمون على الذهاب إلى خراسان فى معية والده الرشيد سنة ١٩٢هـ/٨٠٨م لمواجهة ثورة رافع بن الليث . محذراً إياه عن البقاء فى بغداد مع أخيه الأمين ، لأنه كان يعلم أن الرشيد مريض وقد يواتيه الأجل وهو فى طريقه إلى خراسان ، فيخلعه الأمين من ولاية العهد<sup>(١٥٤)</sup> . وقد أثبتت الأحداث بعد نظر الفضل بن سهل ؛ إذ لم يمض وقت طويل حتى توفى الرشيد فى الطريق ، ودفن فى مدينة طوس سنة ١٩٣هـ/٨٠٩م<sup>(١٥٥)</sup> ، وبدأت بوادر النزاع تظهر بين الأخوين الأمين والمأمون . وكان الرشيد قبل خروجه إلى خراسان قد استخلف على بغداد ابنه الأمين ، وجعل معه يحيى بن سليم يدبر أموره، فاصطحب معه إسماعيل بن صبيح ، وأيوب بن أبى سمير والفضل بن الربيع ، وجعل الفضل بن سهل على كتابة المأمون والقائم على أموره<sup>(١٥٦)</sup> . وبعد أن وصل الرشيد إلى طوس وقبل وفاته بثلاثة وعشرين يوماً أرسل ابنه المأمون إلى مرو ، ومعه قسم من الجند لمحاربة رافع بن الليث ، بينما بقى هو ووزيره الفضل بن الربيع وبقية الجيش والأموال فى طوس . وعندما أحس بدنو أجله أوصى أن يسير بقية الجيش إلى المأمون لمساعدته .

ولم ينفذ الفضل بن الربيع ولا قادة الجيش وصية الرشيد ، بل غادروا طوس إلى بغداد لاحقين بالخليفة الجديدة الأمين . وقد تذرع الفضل بحجة أنه لا يدع ملكاً حاضراً لآخر لا يدرى ما يكون من أمره<sup>(١٥٧)</sup> . فلما علم المأمون بذلك غضب

وجمع من معه من قواد أبيه وشاورهم فأشاروا عليه بقتالهم وردهم إليه . وخالفهم الفضل بن سهل ، وقال للمأمون : بعدم استخدام القوة وإرسال وفد إلى الفضل بن الربيع يذكره بالبيعة ويطلبه بالوفاء لوصية أبيه<sup>(١٥٨)</sup> .

وبذلك بدأ يظهر دور الفضل بن سهل على أنه المحرك الأساسي للفتنة التي وقعت بعد ذلك بين الأخوين الأمين والمأمون ، حتى أن بعض المؤرخين يرجعون جميع ما حدث من أحداث في تلك الفترة إلى الفضل ، ويغيّبون دور المأمون تمامًا<sup>(١٥٩)</sup> والحقيقة أن المأمون كان موقفًا بوجود الفضل بن سهل وأخيه الحسن في خدمته ، وهم الذين تدريبوا على يد البرامكة . وكما وقف يحيى البرمكي خلف الرشيد حينما أراد أخوه الهادي خلعه من ولاية العهد ، وقف الفضل بن سهل خلف المأمون وسانده وأزره في ساعات ضعفه حائلاً له على التمسك بحقه في ولايته مطمئناً له بقوله : ( فكيف بك وأنت نازل في أخوالك ، ويبيعتك في أعناقهم . اصبر وأنا أضمن لك الخلافة )<sup>(١٦٠)</sup> .

وقد عرف له المأمون فضله ومنحه سلطات واسعة لإدارة أموره المالية والحربية في هذه الفترة المبكرة والحرية من أمارته على خراسان ، فأقدم الفضل على خفض نسبة الضرائب في المنطقة إلى الربع مما كان له أكبر الأثر في ولاء الأهالي والتفافهم حول المأمون بقولهم : ( ابن اختنا وابن عم نبينا )<sup>(١٦١)</sup> . ونتيجة لهذه السياسة المالية المتسامحة ، وبما كان لآل سهل من صلات مميزة مع أمراء المنطقة ، استطاع الفضل أن يجند عدداً كبيراً من الجند الخراسانيين وأن يُبرز على الساحة قادة جدد من أبناء المنطقة ، أمثال طاهر بن الحسين ، الذي قاد قوات المأمون لمحاربة بغداد فيما بعد .

وتظهر الروايات المتعددة براعة الفضل ودهائه وحسن إدارته في تثبيت مركز المأمون أمام مكائد أخيه الأمين الذي عزم على خلعه . ففي سنة ١٩٥هـ/ ٨١٠م عندما خلع الأمين المأمون من ولاية العهد ونهى عن الدعاء له

على المنابر ، رد الفضل بن سهل على هذا الإجراء بأن أطلق على المأمون لقب « إمام » توطيداً لسلطته بإضفاء صفة دينية عليه .

وبعد ذلك حشد الفضل بن سهل الجيوش الكبيرة من أهالي خراسان الذين توافدوا من كل صوب وحلب ، وجعل على قيادتهم طاهر بن الحسين ، بعد حصوله على امتيازات عديدة ، وسارت الجيوش متجهة إلى الري<sup>(١٦٢)</sup> . ومن ناحيته أشرف الفضل بن الربيع على تجهيز وإعداد جيش الأمين ، وجعل على قيادته علياً بن عيسى بن ماهان - أحد أبرز رؤساء الأبناء - بعد أن عقد له على كور الجبل كلها نهاوند ، وهمذان ، وقم ، وأصفهان<sup>(١٦٣)</sup> . وقد بالغ الفضل بن الربيع في تجهيز الجيش بالعدة والسلاح ، وأعطى الجند مالا عظيماً ، كما أجزل العطاء لقائده على بن عيسى فأعطاه مائتي ألف دينار ، وأعطى ولده خمسين ألف دينار<sup>(١٦٤)</sup> .

وقد أثار تعيين على بن عيسى بن ماهان على قيادة الجيش الموجه لمحاربة المأمون الغضب الشديد في نفوس الخراسانيين ، لأنهم لم ينسوا ظلمه وسوء معاملته لهم عندما كان والياً على خراسان في عهد الرشيد ، فأصروا على محاربته والاستماتة في قتاله . وقيل إن للفضل بن سهل يداً في تعيين على بن عيسى بن ماهان إذ أوعز إلى أحد عيونه وجواسيسه في بغداد بأن يزين للفضل بن الربيع تعيين على بن عيسى على قيادة الجيش ، لأن هذا التعيين سوف يثير أهالي خراسان ضده لبغضهم وكرهم له<sup>(١٦٥)</sup> .

زحف على بن عيسى بجيشه البالغ أربعين ألفاً ، وقيل خمسين ألفاً من الأبناء والأعراب إلى الري ، حيث التقى بجيش طاهر<sup>(١٦٦)</sup> . وقد بدأ تفوق جيش الأمين واضطراب بعض ملوك خراسان في تلك الفترة مما أثار أمام المأمون موقفاً صعباً حتى أنه فكر جدياً في الهرب واللجوء إلى ملك الترك والتخلي عن الخلافة ، لولا مساندة الفضل بن سهل الذي أشار عليه أن يمنح بعض هؤلاء الملوك الاستقلال الذاتي ، وأن يتنازل لبعضهم عن الجزية ، وأن يتوود للبعض الآخر بالهدايا والتحف .

كما نصحه بالتريث فإن نجحت خططه مع الثائرين عليه من ملوك المنطقة وانتصرت قواته على قوات أخيه فذلك الذى يأمل وإلا فليلتجئ إلى ملك الترك<sup>(١٦٧)</sup>.

وكان لهذه النصائح وقعها فى قلب المأمون ، ونجحت خطط الفضل بن سهل، فهدأت ثائرة الملوك العجم ، وانتصرت قواته على قوات أخيه فى الرى انتصاراً ساحقاً ، وقتل على بن عيسى ، وتراجع جيشه إلى بغداد فى حالة سيئة ، فلما وصلت رسل طاهر إلى الفضل بن سهل تخبره بالنصر دخل على المأمون وسلم عليه بالخلافة ولقبه بأمير المؤمنين<sup>(١٦٨)</sup> .

وبعد مقتل على بن عيسى بن ماهان أرسل الأمين جيشاً آخر بقيادة عبد الرحمن بن جبلة الأنبارى يقدر بحوالى عشرين ألفاً من الأبناء<sup>(١٦٩)</sup> . كما أدرك المأمون المصاعب التى يواجهها طاهر فأرسل له فرقة قوية من جند العباسية بقيادة هرثمة بن أعين الذى كان أحد قواد الرشيد<sup>(١٧٠)</sup> . فتقابل الفريقان فى همدان واقتتلوا، ولم يزل يقاتل حتى قتل<sup>(١٧١)</sup> .

وعندما بلغ المأمون ، خبر هزيمة عبد الرحمن بن جبلة ومقتله ، رفع من منزلة الفضل بن سهل ، وجعله مسئولاً أمامه عن الإدارة المدنية والعسكرية لكل المنطقة الممتدة من همدان إلى التبت ، ومن الخليج إلى بحر الديلم ( بحر قزوين ) ، ولقبه « ذو الرئاستين » أى رئاسة الحرب ورئاسة التدبير ، وجعل عمالته ثلاثة ملايين درهم فى السنة . وكان ذلك فى رجب سنة ١٩٥هـ / ٨١٠م وهو التاريخ الذى أصبح فيه الفضل بن سهل وزيراً رسمياً للمأمون ، كما أطلق عليه لقب « الأمير » ، فى حين ولى أخاه الحسن بن سهل ديوان الخراج<sup>(١٧٢)</sup> .

ثم تابع الأمين بعد ذلك إرسال الجيوش لمنع طاهر بن الحسين من الزحف إلى بغداد فوجه أحمد بن يزيد بن مزيد الشيبانى فى عشرين ألف رجل من الأعراب ، وعبد الله بن حميد بن قحطبة فى عشرين آخرين من الأبناء<sup>(١٧٣)</sup> . ثم اتبع ذلك بمحاولة أخرى يائسة لإنقاذ جيشه من الهزائم المتتالية بأن عين عبد الملك

ابن صالح على الشام والجزيرة يستعين بجنودها ، ولكن هذه المحاولات ذهبت سدى ، ولم تواجه جيوش طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين - وهما في تقدمهما نحو العراق - مقاومة تذكر وحاصرا بغداد حصاراً شديداً وضيقاً على أهلها الذين قاوموا الحصار لعدة أشهر ، ومن بينهم الأبناء الذين كانوا يدافعون عن مدينتهم بضراوة لشعورهم بأنهم يخوضون معركتهم الأخيرة . وعندما شعر الفضل بن الربيع بضعف موقف الأمين هرب تاركاً خليفته يلقى مصيره وحده . وفى ذلك يقول المسعودى (واستتر الفضل لما تبين من اختلال أمر محمد ووهاء أمره فقام بوزارته من حضر من كتابه كإسماعيل بن صبيح) (١٧٤) .

ولكن يبدو أن طاهر وهرثمة لم يكونا متفاهمين حتى فى فترة الحصار الشديدة . فهرثمة كان يريد نوعاً من التفاهم مع أهالى بغداد المحاصرين ، بينما كان طاهر معارضاً هذه السياسة . والواقع أن الأمين عندما أحس بسوء التفاهم هذا حاول استغلاله لصالحه ، فأرسل إلى هرثمة بطلب الأمان ، فأجابه هرثمة إلى ذلك وأقسم له أن يقاتل دونه إن أراد المأمون التخلص منه بقتله . على أن الأمين لم ينجح فى الوصول إلى معسكر هرثمة ، إذ غرق قاربه فى النهر وقتل على يد جنود طاهر ، واجتزأ رأسه ، وأبلغ بذلك المأمون الذى أصبح خليفة دون منازع (١٧٥) .

وفى هذه الأثناء وجه المأمون ؛ بإيعاز من الفضل بن سهل ، الحسن بن سهل إلى بغداد لينوب عنه ، بعد أن عينه والياً على ما افتتحه طاهر من كور الجبال ، والعراق ، وفارس ، والأهواز ، وكذلك الحجاز واليمن . وبينما أبعد طاهر بن الحسين إلى الجزيرة الفراتية بحجة قمع ثورة نصر بن شيبث العقيلي ، كما أمر هرثمة بن أعين بالتوجه إلى خراسان (١٧٦) . وعمل فى الوقت نفسه على إبقاء المأمون فى مرو ، وقطع الأخبار عنه ، وعاقب من حاول إخباره بما يجرى فى بغداد ليصرف الأمور حسب سياسته المخطط لها (١٧٧) .

على أن تعيين الحسن بن سهل على العراق لقى معارضة شديدة من العراقيين عامة ، وأهل بغداد خاصة بما فيهم الأبناء ، الذين أدركوا أن تعيين

الحسن بن سهل واليا ونائبا عن المأمون في بغداد معناه القضاء على نفوذهم وسلطاتهم ، ومكانتهم ، التي ظلوا متمتعين بها لسنوات عديدة . كذلك أثار بقاء المأمون في مرو واتخاذها عاصمة له ووقوعه تحت تأثير الفضل بن سهل غضب الهاشميين في العراق من عباسيين وعلويين ، فعمت الفتن والاضطرابات في أغلب مناطق الدولة العباسية . وأدى موقف الأبناء العدائي وأهالي بغداد من الحسن بن سهل وجيشه إلى إرغامه على ترك بغداد وسحب قواته منها<sup>(١٧٨)</sup> . كما أدى غياب المأمون عن بغداد عاصمة آبائه وأجداده ، وعدم وجود سلطة قوية بها إلى قيام ثورات علوية بجوار الكوفة وفي مكة واليمن<sup>(١٧٩)</sup> .

ومن أجل إرضاء العلويين أغرى الفضل بن سهل ، المأمون بتولية أحد العلويين وليا للعهد من بعده ، فوق اختياره على بن موسى الكاظم ولقبه « بعلی الرضا » ، كما أمر الجند بأن يتركوا لبس السواد ويلبسوا الثياب الخضراء<sup>(١٨٠)</sup> . إلا أن هذه الخطوة الجريئة لم تقنع خصوم المأمون من العلويين ، وأدت في النهاية إلى ازدياد الاضطرابات في بغداد . وأخيرا تنبه المأمون لسياسة الفضل بن سهل كما تنبه من قبل والده الرشيد لسياسة البرامكة ، وأدرك أن ثورة أهالي بغداد ونقمة أهل بيته عليه ومبايعتهم لعمه إبراهيم بن المهدي ما هي إلا بسبب قبوله رأى الفضل بالبقاء في مرو ، والابتعاد عن مقر حكم العباسيين ببغداد ، وتعيين على الرضا وليا لعهد . فاتخذ أجراً خطوة في حياته ؛ إذ قرر الرحيل والانتقال إلى بغداد وأخذ على الرضا معه ، وكان ذلك سنة ٢٠٢هـ / ٨١٧م . وفي طريق العودة تخلص المأمون من وزيره الفضل بن سهل ، ومن ولي عهده على الرضا<sup>(١٨١)</sup> .

وصل المأمون إلى بغداد بعد سنتين من خروجه من مرو فوصلها عام ٢٠٤هـ / ٨١٩م . وبعد وصوله بمدة وجيزة تخلص من كل ما يشير إلى تحوله إلى المذهب الشيعي ، فرجع إلى لبس السواد شعار العباسيين وطرح عنه لباس الخضرة ، إلا أنه تمسك بلقب الإمام الذي ظل الخلفاء العباسيون اللاحقون يتمسكون به<sup>(١٨٢)</sup> .



وبعد أن تخلص المأمون من الفضل بن سهل استوزر أخاه الحسن بن سهل ولقبه بذي الكفايتين استرضاء لعائلة آل سهل ، وإيعاد شبيهة قتل الفضل عنه . وتزوج « بوران » ابنة « الحسن » في عرس حافل سنة ٢١٠هـ / ٨٢٥م<sup>(١٨٣)</sup> .

وقد أنفق الحسن على زواج ابنته من المأمون مبالغ عظيمة ، يذكر أنه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك في كل رقعة مكتوب فيها عطية ، دار أوضيعة ، أو جارية ، أو فرس ثم نثر على سائر الناس الدنانير والدرهم .

وفرش للمأمون حصيرًا منسوجًا بالذهب ، فلما وقف عليه نثرت على قدميه لآلئ كثيرة . كما نثرت جدة العروس على المأمون ألف درة كانت في صينية ذهب ، وأشعل بين يديه شمعة عنبر ، وزنها مائة رطل . وكان مبلغ ما أنفقه الحسن على هذا العرس خمسين مليون درهم<sup>(١٨٤)</sup> . إلا أن الحسن لم يلبث أن مرض بعلية تسمى « السوداء » سببها حزنه وجزعه على موت أخيه ، ولزم منزله<sup>(١٨٥)</sup> .

والواقع أن سياسة آل سهل مثلت انقلابًا على التقاليد العباسية وإدخال كل ما هو فارسي إلى البلاط العباسي . من ذلك أن الفضل بن سهل تشبه بوزراء الأكاسرة ، فكان يجلس على كرسي مجنح ، ويحمل فيه حتى تقع عين المأمون عليه ، فإذا وقعت يوضع الكرسي ، وينزل عنه فيمشي ويحمل الكرسي حتى يوضع بين يدي المأمون ، ثم يسلم الفضل ويعود فيقعد عليه<sup>(١٨٦)</sup> . كذلك تبع تعيين علي الرضا وليًا للعهد طرح لبس السواد رمز العباسيين ، ولبس الخضرة لون لباس كسرى والمجوس .

وبعد مرض الحسن بن سهل استخدم المأمون غيره من الوزراء ، من أهمهم أحمد بن أبي خالد أحد قادة الأبناء الذين قاوموا سياسة آل سهل في العراق ، مع إخلاصهم ووفائهم للمأمون<sup>(١٨٧)</sup> .

وقد ظل أحمد في خدمة المأمون حتى وفاته عام ٢١١هـ / ٨٢٦م ، ولكنه رفض أن يعين رسميًا في منصب وزير أو كاتب<sup>(١٨٨)</sup> . ويبدو أن تعيين المأمون



لهذا الرجل فى هذا المنصب الحساس كان له مغزاه السياسى ، وهو المصالحة والتفاهم مع طبقة الأبناء الذين كونوا شريحة مهمة فى طبقات المجتمع العراقى .

### أشهر وزراء نهاية العصر العباسى الأول :

استخدم المعتصم عدداً من الوزراء من بينهم الفضل بن مروان الذى كان نصرانياً من أهل البردان<sup>(١٨٩)</sup> ، إلا أنه وصف بأنه كان عامياً لا علم عنده ولا معرفة ، ردى السيرة جاهلاً بالأمور ، قليل المعرفة بالعلم حسن المعرفة بخدمة الملوك<sup>(١٩٠)</sup> . ويرجع السبب فى تعيين المعتصم له فى منصب الوزارة أنه كان كاتبه قبل توليه الخلافة ، وأنه قام بأمر البيعة له فى بغداد ، وضبط الأمور فيها حتى عاد المعتصم ، الذى كان يرافق المأمون فى غزوته الأخيرة لبلاد الروم التى توفى فيها. وعلى الرغم من صفة الجهل التى اتصف بها الفضل بن مروان إلا أنه تمكن من السيطرة على أمور الخلافة واحتل منزلة عظيمة لدى المعتصم ، ومنح سلطات وصلاحيات واسعة<sup>(١٩١)</sup> . ولكن المعتصم ما لبث أن عزله من منصبه فى رجب سنة ٢٢١هـ / يوليو ٨٣٦م بعدما تبين له جهله وتحكمه فى الإدارة وبيت المال . فأمر بحبسه وصادر أمواله ثم أعفاه ، فأخذ الفضل ينتقل فى البلاد مدة من الزمن حتى مات أيام المستعين سنة ٢٥٠هـ / ٨٦٤م<sup>(١٩٢)</sup> .

وبعد أن عزل المعتصم الفضل بن مروان استعان بالتجار فى إدارة شئون الدولة خاصة المالية منها ، وذلك لما لهم من قوة اقتصادية فعين محمد بن عبد الملك بن أبان الزيات أحد أغنى تجار بغداد وزيراً له<sup>(١٩٣)</sup> . وقد عرف بابن الزيات، لأن جده أبان كان يجلب الزيت من موطنه إلى بغداد ليتاجر فيه، وأصله من جيل<sup>(١٩٤)</sup> . وكان والده تاجراً موسراً فنشأ ابنه فى رغد من العيش فاتجه لدراسة العلوم والآداب ، ونال من ذلك حظاً عظيماً ساعده على القيام بأعباء الوزارة خير قيام طيلة عهد المعتصم وابنه الواثق .

ومن أعماله المالية أثناء وزارته إلغاء ضريبة العشر على السفن الواردة من وإلى موانئ الخليج<sup>(١٩٥)</sup> ، عبر المحيط الهندى من شرق أفريقيا ، وجنوب آسيا

وجنوبها الشرقى والشرق الأقصى . ويبدو أن هذا التدبير كان بالدرجة الأولى فى مصلحة الأغنياء والتجار أمثال ابن الزيات نفسه ، لأنه لم يؤد إلى خفض الأسعار ، ولم يستفد منه عامة الشعب والفقراء ، لأنها كانت تتاجر بالسلع الكمالية .

وبعد وفاة الواثق استوزره المتوكل ، واستمر ابن الزيات فى خدمة المتوكل أربعين يوماً ، نكبه بعدها وصادر أمواله وعذبه حتى مات فى سنة ٢٣٣هـ / ٨٤٧م ، بعد أن ظل فى منصب الوزارة اثنتى عشرة سنة (١٩٦) . ويعتد ابن الزيات - رغم عيوبه التى تميزت بالقسوة وعدم الرحمة وعدم محبة الناس له لقسوته فى جمع الضرائب - آخر وزراء العصر العباسى الأول الأفاضل ، العلماء ، وكان الوزير الوحيد الذى وزر وزارة واحدة لم يقطعها صوف أو عزل لثلاثة خلفاء متتابعين (١٩٧) .

\* \* \*

وهكذا نرى من خلال هذه الدراسة الدور الهام الذى لعبه وزراء هذا العصر على مسرح الأحداث فى الفترة الممتدة من سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م إلى سنة ٢٣٢هـ / ٨٤٧م . وخير دليل على ذلك الدور الذى لعبه أئبرامكة ووزراء أنرشيد ، حتى ارتفع شأنهم وتولوا مناصب الدولة وعلا سلطانهم فلم يعد يحتملهم الخليفة ، مما حدا به إلى نكبتهم فى النهاية .

كذلك الدور الذى لعبه بنو سهل فى التأثير على المأمون حتى استطاعوا أن يحققوا آمال الشعوبيين والشيعة بتحويل الخلافة إلى آل على رضى الله عنه ، وكيف أدنى ذلك إلى بيعه على الرضا بولاية العهد، وانتهاء الأمر بمقتل الفضل بن سهل وعلى الرضا .

كل هذا يبرز أهمية الدور الذى لعبه وزراء العصر العباسى فى سياسة بنى العباس ، وأثر ذلك كله على المجتمع الإسلامى .

## الهوامش

- (١) ابن طباطبا ، فخر الدين بن محمد بن علي ، الفخرى فى الآداب السلطانية ، بيروت ، دار بيروت ١٣٨٥هـ ، ص ١٥٣ .
- (٢) المسعودى ، التنبيه والإشراف ، بيروت ، دار ومكتبة الهلال ، ١٩٨١ ، ص ٣١٠ .
- (٣) الكروى ، نظام الوزارة ، ص ٢٤ .
- (٤) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت ، ص ٢٥ - ٣٣ .
- (٥) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٥٣ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، حققه إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، د. ت ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .
- (٦) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٥٤ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .
- (٧) كان أبو سلمة صهراً لبيبكر بن ماهان ، فهو زوج ابنته ، البلاذرى ، أنساب الأشراف ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج ٤ ، ص ١٦٠ .
- (٨) مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، تحقيق عبد العزيز الدورى ، بيروت ، دار الطليعة ١٩٧١ ، ص ٢٤٥ .
- (٩) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ، ص ١٦٠ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٥٤ .
- (١٠) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، دار سويدان ، د. ت ، ج ٧ ، ص ٣٢٩ .
- (١١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٤٠٠ ، مؤلف

- مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ . البلاذرى ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ، ص ١٨٣ ، الطبرى ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٤١٧ .
- (١٢) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ٤٠٠ ، مؤلف مجهول ، تاريخ الدولة العباسية ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ ، البلاذرى ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ، ص ١٨٣ ، الطبرى تاريخ ، ج ٧ ، ص ٤١٨ .
- (١٣) الطبرى ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .
- (١٤) مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ٣٧٦ .
- (١٥) أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى ، كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مطبعة مصطفى البانى الحلبى ، د. ت ، ص ٨٤ .
- (١٦) الطبرى ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٤٢٣ - ٤٣٠ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٨٥ .
- (١٧) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، بيروت ، دار صادر ، د. ت ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ .
- (١٨) المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الخامسة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ج ٣ ، ص ٢٦٨ .
- (١٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٨٦ .
- (٢٠) الطبرى ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٤٢٤ - ٤٣٠ ، مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ٤٠٤ .
- (٢١) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ، ص ١٨٤ .
- (٢٢) محمد أحمد برانق ، الوزراء العباسيون ، القاهرة ، المطبعة النموذجية ، ج ١ ، ص ٨٢ .
- (٢٣) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ، ص ١٨٥ ، اليعقوبى ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ .

- (٢٤) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٨٧ .
- (٢٥) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٨٥ - ٨٦ .
- (٢٦) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ، ص ١٨١ .
- (٢٧) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٨٧ - ٨٩ .
- (٢٨) صالح أحمد العلى ، معالم بغداد الإدارية والعمرانية ، ط ١ ، بغداد ، دار  
الشنون الثقافية العامة ، ١٩٨٨ ، ص ١٢٩ .
- (٢٩) ابن قتيبة الدينورى ، الإمامة والسياسة ، تحقيق طه محمد الزينى ، بيروت ،  
دار المعرفة ، د. ت ، ج ٢ ، ص ١٢٠ ، أو حنيفة الدينورى ، الأخبار  
الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، بغداد ، مكتبة المثنى ، د. ت ،  
ص ٣٧٠ .
- (٣٠) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٩٠ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٥٥ .
- (٣١) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٨٤ .
- (٣٢) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٨٤ ، ابن طباطبا ، الفخرى ،  
ص ١٥٤ .
- (٣٣) الطبرى ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٤٧١ ، الوزراء ، ص ١٣٦ ، ابن طباطبا ،  
الفخرى ، ص ١٥٦ .
- (٣٤) اليعقوبى ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٦١ .
- (٣٥) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ ، الجهشيارى ، الوزراء ،  
ص ١٣٦ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٥٦ ، ينكر المسعودى بأن  
المنصور استوزر ابن عطية الباهلى ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ .
- (٣٦) المسعودى ، التتبيه والأشراف ، ص ٣١٠ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،  
ج ٦ ، ص ٢١٩ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٥٦ .
- (٣٧) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٨٧ .
- (٣٨) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٩٥ .

- (٣٩) حسن أحمد محمود ، وآخرون ، العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ط٥ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، د. ت ، ص ١٠٥ .
- (٤٠) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٨٩ .
- (٤١) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٥٠ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٥٧ .
- (٤٢) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٩٣ .
- (٤٣) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٥١ .
- (٤٤) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٧٤ .
- (٤٥) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٩٧ .
- (٤٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٢٧٦ .
- (٤٧) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ، ص ٣٢٥ .
- (٤٨) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٨٩ ، المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ .
- (٤٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٩٧ .
- (٥٠) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٩٧ .
- (٥١) س. د. جواتياين ، دراسات فى التاريخ والنظم الإسلامية ، تعريب د. عطية القوصى ، الكويت ، وكالة المطبوعات ١٩٨٠ ، ص ٨٩ - ٩٠ .
- (٥٢) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٢٤ .
- (٥٣) س. د. جواتياين ، دراسات فى التاريخ والنظم الإسلامية ، ص ٩٠ .
- (٥٤) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٩٧ ، ١٠٠ ، ١١٥ ، ١١٨ .
- (٥٥) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ، ص ٣٤٦ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٩٧ ، ١١٧ .
- (٥٦) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٠٧ ، ١١٢ ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ط ٢ ، بيروت دار الكتاب العربى ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ ، ٣٦٧ .

- (٥٧) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١١٧ .
- (٥٨) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١١٨ .
- (٥٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١١٨ .
- (٦٠) البلائرى ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ ، ص ٣٢٦ .
- (٦١) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٢٤ .
- (٦٢) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٥٨ ، المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٣٢٢ .
- (٦٣) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٣٢٢ .
- (٦٤) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٢٦ .
- (٦٥) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٨٢ .
- (٦٦) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٢٧ .
- (٦٧) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .
- (٦٨) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٤١ .
- (٦٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٥٨ .
- (٧٠) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .
- (٧١) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٨٢ .
- (٧٢) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٨٢ .
- (٧٣) السيق : السقى بدون كلفة ولا مشقة من ماء السماء . والسيق الماء الجارى  
انظر ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت ، دار بيروت ، د. ت ، جـ ٢ ، ص ٤٩٢ .
- (٧٤) الماوردى ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، دار الكتب  
العلمية ، د. ت ، ص ١٨٩ ، ضيف الله يحيى الزهرانى ، موارد بيت المال  
- فى الدولة العباسية ، ط ١ ، مكة ، الفيصلية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، الكتاب  
الأول ، ص ٢٤٧ .

(٧٥) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ١٨٩ - ١٩٠ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٨٢ .

(٧٦) قدامه بن جعفر ، كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، فرانكفورت ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص ٢٠١ ، ضيف الله الزهرانى ، موارد بيت المال ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٧٧) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ، ضيف الله الزهرانى ، موارد بيت المال ، ص ٢٤١ .

(٧٨) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٤٥ .

(٧٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٨٠) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٨٣ .

(٨١) الجهشيارى ، ص ١٥٦ .

(٨٢) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٢٢ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٨٤ .

(٨٣) الطبرى ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ١١٧ ، المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٢٢ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٥٥ .

(٨٤) الطبرى ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٥٥ .

(٨٥) الطبرى ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ١٥٥ .

(٨٦) الطبرى ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ١١٧ .

(٨٧) الطبرى ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ١٥٥ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٥٥ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٨٤ .

(٨٨) الطبرى ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ١١٩ ، ١٥٦ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٥٥ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٨٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٢ .



(٨٩) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ١١٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٥٢ .

(٩٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ١٣٦ .

(٩١) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ١٥٦ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٥٦ ،

١٥٨ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٨٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ،  
ص ٦٦ .

(٩٢) فاروق عمر ، العباسيون الأوائل ، ط ٢ ، بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٧ ،  
ص ١٥٦ .

(٩٣) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ١٥٦ .

(٩٤) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ١٥٧ ، ١٥٩ ، الجهشيارى ، الوزراء ،  
ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٩٥) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ١٦٠ ، ١٦٢ ، الجهشيارى ، الوزراء ،  
ص ١٦١ .

(٩٦) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ١٥٧ ، ١٦٠ ، الجهشيارى ، الوزراء ،  
ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٩٧) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٥٨ .

(٩٨) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٣٠٨ ، أحمد مختار العبادى ،  
فى التاريخ العباسى والفاطمى ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ ،  
ص ٨٢ .

(٩٩) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٥٦ .

(١٠٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ١٨٦ .

(١٠١) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٠٨ ، ابن طباطبا الفخرى ، ص ١٩٨ .

(١٠٢) س. د. جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ٩٧ .

(١٠٣) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٣٣ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٧٧ .

- (١٠٤) الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٣٥ ، ٢٦٥ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٧٩ ، ٢٠٧ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ٢٠٥ .
- (١٠٥) الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٣٥ .
- (١٠٦) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٧٨ .
- (١٠٧) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٩٨ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ط ٣ ، مكة ، المكتبة التجارية ، ١٤١٤ - ١٩٩٤ ، ج ١ ، ص ١٩ .
- (١٠٨) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ٢٠٥ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .
- (١٠٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٨٩ ، صالح أحمد العلى ، معالم بغداد الإدارية والعمرانية ، ص ٣٧ - ٣٨ .
- (١١٠) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٩ ، ٢١١ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ١٩٨ .
- (١١١) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ١ ، ص ١٩ .
- (١١٢) فاروق عمر ، الجنود التاريخية للوزارة العباسية ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ١١٢ .
- (١١٣) الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٤١ .
- (١١٤) اليعقوبى ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ ، الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٩٠ .
- (١١٥) اليعقوبى ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٠٧ ، الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٩٦ .
- (١١٦) يذكر الطبري أن عدد الجند بلغ ٥٠٠,٠٠٠ خمسمائة ألف جندى وهو بلا شك عدد مبالغ فيه ، تاريخ ، ج ٨ ، ص ٢٥٧ .
- (١١٧) الأبناء هم أحفاد الخراسانيين الذين أتوا مع الجيش القادم من خراسان عند قيام الدولة العباسية .

- (١١٨) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .
- (١١٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٩٤ .
- (١٢٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٥٢ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٩٠ .
- (١٢١) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٦٦ .
- (١٢٢) اليعقوبى ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤١٠ ، الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٦٢-٢٦٣ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٠٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٠٣ .
- (١٢٣) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٦٣ ، ٢٦٥ .
- (١٢٤) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٠٤ .
- (١٢٥) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢١١ ، عبد العزيز الدورى ، العصر العباسى الأول ... ط ٣ ، بيروت دار الطليعة ، ص ١٢٧ .
- (١٢٦) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٢٥ ، عبد العزيز الدورى ، العصر العباسى الأول ، ص ١٢٦ .
- (١٢٧) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٣٢٩ .
- (١٢٨) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٠٤ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٣٢٩ .
- (١٢٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٨١ ، ٢٨٨ .
- (١٣٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٣٦ .
- (١٣١) اليعقوبى ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤١٥ ، الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٧٢ .
- (١٣٢) اليعقوبى ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤١٢ - ٤١٣ .
- (١٣٣) الأزدي ، تاريخ الموصل ، تحقيق على حبيبه ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ص ٢٨٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٠٣ .

M. A. Shaban, Islamic history, Cambridge Univ. Press (١٣٤)  
1976, Vol. II, p. 33-34.

- (١٣٥) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٥٦ .  
(١٣٦) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤١١ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ،  
ص ٩٦ ، ١٠٣ .  
(١٣٧) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤١١ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ،  
ص ٩٥ ، ١٠٤ .  
(١٣٨) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٠٤ .  
(١٣٩) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ١٩١ .  
(١٤٠) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٣٧ ، البلاذري ، فتوح البلدان ،  
ص ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٦٣ .

M. A. Shaban, Islamic history, Vol. II, p. 36.

- (١٤١) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٢٩١ ، ابن خلكان ، وفیات الأعيان ،  
جـ ١ ، ص ٣٤٤ ، الدميري ، كمال الدين ، حياة الحيوان ، بيروت ، دار  
الفكر ، د. ت ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ .  
(١٤٢) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٤١ .  
(١٤٣) فاروق عمر ، الجذور التاريخية للوزراء ، ص ١٢١ .  
(١٤٤) توفيق سلطان اليوزبكي ، الوزارة نشأتها وتطورها فى الدولة العباسية ،  
بغداد ، مطبعة الإرشاد ، ١٣٧٠/١٩٧٠ ، ص ٧٦ .  
(١٤٥) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٢١ ، الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ،  
ص ٢٧٨ ، المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٣٧٧ ، الجهشيارى ،  
الوزراء ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ٢١٠ .  
(١٤٦) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٤٣ .

(١٤٧) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٣٧٧ ، فاروق عمر ، بحوث فى التاريخ العباسى ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٧٧ ، الطبعة الأولى ، ص ١٣٠-١٣٢ .

(١٤٨) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٣٧ .  
(١٤٩) الأربلى ( عبد الرحمن سنبط قنتو ) خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، القاهرة ، ١٨٨٥ ، ص ١٠٧ .  
(١٥٠) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٥٨ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص ٢٢٨ .

(١٥١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ١٢٠ ، جـ ٤ ، ص ٤١ .  
(١٥٢) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٩ - ٣٠ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ٢٢١ .  
(١٥٣) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٣١ .  
(١٥٤) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٣٨ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٦٦ .  
(١٥٥) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٤٤ .  
(١٥٦) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٦٦ .  
(١٥٧) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٧٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٣٥ .

(١٥٨) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٧١ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(١٥٩) د. عبد المنعم ماجد ، العصر العباسى الأول ، ط ٣ ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٤ ، جـ ١ ، ص ٢٩٤ .

(١٦٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٧٢ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٧٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٣٦ .

(١٦١) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٧٢ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٢٧٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٣٧ .

(١٦٢) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٨٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٤١ .

(١٦٣) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٨٩ .

(١٦٤) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٩٠ .

(١٦٥) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٩٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٤٣ .

(١٦٦) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٩١ ، ٤١١ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٤٣ ، ابن الوردي ، زين العابدين بن مظفر ، تاريخ ابن الوردي ،

ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج١ ، ص ٢٠١ .

(١٦٧) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٤٠٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٤٠ .

(١٦٨) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٩٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٤٥ ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج١ ، ص ٢٠٢ .

(١٦٩) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٤١٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٤٦ .

(١٧٠) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٩٤ .

(١٧١) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٤١٤ .

(١٧٢) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٤٢٤ ، الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٥٠ .

(١٧٣) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٤٢٣ .

(١٧٤) المسعودي ، التتبيه والإشراف ، ص ٣١٨ ، الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٤٣٢ .

(١٧٥) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٤٨٠ ، ٤٨٨ ، المسعودي ، التتبيه والإشراف ، ص ٣١٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٦٣ ، ١٦٥ .

- (١٧٦) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٧٢ .
- (١٧٧) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ٢١٨ .
- (١٧٨) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٥٤٣ - ٥٤٤ ، المسعودى ، التنبيه والإشراف ، ص ٣١٨ .
- (١٧٩) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٥٢٨ ، ٥٤٠ .
- (١٨٠) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٥٥٤ .
- (١٨١) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٥٦٥ ، ٥٦٨ ، المسعودى ، التنبيه والإشراف ، ص ٣١٩ .
- (١٨٢) ابن طيفور ، أبى الفضل أحمد بن طاهر ، بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية ، بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٣٨٨ - ١٩٦٨ ، ص ٢ ، الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٥٧٥ .
- (١٨٣) ابن طيفور ، بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية ، ص ١١٣ ، ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ٢٢٢ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٢٨٧ .
- (١٨٤) ابن طيفور ، بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية ، ص ١١٤ - ١١٥ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٢٨٧ - ٢٨٩ ، الذهبى ، العبر فى خبر من غبر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، جـ ١ ، ص ٢٨١ .
- (١٨٥) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ٢٢٣ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ١٢٣ .
- (١٨٦) الجهشيارى ، الوزراء ، ص ٣١٦ .
- (١٨٧) ترجع أصول عائلة أبى خالد إلى مرو الروذ ، الطبرى ، تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٥٣٠ .
- (١٨٨) ابن طيفور ، بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية ، ص ١١٨ - ١١٩ .
- (١٨٩) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٤٥ .

(١٩٠) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ٢٣٢ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٤٥ .

(١٩١) الطبرى ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٢٠ - ٢١ .

(١٩٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .

(١٩٣) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٩ ، ص ٢٠ ، ١٦٠ - ١٦١ .

(١٩٤) جيل قرية جنوبى بغداد ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٢٠٢ .

(١٩٥) اليعقوبى ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٨٣ ، الطبرى ، تاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٥٠ .

(١٩٦) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٩ ، ص ٢٠ ، ١٥٨ - ١٥٩ .

(١٩٧) الطبرى ، تاريخ ، جـ ٩ ، ص ٢٠ .



# القبالات فى المغرب والأندلس

القرن ( ٣ - ٦ هـ / ٩ - ١٢ م )

## أصولها التشريعية وتداعياتها التاريخية

د / صلاح أحمد عبد خليفة (\*)

### التعريف بالقبالات :

الْقَبَالَة بالفتح كلمة عربية بمعنى الكفالة أو الضمان والإلتزام<sup>(١)</sup> وهى مصدر وإسم للفعل قَبَلَ أى كَفَلَ وضمّن فيقال قَبِلَ تَقَبَّلَ قَبَالَة أو تَقَبَّلَ العامل تَقْبِيلاً أو قَبَالَة<sup>(٢)</sup>، وجمعها قَبَالَات<sup>(٣)</sup>، وإسم المشتغل بالقبالات مُتَقَبِّل وهو من التزم ضمان أو كفالة عملاً أو ديناً وغير ذلك<sup>(٤)</sup>.

وقال الزمخشري " كل من تقبل بشئ وكتب عليه بذلك فالكاتب الذى يكتب الْقَبَالَة بالفتح والعمل قِبَالَة بالكسر لأنه صناعته<sup>(٥)</sup> .

ولم يأتنا فى المعاجم العربية سوى ذلك عن هذه الكلمة ومعناها ، إلا أن الكلمة كانت شائعة الاستعمال لدى المؤلفين العرب من الفقهاء والمؤرخين باشتقاقاتها المختلفة ، فاستعملت للدلالة على نظام التقبيل ، فقول " قبالة صحيحة بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار أو قبالة مبنولة بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار<sup>(٦)</sup> " .

كما أطلقت على قيمة القبالة من النقود سواء كانت ذهباً أو فضة فيقال " لا يبرئ المتقبل فلان من شئ القبالة المذكورة حلول نجم..<sup>(٧)</sup> أو أن المتقبل فلان " دفع القبالة متطوع<sup>(٨)</sup> « أو تدفع كل شهر أو كل عام عند انقضائه<sup>(٩)</sup> . " وإن توالى الأمطار ومنعته الزراعة فيوضع عنه من القبالة ما يقع من الشهور<sup>(١٠)</sup> وهكذا .

كما جاء فى المصادر من اشتقاقات الكلمة غير المتقبَّل كلمة المتقبَّل<sup>(١١)</sup> أى الطرف الثانى فى القبالة وهو الشخص المالك للعين المراد تقبيله .

(\*) كلية الآداب - جامعة المنيا.

أما عن معانى الكلمة غير الكفالة والضمان والإلتزام فقد جاءت كثيراً بمعنى الكراء فيقال " تقبيل فلان ... قبالة " وإن شئت قلت اكثرى فلان .. كراء وكتب ذلك كثيراً فى العقود والوثائق الخاصة بالقبالات فى المغرب والأندلس بالنسبة للأراضى والدور والحمامات والحوانيت وغيرها<sup>(١٢)</sup> .

وعندما بدأ فى تقبيل الضرائب الغير مشروعة صارت الكلمة تُطلق بدل كلمة ضريبة فبدلاً من أن يقال مثلاً ضريبة اللهو ( قيل « قبالة اللهو » أى أن القبالة صارت مرادفة للضريبة )<sup>(١٣)</sup> .

وبمرور الوقت ومع الاستغراق فى استعمال نظام التقبيل استعملت كلمة القبالة للدلالة على كل الضرائب غير المشروعة . وفى هذه الحالة كانت تأتى دائماً فى صيغة الجمع فيقال مثلاً " أسقط القبالات " <sup>(١٤)</sup> " هذه القبالات التى فيها الجور على المسلمين " <sup>(١٥)</sup> . " وقبالات ما تؤدى على كل ما يباع فى الأسواق " <sup>(١٦)</sup> ، وشرط عليه أن « يقطع ( ١٧ ) القبالات » وهكذا. ويبدو أن استعمال حكومات دول المغرب أهل الذمة فى جباية هذه القبالات دفعت دوزى<sup>(١٨)</sup> لاستخراج معنى آخر للقبالة وهو العهد أو الصلح أو الذمة فجعل ( أهل القبالة ) ترادف ( أهل الذمة ) .

ويجب أن نشير أخيراً إلى أن البعض حاول إرجاع الكلمة واستعمالها إلى أصول غير العربية مثل الأنجلوسكسونية التى أخذتها عن اللاتينية القديمة أو الإيطالية أو الأسبانية القديمة « ولكن دوزى وزميله دحضا كل تلك المحاولات مدخلين الكلمة فى قاموسيهما عن الكلمات الأسبانية والبرتغالية ذات الأصل العربى<sup>(١٩)</sup> .

### الأصول التشريعية للقبالات :

يشير البعض إلى أن نظام القبالات نظام قديم عملت به شعوب العالم القديم من قرطاجنيين ويونانيين ورومان<sup>(٢٠)</sup> .

وكانت هذه الأمم كثيراً ما ضمنّت الخراج وفرس<sup>(٢١)</sup> لمجموعة من الأهالى أو بعض أفراد المجتمع ذوى الجاه واليسار والغنى والثروة ، أو حتى للجباة

العاملين فى الحكومة ، وكان هؤلاء يعجلون الأموال لخزينة الدولة ثم يجمعونها بعد ذلك بما يتيسر لهم من وسائل بدون تدخل الحكومة<sup>(٢٢)</sup> .

وتدل مواقف الرسول ﷺ أزاء هذا النظام على وجوده عند العرب ومن التعاملات الفردية بين أفراد المجتمع العربى قبل الإسلام وخاصة فى الأراضى الزراعية .

فقد ورد عنه ﷺ قال « إياكم والقبالات فإنها صغار وفضلها ربا »<sup>(٢٣)</sup> وروى عنه ﷺ أنه نهى عن القبالات فجاء على لسان نافع بن خديج قوله « نهانا الرسول ﷺ عن أمر كان لنا نافعا وأمر رسول الله ﷺ على الرأس والعين ، نهانا أن نتقبل الأرض ببعض خرجها »<sup>(٢٤)</sup> أى ما يفهم منه أن الرسول ﷺ نهى عن القبالات وكره التعامل بها للصحابه .

وربما من يقرأ ما ورد عن بعض الصحابة فى هذا الأمر يتأكد من ذلك أى نهى الرسول عن القبالات .. إذ ورد عن عبد الله بن عباس قوله « القبالات حرام »<sup>(٢٥)</sup> وعن عبد الله بن عمر قوله « القبالات ربا »<sup>(٢٦)</sup> . ولكن لو أمعنا النظر فى أحاديث رسول الله وما روى عنه وكذلك أقوال الصحابة ثم ربطناها بمناسبات التى قيلت فيها لعرفنا وجه الحقيقة فى القبالات ، ولوجدنا أن الرسول ﷺ وصحابته لم يقصدوا القبالات عامة وإنما حرم الرسول ﷺ ونهى صحابته عن القبالات الفاسدة لما فيها من الضرر لطرفى القبالة ، وتأسى به صحابته والتابعين فى هذا الأمر ، مما ساعد على ارساء الأصول التشريعية لنظام القبالات فى الإسلام .

فالرسول عندما نهى عن القبالات لم يكن يقصد إلا القبالات الفاسدة التى شاعت بين الناس فى الجاهلية وفى زمانه ﷺ حيث ظلم فيها المتقبلون لأن أرباب الأراضى كانوا يشترطون الشروط الفاسدة ويتخيرون من الأرض المكترية أو المقبلة أحسنها تكون خالصة لهم عندما ينضج المحصول ويستثثون من الأرض أماكن يظنون أنها أكثر إفادة من باقى الأرض فعندما سأل الرسول ﷺ الصحابة ما

كانوا يفعلون بمحاقلهم قال أحدهم وهو رافع بن خديج « نؤاجرها على الربيع<sup>(٢٧)</sup> وعلى الأوسق من التمر والشعير قال ﷺ لا تفعلوا ، أزرعوها أو إزرعوها أو أمسكوها » قال رافع سمعاً وطاعة<sup>(٢٨)</sup> وروى عن نافع أيضاً قال « حدثني عمي أنهم كانوا يكرون الأرض على عهد النبي ﷺ بما ينبت على الأربعاء أو شيء يستثيه صاحب الأرض فنهى النبي ﷺ عن ذلك<sup>(٢٩)</sup> ويفسر الاستثناء من الأرض حديث آخر روى عن رافع بن خديج أيضاً قال « كنا أكثر الأنصار حقلاً فكنا نكرى الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه فربما خرجت هذه ولم تخرج هذه فنهانا عن ذلك أي الرسول ﷺ<sup>(٣٠)</sup> وفي لفظ آخر لهذه الرواية التي تفصل الاستثناء في الكراء والقبالة » كنا أكثر أهل الأرض مزدرعاً كنا نكرى الأرض بالناحية منها تسمى لسيد الأرض قال : فربما يصاب ذلك وتسلم الأرض وربما تصاب الأرض ويسلم ذلك فنهينا<sup>(٣١)</sup> ، أي من جانب الرسول ﷺ ولم يكن الاستثناء فقط في الأرض البيضاء وإنما كان ذلك في المزارع وكرائها فيروى « أن الناس كانوا يؤاجرون المزارع على عهد الرسول ﷺ على المآذيات<sup>(٣٢)</sup> وإقبال الجداول<sup>(٣٣)</sup> وأشياء من الزرع فيهلك هذا ويسلم هذا أو يسلم هذا ويهلك هذا ولم يكن للناس كرى إلا هذا فلذلك زجر عنه<sup>(٣٤)</sup> أي زجرهم الرسول عن هذه المؤاجرات .

وفي رواية أخرى « أن الناس كانوا يكرون المزارع في زمان النبي ﷺ بالمآذيات وما يسقى الربيع وشيء من التبن فكره الرسول ﷺ كرى المزارع بهذا ونهى عنه<sup>(٣٥)</sup> .

والمأمل لما نهى عنه الرسول ﷺ من القبالات والأكرية يرى أنها لصالح الطرفين ، إذ هي قبالات فاسدة والأرض فيها تقبلت أو المزارع كريت على شيء مجهول لا يعلم له رأس ولا ننب كما يقولون وهو على هذا الحال يفضى إلى الغور والجهالة . وفي النهاية يؤدي إلى النزاع والتخاصم والشجار بين الطرفين كما جاء في حديث سعد بن أبي وقاص الذي قال « إن أصحاب المزارع في زمن الرسول

ﷺ كانوا يكرون مزارعهم بما يكون على السواقي وما سعد الماء مما حول النبت ، ف جاءوا رسول الله ﷺ فاختصموا في بعض ذلك فنهاهم أن يكرؤا بذلك<sup>(٣٦)</sup> .

أما ما فيه خير للمسلمين فأقره الرسول ﷺ في الأكرية والقبالات ، فقد أقر ﷺ كراء الأرض وقبالتها بالشئ المضمون كالذهب والفضة فقد جاء في حديث سعد ابن أبى وقاص أن النبى ﷺ عندما نهى المتخاصمين عن الكراء بالإستثناء قال لهم « أكرؤا بالذهب والفضة »<sup>(٣٧)</sup> ورافع بن خديج الذى روى معظم الأحاديث الواردة بشأن قبالة الأرض فى عهد الرسول قال بعدما ذكر نهى رسول الله ﷺ عن القبالات الفاسدة « أما الشئ المعلوم المضمون فلا بأس به »<sup>(٣٨)</sup> ، وعندما سئل رافع ابن خديج بعدما أخبر عن نهى رسول ﷺ عن قبالة الاستثناء فكيف هى بالدينار والدرهم ؟ قال : ليس بها بأس بالدرهم والدينار<sup>(٣٩)</sup> وقد علق صاحب الفتح<sup>(٤٠)</sup> أن نافع قال ذلك ربما باجتهاده أو بالتصحيح ، على جوازه أو علم أن النهى عن كراء الأرض وقبالتها ليس على إطلاقه بل إذا كان بالشئ مجهول ونحو ذلك فاستبسط جواز كراء الأرض بالذهب والفضة ، وينقل - أى صاحب الفتح -<sup>(٤١)</sup> أن الصحابة أجمعوا على جواز كراء الأرض بالذهب والفضة واتفق فقهاء الأمصار عليه .

ومما سبق يفهم أن الصحابة اتضحت لديهم الصورة الصحيحة التى يجب أن تكون عليها القبالات فى الأرض ، فلا بد أن تكون الأرض المتقبلة من الأرض البيضاء التى لا زرع فيها ولا أشجار مثمره ، لأن مثل تلك الأشياء تدخل تحت أنظمة إسلامية أخرى فى المعاملات مثل المزارعة والمساقاه ، كما يجب أن تتقبل الأرض بشئ معلوم مضمون ، لا بشئ مجهول أو بشئ مما تخرجه الأرض المتقبلة<sup>(٤٢ - ٤٤)</sup> .

ويروى عن ابن عباس قال : « إن أفضل ما أنتم صانعون أن تستأجروا الأرض البيضاء من السنة إلى السنة ( ٤٥ - ٤٦ ) » .

وعبد الله بن عباس نفسه جاءه رجل فقال له أتقبل منك الأبله<sup>(٤٧)</sup> بمائة ألف ، فضربه ابن عباس مائة وصلبه حيا<sup>(٤٨)</sup> . فابن عباس - الذى عرفنا سلفا - أنه قال

« القبالات حرام » لم يكن إذا يقصد كل القبالات بل قال بكراء الأرض من السنة إلى السنة ويعاقب رجلاً عقاباً شديداً أراد أن يتقبل منه ضيعته على نهر الأبله بمائة ألف دينار لأنه طلب منه قبالة فاسدة شرحها لنا أبو عبيد في كتابه الأموال<sup>(٥١)</sup> قائلًا « معنى هذه القبالة المنهى عنها أن يتقبل الرجل النخل والشجر والزرع النابت قبل أن يستحصد ويدرك وهو مفسر في حديث روى عن سعيد بن جبير عن الرجل يأتي القرية فيتقبلها وفيها النخل والشجر والزرع والعلوج فقال « لا يتقبلها فإنه لا خير فيها » قال أبو عبيد<sup>(٥٠)</sup> . إنما أصل كراهة هذا أنه بيع ثمر لم يبد صلاحه ولم يخلق بشئ معلوم وقد علق ابن قيم<sup>(٥١)</sup> على ذلك بقوله « وهذا الذي ذهب إليه أبو عبيد هو المعروف عند الأئمة الأربعة وجعلوا كراء الشجر بمنزلة بيع الثمر قبل أن يبدو صلاحه .

ومع أن الأصل في إجازة الشجر بالدرهم والدينار لا يدخلها ربا ، كما يقول ابن القيم<sup>(٥٢)</sup> فإن الفقهاء الأربعة منعوها ليس من أجل موضوع الربا بل الواضح من حديث ابن عباس أن الطالب للقبالة لم يطلب منه إجازة الشجر بل يتقبل القرية بما فيها ويدفع له مالا معلوماً ، فهذه هي القبالات المحرمة التي اتفق عليها الصحابة لا التي فعلها عمر بن الخطاب وأقره عليه جميع الصحابة، وهذا يفسر لنا أيضاً ما سبق وأن أشرنا إليه من قول ابن عمر أن القبالات ربا، فالمقصود بالربا هنا أن الرجل يستأجر الضيعة بكل ما فيها من زرع وشجر وعلوج وما فيها من بيوت وحوانيت وغير ذلك ، فذلك يتضمن أنواعاً من المحذور ورغم ذلك فعله بعض الناس وسموه كراء<sup>(٥٣)</sup> .

إلى هذا الحد تحرى الصحابة والتابعون صحة القبالات فلم يكن هناك سوى مخالفات فردية حرص الفقهاء على تلافئها ، ماستطاعوا إلى ذلك سبيلاً حتى كان الملك لبنى أمية الذين قلبوا الخلافة وبساطتها إلى ملك عضود حرص على الأبهة وإظهار هيبة السلطان ، ولذا حرصوا على جمع الأموال بشتى الطرق فهبط مستوى الإدارة المالية للدولة من الناحية الشرعية ، فلم تعد تتحرك وفق القرآن

والسنة وهدى الخلفاء الراشدين والصحابه الكرام ، ووقعت التجاوزات المالية والمخالفات الصريحة سواء كان ذلك فى موارد بيت المال مثل الغنائم والجزية والخراج والعشور أو النفقات التى زادت من أجل مظاهر الترف والأبهة المحدثه ، وقد نال نظام القبالة حيزا من المخالفات حيث قفزت من المخالفات الفردية إلى تجاوزات تحت سمع وبصر الدولة ، ونذكر فى ذلك رسالة أرسلها عمر بن عبد العزيز إلى عامله على الكوفة تصور ما نال أهلها من شدة وبلاء وجور من أحكام وسنن خبيثة سنتها عليهم عمال السوء ويأمره « بأن يعدل ويحسن فى جباية الخراج ولا يحمل الخراج أجور الضرابين ولا منيبى الفضة ولا يأخذ هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن المصحف ولا دراهم النكاح أى خراج البغايا »<sup>(٥٤)</sup> ورغم إصلاحات الخليفة عمر بن عبد العزيز المالية إلا أن الأمور عادت لمسارها الغير عادى من القبالات كما سنرى واستمر فى عهد بنى العباس ووصل الأمر غايته بقبالة وتضمين الخراج بل تضمين خطط الدولة مثل القضاء والحسبة والشرطة كذلك<sup>(٥٥)</sup> .

وصار هناك متقبلون محترفون لما يتقبل من الخلافة ولناخذ مثلا تضمين الخراج حيث لجأت الخلافة إلى هذا النظام من أجل ضمان إيرادات الخراج لسد النفقات المتزايدة فعهدت به لمتقبلين أو ملتزمين كانوا يسددون قيمة الخراج على ناحية أو إقليم لخزينة الدولة مقدما ، ليقوم المتقبل بتحصيل هذا المبلغ من الإقليم بعد ذلك .

وإلى هذا الحد يمكن أن تكون القبالة صحيحة إذا التزم المتقبل بجباية ما دفعه لخزينة الدولة ولكن الواقع كان غير ذلك فلم يكن المتقبل يتوقع إلا الربح الوفير ويحرص على مصلحته أكثر من إهتمامه بدافعى الخراج وخاصة الجشعين من نوى السلطة فى الدولة كأن يكونوا عمالا للخراج أو ولاية أقاليم والذين تنافسوا على تقبل الخراج فيذكر أنهم تزايدوا فى تقبل ضياع الخليفة هشام بن عبد الملك ( ١٠٥ - ١٢٥هـ / ٧٢٣ - ٧٤٢م ) فتقبلها ابن المثنى فروخ فزاد عليه متقبل آخر



يعرف بحسان النبطى ألف ألف درهم ( مليون ) فسلمت إليه الضياع<sup>(٥٦)</sup> . وشاع هذا النظام فى العصر العباسى شيوعاً كبيراً ورغم أن الخلفاء كانوا يشترطون على المتقبليين عدم العنف والجور وجمع الخراج بالحسنى ، أو يأتى عرض ذلك من المتقبليين أنفسهم مثلما رفع شخص يدعى محفوظ بن سليمان أن يضمن خراج مصر عن آخره بغير عصا ولا سوط ، فولاه الرشيد الخراج<sup>(٥٧)</sup> ، إلا أن ذلك لم يحدث وحدثت تعديلات كثيرة على دافعى الخراج من جانب المتقبليين ، ولذا كره الفقهاء تقبيل الأراضى الخراجية وعدم جوازها وذلك لأن المتقبل يجب أن يكون أميناً يستوفى ما وجب ويؤدى ما حصل فهو إذا يؤدى الأمانة فلا يضمن نقصاناً ولا يملك زيادة<sup>(٥٨)</sup> .

ولذا نجد القاضى أبا يوسف فى كتابه الخراج - الذى وضعه رداً على أسئلة من الخليفة هارون الرشيد - ينهى عن تقبيل الخراج لما فيه من ضرر شديد على أهل الخراج وخزينة الدولة وذلك لأن المتقبليين يحملونهم « ما لا يجب عليهم وظلمهم وأخذهم لما يجحف بهم ... وفى ذلك خراب البلاد وهلاك الرعية »<sup>(٥٩)</sup> والمتقبل لا يبالى بذلك من أجل « صلاح أمره فى قبالة »<sup>(٦٠)</sup> ومن ثم صار يجمع أكثر مما تقبل بكثير حتى وإن كان ذلك « بشدة على الرعية وضرب لهم شديد وإقامته لهم فى الشمس وتعليق الحجارة فى الأعناق وعذاب عظيم ينال أهل الخراج »<sup>(٦١)</sup> .

ثم اقترح على الخليفة إن جاء أهل إقليم ومعهم رجل منهم موثق يستطيع تحمل خراج الإقليم وضمانه وقالوا هم : هذا أخف علينا ، نظر من ذلك فإن كان فيه صلاحاً لأهل الإقليم ضمن وأشهد عليه ، ولكن لا بد من إخضاعه تحت إشراف الدولة عن طريق أمير من قبل الخليفة يثق بدينه وأمانته ويجرى عليه الرزق من بيت المال ، فيمنعه من الظلم والتعدى<sup>(٦٢)</sup> .

والحقيقة وجدنا لما اقترحه القاضى أبو يوسف صدى فى حادثة تقبل سيسر بخراسان التى رضى أهلها بتقبل محمد بن العباس لها بعد أن يعطوه رقبته ويكونوا



معه مزارعين له فيها نظير أن يكفيهم الصعاليك ويعزهم في أماكنهم بالحماية ،  
فقبلها له المأمون وأمره بتقويتهم ومعونتهم على عمارتها<sup>(٦٣)</sup> .

وفيما عدا ذلك لم يردعن تنظيم القبالات والتشدد في مراقبة المتقبليين شيئاً  
وسارت القبالات في طريقها دون مراقبة للمتقبليين ، ولم يستفد الخلفاء من نصائح  
الفقهاء لأن مهمهم الأكبر الحفاظ على موارد الدولة المالية بغض النظر عما يحدث  
للرعية ، ومن ثم سار التقييل أساسياً في جباية الخراج في القرن الثالث الهجري /  
التاسع الميلادي وبعده والدلائل كثيرة على ذلك منها ما يذكره ابن خرداذبه<sup>(٦٤)</sup> من  
أن الفضل بن مروان تقبل الأهواز بتسعة وأربعين مليوناً من الدراهم وتقبل آل  
طاهر خراسان وضمنوا توريد ٤٤ مليون درهم لخزينة الدولة<sup>(٦٥)</sup> ، كما تؤكد وثائق  
وأوراق البردي العربية شيوع هذا النظام من الجباية بمصر<sup>(٦٦)</sup> بالإضافة إلى ما  
ذكره المقرئ<sup>(٦٧)</sup> عن تقييل الخراج قبل نظام الأقطاع في عصره .

وهكذا فتح الباب لجشع المتقبليين وضاعت صرخات القضاة والفقهاء أمثال  
أبي يوسف أدراج الرياح رغم ما أظهره من فساد المتقبليين الذي لا يرضاه الله  
الذي نهى عن الفساد فقال « لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها » وقال أيضاً : « إذا  
تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد »<sup>(٦٨)</sup> .  
والخلاصة التي نخرج بها من هذه الإطلالة على نظام القبالات بعد عصر الخلفاء  
الراشدين أن هذا النظام تعرض لظروف قلبته رأساً على عقب ، فلم تعد هناك  
المخالفات الفردية التي كانت أيام الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين وإنما اتسعت  
مفاسده تحت سمع وبصر الخلافة ومن هذا صار النظام في واد والتشريع في واد  
آخر ومن ثم صار إصلاحه مهمة ثقيلة وعياً ينوء به كاهل الفقهاء خصوصاً مع  
إقرار الخلفاء بهذا النظام . فماذا كان عليه حال القبالات في المغرب والأندلس  
وماذا كان موقف الفقهاء من هذا النظام ؟

#### - القبالات في المغرب والأندلس :

عرفت بلاد المغرب والأندلس نظام القبالات منذ زمن مبكر لارتباطها  
بالخلافة الأموية التي طبقت كما علمنا نظام تضمين أراضي الخراج من أجل

ضمان موارد بيت المال . ولكن نظراً للظروف السياسية وتقلباتها فى المغرب والأندلس ، تعرض نظام القبالات فى الأراضى لمستجدات لم تكن موجودة فى المشرق ، وذلك راجع فى الحقيقة لإختلاف وضعية أراضى المغرب والأندلس عن أراضى المشرق ، وخصوصاً أراضى السواد فى العراق التى ارتبطت بها كل الأخبار الواردة عن القبالات<sup>(٦٩)</sup> ولم يعد نظام القبالات مقصوراً على تقبل الأراضى الزراعية سواء على المستوى العام - وأقصد بين الدولة والمتقبلين - أو الأفراد بل تقبلت الضرائب المفروضة على الرعية وبالذات الضرائب غير الشرعية حتى لاحظنا فى النهاية أن كلمة قبالة صارت مرادفة للضريبة غير الشرعية<sup>(٧٠)</sup> ولذا صار لازماً علينا الإشارة أولاً إلى وضعية الأراضى فى المغرب والأندلس ، والأسباب التى أدت إلى فرض ضرائب جديدة على الرعية ، لأن ذلك سيساعدنا على وضع تصور عام وشامل لنظام القبالات فى المغرب والأندلس .

أما بالنسبة لأوضاع الأراضى فى العدوتين ، فقد تعرض لها بالبحث عدد من المحدثين<sup>(٧١)</sup> دون أن يصلوا إلى نتيجة محددة بشأنها أو تحديد ماهيتها : هل كانت أراضى خراج عنوية أو خراج مصالح أو أرض عشرية. وذلك فى الحقيقة راجع إلى استغلاق الأمر على المؤرخين والفقهاء القدامى والمعاصرين أنفسهم لهذه الفترات أو القريبين منها<sup>(٧٢)</sup> بحيث صارت أحكامهم متضاربة فى هذا الأمر مما أدى إلى البلبلة بين المحدثين .

ومن هنا لا يسعنا التعويل على الواقع التاريخى الذى أثبت أن أراضى العدوتين لم يكن لها حكم السواد بالعراق أو بلاد الشام ، وإنما كانت أقرب فى أوضاعها بأراضى مصر ، فوجدت هناك الأراضى المفتوحة عنوة والثانية المفتوحة صلحاً والثالثة التى أسلم عليها أصحابها<sup>(٧٣)</sup> أى هناك الأراضى الخراجية العنوية والصلحية وأراضى العشر . ويثبت الواقع التاريخى أيضاً أن هذه الأوضاع الثلاثة لم تستمر طويلاً نتيجة لتغير الأحداث والظروف السياسية وبالذات فى الأراضى الخراجية . التى وصل خراجها بانتظام إلى عاصمة الخلافة فى المشرق ( دمشق ) حتى قامت الفتن والثورات البربرية أواخر العصر الأموى ، وبدا أمام

الخلفاء إمكانية ضياع هذا المورد المالى ، وبالتالي التأثير على النفقات التى تزايدت فى هذه الفترة نتيجة الفتن والثورات فى كل النواحي ، فحرصوا خلال هذا الجو المشحون على الاحتفاظ بخراج الأرض فتساهلوا مع الرعية بالمعاملة التى جعلت معظم مالكي رقاب الأرض يشعرون بأنهم مالكوها ، ولم تبد الخلافة أو من يمثلها فى المغرب أية محاولة لممارسة حقوق الدولة بالنسبة لهذه الأراضى<sup>(٧٤)</sup> ومع مرور الأيام وتبدل الأحوال السياسية صارت هذه الأراضى أملاك خاصة توارثها الخلف عن السلف وصارت لهم حرية البيع والشراء وممارسة كافة أنواع المعاملات الخاصة بالأرض ، مما يعنى فى النهاية شيوع الملكية الخاصة وغلبيتها على الأراضى فى المغرب . ولكن ليس معنى ذلك اختفاء أراضى الخراج نهائياً من المغرب ، فقد تكررت كثيراً كلمة الخراج وجبايته فى المصادر<sup>(٧٥)</sup> . وقيام الدول المتعاقبة فى المغرب بمحاولات لإصلاح النظام الجبائى فى المغرب يدل على وجود بقايا لأراضى الخراج<sup>(٧٦)</sup> على الأقل حتى عصر الموحدين<sup>(٧٧)</sup> مما يعنى لدينا وجود أراضى تملكها الدولة وعملت على تنظيمها والعناية بها لاستخدام مواردها فى النفقات على مصالحها المختلفة بجانب الموارد الأخرى مثل أراضى العشر التى استمرت هى الأخرى فى المغرب<sup>(٧٨)</sup> .

وفى الأندلس بقيت أراضى العشر<sup>(٧٩)</sup> كما هو الحال فى المغرب أما الأراضى الخراجية سواء كانت المغنومة أو المصالح عليها ، فتعرضت لتغيرات أدت إلى تقلصات ثم تلاشيها وذلك نتيجة لإقطاعات الجند المتكررة كثيراً من جانب خلفاء بنى أمية<sup>(٨٠)</sup> ، ومن ثم صارت أملاكاً خاصة متوارثة<sup>(٨١)</sup> .

والخلاصة أن الأراضى فى العدوتين غلبت عليها الملكيات الخاصة سواء كانت كبيرة أو صغيرة . وبمرور الوقت أفرز لنا هذا نوعية من الأراضى لها أهمية فى دراستنا هذه . وهى أراضى الأحباس التى هى فى الأساس قطع استجزأت من الأراضى الخاصة كهبات وصدقات أوقف ريعها على الدور العامة

والفقراء والمرضى ، وغير ذلك . وقد ظلت هذه الأراضى طيلة العصور الوسطى يحافظ عليها ولاية الأمر من أجل أهدافها السامية<sup>(٨٢)</sup>.

ويبدو أن هذا الوضع للأراضى فى المغرب كان أحد الأسباب الرئيسية التى دفعت الحكام لفرض ضرائب غير شرعية على الرعية لسد العجز الناتج عن قلة أراضى الخراج وما يجبى من أراضى العشر والزكاة فكثرت أنواع هذه الضرائب وتعددت مسمياتها مثل المراصد واللوازم والمغارم أو الفرائض والعشور أو حتى الخراج<sup>(٨٣)</sup> ، إلا أن اسم القبالات أو القبالة كان أظهرها وأكثرها استخداماً حتى صار شيئاً فشيئاً علماً على كل هذه الضرائب وثبت ذلك تماماً فى العصر المرابطى حيث دخلت كل هذه الضرائب فى إطار التقييل من أجل أن تضمن الدولة دخل ثابت لا تتكلف الكثير فى جبايته<sup>(٨٤)</sup> .

وعلى أساس ما سبق يمكننا دراسة القبالات فى المغرب والأندلس مقسمين إياها إلى قسمين رئيسين :

أولاً : القبالات العامة . ثانياً : القبالات الخاصة .

أولاً : القبالات العامة :

تلك التى كانت من قبل الدولة أو من يمثلها من ديوان الخراج أو ديوان القضاء إلى أفراد يستطيعون القيام بمؤونتها المالية ، بحيث يكون كفيلاً بتحصيل أموالها بنفسه بعد أن يدفع قيمتها لخزينة الدولة ، فيستفيد الحكام من تعجيل المال ويستفيد المتقبل الفضل بين ما دفعه وما حصله . كانت هذه القبالات العامة تتم وفق مراسيم ونظم متبعة طبقتها الحكومات من أجل إكسابها الصبغة الشرعية . وقد أمدنا كتاب الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام لابن سهل الجياني<sup>(٨٥)</sup> بمعلومات قيمة ترسم لنا نفس الصورة التى وجدناها فى مراسيم تقييل أراضى فى مصر فى العصر الفاطمى وقبله ذكرها المقرئى فى كتابه الخطط<sup>(٨٦)</sup> فالموضوع

واحد فى كلا القطرين وإن اختلفت المسميات بعض الشئ وكذلك الأشياء المتقبلة حيث صارت فى الأندلس غير مقصورة على الأراضى الخراجية وأموالها .

ونظراً لاختلاف صيرورة الأراضى فى كلا البلدين من حيث الوضع التشريعى ، وجدنا أن الأرض العامة بمصر أو أراضى الخراج كثيرة ، ولذا ظل النظر فيها لديوان الخراج<sup>(٨٧)</sup> ، بينما فى الأندلس كانت الأراضى الخراجية نادرة أو غير موجودة فحلت محلها كما علمنا أراضى عامة أخرى تمثلت فى أراضى الأحباس التى أوكل النظر فيها لديوان القضاء ،<sup>(٨٨)</sup> أى صار الإشراف عليها من قبل القاضى وأعوانه كصاحب الأحباس .

ولا خلاف فى ذلك بينهما حيث أشرف على الأولى جهة إدارية مالية هدفها حفظ أموال الدولة وعلى الثانية جهة دينية مالية لها أيضاً نفس الهدف ولكن الأموال ليست للدولة بل للمحبس عليهم أو سبل الحبس الأخرى ، فعلى كليهما تحمل مسئولية هذه الأموال .

ومتلما كان يجلس متولى الخراج بمصر فى مسجد عمرو بن العاص ثم جامع أحمد بن طولون ثم القصر الفاطمى حيث انتقل إليه مكان جلوسه بعد ذلك ، وظل يمارس نشاطه هناك حتى نهاية الدولة الفاطمية<sup>(٨٩)</sup> فإن القاضى فى الأندلس كان يجلس فى مسجد قرطبة الجامع أو حتى داره فى الوقت الذى تنتهى فيه أملاك الأحباس فى الأندلس من أراض ودور وحوانيت وغيرها للقبالات . وينقل ابن سهل عن الفقيه ابن العطار الوثائق أنه شاهد القاضى وكيف كان يزاول عمله فى قبالة الدور والحوانيت والفنادق المحبسة على المساجد وغيرها . فكان يعقد جلسة عامة لذلك كل عام فى ذى الحجة بعد عيد الأضحى بثمانية أيام<sup>(٩٠)</sup> ويجمع حوله الراغبين فى القبالات من القادرين وغيرهم<sup>(٩١)</sup> بعد أن سمعوا الدلال ينادى عليها فى الأماكن العامة والأسواق<sup>(٩٢)</sup> .

وكما يحدث بمصر عند متولى الخراج من مزايدات على تقبل الأراضى بالذات فإن تلك المزايدات كانت تحدث عند القاضى فى الأندلس بمجرد أن يعلن الدلال عن تقبل الأرض أو الدار ويعلن عن قيمة القبالة وربما لترغيب الناس أكثر فى الإقبال على المزايدة كان الدلال يعلن مواصفات الأرض والدور وغيرها وميزاتها . وقد يكون ذلك بتوجيه من القاضى حتى لا يكون هناك شبهة تغرير أو غش كأن يقول مثلاً إن « من يتقبل الجنة الفلانية يبلغ الأثمان العظيمة » وفى أخرى « لو حصل من هذا الثلث أو الربع لكان حسناً »<sup>(٩٣)</sup> أو أن البعض كان يأتى جلسة القاضى وهو يقصد تقبل ملك أو عيناً محدداً لعلمه بميزاته ، فمنية العجب مثلاً جنوب قرطبة تغالى الناس فيها لقربها من المدينة وخصوبة أرضها وعظيم ما يتمنون من وراء الاهتمام بها<sup>(٩٤)</sup> .

وعندما تنتهى جلسة القاضى ويعرف كل شخص قبالة من أرض أو دور يكتب عقد بين المتقبل وبين متولى أمر الأحباس والناظر فيها يعرف أيضاً باسم القبالة ، توضح فيه الشروط الصحيحة فى القبالة وتحديد مكانها وحدودها ومواصفاتها ، وكذلك قيمة القبالة ومدتها التى كره الفقهاء على ما سنعلم<sup>(٩٥)</sup> طول مدتها حتى لا تتدرس الأملاك المحبسة بمرور الزمن .

على أية حال نستطيع من خلال المعلومات والأخبار الواردة عن هذه القبالات العامة أن نصنفها إلى :

١ - قبالات أراضى الخراج .

٢ - قبالات الأحباس .

٣ - قبالات ضرائب التجارات والصنائع .

١ - قبالات أراضى الخراج :

ذكرنا من قبل أن أراضى الخراج كانت قليلة ببلاد المغرب واختفت من بلاد الأندلس بمرور الأيام ولذا سنكتفى هنا بالحديث عن بلاد المغرب وتقبل أراضيتها ولا شك فى أن نظام التضمين طبق فى المغرب منذ زمن مبكر بإعتبار تلك البلاد

مناطق تابعة للخلافة الأموية ثم الخلافة العباسية اللتين أقرتا هذا النظام وعملتا به لضمان تدفق الأموال على خزينة الدول كما أسلفنا .

وإذا كنا في الفترة الأولى نعدم الأدلة الكافية على شيوع نظام قبالة الأراضي الخراجية في المغرب ، فإنه ورد إلينا خبر عن طريق المصادر المشرقية الفقهية تؤكد شيوع نظام القبالة في المغرب ، وذلك عن طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم القاضي الأفريقي ، الذي قال لعبد الله بن عمر (رض) أنا نتقبل الأرض فنصيب من ثمارها ، فقال له ابن عمر : ذلك الربا العجلان<sup>(٩٦)</sup> وبغض النظر عن صحة القبالة من عدمها فإن ذلك يثبت أن أهل أفريقية عرفوا نظام القبالة منذ زمن مبكر<sup>(٩٧)</sup> .

ذلك أن نظام الضمان أو القبالات في الأراضي كان شائعاً لدى الفاطميين ، حيث تخبرنا سيرة الأستاذ جؤنر أن المبالغ الكبيرة التي كان يحصل عليها المتقبلون من كور المغرب المختلفة تسببت في تكالب المتقبلين على ضمان الأقاليم ، عارضين الأموال الكبيرة ، فلما تطاول المتقبلون من العمال إلى الزيادة على جعفر ابن علي في عمله بالمسيلة كتب الأستاذ جؤنر بذلك رقعة إلى المعز لدين الله يقول فيها « يا مولاي ... هذا بلد كثر القول فيه وتطاول المتقبلون إليه فالواجب عقده على من طلبه ولا يذهب مال مولانا خسارة »<sup>(٩٨)</sup> ويفيدنا ابن حوقل<sup>(٩٩)</sup> أن إقليم برقة كان العمل في أراضيها بنظام القبالة والضمان ، رغم نفيه هذا النظام عن بقية بلاد المغرب<sup>(١٠٠)</sup> .

ولا شك في أن الفاطميين تركوا هذا النظام لخلفائهم من الزييريين في بلاد المغرب لضمان خراج البلاد الذي كان يصلهم وهم في القاهرة بانتظام<sup>(١٠١)</sup> ، وساروا هم أنفسهم على ذات النظام في أراضي مصر كما يخبرنا المقرئ<sup>(١٠٢)</sup> .

## ٢ - قبالات الأحباس :

تكونت مانتها مما يوجد به الخيرون من أراض زراعية<sup>(١٠٣)</sup> ودور<sup>(١٠٤)</sup> وحمامات<sup>(١٠٥)</sup> وفنادق<sup>(١٠٦)</sup> وأرحاء<sup>(١٠٧)</sup> وحوانيت<sup>(١٠٨)</sup> وأفران<sup>(١٠٩)</sup> تكون حبسا على ما يحدده رب الحبس ، سواء كان ذلك للإتفاق على إصلاح الدور العامة كالمساجد



وترميمها ، أو فداء الأسرى من المسلمين ، أو الاتفاق على الكفالات ومعلميها أو على طلبة العلم من الفقراء ، أو الأربطة والحصون في مناطق الثغور أو الاتفاق من ريعها لإطعام الفقراء والمساكين أو العناية بالمرضى من فقراء المسلمين . وكان هذا التحسيس يثبت في وثيقة<sup>(١١٠)</sup> يسجل فيها اسم المحبس والمحبس عليهم واسم مادة الحبس ، مع تحديد دقيق لمكانه في المدينة أو أرباضها ، وبيان حدوده من الجهات الأربع محددة مدة الحبس ، وفي النهاية يذكر شهود الحبس .

وكان النظر في هذه الأحباس في البداية للقاضي ، ثم بعد ذلك - نظراً لكثرة الأحباس وخصوصاً في الأندلس - خصص لها وظيفة مستقلة عرف متوليها بصاحب الأحباس أو ناظر الأحباس . وما لبث هو الآخر أن زادت مشاغله وكثرت أعماله فصار هناك من يختص بحبس الخواص وآخر بحبس العوام<sup>(١١١)</sup> بل إن من كثر حبسه الخواص كان يعين للإشراف على أحباسه صاحب أحباس لأعمال له سواها<sup>(١١٢)</sup> . وكان كل هؤلاء يعملون تحت نظر القاضي وإشرافه<sup>(١١٣)</sup> وشاغلهم الأول المحافظة على الأملاك المحبسة من الدرس والعدم أو الإزالة حتى لو اقتضى منه التنسيق والاتصال بأرباب الخطط الأخرى كالمحتسب مثلاً<sup>(١١٤)</sup> .

وكانوا يديرون هذه الأحباس حسبما يرون من مصلحة أربابها أو المحبس عليهم في إطار ما اشترط المحبس . ومن ضمن طرق الاستفادة بهذه الأحباس لصالح المحبس عليهم كان نظام القبالة الذي نحن بصددده ، فقد كان يعلن عن هذه الأشياء المحبسة كل عام فيأتي إليها الفقراء والأغنياء لقبالتهما . ويبدو أن الإقبال عليها كان ضعيفاً ، ولذا اجتهد القضاة في استمالة متقبليها حتى يتشجعوا على قبالتها<sup>(١١٥)</sup> ، ومن ثم يتمكن المحبس عليه من العيش في سلام ، لأن تلك الأشياء المحبسة كانت المورد الوحيد لمعيشتهم ، وحتى يتمكن الناظرون في الحبس من فداء الأسرى وتمويل المرابطين وإصلاح المساجد وعلاج المرضى . ومن أجل المحافظة على سير الأمور بانضباط كل ناظر الحبس يجتمع دورياً مع الكتاب والجباة للأموال من المتقبليين أو غيرهم والشهود لتقويم ريع هذه الأحباس ، سواء ما كان يجبي منها شهرياً أو سنوياً



ومعرفة المنصرف منها على المرتبات ووجوه الصرف على المحبس عليهم قبل ذلك ، وتحديد المتبقى من المبلغ الكلى<sup>(١١٦)</sup> والحفاظ عليه خوفا من العقوبة التى كان ينالها صاحب الأحباس إذا أهمل أو فرط فى أموال الحبس<sup>(١١٧)</sup> .

بقى أن نذكر أن هذه الأحباس كانت طيلة العصر الإسلامى فى المغرب والأندلس وحرصت الدول المتعاقبة عليها وزيادتها من أجل أداء رسالتها السامية . وقد ذكرت لنا كتب الوثائق والسجلات نماذج عديدة لقبالة هذه الأحباس<sup>(١١٨)</sup> موضحة كنهها ، كما وصفنا سابقا . وقد بقى لنا عند ابن سهل مثال تطبيقى لأملاك ودور وأفران وحمامات قبلت فى مدينة قرطبة . وكذلك تقبيل عدد من الجنات من جهاتها المختلفة ، فقبلت بعض الجنان فى جهاتها الغربية وجهاتها الشرقية ، وكان أشهرها جنان منطقة الرملة وجهاتها الجنوبية « القبالية » وأشهرها منية العجب<sup>(١١٩)</sup> .

### ٣ - قبالات الضرائب :

عرفنا فيما سبق كثرة الضرائب المفروضة على التجارات ، سواء كانت داخلية أو خارجية ، وتعدد مسمياتها فى بلاد المغرب والأندلس ، وعلمنا أن تلك الضرائب قد تقبلت حتى صارت كلمة القبالة تعنى فى النهاية . ضريبة غير شوعية . وضريبة التجارة التى أقرها الإسلام كانت العشور وهى تفرض على التجارات الصادرة والواردة إلى البلدان الإسلامية والتى يمكن أن نشبهها بالضرائب الجمركية . ولم تكن هذه الضرائب فى عهد الرسول ﷺ ولا على عهد خليفته أبى بكر ، وذلك لأن الدولة كانت فى دور النشأة والتكوين . ولكنها وضعت فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب الذى امتدت الفتوحات الإسلامية فى عهده شرقا وغربا ، فاتسع سلطان المسلمين وضمت الدولة ذميين ، قاموا بالأعمال التجارية داخليا وخارجيا ، واستفادوا من مرافق الدولة وخدماتها ، وجنوا من وراء ذلك الأرباح الطائلة . هذا إلى إن امتداد حدود الدولة الإسلامية أدى إلى كثرة الداخلين

إليها من رعايا الدول المجاورة للتجارة ، وهم الذين أطلق عليهم فى الفقه الإسلامى إسم « الحريون وأهل الهدنة »<sup>(١٢٠)</sup> .

ومن المنطقى أن تستفيد الدولة وتتفع بجزء مما يجنيه هؤلاء التجار ، ومقابل الأمان والاستفادة من مرافق الدولة الإسلامية وخدماتها . ومن هنا اجتهد الخليفة عمر بن الخطاب فى وضع عشور التجارة على هؤلاء التجار ، ولم يكره أحد من الصحابة ذلك فصار إجماعاً<sup>(١٢١)</sup> . ويذكر أن السبب المباشر فى فرض عشور التجارة هذه ما كتبه أبو موسى الأشعرى إلى الخليفة عمر من أن تجار المسلمين إذا أتوا أرض الحرب يأخذون منهم العشر ، فكتب إليه الخليفة أن يأخذ من الحربين كما يؤخذ من المسلمين ، وزاد على ذلك ، أن يأخذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين ربع العشر ، وليس فيما دون المائتين من الدراهم<sup>(١٢٢)</sup> وكانت هذه العشور تؤخذ مرة فى السنة نقداً أو عيناً<sup>(١٢٣)</sup> ولا تؤخذ من غير مال التجارة الذى يجب أن يبلغ النصاب . وكان يعطى لدافعها براءة أو حجة بأدائها حتى لا يعشر ثانية<sup>(١٢٤)</sup> وصار الأمر على هذا الحال من التجارة الداخلية والخارجية حتى استجدت ضرائب أخرى موازية للعشور ، بل إن العشور خرجت عن مسارها الصحيح فأخذت أكثر من مرة فى السنة ، وزيد فى نصابها وأخذت على تجارات محرمة مثل الخمر والخنازير . ويبدو أن ذلك هو الذى دفع العادل عمر بن عبد العزيز إلى تصحيح هذه الأوضاع فأمر بأن تلغى كل الضرائب الإضافية التى اختلطت أمرها بالعشور تحت مسميات مختلفة مثل الفائدة والمائدة<sup>(١٢٥)</sup> ولكن شدد على أكثرها شيوعاً ، وهو المكس ، وقال عنه بأنه ليس بالمكس ولكنه البخس . وأمر بتدمير مراكز جبايتها أو بيوتها<sup>(١٢٦)</sup> متبعاً فى ذلك سنة الرسول ﷺ حيث كانت هذه المكوس موجودة قبل الإسلام ، إذ كان عمال الدول يأخذونها من التجار عند الانتقال من بلد لآخر أو مدينة لأخرى . وكان جامعها يعرف باسم المكاس أو العاشر وقد ذكر ذلك أبو عبيد فى كتابه الأموال<sup>(١٢٧)</sup> قائلًا « كان المكس له أصل فى الجاهلية يفعله ملوك العرب والعجم جميعاً فكانت سنتهم أنه يأخذوا عشر أموالهم إذا مروا بها عليهم » فأبطل الرسول ﷺ وضم المكاس

أو العاشر وحرص على قتله<sup>(١٢٨)</sup> ولكن بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز عادت هذه الضرائب مرة أخرى نظراً للحاجة الملحة إلى الأموال ، وانتشرت فى العالم الإسلامى بمعرفة الخلافتين الأموية والعباسية .

وفى المغرب والأندلس صارت تلك الضرائب الإضافية من الموارد الأساسية لخزينة الدولة ، بل لقد شددت دول المغرب والأندلس فى جبايتها مقداراً وتكراراً فى العام الواحد وأساءوا إلى الناس فى جبايتها عن طريق المتقبلين الذين أسند إليهم جباية هذه الضرائب من أجل ضمان إمتلاء خزينة الدولة وقد وجدت هذه القبالات فى عهد الأغالبة . وظلت حتى سنة ٢٨٩هـ / ٩٠٢م أى عند ظهور الدعوة الفاطمية فلما بلغ خبرها إبراهيم الثانى الأغلبى زعر منها فأظهر التوبة والندم على ما فرط منه ، وكف عن الظلم ، وأراد أن يستميل قلوب العامة ، وأن يرضى الخاصة من أجل صرف الجميع عن إجابة الداعى الفاطمى « فأسرع برد المظالم وأسقط القبالات وأمر بأخذ العشر حبا »<sup>(١٢٩)</sup> وإذا كان هوبكنز Hopkins<sup>(١٣٠)</sup> أمكنه تصديق ابن حوقل الذى جاب المغرب من أقصاه إلى أدناه على حد قوله ، فى أن بلاد المغرب فى زمن الفاطميين لم تعرف نظام القبالة وأن جميعها كانت تعمل بنظام الأمانة فى جباية الأموال<sup>(١٣١)</sup> فإننا لا نستطيع قبول ذلك مع ما تجمع لدينا من معلومات تفيد بوجود نظام القبالات على الأرضين والضرائب قبل الفاطميين وأثناء عهدهم القصير بالمغرب ، خصوصاً وأن هذا النظام كان شائعاً فى البلدان الإسلامية شرقاً وغرباً ، وأخذ الفاطميون به فى المغرب ومصر بعد انتقالهم إليها<sup>(١٣٢)</sup> وابن حوقل<sup>(١٣٣)</sup> نفسه يؤكد « أن برقة قد تقبلت » وهذا أبو عبد الله الشيعى داعية الفاطميين ومقيم دولتهم فى المغرب عندما أتت إليه الأموال من طينة نقداً أمر أن تفرق على أصحابه ، وقال لمن أتاه بمال الخراج « هذا مال لاخير فيه ولا قبالة ولا خراج على المسلمين فى أموالهم »<sup>(١٣٤)</sup> وربما يكون ذلك دعاية يتكسب بها مودة الناس وقلوبهم ولكن الخبر يؤكد وجود نظام القبالات .

ويحكى أن الفقيه الزاهد المعروف بالسدرى<sup>(١٣٥)</sup> دخل على عبيد الله المهدي ، وكان عنده أحد خدمه المعروف بالبغدادي ، فقال للسدرى « إن أمير المؤمنين كثير العفو ، فقال له السدرى أتكذب عليه في وجهه ؟ فرد عبيد الله كيف كذب ياشيخ ؟ قال : سماك بأمير المؤمنين ولو كنت أمير المؤمنين ما أمرت بسبب السلف وأظهرت الخمر والقبالات والمراصد ومنالة السد » فأمر عبيد الله بضرب عنقه<sup>(١٣٦)</sup> ويروى لنا المالكي في رياضة<sup>(١٣٧)</sup> أن أخوين من الأندلس وردا إلى المهدي تاجرين ، ومع أحدهما نوع من البسط يعرف باسم اللبود غالى الثمن لم يستطع هذا الأندلس أن يدفع قبالتها « فأودع السجن حتى « يقبل » أخير فمن الأدلة على شيوع القبالات في عصر الفاطميين إنكار الثائر أبى يزيد مجلد بن كيداد من جملة ما أنكره على الفاطميين فرضهم القبالات على الناس ، ففي حوار مع المنصور (٢٣٣ - ٣٤١ هـ / ٩٤٥ - ٩٥٢ م) الذى قبض عليه وسأله عن سبب خروجه قال أبو يزيد: كان أبو القاسم - يعنى والد المنصور - كريما ، حوله قوم سوء هجنوة فسأله المنصور بماذا ؟ فقال بعد أن استحثه المنصور : هذه القبالات التى فيها الجور على المسلمين ، فقامت منكراً لذلك ، أريد إصلاح أمور الناس قال المنصور فهل علمت أن ذلك عن رأى أمير المؤمنين وأمره ؟ فقال لا أعلم إلا أنهم قد فعلوا<sup>(١٣٨)</sup> ولا شك فى أن الزيريين الذين خلفوا الفاطميين فى المغرب حرصوا على جباية مثل هذه الضرائب الإضافية بذات الطريق ، وسلكوا وسائل مستحدثة لعدم إفلات التجار من دفع هذه الضرائب . من ذلك مثلاً نجد المعز بن باديس (٤٠٦ - ٤٥٤ هـ / ١٠٦٣ - ١١٠٨ م) عندما أعاد بناء أسوار القيروان ، وليقينه بأهمية المدينة تجارياً ، رأى الاستفادة من الصادر منها والوارد إليها بأقصى حد ممكن ، فقام سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م بربط القيروان بضاحيتها صبرة بحائطين متوازيين تاركاً بينهما حيزاً صغيراً كالفضيل . ومن ثم صار لا سبيل لتاجر أو وراد كى يدخل المدينة إلا هذا الفضيل ولا يمر به إلا بعد دفع المكس بمدينة صبرة<sup>(١٣٩)</sup> .

أما ملوك زناته فى المغرب الأقصى فبعد أن تبدلت أحوالهم ولم يعد يأتيهم المدد من الأندلس وبعد أن ظهر المرابطون على مسرح الأحداث السياسية والذى أثر عليهم تأثيراً بالغاً فى الناحية الإقتصادية وبعد أن كانوا المتحكمين فى طرق

التجارة بين الجنوب والشمال والشرق وجنوا من وراء ذلك أموالاً طائلة ، نازعهم المرابطون فى هذا الأمر وانتزعوا منهم فى النهاية هذه الموارد الضخمة فاضطربت حياتهم الاقتصادية<sup>(١٤٠)</sup> واشتد الغلاء وتبدل الرخاء بالشدة وعدمت الأقوات ، مما أدى بالزناتين إلى اتخاذ إجراءات شديدة وقاسية للحصول على الأموال من استعمال القوة مع التجار والسطو على المنازل . وفرضوا على الناس المغارم والمكوس الجائرة فى تجاراتهم ، مما أدى إلى أن يتطلع الناس إلى من يخلصهم من هذا البلاء والشقاء ، فوجدوا ضالتهم المنشودة فى المرابطين . فلما دخل عبد الله بن ياسين سجلماسة سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م « أحرق الدور التى كانت تباع فيها الخمور وأزال المكوس وأسقط المغارم المخزنية »<sup>(١٤١)</sup> وأصلحوا من أحوالها<sup>(١٤٢)</sup> .

أما على الجانب الآخر أى فى الأندلس ، فقد ضربت على الرعية غير الضرائب الشرعية من زكاة وعشر وجزية على المعاهدين ضرائب غير شرعية كفانا مؤنة البحث فيها بروفنسال<sup>(١٤٣)</sup> من المعاون والمغارم وغيرها ويكفى أن نؤكد دراسته هذه بالقول بأنها فرضت منذ زمن مبكر استنادا إلى ما ذكره ابن الخطيب<sup>(١٤٤)</sup> من أن الحكم الربضى ( ١٨٠ - ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ - ٨٢٢ م ) فرض على الناس المعاون والمغارم بل سوغ لأحد المعاهدين اقتراضها على المسلمين . وقد تقبلت هذه الضرائب جميعا وخصوصا ما كان يفرض منها على المبيعات فى الأسواق<sup>(١٤٥)</sup> ويتأكد هذا بما أورده ابن حوقل<sup>(١٤٦)</sup> ، من أن سكة دار ضربه - أى الناصر لدين الله ( ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م ) - على الدنانير والدرهم فى كل سنة مائة ألف دينار . هذا إلى صدقات البلد وجباياته وخراجاته وأعشاره وضماناته ومراصده وجواليه ، وما يقبض من الأموال الواقعة على المراكب الواردة إليهم والصادرة عنهم والرسوم على البيوع فى الأسواق « ويؤكد بروفنسال<sup>(١٤٧)</sup> أن قبالة مثل هذه الضرائب قد أضرت بالرعية لجشع المتقبلين الذين حرصوا على أموالهم بطريقة واضحة وزادوا عند جمعها كثيرا بل تغالوا فى ذلك .

ولا شك في أن ملوك الطوائف أكثروا من فرض الضرائب على الرعية لاحتياجهم الشديد للأموال من أجل تلبية أطماعهم في التوسع على حساب إخوانهم من الملوك المجاورين ، أو تلبية نفقات مظاهر الترف الذي انغمسوا فيه ، وأخيراً من أجل أداء الجزية المضروبة عليهم من جانب الفونسو السادس Alfonso VI ملك قشتالة<sup>(١٤٨)</sup> . وتعددت مسميات هذه الضرائب من معاون ومكوس ومغارم<sup>(١٤٩)</sup> فاختصت إحدى هذه المغارم باسم مغارم الإقطاع<sup>(١٥٠)</sup> وكانت هناك ضريبة أخرى تسمى بالقطيع تؤدي كل شهر على الغنم والبقر والدواب والنحل ، يرسم على كل رأس وعلى كل خلية شيئاً ما<sup>(١٥١)</sup> . وينبأنا الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة (٤٦٥ - ٤٨٣ هـ / ١٠٧٣ - ١٠٩٠ م) أن الرعية جارت بالشكوى ليوסף بن تاشفين من كثرة هذه الضرائب وسوء جبايتها<sup>(١٥٢)</sup> . ولا ريب كذلك في أن ملوك الطوائف قبلوا هذه الضرائب لضمان وصولها إليهم . ويذكر في ذلك أن يوسف بن تاشفين عندما ساءت علاقته بملوك الطوائف ونوى إسقاطهم ألزم المعتمد ابن عباد ملك إشبيلية (٤٦١ - ٤٨٤ هـ / ١٠٦٩ - ١٠٩١ م) - في سبيل إصلاحه - الرباط والمجاهدة ، وأن « يقطع القبالات في بلاده »<sup>(١٥٣)</sup> هذا بالإضافة إلى قبالات الأسواق إذا يقول ابن حزم<sup>(١٥٤)</sup> أنهم « فرضوا قبالات ما تؤدي على كل ما يباع في الأسواق » وفسر ذلك في موضوع آخر وأسمائها بالجزية ، كناية عن ظلم هؤلاء للرعية والجزية هي التي يأخذها المتقبلون من المسلمين فيما يباع في أسواقهم على الصابون والملح والدقيق والزيت والجبن وعلى سائر السلع<sup>(١٥٥)</sup> .

ولم يكتف ملوك الطوائف بتقيل الضرائب غير الشرعية ، بل اتجهوا من أجل الحاجة الملحة للأموال لتقيل خطط الدولة وأهم المرافق بها ، كدور السكة التي ضربت لكل منهم سكتة الخاصة به وقد أورد لنا ابن بسام<sup>(١٥٦)</sup> أن دار السكة بالمرية قد تقبلت وأن متقبلها كان يدعى أحمد القيسي .

وقد إستفادت دول المغرب والأندلس من نظام التقيل فاحتفظوا بخزائنها ملأى ولبوا مطالبهم المعيشية كملوك بل تعدوها إلى الترف الفاحش وأرضوا أنفسهم

فى ذلك . على أنهم بالمقابل أسخطوا الرعية التى لم يعملوا لها حسابا . وزادوا سخطهم بأسنادهم - فى أحيان كثيرة - قبالة هذه الضرائب إلى متقبلين من أهل الذمة من النصارى واليهود ، مثل قوس بن انتيان فى عهد الحكم الربضى<sup>(١٥٧)</sup> أو ذلك اليهودى الذى تقبل السوق فى إحدى القرى بأفريقية واحتكر صناعة الخبز فى هذه القرية فلا يعمل فيها أحد الخبز سواه<sup>(١٥٨)</sup> .

وهذه النقطة بالذات ربما تفسر لنا ما أثبتته المستشرق دوزى فى معجمه<sup>(١٥٩)</sup> أن من معانى الكلمة العهد أو الذمة فيقال أهل القبالة فهم أهل الذمة أى صارتا مترادفتين . وربما يزيد ذلك تأكيدا أنه بعد إنقلاب السياسة الجبائية إلى الأسوأ فى الدور الثانى من حكم المرابطين للمغرب والأندلس استعملوا النصارى فى جباية القبالات كما ذكر صاحب الحل الموشية<sup>(١٦٠)</sup> .

هكذا جاءت دولة المرابطين ووجدت فى المغرب والأندلس القبالات معمولا بها بما فيها من ظلم للرعية . ولأن سياستها المالية خصوصا فى ميدان الجباية قامت على أساس متين من الناحية الدينية طبقا للشرع<sup>(١٦١)</sup> فى ميدان الأموال ، فإنها قضت على تلك التجاوزات الجبائية والضرائب الزائدة ، التى فرضتها الدول قبلها ، فيذكر أن عبد الله بن ياسين كان يأمر أصحابه بالصلاة والزكاة وأداء العشر ، ونظم المناطق التى صارت فى قبضة المرابطين ، وأمر أتباعه بأخذ الزكاة والعشر فقط من أهلها مثلما ذكرنا سلفا . وعندما افتتح مدينة سجلماسة أحرق دور الخمر ، ووضع المكوس ، وأسقط المغارم ومحا ما أوجب الكتاب والسنة « محوة »<sup>(١٦٢)</sup> وقد استمرت هذه السياسة الجبائية الشرعية فى عهد يوسف بن تاشفين ، إذ منع المكوس ولم يرض بما هو خارج عن الشرع<sup>(١٦٣)</sup> ، ولم يأخذ سوى الزكاة والعشر والصدقات ، مما أدى فى النهاية إلى تنشيط الحركة التجارية وانخفاض الأسعار وإستقرار الأمن الاقتصادى والرخاء المادى ، بحيث صارت أيامه « أيام دعة ورفاهية ورخاء ، فلم يعد هناك رسم مكس ولا معونة ولا خراج فى بادية ولا حاضرة »<sup>(١٦٤)</sup> « ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائف المخزنية »<sup>(١٦٥)</sup> ولا قبالات ،



بعد أن رفعها استجابة لنداء الرعية ، وخصوصا في الأندلس<sup>(١٦٦)</sup> . ورغم أن ابن أبي زرع عم تلك الأقوال في السياسة الجبائية وتأثيرها الحسن على أحوال الناس في دولة المرابطين بصفة عامة<sup>(١٦٧)</sup> ، إلا أن المصادر الأخرى تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن ذلك انطبق فقط على الفترة الأولى - فترة التكوين والتوسع لدولة المرابطين - أما بعد عهد يوسف بن تاشفين ، فقد تغيرت الأوضاع بسبب اتساع مساحة الدولة ، وتضاعف جيوشها ، وثقل مسئولياتها ، واتساع نطاق الجهاد ، بحيث لم تعد تلك الموارد الشرعية المتواضعة تكفى لمواجهة الأعباء الكبيرة . ومن هنا لجأ المرابطون إلى فرض المعاون على الرعية التى ربما تكون شرعية حتى هذا الوقت ، ولكن شيئا فشيئا ومع مرور الأيام اتسع نطاق هذه المعاون وزادت قيمتها وتعددت أسماؤها<sup>(١٦٨)</sup> بحيث صارت عبئا ثقيلا على الرعية الذين لمسوا حرص المرابطين على جباية مثل هذه الضرائب وفرضها على كل شئ<sup>(١٦٩)</sup> ، وفى أى مكان ، فى الموانئ والمراسى<sup>(١٧٠)</sup> والأسواق ، حتى على دخول المدن<sup>(١٧١)</sup> والمرافق العامة مثل القناطر<sup>(١٧٢)</sup> وزاد من وطأتها على الرعية أن المرابطين استعملوا فى جمع هذه المغارم النصارى الذين أطلق عليهم صاحب الحلل<sup>(١٧٣)</sup> « الروم » من أجل إحكام جمعها وزاد الطين بلة حرص المرابطين الشديد على جمع هذه الأموال معجلة دون انتظار جبايتها فأعادوا نظام القبالة الذى سرى مسرى النار فى هشيم ، فصار كل شئ متقبلا فى عهدهم ، ويصور لنا الإدريسي<sup>(١٧٤)</sup> ذلك بقوله « وأهل مراكش يأكلون الجراد ، ويباع منه بها كل يوم الثلاثون حملا فما دونها وفوقها بقبالة عليه . وكانت أكثر الصنع بمدينة مراكش متقبلة ، عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون والصفرة والمغازل . وكانت القبالة على كل شئ يباع دق أو جل ، كل شئ على قدرة ».

ويذكر ابن عبدون أن هذا النظام كان عاما وشاملا ، وليس فى العاصمة أو المغرب فقط ، بل شمل الأندلس كذلك . ويعطينا تفاصيل أكثر عن هذا النظام وجشع المتقبليين ، فالقبالات لم تكن فى الأسواق الكبرى فقط ، بل كانت فى السويقات والرحاب ، إذا كان يؤخذ على كل شئ يباع فيها مكس حدد هو قيمته لمن



تقبل تلك الأماكن<sup>(١٧٥)</sup> ، حتى البيع فى الدور الذى لجأ إليه فقراء الناس من أجل التعيش أخذ عليه قبالة سواء كان زيتا أو طعاما<sup>(١٧٦)</sup> ؛ وهو ما يفهم منه أن المتقبلين لهذه الأسواق والمراكز التجارية الأخرى لم يتركوا شيئا يباع صغيرا أو كبيرا إلا أخذوا عليه قبالة حتى وصلوا إلى بيوت الفقراء وفرضوا عليهم القبالات . بل أكثر من هذا أدى بهم الجشع إلى أن يأخذوا على الوارد إلى الأسواق القبالة مرتين ، من الجلابين مرة ومن المشترين مرة أخرى فالضحية التى يأتى بها الجلابون من الريف والبادية كان يؤخذ عليها قبل دخول المدينة قبالة ، وعندما كان يتم بيعها يؤخذ عليها قبالة أخرى من مشتريها وهو ما حذر منه ابن عبدون<sup>(١٧٧)</sup> .

ومن أجل هذا كانت القبالات مصدرا للغنى الفاحش السريع ، فلجأ إليها من طمع فى ذلك ، وقد كانت الفرصة متاحة حتى ولو بدأ الفرد بتقبل سلعة غذائية واحدة أو سويقة أو صنعة واحدة ثم يتسع فى قبالاته التى ربما شملت سوقا كاملا أو قرية كاملة . وتخبرنا إحدى نوازل الونشريسي<sup>(١٧٨)</sup> ، أن شخصا تقبل القرسطون<sup>(١٧٩)</sup> فى السوق بسبعين دينارا فقط فاغتنى من ذلك ثم ما لبث أن وسع قبالاته فشملت سوق الخضر ومعه أشياء أخرى بأربعمائة دينار وجمع من ذلك أموالا كثيرة عدت فى نظر زوجته التى لم يدخل بها وأخيها وأمها أموالا حراما ، ورفعوا بذلك إلى الفقهاء يشتكون من هذا المسلك ويريدون فسخ عقد الزواج .

وبناء على ما سبق يمكننا القول أن نظام القبالات بعد يوسف بن تاشفين صلب العمود الفقرى للسياسة الجبائية فى عهد المرابطين ، وتمسك به حكامهم من أجل ضمان تدفق الأموال على خزينة الدولة لسد حاجاتها الضرورية وغير الضرورية « الكمالية » ، وأن هذا النظام تغيرت ملامحه تماما بعد أن اتسع نطاقه والتوت دروبه وتعددت مساربه بفضل جشع المتقبلين ، وإغضاء الحكام طرفهم عن ذلك ، مما أدى فى النهاية إلى ظلم بين للرعية التى أنقل المرابطون وجباتهم من المتقبلين كاهلها بمبتدعات هذا النظام التى حرص أذيال المرابطين من الثوار على تطبيقها كلية بل والزيادة فيها وهذا ابن مردنيش<sup>(١٨٠)</sup> ربيب هذا الجو الذى أنهمك فى ميدان

البطالة واللّهو والجأء الخروج عن الجماعة والأفراد بنفسه فى شرق الأندلس إلى الاحتماء بالنصارى ( صاحب برشلونة وملك قشتاله ) كان يدفع لهما فى السنة الواحدة خمسين ألف متقالا مرابطيا<sup>(١٨١)</sup> وكون جيشا من مرتزقة النصارى ، وبنى لهم منازل وحانات للخمور ، وأجرى عليهم الأرزاق الواسعة<sup>(١٨٢)</sup> ، فمن أين كان يأتى بأموال لكل ذلك ؟ يقول ابن الخطيب<sup>(١٨٣)</sup> « إنه أجحف برعيته لأرزاق من استعان به منهم » ووجد ضالته المنشودة — من أجل تحقيق سياسته الخاطئة ومسلكه المشين — فى نظام القبالة بعد أن وضع الضرائب والمغارم والمكوس على كل شئ قبلها لمتقبلين قساة مفترين<sup>(١٨٤)</sup> . ولم تتج من الضرائب حفلات الأعراس والملاهى ، حتى قال ابن الخطيب<sup>(١٨٥)</sup> « فكانت قبالاتها غريبة » . ومن طريف ما يحكى فى ذلك أن رجلا من أهل شاطبة صودرت ضويعته بها فر أثناء غزو ابن مردنيش لها إلى مدينة مرسية واضطرته الظروف أن يعمل عند الناس فى البنيان بها . وبينما هو يسير يوما فى السوق إذا به يرى قوما من أهل بلده وقرابته ، فقروح بهم وعزم عليهم بالمبيت عنده ، فرضوا وذهب هو واشترى لحما وشرابا إكراما لهم ، وعمل ذلك وأكلوا وضربوا دفا . فلما كان الصباح إذا به يسمع نقرا عنيفا على الباب فسأل من أنت ؟ قال أنا الطارقون — الذى بيده قبالة اللّهو — وأنتم ضربتم البارحة الدف ، فأعطنا حق العرس الذى عملت . فقلت والله ما كانت لى عروس ، فأخذت وسجنت حتى أفتديت<sup>(١٨٦)</sup> . ولا شك أن وصول الأمر إلى هذا الحد من الظلم والقسوة قد ساعد الموحدين كثيرا فى إنجاح دعوتهم وقيام دولتهم ، إذ أنكر هؤلاء المصامدة خلاصهم مثل هذه الأشياء إنكارا شديدا حيث أن دعوتهم رفعت منذ بدايتها شعار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن ثم استغلوا هذه المناكير<sup>(١٨٧)</sup> التى سادت أرجاء دولة المرابطين أو مابقى من دولة صنهاجة فى المغربين الأوسط والأدنى ، وأبدوا سخطهم عليها وإنكارهم لها . وكان من بينها الضرائب والمكوس وقبالاتها التى كانت من أظهر الأشياء التى جذبوا بها قلوب العامة وغيرها ضد حكام صنهاجة فى المغرب والأندلس ، والذين وجدوا من ناحيتهم فى هؤلاء — المصامدة من الجور الواقع عليهم ، وخصوصا التعديات فى

الضرائب وجبايتها . وقد وضع هذا منذ بداية الدعوة على يد مهدي الموحدين محمد بن عبد الله بن تومرت الذي بدأ مشوار دعوته كمحتسب يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . فعندما كان في أكرسيف قصده العامة وشكوا إليه أن وزير يحيى بن فانو قتل له نعمة فأغرمهم بها ألف متقال ، فذهب من فوره إلى يحيى وأعلمه بذلك ، فأمر يحيى بدوره الوزير بغرم ما أخذ من الناس من المظالم ، ونودي في المكان كله من له مظلمة من الوزير فله النصفة ، ولا غرامة في النعمة بعد ذلك<sup>(١٨٨)</sup> .

وعندما جاء المهدي ومن معه ليعبروا وادي أم الربيع ، منعوا حتى يعطوا المكس ، فصاح عليهم المهدي قائلا « وأى سبيل للمسلمين وأنتم تقطعونها وهذا غير جائز في الشرع »<sup>(١٨٩)</sup> .

وما أن ظهرت الدعوة الموحدية حتى بدأت أسنة دعائهم تلهج بنقض الموحدين ما ابتدعه الحكام في المغرب والأندلس من أنواع القبالات ، كدعاية لمسلكتهم الرشيد ومسلكت هؤلاء الحكام المشين ، حتى الكتب التي كان يرسلها حكامهم بعد ذلك إلى الكور والمدن للولاية والخاصة والعامة ، كان لابد فيها من ذكر مآثرهم في القضاء على تلك المآثم والبدع في الضرائب من أجل إثبات مصداقيتهم أمام الناس . ومن ذلك رسالة بعث بها عبد المؤمن بن علي ( ٥٢٤ - ٥٨٨ هـ / ١١٣٠ - ١١٦٣ م ) إلى جميع الطلبة والمشيخة والأعيان والكافة في الأندلس ( ١٦ ربيع الأول سنة ٥٤٣ هـ ) قال فيها « وكان مما بعثنا - وفقكم الله تعالى - على تنبيهكم وأذكركم وإيقاظكم للنظر في تلك المصالح وإشعاركم ما ألفيناه ، بحضرة مراكش - حرسها الله - من بعض تلك الأنواع مما أحدثه فيها بعض أهل الابتداع ، كنوع القبالة وما يجري مجراها من وجوب الإزالة والإحالة ، فانكرنا ما كان نكيرا وأزلنا بعون الله ما كان محذورا بالشرع محظورا »<sup>(١٩٠)</sup> وذلك بعد أن ذم المرابطين وسلوكهم في جباية الضرائب وإنكاره لما كانوا يفعلونه بقوله : « ولقد ذكر لنا فيما ذكر من تلك المظالم المستغرقة للآثام الموبقة لأهلها حين يقرع سن الندم النادم .. يمدون أيديهم إلى ضرب الناس بالسياط إبلاغا في الانتهاء بكثرتها وإمحاشا ويتسببون بذلك إلى أخذ أموال الناس إيغارا للصدور وإيحاشا . وذلك أمر معاذ الله أن يرضى به مؤمن أو يتجه إليه حق بنوع من الاتجاه ، ما أبعد العدل

أصلحكم الله تعالى عن هذه الأمثال والأشباه .... وقد ذكر لنا فى أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسى وغيرها ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرما وإفكا فإننا لله وإنا إليه راجعون»<sup>(١٩١)</sup> ويهدد فى الرسالة نفسها من يحاول فرض مثل هذه الأشياء على الرعية قائلا « ولئن ثقل إلينا والله الشاهد - أن نوعا من هذه الأنواع المحرمة أو صنفا من تلك الأصناف المظلمة يتولاه أحد هنالك من البشر أو يأمر بشئ من ذلك الفعل المستكر ، لنعاقبه بمحو أثره عقابا يبقى أثره عظة لمن أتعظ وعبرة لمن تتبه لزاجر الحق واستيقظ»<sup>(١٩٢)</sup> .

وفى رسالة أخرى إلى أهل قسطنطينة ( سنة ٥٤٧ هـ — / ١١٥٢ م ) يحدثهم عن فتح بجاية ومحاولته إقامة الشرع وقطع آثار الظلمة وإجراء الأمور كلها على المنهج الشرعى ، ويذكر لهم ما كان بتلك النواحي من مكوس وقبالات قائلا « وقد كان بهذه الأصقاع من آثار أهل الاختلاف والابتداع ما علمتوه من القبالات والمكوس والمغارم وسائر تلك الأنواع»<sup>(١٩٣)</sup> ويفخر بأن تلك الضرائب قد قطعت تماما بفضل الموحدين قائلا « ولما من الله على أهل البلد بما من به من التسليم والتأمين .. انقطعت عنهم أسباب الظلم بانقطاع أهله وسدت عنهم أبواب الباطل كثرة وقلة ، فلا يطلبون إلا ما توجبه السنة وتطلبه ، ولا يلزمون - ومعاذ الله - مكسا ولا مغرما ولا قبالة»<sup>(١٩٤)</sup> .

ويبدو أن مساعى الموحدين فى هذا المجال كانت جادة حقيقة بحيث أشاد المؤرخون والرحالة بمسلكتهم فى ذلك . يذكر الإدريسى تعقبا على شيوع القبالات فى العصر المرابطى :

« فلما ولى المصاميد - يقصد الموحدين - وصار الأمر إليهم ، قطعوا القبالات بكل وجه ، وأراحوا منها ، واستحلوا قتل المتقبلين لها ، ولا تذكر الآن القبالة ذكرا فى شئ من بلاد المصامدة»<sup>(١٩٥)</sup> .

#### ثانيا : القبالات الخاصة :

نقصد بها تلك التى كانت تعقد بين أفراد المجتمع على ما يمتلك أحدهما من أملاك ويتقبلها منه الآخر . وأحيانا - ترد هذه القبالات فى المصادر وخصوصا الفقهية بمعنى الكراء<sup>(١٩٦)</sup> . شملت هذه القبالات ، الأراضى الزراعية ، والدور

والفنادق والحمامات والجنان والملاحات والأرحاء والأفران ومعاصر الزيت ومضارب الطوب والحوانيت وغيرها .

ووجود هذه القبالات في المغرب والأندلس قديم بدليل ما ورد عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقي وقبالة الأرض الزراعية<sup>(١٩٧)</sup> ، كما أن وثائق ابن العطار القرطبي التي احتوت نماذج عديدة من وثائق وعقود لهذه القبالات تؤكد شيوع هذه المعاملة الإسلامية في عصر بني أمية<sup>(١٩٨)</sup> ويؤكد كتاب ابن مغيث الطليطلي في علم الشروط استمرارها في المغرب والأندلس في عصر ملوك الطوائف والعدوة المغربية<sup>(١٩٩)</sup> ، كما تثبت فتاوى ابن رشد<sup>(٢٠٠)</sup> ووثائق المراكشي<sup>(٢٠١)</sup> ، واحتساب ابن عبدون<sup>(٢٠٢)</sup> على المتقبلين ، وفتاوى الونشريسي<sup>(٢٠٣)</sup> ، أنها صارت من المعاملات الإسلامية الأساسية في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين والموحدين<sup>(٢٠٤)</sup> .

وكان من عادة المسلمين التوثيق في المعاملات الإسلامية ، وتحري الدقة المتناهية فيما يثبت في الوثائق . ولذا لجأوا إلى الفقهاء الموثقين لكتابة وثيقة القبالة لمعرفة ما لهم وما عليهم في القبالة . وقد حفظت لنا كتب الوثائق والسجلات العديد من النماذج لهذه الوثائق<sup>(٢٠٥)</sup> مما ساعدنا كثيرا في معرفة أشكال هذه القبالات الخاصة وأنواعها والشروط التي يجب توافرها في القبالة الصحيحة ، على سنة المسلمين في قبالاتهم .

ومن خلال تلك الوثائق علمنا أن العقد يكون شاملا مواصفات العين المتقبلة كاملة . فبعد معاينة العين أو الملك من المتقبل يحدد للموثق موقع العين ليثبتته في العقد ، كأن يكون خارج المدينة فيحدده في أي ناحية أو ربض ، أو كان داخل المدينة فبأي حومة أو درب<sup>(٢٠٦)</sup> . ثم بعد ذلك تثبت حدود العين من الجهات الأربع ، ويحدد اسم مالكيها إذا كانت أملاك خاصة ، ثم يؤتى على مكونات العين بالمساحة أولا وما تحويه هذه المساحة من إشغالات . فالدور بما فيها من منازل وحجرات وأشجار وآبار<sup>(٢٠٧)</sup> ، والفنادق بما فيها من منافع وحقوق ومرافق داخلية فيه وخارجة عنه<sup>(٢٠٨)</sup> ، والحمامات وما تحويه من حقوق ومنافع ومرافق داخلية

وخارجة ومصاطب ورخام وبنيان وقذور ، وبئر سانيّة وصهريجه وسقائفه المعدة للزبل ومجارى مياهه وغيرها<sup>(٢٠٩)</sup> ، والجنان بقاعاتها وبنيانها ودارها المعدة للسكنى ، والبئر والصهريج والجزء التابع لها من سواد الأرض<sup>(٢١٠)</sup> ، والملاحات بأحواضها التى يكون فيها مرافق الملاحه سواء كانت أقيية أو سواقى ، وبئر الملاحه إن كان هناك بئر<sup>(٢١١)</sup> ، والأرحاء التى يحدد موقعها على النهر الفلانى ثم ما تشمله من سد النهر وأحجارها ومنافعها وأسرتها وبيتها وقنواتها ومحط وارداتها<sup>(٢١٢)</sup> ، والأفران بما لها من حقوق ومنافع من قبو ومصاطب وآلات وموضع حطب<sup>(٢١٣)</sup> ومعاصر الزيت بمنافعها ومرافقها وقصاريها وأحواضها وبركتها<sup>(٢١٤)</sup> ، ومضارب الطوب بجميع حقوقها ومنافعها<sup>(٢١٥)</sup> والحوائيت التى يحدد مكانها فى سوق العطارين أو السعافين أو غير ذلك ومرافقها الداخلة فيها والخارجة عنها ومصطبتها وألواح غلقها<sup>(٢١٦)</sup> وهكذا . تم تحدد مدة القبالة فى العقد على ما يتفق الطرفان كأن تكون سنة أو سنتين أو أكثر ، مبينة بدايتها بشهر كذا من سنة كذا ، ونهايتها كذلك<sup>(٢١٧)</sup> ويكتب بعد ذلك المبالغ المتفق عليه لقبالة العين بالدينار أو الدراهم ، وكيف ستؤدى هل بالشهر أو بالسنة أو بالشهرين أو الثلاثة أو الأربع أو النصف سنة أو السنة حسب طبيعة العين المقبلة أو ظروف المستقبل ، ورضى صاحب العين<sup>(٢١٨)</sup> وإذا تم الاتفاق على المدة ومبلغ القبالة لبراءة للمستقبل فى التخلص من أدائها على الوجه الذى اتفقا عليه<sup>(٢١٩)</sup> وإذا أدى المستقبل جزءا من القبالة مقدما أو حتى دفعها جملة واحدة وبالذات فى العين المضمونة<sup>(٢٢٠)</sup> يوضح ذلك فى العقد وإذا كانت القبالة من النوع الذى يتعرض للجوائح يمكن للمستقبل دفع القبالة تطوعا منه<sup>(٢٢١)</sup> ، كل هذه الأمور تبين فى عقود القبالات .

ليس معنى ذلك أن كل الناس ذهبوا إلى الموثقين وعقدوا القبالات كتابة ، بل منهم من اتفق مشافهة دون كتابة وثيقة أو كتب وثيقة ، ونسى أن يسجل بها كل محتويات الشئ المقبل . ومن هنا حدثت بعض المشاكل من القبالات ورفعت إلى الفقهاء من أجل الإفتاء فيها وتبين وجه الحق ليعرف كل ذى حق حقه فى القبالة ، وهذا يجرنا إلى موضوع غاية فى الأهمية لهذا البحث ألا وهو موقف الفقهاء من القبالات بصفة عامة .

## الفقهاء والقبالات :

عرفنا أن الرسول ﷺ كان أول من أصلح من هذا النظام وبين للناس في زمانه حلال القبالات من حرامها . ولكن نظام التقبيل بدأ بعده يخرج قليلاً عن إطار الشرع الإسلامى عن طريق المخالفات الفردية التى سهل حلها من جانب الصحابة والفقهاء من التابعين ، بعد تبيانها للناس . ونجحوا فى ذلك إلى حد كبير ، لتمسكهم بهدى رسول ﷺ وما أن إتسع نظام التقبيل بعد تغير أحوال المسلمين وانقلاب الخلافة إلى ملك متوارث واحتياج الحكام إلى الأموال احتياجاً شديداً - كما علمنا - حتى ثقلت مهمة الفقهاء بعد أن خرج نظام القبالات عن مساره الصحيح وتبدلت أحواله تحت سمع وبصر الحكام . ومن أجل الإصلاح قصد الفقهاء فى البداية الخلفاء وأولى الأمر بتوجيهاتهم فى صورة نصائح تبين وجه الحقيقة فى هذا الموضوع وقد جسد لنا موقف الفقهاء القاضى أبو يوسف<sup>(٢٢٢)</sup> الذى أخذ على عاتقه مهمة تصحيح المسار فى نظام التقبيل فبين للخليفة هارون الرشيد ما كان يفعله المتقبلون فى أهل الخراج من حيث زيادته وطريقة جبايته الفظة وسوء المعاملة ، وحذر الخليفة من مغبة هذا الأمر وأن ذلك سوف يفضى إلى خراب الأرضين وإنكسار الخراج ، وأعلنها صراحة أمام الخليفة كراهيته للتقبيل ليس من أجل النظام نفسه وإنما لأنه لا يأمن المتقبل ، فأوصى أن يتقبل المتقبل خراج ناحية من النواحي ترضى أهل الخراج أنفسهم ، وأن يسير المتقبل فى الجباية سيرة حسنة ، وأن يكون صادقاً وأميناً لا يأخذ أكثر مما دفع ، ومن أجل تحقيق ذلك يعين معه أمير يراقبه ويدفع لهذا الأمير من بيت المال ، حتى لا يتوطأ مع المتقبل ، لوحاد هذا المتقبل عن جادة الصواب ، فيمنع به الظلم عن الرعية ولا يحملوا ما لا طاقة لهم به .



ولا يعلم هل طبق هارون الرشيد ما نصح به قاضيه أم لا ولكن واقع الأحداث في دولة بني العباس يثبت أن تلك النصائح صارت سامية وصفحات ناصعة في كتاب الخراج لأبي يوسف ، يقتضى بها الفقهاء ويدرسونها للاقتلاء بها عند الحاجة والضرورة ، أما النظام نفسه فسار في طريقه ولم يقتصر على الخراج فقط ولكن شمل خطأ هامة في الإدارة<sup>(٢٢٣)</sup> .

وإذا كان هذا الموضوع قد تمخض عن موقف أولى الأمر ، بغض الطرف عن التجاوزات الشرعية وتجاهلهم نصائح الفقهاء ، فماذا كان موقف فقهاء المغرب والأندلس من هذا النظام ؟

اتجه فقهاء المغرب والأندلس في محاربة الأهواء والبدع نحو الالتزام بما جاء به القرآن والسنة كنصوص ثابتة ، مطبقين في السنة ما روى عن الإمام مالك بن أنس إمام المدينة الذي لم يحفظ لأحد من أهل العلم بالمغرب الإسلامى مثلاً حفظ له بعد أن أخذت البلاد بمذهبه . وصار موطأ الإمام وعلمه الذى دونه علماء وفقهاء المغرب والأندلس الأوائل الذين تتلمذوا على يد الإمام وسمعوا منه مباشرة<sup>(٢٢٤)</sup> ، أساس الفتوى والتطبيق في المجتمع .

بالنسبة للقبالات فقد كان موقف فقهاء المغرب والأندلس بصفة عامة موقفاً صلباً في تطبيق أحكام الشرع على مذهب الإمام مالك ، وأسفرت جهودهم في نهاية الأمر عن حمل المجتمع على السير بمنهج وشرع قويم في نظام القبالات على المستويين العام والخاص .

### الفقهاء والقبالات العامة :

يمكننا معالجة موقف الفقهاء من القبالات العامة على محورين :

الأول : بيان الفقهاء وجه الحق فيها والمحافظة على الشرع من خلال حفظ حق طرفي القبالة ، وذلك بالنسبة لقبالات الأقباس .



### الثانى : الاحتساب على المتقبلين فى الضرائب :

أما بالنسبة للمحور الأول ، فقد نجح الفقهاء فى مهمتهم الشرعية أيما نجاح ، وساعدتهم الظروف فى ذلك حيث كان لهم الحق فى نظر الأراضى المحبسة بالمغرب والأندلس ، وذلك عن طريق القاضى ومعاونيه الفقهاء ثم فى وجهة نظر صاحب الأحباس ، وكان فقيها أيضاً<sup>(٢٢٥)</sup> لذا أفتوا وطبقوا فى الحياة العملية دون تدخل من الحكام وأولى الأمر فى ذلك . وزادهم حرصاً على تطبيق أحكام الشرع أن تلك الأحباس كانت متصلة بفقراء المسلمين ومساكينهم ومرضاهم وأماكن عبادتهم ، لذا نجدهم يحافظون عليها من جور أولى الأمر<sup>(٢٢٦)</sup> ، ومن متقبليها الذين طمعوا فيها لطول مكثهم فى قبالتها . وكانت هذه النقطة مثار جدل وخلاف بين الفقهاء فى المغرب والأندلس بسبب اختلاف ما نقله الرواة المغاربة والأندلسيين عن الإمام مالك فى أملاك الأحباس ، وبالذات إذا كانت القبالة لأقوام بأعيانهم ، ولكن الجميع أقر فى النهاية بأن قبالتها لا تجوز إلا لعامين أو نحوها ، وهذا ما نقله ابن القاسم عن مالك<sup>(٢٢٧)</sup> . وتأكد ذلك بما نقله أشهب عن مالك من أنه لا تجوز قبالة أقوام بأعيانهم لمدة طويلة ، كأن تكون عشرين عاماً أو خمس وعشرين عاماً<sup>(٢٢٨)</sup> والهدف من وراء ذلك حرص الفقهاء على المحبس عليهم من الفقراء والمساكين ، لأنه ربما يموت خلال المدة الطويلة بعضهم فتنتقض القبالة بذلك ولا يحصل ابنه على شئ حتى تنتهى مدة القبالة . أما فى المدة القصيرة فيكون فى إمكانهم إدخال الابن فى هذه الأحباس<sup>(٢٢٩)</sup> ولذا نقص الفقهاء فى فتاويهم كراء أملاك الأحباس للمدة الطويلة . وأما ما أمثلة تطبيقية على ذلك فقد أفتى ابن سهل عندما سئل فى إشبيلية من جماعة من أهل بطليوس عن أرض محبسة على نساء كانت فى أيديهن، اكروها لجماعة على خمسين عاماً، وغرسها المكثرون فلما مضى من الكراء ثمانى سنوات قامت النساء

بطلب فسخ الكراء ، فأجاب بنقض الكراء وفسخه لطول المدة وخروجها عن المعروف<sup>(٢٣٠)</sup> . كذلك أفتى ابن القطان في جنة بجهة الزهراء شرقى قرطبة تقبلت لثلاثة عشر عاماً بفسخ القبالة لطول المدة<sup>(٢٣١)</sup> .

وقد استحسن الفقهاء كذلك في الأحباس المخصصة للمساجد والمرضى والمساكين قصر المدة ، كأن تكون أربع سنوات لا أكثر ، وذلك خوفاً من أن تتدرس لطول مكثها في أيدي متقبليها<sup>(٢٣٢)</sup> . ورأى أهل البصر بالزراعة وأمورها أن هذه المدة أقصى ما يبقى الزبل في الأرض من عمل المتقبل<sup>(٢٣٣)</sup> . كذلك حرص البعض الآخر من أهل الاحتياط أن لا تقبل تلك الأراضي لمن يجاورهم مخافة أن يتحيف عليها<sup>(٢٣٤)</sup> ، ولا من ذى قدرة خوفاً من ضمها إلى أملاكه<sup>(٢٣٥)</sup> . وقد جرى العمل على ذلك في الأندلس اقتداء بعمل أهل قرطبة في ذلك<sup>(٢٣٦)</sup> .

ومن ناحية أخرى نجد القائمين على هذه الأملاك المحبسة من القضاة ومعاونيهم حريصين على ألا يتركوها دون استغلال ، مما يفقدها فائدتها بالنسبة للمحبس عليهم ، لذا إما يسلموها للمحبس عليهم ولهم حرية التصرف إما بزراعتها أو تقبيلها<sup>(٢٣٧)</sup> ، وإما إنهم تساهلوا في كثير من الأحيان مع متقبليها دون تفريط في حقوق المحبس عليهم مثلما كان يحدث بقرطبة التى اعتاد قضاتها الإحسان إلى متقبلي أملاك الأحباس سواء كانت أراضي ودور وحوانيب أو غير ذلك<sup>(٢٣٨)</sup> ؛ وبالذات إذا اشتكوا وضیعة أو جائحة من جراء الجيوش المحاربة أو حشرات الأرض أو توالى القحط أو غير ذلك . فكانوا يسقطون عنهم أقساط ونسباً من القبالة حسب إجتهدهم وظروف العين المتقبل ، حتى صار ذلك كالشرط من متقبلي أملاك الأحباس بقرطبة ، فعندما كانوا يقيموا حجتهم فيما نزل بهم يسقط عنهم مثلما حدث في عهد القاضى ابن بشر الذى أسقط عن متقبلي جنات الأحباس في الجهة الشرقية من قرطبة

الثالث ، وذلك بسبب جائحة الخشخاش وامتناع السناية ، واسقط على متقبلي الجنات الغربية من قرطبة الربع بسبب جائحة القنليات والخشخاش<sup>(٢٣٩)</sup>. وهكذا، تجنباً لمشكلة ترك المتقبليين لهذه الجنات ، كره بعض الفقهاء ذلك عندما شاورهم القاضي ابن الصغار عارضاً عليهم قضية إسقاط جزء من قبالة المتقبليين لأراضي وأملاك الأعباس في قرطبة وقالوا « بكثرة ما أسقط عليهم » وقال أحدهم « ولست أتقصد أن يوهب لهم للاستيلاف إلا من نصف العشر إلى العشر وهذا أقصى ما خبرته في عمري وأدركته في سني »<sup>(٢٤٠)</sup>.

ويبدو أن حرص قضاة قرطبة على تقبيل هذه الأملاك ومعرفة مصلحة المحبس عليهم جعلهم يتساهلون بأقصى ما يستطيعون حتى في ضوابط القبالات الصحيحة شرعاً ، وذلك من أجل تشجيع الناس على التناقص في قبالتها .

وقد دفع ذلك بعض الفقهاء مثل ابن دحون القرطبي<sup>(٢٤١)</sup> إلى القول في صراحة أنها « أمور محدثة وأن هذه القبالات مع هذه الأحوال فاسد وضرر ولا يجوز » وينصح ابن الصغار القاضي المستشار بفسخ ما بقي من مدة القبالة . ويبدو أن تساهل قضاة قرطبة والقائمين على الأعباس مع المتقبليين ومحاولة استتلاف قلوبهم قد أثار حفيظته غيرة على الحق ، وبالذات لأنهم عينوا مشرفين لمعاينة الجوائح النازلة في أملاك الأعباس ، فقال للقاضي « واحمل الناس على ما كان عليه السلف في أثبات حوائجهم ، فليس يأتي آخر هذه الأمة بخير ما كان عليه أولها »<sup>(٢٤٢)</sup> . ولكن القضاة والقائمين على الأعباس ساروا في طريقهم مجتهدين في تقبيل أملاك الأعباس على العادة الجارية عندهم ، مستشهدين بمن سبقهم من القضاة وإحسانهم إلى متقبلي جنات الأعباس ، وذلك لما يرونه من رغبة الناس في قبالتها<sup>(٢٤٣)</sup> ونصح الفقيه ابن الشقاق<sup>(٢٤٤)</sup> القاضي المستشار ابن الصغار بقوله « ينبغي

أن تسلك فيهم سبيل من تقدمك من الرفق بهم والإحسان إليهم ، وعلى المعهود فيك فإن ذلك من النظر في الأحباس ، وبذلك ترتفع قبالاتها ويتأسف فيها <sup>(٢٤٥)</sup> وشجعه الفقيه ابن سلمون المسيلي القرطبي <sup>(٢٤٦)</sup> بفتواه التي تقرر الاجتهاد في مثل تلك المسائل قائلاً « إنها مسألة إجتهد من جانب القضاة والرأى لا يجوز نقضها » <sup>(٢٤٧)</sup> .

أما بقية الأملاك المحبسة من دور وحمامات . فقد سعى فيها فقهاء قرطبة بذات السبيل ، فحطوا عنهم من القبالات عند تعذر عمارة الدور لمكروه نزل بالبلد أو الدار ، خاصة وقد رجع الحط إلى نظر القاضي الذي كان يحدد مقداره وقيمه ، ومعه الناظر في الأحباس ، مثلما كان يحدث مع متقلى الحمامات الذين شكوا يوماً إلى القاضي عبد الرحمن بن محمد بن فطيس <sup>(٢٤٨)</sup> قلة الموردة - أى الواردين عليهم - وتعذر الحرق لتوالى الأمطار . فشاور القاضي من حضر من الفقهاء وأهل العلم ، وبعدها قرر إسقاط القبالة عن متقلى الحمامات شهراً واحداً <sup>(٢٤٩)</sup> ، وذلك حتى لا تتفسخ القبالة وتظل هذه الحمامات دون متقيلين مما يضر بالمحبس عليهم من الفقراء والمساكين أو حتى دور العبادة .

#### الثانى : الاحتساب على متقلى الضرائب :

وقف الفقهاء فى المغرب والأندلس بما لهم من مكانة علمية ودينية واجتماعية أمام الحكام فى سبيل الضرائب الزائدة التى أشرنا إليها قبل ذلك، بل منهم من شهر ذلك فى وجه الحكام وبالذات إذا استعان بهم الناس فى سبيل رفع الظلم عنهم . فهذا حفص بن عمر الجزرى <sup>(٢٥٠)</sup> قصده الناس ليتوسط عند الحاكم الأغلبى ( أبو العباس عبد الله بن إبراهيم الأغلبى (٢٨٩-٢٩٠هـ / ٩٠٢-٩٠٣م) ليسقط عنهم تلك الضريبة الثقيلة التى فرضها على كل زوج من الحيوانات يحرث ، وكان مقدارها ثمانية

دنائير<sup>(٢٥١)</sup> ، والتي ضاق بها الناس ذرعاً فأخذ حفص الناس ودخل على أبي العباس وقال له « أيها الأمير اتق الله الذي إليه مصيرك وأرحم شبابك هذا ، وأحذر على وجهك الجميل النار ، وخفف عن الناس ، وأسقط عنهم ما وضعت على الأزواج من هذه الدنائير » . فأبى وقال : « لا أحط شيئاً » . فاجتمع حفص بالناس وصلوا ودعوا عليه فمات<sup>(٢٥٢)</sup> . وكانت هذه الضرائب من نقاط الضعف في دولة بني الأغلب بأفريقية استغلها أبو عبد الله الشيعي داعي الفاطميين وتظاهر هو نفسه بالتعفف عن مثل هذه الأموال وجمعها<sup>(٢٥٣)</sup> . ولكن ما هي إلا سنوات حتى عادت السيرة في فرض هذه الضرائب الزائدة من قبل الفاطميين ، بل زادوها عما كانت ، وتدخل الفقهاء من أجل محوها . ويكفي أن نتذكر هنا موقف الزاهد الفقيه السدري الذي واجه عبيد الله المهدي ونفى عنه إمارة المؤمنين بسبب هذه الضرائب وسبب السلف<sup>(٢٥٤)</sup> . كما ضرب الفقهاء المثل للعامة بعدم المبادرة في تأديّة هذه الضرائب والمكوس ، فنجد إسماعيل بن رباح الجزري<sup>(٢٥٥)</sup> الذي أراد مرة أن يشتري دابة من القيروان فقبل له « أنهم يأخذون ربع درهم على الباب » فرجع وقال « والله لا أشتري من هنا وليس بي ما ذكرتم ولكن يقال فلان أعطى حق الباب فيرون أنه حلال »<sup>(٢٥٦)</sup> .

كذلك شاعت هذه الضرائب الزائدة عند الزيريين ملوك زناتة بالمغرب ، وملوك الطوائف في الأندلس ، فاستغاثت الرعية في كل هذه المناطق بالمرابطين لما علموا أنهم لا يأخذون سوى العشر والزكاة والصدقات فقط . ووسطوا في استغاثتهم هذه الفقهاء الذين أفتوا بعدم صلاحية هؤلاء الحكام - على الأقل في الأندلس -<sup>(٢٥٧)</sup> لما يرتكبون في حق الرعية . ولكن تلك السيرة الحسنة في الجباية لم تدم طويلاً وترسم أمراء المرابطين سيرة من سبقهم في فرض ضرائب زائدة كثيرة ، تعددت أسماؤها توسعوا

فى تقبيل هذه الضرائب والمكوس حتى صار كل شى فى دولة المرابطين مقبلاً<sup>(٢٥٨)</sup>. وكان أن أنبرى الفقهاء - بعد نقشى هذا النظام وعدم قدرتهم على تغييره ورد الأمور إلى نصابها - للإصلاح من نظام القبالات ، وجعله شريعاً ، وذلك عن طريق الاحتساب أو الأمر فيه بالمعروف والنهى عن المنكر فى تحصيل الأموال التى يسدها المتقبلون لخزينة الدولة ، والتى كانوا يجمعونها من الناس بالشدة وسوء المعاملة والتحايل والزيادة . وقد جسد لنا ابن عبدون موقف الفقهاء من المتقبلين وجشعهم ، فاحتسب أولاً على الذين يتعاملون مباشرة مع الناس مثل صاحب الباب الذى يأخذ منهم رسم الباب فقد جرت عادته أن يغلق الأبواب مبكراً ويأخذ من الناس أكثر من الواجب . وكانت عندهم الرغبة الشديدة فى الزيادة والشطط وإيتدعوا من أجل ذلك أبواباً من الظلم وتسببوا فى أكل أموال الناس بالباطل . والعجيب أن ابن عبدون يقول « يجب أن يحد للبواب ما يأخذ ممن يدخل عليه » وكلن الأولى نهيه عن قطع رسم الباب نهائياً<sup>(٢٥٩)</sup> .

أما القباض وأعوانهم من العاملين مع المتقبلين فقد وصفوا بأنهم «لصوص عارفون بوجوه المكر والشر» ولذا يجب ألا يقبضوا من الناس إلا « بميزان العدل وصنوج الحق وكيل القسط » فلا زيادة ولا حيف ، كما يجب أن يأخذوا بالحسنى وأن لا يهينوا أحداً ولا يتعدوا على أحد<sup>(٢٦٠)</sup> .

أما المتقبل نفسه الذى تعرض لنقد المجتمع ونبذه قبل الفقهاء فقد شن عليه ابن عبدون<sup>(٢٦١)</sup> حملة تدل على سوء سيرة المتقبلين فى ذلك العصر وتدنى مكانتهم الاجتماعية بسبب إقبالهم على هذا العمل الذى يدفع بصاحبه إلى المفاصد وطلب الحرام . فوصمه بكل نقيصة وقال عنه « هو شر خلق الله وهو بمنزلة الزنبور الذى خلق للضرر لا للنفع فهو يجرى ويسعى لضرر المسلمين أبداً . ويفتح أبواب الضرر عليهم ويغلق أبواب الخير والنفع عنهم ،

ملعون من الله ومن الناس أجمعين»<sup>(٢٦٢)</sup> وأنه « لا ذمة له ولا دين »<sup>(٢٦٣)</sup> وأنه « هو الملعون بحق »<sup>(٢٦٤)</sup> وقد أنزله بمنزلة الشرطى المنبوذ وقال « يجب ألا يترك أحد من المتقبلين .... بزي كبار الناس ولازى رجل خير بل يجب أن يمقتوا ويهجروا ولا يسلم عليهم ... ويجب أن تكون لهم علامة يعرفون بها على سبيل الخزى لهم »<sup>(٢٦٥)</sup> كما أدخلهم فى زمرة حزب الشيطان الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله « أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون »<sup>(٢٦٦)</sup> وما ذلك إلا لجشع المتقبلين وتعتيهم على حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل بادعائهم أن ما يأخذونه للسلطان<sup>(٢٦٧)</sup> . والواضح أن الحكام غضوا الطرف عما يفعله المتقبلون بالناس وتركوا لهم الحبل على الغارب ، أو تركوا أمرهم للوزير صاحب المدينة . ويبدو أنه كان يحدث تفاهم بين الطرفين ليكون المتقبل حراً فى جباية أمواله بطريقته ، ولذا قال ابن عبدون<sup>(٢٦٨)</sup> « يجب أن يحد له ما يؤخذ ولا يترك ذلك لاختياره هو أو حتى يصطلح عليه مع الوزير ، إلا أن يكون ذلك بحكم القاضى » . ولذا ينصح ابن عبدون القاضى<sup>(٢٦٩)</sup> أن يحد له فإذا أخذ مكس الرحاب فلا يأخذ على الفقير إلا نصف مد بالكيل ، ومن حمل الدقيق نصف رطل بالكيل ، ويكون على المائة ربع من الفهم شئ معلوم لا يتجاوزه<sup>(٢٧٠)</sup> ، وفى السوق حبة على الكبش . ويجب ألا يأخذ قبالة ممن يبيع فى داره طعاماً أو زيتاً لأن السلطان أخذ أعشار أثمانها من قبل<sup>(٢٧١)</sup> وحذر من يشتري أضحية أن يدفع عليها قبالة لأنها قد أخذت من الجلابين<sup>(٢٧٢)</sup> . ويبدو أن المتقبلين اشتطوا فى أخذ قبالات البهائم والدواب ، لذا قال ابن عبدون « يجب أن يكون ما يغرم فى القبالة على الدابة والبهيمة معلوماً لئلا يزداد فى ذلك كل وقت »<sup>(٢٧٣)</sup> .

ولكى ينضبط عمل المتقبل ويرفع الظلم والحيث عن الرعية لجشع المتقبلين ، نصح ابن عبدون القاضي « أن يستحلفه - أى المتقبل - ويحد له ما يصنع فى تصرفه ولا يتركه يتحكم فى أموال الناس باختياره أو ما يراه صواب من أجل منفعته الخاصة<sup>(٢٧٤)</sup> . وإذا اخطأ وعرف خطأه يغلظ له القاضى القول والتوبيخ<sup>(٢٧٥)</sup> » . ويرتب له الوزير بحضرته أى القاضى ما يأخذ من الأشياء قبالة معلومة ولا يزيد عليها ولا ينقص ، ومتى تعدى ذلك أدب وسجن ونكل<sup>(٢٧٦)</sup> . ويجب أن يعين عليه من يرقبه ويتفقد أمره فى كل وقت من أجل أموال الناس ولا يترك أمره مهملأ أبداً<sup>(٢٧٧)</sup> . وأخيراً ينصح ابن عبدون أن يعمل زمام أى دفتر بين يدى القاضى ويرفع هذا الزمام بما فيه من قبالات إلى السلطان ويعرض عليه ، ثم ينقح من قبل السلطان والقاضى . ويجب أن يرفق القاضى بالمسلمين فى ذلك . فإذا تم الاتفاق على ما تقبل وانحسرت الأشياء المتقبلة فى هذا الزمام ، تكون عند المشرف منه نسخة وعند القاضى أخرى وعند المتقبل أخرى ، لا يزداد فيها . ويراقب المتقبل من خلال هذا الزمام وتتابع سيرته فى تطبيقه<sup>(٢٧٨)</sup> .

ولكن أمر المتقبل فى العصر المرابطى لم تقومه تلك النصائح ، ولا أثرت فيه توعية الناس ، وذلك لما تمتع به المتقبل من حرية ، فصار يفعل ما يشاء ويجمع الأموال أضعافاً مضاعفة ظلماً وعدواناً . ولذلك احتاج الأمر إلى فقهاء يغيرون المنكر بالقوة يطبقون شرع الله على مثل هؤلاء بسذات الطريقة . وكان أن وجد أهل المغرب والأندلس الخلاص من هؤلاء المتقبلين للضرائب أو المتقبلين العموميين عند المصامدة أو الموحدين الذين - كما علمنا آنفاً - ألغوا كل تلك القبالات من العدوتين . ولكى يمحوا تماماً أثر هذا النظام استحلوا قتل المتقبلين العموميين .



## الفقهاء والقبالات الخاصة :

سارت القبالات بين الأفراد في المجتمع المغربي والأندلسي في مسارها الشرعي الصحيح بعكس القبالات العامة ، وذلك بفضل جهود الفقهاء وقد ساعدتهم في ذلك لجوء الناس إليهم سائلين مستفسرين في مثل تلك المعاملات الإسلامية التي تحروا فيها الحلال . وكذلك حاجة هؤلاء إلى الفقهاء للتوثيق وكتابة العقود الخاصة بالقبالات . ومن حسن الحظ أن الفقهاء المفتين كان أغلبهم من كتاب الوثائق والشروط<sup>(٢٧٩)</sup> ، ومن ثم أبانوا للخاصة والعامة من خلال هذا العمل المزدوج الحلال والحرام في القبالات ، وما تصح به القبالة وما يفسدها . ولم نجد فيما نجد بين أيدينا من وثائق تخص القبالات وثيقة واحدة تخلو من العبارات التالية « قابلة صحيحة بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار » قبالة مبتولة بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار أو « أن هذه القبالة على سنة المسلمين في قبالاتهم » أو « سنة المسلمين في قبالاتهم الجائزة بينهم »<sup>(٢٨٠)</sup> مما يدل على تطبيق دقيق لسنة الرسول ﷺ في القبالات ، حيث نهى عن الشروط المجحفة بالمتقبل أو المالك أو التي فيها ضرر أو غرر لأحد الأطراف . ونهى عن الاستثناء من العين المتقبل لصالح أحد الطرفين أو أن يختار صاحب العين - وبالذات الأرض - أماكن معينة عند القبالة يخص بها نفسه دون المتقبل<sup>(٢٨١)</sup> .

رغم ذلك فإن أمر القبالات لم يخلو من أخطاء أدت إلى منازعات ومشاكل بين طرفي القبالة ، استدعت الاستبيان والاستفسار من الفقهاء من أجل تطبيقها صحيحة وإزالة محل الخلاف بين الطرفين ، والذي كان مبعثه في أغلب الأحيان الجهل بأحكام الشرع في المعاملات بصفة عامة .

على كل حال جاء في كتب الفقه بالإضافة إلى كتب الوثائق والسجلات ما ساعدنا كثيراً على تتبع جهود الفقهاء لحل مشاكل القبالات بين الناس وجعلها مطابقة للشرع .

وقد اختلفت هذه المسائل باختلاف العين المتقبل حيث كان لكل عين مشاكله الخاصة به ، ففي الجنات أو الجنان ، لإتها كانت تضم الأراضي البيضاء والأشجار المثمرة ومكونات أخرى من البيوت المعدة للسكنى والآبار واختلف مساحات الأرض البيضاء المغروسة بالأشجار المثمرة . كثرت مشاكلها واستغلق أمرها على الخواص والعوام ، وخلطوا بالذات بين القبالة والمساقاة، مثل ذلك الذى اكرى جنانا بثلاثين ديناراً ، وفي الجنان شجرتان وعنب وأرض بيضاء ، والشجر أكثره غلة من البياض ، وسموا ذلك بينهما قبالة .

ولكنه بعد أن تقاضى الثلاثين ديناراً أحس بمكروه ذلك العمل ورفع إلى ابن لبابة الفقيه يستفسر عن ذلك ، فأفتاه بأن ذلك لا يجوز فيه الكراء ، وإنما يصح فيه المساقاة . وإن كان الأمر تم بينهما فالواجب قبالة الأرض البيضاء وكيل الثمرة إن كانت يبت . وإن كان أكلها رطبة فيعاملوا فيها معاملة المساقاة<sup>(٢٨٢)</sup> . كذلك أظهر الفقهاء أنه لايجوز لمتقبل الجنان اشتراط الثمرة إلا أن يكون تبعاً لها الثلث فأقل . وضربوا الأمثلة على ذلك لتفسيرها فجمعوا ثمن قبالة الجنة بيضاء من غير الثمرة ، مع ثمن الشجر على المتوسط كما حدث قبل ذلك ، وثن مجهود المتقبل فى العام من المؤنة حتى تباع ، ويسقط ثمن هذا المجهود من ثمن ثمرة الشجر . عندئذ تكون القبالة صحيحة وجائزة فيقولون كم تساوى قبالة هذه الجنة البيضاء من غير ثمرة قيل ستين ( متقالا ) ثم يقال كم تساوى ثمرة شجرها على المتوسط على ما عرف فيما مضى ؟ قيل أربعين متقالا ثم يسئل أهل البصر بالزراعة كم يساوى سقى المتقبل لها فى العام ومؤنته فيها إلى أن تباع قيل : عشرة مثاقيل ، فتسقط العشرة من الأربعين ثمن الثمرة ، وتبقى ثلاثون تضيفها إلى الستين التى هى قبالة الأرض البيضاء فتكون تسعين ، فتكون الثلاثين عندئذ

هى الثلث وتكون القبلة جائزة وصحيحة<sup>(٢٨٣)</sup> وإن كان ذلك أزيد من الثلث لم يجر أن يتقبل السواد مع الأرض ، وتدخل الأشجار حينئذ فى حكم المساقاة والأرض فى حكم القبالة بالنقد<sup>(٢٨٤)</sup> .

كذلك أوضح الفقهاء أنه لا يجوز اشتراط النقد فى قبالة الجنان التى تسقى بالآبار ، إلا أن تكون هذه الآبار مأمونة لا ينضب ماؤها فى أى وقت من أوقات السنة<sup>(٢٨٥)</sup> ويجوز للمتقبل قبالة الجنان بآبارها دون آلة إذا كان ذلك برضى المتقبل ، على أن يأخذ آلتها عند انقضاء القبالة<sup>(٢٨٦)</sup> . وأن تهورت البئر أثناء القبالة فالواجب على صاحب الجنان إصلاحها ، فإن أبى يصلحها للمتقبل ويخصم ذلك من قيمة القبالة ، ولكن بشرط أن ينفق كراء سنة بلا مزيد عليها<sup>(٢٨٧)</sup> . وإذا كانت البئر تغور مياهها ويؤثر ذلك على المتقبل، فإنه يسقط من القبالة قيمة المدة التى تغور فيها مياه البئر ، لما يحدث ذلك من تأثير ضار على الزرع<sup>(٢٨٨)</sup> . وكذلك إن توالى الأمطار ومنعته من الزراعة والانتفاع بقاع هذه الجنان فيوضع عنه من القبالة على قدر نفاق الشهور وكسادها<sup>(٢٨٩)</sup> . ومن طريف ما يحكى فى قبالات الجنان أن رجلين تقبلا جنانا مشتركين وغرسا فيها ، وأباح أحدهما للآخر أن يغرس فى أطراف الأحواض والشجر ، ففعل الثانى وغرس بصلا ، فلما بلغت القلع ندم الآخر وأراد أن يدخل معه فيما غرس ، فقصدا الفقهاء للفتوى فأجيبا : ليس له فى ذلك سبيل فلا يأخذ من البصل ولكن له أن يمنع من الغرس فيما بعد أو أن يستقل بشئ<sup>(٢٩٠)</sup> .

أما عن الأرجاء أو الطواحين ،، فقد أجمع الفقهاء على أن تكون سليمة قائمة تعمل مستوفية الآلة عند قبالتها ، وأن تكون على الأنهار المأمونة ولا تخرب أسدادها ولا قنواتها<sup>(٢٩١)</sup> ، وإن يقبلها المتقبل بهذا الشكل ، سليمة طاحنة . وجميع ما ينفق فى إصلاحها على المقبل . ولا يجوز أن يشترط على المتقبل فى ذلك إلا ما كان يسيرا ، مثل إصلاح المغازل والحديد

والأمشاط . ولا يتعدى الإصلاح الدرهمين أو الثلاثة<sup>(٢٩٢)</sup> . وأجمع الفقهاء أيضاً على أن الأرحى إذا لم تكن مأمونة من نقصان الماء بسبب القحط أو زيادته لكثرة الأمطار أو خراب سدها بسبب السيل ، فإنه لا يجوز اشتراط النقد فيها ، إلا أن يتطوع المتقبل بذلك . ويحق له عندئذ القيام على صاحب الرحى عند حدوث ما يمنع الطحن من نقصان الماء وزيادته ، ويحيط عنه القبالة التى توقفت فيها الأرحى عن الطحن<sup>(٢٩٣)</sup> . ومن ناحية المقبل لا يجوز له أن يشترط إسقاط القيام من جانب المتقبل بزيادة الماء أو نقصانه . وإذا حدث هذا فلا بد من فسخ القبالة<sup>(٢٩٤)</sup> . وقد أنكر ابن حبيب ما أحدثه أهل الأندلس من الاستثناء فى القبالات قائلاً : والذى أحدث أهل الأندلس فى اكراء الأرجاء أن يقول المكري إنما أكريتك البيت وقناة الرحى ، ولا أكريتك سانية ولا مطاحن ولا شئ من الأداة ، فتلك مغرة واحتيال<sup>(٢٩٥)</sup> . ولكن أجاز - وغيره - أن يتقبل الشخص منصب الرحى ، ويقيم هو الآلة كلها من ماله ، ويرجع بيت الرحى عند انقضاء القبالة إلى المقبل فارغاً ، وإن كان لصاحبها فيها آلة ودخلت فى القبالة تكتب فى الوثيقة وتوصف<sup>(٢٩٦)</sup> . أما عن مدة قبالة الأرحاء فقد نقل المراكشى<sup>(٢٩٧)</sup> ، أن الرحى المأمونة لا بأس باكثرائها وتقبلها المدة الطويلة ، ما عدا تلك التى تطحن فى فترة معلومة والتى لا تجوز قبالتها إلا فى وقت استقامتها للطحن ، حيث يعلم أن ماءها لا ينقطع عنها ولا يتبدل حالها .

واشتد انتقاد الفقهاء فى الأندلس على بعض فقهاء طليطلة الذين كانوا يعقدون قبالات غير جائزة بالتحايل ، حتى يبرعوا المقبل من كل شئ ، فيشترطون على المتقبل ضمان جميع ما لزمه حتى ولو كان فيه غرر ويعفوا ربها من القيام بإصلاح أى شئ يفسد . فقال الفقهاء بأن ذلك لا يجوز ، وغرر كبير لا يدري مبلغه<sup>(٢٩٨)</sup> .

وأمامنا بعض الأمثلة التطبيقية عن تطبيق الشرع وحماية الطرفين من الظلم والتعدي ، سواء كان ذلك عن قصد أو عن جهل بأمور المعاملات . من ذلك مثلاً ما عرض على فقهاء قرطبة ، من أن الفقيه محمد بن دحون عقد وثيقة في قبالة رحي تتعذر شتاء وتستقيم صيفاً ، فأجابوا بأن القبالة في هذه الحالة لا تجوز لأن الرحي غير مأمونة<sup>(٢٩٩)</sup> . وسئل ابن رشد عن المتقبلين للأرحى إذا قل الواردون للطحن ، فهل يحط ذلك من القبالة أم لا ؟ فأجاب إذ حدث ذلك لجهد أصاب المكان وما شابه ذلك كان ذلك عيباً فيما تقبل ، فيكون عندئذ مخيراً بين أن يتمسك بقبالته أو ردها . فإن سكت لا تسقط عنه القبالة التي لا تسقط إلا بجلاء أهل ذلك الموضع وتصير الرحي معطلة لا تطحن بسبب الفتن<sup>(٣٠٠)</sup> .

وأخيراً يجب أن نذكر أن فقهاء المغرب والأندلس أجازوا للناس قبالة الأرحاء بالطعام الموصوف ، أو الدقيق الموصوف ، كأن يقول الموثق بعد اتفاق الطرفين على ذلك « وكذا مدياً شطرها قمح أحمر ريون فاخر ممثلي طيب غاية الطيب وشطرها شعير أبيض يابس فاخر ممثلي نقي طيب غاية الطيب يكيل كذا يؤديها المتقبل فلان على تتجيم كذا ، الخ<sup>(٣٠١)</sup> .

وأظهروا للناس في قبالات الفنادق أن القبالات تحط عن المتقبلين للفنادق في أحوال الفتنة وجلاء الناس وقلة الواردين على الفنادق<sup>(٣٠٢)</sup> وفي حالة سير الأمور بطبيعتها نجد الناس يختلفون على أشياء بسيطة مثل زبل الحيوان المستخرج من الفندق . ويبدو أنه كان مهماً في عمليات الزراعة ، ولذا نجد أكثر الناس يشترطون تسلمه محدداً بكيل<sup>(٣٠٣)</sup> . ولذا وجب على الفقهاء تبين وجه الحق فيه وأفتوا بأنه شيء مجهولاً وإذا اشترط المقبل ذلك فسخ الكراء بين الطرفين<sup>(٣٠٤)</sup> إلا أن يتطوع به المتقبل بعد العقد ، عندئذ لا بد له من الوفاء بالتزامه على أساس أن التطوع في المجهولات لازم له<sup>(٣٠٥)</sup> .

وفي قبالة الأقران ، ومن أجل أن تكون قبالتها صحيحة ، يجب أن يكون القرن طابخاً<sup>(٣٠٦)</sup> فإذا انهدم من بنيانه ما يضر بالقبالة لم يجبر المتقبل على بنائه ،

ويقع ذلك على رب القرن ، وإن رفض وتمادى يغرم القبالة وتفسخ<sup>(٣٠٧)</sup> . ونفس الشئ إذا انهدم القبو أو بعضه ، يلزم صاحب القرن بإصلاحه<sup>(٣٠٨)</sup> . ويحط الكراء عن المتقبل إذا عم البلد الغلاء أو الجوع وهرب الناس ، ولم يعد يطبخ فى القرن أحد . وبهذا جرى العمل فى الأندلس<sup>(٣٠٩)</sup> . وأخيراً فى العلاقة بين صاحب القرن والمتقبل أجاز الفقهاء أن يشترط صاحب القرن على المتقبل أن يطبخ فى القرن بدون أجره يدفعها<sup>(٣١٠)</sup> .

أما الحوائت فأبانوا فيها - مثل العيون الأخرى - شروط صحة القبالة ، وأجازوا لمن يتقبلها أن يقبلها بدوره لشخص آخر . ولكن شرطوا ألا يضر ذلك بالعين لأنه ربما قبلها لشخص غير ثقة يضر بحيطانها<sup>(٣١١)</sup> . فإذا تقبل قصار حانوتا وأراد أن يقبله لنجار ، وكانت صناعة النجارة أضرب بالحنوت من صناعة القصار ، عندئذ لصاحب الحانوت أن يفسخ عقد الكراء<sup>(٣١٢)</sup> ، ومن المشاكل التى عرضت على الفقهاء بخصوص قبالة الحوائت ما عرض على ابن رشد من أن المكترى إذا ضعفت تجارته لضعف الناس وقلة التجارة والمعاملة لضعف أحوالهم هل يحط ذلك من القبالة أم لا ؟ فأفتى بأن ذلك ليس بجائحة تحط من القبالة<sup>(٣١٣)</sup> .

وأجاز الفقهاء النقد فى قبالة معاصر الزيت ، على أن يحدد تحديدا دقيقا ويوصف وصفا تاما مع تحديد أمد القبالة بأجل معلوم<sup>(٣١٤)</sup> .

وفى الملاحظات التى كثر حديث الفقهاء عنها أجازوا قبالتها بالنقد والعين ، وبالذات من الملح ، وذلك لأن الملح لا يخرج منها وإنما يتولد بجلب المياه إلى الأحواض وتركه للشمس<sup>(٣١٥)</sup> . وقد اشترط بعض الفقهاء أن يكون شرب الملاحه مأمونا لكى تصح القبالة<sup>(٣١٦)</sup> . وقد نقل صاحب العقد المنظم<sup>(٣١٧)</sup> أن قبالة الملاحه تجوز بكل ما يؤكل ويشرب . وأفتى ابن رشد أن قبالة الملاحه تجوز بالدنانير والدرهم والعروض نقدا إلى أجل جائز ، لا اعتراض فيه وعليه ، فإن قبالة الملاحه عند الفقهاء تجوز بالفضة والذهب والعروض والسلع<sup>(٣١٨)</sup> . ويجب أن نذكر هنا أن فقهاء الأندلس أفتوا بذلك بناء على ما جاء فى العتبية حتى أن ابن

العطار<sup>(٣١٩)</sup> ، قال : « لولا الرواية فى العتية لكان القياس ألا تجوز » « وذلك على الرغم مما رواه ابن زياد عن مالك أنه قال « اكراه أن يعطى الرجل للرجل ملاحظته مع النصف أو الثلث أو الربع أو بعض ما يخرج منها »<sup>(٣٢٠)</sup> ولا تفسير سوى تمسك أهل المغرب والأندلس بالعتية واعتمادهم عليها فى الغالب .

وفى قبالة الحمامات التى احتسب فيها ابن عبدون<sup>(٣٢١)</sup> على المتقبل إذا كانت ملكاً للسلطان وصارت متقبلة ، ونصح الذين يتقبلونها من المتقبليين العموميين - مثل غيرها من الحوانيت والأرحاء أو القوارب - أن يجروا الحكم فيها على ما توجبه السنة ، ولا يقبل زيادة يفرضها عليه المتقبل العمومى ، ويتمسك بقبالته حتى تنتهى مدتها ، ويحمل القاضى مسئولية ذلك أن حدث ، كما ينصح متقبلى الحمامات من النساء<sup>(٣٢٢)</sup> بالاجلسن للتقيل ، لأن المكان موضع تمنع وزنى . ونهى تماماً عن أن يتقبلن فنادق التجار والغرباء ويجلسن فيه لأن ذلك عين الزنا<sup>(٣٢٣)</sup> ، ونجد الفقهاء بعد توضيح شروط صحة القبالة بكتابة الوثيقة ، يجيزون لرب الحمام أن يشترط على المتقبل أن يؤدى إليه كل يوم جمعة فى مدة القبالة كذا بيضة من بيض الدجاج السالم الطرى ، وأن يدخل هو وأهله الحمام المذكور كل يوم جمعة مثلاً أو أحد ، فى مدة القبالة . وعلى المتقبل إعداد الحمام لهم وكل ما يحتاجونه<sup>(٣٢٤)</sup> ، وأفتى ابن حبيب بجواز ذلك لأنه شئ ليس بالمجهول طالما عرف المتقبل ذلك ، وعرف أولاد صاحب الحمام وأهل بيته فى قلتهم وكثرتهم<sup>(٣٢٥)</sup> . وقد قال الفقهاء بأحقية متقبل الحمام فى أن يتقبل أيضاً موضوع قعوده فى الحمام المسمى بالطفال ، والذى يباع فيه أشياء يستعملها الواردون على الحمام وهو موضع حفظ ثيابهم . كذلك ويوجد فيه موضع قعود المتقبل وكراسى وأشياء أخرى فيها منافع للواردين على الحمام للاحتفاظ بحاجاتهم<sup>(٣٢٦)</sup> .

أما قبالة الدور فقد كثرت مشاكلها لكثرة مرافق الدور والأشياء التابعة لها ، مثل الأشجار والعرصات وحجرات المرحاض والآبار . لذا وجب على الفقهاء توضيح أمور الشرع ووضع الأمور فى نصابها وتبين وجه الحق فيما يظهر من

مسائل فى مثل هذه الأشياء . فإذا كان فى الدار شجرة أو شجرات يجوز لرب الدار اشتراطها ، وأن تكون ثمرتها له طوال مدة القبالة<sup>(٣٢٧)</sup> وإذا لم يكن هناك شروط خاصة بحجرة المرحاض فتتظيفها وكنسها على رب الدار<sup>(٣٢٨)</sup> . ولكن يجوز له اشتراط ذلك على المتقبل ، خصوصا إذا كانت هذه الحجرة فارغة عند بداية القبالة<sup>(٣٢٩)</sup> . وروى بعضهم أن تنقية حجرة المرحاض على المتقبل إلا أن تكون فى دور الفنادق فإنها تكون على أربابها<sup>(٣٣٠)</sup> .

وإذا تقبل الشخص الدار على أنها سليمة وانهدم فيها ما أضر به فيكون على صاحبها إصلاحه ، ولكن إذا لم يضر وكان ما انهدم بسيطا فعلى المتقبل إصلاحه . ولا يحط ذلك من القبالة ولكن يجوز له فسخ القبالة ، وأن شاء أصلحه واستمر فى قبالته<sup>(٣٣١)</sup> .

أما عن الآبار داخل الدور فلا تنسخ القبالة لذهاب ماء البئر ونضوبه كلية ، بل تسقط عن المتقبل من القبالة ما يقع فيها على الشهور التى ذهب فيها الماء على قدر نفاق الشهور وكسادها . ويلزم المتقبل ما بقى من مدة القبالة ، إلا أن يكون قد تفاسخا قبل ذلك<sup>(٣٣٢)</sup> .

وإذا اشترط رب الدار على المتقبل أن لا يعمل فيها نارا لقدره وخبزه وعمل المتقبل ذلك فاحترقت الدار أو جزء فيها ، فهو ضامن لذلك وعليه إصلاحها . وأما إذا تشارطا فى ذلك وعمل فيها المتقبل واحترقت فلا ضمان عليه<sup>(٣٣٣)</sup> ، هذا وقد أجاز الفقهاء القبالة للنصارى واليهود ، وذلك إذا لم يعمل فيها ما يضر المجتمع الإسلامى ، كعمل وبيع الخمر أو إظهار دعارة وفسق ، كالزمر وضرب الطنابير ، أو حتى تغيير لهدف القبالة وهو السكنى إلى تخصيصها للعبادة كأن تحول الدار إلى كنيسة لها ناقوس<sup>(٣٣٤)</sup> .

هذا جانب من مجهودات الفقهاء من أجل خدمة الشرع أولا والمجتمع بعد ذلك ، حاولوا فيها بكل الطرق من اتباع واجتهاد وتصحيح وتبيين وتطبيق ووضع حلول لمشاكل الناس فى القبالات أن يعيدوها - أى القبالات - إلى سيرتها الأولى



وأصولها في عهد الرسول ﷺ وأصحابه . يتضح من خلال العرض السابق لموقف الفقهاء من القبالات سواء كانت العامة أو الخاصة أن مجهوداتهم هذه قد أثمرت بالنسبة للقبالات الخاصة ، وسهل لهم ذلك أنهم كانوا القوة والمثل الذي لجأ إليه الناس من أجل تحرى الحلال في معاملاتهم ، فوجدوا العون على تطبيق الشرع وإقامته ، وكانت النتيجة قبالات تنفذ بين الأفراد على أسس من الدين متينة . لهذا استمرت في المغرب والأندلس كمعاملة إسلامية يعمل بها الناس ويحرسها الفقهاء .

أما القبالات العامة فقد بذلوا في سبيل تصحيح مسارها وتسخيرها لخدمة الناس جهوداً كبيرة ، ونجحوا فيما كانوا يتصرفون فيه نقصد قبالات أملاك الأحياس . ولكن الضرائب احتاجت إلى وقت طويل ومجهود متواصل لإصلاحها ، خصوصاً مع وجود الحماية والعون من الحكام الذين كانوا عطشى للأموال - كما أوضحنا من قبل - ففرضوا الضرائب المتعددة . ولضمان وصولها إلى خزائنها قبلوها وجمعوها تعجلاً من المتقبلين ، وتركوا لهم جمعها كما يشاءون دون رقابة أو حساب ، فاستفحل أمرهم وأرهقوا الرعية كما رأينا . ولم يوقفهم كما رصدنا تظلم تاجر أو صانع أو أوامر وتعليمات حاكم أو نصح واحتساب فقيه، حتى جاء الموحدون وأخذوا على عاتقهم تغيير المنكر بالقوة، وأفلحوا في قبالات الضرائب وتتبعوا المتقبلين واستحلوا قتلهم، فلم يعد لهم ولا لقبالاتهم أثر في المغرب والأندلس.

## خاتمة

إن قضاء الموحدين على المتقبلين وإلغائهم نظام القبالات العمومية ، لا يعنى أن هذا النظام الجبائى قد استبعدته النظم السياسية للدولة الإسلامية التى تلت الموحدين فى حكم المغرب والأندلس ، وإنما ظل هذا النظام تحت مسميات أخرى ، فوجدنا الاسم القديم وهو المكاس ثم الملتزم وهو مرادف المتقبل . كما ورد اسم قبالة وقبالات لا لتدل على النظام بل على أنها ضريبة من جملة الضرائب الموجودة آنذاك ، مثلما وردت فى العصر المرينى عند ابن أبى زرع<sup>(٣٣٥)</sup> والعمرى<sup>(٣٣٦)</sup> الذى ذكر أن السلطان المرينى أبا سعيد ( ٧١٠ - ٧٣٢هـ / ١٣١٠ - ١٣٣١م ) أحل قبالة عامة تسمى الضمان محل جميع الضرائب البلدية ، أى أن اسم المتقبل والقبالات توارت وطمغى عليها أسماء أخرى استعمل لذات النظام ، فوجدنا بدل المتقبل المكاس الذى جزم هوبكنز<sup>(٣٣٧)</sup> بأنه فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى لا يعنى سوى ملتزم المكوس . فى حين استعمل الالتزام بدلا من القبالات لدلالة على ضمان المال لخزينة الدولة .

ومن ناحية أخرى نجد أن نظام الالتزام تأرجح بين التطبيق والإلغاء ، وذلك حسبما يتراءى للحكام صلاحيته من عدمها . فنجد مثلا السلطان المرينى أبا الحسن ( ٧٣٢ - ٧٤٩هـ / ١٣٣١ - ١٣٤٨م ) يروى عنه ابن مرزوق<sup>(٣٣٨)</sup> أنه قام بإلغاء نظام الالتزام فى تحصيل جبايتها . ومن هنا امتدت أيديهم وكثرت عاديتهم وظلمهم فإذا زجروا اعتلوا بالالتزام « فاستبجح السلطان الفعل والاسم فالغى اللقب والنظام وأسند إليهم الجباية عن طريق الأمانة » .

وما لبث أن عاد هذا النظام . ويبدو أنه اقتصر على جباية أموال الضرائب فى المدن الكبرى ذات المكانة التجارية كفاس ومراكش ، فيذكر بروفنسال<sup>(٣٣٩)</sup> أن حصيلة هذه الضرائب كانت فى ازدياد ، ويجبى منها مبالغ طائلة ، لأنه كان يعهد بجبايتها بطبيعة الحال إلى من يتقدم بأكبر عطاء ، فكان أمرها لا يخلو من الوقوع فى الحيف . وينقل عن ابن فضل الله أن ارتفاعا فى حصيلتها حدث فى منتصف

القرن الرابع عشر الميلادي / الثامن الهجري بلغ مقداره ١٥٠ ألف دينار في فاس ومراكش . وصل إلى ٨٥٦ ألف دينار لمدينة مراكش فقط .

على أية حال فإن تمسك حكام المغرب باستخدام نظام الالتزام في الجباية ليدل على تراجع مكانته ، فلم تعد كما كانت في عصر المرابطين مثلاً . كما أن قلة المعلومات الواردة عن هذا النظام تؤكد أن دوره صار ثانوياً في النظام المالي ببلاد المغرب في فترة ما بعد المرابطين .

أما في الأندلس فيذهب بعض المحدثين<sup>(٣٤٠)</sup> باستمرار العمل بنظام القبالات بعد عصر الموحدين ، حيث يقولون أنه كان في العصر النصري ضرائب معينة تعطى التزاماً لمن يسمى بالمتقبل ويسمى هذا الالتزام قبالة .

الواقع إنه رغم كثرة الضرائب وتنوعها خلال العصر النصري<sup>(٣٤١)</sup> إلا أنه لم يرد نص يؤكد ما قاله المحدثون ، وإنما جل الاعتماد عندهم على دخول الكلمة إلى الإسبانية والبرتغالية مما يدل على استمرار العمل بنظام القبالات فيما بعد عصر الموحدين<sup>(٣٤٢)</sup> . ورغم وجاهة هذا الاجتهاد إلا أن انتقال الكلمة إلى الإسبانية لا يعنى تواصل العمل بهذا النظام في الأندلس ، خصوصاً أن الكلمة والنظام نفسه شقاً طريقتيها إلى لغات أخرى وبلدان أوربية غير إسبانيا والبرتغال . فإذا كانت الكلمة انتقلت إلى الإسبانية والبرتغالية بمنطوقها العربي Alcabala<sup>(٣٤٣)</sup> فقد انتقلت إلى الإيطالية برسم Cabella أو Caballa<sup>(٣٤٤)</sup> وإلى الفرنسية على شكل la Gabella<sup>(٣٤٥)</sup> بل إن محاولة البعض إيجاد أصل إنجلوسكسوني لكلمة القبالة يعنى لدينا انتقال هذا اللفظ العربي من أوروبا إلى إنجلترا . ألا يعنى هذا في النهاية أن الكلمة والنظام نفسه وصلاً إلى أوروبا وإنجلترا<sup>(٣٤٦)</sup> بوسائل أخرى غير انتقالهما عبر بقاء العمل بهما في الأندلس . ونرجح أن ذلك تم من خلال الصلات السياسية والعلاقات التجارية بين المغرب والأندلس من ناحية وأوروبا من ناحية أخرى خلال الفترة من القرن الثالث إلى السادس الهجري / التاسع إلى الثاني عشر الميلادي وهي نفس الفترة التي شاع فيها نظام القبالات في المغرب والأندلس .

ومن المفارقات العجيبة أن هذا النظام ما كاد يخبو ويتراجع دوره في النظام المالي في المغرب والأندلس منذ أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي إلا وبدأ ازدهاره في أوروبا وبالذات في فرنسا التي تعرض بها لإصلاحات كثيرة<sup>(٣٤٧)</sup> وكانت نهاية هذا النظام على يد نابليون الذي تقول عنه دكتورة زينب عصمت راشد<sup>(٣٤٨)</sup> « كان من أحسن وأفضل آثار نابليون على فرنسا ، ما أوجد من نظام دقيق في جمع الضرائب تجعل القائمين عليها وعلى تحصيلها من رجال الحكومة مسئولين أمامه مسئولية تامة مباشرة » .

## الهوامش

- (١) راجع : جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري : لسان العرب ، مجلد ١١ دار صادر ، بيروت ، سنة ١٩٥٦ . ص ٥٤٤ .
- (٢) نفسه . (٣) نفسه .
- (٤) بطرس البستاني : محيط المحيط ، قاموس مطول للغة العربية ، مكتبة لبنان ، بيروت سنة ١٩٨٢ . ص ٧١٣ .
- (٥) نفسه . (٦) راجع الملحق آخر البحث .
- (٧) راجع مثلاً : عبد الله بن عبد الواحد الفهرى : السفر الثامن من المسائل والوثائق المجموعة من كتب الفقهاء ، مخطوط مدرسة الدراسات العربية ، بمدرسة ، رقم ١١ ، ورقة ١٧٦ أ ، ٨٥ ب محمد بن أحمد الأموي المعروف بابن العطار : كتاب الوثائق والسجلات ، تحقيق شالميتا وكورينطي مدريد سنة ١٩٨٣ ص ١٩٣ وغيرها ، أحمد بن مغيث الطليطلي : المنع في علم الشروط ، تحقيق ف - خ سادابا ، مدريد سنة ١٩٩٤ ص ٢٢١ وعبد الواحد المراكشي : وثائق المرابطين والموحدين ، تحقيق د/حسين مؤنس ، القاهرة سنة ١٩٩٧ ، ص ٤٣٧ .
- (٨) الفهرى : المصدر السابق ورقة ١٧٨ أ ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢٢ ، ص ٢٢٦ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٤١ .
- (٩) الفهرى : المصدر السابق ص ٨٥ أ ، ٨٥ ب ، ابن العطار : المصدر السابق ص ١٩٩ ، ص ٢٠١ ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢١ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ .
- (١٠) الفهرى : المصدر السابق ورقة ٧٨ ب ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٤٢ ، ٤٤٣ .
- (١١) راجع : ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، المراكشي : المصدر السابق ، ص ٤٥٩ ، ٤٦١ .
- (١٢) راجع مثلاً : الفهرى : المصدر السابق ورقة ٧٢ ب ، ٧٤ ب ، ٧٥ أ وغيرها ، ابن العطار : المصدر السابق ، ص ١٩٣ ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢١ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٣٦ .
- (١٣) راجع ابن الخطيب السليمانى : الإحاطة بأخبار غرناطة ، مجلد ٢ تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهرة سنة ١٩٧٤ ، ص ١٢٥ .
- (١٤) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج ١ ، تحقيق ج . س . كولان ، أ . بروفتس ، بيروت سنة ١٩٨٣ ، ط ٣ ، ص ١٣١ .
- (١٥) الداعي إدريس : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار تحقيق محمد اليعلاوى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت سنة ١٩٨٥ ط ١ ص ٤٤٧ .
- (١٦) ابن حزم الأندلسى : الرد على ابن النفرينة اليهودى ورسائل أخرى ، تحقيق إحسان عباس ، القاهرة سنة ١٩٦٠ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .
- (١٧) الأسير عبد الله بن بلقين الزيرى : مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بنى زيرى بقرناطة ، المسماة التبيان ، تحقيق ليفى بروفتس ، مصر بدون ص ١٦٩ .
- (١٨) Dozy . R: Supplement aux Dictionnaires Arabes Tome 2. Beirut 1963 P.305
- (١٩) Dozy et W.H.Engelman : Glassaire des mots Espagnoles et Portugais dérivés de L'arabe. Beirut. 1974 PP. 74-5

- (٢٠) يعقوب أرتين : الأحكام المرعية في شأن الأراضي المصرية ، تعريب سعيد عمون ، ط بولاق سنة ١٣٠٦هـ ص ٤٥ هامش .
- (٢١) ورد خير يستنتج منه وجود هذا النظام عند الفرس قبل الإسلام وبالذات في جباية انخراج راجعه عند : أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري : فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، عمر أنيس الطباع ، بيروت سنة ١٩٨٧ ، ص ٦٥٠ - ٦٥١ .
- (٢٢) يعقوب أرتين : المرجع السابق .
- (٢٣) راجع ابن منظور : لسان العرب . م ١١ ص ٥٤٤ .
- (٢٤) انظر . أحمد بن شعيب النسائي : سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، ج ٧ ، دار الحديث ، القاهرة سنة ١٩٨٧ ص ٣٥ .
- (٢٥) راجع أبو عبيد القاسم بن سلام : كتاب الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، القاهرة سنة ١٩٦٨ ط ١ ص ١٠٠ ، محمد بن أبي بكر بن سعد بن حريز اندمشقي المعروف بابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، ج ١ ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، بيروت سنة ١٩٩٥ ط ١ ، ص ٩٦ .
- (٢٦) نفس مصادر الحاشية السابقة .
- (٢٧) هو النهر الصغير ينبت حوله الأعشاب يستفيد بها صاحب الأرض من غير تعب وجمعه أربعاء .
- (٢٨) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : متن البخاري ، بحاشية السندی ، القاهرة ، بدون ، ج ٢ ، ص ٤٨ - ٤٩ ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ج ٥ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، وعبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار الفكر ، القاهرة ، بدون ص ٢٢ .
- (٢٩) البخاري : المصدر السابق ص ٤٩ ، العسقلاني : المصدر السابق ص ٢٥ ، محمد بن علي الشوكاني : نيل الأوطار ، شرح منقلى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار ، ج ٥ ، القاهرة ، بدون ، ص ٢٧٥ .
- (٣٠) الشوكاني : نيل الأوطار ، ج ٥ ص ٢٧٥ ، راجع كذلك بالفاظ مختلفة البخاري : المصدر السابق ص ٤٧ ، العسقلاني : فتح الباري ، ج ٥ ص ١٥ .
- (٣١) البخاري : المصدر السابق ص ٤٦ ، العسقلاني : المصدر السابق ، ص ٩ . الشوكاني : المصدر السابق ص ٢٧٥ .
- (٣٢) الماديات هي ما ينبت على حافة النهر ومسائل المياه ، وهي تطلق في الأصل على مسائل المياه وسمى بها ما ينبت عليها وكانت الكلمة مستعملة في إقليم السواد قبل افتتاحه راجع ، الشوكاني : المصدر السابق ص ٢٧٦ .
- (٣٣) أي أوائل وبدايات السواقي أي الأنهار الصغيرة راجع : المصدر السابق .
- (٣٤) المصدر السابق ص ٢٧٥ (٣٥) نفسه .
- (٣٦) رواه البخاري وأحمد وابن ماجة وأبو داود ، راجع الشوكاني المصدر السابق ص ٢٧٥ .
- (٣٧) نيل الأوطار ، ج ٥ ، ص ٢٧٩ ، فتح الباري ، ج ٥ ، ص ٢٥ .
- (٣٨) رواه مسلم وأبو داود والنسائي ، راجع الشوكاني : المصدر السابق ص ٢٧٥ .
- (٣٩) البخاري : المصدر السابق ص ٤٩ .
- (٤٠) العسقلاني : فتح ، ج ٥ ، ص ٢٦ . (٤١) نفسه .
- (٤٢) البخاري : المصدر السابق ، العسقلاني : المصدر السابق ص ٢٥ .
- (٤٣) العسقلاني : المصدر السابق ص ٢٦ .
- (٤٤) وذلك رغم ما فيها من شجر ونخيل فجعلها تابعة للأرض البيضاء وأخذ الأجرة عليها ويبدو أنها كانت أقل من الثلث الذي اشتراطه الفقهاء بعد ذلك لتصح القبالة ، فقد اجتهد

سيدنا عمر في ذلك ولم ينكر عليه ذلك أحد من أصحابه وتلقوها بالتسليم والإقرار .  
راجع أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، زاد المعاد  
في هدى خير العباد ، ج ٥ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عبد القادر الأرئوط بيروت  
سنة ١٩٨٧ ، ط ١٥ ص ٨٢٨ .

(٤٥) البخاري : المصدر السابق .

(٤٦) أبو عبيد : كتاب الأموال ، ص ٩٩ ، ابن قيم : أحكام أهل الذمة ج ١ ، ص ٩٥ .

(٤٧) الأبله : مدينه قديمه بالعراق تقع بالقرب من البصرة على شاطئ شهر دجله الغربى  
وبعد افتتاحها أمر سيدنا عمر بن الخطاب بحفر نهرها فصار شمالها وعمرها المسلمون  
فصارت حسنه الديار واسعة العمارة ، مليئة بالبساتين وعامرة بمياسير الناس حتى عدت  
من جنات الدنيا . راجع : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، بيروت  
سنة ١٩٩٥ ط ٢ ص ٧٦-٧٨ ، الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق  
حسن عباس ، بيروت سنة ١٩٨٤ ط ٢ ، ص ٨ - ٩ .

(٤٨) أبو عبيد : كتاب الأموال ص ٩٩ - ١٠٠ ، ابن قيم : المصدر السابق ص ٩٦

(٤٩) ص ١٠٠ .

(٥١) أحكام أهل الذمة ج ١ ص ٩٦ .

(٥٢) المصدر السابق ص ٩٨ .

(٥٤) أبو عبيد : الأموال ص ٦٥ - ٦٦ .

(٥٥) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، ج ١ ، مراجعه حسين مؤنس ، القاهرة  
سنة ١٩٦٨ ، ص ٢٣٤ .

(٥٦) محمد ضياء الدين الرئيس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، القاهرة  
سنة ١٩٧٧ ، ط ٤ ، ص ٢٦٩ .

(٥٧) تقى الدين أحمد بن على المقرئى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار  
المعروف بالخطط المقرئية ، ج ١ ، دار صادر ، بيروت بدون ص ٣٠٩ الرئيس :  
الخراج والنظم المالية ص ٥٠٧ .

(٥٨) وربما أن ذلك استجابة لما قاله ابن عباس " إياكم والقبالات فإنها صغار وفضلها ربا  
وفسر ابن منظور ذلك بأن يتقبل الشخص بخراج أو جباية أكثر من أعطى فذلك انفض  
ربا ، راجع لسان العرب م ١١ ص ٥٤٤ .

(٥٩) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضى : كتاب الخراج ، المطبعة السلفية ، القاهرة  
سنة ١٣٤٦هـ ، ص ١٢٦ .

(٦٠) نفسه .

(٦١) نفسه .

(٦٢) المصدر السابق ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٦٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٣٦ .

(٦٤) عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبه : المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد  
، بدون ص ٤٢ - ٤٣ .

(٦٥) الرئيس : المرجع السابق ص ٥٠٨ .

(٦٦) حيث ورد أسماء بعض المتقبلين مثل مزاحم بن إسحاق ، راجع إدوارد جروهمان :  
أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، السفر الثانى ترجمة حسن إبراهيم حسن ،  
مراجعته عبد الحميد حسن ، القاهرة سنة ١٩٩٤ ط ٢ لوحه رقم ٨:٩ ص ٥٦ . كما ورد  
لفظ المتقبل مرات مثل " متقبل البقط والمقبوض " لوحه رقم ٤ ص ٣٧ " المتقبل بطوخ "  
ص ٣٩ .

(٦٧) المقرئى : كتاب المواعظ والاعتبار ص ٨٥ .

(٦٨) هذا ما استشهد به القاضي أبو يوسف من القرآن على فساد المتقبلين راجع : كتاب تخراج ص ١٢٦ .

(٦٩) راجع أبو عبيد : الأموال ص ٩٩ وما بعدها ، أبو يوسف : التخراج ص ١٢٥ وما بعدها ، ابن قيم : أحكام ، ج ١ ، ص ٩٤ وما بعدها وغيرها .

(٧٠) راجع ما سيأتي ص ١٧ وما بعدها .

(٧١) راجع : حسين مؤنس : فجر الأندلس ، القاهرة سنة ١٩٥٩ ، ص ٦١٤ وما بعدها ، حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، القاهرة بدون ص ١٧٦ - ١٧٨ ، الحبيب الجناحلي : دراسات في التاريخ الإقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ، بيروت سنة ١٩٨٦ ، ط ٢ ص ١٠٧ وما بعدها . عز الدين أحمد موسى : النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي في خلال القرن السادس الهجري ، بيروت ، القاهرة سنة ١٩٨٣ ص ١٢٩ وما بعدها . راجع كذلك رسالتنا : عامة قرطبة منذ بداية الفتنه حتى نهاية عهد المرابطين ص ١٣٨ وما بعدها ، ،

P. Gluchard : Al Andalus. Estructura Antropologica de una Sociedad Eslamica en accidente. Barcelona. 1976. P317 FF .

(٧٢) راجع نراء كل من المالكي وابن عذارى عن أفريقية وابن مزين وابن حزم عن الأندلس عند مؤنس : فجر الأندلس ص ٦١٤ . راجع كذلك رسالتنا : عامة قرطبة ص ١٣٨ وما بعدها .

(٧٣) راجع في هذا الموضوع : ج.ق.ب. هوبكنز : النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، ترجمة أمين توفيق الطيبي ، ليبيا - تونس سنة ١٩٨٠ ، ص ٧٤ وما بعدها . ، الحبيب الجناحلي : المرجع السابق ص ١١٦ وما بعدها ، أما عن الأندلس فتثبت الأحداث أن جنوب الأندلس قد فتح عنوة راجع رسالتنا : عامة قرطبة ص ١٣٨ - ١٣٩ ، وأن الطريق الذي سار فيه موسى بن نصير عند فتح الأندلس أسلم كثير من أهل مدنه ومجتمعاته على يد موسى وساروا مواليه راجع رسالتنا : موالي بن أمية في الأندلس ص ٩١ هامش ٤ . في حين صولح أهل منطقة أوريولة أو تدمير على يد عبد العزيز بن موسى - راجع : مجهول أخبار مجموعه في فتح الأندلس وذكر أمرائهم رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، القاهرة ، بيروت سنة ١٩٨١ م ص ٢٢ ، الضبي : بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس : القاهرة سنة ١٩٦٧ ، ص ٢٧٤ .

(٧٤) هوبكنز : المرجع السابق ص ٧٥ .

(٧٥) راجع : ابن عذارى : البيان ، ج ١ ، ص ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٧٣ عبد الواحد المراكشي : شمعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد زينهم عزب ، القاهرة سنة ١٩٩٤ ص ٢١٣ - ٢١٤ . ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينه فاس ، الرباط سنة ١٩٧٣ ص ١٦٧ ، أحمد بن عبد الوهاب الفويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٤ ، تحقيق حسين نصار ، عبد العزيز الإهواني ، القاهرة سنة ١٩٨٣ ص ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٧٧ .

(٧٦) من ذلك ما عمله عبيد الله المهدي عندما حل بالمغرب ولم يعجبه النظام الجبائي الموجود فأمر بتعديل الأرض لوضع الخراج عليها : راجع محمد بن الحارث الخشني : طبقات علماء أفريقية ، تحقيق محمد زينهم عزب ، القاهرة سنة ١٩٩٢ ، ص ٤٢ ، ابن عذارى : البيان ، ج ١ ص ١٧٣ .

(٧٧) فيذكر لنا المراكشي عن أبي يعقوب يوسف الموحدى وجوده وكان الذي يسهل عليه بذل الأموال مع ما جبل عليه من ذلك سعه الخراج وكثره الوجود التي يتحصل منها الأموال



، ثم يتحدث عن جهات المغرب المختلفة وما يجنى من الخراج ، راجع : المعجب ص ٢١٢ - ٢١٤ .

(٧٨) راجع : النويري : نهاية الأرب ج ٢٤ ، ص ١٢٦ ، ابن عذاري : المصدر السابق ، ابن أبي زرع : المصدر السابق ص ١٣٧ .

(٧٩) الأمير عبد الله : التبيان ، ص ١٢٠ ، ابن حوقل النصيبى : صورة الأرض ، القاهرة ، بدون ، ص ١٠٤ وابن الخطيب السليمانى : أعمال الإعلام أو تاريخ أسبانيا الإسلامية ، تحقيق بروفنسال ، بيروت سنة ١٩٥٦ ص ٢٤ (٨٠) راجع : عامة قرطبة ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢ .

(٨١) راجع : محمد بن حارث الخشنى : أخبار الفقهاء والمحدثين ، تحقيق ماريانا لويسا ، ولويس مولينا ، مدريد سنة ١٩٩٢ ص ٢٨٨ .

(٨٢) عن الأحباس فى المغرب راجع إشارة ابن عذاري : البيان ج ١ ص ١٨٨ ، أما عن الأحباس فى الأندلس فقد وردت إلينا معلومات واقية وعالجها البعض فى أبحاث خاصة بها مثل كمال السيد أبو مصطفى : الأحباس فى الأندلس ، ضمن بحوث فى تاريخ وحضارة الأندلس فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية سنة ١٩٩٣ ص ١٥٧ وما بعدها . ومحمد عبد الوهاب خلاف : خطة الأحباس فى الأندلس ، مجلة كنية الآداب ، جامعته نقاهرة ، العدد ٥٣ سنة ١٩٩٢ وما بعدها .

(٨٣) للمزيد عن هذه الضرائب راجع هوبكنز : المرجع السابق ص ٨٩ وما بعدها .

(٨٤) الأدريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، المجلد الأول القاهرة سنة ١٩٩٤ ، ص ٢٣٦ ، ابن عبدون الإشبيلي : رسالته فى الحسبة ضمن ثلاث رسائل من آداب الحسبة والمحتسب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ، ص ٣٠ ، ٣١ ، ابن عذاري : المصدر السابق ص ١٣١ وغيرها .

(٨٥) قام بتحقيقه وحصل به على درجة الدكتوراه من جامعه كمبروتسى بمدريد سنة ١٩٧٣ ، نصوح نجار وقد وردت المعلومات التى تخص مراسم القبالات والتقبيل فى موضوعين أحدهما حده لنا محمد عبد الوهاب خلاف بورقة ٣١١ من المخطوط الذى يملكه والموضوع الآخر ورد فى الرسالة التى حققت الكتاب فى المجلد الثالث ، السفر الرابع ، الباب الثالث والعشرين المسألة رقم ٧٦٥ وقد عالج هذه المسألة قبل ذلك .

Thami. El Azemmori : les Nawzel de Ibn Sahil. seccion relative AlEhtesab en Hespris Tumide. vol 1973 P 25. F.F.

ثم الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف ضمن وثائق فى شئون الحسبة فى الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام لابن سهل ، القاهرة سنة ١٩٨٥ ص ٦٢ وما بعدها .

(٨٦) المعروف بالمخطوط المقرئ ص ٨١ وما بعدها .

(٨٧) المقرئ : المصدر السابق ص ٨٢ .

(٨٨) راجع ابن سهل : مسألة ٧٦٥ ، خلاف : المرجع السابق ص ٦٣ .

El Azemmori : les Nawzel P 25.

(٨٩) المقرئ : المصدر السابق .

(٩٠) ابن سهل : الأعلام بتوازل الأحكام أو الأحكام الكبرى ورقة ٣١١ نقلا عن خلاف : المرجع السابق .

(٩١) حيث كان يقبل فقراء الناس ومحاويجهم نقبالة أرض ودور الأحباس لرخص قبالتها راجع ابن سهل : الإعلام تحقيق نصوح مسألة ٧٦٥ ، خلاف : وثائق فى شئون الحسبة ص ٧٦ ، ElAzemmori : Ibid P 29

- (٩٢) ابن سهل : المصدر السابق ، خلاف : المرجع السابق ص ٧٠  
El : Azemmori : Ibid P 27 .
- (٩٣) نفس مصادر الحاشية السابقة .
- (٩٤) ابن سهل : المصدر السابق ، خلاف : المرجع السابق ص ٨٠  
El : Azemmori : Ibid P 30 .
- (٩٥) راجع ما سيأتي ص ٢٧ - ٢٨ .
- (٩٦) انظر أبو عبيد : كتاب الأموال ص ٩٩ ، ابن قيم ومناقشته القيمة لهذا الحديث في :  
أحكام أهل الذمة ج ١ ، ص ٩٥ وما بعدها .
- (٩٧) إذ كان عبد الرحمن هذا أول مولود للمسلمين بأفريقية وتوفي ما بين سنتي ١٥٦ -  
١٦٢ هـ على إختلاف المصادر في ذلك . راجع ترجمته كاملة عند أبي بكر عبد الله بن  
محمد المالكي : كتاب رياض النفوس في طبقات علماء أفريقية وزهادهم ونساکهم وسير  
من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، ج ١ ، تحقيق بشير البكوش مراجعه محمد  
العروسي المطوي ، بيروت سنة ١٩٩٤ ، ط ٢ ص ١٥٢ وما بعدها . ومصادر ترجمته  
الأخرى في هوامش هذه الصفحات .
- (٩٨) طبع الكتاب بالقاهرة سنة ١٩٥٤ راجع ص ١٢٩ ، ١٤٠ .
- (٩٩) صورة الأرض ص ٩٤ . (١٠٠) نفسه .
- (١٠١) يذكر في سبيل المحافظة على أموال بلاد المغرب أن المعز لدين الله أوصى بلقين بن  
زيري أن لا يرفع المغرب عن الرعية ، راجع ابن الخطيب ، أعمال أو تاريخ اسبانيا  
ص ٢٢٨ .
- (١٠٢) المصدر السابق ص ٨٥ .
- (١٠٣) سواء كانت ضياعا لزراعة المحاصيل أو جنات للفاكهة راجع : وثيقة جنات الأحباس  
بقرطبة عند ابن سهل : الأعلام تحقيق نصوح مسألة ٧٦٥ ، خلاف : المرجع السابق  
El Azemmori : Ibid P 30
- (١٠٤) ابن سهل : المصدر السابق ، ابن العطار : كتاب الوثائق ص ٢٣٤ ، خلاف : المرجع  
السابق ص ٦٧ ، ٩٦  
El Azemmori : Ibid P 27 - 28
- (١٠٥) ابن سهل : المصدر السابق ، ابن العطار : المصدر السابق ، خلاف المرجع السابق  
ص ٦٨  
El Azemmori : Ibid P28
- (١٠٦) ابن سلمون الكنانى : انعقد المنظم للحكام فيما جرى بين أيديهم من العقود والأحكام ،  
المنبعة البهية ، مصر ، بدون ص ٢٨٦ .
- (١٠٧) أبو محمد هارون بن أحمد الشاطبي : الندر الموضوعة فى المسائل المجموعة ،  
مخطوط المكتبة الوطنية بمدير رقم ٢١٥٧٣ ، ورقة ٦٥ أ ، ابن العطار : المصدر  
السابق .
- (١٠٨) الشاطبي : المصدر السابق ، ابن العطار : المصدر السابق .
- (١٠٩) ابن العطار : المصدر السابق .
- (١١٠) راجع نماذج من هذه الوثائق عند ابن العطار : المصدر السابق ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،  
٢٣٦ ، ٥٩٠ ، ٥٩٥ ، ٦٢٢ .
- (١١١) عن هذا الموضوع راجع ، خلاف : خطة الأحباس ص ١٩٢ وما بعدها .
- (١١٢) نفسه . (١١٣) نفسه .
- (١١٤) الجرسيفى : رسالته فى الحسبة ، ضمن ثلاث رسائل فى آداب الحسبة والمحتسب ،  
تحقيق بروفنسال ، القاهرة سنة ١٩٩٥ ، ص ١٢٤ .
- (١١٥) ابن سهل : المصدر السابق .

- (١١) أحمد بن يحيى الونشريسي : المعيار المغرب والجامع المغرب فى فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب جـ ٧ تحقيق مجموعه من الفقهاء بإشراف د/محمد حجي ، بيروت سنة ١٩٨١ ، ص ٣٠٢ .
- (١١) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، القسم الثانى ، القاهرة سنة ١٩٦٦ ص ٩٤ .
- (١١) الفهرى : المصدر السابق ورقة ٨٤ أ ، ب ، الشاطبى : المصدر السابق ورقة ٦٥ أ ، ابن العطار : المصدر السابق ص ١٨٢ - ١٨٣ ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٣٤ .
- (١١) راجع وثيقة نازلة جنات الأحباس بقرطبة عند ابن سهل : المصدر السابق ، خلاف المرجع السابق ص ٦٤ ، ٨٠ .
- (١٢) أى أهل بلاد الحرب من التجار راجع ابن قيم : أحكام ، جـ ١ ، ص ١٢٤ وما بعدها .
- (١٢) ابن قيم : المصدر السابق ص ١٢٤ .
- (١٢) أبو عبيد : الأموال ص ٧٠٨ .
- (١٢) ولا تؤخذ عينا إذا فرض وسمح لهم باندخول بالخمير والخنزير راجع ابن قيم : المصدر السابق ص ١٣٠ .
- (١٢) ابن قيم : المصدر السابق ص ١٢٣ .
- (١٢) راجع : ابن قيم : المصدر ص ١٢٥ ، قطب محمد إبراهيم : السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز ، القاهرة سنة ١٩٨٨ ، ص ١١٢ .
- (١٢) أبو عبيد : المصدر السابق ص ٧٠٤ ، ابن قيم : المصدر السابق .
- (١٢) المصدر السابق ، راجع كذلك ابن قيم : المصدر السابق .
- (١٢) أبو عبيد : المصدر السابق ص ٧٠٥ ، ابن قيم : المصدر السابق .
- (١٢) ابن عذارى : البيان ، جـ ١ ص ١٣١ ، راجع كذلك ، ابن الخطيب السليمانى : أعمال الإعلام فيمن بويغ قبل الإحتلام من ملوك الأسلام أو تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط ، تحقيق العبادى والكتاتى الدار البيضاء سنة ١٩٦٤ ، ص ٣٤ .
- هوبكنز : النظم الإسلامية ص ٩٥ ، عبد العزيز الثعالبي : تاريخ شمال أفريقيا من الفتح الإسلامى إلى نهاية الدولة الأغلبية ، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس : مراجعة حمادى الساحلى ، بيروت سنة ١٩٨٧ ص ٢٥٢ ، محمد الطالبي : الدولة الأغلبية ، التاريخ السياسى ( ١٨٤ - ٢٩٦ هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩ م ) تعريب المنجى الصيادى ، مراجعة حمادى الساحلى ، بيروت سنة ١٩٩٥ ، ط ٢ ، ص ٣٥٩ .
- (١٣) المرجع السابق ص ١١٤ . (١٣١) راجع صورة الأرض ص ٩٤ .
- (١٣) المقرئى : الخطط ، جـ ١ ص ٨٥ . (١٣٣) المصدر السابق .
- (١٣) ابن عذارى : المصدر السابق ص ١٤١ - ١٤٢ .
- (١٣) وهو أبو عبد الله محمد عبد الله السدرى ، عرف بالخير والصلاح والعبادة و جهادة ضد بنى عبيد مشهود ومعروف راجع ترجمته ، المالكى : رياض النفوس ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ وما بعدها .
- (١٣) المالكى : المصدر السابق ص ١٧٣ . (١٣٧) المصدر السابق ص ٤٤٥ .
- (١٣) الداعى إدريس : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .
- (١٣) راجع أبو عبيد البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب . تحقيق دى سلان ، الجزائر سنة ١٩١١ ، ص ٢٥ .
- (١٤) للمزيد عن هذا الموضوع راجع د/حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى ، القاهرة سنة ١٩٩٦ ط ٢ ص ٨٠ - ٨٢ ، الجنحاني : دراسات ص ٩٤ : ٩٦ ، ٩٧ .

- (١٤١) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ج٢ ص ١٢٨ .
- (١٤٢) عبد الرحمن بن خلدون : تاريخه المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، مجلد ٦ ، بيروت ، نبيان سنة ١٩٩٢ ، ط ١ ص ٢١٧ .
- (١٤٣) Live Provençal : España Musulmana Hasta La caída del califato de Córdoba (711 – 1031 J.c.) Traducción Por E.G. Gomez en Historia de España. Dirigida Por. R.M.Pidal. Tercera parte .Instituciones y cultura. Madrid 1950 PP 20 – 21 .
- (١٤٤) إعمال الإعلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية ص ١٥ .
- (١٤٥) Provençal : Ibid P 22
- (١٤٦) صورة الأرض ص ١٠٤ . OP . Cit (١٤٧)
- (١٤٨) راجع الأمير عبد الله : التبيان ص ٦٩ – ٧٠ ، ١٠١ ، ١٢٤ – ١٢٥ .
- (١٤٩) راجع ابن خلدون : المقدمة ص ٣٨٨ ، ج ٦ ص ٢٢١ ، الأمير عبد الله : المصدر السابق ص ١٢٠ .
- (١٥٠) الأمير عبد الله : المصدر السابق ص ١٠٩ .
- (١٥١) ابن حزم الأندلسي : الرد على ابن النغزيلة ص ١٧٦ .
- (١٥٢) الأمير عبد الله : المصدر السابق ص ١٠٩ ، ١٢٠ .
- (١٥٣) المصدر السابق ص ١٦٩ .
- (١٥٤) المصدر السابق ص ١٧٦ – ١٧٧ . راجع كذلك .
- Pedro Chalmeta El Señor del Zoco en España Edad media y moderna. Madrid 1973. p219
- (١٥٥) ابن حزم : المصدر السابق ص ١٧٧ .
- (١٥٦) ابن بسام الشنتري : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول ، المجلد الثاني ، دار الثقافة ، بيروت سنة ١٩٧٩ ص ٦٦١ .
- (١٥٧) ابن الخطيب : إعمال أو تاريخ إسبانيا الإسلامية ص ١٥ .
- (١٥٨) المالكي : رياض النفوس ، ج ٢ ص ٢٧٣ . Supplement. T2. P 305 (١٥٩)
- (١٦٠) مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، الدار البيضاء سنة ١٩٧٩ ، ص ٨٤ .
- (١٦١) مجهول : نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى ، تحقيق ليفي بروفنسال ، الرباط سنة ١٩٣٤ ص ٥٢ .
- (١٦٢) راجع ما سبق ص ١٩ .
- (١٦٣) ابن أبي دينار القيرواني : المؤنس في أخبار أفريقية وتونس تحقيق محمد الشام ، تونس سنة ١٩٦٧ ، ط ٢ ، ص ١٠٧ .
- (١٦٤) ابن أبي زرع : المصدر السابق ص ٣٧ . (١٦٥) المصدر السابق ص ٩٤ .
- (١٦٦) راجع الأمير عبد الله : المصدر السابق ص ١٢٠ .
- (١٦٧) المصدر السابق ص ٩٤ .
- (١٦٨) فصارت هناك المكوس والمغارم واللوازم والوظائف السلطانية بمعنى الضرائب العامة أو التعتيب الخاص ببناء الأسوار ، كل ذلك نتيجة الأزمة المائية الخائفة راجع عز الدين موسى : النشاط الاقتصادي ص ١٦٦ – ١٦٧ .
- (١٦٩) الأدريسي : نزهة المشتاق م ١ ص ٢٣٥ ، الحميري : الروض المعطار ص ٥٤١ .

(١٧٠) أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق : أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولته الموحدين ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط سنة ١٩٧١ ، ص ٢٦ .

(١٧١) ابن عبدون : رسالته ص ٣٣ .

(١٧٢) يفهم ذلك من أن الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف حرص على تسهيل الطرق وتأمين الناس ومن أعماله في ذلك أنه بنى جسرا على وادي إشبيلية وأحكم صنعته لعبور الناس والعساكر وجعلها سبيلا للمسلمين ولم يفرض عليها قبالة : راجع ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة أو تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، تحقيق عبد الهادي التازي ، بيروت سنة ١٩٨٧ ط ٣ ص ١٦٦ ، ٣٧٢ وهو ما كان يفعله المرابطون وحدث أن أرادوا أخذ المكس من مهدي الموحدين عندما أراد عبور وادي أم الربيع راجع البيذق : المصدر السابق .

(١٧٣) مجهول : الحلل الموشية في الأخبار المراكشية ، ص ٨٤-٨٥ .

(١٧٤) المصدر السابق . (١٧٥) رسالته ص ٣٠ .

(١٧٦) المصدر السابق ص ٣١ . (١٧٧) نفسه .

(١٧٨) الوتشريسى : المعيار ، ج ٣ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(١٧٩) نعتقد أنه تقبل الضريبة المفروضة على الوزانين في السوق ، لأن الكلمة في العربية قرسطون أو قلسطون تعني الميزان أو القبان ، والميزان بالذات للدراهم راجع : Dozy Supplement T 2 P 335

(١٨٠) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد مردنيش ، ولد ٥١٨ بطرطوشة وأختلف المؤرخون في أصله هل هو من العرب أو غيرهم وإن كان الدكتور مؤنس يجزم بأصله الأسباني وأنه دخل في ولاء الجذاميين وأن صفات ابن مردنيش وسلوكه تؤكد ذلك وقد كان والده متوليا لأفراغه من قبل المرابطين وعمه عبد الله بن محمد صهر ابن عياض أحد أمراء شرق الأندلس ومن خلال هذه العلاقة وصل ابن مردنيش إلى إمارة شرق الأندلس عن أصله وسيرته راجع ابن الخطيب : الإحاطة بأخبار غرناطة م ٢ ، ص ١٢١ وما بعدها ، ابن الخطيب : إعمال الأعلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص ٢٦٠ وما بعدها ابن الأبار : النحلة السيرة ، ج ٢ ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة سنة ١٩٨٥ ط ٢ ص ٢٣٢-٢٣٣ وهامش رقم ١ ص ٢٣٢ . راجع كذلك ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ص ٦٥ وما بعدها ، ومحمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الثالث ، عصر المرابطين والموحدين القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية ، القاهرة سنة ١٩٩٠ ط ٢ ، ص ٣٦٥ وما بعدها ، مراجع عقيلة الغناي : قيام دولة الموحدين ، بنغازي سنة ١٩٨٨ ، ص ١١٧ وما بعدها : هشام أبو رميلة : علاقة الموحدين بالممالك النصرانية والدولة الإسلامية في الأندلس عمان سنة ١٩٨٤ ص ١٠٧ وما بعدها

Codera . F: Decadencia y Desaparicion de los Almoravides en España. Zoragoza. 1899 P 111 FF.

(١٨١) ابن الخطيب : الإحاطة م ٢ ، ص ١٢٤ .

(١٨٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ابن الخطيب : إعمال الأعلام أو تاريخ إسبانيا ص ٢٦١

(١٨٣) ابن الخطيب : الإحاطة ، م ٢ ، ص ١٢٤ .

(١٨٤) المصدر السابق ص ١٢٤ - ١٢٥ . (١٨٥) المصدر السابق ص ١٢٤ .

(١٨٦) المصدر السابق ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(١٨٧) هذا اللفظ استعمله المراكشي ليدلل به على كثرة الفساد وعوامل الضعف التي بدأت

- في الظهور بعد يوسف بن تاشفين في دولة المرابطين مما أدى في النهاية إلى سقوطها على يد الموحدين راجع المراكشي : المعجب ص ١٥٤ .
- (١٨٨) البيهقي : أخبار المهدي ص ٢٢ . (١٨٩) المصدر السابق ص ٢٦ .
- (١٩٠) ابن القطان المراكشي : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان تحقيق د/ محمود علي مكي ، بيروت ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .
- (١٩١) ابن القطان : المصدر السابق ص ١٩٣ . (١٩٢) المصدر السابق ص ١٩٤ .
- (١٩٣) ليفي بروفنسال : مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية ، رباط الفتح سنة ١٩٤١ ص ٢١ .
- (١٩٤) المصدر السابق ص ٢٢ . (١٩٥) راجع الحميري : الروض المعطار ص ٥٤١ .
- (١٩٦) راجع مثلا ترادف الكلمتين عند الفهري : السفر الثامن ، ٧٢ ب ، ٧٣ ب ، ٧٤ ب ، ٧٥ أ ، وغيرها كثير ، أبو محمد هارون الشاطبي : الدر الموضوعة في المسائل المجموعة ص ٦٤ أ ، ٦٥ أ وغيرها ، ابن العطار : كتاب الوثائق والسجلات ص ١٩٣ ، ص ٢٠١ وغيرها ، ابن مغيث : المقنع في علم الشروط ص ٢٢١ ، ٢٢٧ وغيرها : عبد الواحد المراكشي : وثائق المرابطين والموحدين ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، وغيرها كثير .
- (١٩٧) راجع ما سبق ص ١٤ .
- (١٩٨) المصدر السابق الذكر . (١٩٩) المصدر السابق الذكر .
- (٢٠٠) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي : فتاوى ابن رشد ، ثلاث مجلدات تحقيق المختار بن الطاهر التليلى ، بيروت سنة ١٩٨٧ ، الطبعة الأولى .
- (٢٠١) المصدر سابق الذكر . (٢٠٢) راجع رسالته في الحسبة ص ٣٠ وما بعدها .
- (٢٠٣) المسماه : المعيار المغرب في ذكر فتاوى علماء إفريقية الأندلس والمغرب سابقة الذكر
- (٢٠٤) نقول الموحدين هنا لأن الموحدين لم يتدخلوا في مثل هذه القبالات الخاصة لأنها بين أفراد المجتمع الذين لهم حرية التصرف في أموالهم ، كما أن هذه القبالات صحيحة شرعا ولا تقبل سوى تدخل الفقهاء ومشايخ العصر لتوضيح صحتها من سقيمها .
- (٢٠٥) راجع الملحق آخر البحث .
- (٢٠٦) راجع الفهري : المصدر السابق ورقة ٧٤ ب ، ٧٥ ب ، ٧٧ أ ، ٨٤ أ ، ٨٥ الخ ، ابن العطار : المصدر السابق ص ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠١ الخ ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ الخ ، المراكشي : وثائق ص ٤٤١ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ الخ .
- (٢٠٧) وذلك مما يجوز اشتراط كتابة في الوثيقة راجع : ابن العطار : المصدر السابق ص ١٩٣ ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢٩ ، ٢٣١ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ .
- (٢٠٨) الفهري : المصدر السابق ورقة ٧٤ أ ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٣٤ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٣٣ .
- (٢٠٩) راجع الفهري : المصدر السابق ص ٧٦ أ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٣٦ .
- (٢١٠) الفهري : المصدر السابق ص ٧٧ أ ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢٥ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٤١ .
- (٢١١) الفهري : المصدر السابق ص ٨٥ أ ، ابن العطار : المصدر السابق ص ١٩٩ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٥٩ .
- (٢١٢) الفهري : المصدر السابق ص ٨٥ ب ، ابن العطار : المصدر السابق ص ٢٠١ ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢١ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٦١ .

- (٢١٣) ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٣٣ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٣٩ .
- (٢١٤) الفهرى : المصدر السابق ص ٨٤ أ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٥٩ .
- (٢١٥) الفهرى : المصدر السابق ص ٨٤ أ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٥٧ .
- (٢١٦) المراكشي : المصدر السابق ص ٤٣٤ .
- (٢١٧) راجع الفهرى : المصدر السابق ص ٧٤ أ ، ٧٦ أ ، ٧٧ ب ، ٨٤ أ إنخ ، ابن العطار المراكشي : المصدر السابق ص ٤٣٧ - ٤٣٩ - ٤٤١ - ٤٦٧ إنخ .
- (٢١٨) راجع مصادر الحاشية السابقة .
- (٢١٩) الفهرى : المصدر السابق ص ٧٦ أ ، ص ٨٥ ب ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢١ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٣٦ ، ٤٦١ وغيرهما .
- (٢٢٠) كما هو الحال فى الدور راجع الفهرى : المصدر السابق ص ١٩٢ - ١٩٣ ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢٨ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٢٥ ، ص ٤٢٦ .
- (٢٢١) راجع مثلاً ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢٢ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٤٥ .
- (٢٢٢) راجع : كتاب الخراج ص ١٢٦-١٢٧ . (٢٢٣) راجع ما سبق ص ٧ .
- (٢٢٤) مثل ابن القاسم وعبد الملك بن حبيب شارح الموطأ ومؤلف الواضحة ومحمد بن أحمد العتبي مؤلف العتبية أو المستخرجة ويحيى بن يحيى الليثي وغيرهم كثيرين .
- (٢٢٥) راجع ما سبق ص ١٤ - ١٦ .
- (٢٢٦) إذ استغل البعض ما وصلوا إليه من جاه وسلطان فجاروا على تلك الأحباس مثل ابن السقاء القرطبي الذى أثرى على حساب أراضي الأحباس بقرطبة وغيرها راجع ابن سهل : الأعلام ، ج ٢ ص ٣ مسأله ٥٩٨ ، محمد عبد الوهاب خلاف : وثيقة فى اغتصاب ابن السقاء قيم دولة ابن جهور لأموال بيت مال المسلمين فى قرطبة مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضى أبى الأصبغ عيسى بن سهل الأندلس مجلة أوراق ، العدد ٥ ، ٦ مدريد سنة ١٩٨٢ - ١٩٨٣ ص ٩٩ وما بعدها .
- (٢٢٧) الفهرى : المصدر السابق ورقة ٨٤ ب ، أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبى المالقي : الأحكام ، تحقيق الصادق الحلوى ، بيروت سنة ١٩٩٢ ص ٢٥٩ ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢٤ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٥٨ .
- (٢٢٨) الفهرى : المصدر السابق ، المالقي : المصدر السابق ، المراكشي : المصدر السابق .
- (٢٢٩) نفس مصادر الحاشية رقم ٢٢٧ .
- (٢٣٠) ابن سهل : الإعلام ورقة ٣١١ نقلاً عن خلاف ، الوثائيسى : المعيار ج ٧ ص ٤٣٧ .
- (٢٣١) ابن سهل : المصدر السابق .
- (٢٣٢) الفهرى : المصدر السابق ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢٤ ، المالقي : المصدر السابق ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، المراكشي : المصدر السابق .
- (٢٣٣) نفس مصادر الحاشية السابقة .
- (٢٣٤) الفهرى : المصدر السابق ، المراكشي : المصدر السابق .
- (٢٣٥) المراكشي : المصدر السابق .
- (٢٣٦) راجع الفهرى : المصدر السابق ، المالقي : المصدر السابق ، ابن مغيث : المصدر السابق .
- (٢٣٧) راجع الفهرى : المصدر السابق ص ٨٤ أ ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢٤ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٥٧ .
- (٢٣٨) راجع عن هذا ما سبق ص ١٥ - ١٦ .



- (٢٣٩) نوازل ابن سهل جـ ٣ س ٤ ب ٢٣ مسأله ٧٦٥ ، خلاف : وثائق فى شئون الحسبة ص ٦٤  
ElAzemmori : Ibid P.27
- (٢٤٠) قال بذلك الفقيه الحسن بن أيوب المعروف بابن الحداد المتوفى سنة ٤٢٥هـ ابن سهل : المصدر السابق ، خلاف : المصدر السابق ص ٦٧ ، نصوح نجار : المرجع السابق  
El Azemmori : Ibid .P.27
- (٢٤١) وهو عبد الله بن يحيى بن أحمد الأموى من الفقهاء الحافظين للرأى على مذهب الإمام مالك عارفا بالشروط مشاورا توفى سنة ٤٣١هـ راجع ابن بشكوال : الصلة ، القسم الأول ، القاهرة سنة ١٩٦٦ ص ٢٦٧ .
- (٢٤٢) ابن سهل : المصدر السابق مسألة ٧٦٥ ، خلاف المرجع السابق ص ٧١  
El Azemmori : Ibid.P27
- (٢٤٣) خلاف المرجع السابق ص ٧٣ ،  
El Azemmori : P.28
- (٢٤٤) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن الشقاق وصف بأنه أحفظ أهل زمانه للمسائل كان يعقد الوثائق وحاز الرئاسة فى الشورى والفتيا تولى القضاء فى بعض الكور ونال الوزارة توفى سنة ٤٢٦هـ راجع ابن بشكوال : الصلة القسم الأول ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .
- (٢٤٥) ابن سهل : المصدر السابق خلاف : المرجع السابق .
- (٢٤٦) أصله من عدوة المغرب تولى الشورى بقرطبة وكان لا يحسن سوى المسائل وتوفى بقرطبة سنة ٤٣١هـ راجع ابن بشكوال : الصلة ق ٢ ، ص ١٤٦ .
- (٢٤٧) ابن سهل : المصدر السابق ، خلاف المرجع السابق ص ٧٦ .
- (٢٤٨) يكنى أبا المطرف تولى القضاء مقرونا بولاية الصلاة والخطبة ثم الوزارة لمدة قصيرة وقد كان صلبا فى أحكامه من أجل الحق ونصره المظلوم توفى سنة ٤٠٢هـ راجع ترجمته عند ابن بشكوال : كتاب الصلة القسم الأول ص ٣٠٩ - ٣١٣ ، الضبى : بغية الملتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، القاهرة سنة ١٩٦٧ ص ٣٥٦ وللمزيد راجع : رسالتنا : موالى بنى أمية ص ١٠٤ هامش ٦ .
- (٢٤٩) ابن سهل : المصدر السابق مسألة ٧٦٥ ، خلاف : المرجع السابق ص ٧٣ .
- (٢٥٠) كان رجلا صالحا فاضلا عاصر الأمير الأغلبى عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب (١٩٦ - ٢١٠هـ) وكان له إجابات وكرامات راجع ترجمته المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ .
- (٢٥١) المالكي : المصدر السابق ص ٣٣٢ .
- (٢٥٢) راجع المالكي : المصدر السابق ، راجع كذلك النويرى : نهاية الأرب ج ٢٤ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ويذكر ابن الأثير أنه فرض على كل فدان ثمانية عشر دينارا كل سنة فضاق الناس لذلك وشكا بعضهم لبعض راجع : الكامل فى التاريخ ، المجلد الخامس ، تحقيق محمد يوسف الدقاق ، بيروت سنة ١٩٩٥ ج ١ ، ص ٤٣٣ .
- (٢٥٣) راجع ما سبق ص ١٨ - ١٩ .
- (٢٥٤) المالكي : رياض ج ٢ ، ص ١٧٣ .
- (٢٥٥) كان رجلا فاضلا مستجاب الدعوة مغيرا للمنكر أصله من جزيرة شريك ثم سكن القيروان وتوفى غرقا سنة ٢١٢هـ وله فضائل ومناقب كثيرة ، راجع ترجمته المالكي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٣ وما بعدها .
- (٢٥٦) المصدر السابق ص ٣٣٧ .
- (٢٥٧) راجع ما سبق ص ٢١ - ٢٢ .
- (٢٥٨) راجع ما سبق ص ٢٢ - ٢٣ .
- (٢٥٩) ابن عبدون رسالة ص ٣٣ .
- (٢٦٠) راجع المصدر السابق ص ٧ .
- (٢٦١) راجع ما سبق ص ٢٣ .
- (٢٦٢) ابن عبدون : المصدر السابق ص ٣٠ .
- (٢٦٣) ابن عبدون : المصدر السابق ص ٣١ .



- (٢٦٤) نفسه .  
 (٢٦٥) المصدر السابق ص ٥١ .  
 (٢٦٦) نفسه  
 (٢٦٧) المصدر السابق ص ٣١ .  
 (٢٦٨) المصدر السابق ص ٣٠ .  
 (٢٦٩) نفسه  
 (٢٧٠) نفسه .  
 (٢٧١) المصدر السابق ص ٣١ .  
 (٢٧٢) نفسه .  
 (٢٧٣) نفسه .  
 (٢٧٤) المصدر السابق ص ٣٠ .  
 (٢٧٥) نفسه .  
 (٢٧٦) نفسه .  
 (٢٧٧) المصدر السابق ص ٣١ .  
 (٢٧٨) المصدر السابق ص ٣١-٣٢ : P.Chalmers:El Señor del zoco p220  
 (٢٧٩) أمثال يحيى بن يحيى الليثي وابن حبيب وسحنون وابن مزين ومحمد ابن لبابة وقاسم بن محمد ويحيى بن أيوب وأحمد بن سعيد الهندي ومحمد بن أحمد العطار والنوّد وابن النلون وابن أبي زمنين وغيرهم وابن مغيث الذي أمدنا بهذه المعلومة راجع : كتاب المنقح في علم الشروط ص ٧ .  
 (٢٨٠) راجع الملحق .  
 (٢٨١) راجع ما سبق ص ٣ - ٤ .  
 (٢٨٢) راجع الونشريسي : المعيار م ٨ ص ٢٦٧ .  
 (٢٨٣) الفهرى : السفر الثامن ورقة ١٧٨ - ب ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٧٧ ، المراكشي : وثائق المرابطين والموحدين ص ٤٤٢ .  
 (٢٨٤) ابن مغيث : المصدر السابق .  
 (٢٨٥) راجع الفهرى : المصدر السابق ص ٧٨ أ ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢٦ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٤١ .  
 (٢٨٦) الفهرى : المصدر السابق ، ابن مغيث : المصدر السابق ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٤٢ .  
 (٢٨٧) نفس مصادر الحاشية السابقة .  
 (٢٨٨) الفهرى : المصدر السابق ورقة ٧٨ ب ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٤٢ .  
 (٢٨٩) الفهرى : المصدر السابق ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٤٢-٤٤٣ .  
 (٢٩٠) أبو هارون الشاطبي : الدر الموضوعية ورقة ٦٥ أ .  
 (٢٩١) الفهرى : المصدر السابق ورقة ٨٦ أ ، ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢١ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٦٢ .  
 (٢٩٢) ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢٢ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٢٦٤ .  
 (٢٩٣) الفهرى : المصدر السابق ورقة ٨٦ أ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٦٢ .  
 (٢٩٤) نفس مصادر الحاشية السابقة .  
 (٢٩٥) راجع الفهرى : ورقة ٨٦ ب ، المراكشي : ص ٤٦٣ .  
 (٢٩٦) المراكشي : ص ٤٦٥ .  
 (٢٩٧) المصدر السابق ص ٤٦٢ .  
 (٢٩٨) ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢٣ .  
 (٢٩٩) الونشريسي : المصدر السابق ص ٢٨٧ .  
 (٣٠٠) راجع : فتاوى ابن رشد ، السفر الثالث ص ١٢٨٢-١٢٨٣ ، الونشريسي : المصدر السابق ص ٢٨٧-٢٨٨ ، راجع كذلك : الفهرى : المصدر السابق ورقة ٨٨ أ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٦٧ ، ابن تلمون الكناني : العقد المنظم ص ٢٨٤ .  
 (٣٠١) الفهرى : المصدر السابق ، ورقة ٨٨ أ ، الرشاطي : المصدر السابق ، ورقة ٦٦ أ ، المراكشي : المصدر السابق ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .

- (٣٠٢) ابن رشد : المصدر السابق ، النونشريسي : المصدر السابق .
- (٣٠٣) راجع الفهرى : ورقة ١٧٥ ، ابن مغيث : ص ٢٣٢ ، المراكشى : ٤٣٤ .
- (٣٠٤) نفس مصادر الحاشية السابقة . (٣٠٥) ابن مغيث : المصدر السابق .
- (٣٠٦) المراكشى : ص ٤٤٠ . (٣٠٧) ابن مغيث ص ٢٣٤ .
- (٣٠٨) نفسه . (٣٠٩) نفسه .
- (٣١٠) نفسه . (٣١١) ابن مغيث ص ٢٣٣ .
- (٣١٢) المراكشى ص ٤٣١ .
- (٣١٣) ابن رشد : المصدر السابق ص ١٢٨٤ ، ابن سلمون الكنائى : العقد المنظم ص ٢٨٤ .
- (٣١٤) الفهرى : المصدر السابق ورقة ٨٤ ، المراكشى : المصدر السابق ص ٤٥٩ .
- (٣١٥) ابن العطار : كتاب الوثائق والسجلات ص ٢٠٠ ، المراكشى : المصدر السابق ص ٤٦٠ ، ابن سلمون : المصدر السابق ص ٢٨٢ .
- (٣١٦) المراكشى : المصدر السابق . (٣١٧) ابن سلمون : المصدر السابق .
- (٣١٨) ابن العطار : المصدر السابق ، المراكشى : المصدر السابق .
- (٣١٩) المصدر السابق . (٣٢٠) ابن سلمون : المصدر السابق ص ٢٨٣ .
- (٣٢١) رسالته ص ٣١ .
- (٣٢٢) وهو ما يدل على مشاركته النساء فى التقبيل بما يؤل إليهن من أملاك وأموال ، راجع أيضا : المائقى : الأحكام ص ١١٦ - ١١٧ .
- (٣٢٣) رسالته ص ٤٩ .
- (٣٢٤) راجع الفهرى : المصدر السابق ورقة ١٧٦ ، المراكشى : المصدر السابق ص ٤٣٧ .
- (٣٢٥) المراكشى : المصدر السابق ورقة ٧٦ ب ، المراكشى : المصدر السابق .
- (٣٢٦) راجع الفهرى : المصدر السابق ورقة ٧٦ ب ، المراكشى : المصدر السابق .
- (٣٢٧) راجع ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٩٩ ، المراكشى : المصدر السابق ص ٤٢٦ .
- (٣٢٨) ابن العطار : المصدر السابق ص ١٩٣ ، ابن مغيث : المصدر السابق ، المراكشى : المصدر السابق ص ٢٢٩ .
- (٣٢٩) ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢٩ .
- (٣٣٠) راجع ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٣٠ ، المراكشى : المصدر السابق .
- (٣٣١) انظر تفاصيل ذلك عند ابن مغيث : المصدر السابق ص ٣٢٠ .
- (٣٣٢) راجع هذا الباب ، المراكشى : المصدر السابق ص ٤٣٠ .
- (٣٣٣) ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٣٠ .
- (٣٣٤) للمزيد راجع المراكشى : المصدر السابق ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .
- (٣٣٥) الأنيس المطرب ص ٣٧٥ .
- (٣٣٦) راجع بروفنسال : سلسلة محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها ص ٨٢ .
- (٣٣٧) النظم الإسلامية ص ١١٥ .
- (٣٣٨) Ibn Marzuq : El Musnad, Hechos Memorables De Abu -L-Hasan, sultan de los Beni Merines, Estudio. Traducción. Anotación, índices. Anotados por Maria. J. Viguera. Madrid 1977. P234 .
- راجع كذلك محمد عيسى الحريرى : تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى ، الكويت سنة ١٩٨٧ ط ٢ ، ص ٢٧٩ .
- (٣٣٩) نفس المرجع السابق .
- (٣٤٠) راجع أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر ، الإسكندرية ١٩٩٧ ص ٢٦٩ .

- (٣٤١) راجع : الطوخى : المرجع السابق ص٢٦٣ وما بعدها .
- Rachel Arie : España Musulmana . siglos . (VIII- XV) en Historia de España , dirigida por . M.T . de Lara , Madrid 1993 P78 - 9 - . Miguel Cruz Hernandez : El Islam de Al Andalus, Historia y Estructura de su realidad social. Madrid . 1992 P300
- (٣٤٢) الطوخى : المرجع السابق ص٢٦٩ ، بروفنسال : المرجع السابق .
- (٣٤٣) راجع : Dozy et Engelmann : Glassaire P75
- (٣٤٤) Op . Cit
- (٣٤٥) بروفنسال : المرجع السابق P75 . Dozy - Engelmann : Ibid . ومن الجدير بالذكر هنا أن الكلمة انتقلت إلى فرنسا واستعملت في البداية كما كانت العالم الاسلامى أى على الضرائب المتنوعة ثم اقتصررت بعد ذلك على ضريبة عرفت بضريبة عرفت بضريبة الملح ، راجع د/ زينب عصمت راشد : تاريخ أوروبا الحديث ( القرن التاسع عشر ) القاهرة بدون ج٢٤٤ هامش ١
- (٣٤٦) Dozy - Engelmann : Ibid P75
- (٣٤٧) بروفنسال : المرجع السابق ، زينب عصمت راشد : المرجع السابق ص٢٤٤ وما بعدها .
- (٣٤٨) المرجع السابق ص٣٦ .

يعمل فلان من فلان فلان جميع مضرب الكوب الذي يحاضر، كذا  
موضع كذا وحريه، كذا لجميع حقوقه ومزاياه فله صحت فلا  
شرك ولا شيا ولا خيار لعمل فيه كل يوم كذا وكذا كونه مفرا عرفا،  
وسواهما، مرة، خمسة اشهر اولها شهر كذا من سنة كذا وكذا كذا  
فان كان مع الكرا فلت دفع الميعل جميعا واقبه كسبه معلية  
اليعل فلان ومضلا الميعل فلان على الصفة المذكورة وادراة تامتها  
وقال الميعل في المصرب المذكور وصار يبره المستوفى امرا كثيرا له  
وكذا الميعل فلان يصرف الميعل فلان في عمل النعم المذكور من  
الكوب وان لم يدفع فلت وكذا الميعل فلان يصرف الميعل فلان  
في اعطاء الكرا منه دون كسبه بلزمه في عمل النعم المذكور عليه  
المعالمين في فبا لا تهم ومراجع انرا المصرب

وثيقة قبالة جنان

تَقْبِلَ فَلَانٌ بِنَ فَلَانٍ مِّنْ فَلَانٍ بِنِ فَلَانٍ<sup>2147</sup> جَمِيعُ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ  
الْجَنَانَ عَلَى الْمَجَازِ ، ثُمَّ هَذَا تَقُولُ : الَّتِي بِمَوْضِعِ كَذَا وَحَدِّهَا<sup>2148</sup> كَذَا ، بِقَاعَتِهَا وَبَنِيَانِهَا  
وَبِئْرِ سَانِيَتِهَا وَصَهْرِنَجِهَا وَسَوَادِهَا كُلُّهُ<sup>2149</sup> ، // إِذَا هُوَ تَبَعَ لِبَيَاضِهَا ، قِبَالَةَ صَحِيحَةٍ  
بِلَا شَرْطٍ وَلَا ثَنِيَا وَلَا خِيَارٍ ، عَرَفَا قَدْرَهَا وَمَبْلَغَهَا ، لِأَرْبَعَةِ أَعْوَامٍ أَوَّلَهَا شَهْرُ كَذَا ( مِنْ  
عَامِ كَذَا ) ، بِكَذَا وَكَذَا يُؤَدِّي الْمُتَقَبِّلُ { فَلَانٌ } عِنْدَ انْقِضَاءِ كُلِّ عَامٍ مِنْهَا مَا يَنْبُوهُ ،  
وَذَلِكَ كَذَا وَكَذَا ، بَعْدَ أَنْ تَوَاصَفَا مَا يَبْزُرُ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ ( الْمَذْكُورَةِ )<sup>2150</sup> وَعَلِمَا أَنَّ ثَمَرَةَ  
كُلِّ عَامٍ<sup>2151</sup> مِنَ الْأَعْوَامِ هَذِهِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ ثَمَرَاتِ الْجَنَّةِ الْمَذْكُورَةِ تَطْيِبُ قَبْلَ انْقِضَائِهَا ،  
وَنَزَلَ الْمُتَقَبِّلُ فَلَانٌ فِي الْجَنَّةِ الْمَذْكُورَةِ لِأَوَّلِ قِبَالَتِهِ ، وَآلَةُ بَيْتِ السَّانِيَةِ تَامَّةٌ ، وَلَيْسَ عَلَى  
الْمُتَقَبِّلِ<sup>2152</sup> فَلَانٍ مِنْ إِقَامَةِ ذَلِكَ شَيْءٍ إِلَّا مَا خَفَّ مِثْلُ الْمَشْطِ أَوْ الْمَغْزَلِ أَوْ شَحْمٍ ،  
وَعَلَى فَلَانٍ صَاحِبِ الْجَنَانِ<sup>2153</sup> مَا عَظُمَتْ مَوْتُهُ ، وَلَهَا فِي قِبَالَتِهَا هَذِهِ سَنَةٌ  
الْمُسْلِمِينَ<sup>2154</sup> فِي قِبَالَتِهِمُ الْجَائِزَةُ بَيْنَهُمْ . شَهِدَ عَلَى إِشْهَادِ فَلَانِ الْمُقَبِّلِ وَالْمُتَقَبِّلِ  
فَلَانٌ<sup>2155</sup> عَلَى هَذِهِ أَنْفُسِهِمَا ، وَتَمَضَى إِلَى التَّارِيخِ . وَتَقُولُ : هَذَا الْكِتَابُ نَسَخْتَانِ .  
فَإِنْ قَدَّمَ الْمُتَقَبِّلُ شَيْئًا مِنَ الْقِبَالَةِ<sup>2156</sup> وَجَعَلَهُ لِآخِرِ سَنَةٍ مِنَ الْمُدَّةِ الْمَذْكُورَةِ قُلْتَ بَعْدَ  
قَوْلِكَ وَكَذَا : وَقَدَّمَ الْمُتَقَبِّلُ فَلَانٌ مِنَ الْقِبَالَةِ الْمَذْكُورَةِ<sup>2157</sup> مَا وَجِبَ مِنْهَا لِآخِرِ سَنَةٍ مِنَ  
الْمُدَّةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَقَبِضَ الْمُقَبِّلُ فَلَانٌ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَنَجَّمَ عَلَيْهِ بَاقِيَ الْقِبَالَةِ عَلَى كُلِّ  
عَامٍ<sup>2158</sup> كَذَا أَوْ أَوَّلَ كُلِّ شَهْرٍ<sup>2159</sup> كَذَا ، وَتَمَضَى إِلَى التَّارِيخِ .

### ● وثيقة قبالة رحي

تقبّل فلان بن فلان الفلانيّ من فلان بن فلان الفلانيّ<sup>٢٠٩٦</sup> ، وإن شئت قلت : اكترى فلان بن فلان ( من فلان ) جميع الرحي السانية أو الرحين السانيتين<sup>٢٠٩٧</sup> التي أو اللتين في بيت واحد على سدّ واحد على نهر كذا بموضع كذا ، وحدّها كذا ، بحقوقها وسدّها وأحجارها ومنافعها ومرافقها الداخلة فيها والخارجة عنها ، وآلتها وأسرّتها ( وبنائها )<sup>٢٠٩٨</sup> ومنصبها وقنواتها ومحطّ واردتها ، قبالة صحيحة بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار ، عرفا قدرها ومبلغها : لعام واحد أوّله كذا ، بكذا وكذا منجّمة<sup>٢٠٩٩</sup> على المتقبّل فلان على قدر شهور العام المذكور يؤدّي عند انقضاء كلّ نجم منها ، وانقضاؤه بانقضاء شهر كذا<sup>٢١٠٠</sup> ، ما ينوبه من القبالة المذكورة ، وذلك كذا وكذا ، ولا براءة للمتقبّل فلان من شيء من القبالة المذكورة بحلول نجم وانصرام غيره إلّا بإقرار المقبّل<sup>٢١٠١</sup> بالقبض منه أو بيّنة عادلة<sup>٢١٠٢</sup> تقوم له على الأداء ، وهو مصدّق في الاقتضاء دون يمين تلزمه في دعوى . القضاء ، ونزّد المتقبّل ( فلان ) في الرحي المذكورة وصارت بيده طاحنة قائمة تامّة الآلة ليستوفي أمد قبالة ، ولها في ذلك سنّة المسلمين في قبالاتهم ومراجع أدراكهم<sup>٢١٠٣</sup> . شهد على إشهاد المقبّل فلان والمتقبّل فلان على أنفسهما ، وتمضي إلى التاريخ .

● - ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢١

### ●● وثيقة قبالة أحباس

تقبّل فلان بن فلان من فلان بن فلان جميع ( الأملاك )<sup>٢١٣٧</sup> المحبّسة عليه التي : بموضع كذا ، بحقوقها ومنافعها ، لثلاثة أعوام أوّلها كذا . ( بكذا وكذا ) ، قبالة صحيحة بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار ، عرفا قدرها ومبلغها ، وتبني على ما تقدّم وتمضي إلى التاريخ .

●● - ابن مغيث : المصدر السابق ص ٢٢٤

### قبالة معاصر الزيتون بالزيت

تقبل فلان بن فلان من فلان بن فلان جميع معصرة زيت الماء أو اليد التي بقرية كذا من إقليم كذا من عمل موضع كذا وحدها كذا بمنافعها ومرافقها وقصارها

وأحواضها وبركتها وحقوقها كلها الداخلة فيها والخارجة عنها قبالة صحيحة عرفاً قدرها ومبلغها بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار لعام أوله كذا أو لكذا وكذا عاماً أولها كذا بكذا وكذا ربعاً من زيت الكارمت أخضر صاف نقي عذب طيب غاية الطيب زيت الزيتون اللجين أو من زيت اليد الأخضر الطرى الطيب الغاية في الطيب أو من الزيت المطبوخ الصافي الطيب الغاية في الطيب يؤدي المتقبل جميعها إلى المتقبل فلان في أول شهر كذا أو عند انقضاء المدة المذكورة أو يؤدي أول كل شهر منها كذا وكذا كما يذكر في تنجيم الذهب والفضة ثم تقول: ونزل فيها قائمة الآلة طاحنة وتبنى [٨٤ ب] على ما تقدم ونجوز قبالة المعاصر بالزيت الموصوف إلى أجل. ●

● - المراكشي : وثائق ص ٤٥٨ - ٤٥٩

### ●● قبالة الملاحه ●●

تقبل فلان بن فلان من فلان بن فلان جميع الأحواض التي بملاحه قرية كذا من عمل كذا وحدود جميع الأحواض كذا بمنافعها ومرافقها الداخلة فيها والخارجة عنها وأقنيته وسواقيها ونصيبها من شرب بئر هذه الملاحه بعد معرفتهما بقدر ما تعاقدتا فيه القبالة [المذكورة] ومعرفة الشرب (١) ، قبالة صحيحة بلا شرط ولا ثنيا ولا خيار كذا وكذا شهراً أولها [شهر] كذا ، أو لعام أوله كذا ، بكذا وكذا دينار دراهم ، فإن كان دفعها المتقبل ذكرت ذلك ، وإن كانت منجّمة أو تدفع قبالة كل شهر أو كل عام عند انقضائه ذكرت ذلك ، ثم قلت « وفلان مصدق في الاقتضاء دون يمين تلزمه في دعوى القضاء ، ونزل المتقبل فلان في الأحواض المحدودة وصارت بيده » ، فإن كانت القبالة بملح قلت « بكذا وكذا مدياً من ملح أبيض حرش طيب ، وهو الغليط ، أو دقيق أبيض نقي طيب غاية [الطيب] بكيل كذا يدفعه المتقبل فلان إلى المتقبل فلان عند انقضاء أمد القبالة » ، ثم تكمل الوثيقة على ما تقدم .

●● - ابن العطار : كتاب الوثائق والسجلات ص ١٩٩

## المصادر والمراجع

### أولاً :- المصادر

- ابن الأبار ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسى ت ٦٥٨ هـ / ١١١٩ م )  
كتاب الحلة السيرة جزآن تحقيق د/ حسين مؤنس . القاهرة سنة ١٩٦١ ط ١ .
- ابن أبي دينار ( أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني ) ت ١١١٠ هـ / ١٦٩٨ م ) : المؤنس في أخبار أفريقية وتونس - تحقيق محمد الشمام ، تونس سنة ١٩٦٧ ط ٢ .
- ابن أبي زرع ( أبو الحسن علي بن عبد الله كان حيا ٧٢٦ هـ / ١٣٣٥ م ) : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب . ومدينة فاس ، الرباط سنة ١٩٧٣ .
- ابن الأثير ( أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ) : الكامل في التاريخ ، تحقيق محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٩٩٥ ط ٢ .
- ابن بسام ( أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م ) : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الاول ، دار الثقافة ، بيروت سنة ١٩٧٩ .
- ابن بشكوال ( أبو القاسم خلف عبد الملك بن مسعود الأنصاري ت ٥٨٧ هـ / ١١٨٣ م ) : كتاب الصلة ، قسمان ، المكتبة الأندلسية ، ٤ الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة سنة ١٩٦٦ .
- ابن بلقين ( الأمير عبد الله بن بلقين الزيري آخر ملوك بني زيري بغرناطة ) : مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري ( ٤٦٩ - ٤٨٣ هـ ) المسماة كتاب التبيان ، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال سلسلة ذخائر العرب ١٨ ، مصر بدون .
- ابن حزم ( الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م ) : الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى ، تحقيق د/ إحسان عباس ، دار العروبة ، القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
- ابن حوقل ( أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبى ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م ) : صورة الأرض ، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة ، بدون .

- ابن خرداذبة ( عبيد الله بن عبد الله المعروف ، بابن خرداذبة ت حوالى ٣٠٠ هـ / ٩١٢

: كتاب المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بيروت ، بدون .

- ابن الخطيب ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السليماني ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م )

: كتاب أعمال الإعلام فيمن بويغ قبل الإحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ اسبانيا الاسلامية ، تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت سنة ١٩٥٦ .

- .....: كتاب أعمال الإعلام أو تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط تحقيق أحمد مختار العبادى ، ومحمد الكتانى ، الدار البيضاء سنة ١٩٦٤ .

- .....: الإحاطة بأخبار غرناطة ، المجلد الثانى . تحقيق محمد عبد الله عنان مكتبة الخانجي ، القاهرة سنة ١٩٧٤ م .

- ابن خلدون ( عبد الرحمن بن محمد بنى جابر بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ت ٨٠٦ هـ / ١٤٠٦ م )

. كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، أجزاء دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢ ط ١

- ابن رشد ( أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٩ م )

: فتاوى ابن رشد ، تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور المختار بن الطاهر التليلى ، ثلاث مجلدات ، دار الغرب الإسلامى بيروت سنة ١٩٨٧ ط ١ .

- ابن سلمون ( أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن سلمون الكنانى ) : كتاب العقد المنظم للحكام فيما يحرى بين أيديهم من العقود والأحكام ، بهامش كتاب تبصرة الحكام لابن فرحون المالكي المطبعة البهية : مصر ١٣٠٢ هـ

- ابن سهل ( أبو الأصبع عيسى بن سهل بن عبد الله الاسدى الجيانى ت ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م )

: كتاب الأحكام الكبرى المسماة " الإعلام بنوازل الأحكام " تحقيق نقدى ودراسة نصوح نجار ، دكتوارة جامعة كمبلوتنسى مدريد ١٩٧٣ سنة ، غير منشورة .

- ابن صاحب الصلاة ( أبو مروان عبد الملك بن محمد بن محمد بن إبراهيم الباجي ت ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م )

: تاريخ المن بالإمامة أو تاريخ بلاد المغرب والأندلس فى عهد الموحدين ، تحقيق عبد الهادى التازى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت سنة ١٩٨٧ ط ٣



- ابن عبدون ( محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي )  
: رسالته في القضاء والحسبة ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة  
والمحتسب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة سنة ١٩٥٥ .
- ابن عذارى (أبو عبد الله محمد بن عذارى المراكشي ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م .  
: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الأول والثاني ،  
تحقيق ، ليعي روفنسال وج . س . كولان دار الثقافة ، بيروت  
١٩٨٣ ط ٣ .
- ابن العطار ( أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبيد الله الأموي ت  
٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م )  
: كتاب الوثائق والسجلات ، تحقيق بدروشالميتا وف - كورينطى ، معهد  
المو تقين المجريطى ، المعهد الإسباني العربى للثقافة ، مدريد سنة  
١٩٨٣ .
- ابن الفرضى ( أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ت ٤٠٣ هـ —  
/ ١٠١٣ م ) .  
: تاريخ علماء الأندلس ، المكتبة الأندلسية ، ٢ ، الدار المصرية للتأليف  
والترجمة القاهرة . سنة ١٩٦٦ .
- ابن القطان ( أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي ،  
منتصف السابع الهجرى ) .  
: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق محمود على مكى ،  
دار الغرب الإسلامى ، بيروت سنة ١٩٩٠ ط ١ .
- ابن قيم الجوزيه ( شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى  
الدمشقى المشهور بابن قيم ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠ م )  
: زاد المعاد فى هدى خير العباد ، الجزء الخامس ، تحقيق شعيب الأرنؤوط  
، عبد القادر الأرنؤوط ، بيروت سنة ١٩٨٧ .
- : أحكام أهل الذمة ، الجزء الأول ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ،  
الأسكندرية ، بيروت سنة ١٩٩٥ ط ١ .
- ابن مغيث ( أحمد بن مغيث الطليطلى ت ٤٥٩ هـ / ١٠٦٧ م )  
: المقنع فى علم الشروط ، تحقيق وتقديم . فرانسيسكو سادابا ، المجلس  
الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربى ،  
مدريد سنة ١٩٩٤ .
- ابن منظور ( جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ت ٧١١هـ / ١٣١١م )  
: لسان العرب المجلد ١١ ، دار صادر ، بيروت سنة ١٩٥٦ .
- أبو عبيد ( الحافظ الحجة أبو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م )  
: كتاب الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، القاهرة سنة ١٩٦٨ ، ط ١ .

- أبو يوسف ( أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي فى عصر الرشيد )  
كتاب الخراج ، المطبعة السلفية ، القاهرة سنة ١٣٤٦هـ .
- إدريس ( الداعى إدريس عماد الدين ت ٨٧٢ هـ / ١٤٨٨ م )  
: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار  
، تحقيق محمد اليعلاوى ، دار الغرب الاسلامى بيروت سنة ١٩٨٥ ط ١
- الإدريسى ( محمد بن محمد بن عبد الله المعروف بالشرىف الإدريسى . من  
أهل القرن السادس )  
: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مجلدان ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة  
١٩٩٤ هـ .
- البخارى ( أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م )  
: متن البخارى بحاشية السندى ، دار إحياء الكتب العربية بدون .
- البكرى ( أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن  
مصعب البكرى ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م )  
: المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، تحقيق دي سنان الجزائر، سنة  
١٩١١ م
- البلاذرى ( أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م )  
: فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، عمر أنيس الطباع ، بيروت  
سنة ١٩٨٧ م
- البيهقى ( أبو بكر بن على الصنهاجى المكنى بالبيهقى كان حيا منتصف القرن  
السادس الهجرى )  
: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، تحقيق  
عبد الوهاب بن منصور ، الرباط سنة ١٩٧١ .
- الجرسيفى ( عمر بن عثمان الجرسيفى )  
: رسالته فى الحسبة ، ضمن ثلاث رسائل فى آداب الحسبة والمحتسب  
تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة سنة ١٩٥٥ .
- الجؤزرى : ( أبو على منصور العزيزى الجؤزرى )  
: سيرة الاستاذ جؤز ، القاهرة سنة ١٩٥٤ .
- الحميرى ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجى ، عاش  
فى القرن السابع البحرى / الثالث عشر الميلادى )  
: الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس بيروت  
١٩٨٤ ط ٢ .
- الخشنى ( أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيروانى ت  
٣٦١ هـ / ٩٧١ م )

: أخبار الفقهاء والمحدثين ، دراسة وتحقيق ماريا - ل - آبيلا ولويس مولينا ،  
المجلس الأعلى للابحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربى ، مدريد  
سنة ١٩٩٢ .

-.....: طبقات علماء أفريقية ، تقديم وتحقيق محمد زينهم عزب ، مكتبة  
مدبولي ، القاهرة سنة ١٩٩٣ ط ١ .

- الشاطبى ( أبو محمد هارون بن أحمد الشاطبى )  
: الدر الموضوعية فى المسائل المجموعة ، مخطوط ، المكتبة الوطنية مدريد  
رقم ٢١٥٧٣ .

- الشوكانى ( قاضى القضاة محمد بن على بن محمد بن محمد عبد الله  
الشوكانى الصنعانى ت ١٢٥٥هـ / ١٨٣٤م )  
: نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ، المجلد الخامس  
، مكتبة دار التراث ، القاهرة بدون .

- الضبى ( أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبى ت ٥٩٩هـ / ١٠٢٣م )  
: بغية الملتبس فى تاريخ رجال الأندلس ، المكتبة الأندلسية ، دار الكاتب  
العربى ، القاهرة سنة ١٩٦٧ .

- العسقلانى ( أحمد بن على بن حجر العسقلانى ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م )  
: فتح البارى بشرح صحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ،  
المجلد الخامس ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، عبد العزيز بن عبد الله  
بن باز ، دار الفكر ، بدون .

- الفهرى ( الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد الفهرى ت ٤٦٢هـ /  
١٠٦٩م )

: السفر الثامن من المسائل والوثائق المجموعة من كتب الفقهاء ابن أبى  
زمنين وابن العطار وابن الهندي وموسى بن أحمد ، مخطوط مدرسة  
الدراسات العربية مدريد رقم ١١٠ .

- المالقى ( أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبى المالقى ت ٤٩٧هـ /  
١١٠٣م )

: الأحكام ، تقديم وتحقيق الصادق الحلوى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت  
سنة ١٩٩٢ ط ١

- المالكى ( أبو بكر عبد الله بن محمد المالكى المتوفى فى أواخر القرن  
الرابع الهجرى / العاشر الميلادى )

: كتاب رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم  
ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، جزءان تحقيق بشير  
الكوش ، محمد العمروسى المطوى دار الغرب الإسلامى ، بيروت سنة  
١٩٩٤ ط ٢ .

- مجهول : الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، الدار البيضاء سنة ١٩٧٩ .
- مجهول : نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى ، تحقيق ليفي بروفنسال ، الرباط سنة ١٩٣٤ .
- مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها - رحمهم الله - والحروب الواقعة بينهم ، حقيقه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري ، القاهرة ، بيروت سنة ١٩٨١ ط ١
- المراكشي ( محيى الدين أبو محمد عبد الواحد بن على المراكشي ت ٦٤٧هـ - / ١٢٤٩ م )
- : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تقديم وتحقيق محمد زينهم عزب ، دار الفرجاني ، القاهرة سنة ١٩٩٤ .
- .....: وثائق المرابطين والموحدين ، تحقيق حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة سنة ١٩٩٧ ط ١ .
- المقرئى ( تقى الدين ابى العباس أحمد على المقرئى ت ٨٥٤ هـ - / ١٤٤١ م )
- : كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المسمى بالخطط المقرئيه ، الجزء الاول ، دار صادر بيروت ، بدون .
- النسائي ( أحمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م )
- : سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى الجزء السابع ، دار الحديث ، القاهرة ١٩٨٧ م .
- النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكرى ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٦ م )
- : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، الجزء ٢٤ ، تحقيق حسين نصار ، مراجعة عبد العزيز الأهوانى ، القاهرة سنة ١٩٨٣ م .
- الونشريسي ( أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بنى على ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م )
- : المعيار المغرب والجامع المغرب فى فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب . أجزاء ، تحقيق مجموعة من الفقهاء تحت إشراف الدكتور محمد حجي دار الغرب الإسلامى ، بيروت سنة ١٩٨١ م .

#### ثانيا : المراجع

- أحمد محمد الطوخى (دكتور) : مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر ، الاسكندرية سنة ١٩٩٧ م .
- بروفنسال ( ليفى ) : سلسلة محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة محمد عبد الهادى شعيره ، مراجعة عبد الحميد العبادى ، القاهرة سنة ١٩٥١ .

- : مجموع رسائل موحيده من إنشاء كتاب الدولة المؤمينة ، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية ، رباط الفتح سنة ١٩٤١ .
- جروهمان ( أدوارد ) : أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية السفر الثانى ترجمة حسن ابراهيم حسن ، مراجعة عبد الحميد حسن ، القاهرة ١٩٩٤ ط ٢ .
- جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، الجزء الأول ، مراجعة دكتور حسين مؤنس ، القاهرة سنة ١٩٨٦ .
- الحبيب الجناحاني ( دكتور ) : دراسات فى التاريخ الاقتصادى و الاجتماعى للمغرب الإسلامى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت سنة ١٩٨٦ .
- حسن أحمد محمود ( دكتور ) : قيام دولة المرابطين ، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى ، دار الفكر العربى ، القاهرة سنة ١٩٩٦ ط ٢ .
- حسين مؤنس ( دكتور ) : فجر الأندلس ، دراسة فى تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى قيام الإمارة الأموية ٧١١ - ٧٥٦ م القاهرة سنة ١٩٥٩ .
- .....: فتح العرب للمغرب ، مكتبته الثقافه الدينية ، القاهرة بدون .
- زينب عصمت راشد ( دكتور ) : تاريخ أوربا فى العصر الحديث ، القرن التاسع عشر ، دار الفكر العربى القاهرة بدون .
- صلاح أحمد عيد ( دكتور ) : موالى بنى أمية فى الأندلس وأثرهم فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ١٣٨ - ٣٦٦ هـ / ٧٥٦ - ٩٧٦ م ، ماجستير آداب المنيل سنة ١٩٩١ ، غير منشورة
- .....: عامة قرطبة منذ بداية الفتنة حتى نهاية عهد المرابطين ٣٩٩ - ٥٤٣ هـ / ١٠٠٩ - ١١٤٨ م ، دكتوراه آداب المنيا سنة ١٩٩٦ غير منشوره .
- عبد العزيز الثعالبي : تاريخ شمال أفريقيا من الفتح الإسلامى إلى نهاية الدولة الأغلبية جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس مراجعة حمادى الساحلى ، بيروت سنة ١٩٨٧ .
- عز الدين أحمد موسى ( دكتور ) : النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجرى ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ١٩٨٣ ط ١ .
- قطب محمد ابراهيم : السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز ، القاهرة سنة ١٩٨٨ م .
- كمال السيد أبو مصطفى ( دكتور ) : الأحباس فى الأندلس ضمن بحوث فى تاريخ وحضارة الأندلس فى العصر الإسلامى ، الاسكندرية سنة ١٩٩٣ م .
- محمد ضياء الدين الرئيس ( دكتور ) : الخراج والنظم المالىة للدولة الاسلامية ، القاهرة سنة ١٩٧٧ ، ط ٤ .
- محمد الطالبي : الدولة الأغلبية ، التاريخ السياسى ١٨٤ - ٢٩٦ هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩ م . تعريب المنجى الصيادى ، مراجعة حمادى الساحلى دار الغرب الاسلامى سنة ١٩٩٥ ط ٢ .

- محمد عبد الوهاب خلاف ( دكتور ) : وثائق في شئون الحسبة في الأندلس مستخرجه من مخطوط الأحكام لابن سهل ، مراجعة د / محمود على مكى م . مصطفى كامل إسماعيل . القاهرة سنة ١٩٨٥ ط ١ .

-... وثيقة في إغتصاب ابن السقاء قيم دولة ابن جهور لأموال بيت مال المسلمين مستخرجة من مخطوط الاحكام الكبرى للقاضي أبي الاصبغ عيسى بن سهل الأسدي الأندلسي . مجلة أوراق . العدد الخامس والسادس مدريّة ١٩٨٢ - ١٩٨٣ .

-...: خطة الأحياس في الأندلس ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة العدد ٥٣ لسنة ١٩٩٢ ، الخاص بالحضارة الأندلسية .

- محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الثالث ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، القسم الاول ، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية ، القاهرة سنة ١٩٩٠ ط ٢ .

- محمد عيسى الحريري ( دكتور ) : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني . دار القلم ، الكويت سنة ١٩٨٧ ط ٢ .

- مراجع عقيله الغنای (دكتور) : قيام دولة الموحدين ، بنغازي سنة ١٩٨٨

- هشام سليم أبو رميله (دكتور) : علاقات الموحدين بالمالك النصرانية والدولة الإسلامية في الأندلس ، عمان الأردن سنة ١٩٨٤ ط ١

- هوبكنز ( ج - ف - ب ) "دكتور" : النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، نقله عن الانجليزية دكتور أمين توفيق الطيبي ، ليبيا ، تونس سنة ١٩٨٠ م .

- يعقوب أرئين : الأحكام المرعية في شأن الأراضي المصرية ، تعريب سعيد عمون ، المطبعة الأميرية بولاق سنة ١٣٠٦ هـ .

- Chalmeta ( pedro ) : El señor del zoco en España , Edad Media Y Moderna instituto Hispano- Arabe de cultura Madrid 1973 .

- Codera ( D. Francisco ): Decadencia y Desaparicion de los Almoravides en España , Zaragoza . 1899 .

- Dozy ( R ) : supplement aux Dictionares Arabes tome 2 , Beuroute 1963 .

- Dozy et Engelman ( w- H ) : Glassaire des mots Espagnols et Porugais . derives l' Arabe . Beirute 1974

- El Azemmori ( Thami ) : Les Nawzel de Ibn sahl section Relative Al Ehtsab , in Hešpris tomada , vol xiv 1973 .

- Guichard ( pierre ) : Al Andalus,Esturctura Antropologica de una sociedad Islamica en accidente , Barcelona , 1973

- Hernandez ( Miguel Cruz ) : El Eslam de Al Andalus ,

- Historia y Estructura de su realidad social, Madrid , 1992
- **Ibn Marzuq** : El musulmán, Hechos memorables de Abu l-Hasan , sultan de los Beni Marians , Estudio , Traducción , Anotación , Indices, Anotados , por Maria . j . Viguera . Madrid 1977 .
  - **Provençal ( live )** : España Musulmana Hasta la Caída del califato de Córdoba ( 711 – 1031j . c) Traducción Por E.G Gomez en Historia de España , Dirigida por R.M Pidal , Tercera parte , instituciones y cultura . Madrid 1950
  - **Rachel Arié** : España Musulmana siglos VIII- XV vol III en Historia la España , dirigida por Manuel Tunón de Lara , Madrid , 1993 .





## ابن ظفر الصقلي ومكانته العلمية

د. علو محمد سعيد الزهراني<sup>(\*)</sup>

يتطلب البحث في مجال الحياة العملية لشخص ما من أعلام الحضارة الإسلامية جهدا خاصا وبحثا مضمنا في بطون الكتب ، وخاصة كتب السير والتراجم والأعلام . ومع ذلك فإن هذا النوع من الدراسات ممتع وشيق لان البحث في تاريخ العلوم عند المسلمين يدخل على النفس الاعتزاز بمآثر أولئك العلماء الأفاضل الذين أبدعوا في كل مجال وأصبحوا مشاغل تثير الطريق للبشرية جمعاء . هذا فضلا عما في هذا النوع من الدراسات من شحذ للهم لإبراز دور المسلمين في النهوض بمستوى الحضارة البشرية مما عاد بالنفع على مختلف الأمم والشعوب .

وفي هذه الدراسة نتعرض لأحد أولئك الأعلام الكبار الذين كان لهم أكبر الأثر في تاريخ الحضارة الإسلامية بما قدمه من مؤلفات عظام ، في شتى المجالات ونقصد بهذا العلم ابن ظفر الصقلي<sup>(١)</sup> وهو عالم طويل الباع ، متنوع الثقافة ، ومع ذلك فإنه لم يحظ بانتباه الباحثين - فيما أعلم - اللهم إلا ببعض البحوث عن منهجه في التفسير ، ومن ذلك كتابه " سلوان المطاع في عدوان الأتباع"<sup>(٢)</sup> .

وقد بدأت هذه الدراسة بالحديث المختصر عن العصر الذي عاش فيه ابن ظفر الصقلي من الناحيتين السياسية والعلمية ، وأعقب ذلك بالحديث عن اسمه وكنيته ولقبه ومولده ونشأته .

ثم تحدثت بعد ذلك عن رحلاته وتنوع مصادر ثقافته . وأعقب ذلك بالحديث عن صفاته وثناء العلماء عليه . وبعد ذلك كان الحديث عن تلاميذه ومذهبه .

---

(\*) أستاذ مساعد ورئيس قسم الحضارة والنظم الإسلامية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة .

وعندما انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن مؤلفاته أوضحت ما هو موجود منها وما هو مفقود ، مع ذكر نماذج من بعضها ليتعرف القارئ على بعض ما تتضمنه تلك المؤلفات .

وأخيرا ذكرت بعضا من شعر ابن ظفر الصقلي ، ثم ختمت هذه الدراسة بالحديث عن وفاته ، فقائمة المصادر والمراجع .

### الحالة السياسية في عهده :

عاش ابن ظفر الصقلي فيما بين سنتي ٤٩٧هـ — / ١١٠٣ م - ٥٦٥هـ — / ١٩٦ م . وقد ولد في صقلية حسب قول أكثر المترجمين له - كما سيوضح ذلك لاحقا - وكانت صقلية في هذه الفترة خاضعة للنورمان<sup>(٣)</sup> . الذين استطاعوا إخراج المسلمين منها بعد فترة من الصراع والفوضى .

وكانت بداية حكم النورمان الفعلي لجزيرة صقلية في سنة ٤٨٤ هـ — / ١٠٩١ م . حيث بسط الملك روجر النورمندی نفوذه على جميع الجزيرة وأسكنها الروم والفرنج مع من بقى من المسلمين<sup>(٤)</sup> .

أما عن دولة الخلافة ( الدولة العباسية ) فقد كانت عندئذ في حالة ضعف مكن السلاطين السلاجقة<sup>(٥)</sup> من السيطرة على خلفائها ، بل وصل بهم الأمر بعد أن أصبحوا أكبر قوة عسكرية في المشرق الإسلامي إلى أسر خليفة عباسي<sup>(٦)</sup> وخلع آخر<sup>(٧)</sup> ، وخضعت لهم البلاد واتسعت رقعة دولتهم إلى أن توفي السلطان مسعود<sup>(٨)</sup> ، و بوفاته لم تقم لهم قائمة بعد ذلك .

وقد حاول الخليفة العباسي المقتدى لأمر الله<sup>(٩)</sup> أن يعيد مركز الخليفة وهيبته . ونجح بتأييد ومساعدة وزيره عون الدين يحيى بن هبيرة<sup>(١٠)</sup> والتفاف العامة حوله ، في حكم العراق من أقصى الكوفة إلى حلوان ومن حد تكريت إلى عبادان<sup>(١١)</sup> .

وكان ذلك في الفترة التي ضعف سلطان الدولة الفاطمية ، المتمركزة في مصر ، حيث تمكن الأيوبيون من إسقاطها<sup>(١٢)</sup> .

أما في المغرب الإسلامي فقد تمكن الموحدون من إسقاط دولة المرابطين سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧ م<sup>(١٣)</sup> .

ولم يسلم العالم الإسلامي في تلك الفترة من الحروب والمناوشات مع الإفرنج، حيث كان الإفرنج يستغلون فترات الصراع والانقسام في العالم الإسلامي فيغيرون عليه . وقد تركزت هجمات الإفرنج على بلاد الشام والأندلس وإفريقية ، حتى تمكنوا من الاستيلاء على مدينة المهدية<sup>(١٤)</sup> سنة ٥٣٤هـ / ١١٤٨ م<sup>(١٥)</sup> . وكان ذلك السقوط سببا من أسباب خروج ابن ظفر الصقلي منها إلى الأندلس كما سيأتي بيانه لاحقا .

### أما عن الحياة العلمية في عصره :

وقد سبق أن ذكرنا أن ابن ظفر ولد سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م . في صقلية التي كانت عندئذ خاضعة للحكم النورمندی . وهنا نلاحظ أن الحضارة الإسلامية ظلت نشطة في جزيرة صقلية ، تحت حكم النورمان ، كما استمرت اللغة العربية تشارك غيرها من اللغات كالإيونانية واللاتينية في الحياة اليومية ، وفي الدراسات العلمية ، حتى أن بلاط حكام صقلية النورمان كان يعج بالمتكلمين بالعربية ، من علماء ووزراء وخاصة وغيرهم . بل زاد الأمر على ذلك أن بعض الحكام النورمان كانوا يتكلمون العربية ويصدرون بها مراسيمهم<sup>(١٦)</sup> .

بل لقد اختص البلاط النورمندی بعضا من مشاهير العلماء المسلمين في محاولات شتى<sup>(١٧)</sup> . وكانت الحضارة الإسلامية في ذلك الوقت قد بلغت درجة كبيرة من الازدهار والاتساع . ففي المغرب والأندلس اهتم المرابطون والموحدون بالعلم والعلماء ، وشجعوا كل ما من شأنه رفعة العلم وأهله . يقول المراكشي عن علي بن يوسف<sup>(١٨)</sup> . " اشتد إيثاره لأهل الفقه والدين ، وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء ، فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما " <sup>(١٩)</sup> .

أما مؤسس دولة الموحدين ابن تومرت<sup>(٢٠)</sup> ، فقد كان من أعيان علماء عصره، وهو القائل عن العلم " أعز ما يطلب ، وأفضل ما يكسب ، وأنفس ما

يدخر ، وأحسن ما يعمل به : العلم الذى جعله الله سبب الهداية إلى كل خير ، هو  
أعز المطالب ، وأفضل المكاسب ، وانفس الذخائر ، وأحسن الأعمال " (٢١) .

هذا بينما كان السلاجقة فى الشرق قد أدركوا أن العلم هو سياج الدولة  
وعمادها ، وإن العلماء هم مشاعل الحضارة ورواد الأمة ، فعملوا على تشجيع  
العلوم ، وبنوا المدارس والخوانق والربط لطلاب العلم ، وأكرموا العلماء ،  
وأحسنوا وفادتهم (٢٢) .

ولهذا فقد كانت قصور السلاطين ومجالسهم عامرة بعلماء الدين والشعراء  
والأدباء ورواد العلم والمعرفة (٢٣) كما حرص سلاطين السلاجقة على ارتباط  
الحكماء والأطباء بهم ، وانقطاعهم إلى قصورهم (٢٤) .

أما الفاطميون فقد اتخذوا من قصورهم مجالس للعلماء ، وأكثروا من تنظيم  
الدروس لإقناع الناس بدعوتهم ، وشرح قواعد مذهبهم وبنوا دور العلم ، وشيدوا  
المكتبات ، ليجعلوا من القاهرة وهى عاصمة دولتهم ، مركزا علميا ينافس عاصمة  
الخلافة العباسية فى بغداد (٢٥) .

#### اسمه ونسبه وكنيته ومولده :

ترجم لابن ظفر الصقلى عدد كبير من المؤرخين ، وكتاب السير ، والمعاجم ،  
حيث كان نشاطه الفكرى ، وتنقلاته بين أقطار الدولة الإسلامية شرقا ، وغربا محل  
اهتمام الرحالة ، واللغويين ، والنحاة ، والفلاسفة ، وجميع المهتمين بأدب المراسم ،  
والمواعظ ، والوصايا ، والحكم ، والأمثال .

وقد ذكر المترجمون له أن اسمه : محمد بن أبى محمد ، وقيل : اسم أبيه  
محمد وقيل : عبد الله بن محمد بن ظفر . ويكنى بأبى عبد الله ، وأبى جعفر ،  
وأبى هاشم ، ويلقب بحجة الدين ، وحجة الإسلام وبرهان الدين (٢٦) .

#### رحلاته وتنوع مصادر ثقافته :

مال ابن ظفر منذ سنى عمره الأولى إلى حب الأسفار ولقاء العلماء  
والشيوخ، فكان لكثرة أسفاره فى البلدان أثره الواضح على تنوع مصادر ثقافته ،  
حيث تنوعت مناهلها ، وبدا ذلك واضحا فى كثرة مؤلفاته وتعدد موضوعاتها .

وكانت الرحلة في طلب العلم في ذلك العصر هي الدافع الأول لكثرة الأسفار، فيترك الطالب بلده بعد أن يحصل ما لدى علمائها ، ويتوجه إلى مراكز العلم المنتشرة في انحاء العالم الإسلامي ، ويكابد مشاق السفر وأخطاره ، وربما قطع الواحد منهم آلاف الأميال لمجرد قراءة كتاب واحد ، أو لسماع حديث واحد<sup>(٢٧)</sup> .

ويقرر ابن خلدون في مقدمته أهمية الرحلة في طلب العلم ، وأنه لا بد منها لاكتساب الفوائد ، والكمال بقاء الشيوخ ، فيقول : ( الرحلة في طلب العلم ، ولقاء المشيخة ، مزيد كمال في التعليم )<sup>(٢٨)</sup> .

وكان ابن ظفر الصقلي أحد أبناء صقلية الإسلامية ، الذين جالوا في البلدان طلباً للعلم ، وقد تحدثت المصادر عن أسفاره ورحلاته ، فنكرت أنه سافر إلى مكة المكرمة ، وبها بدأ تعليمه ، إذ يذكر ابن خلكان أن نشأته كانت بمكة<sup>(٢٩)</sup> وبها بدأ تعليمه<sup>(٣٠)</sup> ثم بعد ذلك رحل ابن ظفر إلى مصر ، وفيها كان اللقاء بعلمائها وشيوخها ، وعلى رأسهم العلامة أبو الطاهر السلفي<sup>(٣١)</sup> . الذي كان مقصد الكثير ممن وفدوا على مصر ، حيث كانت المدرسة المسماة باسمه ، مركزاً ثقافياً لتبادل الأفكار والمعلومات ، وللسماع ومنح الإجازات ، ولا بد أن يكون ابن ظفر قد استفاد من اللقاء بأبي الطاهر وإن يكون أحد العلماء الذين تردوا على مدرسته أثناء فترة إقامته بمصر ، ومن هؤلاء العلماء المشهورين الذين التقى بهم في مصر ، أبو بكر الطرطوشي<sup>(٣٢)</sup> . المعروف بابن رندقة ، وقد التقى به ابن ظفر بالإسكندرية . وقد استفاد ابن ظفر من كتابات وتعليقات الطرطوشي في كتابه ( سراج الملوك ) ، وانتفع بها ونقل منها في كتابه (سلوان المطاع ) .

ولا نستطيع أن نحدد الفترة الزمنية التي قضاها ابن ظفر في مصر ، حيث سكنت المصادر عن ذلك ، فلم تشر إلى تاريخ دخوله مصر ، أو خروجه منها ، وإنما ذكرت أنه سافر من مصر إلى المغرب ، وأقام بالمهدية ، إلى أن استولى عليها الإفرنج النورمان من المسلمين سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م<sup>(٣٣)</sup> .

ومهما يكن من أمر ، فإن إقامة ابن ظفر الصقلي في المغرب ليست محددة تحديدا دقيقا في المصادر وكل ما أكدته المصادر انه خرج من المغرب بعد سقوط المهديّة وكان قد جاوز منتصف العقد الخامس من عمره ، وبالتالي فإن تكوينه الثقافي قد اكتمل ، وأصبح له شخصيّة ثقافية التي تمكنه من التأليف وتجعل له شهرة واسعة عند القادة والحكام وفي أوساط المتقنين وطلبة العلم . ولكن ذلك لم يكن على الدوام في المغرب فسقوط المهديّة ، جعله يخرج كما خرج غيره من العلماء وطلاب العلم منها .

وكان أن توجه ابن ظفر إلى الأندلس<sup>(٣٤)</sup> التي كانت زاخرة بالعلماء والأدباء فكان اللقاء بها مع الشيوخ الأفاضل ، حيث استفاد ابن ظفر منهم وأفاد . ومن أشهر أولئك الذين التقى بهم ابن ظفر في الأندلس ، ابن العربي<sup>(٣٥)</sup> ، وهو أحد علماء القراءات والتفسير وقد استفاد ابن ظفر من علمه ونقل عنه كما نص على ذلك ابن ظفر في كتابه (ينبوع الحياة)<sup>(٣٦)</sup> وهو كتاب في التفسير ، والذي يظهر لنا انه على الرغم من قصر المدة التي مكثها ابن ظفر في الأندلس قبل وفاة ابن العربي فإن اللقاءات بينهما كانت مثمرة بدليل ما تضمنه كتاب ( ينبوع الحياة ) من نقولات مباشرة عن ابن العربي<sup>(٣٧)</sup> .

كذلك التقى ابن ظفر في الأندلس بعالمها ، ابن الدباغ<sup>(٣٨)</sup> واستمع إليه ، وأخذ منه ، وخاصة في المجال الذي برز فيه ابن الدباغ ، حيث كان عالما بالحديث ، وأسماء الرجال وأزمانهم وثقاتهم وضعفائهم ، وأعمارهم وآثارهم<sup>(٣٩)</sup> .

وفي الأندلس التقى ابن ظفر بعلامة الأندلس في الحديث والفقه والأدب ، ابن مسرة القرطبي<sup>(٤٠)</sup> ، وأخذ عنه ، واستفاد منه<sup>(٤١)</sup> .

وهكذا أضاف ابن ظفر إلى علمه وثقافته شيئا من ثقافة علماء أهل الأندلس ، وخاصة أولئك المشاهير في فنون شتى ، ولا أظن أن ابن ظفر اقتصر في لقائه بعلماء الأندلس على ما أشرنا إليه آنفاً ، وإنما أولئك هم الذين أشارت إليهم المصادر ، وقد تكون سكنت عن آخرين ، ولم تتعرض لهم .

وبعد الأندلس ، عاد ابن ظفر إلى مسقط رأسه ( صقلية ) وفيها زاول نشاطه الفكري في البحث والدروس والتأليف ، حيث أخرج بعض مؤلفاته بها مثل (سلوان المطاع في عدوان الأتباع ) وكتاب (أساليب الغاية في أحكام آيه )<sup>(٤٢)</sup> ، وهذا ما سوف نفصل الحديث عند حديثنا عن مؤلفاته لاحقاً .

ولم يستقر الحال بابن ظفر في بلده صقلية ، فتركها ورحل إلى الشرق ، حيث استقر فترة من الزمن في بغداد ، ثم غادرها إلى دمشق<sup>(٤٣)</sup> ، وقد انفرد الفاسي في العقد الثمين بذكر خبر دخوله إلى بغداد ودمشق ولم يذكر ذلك أحد غيره ممن ترجم لابن ظفر<sup>(٤٤)</sup> .

ثم بعد ذلك كله وجد ابن ظفر بغيته في حلب ، حيث استقر بها فترة من الزمن<sup>(٤٥)</sup> ، أخرج فيها بعض مؤلفاته ، وأهمها كتابه في تفسير القرآن الكريم (ينبوع الحياة)<sup>(٤٦)</sup> والذي سنتحدث عنه لاحقاً .

ولعل أهم ما يميز إقامة ابن ظفر في حلب ، انه اتخذ من مدرسة ابن أبي عصرون<sup>(٤٧)</sup> مقراً له للتدريس ، واللقاء بالشيوخ وطلاب العلم<sup>(٤٨)</sup> فكان نتيجة ذلك أن أخرج بعض مؤلفاته ، بحلب كما سبق وان أشرنا إلى ذلك آنفاً .

وقد تأثر ابن ظفر ، كما تأثر غيره من العلماء والشيوخ وطلاب العلم ، بالفتنة التي حدثت في حلب بين أهل السنة والشيعة<sup>(٤٩)</sup> . ونهبت كتبه فيما نهب ، وفقد بذلك بعضاً من مؤلفاته ، فآثر الرحيل من حلب واتجه إلى حماه وفيها ظل بقية حياته ، حيث أجرى له فيها راتب حكومي ، فعاش عيشة الزهاد فقيراً ، ومع ضيق الحال فقد كتب بقية مؤلفاته بها<sup>(٥٠)</sup> .

#### صفاته وثناء العلماء عليه :

وبناءً على نشأة ابن ظفر ، ورحلاته ، ومؤلفاته الكثيرة في شتى المجالات ، ولقائه بالعلماء والشيوخ وطلاب العلم ، أثبت عليه المصادر ووصفته بالزهد والورع ، والتقلل من متاع الدنيا ، وأشادت بذكائه وسرعة بديهته ، وتحمله للمشاق

فى سبيل العلم ، كما تحدثت عن صلاحه وتقواه ، ومكانته لدى طلاب العلم ومدى إقبالهم عليه فى أى مكان يحل فيه ، ولم تذكره بسوء فلم تطعن فى دينه ، ولم تقدح فى عدالته ، فهذا أسامه بن منقذ التقى به ونقل عنه ووصفه بأنه : ( كان من خيار المسلمين فى دينه وعلمه )<sup>(٥١)</sup> أما العماد الأصفهاني فقد قال عنه : ( كان إمام وقته فى التفسير والأدب )<sup>(٥٢)</sup> ووصفه ياقوت بـ ( النحوى اللغوى الأديب )<sup>(٥٣)</sup> . وقال عنه القفطى انه : ( يلقب بالحجة )<sup>(٥٤)</sup> ، وذكر ابن خلكان انه ينعت ( بحجة الدين ) وانه ( أحد الأبناء الفضلاء )<sup>(٥٥)</sup> ، أما الذهبى فقد وصفه بـ ( العلامة البارع ، حجة الدين )<sup>(٥٦)</sup> وقال عنه الصمدى انه ( أحد الأبناء الفضلاء )<sup>(٥٧)</sup> .

ووصفه الفاسى بأنه ( مشهور بالعلم والخير والعبادة )<sup>(٥٨)</sup> . وانه اشتهر بتذكيره للناس فى المساجد حيث كان يلتقى فيهم الخطب والمواعظ<sup>(٥٩)</sup> أما ابن حجر فقد وصفه بـ ( الأديب المشهور )<sup>(٦٠)</sup> . أما السيوطى فقد ذكر انه كان : ( صالحاً ورعاً زاهداً مشغلاً بما يعنيه )<sup>(٦١)</sup> .

### تلاميذه :

لا بد أن يكون لابن ظفر الصقلى تلاميذ كثيرون ، وذلك لكثرة أسفاره فى البلدان ، فمنهم من أخذ عنه وانتفع بعلمه بطريقة مباشرة عن طريق اللقاء به والدرس عليه ، أو بطريقة غير مباشرة عبر مؤلفاته . والمصادر لم تذكر كثيراً عن تلاميذه ، ولعل ذلك يعود إلى عدم وصوله إلى شهرة أقرانه الذين عاشوا فى عصره كأبى الطاهر السلفى ، وابن أبى عسرون . ومع ذلك فان ما سنذكره من تلاميذه ليدل دلالة واضحة على مكانته المرموقة ، كما أننا سنشير لاحقاً عند حديثنا عن مؤلفاته إلى العلماء الذين استفادوا من مؤلفاته ونقلوا عنها ، وهذا بدوره يؤكد لنا مدى المكانة العلمية المرموقة لابن ظفر الصقلى .

### فمن تلاميذه :

(١) أبو المواهب ، الإمام الحافظ الحسن بن هبة الله بن محفوظ ، الربعى التغلبى ، من الملازمين للحافظ ابن عساكر ، رحل فى البلدان وجمع معجم شيوخه



فى ستة عشر جزءاً ، ومن مؤلفاته ( فضائل الصحابة ) و ( عوالي ابن عيينه )  
( فضائل القدس ) و ( رباعيات التابعين ) . وقد التقى بابن ظفر بحماه ، وسمع منه  
وتوفى سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م<sup>(٦٢)</sup> .

(٢) القاضى أبو المحاسن عمر بن على القرشى ، الزبيرى الدمشقى ، وهو  
فقيه حافظ ، له رحلة فى البلدان لطلب العلم ، التقى بابن ظفر الصقلى وسمع منه  
وأخذ عنه ، وتوفى سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م<sup>(٦٣)</sup> .

(٣) أبو البركات محمد بن على بن محمد الاتصارى الشافعى ، تولى القضاء  
بأسيوط زيادة على عشرين سنة ، وبحماه مده ثمان سنين ، ألف كتاباً سماه :  
( عيون الأخبار و غرر الحكايات والأشعار ) وجمع أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً  
فى أربعين مدينة ، وخرج معجم النساء<sup>(٦٤)</sup> .

التقى بابن ظفر وسمع منه ، وقرأ عليه وبتلاوة منه مباشرة سنة ٥٦٥ هـ /  
١١٦٩ م . كتاب ( سلوان المطاع فى عدوان الأتباع )<sup>(٦٥)</sup> . وكانت وفاته سنة ٦٠٠  
هـ / ١٢٠٣ م<sup>(٦٦)</sup> .

(٤) القاضى الأمين ، شرف الدين ، عز القضاء ، أبو الرضا محمد بن  
سليمان بن الحسن ، وقد ذكر فى مقدمة كتاب ( سلوان المطاع ) انه ممن التقى  
بابن ظفر وأخذ عنه كتاب ( سلوان المطاع )<sup>(٦٧)</sup> .

(٥) الحسن بن عبد الرحيم بن أحمد بن مجون ، الشريف ، أبو محمد  
القناوى ، المالكى ، اشتهر بحسن الخط وجماله ، فكتب كثيراً من كتب الأدب من  
بينها كتاب ابن ظفر ، ( سلوان المطاع فى عدوان الأتباع )<sup>(٦٨)</sup> .

(٦) ابن قدامه ، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدسى ،  
ولد بجماعيل من أرض فلسطين سنة ٥٤١ هـ / ١١٥٦ م وسافر فى البلدان لطلب  
العلم ولقاء الشيوخ<sup>(٦٩)</sup> . فالتقى بابن ظفر وسمع منه<sup>(٧٠)</sup> .

وهو صاحب كتاب ( المغنى ) وكتاب ( الكافى ) و ( المقنع ) و ( روضة الناظر ) وتوفى سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م (٧١) .

هؤلاء هم بعض تلاميذ ابن ظفر ، وليسوا جميعهم لان شخصية علمية بحجم ابن ظفر الصقلى لابد وان يكون له تلاميذ وأتباع كثيرون ، ولكن المصادر لم تشر إليهم ، أو أنها أشارت إلى أكثرهم ، ولكن فيما اطلعت عليه من مصادر لم أجد غير هؤلاء .

#### مذهبه :

ابن ظفر الصقلى مالكي المذهب ، حيث ورد اسمه ضمن الجزء الثالث فى أوزاع المسالك لتعريف أصحاب مالك ، أما أبو الحسن القطيعى فى نيل تاريخ بغداد ، فقد ذكر انه درس الفقه الشافعى . ويذكر الفاسى انه جمع بين الأمرين وبالتالي تنتفى المعارضة (٧٢) .

ولعل الذى يؤكد ذلك انه يعرض فى كتابه (ينبوع الحياة ) آراء الإمام الشافعى وأقواله جنباً إلى جنب مع آراء الإمام مالك فى تفسيره ، وخاصة عند حديثه عن آيات الأحكام (٧٣) .

#### مؤلفاته :

يحتل ابن ظفر الصقلى موقعاً مرموقاً بين أقرانه من العلماء والشيوخ وذلك يرجع إلى علمه وسعة اطلاعه وكثرة مؤلفاته وتنوعها حيث شملت كثيراً من الفنون فى التفسير والتوحيد والفقه واللغة والأدب والوعظ والتذكير وغير ذلك من فنون التأليف .

وقبل أن نستعرض مؤلفات ابن ظفر الصقلى فانه يجدر بنا أن نشير إلى ما ذكر من وصف لمؤلفاته عند من ترجم له :

فقد قال العماد الأصفهاني عن مؤلفاته : ( وله التصانيف الحسنة ،  
والمجموعات المدونة ) . (٧٤)

وقال عنه أيضاً : ( كان شخصاً عزيزاً وقد برز في العلوم على علماء  
عصره تبريزاً ) . (٧٥)

وامتدح القفطي مؤلفات ابن ظفر قائلاً : ( وصنف التصانيف الجميلة في  
أنواع الآداب ) . (٧٦)

كما وصف ابن خلكان مؤلفاته بأنها : ( تصانيف ممتعة ) (٧٧) . كما  
قال : ( بأنها تواليف ظريفة مليحة ) (٧٨) .

وفيما يلي قائمة بمؤلفات ابن ظفر التي أشارت إليها المصادر والمراجع .

١ - كتاب في تفسير القرآن الكريم عرف باسم ( ينبوع الحياة ) وقد ذكرته جميع  
مصادر ترجمته (٧٩) ، قال عنه القفطي ممتدحاً : ( وفسر القرآن تفسيراً جميلاً  
في مصنف سماه ( ينبوع ) (٨٠) أما ابن حجر فقد قال عن ( ينبوع الحياة ) بعد  
أن نسبته إلى مؤلفه ابن ظفر : ( وأورد فيه أحاديث فيها تحريف وزيادة فكأنه  
يذكر من حفظه ) (٨١) .

وقد قام أحد الباحثين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بدراسة منهج ابن  
ظفر في التفسير من خلال كتابة ( ينبوع ) . كما أشرنا إلى ذلك سابقاً . (٨٢)  
والكتاب يتكون من عدة أجزاء خطية متفرقة في خزانات الكتب في دول العالم (٨٣) .

كما انه يوجد من هذا الكتاب أجزاء متفرقة بالمكتبة الأصفية بالهند وذلك  
تحت رقم ( ٤٩١ ) تفسير (٨٤) .

أما عن أهم مميزات تفسير ابن ظفر (٨٥) فهي كثيرة منها انه يجمع الكلام عن  
القراءات في المقطع الذي يريد تفسيره في مكان واحد قبل أن يشرع في التفسير ،

مع نسبة كل قراءة إلى راويها ، وتوجيه بعضها إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، وهذه الميزة قل من يشاركه فيها .

كما أن ابن ظفر في تفسيره قد أهتم بالتفسير بالمأثور وأكثر منه ، وقدمه على غيره ، واستخدمه للكشف عن معانى المفردات وتوضيح الآيات .

ومن مميزات هذا الكتاب أيضاً انه اشتمل على الكثير من الأحاديث النبوية حيث يعتمد عليها عند تقديم قول على قول .

واشتمل الكتاب أيضاً على عرض بعض علوم القرآن كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، والمكي والمدنى ، واعتنى ابن ظفر في كتابه بآيات الأحكام ، وذكر ما يستنبط منها ، وبيان أدلتها من الكتاب والسنة ، وذكر أقوال الفقهاء فى ذلك وأدلتهم .

كما اهتم باللغة فنذكر معانى المفردات واستعمالاتها ، مستدلاً على ذلك بلقوال علماء اللغة وبالشواهد الشعرية . كما انه يذكر بعض الأوجه الإعرابية التى لا بد منها لبيان معانى الآية .

وابن ظفر فى كتابه الينبوع نجد انه يعزو الأقوال إلى أصحابها . سواء فى مجال التفسير أو الحديث ، أو الفقه ، أو الأحكام ، أو القصص والأخبار .

وكتاب بأهمية كتاب ابن ظفر لابد وان يكون له تأثير فى العلماء من بعده حيث ينقلون منه ويعتمدون عليه ، وسوف نورد هنا مثالين لذلك ، فنجد أن الزركشى<sup>(٨٦)</sup> فى كتابه : ( البرهان فى علوم القرآن ) ينقل عن ابن ظفر من كتابه : ( الينبوع ) .

كما أن ابن حجر العسقلانى قد أكثر من النقل من كتاب ابن ظفر ، وضمن ذلك كتابه ( العجائب فى بيان الأسباب )<sup>(٨٧)</sup> .

٢- كتاب أساليب الغاية فى أحكام آية<sup>(٨٨)</sup> ، وهو كتاب مفقود أشارت إليه أغلب مصادر ترجمته ، وتحديث عنه مؤلفاته فى كتابه ( سلوان المطاع فى عدوان الأتباع ) قائلا عنه : ( وهو كتاب ضمنته أحد عشر أسلوبا تفضى بسالكها إلى العلم بالظاهر المستتبط من قول الله سبحانه : ( يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق )<sup>(٨٩)</sup> .

٣- كتاب ( إكسير كيمياء التفسير )<sup>(٩٠)</sup> . وهو كتاب مفقود لا نعرف عنه إلا اسمه من خلال ما ذكرته بعض مصادر ترجمته .

٤- ( فوائد الوحي الموجز إلى فرائد الوحي المعجز )<sup>(٩١)</sup> ، وهو كتاب مفقود، وقد أشار إليه مؤلفه فى كتابه ( ينبوع الحياة ) فى التفسير ، ويتبين من ذلك انه كتاب قد ذكر فيه كلاماً عن أسماء الله وصفاته حيث نجد أن ابن ظفر عند تفسيره لقول الله تعالى ( وربك الغنى ذو الرحمة )<sup>(٩٢)</sup> قال : ( و ذو الرحمة : اسم من أسمائه الحسنی وكذلك ذو الجلال ، ذو الفضل ، و ذو المعارج ، و ذو الطول ، و ذو العرش ، ولم يختلف عريبان فى أن الأنواء أسماء . وقد بينت هذا فى الكتاب المسمى : ( فوائد الوحي )<sup>(٩٣)</sup> .

كما ذكر فى موضع آخر من تفسيره اختلاف العلماء فى لفظ الجلالة : هل هو مشتق أم لا ؟ . ثم قال : ( وقد بينت هذا وغيره فى الوحي الموجز )<sup>(٩٤)</sup> .

٥- كتاب ( البرهانية فى شرح الأسماء الحسنی )<sup>(٩٥)</sup> وهو كتاب مفقود .

٦- ( أرجوزة فى الفرائض والولاء )<sup>(٩٦)</sup> . وهى مفقودة أيضاً .

٧- ( الجنة فى اعتقاد أهل السنة )<sup>(٩٧)</sup> . وهو كتاب مفقود .

٨- ( التّسحين فى أصول الدين )<sup>(٩٨)</sup> . وهو مفقود .

٩- ( الخوذ الواقية والعود الراقية ) وهو كتاب فى الوعظ والإرشاد<sup>(٩٩)</sup> وهو مفقود .

١٠- ( العادات ) وهو كتاب فى الاعتقاد<sup>(١٠٠)</sup> . وهو مفقود .

- ١١- ( كشف الكشف فى نقض الكتاب المسمى بالكشف )<sup>(١٠١)</sup> . مفقود أيضاً .
- ١٢- ( مالك الأنكار فى مسالك الأفكار )<sup>(١٠٢)</sup> .
- ١٣- ( المنشئ فى الفقه ) على مذهب الإمام مالك رحمه الله<sup>(١٠٣)</sup> . وهو مفقود .
- ١٤- ( نصائح الذكرى )<sup>(١٠٤)</sup> وهو كتاب فى الوعظ وقد نقل عنه القرطبى<sup>(١٠٥)</sup> فى كتابه ( التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ) . ومن ذلك قوله فى باب ( ما جاء أن الميت يحضر الشيطان عند موته ، وجلساؤه فى الدنيا وما يخاف من سوء الخاتمة ) . فقال : ( حكى ابن ظفر فى كتاب النصائح له قال : يونس ابن عبيد رحمه الله تعالى بزازاً ، وكان لا يبيع فى طرفى النهار ، ولا فى يوم غيم ، فأخذ يوماً ميزانه فرضه بين حجرين قليل له : هلا أعطيته الصانع فأصلح فساداه ؟ فقال : لو علمت فيه فساداً لم أبقيت من مالي قوت ليلة . قيل له : فلم كسرتاه ؟ قال حضرت الساعة رجلاً احتضر . فقلت له : قل لا اله إلا الله . فامتعض . فألححت عليه . فقال : أدع الله لى . فقلت : أفما يمنعك إلا من قولها ؟ فقال : نعم . قلت : وما كان عملك به ؟ قال : ما أخذت ولا أعطيت به إلا حقاً فى علمى ، غير انى كنت أقيم المدة لا أفنقده ولا أختبره . فكان يونس بعد ذلك يشترط على من يبايعه أن يأتى بميزان ويزن بيده وإلا لم يبايعه )<sup>(١٠٦)</sup> .

وقد ذكر المقرئ فى كتابه المقفى أن لابن ظفر إلى جانب كتاب ( نصائح الذكرى ) كتاب آخر باسم ( رياض الذكرى )<sup>(١٠٧)</sup> .

- ١٥- ( الإشارة إلى علم العبارة )<sup>(١٠٨)</sup> . وهو كتاب فى تعبير الرؤيا ، حيث ذكر ذلك مؤلفه فى تفسيره ( ينبوع الحياة ) وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى : ( يا صاحبى السجن أما أحد كما فيسقى ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه تستفتيان )<sup>(١٠٩)</sup> . حيث تكلم عن الرؤيا وأورد

حديثاً عن تعبير النبي ﷺ لرؤيا المرأة التي أتت تسأله عن رؤياها<sup>(١١٠)</sup> . ثم قال بعد ذلك : ( وقد أحسنت الكلام على هذا الحديث وغيره من الأحاديث النبوية في علم التعبير وأفعمت بذلك كتاباً صغير الحجم عظيم الجد على طالب هذا العلم فسميته الإشارة إلى علم العبارة )<sup>(١١١)</sup> .

١٦- (أعلام النبوة ) وهو كتاب مفقود<sup>(١١٢)</sup> .

١٧- ( الأنباء عن الكتاب المسمى بالإحياء )<sup>(١١٣)</sup> . وهو مفقود .

١٨- ( معاتبه الجريء على معاقبة البريء )<sup>(١١٤)</sup> . وهو مفقود .

١٩- ( ملح اللغة ) وهو كتاب فيما اتفق لفظه واختلف معناه على حروف المعجم<sup>(١١٥)</sup> . وهو كتاب مفقود أيضاً .

٢٠- ( القواعد والبيان ) فى النحو<sup>(١١٦)</sup> وهو كتاب مختصر كما ذكر المقرئى<sup>(١١٧)</sup> وهو كتاب مفقود .

٢١- الاستنباط المعنوى<sup>(١١٨)</sup> وهو كتاب مفقود .

٢٢- الاشتراك اللغوى<sup>(١١٩)</sup> . وهو كتاب مفقود .

٢٣- وقد ذكرت بعض المصادر أن الكتابين السابقين إنما هما كتاب واحد<sup>(١٢٠)</sup> . وذلك على خلاف ما ذكرته بعض المصادر الأخرى التى ترجمت لابن ظفر الصقلى ، والتى عدتهما كتابين منفصلين .

٢٤- ( بيان الصور فى الميقات ) وهو كتاب مرتب على عشرين باباً يستعان به على معرفة الأوقات بالآلة<sup>(١٢١)</sup> . وهو مقدمة فى الميقات أوله ( أما بعد: حمداً لله لا يحاط بمعلوماته ..... )<sup>(١٢٢)</sup> . وهو كتاب مفقود .

٢٥- ( بيان القدر بين سنة وشهور ومنازل وقمر ) وهو مختصر على عشرين باباً فى علم الميقات<sup>(١٢٣)</sup> وهو كتاب مفقود .

٢٦- ( مثنى الاستئناف للمعونة والإشراف ) وقد ذكره مؤلفه فى كتابه (سلوان المطاع فى عدوان الأتباع) <sup>(١٢٤)</sup> . وهو كتاب مفقود .

٢٧- ( الجود الواصب ) وهو كتاب انفراد بذكره المقرئى ولم أجده عند غيره <sup>(١٢٥)</sup> .

٢٨- ( الحاشية على درة الغواص ) للحريرى <sup>(١٢٦)</sup> . وقد ذكر حاجى خليفة فى (كشف الظنون) <sup>(١٢٧)</sup> ، أن هذه الحاشية هى ضمن مجموعة حواش ، حاشية لأبى محمد عبد الله ابن برى <sup>(١٢٨)</sup> . وحاشية لابن ظفر الصقلى ، وأخرى لعبد الله ابن أحمد النحوى ، المعروف بابن الخشاب <sup>(١٢٩)</sup> .

وفىما يتعلق بحواشى ابن برى وابن ظفر على درة الغواص فقد قام بتحقيقها وإخراجها الدكتور أحمد طه سلطان فى عام ١٤١١هـ / ١٩٩٠م <sup>(١٣٠)</sup> .

وكتاب ( درة الغواص فى أوهام الخواص ) من الكتب التى لها مكانة كبيرة عند العلماء والكتاب والأدباء ، إذ يعالج أخطاء وأوهام شاعت على السنة الخاصة من العلماء والشعراء .

وقد طارت شهرة هذا الكتاب فى الآفاق ، وولع به كل غيور يتمنى أن تبقى اللغة العربية قوية نقية ، كما كان العرب الخلص يتكلمون بها فى قلب الجزيرة وبواديها فى عصرى الجاهلية وصدر الإسلام . وبعد أن اتسعت دائرة الإسلام فسحت اللغة العربية صدرها لاستعمال الكلمات المولدة التى شاعت على السنة الكتاب والشعراء وضمت إلى معجمها الأصلى الألفاظ الأعجمية المعربة التى عربها العرب وحولوها عن ألفاظ العجم لتصبح ألفاظاً عربية .

وقد أدرك ابن ظفر كل ذلك فسلك فى حواشيه على درة الغواص المسلك الموافق لقانون اللغة ، فصوب كثيراً مما خطأه الحريرى ، واتمس لذلك التصويب وجهاً مما جاء فى القرآن الكريم ، أو وردت به القراءة القرآنية ، أو نطقت به



الأحاديث النبوية ، أو مما انشده الفصحاء من شعراء العربية ، أو من استعمال العلماء الموثوق في روايتهم ، أو مما ورد في بعض اللغات واللهجات التي تكلمت بها القبائل العربية<sup>(١٣١)</sup> .

وتلك الحواشي على ( درة الغواص ) والتي حاشية ابن ظفر إحداها ، كانت قد ساهمت بقدر كبير في تذليل الكثير من العقبات أمام الكتاب والعلماء المشتغلين باللغة . ذلك أن تلك الحواشي ذات قيمة علمية نظرا لكثرة شواهدا وتصحيح نسبة بعض الأبيات إلى قائلها .

كذلك مما يعزز قيمة تلك الحواشي على ( درة الغواص ) أن حواشي ابن برى وابن ظفر هي الأصل الذي اعتمد عليه الشهاب الخفاجي<sup>(١٣٢)</sup> . في تأليف كتابه : ( شرح درة الغواص في أوام الخواص ) فقيمة هذا الكتاب الحقيقية تكمن فيما نقله الخفاجي من حواشي ابن برى وابن ظفر على درة الغواص .

ذلك أن الخفاجي لم يقتبس من الحواشي فحسب ، بل ضمن شرحه الحواشي بأكملها ، واستفاد من آراء برى وابن ظفر ومن تعليقاتهما على كلام الحريري إفادة كبيرة<sup>(١٣٣)</sup> .

ويجدر بنا هنا ونحن نتكلم عن ابن ظفر وجهوده العلمية أن نشير إلى أمثلة من حواشيه على درة الغواص . فمن ذلك حاشية على قول المؤلف : ( وعلى آله ) حيث قال ابن ظفر : ( قوله وعلى آله ، مرغوب عنه ، لان الإضمار يرد الكلم إلى أصولهن كثيرا ، وأصل آل : أهل ، بدليل قولك في تصغيره أهيل ، والوجه أن تقول: وعلى أهله ، إلا أن تظهر فتقول وعلى آل محمد<sup>(١٣٤)</sup> ) .

ومن ذلك حاشية على قول الحريري : ( يقولون : إذا أصبحوا سهرنا البارحة وسرينا البارحة والمختار . . . . ) حيث قال ابن ظفر : ( أكثر ما في هذا

إذا سلم قيل انه عدول عن المختار إلى الجائز فلا يسمى غلطاً ، وإلا فانه تحكم لا شاهد عليه<sup>(١٣٥)</sup> .

ومن ذلك أيضا حاشية على نص الحريري بعد قول الله تعالى : ( وفتحت أبوابها )<sup>(١٣٦)</sup> . من أن هذه الواو تسمى واو الثمانية .

حيث قال ابن ظفر : ( ما ذكره في الواو من قوله ( وفتحت أبوابها ) منقول ، ولكنه غير ظاهر الوجه . لأنه لا عدد فيه نصياً ولا استتباطاً ، وهذه الواو هي الحالية كواو قولك : خرجت ودخل فلان ، أى فى حال دخوله ، والمراد انهم جاؤوها . وهي مفتحة الأبواب فدخلوها ولم ينتظروا أن تفتح لهم ، وذلك لكرامتهم وأما وفد النار فانهم وقفوا على النار عندما جاؤوها حتى فتحت أبوابها إهانة لهم ، وليبغثوا بمشاهدة عذابها<sup>(١٣٧)</sup> .

٢٩ - ( شرح المقامات الحريرية )<sup>(١٣٨)</sup> وتذكر المصادر أن ابن ظفر قد شرح المقامات فى شرحين أحدهما مختصر والآخر مطول<sup>(١٣٩)</sup> .

( وشرح المقامات الحريرية ) تسميه بعض المصادر ( التنقيب على ما فى المقامات من الغريب )<sup>(١٤٠)</sup> . وهذه التسمية هي التي وردت فى النسخة الخطية منه الموجودة بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى تحت رقم (٤٦٩) أدب ورقم (٤٧٠) أدب وهي مصورة عن الزاوية الحمزاوية بالمغرب والتي تحمل رقم (٤٦) وعن دار الكتب المصرية برقم ( ٧٤٤١ أدب ) .

كما أن من هذا الكتاب وبهذا الاسم نسخه خطية فى خزانة ابن يوسف العمومية بمراكش تحت رقم (٢) مجاميع (٦٢) وتقع فى إحدى وتسعين ورقة وعدد اسطر الصفحة الواحدة فيها سبعة وثلاثون سطرا ومن ( شرح المقامات ) لابن ظفر الصقلى نسخ خطية بالمكتبة الأصفية بالهند تحت رقم ( ٤١ ، ١٤٦ ) وأيضا بجاريت ١٢٥١ رقم (١)<sup>(١٤١)</sup> . وقد ذكر القفطى انه رأى كتاب ( شرح المقامات )

لمؤلفه ابن ظفر وانه كان فيه بعض التصحيف ، حيث قال ( ورأيت له شرح المقامات ، وقد صنفها لأهل المغرب وقد نقل ألفاظها من نسخة سقيمة فصحف وشرح التصحيف )<sup>(١٤٢)</sup> ثم أن ابن ظفر كان يعلم ذلك ويعتذر من ذلك التصحيف إذ يقول القفطي : ( وسمعت انه كان يعتذر من ذلك إذا قيل له : ويقول هو أمر أحدثه العجلة وبعد الدار )<sup>(١٤٣)</sup> .

وابن ظفر الصقلي يذكر في بداية شرحه للمقامات أن الذي أخبره بها أبو الطاهر السلفي عن مؤلفها الحريري<sup>(١٤٤)</sup> . لكن ابن خلكان يرى عدم صحة هذا القول فيذكر أن أبا الطاهر السلفي رأى الحريري في جامع البصرة وحوله حلقة من الناس يأخذون عنه المقامات . فسأل السلفي عن الحريري فقيل له : أن هذا قد وضع شيئاً من الأكاذيب ، وهو يملأ على الناس فتكبه ولم يعرج عليه<sup>(١٤٥)</sup> .

٣٠ - ( خير البشر بخير البشر )<sup>(١٤٦)</sup> . وهو كتاب يتحدث فيه مؤلفه عن التبشير بظهور النبي محمد ﷺ استناداً إلى التوراة والإنجيل والى أقوال أحرار اليهود ، وكهان العرب .

وهذا الكتاب مطبوع طبعة حجرية قديمة في القاهرة مؤرخة بنسبة ١٢٨٠ هـ . ومنه نسخ مخطوطة في الاسكوريال برقم ( ١٥٢١ ) وفي باريس برقم ( ١٩٥٩ ) وفي القاهرة برقم ٥٢٠ / ٧ ورقم ( ١٧٤ / ٥ ) .

ومنه نسخة مختصرة بعنوان ( المختصر في خبر سيد البشر ) وهذه النسخة في الموصل برقم ( ١٠٦ و ٩٠ و ٦ )<sup>(١٤٧)</sup> . وهي تكون من اختصار المؤلف ابن ظفر أو أن احدا قام باختصار الكتاب المذكور .

٣١ - أنباء نجباء الأبناء )<sup>(١٤٨)</sup> وقد أشار إليه مؤلفه ابن ظفر في كتابه ( سلوان المطاع ) حيث قال عنه : ( وهو كتاب انتظمت فيه درر أنباء نجباء الأنبياء فأود عته صبره منها ما عز مطلبه وبهرت حكمته وحسن أدبه )<sup>(١٤٩)</sup> .

والكتاب تسميه بعض المصادر ( درر الغرر في أنباء نجباء الأبناء ) وقد تختلف التسمية ، في نسخة المخطوطة من نسخة إلى أخرى فتسخته في الاسكوريال عنوانها ( الغرر والدرر في نجباء الأولاد ) وهي تحمل الرقم (٢/١٥٢١) و(٢/١٧٠٢)(١٥٠) .

والكتاب منه نسخ خطية كثيرة في مكتبات العالم ومنها باريس برقم (٢١٢ ، ٢١٣ ، ٦٠٣٢ ) ، وليبزيج برقم (٦٦٤) ، وما نستر برقم ( ٦٧٠ ) (١٥١) .

ومن هذا الكتاب نسخة خطية مختصرة عنوانها ( درر الغرر في أبناء الأبناء ) وهي محفوظة في برلين تحت رقم ( ٩٥٠٦ ، ٩٥٠٧ ) ، وفي المتحف البريطاني تحت رقم ( ١١٣٩ ) (١٥٢) .

وهناك نشره قديمة للكتاب باعتناء مصطفى محمد القباني ، صادرة عن مطبعة التقدم بمصر (١٥٣) .

ومما جاء في مقدمة هذا الكتاب قول المؤلف : (١٥٤) . « فهذا كتاب لودعته من أنباء نجباء الأبناء ، وما هو كشررة من ضرام (١٥٥) بل كقطرة من رهام (١٥٦) ، لأنني قصدت به تلقيح همة غلام ، وتلقيح فطنة كهام (١٥٧) ، إلا أنني لجنيت قارئيه من هذا النوع الذه وأطيبه وأحليته أسره وأعجبه ، مضربا في الغالب عما سجع به الحمام هاتفا وهمع به (١٥٨) . الغمام واكفا (١٥٩) لأن النفوس طلعة إلى الفائق العجيب مولعة بالرائق الغريب ذي المتناول والقريب » .

والكتاب في مجمله يميل إلى القصص الأدبي مع أسلوب بلاغي جيد ويستشهد بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة كما يتضمن بعض الحكم والأمثال من أقوال العرب .

والكتاب بدأه مؤلفه بذكر الحديث عن الرسول ﷺ ثم قسمه بعد ذلك إلى أربعة أقسام وقد ورد ذكر ذلك في مقدمة المؤلف حيث قال (١٦٠) . افتتحته بذكر

سيدنا المصطفى ﷺ للتيمن بذكره والتشرف بالإيماء إلى شرف قدره ، ثم صنفت بأثر ذلك ما عمدت لذكره أربعة أصناف وهى غرر عوالي<sup>(١٦١)</sup> . ثم نخب توالي ثم نكت كراتم ثم فقر خواتم ، فالصنف الأول فى ذكر عشرة ممن كرمهم الله بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصنف الثانى فى ذكر رجال من ذريات الصحابة رضى الله عنهم . وغيرهم والصنف الثالث فى ذكر ممن اتسم بالعبادة واشتهر بالزهادة والصنف الرابع فى ذكر رجال سادوا فى عصر الجاهلية من العرب ورجال من ملوك فارس .

ومنا نجده فى هذا الكتاب أن مؤلفه يعمد فى نهاية ذكره لخبر ما إلى تفسير الألفاظ اللغوية الغريبة التى اشتمل عليها الخبر وذلك تحت عنوان ( تفسير ألفاظ لغوية اشتمل عليها هذا الخبر )<sup>(١٦٢)</sup> .

٣٤ - ( سلوان المطاع فى عدوان الاتباع ) وهو كتاب ذكرته جميع مصادر ترجمته<sup>(١٦٣)</sup> . واختلفت فيما بينها فى اسم عنوانه فمثلاً نجد أن عنوانه فى هدية العارفين: ( سلوان المطاع فى عدوان الطباع فى قواعين الحكمة ونوادر أخبار السلاطين )<sup>(١٦٤)</sup> . كما أن الذى قام بترجمة إلى اللغة الفارسية أجرى عليه تبديلاً بتقديم وتأخير وإضافة وسماه: ( رياض الملوك فى رياضات السلوك ) وفى ذلك يقول حاجى خليفة : ( وقد ترجمه جماعة وفى ترجمته بالفارسية ٠٠٠ تصرف صاحبه بتقديم بعض الحكايات وتأخيرها )<sup>(١٦٥)</sup> .

ومع هذا الاختلاف فى عنوان الكتاب إلا أن أكثرها يقرران تسمية (سلوان المطاع فى عدوان الإتياع) هى التسمية الحقيقية للكتاب .

والكتاب طبع ثلاث مرات طبعات قديمة ، الطبعة الأولى كانت فى القاهرة سنة ١٢٧٨ هـ والثانية فى تونس ١٢٧٩ هـ ، والثالثة فى بيروت سنة ١٣٠٠ هـ<sup>(١٦٦)</sup> .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدد من اللغات الأوربية فقد نقله ميخائيل امارى صاحب كتاب ( تاريخ مسلمى صقلية ) إلى اللغة الإيطالية ونشره سنة ١٢٦٨هـ / ١٨١٥م وسنه ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م . ثم ترجم إلى الإنجليزية ونشر بلندن سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥١م . كما ترجم الكتاب إلى اللغة التركية حيث قام بترجمته قره خليل أفندى زاده المتوفى سنة ١١٦٨هـ / ١٧٥٤م . وطبعت هذه الترجمة فى إستانبول سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م .<sup>(١٦٧)</sup> . وكتاب ( سلوان المطاع ) قال عنه العماد الإصفهاني : « طالعت فوجدته كتابا مفيدا مشتملا على حسن معنى ولفظ وذكر تنبيه ووعظ » .<sup>(١٦٨)</sup> وقد أهداه مؤلفه إلى أحد القادة المسلمين فى صقلية سنة ٥٥٤هـ / ١١٥٩م . حيث قال ابن ظفر : ( فان مما أفضى بى إليه اضطراب الاغتراب وانتياب الاكتئاب ، أن أظفرنى الله سبحانه وتعالى وله الحمد بمؤاخاة مقيل عشرات السادة السراة ، وممل أنفس الحسدة حشرات سيد السادة وقائد القادة أبى عبد الله محمد بن أبى القاسم على بن علوى القرشى<sup>(١٦٩)</sup> . ببارك الله فيما الهمه كسبه وكان وليه وحسبه ... ولما كانت الهدايا تزرع الحب وتضاعفه وتعضد الشكر وتساعفه أحببت أن أهدى إليه هدية فائقة رائقة لتكون عنده نافقة وبقدرة لائقة فلم أجد لذلك إلا العلم الذى شغفه حبا والحكمة التى لم يزل بها صبا ، والأدب الذى استوعبه مولودا وكسبا واستعمره حليا وقلبا .... )<sup>(١٧٠)</sup> .

وابن ظفر يقول عن كتابه هذا انه كتاب ( عمدت فيه إلى أمثلة استأثر خواص الملوك ببضاعتها ، ومنعتهم الغيرة عليها من إذاعتها فتوسعت بالتعبير بالفاظى عنها والتخيير بعلمى لها والتفنن بقوى فطنتى فيها ، توسعا لا يحظره شرع ولا ينبوعه سمع ، حتى إذا عادت أهلها بدورا رائعة ... نفتت فى صدرها أرواح الأخلاق الزكية وكسوت جسومها حلل الآداب الملوكية ، وتوجت رؤوسها تيجان الهمم الأبية وقلدت عواتقها سيوف المكاييد الحربية ، وصدرتها بأى من التنزيل المحكم وأحاديث عن المصطفى ﷺ إلى ما يلى ذلك

من منشور الحكم وموزونها وأبكار الآداب وعيونها فبرزت روضة لقلوب  
والأسماع ورياضة للعقول والطباع<sup>(١٧١)</sup> .

ومن خلال هذا العرض الموجز لبعض ما جاء في مقدمة ابن ظفر  
فانه تتضح معالم هذا الكتاب ومضامينه وسبب تسميته بسلوان المطاع في  
عدوان الاتباع ، ذلك أن ابن ظفر أراد بإهدائه هذا الكتاب إلى ذلك القائد  
العربي أن يسلبه عما هو فيه من ضيق بسبب استيلاء النورمان على صقلية بعد  
أن كانت بلدا إسلاميا عامرا<sup>(١٧٢)</sup> ولذا نجد أن ابن ظفر يعرف ( السلوان ) الوارد  
في كتابه قائلا : ( والسلوان جمع سلوانه ، وهي خرزة تزعم العرب أن الماء  
المصبوب عليها إذا شربه المحب سلا : قال الراجز :

لو أشرب السلوان ما سليت مابى غنى عنكم وان غنيت<sup>(١٧٣)</sup>

ومن هذا المنطلق نجد أن ابن ظفر قد ضمن كتابه هذا خمس سلوانات عبارة  
عن خمسة خصال وتلك السلوانات أولاها في التفويض والثانية في التآسى والثالثة  
في الصبر والرابعة في الرضا والخامسة في الزهد .

وينظرة سريعة على هذه السلوانات نجد أن سلوانة التفويض قد بدأها بشرح  
معنى التفويض في الأمور مستشهدا بقوله تعالى :

( فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا )<sup>(١٧٤)</sup> . وقولى تعالى "   
وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون )<sup>(١٧٥)</sup> . ثم أكد على  
أهمية الاستخارة في صرف البلاء واللف في مكروه القضاء .

ثم بين حقيقة التفويض بقوله : ( واعلم رحمك الله وإياى أن حقيقة التفويض  
هو التسليم لأحكام الحكيم وهو الذى دل عليه مصطفىاه محمد ﷺ بقوله تعالى :

﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل  
المؤمنون ﴾<sup>(١٧٦)</sup> . وأس التفويض والباعث عليه إنما هو اعتقاد انه لا يكون من

الخير ولا من الشر إلا ما أراد الله تعالى كونه ولا يصح التفويض ممن لم يعتقد ذلك ويتدين به (١٧٧) .

وابن ظفر يدل على تلك المفاهيم في التفويض بقصص وعبر من التاريخ ، وكذلك بحكايات رمزية على السنة الحيوانات لترسخ تلك المفاهيم التي أرادها (١٧٨) .

أما السلوانة الثانية وهي التأسى فقد بدأها بذكر عدد من الآيات القرآنية ذات الدلالة على التأسى وذكر أن التأسى مما أدب الله به رسول الله ﷺ بل مما افترضه الله عليه . وأضاف ابن ظفر قائلا: ( ومعنى التأسى عند الأئمة أن تنتظر إلى أسى غيرك ، أي حزنه وأنه مثل أساك ، أي مثل حزنك فتصبر ، والأسى هو الحزن ولا يعجبني هذا وهو عندي مأخوذ من قولهم أسوت الجرح والجريح أي دوايته والأسى هو عندي الطبيب المداوى فكان معنى التأسى والتداوى بالصبر والأسوة اسم من هذا ، والتأسى تفعل ولو كان على ما ذهبوا إليه لكان معنى التأسى التحزن تقول : أسيت أي حزنت وتأسيت أي تحزنت ) . (١٧٩)

ولنثبت معنى التأسى ذكر المؤلف إلى جانب الآيات من القرآن الكريم بعضاً من الأحاديث النبوية والأشعار والأمثال والحكايات الواقعية والخيالية (١٨٠) .

أما فيما يتعلق بالسلوانة الثالثة فهي تلك المتعلقة بالصبر الذي هو ثمرة التأسى وقد بدأها بذكر قوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ : « واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون » (١٨١) .

ثم ذكر بعد ذلك خبر غدر رؤساء قريش بالرسول ﷺ وذلك في اجتماعهم بدار الندوة ثم تبع ذلك بذكر المنثور والمنظوم من الحكم في الصبر (١٨٢) .

أما السلوانة الرابعة فهي سلوانة الرضا . وقد بدأها بالقرآن الكريم مستشهداً بقوله تعالى : ( فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ) (١٨٣) وذلك للدلالة على من سخط من قسمة الله وتقديره وحكمته وتبديره .



ثم بين ذلك أن من لم يرض سيحرم من الفضائل وقد استشهد على ذلك بقول الله تعالى : ( ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سـيؤتينا الله من فضله ورسوله أنا إلى الله راغبون ) (١٨٤) .

واستطرد المؤلف في ذكر فضائل الرضا وذلك بذكر أحاديث نبوية ونظم ونثر من أقوال الحكماء ثم ذكر قصصا واقعية وأخرى خيالية في ذات المعنى . (١٨٥)  
ويختتم ابن ظفر كتابه بذكر السلوانة الخامسة وهي سلوانة الزهد وقد بدأها بالقرآن الكريم حيث استشهد بقوله تعالى : ( ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ) (١٨٦) .

ثم ذكر بعد ذلك خبرا نبويا في الزهد ثم ما قيل في الزهد من حكم نثرا كان أو نظما ثم أشار إلى بعض القصص الواقعة والخيالة التي تؤيد ما ذهب إليه من مدح الزهد والزهاد (١٨٧) .

والى جانب الخصال الخمس المذكورة فانه يوجد في كتاب ( سلوان المطالع ) كثيرا من الأقوال والحكم حول سلوك الملوك وعلاقتهم بوزرائهم ورعيّتهم فهو يحض الملوك على العدل والرفق بالرعية ، والتحلى بالحزم والاحتراس من العدو واجتناب الحرص والشره المفضيان إلى البغى واحترام العهود والمواثيق ، والحفاظ على أركان الشريعة .

كما ذكر ابن ظفر أن الوزير يقوم بدور أساسى فى نجاح سياسة الملك أو فشلها ولذلك يجب أن يكون متصفا بالدهاء والحزم وسداد الرأى، والحكمة والعلم بالديانات واللغات والتبحر فى العلوم والخبرة فى المكاييد .

أما الرعية فنذكر انه ينبغى معاملتها برفق والتودد إليها بالعدل وأمن السبل وإنصاف المظلوم (١٨٨) . وقد اقتبس المصنفون فى الأخلاق والسياسة والتاريخ كثيرا من كتاب ابن ظفر ( سلوان المطالع ) فقد نقل عنه أبو حمو موسى بن

يوسف .<sup>(١٨٩)</sup> ثلاث قصص هي أطول ما ورد في ( سلوان المطاع ) من الحكايات وضمنها كتابه ( واسطة السلوك في سياسة الملوك ) .<sup>(١٩٠)</sup>

كما نقل عنه سبط ابن الجوزي<sup>(١٩١)</sup> معظم ما جاء في ( السلوان ) من آيات قرآنية وأحاديث وحكم وقصص وضمنها كتابه ( كنز الملوك في كيفية السلوك )<sup>(١٩٢)</sup> بل أن كتاب سبط ابن الجوزي المذكور لا يعدو أن يكون إعادة لسلوان المطاع لابن ظفر الصقلي مع بعض تغييرات وزيادات ضئيلة<sup>(١٩٣)</sup> . كما أنه قسم الكتاب على نفس تقسيم ابن ظفر الصقلي في سلواناته الخمس . وهذا المؤرخ يحيى بن خلدون .<sup>(١٩٤)</sup> قد ضمن كتابه ( بغية الرواد في إخبار ملوك بني عبد الواد ) بعض القصص الواردة - في سلوان المطاع .

وبعد هذا العرض الموجز لملاح كتاب ( سلوان المطاع ) لابن ظفر الصقلي فإنه يتأكد للمطلع عليه أنه كتاب في نصائح الملوك له قيمة عالية إذ أنه يحتوى على مبادئ عامه في السياسة والأخلاق والآداب تصلح أن تكون مرجعا لكافة المهتمين بهذا الجانب . ويبدو أن هذا النوع من التأليف قد شغل بال كثير من العلماء والأدباء والمفكرين ذلك أن ابن ظفر قد سبق إلى هذا النوع من التأليف ثم تلاه آخرون فألفوا في ذات الاتجاه .<sup>(١٩٥)</sup> وابن ظفر في كتابه ( سلوان المطاع ) اعتمد على تجاربه الشخصية وعلى كتب الأدب والوصايا والمواعظ والتاريخ ، وتلك في مجملها شكلت ما يحتويه كتاب ابن ظفر ( سلوان المطاع )<sup>(١٩٦)</sup> .

وبعد هذا العرض لمؤلفات ابن ظفر الصقلي يتأكد لنا أنه كان صاحب باع كبير في معارف شتى . لذلك لقي قبولا كبيرا عند طلاب العلم وخاصة بعد أن استقر في حماه حيث ( صادف فيها قبولا ) كما أشار إلى ذلك ياقوت .<sup>(١٩٧)</sup> و ( أمه الطلبة بها )<sup>(١٩٨)</sup> . وكان ( شخصا عزيزا قد برز في العلوم على علماء عصره تبريزا )<sup>(١٩٩)</sup> . ولتنوع مؤلفات ابن ظفر نجد أن القفطى قد استجاز روايتها من ولد ابن ظفر حيث يقول : ( وأدركت ولده بحلب في حاضرها يعلم الصبيان وهو أكسد من باقل ، لا ينقل عنه من أهلها ناقل ، واستجزت منه رواية كتب أبيه

التي رواها عنه ، وكتب لى ذلك بخطه ، وهو عندى ثم مات رحمه الله فى حدود سنة ستمائة بعدها بقليل (٢٠٠) .

وهذا التنوع فى معارف ابن ظفر جعلت المصادر أحيانا مع المفسرين ومرة أخرى مع اللغويين والنحويين وثالثة مع الأدباء ، إلا أن السيوطى يذكر انه كان « أعلم باللغة من النحو » (٢٠١) . ولعل الذى يؤيد ما ذكرته المصادر من أن أبا اليمن زيد بن الحسن الكندى (٢٠٢) . قال : « أحلت برزق لى على ديوان حماه ، فسرت لأجل ذلك فلما حللتها جمع الجماعة بينى وبين الحجة ( أى ابن ظفر الصقلى ) .

وجرت بيننا مناظرة فى النحو واللغة ، فأوردت عليه مسائل فى النحو لم يمش فيها . وكان حاله فى اللغة تقريبا . فلما كاد المجلس أن يتقوض قال الحجة : الشيخ تاج الدين أخبر منى بالنحو ، وأنا أخبر باللغة منه . فقلت : الأول مسلم ، والثانى ممنوع، وقمنا عن المجلس » (٢٠٣) .

### شعره :

أجمعت مصادر ترجمة ابن ظفر الصقلى على أنه كان يقول الشعر ولكن شعره لم يتجاوز المقطوعات الصغيرة، وهو أقرب إلى النظم منه إلى الشعر ، ولا يخرج شعره عن موضوعات الوعظ والزهد، والصبر والتضرع إلى الله، والأخلاق الحميدة .

وشعر ابن ظفر الصقلى هو أحد ميادين إبداعاته ونشاطه الفكرى وقد تنشرت أشعاره فى كثير من مؤلفاته بل لا يكاد يخلو منها مؤلف واحد، كما ذكرت بعض المصادر نماذج من أشعاره (٢٠٤) .

ومن تلك النماذج قوله فى شخص عزيز عليه : (٢٠٥)

حملتك فى قلبى فهل أنت عالم      بأنك محمول وأنت مقيم  
ألا أن شخصا فى فؤادى محله      واشتاقه شخص على كريم

ومن أقواله في الزهد والتفويض : (٢٠٦)

أيا من يعول في المشكلات	على ما رآه وما دبـره
إذا أستشكل الأمر فأبرأ به	إلى من يرى منه ما لم تـره
تكن بين عطف يتيك الخطوب	ولطف يهون ما قـدره
إذا كنت تجهل عقبى الأمور	ومالك حول ولا مقـدره
فلم ذا العنى وعلام الأسى	ومم الحذار وفيما الشره

ومن شعره في الصبر قوله : (٢٠٧)

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه	ويعرف عند الصبر فيما يصيبه
ومن قل فيما يتقيه اضطباره	فقد قل فيما يرتجيه نصيبه

ومن شعره في التوكل قوله : (٢٠٨)

ببسم الله يفتتح العليم	وبالرحمن يعتصم الحليم
وكيف يلومنى فى حسن ظننى	بربى لائم وهو الرحيم
ومن شعره فى الرضا قوله (٢٠٩) :	

يا مفرعى فيما يجىء	وراحمى فيما مضى
عندى لما تقضيه ما	يرضيك من حسن الرضا
ومن القطيعة استعيز	مصـرحا ومعرضا

ومن نصائحه الشعرية أيضا قوله : (٢١٠)

دنياك دار غرور	ومتعه مستعارة
ودار لبس وكسب	ومغـنم وتـجاره
ورأس مالك نفس	فأحذر عليها الخسارة
ولا تبعها بالأكل	وطيب عيش وشاره
فإن ملك سايـمان	لا يفى بشـرارـه

أما فيما يتعلق بخاتمة ابن ظفر فقد كانت في مدينة حماه ، حيث قضى فيها  
آخر أيام حياته بعد أن استقر به المقام فيها على فقر وعوز لا يتفق والمكانة العلمية  
التي اشتهر بها . وقد بلغت به الحاجة انه زوج ابنته في حماه بغير كفاء ، وان  
ذلك الرجل سافر بها وباعها في بعض البلدان<sup>(٢١١)</sup> . وقد أجرى له راتب من ديوان  
حماه ولكنه كان دون الكفاف<sup>(٢١٢)</sup> . ويؤكد هذه الحالة التي كان عليها ابن ظفر في  
حماه ما ذكره . القفطي من « أن نور الدين محمود بن زنكي<sup>(٢١٣)</sup> . قد خوطب  
في تقرير رزق له يستعين به على إفادة العلم بحماه ، فاقتضت مكارمه أن يطلق له  
في كل شهر سبعين قرطاساً . عليها سبع دراهم فضة في كل شهر .<sup>(٢١٤)</sup> وهذا يعد  
قليلاً في حق شخصية علمية كبيرة كشخصية ابن ظفر الصقلي هذا مع افتراضنا  
بصحة ما ذكره القفطي .

وتوفي العلامة ابن ظفر الصقلي في مدينة حماه على خلاف في تاريخ الوفاة  
بين المصادر التي ترجمت له إلا أن أغلبها قد حددت تاريخ وفاته بسنة ٥٦٥هـ /  
١١٦٩م<sup>(٢١٥)</sup> . وبعضها ذكر أنها كانت سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م . أو سنة ٥٦٨هـ /  
١١٧٢م<sup>(٢١٦)</sup> . أو سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠١م<sup>(٢١٧)</sup> .

## الهوامش

- (١) نسبة إلى جزيرة صقلية ، وهي تقع في حوض البحر المتوسط ، وهي أكبر جزر ذلك البحر ، وتقع إلى الجنوب من إيطاليا . وتتميز بموقع استراتيجي . وقد حاول المسلمون فتحها منذ سنة ٣٢ هـ / ٦٥٢ م ، ولم تنجح تلك المحاولات إلا في عهد دولة الأغالبة سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، وعلى يد القائد أسد بن الفرات والذي تمكن من فتح جزيرة صقلية . واستمر حكم المسلمين لها إلى سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م ؛ الزهراني ، علي بن محمد ، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية إلى سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م ، معهد البحوث العلمية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٧١ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ٣١ .
- (٢) قدم الباحث صالح بن عبد الرحمن الفايز رسالة ماجستير بعنوان ( ابن ظفر الصقلي ومنهجه في التفسير من خلال كتابه الينبوع ) وذلك في الجامعة الإسلامية بالمدينة سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- أما الباحث محمد أحمد دمج فقد اعتنى بكتابه ( سلوان المطاع في عدوان الأتباع ) ونشرته مؤسسة عز الدين ببيروت سنة ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .
- (٣) النورمان : هم من بلاد اسكندناوه ، وخاصة السويد والنرويج واشتق اسم إقليم نورمانديا منهم ، وهو الإقليم الذي يقع في غرب فرنسا حيث استقروا ، وقد نبذوا الوثنية ، واعتنقوا الديانة المسيحية . ومعنى اسمهم : رجال الشمال . أي انهم جاءوا من أقاصى أوروبا الشمالية . مارتينو ، ماريو مورينو ، المسلمون في صقلية ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ١٧ .
- (٤) ابن الأثير ، عز الدين علي بن محمد الشيباني ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ج ١٠ ، ص ١٨٧ - ١٨٩ .
- (٥) يرجع السلاجقة في أصولهم إلى مجموعة من القبائل التركية التي عرفت باسم " الغز " دفعتهم الظروف الاقتصادية والسياسية في أواسط آسيا وبلاد المشرق إلى التنقل بحثا عن أسباب العيش الرغيد ، واستقروا في إقليم ما وراء النهر

ونخراسان ، وعرفوا بهذه التسمية نسبة إلى زعيمهم سلجوق الذي أسلم واعتنق المذهب السني . عسيري ، مريزن سعيد ، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، مكتبة الطالب الجامعي مكة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٧٦ .

(٦) هو المسترشد بالله الفضل ابن احمد ، تولى الخلافة سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ،

وتوفي سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م . ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٦ .

(٧) هو الراشد بالله بن المسترشد بالله ( أبو جعفر منصور ) تولى الخلافة سنة

٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م ، وتوفي سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م . ابن الأثير ، الكامل ،

ج ١١ ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٨) أبو الفتح المسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي . أصبح سلطاناً

سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م ، كان منهمكاً باللعب واللهو ، توفي سنة ٥٤٧ هـ /

١١٥٢ م . ابن كثير ، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي ، البداية

والنهاية ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ج ١٢ ، ص ١٣٠ .

(٩) هو أبو عبد الله بن محمد بن المستظهر بالله بن المقتدى بأمر الله بن القائم بأمر

الله . بويع بالخلافة سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م ، وقد عظم سلطانه واشتدت شوكته ،

وكان حليماً شجاعاً ، توفي سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م . ابن كثير ، البداية

والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٤١ .

(١٠) أبو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة ، كان عالماً باللغة والأدب والحديث . من

مؤلفاته " الإقصاد وشرح معاني الصحاح " وكتاب " العبادات في الفقه على مذهب

الإمام أحمد " ، توفي سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م . ابن خلكان ، شمس الدين أحمد

ابن محمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر

بيروت ، د . ت ، ج ٦ ، ص ٢٣٠ .

(١١) مريزن عسيري ، الحياة العلمية في العراق ، ص ٩٥ - ٩٦ .

(١٢) كان ذلك على يد صلاح الدين الأيوبي الذي ثبت أقدامه في مصر ، وأزال

المخالفين له ، وأضعف أمر الخليفة الفاطمي العاضد .

وصار قصره يحكم فيه صلاح الدين ونائبه قراقوش . ثم قطع صلاح الدين الخطبة للعاضد ، وخطب للخليفة العباسي المستضيء . وبموت العاضد سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م ، انتهت الدولة الفاطمية . ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

(١٣) وكان ذلك سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م ، حين تمكن عبد المؤمن بن علي التومري من محاصرة مراكش وقتل آخر ملوك المرابطين ، إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين . ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٧٦ ، ١٨٧ .

(١٤) المهدية : مدينة باقرية ، اختطها المهدي الفاطمي فنسبت إليه ، بينها وبين القيروان مرحلتان .

الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، دار صادر - بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م . ج ٥ ص ٢٩٩ .

(١٥) كان سقوط المهدية في عهد آخر أمراء بني زيري الحسن بن علي بن يحيى بن تميم الزيري ، وذلك أن روجر النورمندی حاصر مدينة المهدية ودك أسوارها وحاميتها إلى أن استسلمت ، وفر حاكمها وكثير من أهلها ، ودخلها بدون مقاومة ، واستمرت كذلك إلى أن استردها عبد المؤمن صاحب مراكش سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م .

ابن الأثير ، الكامل ، ج ١١ ص ١٢٥ ، ص ٢٤١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٢٣ .

(١٦) كرد ، حمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة . ١٣٦٥ / ١٩٤٦ م ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .

(١٧) نذكر من هؤلاء على سبيل المثال ، الشريف الإدريسي صاحب كتاب ( نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ) - الذي عاش في بلاط الملك النورمندی روجر الثاني وتحت رعايته . وصنع له خريطة كروية للأرض من الفضة . وقد أطلق عليه اسم " استرابون العرب " حميده ، عبد الرحمن ، أعلام الجغرافيين العرب ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٠ / ١٩٨٠ م . ص ٣١٨ .



- (١٨) السلطان أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين البربري ، ملك المرابطين توج سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م . كان شجاعا عالما مجاهدا عادلا ورعا صالحا ، توفي سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م . الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد ، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م . ج ٢٠ ، ص ١٢٤ .
- (١٩) المراكشي ، عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، اعتناء محمد سعيد العريان ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ ، ص ١٧١ .
- (٢٠) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت البربري المصمودي ، المدعى انه علوي حسنى . كان شجاعا مهييا ، غاوريا في الرياسة والظهور ، فصيحاً في العربية والبربرية . توفي سنة ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م .
- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ٥٣٩ .
- (٢١) الفايز ، ابن ظفر ومنهجه في التفسير ، ص ١٨ .
- (٢٢) مريزن عسيري ، الحياة العلمية في العراق ، ص ١٧٣ .
- (٢٣) الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، معجم الأدياء ، القاهرة ، دار المأمون ، د.ت . ج ٨ ص ٥٤ .
- (٢٤) البيهقي ، أبو الحسن علي بن زيد ، تاريخ حكماء الإسلام ، اعتناء وتحقيق محمد كرد علي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق طبعة مصورة عن الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٧ .
- (٢٥) حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام السياسي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، ج ٤ ، ص ٤٢٠ .
- (٢٦) الحموي ، معجم الأدياء ، ج ١٩ ، ص ٤٨ . القفطي ، علي بن يوسف ، أنباء الرواة على أنباء النحاة ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار الفكر العربي ج ٣ ، ص ٧٤ . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٤ ، ص ٣٩٥ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٥٢٢ . الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك ، الوافي بالوفيات ، اعتناء مجموعة من الباحثين ، دار فرانز شتايز ، قيسبادن ، (١٣٩٢ / ١٩٧٢ م) ج ١ ، ص ١٤١ . الفاسي تقي الدين أحمد بن محمد الحسن ،

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق ، فؤاد سيد ، القاهرة ، ( ١٣٩٢ / ١٩٧٢ م ) ج ٢ ، ص ٣٤٤ . ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني ، لسان الميزان ، بيروت ، دار الفكر ، ( ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ) ج ٥ ، ص ٤٢٠ . الداوودي ، محمد بن علي بن أحمد ، طبقات المفسرين ، تحقيق ، علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ( ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ) ج ٢ ، ص ١٦٧ .

(٢٧) منير الدين أحمد ، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري ، ترجمة ، سامي الصقار ، الرياض ، دار المريخ ( ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ) ص ٦٥ .

(٢٨) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ص ٥٤١ . ومن الأجدر بنا أن نضيف هنا انه نظرا لأهمية الرحلات العلمية في تاريخ المسلمين التعليمي ، فلقد صنف فيها عدد من العلماء ، كالخطيب البغدادي ، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م . والذي كتب كتابا سماه : ( الرحلة في طلب الحديث ) والكتاب مطبوع عدة طبعات ، ونشرته عدد من دور النشر ، وكذلك أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرح النباتي الأندلسي ، المتوفى سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م . الذي ألف كتابا سماه : ( الرحلة ) العسيري ، مريزن سعيد ، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، ص ٢٤٨ .

(٢٩) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ص ٣٩٧ .

(٣٠) ابن حجر ، لسان الميزان ، ج ٥ ص ٤٢٠ .

(٣١) ابن حجر ، لسان الميزان ، ج ٥ ، ص ٤٢٠ ، وأبو الطاهر هو : العلامة المحدث

الحافظ أحمد بن محمد الأصبهاني السلفي : نسبة إلى جده إبراهيم سلفه ، ولد

بأصبهان على خلاف بين سنتي ٤٧٢ - ٤٧٦ هـ / ١٠٧٩ - ١٠٨٣ م .

من علماء الحديث والفقه واللغة ، لم يكن في آخر عمره في عصره مثله . ألف

(معجم السفر) الذي يشتمل على أكثر من ألفي شيخ . توفي بعد أن عمر مائة سنة

أو زيادة وذلك سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١

ص ١٠٥ ، الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢١ ص ٥ .

(٣٢) أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن سليمان القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي، فقيه مالكي، ومحدث، ومفسر وأديب، رحل إلى الكثير من البلدان وسكن الشام مدة واستقر في الإسكندرية وقام بالتدريس وقصده الطلاب من كل مكان من أشهر مؤلفاته (الكتاب الكبير في مسائل الخلاف) وكتاب (شرح رسالة الشيخ ابن أبي زيد) كانت ولادته سنة ٤٥١ / ١٠٤٩ م. ووفاته سنة ٥٢٠ / ١١٢٦ م بالإسكندرية. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤ ص ٢٦٢، ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ج ٥، ص ٢٣١.

(٣٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر القاهرة ج ١ ص ١٤٢. الداوودي، طبقات المفسرين، ج ٢ ص ١٦٧.

(٣٤) الفاسي، العقد الثمين ج ٢ ص ٣٤٦: الداوودي، طبقات المفسرين، ج ٢ ص ٢٤٧.

(٣٥) ابن العربي: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، من أهل إشبيلية. إمام علامة، حافظ، قرأ القرآن وتعلم القراءات والتفسير والفقه والأصول من مؤلفاته، أحكام القرآن وغير ذلك. توفي سنة ٥٤٣ / ١١٤٨ م. ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي المدني الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق وتعليق، محمد الأحمدى أبو النور دار التراث للطبع والنشر. القاهرة ١٩٧٢ م. ج ٢ ص ٢٥٢. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، طبقات المفسرين، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣ / ١٩٨٣ ص ٩٠.

(٣٦) ابن ظفر الصقلي ينبوع الحياة، مخطوط، رقم ٥٠٦ تفسير، معهد البحوث وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ج ١ ورقة ٢٢٠.

(٣٧) الفاسى ، العقد الثمين ، ج٢ ، ص ٣٤٦ ، الداوودى ، طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

(٣٨) أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن عمر اللخمي ، المعروف بابن الدباغ ، هو أحد الأئمة المهرة المتقنين ولى خطابة مرسية من قضاء دانية ، كان سمحا مؤثرا نزه النفس ، توفى سنة ٥٤٦هـ / ١١٥١ م .

ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك ، الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب ، ج ٢ ص ٦٨٢ .

الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد ، بغية الملتبس فى رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربى ، ١٩٦٨ ص ٤٩١ ، الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .

(٣٩) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٨٣ .

(٤٠) أبو مروان عبد الملك بن مسرة بن فرج بن خلف اليحصبي ، من أهل قرطبة ومن مفاخرها وأعلامها جمع الله له الحديث ، والفقه والأدب ، والخط الحسن والفضل والدين والورع ، وكان على منهاج السلف توفى فى سنة ٥٥٢ / ١١٥٧ م . ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٣٦٦ .

(٤١) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ ، الداوودى ، طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

(٤٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٣٩٥ .

(٤٣) ذكر ذلك الفاسى نقلا عن القطيعى فى ( نيل تاريخه لبغداد ) وعن القطب الحلبى فى تاريخ مصر .

(٤٤) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٦ .

(٤٥) السيوطى ، بغية الوعاء ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(٤٦) الداوودى ، طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ١٦٧ .

(٤٧) ابن أبى عصرون هو : شيخ الشافعية ، وقاضى القضاة ، وعالم أهل الشام شرف الدين أبو سعيد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن المطهر بن على بن أبى عصرون التميمى الموصلى . ولد سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٩٨ م . كان من الصالحين والعلماء

العاملين . بنى له الملك نور الدين محمود بن زنكى المدارس فى حلب وحماء  
وحمص وبعليك . وبنى لنفسه مدرستين بدمشق وحلب . ومن أهم مؤلفاته :  
(صفوة المذهب على نهاية المطلب) وكتاب ( الانتصار ) وكتاب ( المرشد )  
وغيرها . توفى سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م . وعن ابن عسرون ومدرسته انظر :  
ابن أبى جرادة ، كمال الدين عمر بن أحمد ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق  
سهيل زكار ، دمشق ، دار الكتاب العربى ، ( ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ) ج ٢ ، ص  
٤٧٦ ، ابن خلكان وفيات الأعيان ج ٣ ص ٥٣ ، الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج  
٢١ ص ١٢٥ ، السبكى تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن على ، طبقات  
الشافعية الكبرى ، بيروت ج ٤ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، النعيمى ، عبد القادر بن  
محمد الدمشقى ، الدارس فى تاريخ المدارس ، نشر وتحقيق جعفر الحسنى ،  
القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ج ١ ، ص ٣٩٨ . جوده ، صادق أحمد دادود ،  
المدارس العسرونية فى بلاد الشام ، بيروت مؤسسة الرسالة ( ١٤٠٦ - ١٩٨٦ )  
س ١٧ ، ١٦٢ .

(٤٨) ياقوت ، معجم الأدباء ، ج ١٩ ، ص ٤٨ ، السيوطى ، بغية الوعاه ، ج ١ ،  
ص ١٤٢ .

(٤٩) ابن أبى جرادة ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

(٥٠) القفطى ، أنباء الرواة ، ج ٣ ، ص ٧٥ ، الصفدى ، الوافى بالوفيات ج ١ ، ص ١٤١

(٥١) ابن منقذ ، الاعتبار ، ص ٣٣ .

(٥٢) العماد الأصفهاني ، محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني ، جريدة القصر وخريدة

العصر ، قسم شعراء الشام . تحقيق شكرى فيصل المطبعة الهاشمية ، دمشق ،

١٣٨٣ / ١٩٦٣ م . ص ٤٩ .

(٥٣) ياقوت ، معجم الأدباء ، ج ١٩ ، ص ٤٨ .

(٥٤) القفطى ، أنباء الرواة ، ج ٣ ، ص ٧٤ .

(٥٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٣٩٥ .

(٥٦) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٥٢٢ .

- 
- (٥٧) الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٤١ .
- (٥٨) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ٣٤٤ .
- (٥٩) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ .
- (٦٠) ابن حجر ، لسان الميزان ، ج ٥ ، ص ٤٢٠ .
- (٦١) السيوطى ، بغية الوعاة ، ج ١ ، ص ١٤٢ .
- (٦٢) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٢٦٤ ، ابن حجر ، لسان الميزان ، ج ٥ ، ص ٣٧٢ .
- (٦٣) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢١ ، ص ١٠٥ ، الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ٣٤٤ .
- (٦٤) الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ٤ ، ص ١٧١ .
- (٦٥) ابن ظفر ، سلوان المطاع ، المطبعة التونسية ، ١٢٧٩ هـ ، ص ٢ .
- (٦٦) الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ٤ ، ص ١٧١ .
- (٦٧) ابن ظفر ، سلوان المطاع ، ص ٢ .
- (٦٨) الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ١٢ ، ص ٦٧ .
- (٦٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٩٩ .
- (٧٠) ابن حجر ، لسان الميزان ، ج ٥ ، ص ٣٧٢ .
- (٧١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٩٩ .
- (٧٢) الفاسى ، العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ٣٩٧ .
- (٧٣) الفايز ، ابن ظفر ومنهجه فى التفسير ، ص ٢٨ .
- (٧٤) العماد ، الخريدة ، قسم الشام ، ج ٣ ، ص ٤٩ .
- (٧٥) العماد ، الخريدة ، قسم الشام ، ج ٣ ، ص ٦٠ .
- (٧٦) الققطى ، أنباء الرواة ، ج ٣ ، ص ٧٤ .
- (٧٧) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٣٩٥ .
- (٧٨) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٣٩٦ .

- (٧٩) من ذلك على سبيل المثال : ياقوت ، معجم الادباء ، ج ١٩ ، ص ٤٨ ، القفطى ،  
أنباه الرواه ، ج ٤ ، ص ٧٤ . ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٣٦٩ ،  
حاجى خليفة ، كشف الظنون ، ص ٢٠٢٥ .
- (٨٠) القفطى ، أنباه الرواة ، ج ٣ ، ص ٧٤ .
- (٨١) ابن حجر ، لسان الميزان ، ج ٥ ، ص ٤٢٠ .
- (٨٢) وكانت تلك الدراسة للباحث صالح بن عبد الرحمن الفايز ، وهى عبارة عن رسالة  
ماجستير عنوانها : (ابن ظفر الصقلی ومنهجه فى التفسير من خلال كتابه الينبوع)  
وذلك فى العام ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- (٨٣) الفايز ، صالح عبد الرحمن ، ابن ظفر الصقلی ومنهجه فى التفسير ، ص ٧١ .
- (٨٤) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الأدب العربى ، نقلة إلى العربية السيد يعقوب بكر ،  
وراجعة رمضان عبد التواب ، القاهرة ، دار المعارف ، ج ٦ ، ص ١٦٣ .
- (٨٥) الفايز ، ابن ظفر ومنهجه فى التفسير ، ص ٢٧٦ .
- (٨٦) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشى الشافعى ، رحل فى  
طلب العلم ، كان فقيها ، أصوليا ، أدبيا ، فاضلا ، توفى سنة ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ م .  
السيوطى ، حسن المحاضره فى تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل  
ابراهيم القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م . ج ١ ، ص  
٤٣٧ : ابن العماد أبو الفلاح عبد الحى الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب  
، بيروت ، دار الفكر د . ج ٦ ، ص ٣٣٥ .
- (٨٧) الفايز ، ابن ظفر ومنهجه فى التفسير ، ص ٢٧٤ .
- (٨٨) الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٤١ ، السيوطى ، بغية الوعاة ، ج ١ ،  
ص ١٤٢ . بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ج ٦ ، ص ١٦٣ .
- (٨٩) سورة المائدة آية رقم ٦ . وانظر أيضا ابن ظفر ، سلوان المطاع ، ص ١٦ .
- (٩٠) الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، الداودى ، طبقات المفسرين ،  
ج ٢ ، ص ١٦٨ .
- (٩١) الداودى ، طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ .

- (٩٢) سورة الأنعام آية رقم ١٣٣ .
- (٩٣) ابن ظفر ، ينبوع الحياة، مخطوط ، معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ، ج ٢ ، ورقة ( ٩٢ ) .
- (٩٤) ابن ظفر ، ينبوع الحياة ، ج ٥ ، ورقة ١١١ ، الفايز ، ابن ظفر ومنهجه فى التفسير، ص ٥٧ .
- (٩٥) المقرئى ، تقي الدين أحمد بن على ، المقفى الكبير ، تحقيق محمد اليعلاوى ، بيروت ، دار الغرب الإسلامى ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ج ٧ ، ص ١٥٩ ، الداودى ، طبقات المفسرين ج ٢ ، ص ٢٤٧ .
- (٩٦) ياقوت ، معجم الأبناء ، ج ١٩ ، ص ٤٩ ، الصفدى ، الوافى بالوفيات ج ١ ، ص ١٤٢ ، السيوطى ، بغية الوعاء ، ج ١ ، ص ١٣٢ .
- (٩٧) الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ١ ص ١٤٢ ، الداودى ، طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .
- (٩٨) الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، الداودى ، طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .
- (٩٩) الوافى بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، الداودى ، طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .
- (١٠٠) الداودى ، طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ ، وقد سماه المقرئى كتاب (المعادات) انظر المقفى الكبير . ج ٧ ، ص ١٥٩ .
- (١٠١) المقرئى ، المقفى ، ج ٧ ، ص ١٥٩ .
- (١٠٢) الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٤٢ .
- (١٠٣) الداودى ، طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ .
- (١٠٤) الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٤٢ .
- (١٠٥) القرطبى : هو محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الانصارى الخزرجى الأندلسى ، أبو عبدالله ، من كبار المفسرين ، من مؤلفاته : ( الجامع لأحكام القرآن ) و ( الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى ) و ( التذكار فى أفضل الأنكار ) . توفى سنة ٦٧١ / ١٢٧٣ م . المقرئى ، أحمد بن محمد المقرئ التلمسانى ، نفح الطيب



من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق ، يوسف الشيخ محمد البقاعي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م . ج ٢ ، ص ٤١٣ . الزركلي ، الأعلام ، ج ٥ ، ٣٢٢ .  
(١٠٦) القرطبي ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري ، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة . خرج أحاديثه أبو سفيان محمود بن منصور البسطوي ، المدينة المنورة ، دار البخاري للنشر والتوزيع ١٤١٧ / ١٩٩٧ م . ج ١ ص ٧٠-٧١ .

(١٠٧) المقرئ ، المقفى ، ج ٧ ، ص ١٥٩ .  
(١٠٨) الصفي ، الوافي بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، الداودي ، طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

(١٠٩) سورة يوسف : الآية رقم ٤١ .  
(١١٠) مضمون هذا الحديث أورده ابن ظفر في ينبوع الحياة ، ج ٣ ورقة ١٨ ب . وبالرجوع إلى كتب الحديث لم أجد ما يقاربه إلا ما ذكره الدرامي في باب الرؤيا عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والتي ذكرت قصة المرأة التي كانت تأتي إلى الرسول ﷺ ليعبر لها رؤياها المتكررة . انظر الدرامي ، أبو محمد عبد الرحمن بن الفضل ، السنن ، عناية محمد احمد وهمان ، نشر دار إحياء السنة النبوية ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

(١١١) ابن ظفر ، ينبوع الحياة ، ج ٣ ، ورقة ١٨ ب .  
(١١٢) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ ، ص ١٢٦ . البغدادي ، إسماعيل باشا ، هديه العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٣ / ١٩٩٢ م ، ج ٦ ، ص ٩٦ . أماري ميخائيل ، المكتبة العربية الصقلية ، ليبسك ١٨٥٧ م . طبعة بالأوفست في مكتبة المثنى ببغداد ص ٧٠٠ .

(١١٣) المقرئ ، المقفى ، ج ٧ ، ص ١٥٩ .  
(١١٤) الصفي ، الوافي بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، المقرئ ، المقفى ، ص ١٥٩ .  
(١١٥) الصفي ، الوافي بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، كحاله ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، بيروت دار إحياء التراث العربي ، ١٣٧٦ / ١٩٥٧ م ج ١ ، ص ٢٤١ .

- (١١٦) ياقوت ، معجم الأدياء ، ج ١٩ ، الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٤٢ ،  
كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ١٠ ، ص ٢٤١ .
- (١١٧) المقرئى ، المقفى ، ج ٧ ، ص ١٥٩ .
- (١١٨) ياقوت ، معجم الأدياء ، ج ١٩ ، ص ٤٩ ، الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ١ ،  
ص ١٤٢ ، حاجى خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ ، ص ١٠١ .
- (١١٩) الداودى ، طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ١٧١ ، الزركلى ، الأعلام ، ج ٦ ،  
ص ٢٣١ .
- (١٢٠) المقرئى ، المقفى ، ج ٧ ، ص ١٥٩ ، حاجى خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ ،  
ص ١٠١ .
- (١٢١) حاجى خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٢٦١ ، البغدادى ، هدية العارفين ، ج ٦ ،  
ص ٩٥ .
- (١٢٢) حاجى خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٢٦١ .
- (١٢٣) حاجى خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٢٦١ .
- (١٢٤) ابن ظفر ، سلوان المطاع ، تحقيق محمد دمج ، ص ١٦ .
- (١٢٥) المقرئى ، المقفى ، ج ٧ ، ص ١٥٩ .
- (١٢٦) أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى ، منسوب إلى صناعة  
الحرير أو بيعه ، ولد بالمشان بالقرب من البصرة ، كان أدبياً فاضلاً فصيحاً ، قرأ  
العربية على أبى الحسن بن فضال المجاشعى ، والفقہ على أبى إسحاق الشيرازى  
من مؤلفاته ( المقامات ) المشهورة . توفى سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م .
- القفطى ، أنباء الرواه ، ج ٣ ، ص ٢٣ ، السيوطى ، بغية الوعاه ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ .
- (١٢٧) كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٧٤١ .
- (١٢٨) ابن برى : هو العلامة أبو محمد عبد الله بن برى بن عبد الجبار المقدسى  
النحوى ، أمام وقته فى النحو كان مقصد الطلاب من الآفاق وعالماً باللغة  
وشواهدهما . من مؤلفاته ( جواب المسائل العشر ) و ( حواش على الصحاح ) توفى  
سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م . الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢١ ، ص ١٣٦ .

(١٢٩) ابن الخشاب هو : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد البغدادي ، العالم المشهور في الأدب والنحو والتفسير والحديث ويضرب به المثل في العربية وقد شرح كتاب ( الجمل ) لعبد القاهر الجرجاني ، وشرح ( اللمع ) لابن جنى . توفي سنة ٥٦٧ هـ . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ١٠٢ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٥٢٣ .

(١٣٠) الكتاب طبعة مطبعة الأمانة بالقاهرة سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

(١٣١) حواشي ابن بري وابن ظفر على درة الغواص في أوام الخواص للحريزي ، دراسة وتحقيق ، أحمد طه سلطان القاهرة ، مطبعة الأمانة ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م . ص ٤ .

(١٣٢) الشهاب الخفاجي هو : أحمد بن محمد بن عمر ، شهاب الدين المصري ، قاضي ، ولد ونشأ بمصر ، تولى القضاء في مصر . له مؤلفات كثيرة منها (شفاء العليل) و ( نسيم الرياض) و ( ديوان الأدب ) توفي سنة ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٩ م . الزركلي ، الإعلام ، ج ١ ص ٢٣٨ .

(١٣٣) حاشية ابن بري وابن ظفر على درة الغواص ، ص ٥ .

(١٣٤) حاشية ابن بري وابن ظفر على درة الغواص ، ص ٤ .

(١٣٥) الحاشية على درة الغواص ، ص ٢٣ .

(١٣٦) سورة الزمر آية رقم ٣٧ .

(١٣٧) الحاشية على درة الغواص ، ص ٤٤ .

(١٣٨) القفطي ، أنباه الرواه ، ج ٣ ، ص ٧٥ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٣٩٦ ، الصفدي ، الواقى بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(١٣٩) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٣٩٦ ، الصفدي ، الواقى بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(١٤٠) ياقوت ، معجم الأنباء ، ج ١٩ ، ص ٤٩ ، السيوطي ، بغية الوعاه ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، الداودي ، طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ١٧٢ ، حاجي خليفة ، كشف

الظنون ، ج ٢ ، ص ١٧٨٨ .

- (١٤١) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ج٥ ، ص ١٤٧ .
- (١٤٢) القفطى ، أنباء الرواه ، ج٣ ، ص ٧٥ .
- (١٤٣) القفطى ، أنباء الرواه ، ج٣ ، ص ٧٥ .
- (١٤٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص ٣٩٦ .
- (١٤٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص ٣٩٦ .
- (١٤٦) ياقوت ، معجم الأدباء ، ج١٩ ، ص ٤٩ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص ٣٩٦ ، الذهبى ، سير إعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص ٥٢٢ ؛ حاجى خليفة ، كشف الظنون ، ج١ ص ٧٢٧ .
- (١٤٧) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ج٦ ، ص ١٦٢ .
- (١٤٨) ياقوت ، معجم الأدباء ، ج١٩ ، ص ٤٩ ، الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج١ ، ص ١٤١ ، طاش كبرى زاده ، مفتاح السعادة ، ج١ ، ص ٢١٥ .
- (١٤٩) ابن ظفر ، سلوان المطاع ، ص ١١٧ .
- (١٥٠) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ج٦ ، ص ١٦٢ .
- (١٥١) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ج٦ ، ص ١٦٢ .
- (١٥٢) المرجع السابق ، ج٦ ، ص ١٦٢ .
- (١٥٣) المرجع السابق ، ج٦ ، ص ١٦٢ .
- (١٥٤) ابن ظفر ، ابناء نجباء الابناء ، اعتناء مصطفى القبانى ، د٠ ت٠ ص ٥ - ٦ .
- (١٥٥) الضرام : دقاق الحطب الذى يسرع اشتعال النار فيه ومنه قولهم : ضرمت النار وتضرمت ، واضطرمت وقيل : الضرام من الحطب كل مالم يكن له جمر . ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .
- (١٥٦) الرهام : جمع الرهمة بالكسر : أى المطر الضعيف الدائم الصغير القطر . يقال : أرهمت السماء إرهاما : أى امطرت ، وأرهمت السحابة : أى اتت بالرهام . ابن منظور ، المصدر السابق ج١٢ ، ص ٢٥٧ .
- (١٥٧) كهام : كهـم الرجل وكهـم يكهـم كهامة ، فهم كهام وكهيم ، وتكهـم : بطؤ عن النصره والحرب ورجل كهام : ثقيل مسن ، وسيف كهام : أى لا يقطع ، ولسان كهيم : أى كليل عن البلاغة . ابن منظور ، المصدر السابق ج١٢ ، ص ٥٢٩ .

- (١٥٨) همع: همع الدمع والماء ونحوهما ، أى سال . المصدر السابق ج٨، ص ٣٧٥ .
- (١٥٩) الغمام : جمع غمامة ، أى السحاب ويقال سحاب أغم ، أى لا فرجه فيه . وواكفا من قولهم : وكف الدمع والماء وكفاووكيفا ووكوفا : إذا كانت تسيل قليلا قليلا .
- المصدر السابق ، ج١٢، ص ١٤٤ و ج ٩، ص ٣٦٢ .
- (١٦٠) ابن ظفر ، أنباء نجباء الأنباء ، ص ٦ .
- (١٦١) غرة الشيء: أوله وأكرمه ، ويقال : غرة قومه : أى سيدهم . كما يقال : فلان غرة من غرر قومه . أى شريف من أشرفهم . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥، ص ١٥ - ١٦ .
- (١٦٢) ابن ظفر ، أبناء نجباء الأبناء ، ص ٤٨ ، ص ٥٠ ، ص ٥١ ، ص ٦٥ .
- (١٦٣) من ذلك : ياقوت ، معجم الأدباء ، ج ١٩ ، ص ٤٩ ، الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٤١ ، الأدنه وى ، أحمد بن محمد ، طبقات المفسرين ، تحقيق سليمان بن صالح الخزى ، المدينة المنورة ، مكتبة العلوم والحكم ١٤١٧هـ/١٩٩٧م . ص ١٨٨
- (١٦٤) البغدادى ، هدية العارفين ، ج ٦، ص ٩٤ - ٩٥ .
- (١٦٥) كشف الظنون ، ج ٢، ص ٩٩٨ .
- (١٦٦) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ج ٦، ص ١٦١ .
- (١٦٧) بروكلمان ، المرجع السابق ، ج ٦، ص ١٦١ - ١٦٢ .
- (١٦٨) العماد ، الخريدة ، فى المكتبة الصقلية ، ص ٦٠٥ .
- (١٦٩) لم اعترى له على ترجمه . كما أن هذا التاريخ لم تكن فيه صقلية تحت حكم المسلمين إذ أنها سقطت فى أيدي النورمان ولا وجود لقادة مسلمين فيها ، إلا إذا كان أميرا اسميا فقط ، وتحت رعاية الحكام النورمانيين .
- (١٧٠) ابن ظفر ، سلوان المطاع ، ص ١١٤ ، ١١٦ .
- (١٧١) ابن ظفر ، المصدر السابق ، ص ١١٧ .
- (١٧٢) الدورى ، تقى الدين عارف ، سقوط صقلية فى يد النورمان ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد الثامن ، ١٩٨٤ م . ص ٣٤٣ .

(١٧٣) ابن ظفر ، سلوان المطاع ، ص ١١٧ ، أم! عن معنى السلوان كما ورد فى معاجم اللغة فقد ذكر الفيروز ابادى أن : السلوان بالضم : العسل ، كالسلوى ، ومنه خرزة تدفن فى الرمل فتسود فيبحث عنها ويسقاها الإنسان فتسليه أو هو دواء يسقاه الحزين فيفرحه ، القاموس المحيط ، ج٤ ، ص ٣٤٦ .

• (١٧٤) سورة النساء آية رقم ١٩ .

• (١٧٥) سورة البقرة آية رقم ٢١٦ .

• (١٧٦) سورة التوبة آية رقم ٥١ .

• (١٧٧) ابن ظفر ، سلوان المطاع ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(١٧٨) ومن تلك القصص قصة مؤمن آل فرعون التى وردت فى صورة غافر والصراع بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير ، وبين الأمين والمأمون . وغير ذلك من الأحداث التى أراد منها المؤلف دعم آرائه وأفكاره فيما يتعلق بسلوانه التفويض .

• (١٧٩) ابن ظفر ، سلوان المطاع ، ص ١٦٣ - ١٦٥ .

(١٨٠) من ذلك ذكره لما روى عن النبى ﷺ من انه قال: ( انظروا إلى ما هو اسفل منكم ، ولا تنظروا إلى ما هو فوقكم ، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم ) . ومن كلام المؤلف عن هذا الحديث قوله : أنه أمر لمن كان فى نعمة دقيقة ، بأن ينظر إلى ما هو فى نعمة أدق منها . وأمر لمن كان فى بلاء ، أن ينظر لمن كان فى بلاء اشد من بلائه . ثم قال : وإنما كان هذا الخبر بليغا فى باب التأسى ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

• (١٨١) سورة النحل آية رقم ١٢٧ .

• (١٨٢) سلوان المطاع ، ص ٢٠٣ .

• (١٨٣) سورة التوبة آية ٨٥ .

• (١٨٤) سورة التوبة آية ٥٩ .

• (١٨٥) سلوان المطاع ص ٢٤٥ .

• (١٨٦) سورة طه آية ١٣١ .

- (١٨٧) سلوان المطاع ، ٢٨٣ .
- (١٨٨) عبد الحميد حاجيات ، نظرية بن ظفر الصقلي في أخلاق الملوك ، مجلة أوراق ، عدد ٤-٥-٦ ، ص ٥٠ .
- (١٨٩) أبو حمو موسى ( الثاني ) بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان . مجدد الدولة (العبد الوادية ) في تلمسان . وكان ملوك بنى حفص قد أعانوه على استرداد ملكه من بنى مرين . توفى مقتولا في معركة ضد ابنه عبد الرحمن وذلك سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٩ م . كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ١٣ ، ص ٥٠ .
- ٥١- ، الزركلى ، الإعلام ، ج ١٧ ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ .
- (١٩٠) عبد الحميد حاجيات ، بن ظفر ونظريته في أخلاق الملوك ، مقال ، ص ٥٠ .
- (١٩١) أبو المظفر شمس الدين يوسف ابن قزلوغللى بن عبد الله . ابن بنت الأمام عبد الرحمن ابن الجوزى ، عالم واعظ ، مؤرخ ، من مؤلفاته الكثيرة (الانتصار لائمة الأمصار ) و ( ايثار الإنصاف في مسائل الخلاف ) و ( معادن الأبريز ) وغير ذلك توفى سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م . الذهبى ، سير إعلام النبلاء ، ج ٢٣ ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .
- (١٩٢) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٣٥ .
- (١٩٣) كتاب ( كنز الملوك ) لسبط ابن الجوزى . موجز في السياسة على منوال كتابه الآخر ( جوهرة الزمان ) وله تسمية أخرى بعنوان ( مختصر جوهرة الزمان ) . وقد طبع الكتاب بعناية غوسطا فيتسم وزود بمقدمات وتعليقات وذلك سنة ١٩٧٠ م . فى السويد . سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، مقدمة المحقق ، ص ٣٥ .
- (١٩٤) أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد بن الحسين بن خلدون الحضرمى ، المغربى ، ولد بتونس ، وسكن فاس ، وقتل بتلمسان . كان كاتباً للإنشاء فى دولة بنى عبد الواد . ومن مؤلفاته كتاب ( أيام أبى حمو الشامخة الاطواد ) فى جزعين وقد كانت وفاته سنة ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م . كحالة ، معجم المؤلفين ج ١٣ ، ص ٢٢٨ ، الزركلى ، الإعلام ، ج ٧ ، ص ٣٣٢ .

(١٩٥) ومن ذلك فى العصر الإسلامى نجد أن هذا النوع الأدبى قد ازدهر بعد نقل وترجمة بعض الآداب الفارسية إلى اللغة العربية مثل ( كليله ودمنه ) و( الأدب الكبير ) لابن المقفع ، وكتاب ( سير ملوك العجم ) لابن المقفع أيضا . وكذلك من خلال كتابات الجاحظ فى ( التاج ) و ( المحاسن والأضداد ) . وفى العصر العباسى ظهر هذا النوع من التأليف ومن أمثلة ذلك كتاب ( إحسان المحاسن ) (لأبى حسن الرخجى) وكتاب ( الإشارة إلى أدب الوزارة ) للمرادى . وكتاب (سراج الملوك) للطرطوشى . وكتاب ( الشهب اللامعة فى السياسة النافعة ) لابن رضوان . وكتاب ( آداب السياسة بالعدل ) للمبارك الخازندار البدرى . ابن ظفر سلوان المطاع ، ص ٥٧ .

(١٩٦) على أن أهم المصادر التى اعتمد عليها ابن ظفر فى كتابه ( سلوان المطاع ) هى (كتاب تاريخ غرر السير) للثعالبى . و( تاريخ الطبرى ) و ( تاريخ بغداد ) ومؤلفات المسعودى ( مروج الذهب ، وأخبار الزمان ، والتنبية ) ومؤلفات الماوردى ( أدب الدنيا والدين ، وتسهيل النظر ، والأحكام السلطانية ) واعتمد كذلك على بعض مؤلفات الغزالي ومنها ( أحياء علوم الدين ، والتبر المسبوك ) وكتب مسكويه ( تهذيب الأخلاق ، والحكمة الخالدة ) . وكتاب ( التاج فى أخلاق الملوك للجاحظ ) . واعتمد كذلك على كتاب ( السياسة ) لابن حزم . وهذه ليست كل مصادر ابن ظفر فى ( السلوان ) وإنما هى أمثلة عليها . ابن ظفر ، سلوان المطاع ، ص ٧٥-٧٦ .

(١٩٧) معجم الألباء ، ج ١٩ ، ص ٤٨ .

(١٩٨) القفطى ، أنباء الرواة ، ج ٣ ، ص ٧٤ .

(١٩٩) العماد الأصفهاني ، الخريدة ، فى المكتبة الصقلية ، ص ٦٠٥ .

(٢٠٠) القفطى ، أنباء الرواة ، ج ٣ ، ص ٧٤ .

(٢٠١) بغية الوعاه ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

(٢٠٢) أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد الكندى ، الملقب ، تاج الدين ، البغدادي المولد والمنشأ ، الدمشقي الدار والوفاء . نحوى اديب ، أوجد عصره فى



فنون الآداب وعلو السماع . له كتاب مشيخة على حرف المعجم . أخذ عن مجموعة من الشيوخ ومنهم ابن الخشاب وأبو منصور الجو اليفى . توفى سنه ٦١٠هـ / ١٢١٣ م . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

(٢٠٣) القفطى ، أنباء الرواه ، ج ٣ ، ص ٧٥ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٤ ، ص ٣٩٦ .

(٢٠٤) على سبيل المثال ما نجده عند العماد الإصفهانى فى ( الخريدة ) وعند القفطى فى ( أنباء الرواه ) وعند ابن خلكان فى ( وفيات الأعيان ) والصفدى فى ( الوافى بالوفيات ) .

(٢٠٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٣٩٦ .

(٢٠٦) ابن ظفر ، سلوان المطاع ، ص ١٢٨ .

(٢٠٧) ابن ظفر ، المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

(٢٠٨) السيوطى ، بغية الوعاة ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .

(٢٠٩) ابن ظفر ، سلوان المطاع ، ص ٢٤٩ .

(٢١٠) ابن ظفر ، المصدر السابق ، ٢٨٩ .

(٢١١) القفطى ، أنباء الرواة ، ج ٣ ، ص ٧٤ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٣٩٧ ، الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(٢١٢) ياقوت ، معجم الأدباء ، ج ١٩ ، ص ٤٨ .

(٢١٣) هو الملك العادل نور الدين محمد بن زكى بن آقستقر ، صاحب الشام ، كان ملكا عادلا ، مجاهدا ، بنى المدارس فى بلاد الإسلام . واشتهر بأعمال البر ، وتوفى سنه ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م . الذهبى ، سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٥٣١ .

(٢١٤) أنباء الرواه ، ج ٣ ، ص ٧٥-٧٦ ، وهنا أنقل تعليق القفطى على هذه الحالة - وإن كنت أرى فيها نوعا من التحامل - حيث قال : ( وهذا غاية ما يكون من الخسة ، وأهل حماء قوم لا يعرفون كرما ، ويعدون البذل مغرما ، فبقى فى غمرات الفقر شطر عمره )

- 
- (٢١٥) ياقوت ، معجم الأدباء ، ج ١٩ ، ص ٤٨ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ،  
ص ٣٩٧ ، الذهبي ، سير إعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٥٢٣ ، الصفدي ، الوفيات  
، ج ١ ، ص ١٤١ ، الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ .
- (٢١٦) القفطي ، أنباء الرواه ، ج ٣ ، ص ٧٤ ، الفاسي ، العقد الثمين نقلا عن القطيعي في  
ذيل تاريخ بغداد . ج ٢ ، ص ٣٩٦ .
- (٢١٧) ابن حجر ، لسان الميزان ، ج ٥ ، ص ٤٢١ .

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر المخطوطة :

ابن ظفر الصقلي ، حجة الدين محمد بن أبي محمد ، ت ٥٦٥هـ / ١١٦٩م .  
ينبوع الحياة ، مكة المكرمة ، معهد البحوث العلمية ، جامعة أم القرى ، الجزء  
الأول رقم (٥٠٦) تفسير .

### ثانياً : المصادر العربية المطبوعة :

- ابن أبي جرادة ، كمال الدين عمر بن أحمد ، ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م ، زبدة الحلب  
من تاريخ حلب ، تحقيق سهيل زكار ، دمشق ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ،  
ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ابن الأثير عز الدين على بن محمد الشيبانى ، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ، الكامل فى  
التاريخ ، بيروت ، دار صادر ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك ، ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م ، الصلة ،  
القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل العرب ،  
١٣٨٧هـ / ١٩٦٦م .
- ابن تغرى بردى ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ،  
ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ،  
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، نسخة مصورة  
عن طبعة دار الكتب ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
- ابن حجر ، الإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على العسقلانى ، ت  
٨٥٢هـ / ١٤٤٨م . لسان الميزان ، بيروت ، درا الفكر ، ط ١ ،  
١٤٠٧هـ / ١٩٧٨م .

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م .  
المقدمة ، بيروت دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الرابعة ، د. ت .
- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ، ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م ،  
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر  
١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- ابن ظفر ، حجة الدين محمد بن أبي محمد الصقلي ، ت ٥٦٥هـ / ١١٦٩م .  
( أ ) سلوان المطاع في عدوان الأتباع ، تحقيق محمد أحمد دمج ، بيروت ،  
مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م . وطبعة  
أخرى باعتناء أبو أحمد بن عبد المجيد ، نشر أسعد طرابزونى الحسيني ،  
١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م . وطبعة تونس المؤرخة سنة ١٢٧٩هـ .
- ( ب ) حاشية ابن ظفر على درة الغواص في أوهام الخواص للحريري ، تحقيق  
أحمد طه سلطان ، القاهرة ، مطبعة الأمانة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .
- ( ج ) أنباء نجباء الأنبياء ، بيروت ، دار الآفاق ، د. ت .
- ( د ) خير البشر بخير البشر ، القاهرة ، د. أ. ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .
- ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ، ت ١٠٨٩هـ / ١٧٧٥م ،  
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ، دار الفكر ، ط ١ ،  
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ابن فرحون ، برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد اليعمرى المدني ، ت  
٧٩٩هـ / ١٣٩٦م . الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق  
محمد الأحمدي أبو النور ، القاهرة دار التراث ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ابن كثير ، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي ، ت ٧٧٤هـ /  
١٣٧٢م ، البداية والنهاية ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، ت ٧١١هـ / ١٣١١م ،  
لسان لعرب بيروت ، دار صادر ، د. ت .
- ابن منقذ ، أبو المظفر مجد الدين أسامة بن مرشد الشيزري ، الاعتبار ، تحقيق  
قاسم السامرائي ، الرياض ، دار الأصاله ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- الأذنة وى ، احمد بن محمد ، من علماء القرن الحادي عشر الهجري ، تحقيق  
سليمان بن صالح الخزى ، المدينة المنورة ، مكتبة العلوم والحكم ، ط ١ ،  
١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- البيهقي ، أبو الحسن علي بن زيد ، ت ٥٦٥هـ / ١١٧٠م . تاريخ حكماء  
الإسلام ، اعتناء محمد كرد علي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ،  
طبعة مصورة عن الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م . كشف الظنون  
عن أسامي الكتب والفنون ، اعتناء محمد شرف الدين ورفعت بيلكه ، استانبول  
١٣٦٠-١٣٦٢هـ / ١٩٤١-١٩٤٣م .
- الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي ، ت  
٦٢٦هـ / ١٢٢٨م . معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .  
معجم الأدباء ، القاهرة ، دار المأمون ، د. ت .
- الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام ، ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م ،  
السنن ، اعتناء محمد أحمد دهمان ، دار إحياء السنة ، د. ت .
- الداودي ، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد - ت ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م .  
طبقات المفسرين ، تحقيق علي محمد عمر ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٣٩٢هـ /  
١٩٧٢م .
- الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى ، ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥هـ - حياة الحيوان  
القاهرة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م .

- الذهبي ، الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ، ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، بيروت ، دار الرسالة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- سبط ابن الجوزي ، يوسف بن قزاوغلي ، ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦هـ — ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، القاهرة ، دار الشروق ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي ، ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م . طبقات الشافعية الكبرى ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة ، د.ت .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م .
- ( أ ) طبقات المفسرين ، مراجعة لجنة من العلماء ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- (ب) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٨هـ / ١٩٦٧م .
- الصندي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢م الوافي بالوفيات، اعتناء مجموعة من الباحثين ، ألمانيا ، دار فرانز شتايز بفيشبادن ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره ، ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م ، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، د.م. دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

- طاش كبرى زاده ، أحمد مصطفى ، ت ٩٦٨هـ / ١٥٦٠م . مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوع العلوم ، مراجعة وتحقيق كامل بكري و عبد الوهاب أبو النور ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة د. ت .
- العماد الأصفهاني ، أبو عبد الله محمد بن محمد صفى الدين ، ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م ، خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء الشام ، تحقيق شكري فيصل ، دمشق ، المطبعة الهاشمية ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
- الفيروز ابادى مجد الدين محمد بن يعقوب ، ت ٨١٧هـ / ١٤١٤هـ ، القاموس المحيط ، بيروت ، المؤسسة العربية ، دار الجبل للطباعة والنشر د. ت .
- القرطبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبى بكر بن فرج الأنصاري ، ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م ، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، خرج أحاديثه أبو سفيان محمود بن منصور البسطويسى ، المدينة المنورة ، دار البخاري للنشر والتوزيع ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م . عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، القاهرة ، مطبعة المعاهد د. ت .
- القفطى ، الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف ، ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م أنباء الرواة على أنباء النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار الفكر ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- المراكشي ، عبد الواحد بن على ، ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م . المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، اعتناء محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ / ١٩٤٩م .
- المقرئ ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ، ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

- النعيمي ، عبد القادر بن محمد ، ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م . المدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسنى ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

### ثالثا : المراجع العربية الحديثة :

- بروكلمان ، كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .
- البغدادى ، إسماعيل باشا ، إيضاح المكنون في النيل على كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- جوده ، صادق أحمد داوود ، المدارس العصرية في بلاد الشام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، دار عمار ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، القاهرة ، مكتبة النهضة الحديثة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
- الدوري ، تقى الدين عارف الدوري ، سقوط صقلية وانتهاء السيادة العربية عليها ، مقال ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد الثامن ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- الزركلى ، خير الدين الزركلى ، الأعلام ، القاهرة ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- الزهرانى ، على بن محمد ، الحياة العلمية في صقلية الإسلامية من سنة ٢١٢هـ / ٤٨٤هـ ، مكة المكرمة ، مطبوعات معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- عبد الرحمن حميده ، أعلام الجغرافيين العرب ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .



- عبد الحميد حاجيات ، نظرية ابن ظفر في أخلاق الملوك من خلال كتابه سلوان المطاع ، مقال بمجلة أوراق ، العدد ٤ - ٥ - ٦ ، المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد .
- العسيري ، مريزن سعيد ، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعي ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م .
- مارتينو ، ماريو مورينو ، المسلمون في صقلية ، بيروت ، منشورات الجامعة اللبنانية ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- منير الدين ، أحمد ، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري ، مستقاة من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ترجمة سامي الصقار ، الرياض ، دار المريخ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ميخائيل اماري ، المكتبة العربية الصقلية ، طبعته بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة ليبسك ، ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م .



# السياسة الأمنية للسلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد الأول

## وأثرها على التقدم الاقتصادى لبلاده

### دراسة تحليلية

د. نورة عبد الله باديب<sup>(\*)</sup>

---

مرت دولة سلاجقة الروم كغيرها من الدول بمراحل عديدة خلال تاريخها ابتداء من مرحلة التأسيس والبناء ( ٤٧٤ - ٦٠٧هـ / ١٠٨١ - ١٢١٠م ) مروراً بمرحلة النضج والازدهار ( ٦٠٧ - ٦٣٤هـ / ١٢١٠ - ١٢٣٧م ) وانتهاء بمرحلة الضعف والانحيار ( ٦٣٤ - ٧٠٠هـ / ١٢٣٧ - ١٣٠٣م ) .

ومهما يمكن أن يكتب أو يقال عن صعوبة مرحلة التأسيس والبناء ، إلا أن دور النضج والازدهار كان الدور الأكثر عطاء ، وهو الدور الذى ترك بصماته الواضحة فى تاريخ تلك المنطقة ، فلا غرو أن يطلق على ذلك الدور اسم « العصر الذهبى »<sup>(١)</sup> .

ولقد لعب السلطان علاء الدين كيقباد الأول ( ٦١٦ - ٦٣٤هـ / ١٢١٩ - ١٢٣٦م ) الذى كان ألمع وأكثر سلاطين سلاجقة الروم تميزاً - دوراً بارزاً فى ذلك العصر حتى استحق لقبى السلطان العظيم ، وسلطان العالم<sup>(٢)</sup> . فالسياسة الأمنية التى اتبعها بمنطق سليم وصارم بهدف حفظ أمن السلطنة وتنمية الحياة الاقتصادية فيها ، جعلت اسمه يخلد فى التاريخ كأعظم رجل سياسة عرفته آسيا الصغرى فى العصور الوسطى ( القرن الثالث عشر الميلادى / السابع الهجرى ) وهو عصر نهوض الاقتصاد ونمو العلاقات التجارية .

وقد اتبع علاء الدين كيقباد فى سبيل تنفيذ هذه السياسة كل الوسائل الممكنة الدبلوماسية ، والحربية ، واستطاع إحراز الكثير من النجاحات فى الميادين الخارجية والداخلية مما كان له أثره فى ازدهار الوضع الاقتصادى لبلاده .

---

(\*) جامعة الملك عبد العزيز - جدة .

ففى الميدان الخارجى وعلى الحدود الغربية لم تشكل إمبراطورية نيقية البيزنطية<sup>(٣)</sup> خطراً حقيقياً أو تهديداً مباشراً لسلاجقة الروم بل على العكس كانت تشكل ترساً ضد الصليبيين اللاتينيين الذين كانوا يعدون الأعداء الغربيين للروم البيزنطيين بعد استيلائهم على القسطنطينية سنة ١٢٠٤م<sup>(٤)</sup> .

واستمر التقارب والوفاق بين سلاجقة الروم وإمارة نيقية البيزنطية طوال عهد كيكافس الأول وأخيه كيقباد الأول ، بل زاد هذا التقارب بين الطرفين عند مجئ الغزو المغولى لآسيا الصغرى<sup>(٥)</sup> .

وهكذا لم يكن هناك خطر يذكر من جهة الحدود الغربية مما وافق خطط السلطان كيقباد الأول الذى كان يرغب فى استمرار رفاهية وأمان شعبه على الحدود الغربية وعدم رغبته فى أن تعيش فى اضطراب<sup>(٦)</sup> .

أما بالنسبة للحدود الأخرى لدولته فقد كانت سلطنة سلاجقة الروم بحكم موقعها الجغرافى ممراً لكثير من الطرق التجارية العالمية ، فضلاً عن تملك سلاجقة الروم لكثير من المراكز الهامة الواقعة على الطرق التجارية الكبيرة ، لذا كان من الطبيعى أن يبذل علاء الدين كيقباد من الجهود ما يحقق به الإشراف على تجارة العبور وذلك بتأمين هذه الطرق وبالتكفل بدفع كل ما يمكن أن يعرض لها من خطر .

وبناء عليه انطلقت السياسة الأمنية وفق خطوات صائبة منذ توليه العرش وارتكزت على أساس حماية سواحل بلاده أولاً باعتبار أن المنافذ البحرية التى اكتسبها سلاجقة الروم هى موانئ مهمة تخدم تجارة العبور من ناحيتى الشمال والجنوب ، فضلاً عن حرصه الكبير واهتمامه البالغ بحماية طرق التجارة البرية ومحطاتها وهو ما دفعه إلى الاتجاه بعزيمة نحو شرق بلاده ( الحدود الشرقية لدولته ) .

قام علاء الدين كيقباد بمجرد جلوسه على العرش ، وبتوجيه من بعض أمرائه ، بفتح حصن كالونوروس وقلعة آلاره على الساحل الجنوبى لبلاده والتى

كان من الممكن أن تكون محور ارتكاز للقبارصة والفرنجة الآخرين ، وغير اسمها إلى العلانية ( العلایا ) . وأنشأ فيها ترسانة بحرية لخدمة أسطوله ولحماية أنطالية<sup>(٧)</sup> . وتم بذلك تأمين الساحل الجنوبي لبلاده .

كذلك هيا فتح علانية وتأمين أنطالية الطريق لإقامة علاقات تجارية عن طريق البحر مع قبرص وسورية ومصر<sup>(٨)</sup> . ووصل إلى الأراضي السلجوقية. التي أصبحت تمثل عصب تجارة العبور في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري ، التجار البروفانسيون والبنادقة والمصريون الذين كانوا يمارسون تلك التجارة بين سينوب وقونية وقبرص والإسكندرية والجزيرة ويحملون مختلف البضائع من الشعير والصوف والجلود والحريير والخام المشغول بل وحتى المجوهرات والفراء والرقيق وغيرها من البضائع الثمينة<sup>(٩)</sup> . وزاد كيقباد الأول من عظم أهمية الطرق التي تمر عبر أراضي دولته بتأسيس نوع من نظام تأمين الدولة وفرض ضرائب جمركية معقولة<sup>(١٠)</sup>.

وقد تابع علاء الدين كيقباد الأول اتخاذ التدابير الفعالة الهادفة لحماية طرق التجارة الدولية ( العبور ) فقام بعد فتح علانية وفي الفترة بين ٦٢٣ - ٦٢٥هـ — بعدة حملات عسكرية لإعادة الأمن والاستقرار لبعض المناطق التي تعرض فيها التجار لبعض عمليات القرصنة .

ويذكر المؤلفون في هذا الشأن أن ثلاثة من رعايا السلاجقة دخلوا على خيمة السلطان علاء الدين كيقباد أثناء تواجده في قيسارية يشكو أحدهم من مشكلة قرصنة تعرض لها من جانب الروم والقبيجاق عبر الخزر سرقوا فيها كل أمواله التي أضاع حياته من أجلها ثم جاء شخص آخر يشكو من اضطراب أمن الطرق المتجهة والقادمة من حلب وخاصة عند عبورها ولاية تكفور<sup>(\*)</sup> بلاد

---

(\*) تكفور : لقب عام يقصد به كل من جلس على عرش مملكة أرمينية الصغرى ، مثلما لقب إمبراطورية الدولة البيزنطية بالأسكري ، ومالك الحبشة بالحطى والنجاشى . ابن فضل الله العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ٥٥ ، مطبعة العاصمة ، مصر ، ١٣٢١هـ . وسعيد عاشور : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ٢٣٩ ، بيروت ، ١٩٧٧م .

سيس<sup>(\*)</sup> ليفون<sup>(\*)</sup> الأرمني<sup>(١١)</sup> . Lifon حيث سرق الكفار أمواله. وأخيرا جاء شخص ثالث من أهالي انطالية يتحدث عن سرقة الفرنج لسفينته التجارية وفيها أمواله وأموال أصدقائه وقاموا بأسرهم<sup>(١٢)</sup> . فآثارت هذه الحكايات مشاعر السلطان وأمر بتطبيب قلوبهم بسرعة وصرف أموالا لهم من خزائنه<sup>(١٣)</sup> . وأمر رجاله بالتحقيق حول هذه الوقائع وتقديم التعويضات للمتضررين ، ثم التفت جهة أمرائه قائلا : ( الروم إن لم تغز غزت ) ، وهو مثله المشهور ، وأضاف قائلا « نحن مسؤولون عن إعاشة هذه الشعوب في أمن وسلام »<sup>(١٤)</sup> .

وهكذا أذن علاء الدين كيقباد للقوة العسكرية بالتدخل لحل تلك المشاكل، فأرسل حملة بقيادة الأمير حسام الدين جوبان<sup>(\*)</sup> إلى القرم على رأس قوة بحرية تحوى العديد من السفن وبالتحديد صوب سفدق وذلك في سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م ، وتمكن الجيش السلجوقي من احتلالها في سنة ٦٢٥هـ<sup>(١٥)</sup> . وكان التجار الذين شكوا إلى السلطان مع الأمير ، فاستعاد جميع ما نهب من أموالهم ومتاعهم وردّه إليهم<sup>(١٦)</sup> . ومد الأمير نفوذه إلى الداخل واستطاع فرض سيطرته على ممالك القبجاق والإمارات الروسية<sup>(١٧)</sup> . وفرض عليهم الجزية والخراج وأنشأ السلاجقة جامعا هناك ، وعينوا قاضيا وخطيبا ومؤننا للجامع ومجموعة من الحراس<sup>(١٨)</sup> . ثم ركبوا السفن المحملة بالغنائم وعادوا إلى سينوب وقسطموني<sup>(١٩)</sup> .

---

(\*) سيس : هي عاصمة أرمينية الصغرى . سعيد عاشور : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ٢٣٩ .

(\*) ليفون : أحد الألقاب التي اختارها المسلمون لملك أرمينية الصغرى وكذلك ابن لاون وهو تحريف للفظ ليون أو ليو أول ملوك أرمينية الصغرى . سعيد عاشور : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ٢٣٩ .

(\*) حسام الدين جوبان : أمير قسطموني ، وزعيم التركمان الأوج الذين اشتهروا بالبسالة وشدة المراس وكان مشهورا بذكائه وبطولته وكثرة أتباعه وجنده .

وكان يلزم القيام بحملة ضد الأرمن في قليقية لوقوع هجمات على التجار والقوافل القادمة من الجنوب وفقدان الطريق لأمنه وأمانه . والمعروف أن قليقية كانت تشكل خطرا شديدا على المسلمين نظرا لطبيعتها الجغرافية الوعرة إذ يصعب غزوها عن طريق بلاد الشام<sup>(٢٠)</sup> . كما كان في مقدور القوى المعادية التي تسيطر على قليقية شن الغارات على أعمال حلب والعودة عبر بوابات قليقية والتحصن بمعقلها الجبلية . وذلك مثل ما حدث في عهد علاء الدين كيقباد من اعتداء على التجار القادمين من حلب عبر أراضي قليقية . فقام علاء الدين بجمع جنوده في قيصرية استعدادا لحملة ضد الأرمن واستخدم التركمان الذين تجمعوا بأعداد كبيرة على الحدود . واتجه الجيش السلجوقي إلى قليقية . بقيادة الأميرين مبارز الدين جاولي الجاشنكير<sup>(\*)</sup> والأمير كومانوس موزد الرومي<sup>(٢١)</sup> .

وقرر الاثنان الاستيلاء على كل القلاع التي تصادفهما في طريقهما إلى أرمينية ورفع أعلام السلطنة عليها . ووصلوا بعد فترة وجيزة إلى أفوى وأحصن القلاع وهي شينشن Cincin فأمر الجاشنكير جاولي الجنود بفرض الحصار على هذه القلعة الشهيرة ، مما اضطر الأهالي إلى طلب المساعدة والعون من ليون الأرمني ، وأرسل ليون رسالة مؤثرة إلى الفرنج يطلب فيها العون، ويشعل فيها الغيرة والتعصب المسيحي فأرسلوا له من الجند والمدد ما لا يحصى . وتقابل الجيش الأرمني مع الجيش الإسلامي ، وثبت المسلمون وأطلقوا رماحهم ونبالهم على الأعداء الكفرة ، وقتلوا وأسروا منهم الكثير ، وهرب ليفون ونفر ممن معه ، وغنم غنائمهم المسلمون . فما كان من أهالي القلعة بعد هذه الهزيمة إلا أن أرسلوا أحد رهبانهم يطلب الصلح ، فأجابه إليه الأمير الجاشنكير مبارز الدين ، وعقدت معاهدة أمان ، أخلى بموجبها الأرمن القلعة ورحلوا . ورفعت أعلام السلطنة على

---

(\*) الجاشنكير : الأمير الذي يقوم بتنوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفا

من أن يدس عليه فيه سم . القلقشندی : صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ج ٥ ،

أبراج القلعة ، وبعثت البشائر للسلطان . وطلب قواد الحملة الإمدادات والمؤن لمواصلة الفتوحات فى أرمينية مما أوقع الرعب فى قلوب الأرمن الذين بعثوا إلى الأمراء بطلب الصلح مقابل دفع الجزية ضعفين ، وإمداد جيش المسلمين بألف وخمسمائة من الجند المشاة للمشاركة فى الحرب والقتال ، وضرب اسم السلطان علاء الدين كيقباد الأول على العملات النقدية التى تسك<sup>(٢٢)</sup> .

وبعث الأمراء رسالة ثانية إلى السلطان يبلغونه أمر العرض الجديد وكانوا قد أتموا فتح كل القلاع الأرمينية . فقام السلطان بإرسال فرمان ورسالة تتضمن الشكر لملك الأمراء والأمير كومنانوس على جهودهم كما كتب عهد أمان عفى فيه عن أخطاء ليون . وطلب منه أولاً تقديم كل التعويضات للتجار الذين اغتصبت أموالهم من طرف اغنياء ورجال شعب القلاع التى تمكن قواد كيقباد من فتحها مع الزيادة ودفع الجزية مضاعفة<sup>(٢٣)</sup> . كما أمر أن يسلم أمر هذه الولاية وما فيها من قلاع إلى أحد أمرائه وهو الأمير قمر الدين وأن يعود الأمراء مبارز الدين جاولى وكومنانوس إلى مقر السلطنة لشرح مجريات الحرب ، كما أمر أن يعود الجند إلى أوطانهم للراحة<sup>(٢٤)</sup> .

وفى الوقت الذى كان فيه ملك الأمراء حسام الدين جوبان يقوم بفتح سفداق ومبارز الدين جاولى وكومنانوس بفتح أرمينيا . كان واحداً من أقدم عبيد السلطنة وهو الأمير مبارز الدين ارتقش حاكم أنطالية يتخذ طريقه نحو الساحل الجنوبى وتمكن من فتح ما يقرب من أربعين قلعة . وعلى الرغم من أنه لاقى مقاومة شديدة من الفرنج إلا أنه تمكن من هزيمتهم خاصة عندما زادت حدة المعركة ، ثم أجبرهم على إخلاء القلاع ، فهرب معظمهم فى جنح الليل واضطر بقية أهالى القلاع أن يطلبوا الأمان عندما شعروا بعجزهم<sup>(٢٥)</sup> وبعد أن أكمل مبارز الدين ارتقش السيطرة على الساحل أرسل إلى السلطان بأخبار هذه الفتوحات وطلب منه السماح للقيام بحملة على جزر الفرنج ( قبرص ) . ولكن السلطان لم يجبه إلى طلبه ، واكتفى بتوجيه الأوامر إلى ارتقش لإعادة دفع وسداد كل حقوق التجار بل وزيادتها



ثم عودة الجند إلى بلادهم . وعاد مبارز الدين ارتقش إلى قيصرية ليعرض على السلطان أعمال الفتوحات التي قام بها ، ولاقى من إكرام السلطان الشيء الكثير<sup>(٢٦)</sup> .

وهكذا استطاع علاء الدين كيقباد خلال حملاته العسكرية أن يحقق عدة أهداف خدمت النواحي الاقتصادية لدولته .

**أولها :** حماية منافذ الدولة البحرية وتأمينها من الناحيتين الجنوبية والشمالية بتأسيس ميناء علائية على البحر المتوسط ، وبالاستيلاء على سغداق على ساحل البحر الأسود . مما أدى إلى تزايد كثافة وحركة السفن التجارية المحملة بالبضائع المختلفة وتشجيعها على الإبحار والرسو في تلك الموانئ بأمان . بما فيها سفن الدول المسيحية من بنادقة وبروفنسايين وحتى اللاتين<sup>(٢٧)</sup> .

**ثانيها :** تأمين التجار على أرواحهم وأموالهم بتأديب الدول التي كان أفرادها من روم وأرمن يمارسون القرصنة ، وإجبارهم على تعويض التجار الذين سرقت بضائعهم وسفنهم ، بل إننا نجد كيقباد يؤسس نوعا من نظام تأمين الدولة أو الضمان الحكومي الذي لم تعرف تفاصيله ، وذلك عن طريق دفع تعويضات من خزانة الدولة للتجار الذين يتضررون من فقدان وضياع بضائعهم وأموالهم ويتعرضون لهجمات القراصنة والأشقياء<sup>(٢٨)</sup> . فأمن التجار واستمروا في ممارسة نشاطهم التجاري عبر أراضي الدولة السلجوقية الآمنة بشكل ملحوظ في عهده وأصبحت المدن السلجوقية ملتقى لنشاط أولئك التجار على اختلاف جنسياتهم ، ومراكز لتصرف بضائعهم .

**ثالثها :** تأمين مصادر الجزية ، حيث أنه من المعروف أن الجزية كانت تمثل مصدرا من المصادر المالية لدولة سلاجقة الروم الإسلامية<sup>(٢٩)</sup> . لذلك حرص كيقباد على تحصيلها وقد أجبرت السيطرة السلجوقية على المناطق والقلاع التي فتحت خلال عمليات التأديب ، حكام تلك المناطق على إبداء

مظاهر الخضوع والتبعية ليس فقط بسك اسم السلطان على العملة ، أو بتقديم المساعدات العسكرية ، وإنما أيضا بتأدية الجزية بل ومضاعفتها أيضا . ويظهر ذلك واضحا عندما سمع كيقباد بعصيان أمير العلّيا وخيانتة وسعيه لتسليم القلعة للفرنج القبارصة ، « فغضب السلطان غضبا شديدا وجمع معيته ، ووصل إلى علّية خلال شهر . وبعد التحقق من الأخبار التي وصلت له تبين بالفعل أن حاكم القلعة كان ظالما وخائنا حيث شهد عليه الأئمة والحفاظ وشرحوا مقاصده السيئة . فأصدر السلطان كيقباد الأوامر بتوقيع أقصى العقوبة به وبالذين يقومون بنفس الخيانة ، والتي تنص على تقطيع جسده وتعليقه على أبراج القلعة . فلما بلغت أخبار هذه العقوبة الرادعة مسامع ملوك وأمراء الساحل ، قاموا بجمع الجزية والخراج طواعية وأرسلوها لأعتاب السلطان »<sup>(٣٠)</sup> . كما كانت طرابيزون وإمبراطورية نيقية البيزنطيتان تدفعان الجزية لسلاجقة الروم ، وكانت المبالغ الكبيرة التي التزم إمبراطور طرابيزون بدفعها لدولة السلاجقة قد زادت من قوة وثراء دولة سلاجقة الروم وظل أباطرة طرابيزون يدفعون الجزية لسلاجقة الروم حتى الغزو المغولي سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م .

سياسة علاء الدين كيقباد نحو المناطق الشرقية وأثرها على النواحي الاقتصادية لدولته :

أولى سلاجقة الروم منذ بداية حكمهم اهتماما بالمناطق التي تقع شرقي دولتهم، وازداد هذا الاهتمام في بداية القرن الثالث عشر الميلادي . وأما عن الأسباب التي دفعتهم إلى التوجه نحو الشرق فيبدو أنها غامضة إلى الحد الذي دفع بالمؤرخ الفرنسي كلود كاهن أن يطرح التساؤلات الآتية :

١ - « هل كان الأمر يتعلق بإرادة توسعية طبيعية دفعتها للاستفادة من تشرنم الدول المنافسة لها كما هو شأن كل دولة قوية ؟ » .

٢ - « لقد قاموا بتوحيد شرق آسيا الصغرى لصالحهم ، فهل كانوا يريدون أن يضيفوا إليه كل الدول التي يقطن بها جزء من السكان الأتراك أم كانوا يريدون إبطال الدسائس التي يمكن أن تحاك بداخلها ؟ » .

٣ - « هل كانوا يعتقدون بأنه كلما اتسع نطاق دورهم العازل أمكنهم القضاء على الهجمات المتوقعة بشكل أفضل ؟ »<sup>(٣١)</sup> .

ومع أخذ كل التساؤلات التي طرحها كلود كاهن في الاعتبار ، إلا أنه يبدو أنه أغفل طرح التساؤل الأكثر أهمية والتساؤل الذي يدور حول احتمال وجود أطماع إقتصادية لدى سلاجقة الروم في توجهاتهم نحو الشرق ، وعلى الأخص في عهد السلطان علاء الدين كيقيباد الأول الذي كان يمثل ذروة التقدم الإقتصادي لسلاجقة الروم .

وبما أن المراكز التجارية لسلاجقة الروم والتي كانت تخدم تجارة العبور خلال حكم كيقيباد الأول كانت تقع شرقي طريق انطالية - سينوب<sup>(٣٢)</sup> ، فإنه من المرجح أن كيقيباد الأول في سياسته الشرقية كان يهدف إلى إيجاد طرق أمنى يحمي الطريق التجاري وما يقع عليه من محطات ومدن تجارية . ولكي ندرك مدى أهمية العامل الإقتصادي في توجيه سياسة كيقيباد نحو الشرق ، كان لا بد من إلقاء الضوء على الأهمية الإقتصادية التي تمتعت بها المدن الواقعة على الحدود الشرقية لدولته سواء كانت تلك المدن تتبع سلاجقة الروم أو تتبع غيرها من الدول المجاورة .

وهنا كان لا بد من الاكتفاء بعدد المراكز الإدارية الأساسية التي كانت موجودة في يد سلاجقة الروم عندما اعتلى كيقيباد الأول العرش . وذلك لعدم وجود خرائط تشير إلى كل تفصيلات الحدود والتي يمكن مقارنتها بالخرائط العصرية . وكانت المراكز الإدارية الهامة تشمل قونية ، هرقله ، نيكده ، أفسرا ، قيسارية ،

البستين ، ملطية ، سيواس ، طوقات ، أماسية ، سينوب ، قسطموني ، قير شهر ، أنقرة ، أقشهر ، اسبرطه ، انطالية(\*) .

ولقد شكلت معظم المدن السلجوقية في آسيا الصغرى مراكز تجارية هامة وحيوية خدمت الحركة التجارية الداخلية ، وحركة تجارة المرور ، خاصة تلك المدن التي كانت تقع في النواحي الشرقية للدولة ، مثل سيواس ، قيسارية ، ملطية وأقسر ، وغيرها .

كذلك ارتبطت تلك المدن السلجوقية مع غيرها من المدن التجارية الشرقية الواقعة في منطقتي الجزيرة والشام . ومن المعروف أن تلك المدن الشرقية سواء ما كان منها في آسيا الصغرى أو في الجزيرة أو في الشام عرفت بشهرتها الاقتصادية وغمرت بالأسواق التجارية إما لوقوعها على الطرق التجارية ، أو لوفرتها الاقتصادية من الناحيتين الزراعية والصناعية . ويعتبر هذا تفسيراً منطقياً لسياسة الاهتمام والحرص الشديدين اللذين أولاهما السلطان كيقباد لكل من : سيواس ، أرزنجان ، أرزن الروم ، خلاط ، آمد ، بل وحتى حلب .

وفي ضوء ذلك يمكن القول أن السياسة الشرقية لعلاء الدين كيقباد الأول كانت تدور في المقام الأول حول حماية طرق تجارة العبور أو المرور التي شكلت المدن الشرقية جزءاً مهماً منها .

أما بالنسبة لسيواس التي كانت تمثل قصبه التجارة السلجوقية فقد لعبت دوراً هاماً في تنمية الاقتصاد السلجوقي ، حيث كانت مركزاً تجارياً حيوياً تتفرع منه الطرق الداخلية نحو أماسية وطوقات ، وأقسرای وقيسارية ، وقونية العاصمة ، ومنها إلى أنطالية وعلائية على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى ، وهو طريق التجار البروفانسيون والبنادقة والمصريون . هذا علاوة على الارتباط الذي كان بين سيواس وتجار القرم عن طريق موانئ سينوب وسامسون . فقد قامت في

---

(\*) انظر مواقع هذه المدن على خريطة رقم ( ١ ) .

عصر علاء الدين كيقباد الأول (فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى) « حركة تبادل تجارى كبرى بين السكان المسلمين فى آسيا الصغرى وبلاد الشام وبلاد ما بين النهرين من جهة ، وبين سكان جنوب روسيا ( القفجاق ) من جهة أخرى . وكان تجار بلاد الروس والموصل يتقابلون عادة فى سيواس بأعداد كبيرة تكفى لتشكيل قوافل ، يمضون بها صوب البحر الأسود عبر إقليم سلاطين سلاجقة الروم عن طريق سينوب وسامسون ويعبرون البحر ليصلوا إلى جنوب بلاد الروس<sup>(٣٣)</sup> .

وكانت مدن سلاجقة الروم فى ذلك الوقت ترتبط بالشرق الأقصى بواسطة الطرق المارة من فارس وتبريز<sup>(٣٤)</sup> . وكان أشهر تلك الطرق طريق يربط بين تبريز قاعدة إقليم أنريجان وأهم مدنه التجارية وبين قونية ، ويبدأ من تبريز فى اتجاه الشمال الغربى إلى مدينتى أرزن الروم وأرزنجان اللتين كانتا تقومان بحراسة هذا الطريق الهام من جهة الشرق<sup>(٣٥)</sup> . ومنها إلى الغرب حتى سيواس ، ومنها فى اتجاه الجنوب الغربى إلى مدينة قيسارية ، ومنها إلى الغرب مع ميل للجنوب إلى قونية العاصمة . ويستخدم هذا الطريق فى نقل منتجات الشرق كالتوابل ، والبخور ، وسكر الهند ، وخزف الصين ولآلى الخليج العربى إلى بلاد سلاجقة الروم ، كما كان هناك طريقين آخرين يتجهان نحو سيواس أحدهما من بلاد الجزيرة ، والآخر من بلاد الشام ، وهو الطريق الذى يرتاده التجار السوريون<sup>(٣٦)</sup> ، ويربط بين حلب وقيسارية وهو الذى أعطى أهمية وحيوية كبيرة لمنطقة الإسكندرونة<sup>(٣٧)</sup> وهنا تجدر الإشارة إلى أهمية حلب فى تلك الفترة حيث كانت المركز التجارى المتوسط بين الشرق والغرب ، وأصبحت فى العصور الوسطى تحتل أعظم مدخل للتجارة الشرقية<sup>(٣٨)</sup> . وكانت البضائع التى تأتى من البلاد الشمالية عن طريق موانئ سينوب وسامسون وطراييزون توزع على مدن سواحل البحر المتوسط وحلب ومنها إلى بقية العالم الإسلامى<sup>(٣٩)</sup> . وأهم هذه البضائع تتمثل فى الفراء والرقيق<sup>(٤٠)</sup> . كما شكل الصابون سلعة تجارية هامة كانت تصدر من حلب إلى

سلاجقة الروم هذا عدا عن كونها سوقا مهما لحجر الشب<sup>(\*)</sup> الذى كان يصدر إليها من سيواس<sup>(٤١)</sup> . وما يهمننا فى الموضوع أن حلب كانت أكثر الممالك الأيوبية الشامية فى ذلك الوقت تأثرا بمجاورة دولة سلاجقة الروم ، نظرا لوقوعها فى شمال الشام ومجاورتها لها ، فضلا عن تداخل الثغور الشامية والجزرية بين المملكتين حيث كان بعضها يتبع مملكة حلب وبعضها الآخر يتبع دولة سلاجقة الروم . وتظهر أهمية المناطق الشرقية فى احتوائها أيضا على الثروات المنجمية التى اهتم سلاجقة الروم بتميمتها واستغلالها منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادى فى أرجاء الدولة ، مثل الحديد والنحاس والفحم وحجر الشب ، وكانت معظم هذه المواد الخام تتوافر فى المناجم الواقعة فى المناطق الشرقية من الدولة فحجر الشب كان يتوافر فى المناطق الواقعة حول سيواس ، واشتهرت ديار بكر بمناجم النحاس . كما تجدر الإشارة إلى سلعة اقتصادية أخرى اشتهرت بها المناطق الشرقية ألا وهى السمك المجفف الذى اشتهرت به بحيرة خلاط وأرجيش وهو من أهم الصادرات إلى بلاد الروم ومنها إلى الشواطئ الشمالية على البحر الأسود .

وهنا نود أن نشير إلى أنه على الرغم من أن سلاجقة الروم أصبحوا فى الربع الثانى من القرن الثالث عشر بلدا مصدرا ، إلا أن استيراداتهم ظلت تزيد على صادراتهم<sup>(٤٢)</sup> . وإذا ألقينا نظرة على مستوى البضائع التى كان سلاجقة الروم يستوردونها من البلدان الشرقية وأهميتها فى تلك الفترة لأمكنا أن نضيف عاملا آخر من عوامل اهتمام السلطان السلجوقى علاء الدين كيقباد بتأمين المناطق الشرقية وإنعاش طرق التجارة التى تمر عبرها ، فلم يقتصر سلاجقة الروم على استيراد القطن من مصر وإنما كانت حماة وحلب تقومان أيضا بتصدير القطن الجيد

---

(\*) الشب : يعتبر حجر الشب من المعادن الهامة التى تنتجها سلطنة سلاجقة الروم . وكان هذا الحجر يستخدم على نطاق واسع فى صناعات العصور الوسطى كالأدوية والصبغة ودباغة الجلود . وأشهر محاجره فى آسيا الصغرى ، فى أفسراى ، وسيواس ، والوباد ، وقراحصار وكوتاهيه .

لسلاجقة الروم ، أما الأنواع الأجود منه والممتازة فتأتى من أرمينية الصغرى ، وتصدر إليهم بغداد الصوف الناعم الخفيف الجيد الصنع والذي يستعمله السلاجقة لعمام سلاطينهم ووزرائهم ، ويأتىهم من بغداد أيضا المسك وأعواد الند والعنبر ، أما الحرير الممتاز والباهظ الثمن فيأتى من الصين ، ويأتىهم السجاد من بلاد فارس وخاصة من شيراز وبلاد ما وراء النهر ، أما الأحجار الكريمة التى شغف بها السلطان ورجال بلاطه فتأتى من آسيا الوسطى . وتقدم لهم جورجيا الخيول الأصيلة ، ويأتى الفراء بكميات كبيرة من روسيا<sup>(٤٣)</sup> .

وإذا رجعنا إلى الخريطة(\*) يتضح لنا أن الحد الشرقى لدولة سلاجقة الروم عندما تولى كيقيباد العرش كان يقوم على الفرات الأعلى حيث تقع مدينة ملطية ( التى كانت تمثل قاعدة الثغور الجزرية ) ، أهم مدن الولايات الشرقية، التى تقع شمال الجبل الدائر<sup>(٤٤)</sup> شرقى الفرات حيث تلتقى سلسلة جبال بنطس مع جبال طوروس الأرمنية<sup>(٤٥)</sup> .

وكانت تلك التضاريس الجبلية المحيطة بالحدود الشرقية لسلاجقة الروم أحد العوامل التى دفعت سلاجقة الروم لمحاولة التوسع عبر جبالهم فى السهول الزراعية الخصبة لشمال الشام وديار بكر<sup>(٤٦)</sup> . وقد أغرى خصب تلك الأراضى السلطان علاء الدين كيقيباد الأول للتقدم نحوها بقصد استغلالها وتهيئتها لتكون أماكن مناسبة لتوطين التركمان<sup>(٤٧)</sup> ، إذ أنه أدرك ضرورة الاهتمام بقضية توطين تلك الجماعات التركمانية والاستفادة منها فى زراعة تلك المناطق وتنمية قدراتها الاقتصادية ، وجذب التركمان للعيش فيها بقصد الحد من خطر انسياحها داخل الأراضى السلجوقية ، وحماية الطرق التجارية ومناطق الزراعة الغنية من أعمالها التخريبية . وكان كيقيباد استشف ما قد يحدث من اضطرابات على يد أولئك التركمان من جهة الشرق خلال حياته وبعد مماته مثلما فعل الخوارزميون

---

(\*) انظر خريطة رقم ( ١ ، ٢ ) .

والتركمان الإيوانية وغيرهم من أعمال السلب والنهب وتخريب طرق التجارة ومحطاتها وما فعله التركمان أتباع البابا إسحاق من حركة وعصيان وتمرد وتخريب لأراضى سلاجقة الروم بعد وفاته<sup>(٤٨)</sup> . فضلا عما سيحدث على يد أبناء تلك العشائر التركمانية من تغييرات سياسية لخريطة آسيا الصغرى .

وبناء عليه يمكن القول أن قضية توطين التركمان الذين كانوا يندفعون من الحدود الشرقية إلى داخل الأراضى السلجوقية فى آسيا الصغرى ، كانت هدفا وغاية من أهم أهداف وغايات السلطان كيقياد فى توجيه سياسته نحو الشرق ، وهو ما سيتضح خلال صفحات البحث .

كما كان اهتمام سلاجقة الروم بالجهات الشرقية نابعا من إدراكهم لأهمية ميله نهر الفرات الذى يخرج من أراضيهم ويمتد حتى يصب فى خليج فارس سواء من ناحية نقاء وصحة مياهه ، أم من ناحية صلاحية استخدامه كوسيلة طيبة للنقل والمواصلات<sup>(٤٩)</sup> .

ومن البديهي أن يكون السلطان علاء الدين كيقياد قد أدرك أهمية نهر الفرات الاقتصادية والاستراتيجية ، فحرص كل الحرص على تحقيق نوع من الرقابة والإشراف على المدن والمحطات التجارية التى تقع عليه أو بالقرب منه بحكم أنها مواقع هامة تخدم تجارة العبور التى تهم سلاجقة الروم ، إضافة إلى أنها تمثل أسواق تجارية لها ثقلها الاقتصادى بما تمتعت به من موارد زراعية وصناعية وهذا يضيف سببا آخر لاهتمام علاء الدين كيقياد وحرصه على أمن كل من أرزنجان ، أرزن الروم ، بل وحتى حلب فى الشام ، فكلها من المدن التى منحها الفرات أهمية استراتيجية واقتصادية لا تخفى على أحد .

ولعل فى استعراض امتداد نهر الفرات ومواقع هذه المدن منه ، ما يعزز القول بأهمية الفرات فى خدمة تجارة العبور . كما يؤيد القول بأن الفرات أعطى لتلك المدن بالفعل أهمية اقتصادية كبرى حيث منحها الخصب والرخاء ووفرة



المزروعات ، كما منحها أهمية استراتيجية بجعلها محطات ليس فقط للطرق التجارية البرية ، وإنما أيضا على الطريق النهري للفرات والذي يصل إلى بلاد سلاجقة الروم .

فمدينة أرزن الروم التي تعتبر آخر حد بلاد الروم من جهة الشرق<sup>(٥٠)</sup> ، بها منبع الفرات الذي ينبع من شرقيها وشماليتها<sup>(٥١)</sup> . ثم يقطع نهر الفرات بلاد الروم ويمر بالقرب من ملطية ( بينها وبينه ميل ) ، ثم يجرى ما بين ملطية وسميساط<sup>(٥٢)</sup> ( وهي على غرب الفرات ) فيعطف إلى جهة الجنوب ويمر بسميساط ويحمل من هناك السفن والأطواف إلى بغداد<sup>(٥٣)</sup> ثم يعطف بأخذ إلى الجنوب حتى يصل إلى بالس ويمر بنصيبين والرقّة والرحبة وهيت والأنبار ويأخذ منه نهر عيسى الذي ينتهي إلى مدينة السلام ( بغداد ) ثم يمر حتى يصب في دجلة ، وأكثر ماء الفرات يصب في البطائح ، ثم يمر حتى يقع في خليج أيلة في بحر الهند (البحر الفارسي)<sup>(٥٤)</sup> . وهكذا يمكن الاستدلال على أن نهر الفرات كان طريقا حيويا من طرق المواصلات بين الشرق الأقصى وبلاد سلاجقة الروم .

أما أرزنجان فتقع غربي أرزن الروم ( بين سيواس وأرزن الروم ) في ضفة الفرات اليمنى حيث تجرى مياهه خلفها<sup>(٥٥)</sup> . والطريق التي بين أرزن الروم وأرزنجان كلها مروج ومراعي<sup>(٥٦)</sup> ، ويتوافر فيها معدن النحاس ، وهي ذات هواء طيب<sup>(٥٧)</sup> .

ويمر الفرات أيضا في عمل حلب من حد ملطية إلى أن يتجاوز الرقة - كما أوضحنا - وهو إذا انتهى إلى الشام ودخل في أرضها تصب فيه أنهار متعددة من أعمال حلب منها النهر الأزرق وهو دون الدرب على حد بلاد الروم من الشام<sup>(٥٨)</sup> ، وكان مدخلا لبلاد سلاجقة الروم استغله الكامل في الدخول لغزو سلاجقة الروم سنة

---

(\*) سميساط : من بلاد الشام ، وهي على الفرات وفي الغرب عن قلعة الروم وفي الشمال عن حصن منصور وماؤها من الفرات ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٢٦٧ .

٦٣٢هـ<sup>(٥٨)</sup> ، كما استخدم علاء الدين كيقباد نهر الفرات للعبور بزوارقه وجنوده إلى الضفة اليمنى لبسط نفوذه حتى أواسط امتداد نهر الفرات<sup>(٥٩)</sup> كما سيتضح لاحقاً ، مما يؤكد أهمية الفرات في المواصلات وتأثير ذلك على أمن دولة سلاجقة الروم السياسى والاقتصادى . كما يجب ألا نغفل حقيقة هامة وهى أن سلاجقة الروم كبقية الشعوب التركية - حتى وقتنا الحاضر - يعلقون أهمية كبرى على نوعية مياه الشرب التى يستعملونها . وكانت هذه المهمة معقدة وصعبة خاصة فى فترات الجفاف ، لصعوبة نقل الماء من الفرات والمشاكل المعقدة المتعلقة به . فعندما سقط عز الدين كيكافس الأول فى قيرشهر<sup>(٦٠)</sup> اضطر رئيس السقاة لجلب مياه الشرب من الفرات على الرغم من طول المسافة التى تبلغ حوالى ١٥٠ ميلاً<sup>(٦١)</sup> . مما يؤكد القول بأن نهر الفرات قد لعب دوراً هاماً لدى سلاجقة الروم من ناحية كونه أيضاً منبعاً مائياً لأفضل مياه صحية للشرب ، كغيره من أنهار آسيا الصغرى وينايبوعها<sup>(٦٢)</sup> التى انتشرت فى عصر السلاجقة انتشاراً ملحوظاً . لذلك كان من الطبيعى أن يولى السلطان كيقباد اهتماماً كبيراً للمحافظة على سلامة وأمن واستقرار المنطقة التى ينبع منها نهر الفرات ، وكذلك أمن المناطق التى يجرى خلالها ويخترقها لما لذلك من أهمية فى خدمة النواحي الاقتصادية والاستراتيجية لبلاده .

ولا بد أن نذكر هنا عاملاً آخر يعتبر من أهم العوامل التى وجهت كيقباد للاهتمام بتأمين الحدود الشرقية لبلاده . ألا وهو التهديد المغولى القادم من الشرق . إذ أن المغول بتماديهم فى الهجوم على دول الجوار مثل القبجاق والكرج كانوا قد أوقعوا الفرع والرعب فى البلاد السلجوقية والعراق والجزيرة وحتى فى بلاد الشام.

---

(\*) قير شهر : مدينة كبيرة ذات مباني جميلة تقع على بعد ثمانين ميلاً غرب قيصريّة وكانت ذات شأن .

وأخذت تلوح فى الأفق مخاطر الدمار الذى ألحقته هجمات المغول بالديار التى اجتاحتها<sup>(٦٢)</sup> .

لذلك ركز علاء الدين كيقباد اهتمامه صوب الشرق الذى يهدد دولته بخطر مرعب ، فأنشأ كأول تدبير أمنى أسوار وقلعة سيواس وقونية وذلك فى سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م<sup>(٦٣)</sup> .

ولقد أفلح علاء الدين كيقباد بتحسينه لسيواس وغيرها من المدن الشرقية لبلاده ، إذ حدث ما كان متوقعا من جهة الشرق . فقد مثلت سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٣م نقطة فاصلة فى تاريخ آسيا الصغرى ، أو بالأحرى فى تاريخ سلاجقة الروم ومستقبلهم ، حيث حدث أن تقدمت الفرق العسكرية المغولية برئاسة شرماغون نوبين<sup>(\*)</sup> نحو سيواس وقتل الكثير من البشر وأسر الكثير منهم أيضا ، كما قام بتخريب العديد من المناطق حتى وصولا إلى منطقة ( ابن راحت ) القريبة من سيواس . إلا أنهم بعد هذا الهجوم عادوا مسرعين . وقام السلطان علاء الدين كيقباد بعد علمه بحوادث التخريب والفوضى التى قام بها جحافل المغول باتخاذ مجموعة من الإجراءات الرامية إلى زيادة تحصين الحدود الشرقية لدولته مثل القيام ببناء وتحسين المزيد من القلاع لمواجهة هذا الهجوم المحتمل . وقد أدرك المغول مدى قوة هذا السلطان وشهرته مع الأيام وأرسلوا له مبعوثا من طرفهم هو السفير شمس الدين عمر القزوينى ، وأراد المغول بذلك أن يصدقوا على سلطنة علاء الدين بإرسال سفيرهم ، كما أراد ضمنا أن يدخلوه تحت تبعيتهم<sup>(٦٤)</sup> . وشمل كيقباد السفير ببالغ الرعاية وأحاطه بمظاهر التكريم وأخذ يعد الهدايا لإرساله للمغول، واستطاع علاء الدين كيقباد بهذا التصرف الحكيم أن يجنب بلاده خطورة بالغتها العهود التالية بعد وفاته .

---

(\*) نوبان ونوبين : هو اللقب الذى يعنى فى لغة المغول كبار الشخصيات وأقارب السلاطين والحكام .

انظر خليل أدهم : قيصرية شهرى ، ص ٥٧ .

وقد زادت هذه الحادثة من إصرار علاء الدين كيقباد الأول على الاهتمام بالمناطق الشرقية وتحصينها وإعمارها وحشد الجموع التركمانية المقاتلة فيها وكان هدفه تهيئة تلك المناطق اقتصاديا وعسكريا حتى تستطيع مقاومة الأخطار التي قد تتعرض إليها حتى لا تتأثر بالتألي طرق تجارة العبور الشرقية ويحفظ علاء الدين كيقباد الشريان الرئيسى لاقتصاد دولته من مخاطر الاضطراب وعدم الاستقرار .

### ملاحح السياسة الشرقية للسلطان علاء الدين كيقباد الأول :

كانت سياسة السلطان علاء الدين كيقباد الأول الشرقية تقوم على أساس تحقيق المصلحة العامة ، مما يعنى أنه طالما كانت تلك المناطق تنعم بالاستقرار السياسى الذى ستتبعس آثاره بطبيعة الحال على تحقيق الأمن الاقتصادى ، فإن كيقباد لم يكن يحرك ساكنا ، سواء كانت تلك المناطق تابعة للأيوبيين كحلب ، خلاط ، أو لبنى منكوجك<sup>(٦٠)</sup> كآرزنجان ، أو للأراقة كآمد ، أو لأبناء عمومته كآرزن الروم . أما عندما كانت تلوح فى الأفق بوادر النزاع والاضطراب السياسى الذى ستتبعس آثاره السلبية على أمن الطرق والمحطات التجارية مثل ما حدث من نزاع بين الأيوبيين ، والتجاء للخوارزمين ، فإنه كان يقوم بتسيير جيوشه فى سبيل إعادة الأمن والاستقرار للمنطقة . وبمقارنة ودراسة التحركات العسكرية لعلاء الدين كيقباد الأول نحو الشرق يتضح أنها كانت تمتاز عن تحركات بقية أسلافه من سلاجقة الروم فى أنها لم تتم فى سرعة أو تهور ، وإنما كانت تحركات متأنية ومدروسة فكان كيقباد الأول يختلف فى سياسته تلك عن أخيه كيكافوس الأول الذى اتسمت سياسته الشرقية بالتسرع وعدم الحكمة ، مما أدى إلى فشل حملته على حلب واضطراره إلى الفرار . ويعلق المؤرخ ابن الأثير على فراره قائلا : « وإنما فعل هذه لأنه صبى غر لا معرفة له بالحرب »<sup>(٦١)</sup> .

---

\* بنومنكوجوك : من التركمان الذين استقروا وكونوا إمارات خاصة بهم فى غربى الفرات حيث فتحوا أرزبجان وكماخ وديوركي وقره حصار .

وكشفت كذلك سياسة كيكافوس الأول تجاه الشرق عن عدم إدراكه للخطر الصليبي الذي كان يحيط بالدولة الأيوبية ، فهو لم يتعاون معها ، بل كان عامل تهديد للنفوذ الأيوبي في شمال الشام ، الأمر الذي شغل جزءا كبيرا من القوات الأيوبية للتصدي لخطر سلاجقة الروم . ولقد دفع سوء تصرفه ذاك بعض المؤرخين إلى إتهامه بالقسوة والظلم بل والخيانة أيضا فيقول عنه أبو شامة وابن تغري بردي : « إنه كان جبارا ، ظالما ، سفاكا للدماء » ولما عاد إلى بلده من كسرة الأشراف له بحلب أنهم خوفا من أمراء دولته بأنهم قصرُوا في قتال الحلبيين فسلق بعضهم في القدور ، وجعل آخرين في بيت فأحرقهم فأخذه الله بغتته فمات فجأة سكران ، وقيل ابتلى في بدنه فتقطع »<sup>(٦٦)</sup>. بل أتهمه أبو شامة بأنه « هو الذي أطمع الفرنج في دمياط »<sup>(٦٧)</sup> ، بينما أشاد معظم المؤرخين بشخصية علاء الدين كيقباد وامتدحوه ، قال سبط بن الجوزي : « كان عاقلا شجاعا مقداما جوادا ، وهو الذي كسر الخوارزمي وكسر الكامل واستولى على بلاد الشرق »<sup>(٦٨)</sup> .

وقال عنه ابن العبري : « كان السلطان علاء الدين كيقباد ممتازا بين ملوك زمانه بمنظره المخيف ونكاته المفرط وشخصه النقي المنزه عن كل الأهواء الرديئة خلافا لملوك العرب المعتادين الاتغماس فيها . وكان المجرمون يهابونه جدا إذ كان صارما في أحكامه وقد أخضع لسلطانه مدنا واصقاعا عديدة »<sup>(٦٩)</sup> . كما قال عنه ابن بيبى : « استطاع علاء الدين كيقباد ، بعون من الله تعالى أن يحول سلطنته إلى العلو والرقى حيث حقق الانتصارات الحربية وأنشأ القلاع العظيمة والأبراج العالية »<sup>(٧٠)</sup> .

وقال عنه الذهبي : « كان شجاعا ، مهيبا ، وقورا ، سعيدا ، هزم خوارزم شاه واستولى على عدة مدائن » و « كان فيه عدل وإنصاف في الجملة »<sup>(٧١)</sup> . كما قال القرماني : « كان ملكا مهابا وقورا يحب الغزو »<sup>(٧٢)</sup> . ويضيف أبو شامة وابن تغري بردي : « كان عادلا منصفاً مهيباً ما وقف له مظلوم إلا وكشف ظلامته »<sup>(٧٣)</sup> .

وقد كان لتلك الصفات العالية من العدل والأصناف والقوة والشجاعة والذكاء والبعد عن الأهواء وحب الغزو آثارها الواضحة على القرارات التي اتخذها والأعمال التي قام بها ، سواء كانت تلك الأعمال تتعلق بسياساته الخارجية أم الداخلية ، بما فيها قراراته تجاه النواحي الشرقية لبلاده .

#### ١ - سياسته نحو آمد<sup>(٧٥)</sup> :

لا تخفى أهمية آمد في كونها محطة تجارية بالغة الأهمية تقع على الطريق التجاري الموصل بين الشام وأرمينية وسلاجقة الروم<sup>(٧٤)</sup> . وكان أهلها يتاجرون مع جهات كثيرة شملت الشام والعراق والجزيرة والموصل وبلاد سلاجقة الروم وأرمينية وفارس ( أنريجان ) والجهات الشمالية المتطرفة القريبة من بلاد الخزر ، كما شملت مصر أيضا<sup>(٧٥)</sup> . كما كان لآمد أهمية اقتصادية كبرى ففيها تتوافر مناجم النحاس خاصة في أرغن Ergani شمال غرب آمد ، والتي كانت تعمل وتنتج في عهد السلاجقة<sup>(٧٦)</sup> . ولم يتدخل علاء الدين كيقيباد الأول في شئون آمد أو غيرها من الممالك الشرقية حتى سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م . فبعد أن اتسم فتح علائية سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م ، وتمكن من التخلص من أمرائه الطامعين في السيطرة والحكم في سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م ، وقام بتأديب الأرمن في قليقيه وغيرهم من الأمم المسيحية على السواحل ، بقي بقونية يصيف بها تاره وبقيسارية تارة أخرى ، ويشتى بانطالية وعلائية<sup>(٧٧)</sup> .

فلما كانت سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م أثارت الخلافات بين الأيوبيين ، وهجمات الخوارزميين والتركمان ، خوف كيقيباد الأول على أمن وسلامة النواحي الشرقية وخاصة آمد التي كانت تتمتع بأهمية اقتصادية كبيرة . إذ لا يخفى ما فعله الخوارزميون في نفس السنة ٦٢٣هـ عندما حاصروا خلاط وهي مفتاح البلاد

---

\* آمد : من مدن ديار بكر على غربي دجلة كثيرة الشجر والزرع ، أبو الفداء : تقويم

السلجوقية ، من سوء سيرة ونهبهم البلاد وما فيهم من الفساد مدوا أيديهم في النهب وسبى الحرير وقتلوا من أهل خلاط قتلى كثيرة ، وهو ما ينفي القول بأن الخوارزميين كانوا درعا يقى هجمات المغول لأنهم أضعفوا البلاد ونهبوها<sup>(٧٨)</sup> . وفي نفس سنة ٦٢٣هـ قام التركمان الأيوانية بقطع الطريق في الجهات الشرقية بالقرب من تبريز ، وأخذوا من تجار أهلها شيئا كثيرا<sup>(٧٩)</sup> . ثم حدث أن دب النزاع بين المعظم الأيوبي صاحب دمشق وبين أخيه الكامل صاحب مصر ، واستتجد المعظم خلال هذا النزاع بالخوارزمية ، بينما استتجد الكامل بفردريك الثاني (الصلبي) . وانضم إلى جانب المعظم والخوارزمية صاحب آمد الملك مسعود الأرتقي الذي كان يطيع الأشرف الأيوبي صاحب الجزيرة ، ثم أطاع جلال الدين خوارزمشاه ، واتفق معه على قتال الملك الأشرف الأيوبي الذي كان بينه وبين علاء الدين كيقباد مصادقة . فأرسل إليه الأشرف يحركه على بلاد صاحب آمد ، فوجدها علاء الدين كيقباد فرصة سانحة للتحرك وحماية أمن تلك المناطق .

وبدراسة التحركات العسكرية لعلاء الدين كيقباد تجاه آمد وديار بكر نجد أنها لم تتم في سرعة وتهور وإنما كانت سياسة مدروسة ومتأنية ومسببة . فلم يتسرع كيقباد بإرسال حملة عسكرية لتأديب صاحب آمد الأرتقي قبل أخذ موافقة الملك الكامل الأيوبي ملك مصر .

بل يبادر بإرسال سفارة إلى الكامل في مصر بهدية جليلة في نفس سنة ٦٢٣هـ<sup>(٨٠)</sup> حرصا منه على استمرار حسن العلاقات مع الأيوبيين والاتحاد معهم ضد الغزاة ، ثم سار علاء الدين كيقباد بنفسه إلى ملطية وسير الأمير ابن مبارز الدين جاوLY وأسد الدين كنداصطبل (إياس المجنون ) إلى بلاد صاحب آمد للاستيلاء على بعض قلاعها منها شمشكازاد<sup>(\*)</sup>

---

(\*) شمشكازاد : قلعة ومدينة في بلاد الجزيرة بين آمد وخلاط . ياقوت الحموي : معجم



والكختا<sup>(\*)</sup> ، وكان هذان الموقعان من المواقع الهامة لاحتوائهما على مناجم النحاس الذى يستخدم فى العديد من الصناعات الهامة ، فحاصروهما ، وتم استدعاء عمال المناجم قبل الاستيلاء عليهما<sup>(٨١)</sup> ، حفاظا على حياتهم . وتمكن الأمير مبارز الدين جاولى من الاستيلاء عليهما بالأمان بعد محاصرة شديدة<sup>(٨٢)</sup> . ويبدو أن استيلاء قوات علاء الدين كيقباد على هذين المصدرين المهمين لإنتاج خام النحاس كان سببا فى مسارعة الملك مسعود الارتقى إلى مراسلة الملك الأشرف الأيوبي ومصالحته للعمل على إقناع كيقباد بإعادتهما للرائقة . فأرسل الأشرف إلى السلطان كيقباد يطلب منه العودة وترك بلاد مسعود ، فغضب السلطان وقال لرسول الأشرف : « قل لصاحبك لم أكن نائبا للأشرف يأمرنى وينهىنى »<sup>(٨٣)</sup> . ولما عاد الرسول إلى الأشرف ، أنجد الملك الأشرف الملك مسعود بعشرة آلاف وحاول مواجهة جيش كيقباد ، لكن الهزيمة لحقت به وأسر مقدم جيشه ، وتابع جيش كيقباد تقدمه وفتح حصن منصور<sup>(\*)</sup> أيضا الذى كان على مقربة من الفرات<sup>(٨٤)</sup> ، مما اضطر الملك مسعود الارتقى أن يرسل رسولا إلى السلطان كيقباد معه هدايا جلييلة ، يطلب الصلح والصفح عما مضى ، ويلتزم أموالا يؤديها فى كل سنة ويخطب له فى جميع بلاده ، فأجابه كيقباد إلى طلبه وترك ما بقى من بلاده فى يده . وقال لرسول مسعود : « إذا كان قد وقع ضرر لكم من طرفنا ، فإن هذا المأخذ راجع إلى جهل وخطأ الملك مسعود . وطالما أنه قد جاء يقدم اعتذاره فنحن أيضا بطريق العفو والصفح ونتغاضى عن قصور وأخطائه »<sup>(٨٥)</sup> . وهذا يثبت أن السلطان علاء الدين كيقباد فى سياسته نحو الشرق ، لم يكن يطمع فى الاستيلاء وتوسيع نفوذه بقدر ما كان يهدف إلى إعادة الأمن والاستقرار والحيوية الاقتصادية للمنطقة وكان تحرك

---

(\*) قلعة الكختا : هى من بلاد الجزيرة ، وهى قلعة عالية البناء ولها بساتين ونهر وبينها وبين ملطية يومين . أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٢٦٣ .

(\*) حصن منصور : من ثغور الجزيرة هو وملطية ويحاذى الفرات حدة الجنوبى وينحدر النهر الأزرق إلى شمال غرب حصن منصور / كى لسترانج : بلدان الخلافة الشوقية ، ص ٢١٥٥ .



كيقباد نحو تلك الحصون يوحى بإدراكه لأهمية تلك الحصون من الناحية الاقتصادية فحصى كختا وشمشكازاد من المناطق الغنية بمناجم النحاس ، والنحاس من المواد الخام الهامة فى صناعة الأوانى النحاسية وسك العملة النحاسية لذلك رفض كيقباد تسليمهما عندما طلب الأشرف ذلك . أما حصن منصور فكان يقع شمالى النهر الأزرق وجنوبى الفرات بين ملطية وسميساط<sup>(٨٦)</sup> . فهو إذا محطة مهمة تصل بين ملطية وسميساط الواقعتين على نهر الفرات ، مما يجعله يلعب دورا فى الطريق التجارى بين ديار بكر والشام وسلطنة سلاجقة الروم ، وباستيلاء كيقباد عليها يكون قد حقق نوعا من الاستقرار للطريق التجارى الموصل إلى بلاد الشام عن طريق الفرات .

## ٢ - سياسته نحو أرزنجان :

سبق أن أوضحنا أن أرزنجان من المدن الاقتصادية الهامة على نهر الفرات وهى من المدن التى حرص كيقباد على استمرار أمنها واستقرارها ، واستطاع كيقباد بمساعدة الأشرف الأيوبى بسط نفوذه على الضفة اليمنى وحتى أواسط امتداد نهر الفرات مخترقا بذلك التحصينات التى أقامها دواد شاه ليصل إلى أرزنجان<sup>(٨٧)</sup> . وكانت أرزنجان بيد فخر الدين بهرامشاه من بنى منكوجك لمدة ستين سنة بذلوا الطاعة خلالها لسلطين الروم من السلجوقية وتقربوا إليهم بالمصاهرة . ولما مات فخر الدين ملك ابنه علاء الدين داود ، الذى كان عالما فى النجوم والحكمة والطب ، ولكنه كان غافلا فى تدبير الملك وجاهلا فيه<sup>(٨٨)</sup> . فقبض على كثير من أمراء دولته وصادر أموالهم وأملاكهم ، بل تمادى فى التشدد معهم حتى وصل به الأمر إلى حد إصدار أوامره بحبسهم أو بإعدامهم مما اضطر بعضهم إلى الهروب من وطنه خوفا من الموت ، واتجهوا إلى سلطان سلاجقة الروم كيقباد الأول وشكوا له سوء أفعال علاء الدين فأكرمهم السلطان ، وبعث سفيره إلى علاء الدين داود شاه يطلب إطلاق سراح بقية الأمراء وإعادة أموالهم وأملاكهم ، فتردد علاء الدين

داود فى البداية ولكنه ما لبث أن أطلق سراحهم بعد ما هدده سفير السلطان بلهجة جافة<sup>(٨٩)</sup> .

وقدم أولئك الأمراء على السلطان كيقباد فأكرمهم وأقطع كل واحد منهم إقطاعاً من الأراضى الزراعية المثمرة . ولما بلغ ذلك علاء الدين داود شاه أدرك خطورة الوضع بزيادة نفوذ أمرائه وتماديهم . فأسرع بالذهاب إلى السلطان ومعه مجموعة كبيرة من الهدايا القيمة فأكرمه السلطان وقرره على ملكه بارزنجان وسيره إليه ومعه الكثير من الهدايا والأموال<sup>(٩٠)</sup> .

لما وصل علاء الدين داود شاه إلى أرزنجان حرضه قرناء السوء على الاستتجاد بالملك الأشرف الأيوبى وجلال الدين خوارزمشاه وركن الدين جهانشاه صاحب أرزن الروم ، ضد السلطان السلجوقى كيقباد فلما بلغ ذلك إلى السلطان كيقباد غضب غضباً شديداً ، وأرسل سراً الأمراء والجنود إلى حدود قلعة كماغ وأرزنجان ، بينما سار هو بنفسه بجيش ضخم عن طريق سيواس إلى أرزنجان وتمت السيطرة على القلاع بسرعة حسب أوامر السلطان ، حتى لا يستطيع علاء الدين داود شاه اللجوء إليها والتحصن بها . ووضع كيقباد الجنود أمام أبواب القلاع لحراستها ولم يقدر علاء الدين داود شاه على مقابلته ولم ينجده من أولئك الملوك فأضطر إلى طلب العفو من السلطان ، فصنح عنه السلطان كيقباد وأقطعة إقطاعاً من الأرض فى منطقة آقشهر بالقرب من قونية يطلق عليها الآن اسم الغين Ilgin ، وأرسله هو وحاشيته ورجاله سوياً إلى آقشهر<sup>(٩١)</sup> . ودخل كيقباد أرزنجان وتمت تصفية الوضع فيها ، وسلم أمرها إلى ابنه غياث الدين كىخسرو الثانى ، وعين مبارز الدين أرطقش أتابكاً له<sup>(٩٢)</sup> .

وقد اتضح من خلال مجريات أحداث فتح أرزنجان أن السلطان علاء الدين كيقباد لم يكن يهدف من جراء توجهه إلى أرزنجان تحقيق أى نوع من أنواع التوسع العسكرى أو فرض القوة ، وإنما كان يهدف إلى إعادة الأمن والاستقرار

التي كانت تتعم به سابقا ، قبل تولى علاء الدين داود الذي أساء معاملته لكبار الأمراء وقتلهم ومصادرة أملاكهم مما أدى إلى انتشار الاضطراب . فلما تقدم علاء الدين داود شاه ملك ارزنجان بالاعتذار للسلطان كيقيباد الأول ، عفى عنه السلطان وأقره على بلاده . كما أن تسيير كيقيباد لجيوشه لم يكن نتيجة تهور أو تسرع أو وليد لحظة غضب ، وإنما كان تحركا مدروسا ومسببا فقد كان السبب عظيما والخطر ملوحا ، وذلك حينما استخف ملك ارزنجان بتعهده الذي عقده مع السلطان كيقيباد ، وحاول أن ينفذ تبعيته وينضم إلى الخوارزميين<sup>(٩٣)</sup> الذين عاثوا في البلاد التي دخلوها فسادا وتخريبا ، مما أضطر كيقيباد إلى التحرك عسكريا للقضاء على ذلك الخطر ، والحفاظ على أمن المنطقة وحيويتها .

### ٣ - أرزن الروم :

أدرك السلطان علاء الدين كيقيباد أهمية أرزن الروم الاستراتيجية والاقتصادية لسلاجقة الروم لذلك ظل ثابتا على نفس السياسة التي اتبعها تجاه مدن الشرق فلم يحاول التدخل في شئون أرزن الروم إلا عندما اتجه صاحبها لمساعدة جلال الدين خوارزمشاه للاستيلاء على خلاط والتي كانت للملك الأشرف ملك دمشق. وهنا لاح الخطر وكان يتوجب على كيقيباد سرعة التدخل عسكريا لإنقاذها، فخلاط هي مفتاح بلاد الروم<sup>(٩٤)</sup> . لكنه أدرك أنه لن يستطيع مواجهة جيش جلال الدين الخوارزمي وحيدا ، خاصة بعد وصول الأخبار إليه بما فعله ذلك الجيش بخلاط وتمكنه من الاستيلاء عليها في سنة ٦٢٧هـ<sup>(٩٥)</sup> . وكان لا بد له من أن ينسق مع الأيوبيين لإشراكهم معه في التعرض لهذا الخطر . فألح في طلب مساعدة الكامل الأيوبي وأخيه الأشرف، ويصور ابن الأثير حرص كيقيباد وشدة الحاحه بقوله : «وتابع علاء الدين الرسل بذلك خوفا من جلال الدين ، فأحضر الملك الكامل أخاه الأشرف من دمشق ، فحضر عنده ، ورسل علاء الدين إليهما

متابعة ، بحث الأشرف على المجئ إليه والاجتماع به ، حتى قيل أنه فى يوم واحد وصل إلى الكامل والأشرف من علاء الدين خمسة رسل «(٩٦) .

وقد أثبت كيقباد أنه كان حريصًا على المصلحة العامة ونشر الأمن فى جميع المناطق الشرقية سواء كانت تابعة له أم للأيوبيين الذين تداخلت حدودهم مع حدوده فى منطقة الجزيرة ، فعندما أحس كيقباد أن الخوارزميين يسببون اضطرابًا شاملاً فى اقتصاد منطقة الجزيرة بما يقتربونه من أعمال الفساد والتخريب للطرق التجارية سارع بالتحالف مع الأيوبيين ، وقدم عساكره ونفسه لإنقاذ البلاد ، موضحًا عدم وجود أى أطماع له فى المنطقة فبعد أن سقطت خلاط فى يد الخوارزميين أرسل كيقباد سفارتين أحدهما إلى الأشرف الأيوبي والأخرى إلى أخيه الكامل تضمنت السفارة الأولى التى أرسلها للأشرف قوله : « والآن فىلادى وأموالى بحكمك فتصل بالعساكر إلى قرشهر وتتجرد وحدك وتصل إلى عندى بقيسارية نتفرج ونحظى بخدمتك ونصل أنا وأنت إلى العسكر بالعساكر ، فوالله لا قنعت لك بخلاط بل بجميع البلاد »(٩٧) . وأرسل السفارة الثانية إلى الكامل الأيوبي يخبره فيها ، بأنه جهز خمسة وعشرين ألفا إلى ارزنجان وعشرة آلاف إلى ملطية وقال له : « وأنا حيث تأمر ، فطاب قلب السلطان بذلك ، فكان مهتمًا لأمر الخوارزمي »(٩٨) .

ويتضح من خلال ذلك حرص كيقباد على التحالف مع الأيوبيين فى وقت عصفت بالمسلمين القوى الغازية من صليبيين ومغول ، فى الوقت الذى انساحت فيه جماعات التركمان الخوارزمية يخربون وينهبون مدن الجزيرة الغنية الخصبة والتى تداخلت حدودها مع حدود سلاجقة الروم والأيوبيين .

وقد استطاع كيقباد بحكمته وحسن سياسته أن يحقق المصلحة العامة التى كان يرمى إليها فنجح فى أيامه الأولى فى إقامة علاقات ود مع السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي ، وأخذ السفراء يغدون ويروحون لتقوية تلك الصداقة ، إلا أن

هجوم الأخير على خلاط التي كانت تحت حكم الأشرف الأيوبي حليف كيقباد .  
وتكوين علاقة بين الخوارزمي وبين جهانشاه أمير أرزن الروم الذي ساعده في  
حصار خلاط قد أوجد الشكوك لدى كيقباد بخصوص سياسة جلال الدين ، فأرسل  
إليه أحد سفرائه وهو التون آبا وبصحبه العديد من الهدايا من أجل أن يصرف  
النظر عن احتلال خلاط ، إلا أنه لم يستجب لطلب كيقباد ودخلت جماعاته خلاط  
ونهبوها وخربوها وقتلوا الكثير من أهلها ، مما اضطر كيقباد والذي كان حريصا  
على أمن خلاط ، أن يتحد مع الأيوبيين لدرء الخطر الخوارزمي ، وتمكنوا من  
هزيمته في رمضان سنة ٦٢٧هـ / اغسطس ١٢٣٠م في مكان يعرف بياسي جمن  
( من أعمال أرزنجان )<sup>(٩٩)</sup> .

وبعد هزيمة جلال الدين الخوارزمي أسر صاحب أرزن الروم ، وأحضر  
عند ابن عمه علاء الدين كيقباد ، فأخذه وقصد أرزن الروم ، فسلمها صاحبها إليه  
هي وما يتبعها من القلاع والخزائن وغيرها . وكان حرص علاء الدين كيقباد على  
أمن أرزن الروم ، انطلاقا من حرصه على حماية الطريق التجاري لسلاجقة  
الروم ، فكانت أرزن الروم تحمي حدود سلاجقة الروم كما أنها كانت من المناطق  
الغنية بمراعيها ومواشيها التي تصدر إلى فارس عن طريق تبريز .

وقد فرض اضطراب أحوال التجارة على يد الخوارزميين الذين احتلوا خلاط  
وعاثوا فيها فسادا ، وكذلك إغارة التركمان الأيوانية على الطرق ، ضرورة تحرك  
كيقباد . فقد حدث أن انتهز التركمان الأيوانية فرصة انشغال الخوارزمية واخذوا  
ينهبون أنريجان ، ويقطعون الطريق ، وبلغ من طمعهم أنهم قطعوا الطريق  
بالقرب من تبريز ، وأخذوا من تجار أهلها شيئا كثيرا ، ومن جملة ذلك قطعان  
الماشية التي اشتراها تجار أرزن الروم وقصدوا بها تبريز ، فلقبهم الأيوانية قبل

وصولهم إلى تبريز ، فأخذوا جميع ما معهم ، ومن جملة عشرون ألف رأس من الغنم<sup>(١٠٠)</sup> . وهو عدد كبير يدل على كثرة قطعان الماشية التي كانت تصدر من أرزن الروم إلى تبريز ، ومدى اتساع تلك التجارة بين البلدين .

ولم يقتصر النجاح الذي حققته سياسة كيقباد على إلحاق الهزيمة بالخوارزميين وإخضاع أرزن الروم ، بل لقد حققت تلك السياسة نتائج بعيدة الأثر وعظيمة الفائدة ، وتمثلت في استمالة جماعات الخوارزميين الفارة بعد هزيمة جلال الدين ، من تتبع المغول . والعمل على توطيئهم وتثبيتهم في قائمة جنده ، واستخدامهم في استرداد بعض المناطق في أرمينية والاستيلاء على خلاط . ونجح بذلك في انتقاء خطرهم وشرهم ، وإبعادهم عن أملاكه ، والحد من انسياحهم داخل الأراضي السلجوقية .

كما اعتقد كيقباد أنه يمكنه تحقيق عملية رابحة لدعم الدفاع عن الأراضي الشاسعة التي يحلتها عن طريق توطيئ الخوارزميين فيها واستغلالهم في إعادة إحياء تلك الأراضي التي كانت قد خربت من جراء هجمات التتار والخوارزمية أنفسهم<sup>(١٠١)</sup> .

#### ٤ - خلاط :

خاف كيقباد على خلاط خاصة عندما بلغه تعرض المملكة الأرمنية لغارات المغول المتكررة وانتهاز بعض القوات الخوارزمية الفرصة لتقوم بالتخريب وأعمال النهب وقطع الطريق<sup>(١٠٢)</sup> . كما استشعر كيقباد من السلطان الكامل بعد استيلائه على أمد والتطلع إلى بلاده ، فبادر إلى فرض سيطرته عليها<sup>(١٠٣)</sup> . وانتهاز رجوع الكامل إلى مصر وانشغال الأشرف بملاحيقه<sup>(١٠٤)</sup> ، فأرسل الأمير كمال الدين كاميار الذي تمكن من الاستيلاء على خلاط سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م<sup>(١٠٥)</sup> ، كما

استولى على بعض القلاع المحيطة بها ، وشرع فى عمارتها بعد أن خربها الخوارزميون والتتار ، وأعاد إليها الأهالى الفلاحين الذين هربوا ، ووزع عليهم البذور والأسمدة والمواشى والغلال ، وأعفاهم من قسم من الضرائب كما أصلح قلاعها وحصونها ، ومصادر مياهها . وعاشت هذه النواحي حالة من الاستقرار والرفاهية وتوسعت الحركة التجارية ، فقام قسم من التركمان بالتوطن فى تلك النواحي<sup>(١٠٦)</sup> . ولما أقطعها لأحد أمراءه العقلاء الشجعان نوى الخبرة وهو سنان الدين قايماز أمره باستمالة الخوارزميين الذين يفدون إلى تلك البلاد . واستطاع قايماز استمالة أميرهم قيرخان واقنعه بطاعة السلطان والدخول فى خدمته فأكرمهم ورتب لهم جميع لوازمهم ، وأقطع ارزنجان لقيرخان وعاشوا فى نواحي أخلاط وارزنجان وانتظمت أحوالهم<sup>(١٠٧)</sup> . وحقق كيقباد بذلك هدفا من أهداف توجهه إلى الشرق ، ألا وهو توطين التركمان للحد من خطرهم والاستفادة منهم فى إحياء الأراضى الزراعية .

وحدث أن بدأت فى تلك الفترة المنافسة بين كيقباد والكامل الأيوبى حول منطقة الجزيرة خاصة بعد أن استولى الكامل على آمد وحصن كيفا واخضع حكام الجزيرة له سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م ، فأصبح للعاهلين حدود مشتركة أخذ يعمل كل واحد منهما على تعديلها لصالحه .

ويبدو أن الكامل فى اتجاهه نحو الجزيرة كان يهدف إلى السيطرة عليها وعلى بلاد الشام وانتزاعها من اقربائه الأيوبيين ويمنحهم بدلا عنها بلاد سلاجقة الروم التى كان يخطط للاستيلاء عليها<sup>(١٠٨)</sup> . فخرج مع أخيه الأشرف فى سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٤م نحو بلاد الروم ، وطلب خروج العزيز صاحب حلب لمؤازرتهم،

إلا أن كيقباد سارع بمراسلة العزيز<sup>(١٠٩)</sup> واقناعه بعدم الخروج بنفسه خوفاً على حلب من دخولها في خضم النزاع ، وهى من المدن التى حرص كيقباد على المحافظة على استمرار أمنها وسلامتها لدورها المهم فى تجارة المنطقة .

وعلى الرغم من نجاح الكامل فى عبور الفرات إلى بلاد سلاجقة الروم عن طريق خرتبرت « حصن زياد » إلا أنه فشل فى التوغل داخل البلاد بسبب وعورة المنطقة من جهة واستعداد جيش كيقباد من جهة أخرى ، مما أدى إلى ارتداد الجيش الأيوبي . واستخدم كيقباد الفرات أيضاً للعبور إلى الضفة الشرقية التى كانت تقوم عليها شحنة لحراستها<sup>(١١٠)</sup> ، فعبره هو وجنوده بالزوارق من ناحية ملطية ووصل إلى خرتبرت ( حصن زياد ) وكان يريد تأديب صاحبها الذى أرشد الكامل الأيوبي للدخول إلى بلاده عن طريق خرتبرت<sup>(١١١)</sup> فاحتل المدينة وطلب أهلها الأمان<sup>(١١٢)</sup> .

بل لقد حاول كيقباد الاستيلاء على الرها وحران سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م منتهزاً عودة الكامل إلى بلاده من غير طائل ، وتقاعد ملوك بنى أيوب عنه . وإنما اهتم كيقباد بهما لما تتمتعان به من أهمية اقتصادية حيث تقعان على أطراف القوات الشمالية حيث تلتقى طرق المواصلات التى تربط بلاد الشام بالجزيرة والعراق وآسيا الصغرى . لكن الكامل تمكن من استعادتهما سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م<sup>(١١٣)</sup> .

والذى يهمنا هو أن هذه المحاولات من قبل كيقباد تدل بوضوح على حرصه الشديد على منطقة الفرات وإدراكه لأهميته كطريق حيوى للمواصلات بين بلاده وبقية بلدان الجزيرة والشام .

كما استمر اهتمامه بأمن منطقة حلب حتى آخر أيام حياته ، فقام وكف غارات التركمان عن حلب فى سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م وأرسل إلى زعماء حلب



يتعهد بحماية الملك الصغير الناصر يوسف ويعرض عليهم مساعدته ونصره ومنع من يقصده أو يتعرض لبلاده بأذى أو فساد<sup>(١١٤)</sup> .

وعندما جمع قنغز ( أمير من أمراء التركمان ) جمعًا كثيرًا من التركمان بعد وفاة الملك العزيز صاحب حلب ، « وعاث في البلاد وأطراف حلب من ناحية قورس ، ونهب ضياعًا متعددة ، وكان يغار ويدخل إلى بلاد الروم ، فخرج إليه عسكر حلب فكسروهم ونهبهم فتخوف المقدمون بحلب أن يكون ذلك بأمر سلطان الروم ، فسيروا إليه رسولاً في معناه فأنكر ذلك وأمره برد ما أخذه من بلد حلب فرد بعضه ، وانكف عن العبث والفساد »<sup>(١١٥)</sup> .

وهكذا استطاع كيقباد بحسن سياسته التي اتبعتها في جذب وتوطين الجماعات التركمانية ، أن يحقق نوعًا من السيطرة عليهم وتسييرهم حسب أوامره ، فكف غاراتهم ، واستخدمهم في إحياء الأراضي الزراعية الخصبة التي سبق لهم أن خربوها مما عاد بالنفع على الحياة الزراعية ومنتجاتها التي انعشت الحياة الاقتصادية كما استطاع بإيثاره سياسة تحقيق المصلحة العامة ونشر الأمن والاستقرار في جميع المناطق ومحاولته تجنب سياسة الاستيلاء والتوسع العسكري أن يكسب ثقة وود حكام وملوك الشام والجزيرة ، فبادر الأشرف صاحب دمشق وأهالي حلب وكاتبوا السلطان صاحب الروم ليكون معهم عندما تتكروا للكامل ، وطلبوا مساعدته لمنعه من بلاد الشام ، وانضمت كلمة ملوك الشام على مخالفة الملك الكامل ، واخذوا يعتمدون على السلطان السلجوقي في مواقفهم ضد السلطان الكامل<sup>(١١٦)</sup> . ولو كان علاء الدين كيقباد يطمع في الاستيلاء على مدن الجزيرة والشام بغرض ضمها لبلاده كما فعل الكامل لما انتظمت كلمة ملوكها وإمرائها على الانضمام إليه والتحالف معه .

سياسة علاء الدين كيقباد الأمنية الداخلية وأثرها في إنعاش اقتصاد بلاده :

لم يقتصر اهتمام علاء الدين كيقباد في سبيل تحقيق الأمن الاقتصادي لدولته على الاهتمام بتأمين طرق التجارة الخارجية ، وإنما نراه يوجه اهتماماته أيضاً نحو تحقيق الأمن الداخلى لبلاده . فقد آمن كيقباد بوجوب اتباع سياسة أمنية داخلية تكفل تنمية مقدرات الدولة وثرواتها الداخلية . فأنشأ لحماية التجارة الداخلية سلسلة عظيمة من الخانات تقدم كل أنواع الخدمات المجانية للقوافل التجارية التى تمر عبر أراضي الدولة<sup>(١١٧)</sup> .

وبلغ من حرص كيقباد على أمن تلك الخانات ، وسلامة القوافل التى تأوى إليها ، أنه لم يقتصر على حراسة تلك القوافل عن طريق جعلها فى خفارة قوات مسلحة ، أو إيجاد نقاط للأمن على طول تلك الطرق ، ولكننا نجده يحرص على بناء تلك الخانات بطريقة تجعلها شبيهة بالقلع ومزودة بكل وسائل الدفاع أثناء لإنقضاضات التركمان البدو المفاجئة<sup>(١١٨)</sup> .

ومن أهم الخانات التى انشئت فى عهد كيقباد الأول خان السلطان الذى كان من أعظم الخانات شهرة وأكثرها روعة وهو يقع على طريق قونية آق سراى بمدخله الفخم وزخارفه الجميلة ، وخدماته التجارية والاجتماعية والثقافية . وهناك أيضاً خان ارطقوش وقادن وسعد الدين وكلها أنشئت فى عهد كيقباد ولتفسي الأغراض<sup>(١١٩)</sup> .

استثمار أموال الأمراء فى إنشاء الأسوار وتحصين المدن :

لما اعتلى علاء الدين كيقباد العرش ، كان المغول يجتاحون آسيا الصغرى ، فقام بإجراء الاحتياطات الأمنية الداخلية اللازمة لمواجهة هذا الخطر القادم من الشرق . وأصدر أوامره على الفور لامرأته بإنشاء قلاع وأسوار المدن الشرقية

وسيواس وقيسارية وارزنجان . وكان علاء الدين كيقباد يهدف من بناء الأسوار والقلاع وتحصين المدن إلى تحقيق هدفين مهمين :

أولهما : حفظ الأمن والاستقرار لتلك المدن بما يكفل سلامة أرواح الناس وحفظ أموالهم من الاعتداءات الخارجية كالغزو المغولي القادم من الشوق ، أو من الغارات وأعمال النهب والسلب التي كان يقوم به التركمان بين الحين والآخر .

وثانيهما : استحداث سياسة جديدة تهدف إلى الحد من نفوذ أمراء دولته الأغنياء المبذرين المتسلطين ، الذين كانوا يهددون اقتصاد الدولة بتبذيرهم الأموال في إقامة الحفلات وإنفاق الأموال في قنوات لا ترجع بالفائدة على الدولة ، فضلاً عن أن هذه الثروات قد جعلت للأمراء مكافئة ربما زادت أحياناً على مكانة السلطان كما شجعتهم على المعارضة ومحاولة فرض إرادتهم وسيطرتهم على الأمور .

ولما تولى علاء الدين كيقباد الحكم وجد أمراء أقوياء يتمتعون بنفوذ سياسى واقتصادى واضح ، وقد تجمعت لدى الأمراء الكبار أمثال الأمير سيف الدين أيبك والأمير مبارز الدين بهرامشاه أمير المجلس ، والأمير زين الدين بشاره ، والأمير بهاء الدين قوطلوغا ، عدة عوامل شجعتهم على الخروج عن طاعة السلطان ، والسير نحو طريق السيطرة والتحكم في أمور السلطنة ، وكان من ضمن تلك العوامل طول المدة التي عاشوها في خدمة الدولة ، وتضخم ثرواتهم المالية ، ووجود دعم وتأييد وتعاطف من أفراد الشعب نتيجة كرمهم واغداقهم عليهم . ووصل الأمر إلى أنه في الوقت الذي كان يصرف في مطبخ السلطان عدد ثلاثين رأساً من الماشية لعموم السرايا والشعب والعبيد ، كان الأمير سيف الدين أيبك الجاشنكير يذبح كل يوم عدد ثمانين من الماشية في مقر إقامته (١٢٠) .

وقد أدرك كيقباد بثاقب نظره خطورة الوضع وخاف من استفحاله ، فقرر أن يستفيد من أموال أولئك الأمراء ويستثمرها بما يعود على الدولة بالخير والرفاهية ، وتحقيق الاكتفاء الذاتى فأصدر فور توليه العرش الأوامر إلى مائة وأربعين من أمرائه ببناء مائة وأربعين برجاً فوق سور العاصمة قونية ، وبهذا الشكل أصبحت قونية كاملة التحصين فى سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م<sup>(١٢١)</sup> . كما أنفقوا جزءاً كبيراً من أموالهم على إنشاء المنازل والقصور فى قونية<sup>(١٢٢)</sup> .

كذلك أمر السلطان كيقباد الأمراء بأن يبنوا فى علائقة على ساحل البحر المتوسط أبراجاً على غرار قلاع قونية فبنوها وساهموا كذلك فى بناء ترسانة ميناء علائقة وتحصيناتها المتعددة . كما بنوا فيها العديد من المنازل والقصور<sup>(١٢٣)</sup> .

حاول كيقباد أن يقدم على فكرة السيطرة والحكم المطلق للدولة ، بعد إتمام فتح علائقة وكان الهدف من وراء ذلك الحد من نفوذ أمرائه وكبار رجال دولته ، فكانت له إرادة لا تتزعزع فى إبقاء الأمراء على ولائهم له . وحدث أن أشار عليهم بتعمير أسوار سيواس بنفس طريقتهم فى إنشاء أسوار المدن الأخرى ، ليستنفذ بذلك ما بقى من أموالهم ، لكن يبدو أن الأمراء لم يستطيعوا تحمل ذلك ، وقاموا بتدبير مؤامرة ضد السلطان . ووشى أحدهم إلى السلطان بذلك الخطر ، فما كان من السلطان إلا أن أمر بقتل المتآمرين جميعهم . وقد تم ذلك فى قيسارية فى يوم الاثنين ٤ جماد الأول ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م . كما عزل بقيتهم وعين مماليكه فى مناصبهم ، « فساد الأمن والرفاهية فى البلاد فى عهده وانعدم الظلم ، فلم يبق أى شخص يظلم الضعفاء أو الفقراء »<sup>(١٢٤)</sup> .

ومما يؤكد حرص السلطان على عدم ضياع أموال أولئك الأمراء ومحاولة الاستفادة منها لتنمية الأحوال الاقتصادية لبلاده ما قاله ابن بيبى : « أنه على أثر التخلص من الأمراء أرسل النواب إلى منازلهم حيث قاموا بمصادرة كل أموالهم

و ثرواتهم ، ثم وضع الشمع والأختام عليها ، وخصصوا لها حراسة لأجل الحفاظ عليها «(١٢٥) . ويتابع ابن يبيى : « وبعد إعفاء علاء الدين كيقياد عن أقارب وأهالى الأمراء امتلأت خزائن الدولة بالنقود والمجوهرات الثمينة وفتحت المدن والقللاع الواقعة على الحدود وأطراف الدولة »(١٢٦) .

واستمرت سياسة كيقياد فى الاستفادفة من أموال بقفة الأمراء فى عملفات الأعمار والإنشاء فى البلاد المفتوحة أفضا ، من ذلك إرساله الأمراء إلى خللاط للمساهمة فى إعادة أعمارها بعد أن خربها الخوارزميون ، وقام بتوجيه الأمراء لتأمين مادة الجبس نظرا لحاجة المنطقة لها فى إصلاح وترميم القلاع التى تعرضت للتخريب فقام الأمراء بتأمين الجبس من مناطق « عادل جواز » ، وأقام كل أمير على نفقته الخاصة فرنا كبيرا لبدء العمل . وتم بناء ألف فرن خلال عدة أيام وقامت الجمال والحمير بنقل الجبس إلى الأماكن التى تحتاج للإصلاح ، وتمت عملية الأعمار بنجاح كبير . ووزع الأمراء الأراضى الزراعية ، والبذور والمواشى على الأهالى ، واعفوا المزارعين من الضرائب ، مما كان له أثره فى عودة الكثير من أهالى البلاد المهجرين إلى بلادهم . ولم تمض فترة قصيرة حتى نال الجميع مرادهم من الأمن والهدوء وإعمار البلاد ، وتشجعت بقفة القلاع المحيطة بخللاط على الدخول فى معية السلطان كيقياد(١٢٧) .

وهكذا استطاع كيقياد بانتهاجه لتلك السياسة المستتيرة الذكية والصارمة أن يبعد بلاده عن خضم الأزمات السياسية ، فالبلاد فى حالة نهوض اقتصادى ولا تحتمل وجود أزمات داخلية ، وإنما هى بحاجة لهدوء سياسى لتحقيق ما كان يصبو إليه من تقدم اقتصادى وعمرانى .

وكان أن نجحت سياسته فى اجتذاب أموال الأمراء واستثمارها فى تنمية الدخل القومى للدولة والاستفادفة منها فى تحصين المدن ، وتعبئة الجيوش ، وإنشاء

القلاع والترسانات على الحدود الساحلية والداخلية ، وإعادة أعمار البلاد وإقامة المنشآت الفخمة من مساجد ومدارس ونزل وغيرها .

وإذا كان المؤرخ ابن العبري ينتقد سياسة كيقباد مع أمرائه ويصفه بالقسوة والشدة في معاملة أمرائه<sup>(١٢٨)</sup> ، إلا أنه ما يلبث أن يستحسن سياسته تلك بقوله : « وكانت الدولة السلجوقية قبله محلولة بسبب الخلف الواقع بين أولاد قلع أرسلان فلما وليها علاء الدين أعاد جدتها وجدد ناموسها وألقى الله هيئته في قلوب الخلق فأطاعوه واتسع ملكه جدًا »<sup>(١٢٩)</sup> ، كما قال : « وكان المجرمون يهابونه جدًا ، إذ كان صارمًا في أحكامه وقد أخضع لسلطانه مدناً واصقاعًا عديدة »<sup>(١٣٠)</sup> .

ويعلق المؤرخ عثمان توران على سياسة كيقباد نحو أمرائه بقوله : « ونتيجة للصراع الذي دام بين كيقباد والأمراء بشأن النفوذ والسيطرة ، فقد كان أمرًا معلومًا أن يقوم أحد الأطراف بأبعاد الطرف الآخر .. وقد فاز وكسب الجولة السلطان الشاب صاحب الذكاء والقدرة والإرادة .. ولم تتعرض الدولة للضعف خلال هذا الصراع ، بل كانت هذه الفترة من الفترات الزاهرة في إدارة الدولة »<sup>(١٣١)</sup> .

وهذا يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك نجاح السياسة الأمنية التي اتبعها كيقباد لتحقيق الأمن والاستقرار الداخلي لبلاده ، مما ساعده على تحقيق حلمه في جعل بلاده من أعظم الدول المتقدمة اقتصاديًا في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .

\* \* \*

وبعد ، فإنه يتضح من خلال البحث أن السلطان علاء الدين كيقباد الأول أدرك منذ بداية توليه عرش سلاجقة الروم أن الاستقرار الاقتصادي هو أهم عامل في بقاء دولته ، وظل تحقيق الأمن الاقتصادي لبلاده هاجسه طوال فترة حكمه . لذلك اتبع سياسة أمنية خارجية وداخلية ارتكزت على عدة أسس وخطوات صائبة

أتت ثمارها فى تحقيق التقدم الاقتصادى الذى شهدته دولته فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى .

وكان تأمين تجارة العبور التى اعتبرت عصب الاقتصاد السلجوقى أهم الأهداف التى حققتها تلك السياسة وقد اتبع كيقباد فى سبيل تنفيذها الخطوات التالية:

١ - حماية المنافذ البحرية لسواحل بلاده الشمالية والجنوبية باعتبارها مراكز مهمة خدمت تجارة السلاحقة وذلك عن طريق إرسال حملات عسكرية لاستحداث موانئ وترسانات جديدة لحماية الساحل الجنوبى ( علائبة ) والساحل الشمالى (حملة صغداق) ولتأديب المعتدين من القراصنة والدول التى تأويهم .

٢ - عقد اتفاقيات تجارية مع تجار دول البحر المتوسط المشتغلين بتجارة العبور تضمنت فقرة تتعلق بتأمين أولئك التجار فى البر والبحر ، وتعويضهم أموالهم التى فقدوها بإجبار المعتدين على دفعها أو مضاعفتها، بل ودفعها من خزينة الدولة بما يشبه نظام التأمين أو الضمان الحكومى فى الوقت الحاضر .

٣ - توفير الأمن للمناطق الشرقية التى تعتبر الشريان الرئيسى لتجارة العبور والتى تربط بين شرق العالم الإسلامى وغربه ، وذلك بإتباع سياسة تحقيق المصلحة العامة .

٤ - المحافظة على الأهمية الاقتصادية لنهر الفرات لكونه منبعاً مائياً وطريقاً حيوياً، وذلك بحماية المدن والمحطات الواقعة عليه أو بالقرب منه ، سواء فى آسيا الصغرى ، أو فى الجزيرة ، أو فى شمال الشام ، ما دامت تلك المدن تلعب دوراً فى تجارة العبور . فكانت خطوة أمنية هامة حفظت التوازن الاقتصادى فى المنطقة من التخلخل والاضطراب .

٥ - إنشاء النزل الآمنة على طول طرق القوافل التجارية الداخلية بقصد حماية التجار وبضائعهم ، وتنشيط حركة العبور .

ولم يكن إنشاء النزل الخطوة الوحيدة التي اتخذها كيقياد لتحقيق الأمن للطرق الداخلية إذ أدرك كيقياد أهمية المحافظة على الأمن الداخلي لبلاده كخطوة هامة لتحقيق الازدهار الاقتصادي لبلاده ، فرأى أهمية القضاء على أية بوارير أو محاولات قد تصدر بغرض المعارضة الداخلية من قبل أمرائه الأقوياء والذين شجعتهم ثرواتهم الضخمة على التآمر ضد السلطان ، مما شكل خطراً كبيراً على الاستقرار الداخلي للدولة . فوجه بضرورة استثمار أموال كبار رجال الدولة لمساعدة حكومته في بناء الجيش والترسانات ، وبناء الأسوار وتحصين المدن ، وغيرها من المنشآت الهامة ، والمساعدة في استصلاح الأراضي الزراعية .

وهكذا تمكن كيقياد أن يتخذ خطوات أمنية اقتصادية بالغة الأهمية تدل على عقلية مستتيرة ، وكأني به رجل من رجالات السياسة والاقتصاد في الوقت الحاضر ، فأدرك أهمية توجيه القطاع الخاص في تنمية موارد الدولة والنهوض باقتصادياتها بل وسد العجز في ميزانياتها .

كذلك ظهرت حنكة كيقياد السياسية في التعامل مع قضية جوهرية وهامة ، ألا وهي قضية توطير التركمان التي أثبتت الأحداث خطورتها على سياسة سلاجقة الروم . ونجح في احتوائهم بقصد الحد من خطر اندفاعهم وانسياحهم داخل الأراضي السلجوقية . وذلك بالعمل على توطيرهم والاستفادة منهم في إعمار الأراضي الزراعية خاصة على الحدود الشرقية المشهورة بخصوبتها وكان كيقياد قد استشف ما سيحدث على يد أولئك التركمان من تغيير لخريطة آسيا الصغرى على يد أبناء العشائر التركمانية الذين كونوا الإمارات العشر في القرن التالي (القرن الرابع عشر الميلادي) .

هذا بالإضافة إلى حرص كيقياد على تأمين مصادر الجزية والاهتمام بتحصيلها وتأييب من رفض تأديتها لكونها مصدراً هاماً من مصادر دخل الدولة السلجوقية .



## الهوامش

(١) عثمان توران : الأناضول في عهد السلاجقة والإمارات التركمانية ، ترجمة د. على محمد الغامدي ، ص ٢١.

(٢) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١٨٦ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٠.

(٣) إمارة نيقية البيزنطية إحدى الممالك البيزنطية التي قامت في آسيا الصغرى بعد سقوط القسطنطينية في يد اللاتين كما قامت إمارة بيزنطية في طرابيزون وأخرى في ابيروس .

(٤) عن سقوط القسطنطينية في يد اللاتين سنة ١٢٠٤م ، انظر فلهار دوين - فتح القسطنطينية ، ترجمة حسن حبشى .

(5) C. Cahen: Pre ottoman Turkey; p. 275.

(6) Herbet Jansky: Selcuklu sultanlarinadan Birinci Alaeddin Kekubadin Emniyet politikasi p.119.

(٧) انظر للباحثة ( الفتح الإسلامى لحصن كالونوروس وتحويله لميناء علانية الإسلامى ) بحث منشور في مجلة المؤرخ المصرى العدد ٢١ ، يناير ١٩٩٩م .

(8) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri Ve Anadoluda Islamiyt in yayilisi, Istanbul, p.171.

(٩) ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ص ٣١٠ .  
Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri, p.171.

(10) Islam Tarihi Kultur Ve Medeniyeti, Vol. 1, p. 17, Istanbul, 1988.

(١١) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ أ .

(١٢) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١١٩ .

(١٣) المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ أ .

- (١٤) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١١٩ .
- (١٥) المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب ، انظر المزيد عن فتح سغداق : ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١٢٠ - ١٢٨ .
- (١٦) المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .
- (17) Islam Ansiclopedies, cilt 6, Meb, Istanbul, 1977, p. 649.
- (١٨) ابن بيبى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .
- (18) Islam Ansiclopedies, cilt 6, p. 649. Meb, Istanbul, 1977.
- (٢٠) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢٣٩ .
- (٢١) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ . المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب ، وينكر المولوى أن كومننوس موزد الرومى كان حما السلطان غياث الدين كيخسرو .
- (٢٢) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١٣٠ .
- (٢٣) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١٣٠ .
- المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .
- (٢٤) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١٣٠ .
- (٢٥) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١٣١ .
- (٢٦) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١٣١ .
- المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .
- (27) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri., P. 171.
- (٢٨) تمارا رايى : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص ١٢٠ .
- (٢٩) محمد فؤاد كوبريلى : قيام الدولة العثمانية ، ص ٩١ ، ٩٢ .
- (٣٠) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١٦٤ .
- (٣١) كلود كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة أحمد الشيخ ، ط ١ ، ص ٢٣٣ ، سينا للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .

(31) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri., P. 171.

(٣٣) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ص ٣٠٥ ،  
٣٠٦.

(32) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri, p.171.

(٣٥) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أناضول .

(٣٦) محمد فؤاد كوبرلى : قيام الدولة العثمانية ، ص ٩٤ ، ١٥٢ .

(37) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri, p.171.

(٣٨) كامل الغزى : تاريخ حلب ، جـ ١ ، ص ١٤٥ .

(39) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri, p.171.

(٤٠) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ص ٣٠٦

(٤١) C. Cahen: Pre ottoman Turkey; p. 161.

(٤٢) تمارا رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص ١٢٧ .

(٤٣) تمارا رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص ١٢٨ .

(٤٤) ابن سعيد : كتاب الجغرافية ، ص ١٧١

(٤٥) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أناضول .

(٤٦) نيكيتا ايليسيف : الشرق الإسلامى فى العصر الوسيط ، ترجمة منصور أبو الحسن

، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ٤٨٦

(٤٧) تجمعت أكثر تلك العشائر التركمانية بصورة رئيسية فى منطقة الحدود بين سلطنة

سلاجقة الروم وجيرانها فى شرق وجنوبى شرقى آسيا الصغرى حيث وجدوا تلك

المنطقة مناسبة لمعيشتهم الرعوية . Claud Cahen: Op. Cit. P. 145.

(٤٨) بابا إسحاق : هو شيخ حركة البابائية الشهير وهو تركمانى الأصل ، أعلن بالاتفاق

مع مريديه راية العصيان على غياث الدين كيخسرو الثانى ( ٦٣٤ - ٦٤٤هـ /

١٢٣٦ - ١٢٤١م ) سلطان سلاجقة الروم فى عام ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م ، انضم إليه

الكثير من التركمان الذين كانوا يقطنون مناطق الحدود في دولة سلاجقة الروم انظر عن حركة البابائية ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ٢٢٧ - ٢٣١ .

(٤٩) لم يغفل الجغرافيون والمؤرخون الحديث عن أهمية نهر الفرات فعن فضل الفرات وصحة مياهه يقول ابن العديم : ( كل ماء في نهر فطير إلا ماء فرات فإنه حمير لكثرة اختلاط الأهوية به وتكسير المهدزاسات له وهذه المهدزاسات عملت لتكسير حدة المياه ، قلت وإلى زمننا هذا نختار ماء الفرات للخلفاء على ماء دجلة ) . ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ، م ١ ، مخطوط مطبوع بالتصوير ، ص ٣٦٩ . وروى أن أربعة أنهار من الجنة : النيل والفرات وسيحان وجيحان . وروى عن علي رضي الله عنه ، أنه قال : ( يا أهل الكوفة ، إن نهركم هذا يصب إليه ميزابان من الجنة ) وروى عن جعفر بن محمد الصادق أنه شرب من الفرات فحمد الله وقال : ما أعظم بركته ، لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافتيه القباب ولولا ما يدخله من الخطائين ما اغتمس فيه ذو حاجة إلا براً ) . القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٤٢١ ( دار صادر : بيروت ) . وعن أهمية نهر الفرات كطريق حيوى ومهم لنقل البضائع بين شرق العالم الإسلامى وغربه يقول الدمشقى : « يسمى الفرات أحد الرافدين يعنون دجلة معه وسميا بذلك لأنهما تجريان في جانبى بغداد . دجلة من الشرق والفرات من الغرب . فتأتى المراكب إلى بغداد في دجلة من الصين فما بعده ومن اليمامة فما بعدها ومن الهند والزنج وما بعدها . وتأتى الأكلاك أيضا إلى بغداد في الفرات من أرمينية وأذربيجان فما بعده ومن الروم والشام ومن المغرب ومصر وما بعدها . انظر نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ٩٣ .

(٥٠) ابن سعيد المغربى : كتاب الجغرافية ، ص ١٨٧ .

(٥١) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٣٨٥ .

(٥٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٧٤ . ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ

حلب ، م ١ ، ص ٦٣٤ . القزويني : آثار البلاد ، ص ٤٩٤ .

(٥٣) المسعودى : التنبية والأشراف ، ص ٥٢ - ابن العديم : بغية الطلب ، م ١ ، ص ٦٣٥ - الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٥٤) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١٣١ ،

Hamd Allah Mustawfi; Nuzhat AL-Qulub geographical part,  
London, 1915, p. 90.

(٥٥) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٣٨٥ .

(٥٦) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٠ .

(٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ - المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ص ٢٠ .

(٥٨) انظر ص ٢٧ من البحث .

(٥٩) ابن العبرى : تاريخ الزمان ، ص ٢٨١ ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٤ .

(٦٠) ثمارا رايى : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص ١٠٩ .

(٦١) يصف القزوينى بلاد الروم « بلاد واسعة من أنزه النواحي وأخصبها وأكثرها خيرا وعجائب ذكرت فى مواضعها .. مياهها من أعذب المياه وأخفها ، وهوؤها أصح الأهوية وأطيبها » آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٣٠ .

وتوضح ثمارا رايى ، ص ١٢ أنه كان لاهتمام السلاجقة بمياه الشرب والأمور الطبية أثر كبير فى الاستفادة من ينابيع المياه وأنه كان للسلاجقة حمامات فى منطقة قير شهر مما يدل على وجود ينابيع بها . لكن يبدو أن الجفاف عندما يصيب هذه الينابيع يضطر السقاة لجلب المياه من الفرات الذى يمثل منبعها دائما لسلاجقة الروم .

(٦٢) خليل أدهم : قيصرية شهرى ، ص ٥٧ .

(63) Herbet Jansky: Selcuklu sultanlarinadan Birinci Alaeddin Keykubadin Emniyet politikasi p.120.

(٦٤) خليل أدهم : قيصرية شهرى ، ص ٦٠ .

- (٦٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٣٤٩ .
- (٦٦) أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ط ٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤م / ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جـ ٦ ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، دار الثقافة ، القاهرة .
- (٦٧) أبو شامة : تراجم رجال القرنين ، ص ٢٩٨ .
- (٦٨) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، القسم الثاني ، جـ ٨ ، ص ٧٠٣ ، ط ١ ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م / ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٠ .
- (٦٩) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٨٣ .
- (٧٠) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ٣١ .
- (٧١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٣ ، ص ٢٤ ، ط ٨ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .
- (٧٢) القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ص ٢٩٤ .
- (٧٣) أبو شامة : تراجم رجال القرنين ، ص ٢٨٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جـ ٤ ، ص ٢٨٧ .
- (74) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri Ve Anaddua, p.172.
- (٧٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ١٠١ / ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جـ ١٠ ، ص ٤٤ / ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، جـ ٢ ، ص ٣٧٩
- (٧٦) C. Cahen: Pre ottoman Turkey; p. 16.
- (٧٧) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨ ب .
- (٧٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٤٦٠ .
- (٧٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٤٦٢ .

(٨٠) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، ق١ ، ص٢٢١ ، ط٢ ، تصحيح محمد مصطفى زيادة .

(٨١) ابن الأثير : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٦٠ .

(٨٢) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .

(٨٣) ابن الأثير : الكامل ، ج١٢ ، ص١٩٠ - ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٥ ، ص٣٥٨ .

(٨٤) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص١٥٥ .

(٨٥) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص١٢٣ / المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨ ب .

(٨٦) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٢٦٩ .

(87) The Encyclopaedia of Islam, vol. IV, p. 817.

(٨٨) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص١٤٣ / المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٩٧ ب .

(٨٩) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص١٤٣ .

(٩٠) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص١٤٤ .

(٩١) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص١٥٠ .

(٩٢) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص١٥٠ .

(٩٣) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص١٤٨ .

(94) The Encyclopaedia of Islam, vol. IV, p. 817.

(٩٥) يصف ابن الأثير تملك الخوارزميين لخلاط وما فعلوه بقوله : « وخرَّبوا خلَّاط ، وأكثروا القتل فيها ومن سلم هرب فى البلاد ، وسبوا الحريم ، واسترقوا الأولاد ، وباعوا الجميع » ابن الأثير : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٦٠ .

(٩٦) ابن الأثير : الكامل ، ج١٢ ، ص٤٩١ .

(٩٧) ابن نظيف : التاريخ المنصورى ، ص٢٠٣ ، ٢٠٤ .

- (٩٨) المقرئزى : السلوك ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ .  
(٩٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٤٩١ - ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص ١٤٩ .

Osman Turan: Selcuk Devri Vakfiyeleri, Altun Aba, Belleten, XL, Ankara, 1947, p.198.

- (١٠٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٤٦٢ .  
(١٠١) نيكيتا ايليسيف : الشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ، ص ٤٨٨ .  
(١٠٢) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .  
(١٠٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٧٧ .  
(١٠٤) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .  
(١٠٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٧٨ . ويذكره المقرئزى سنة ٦٣١هـ ، السلوك : جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

(106) Islam Ansiklopedesi, 6 cilt, Meb, Istanbul, 1977.

- (١٠٧) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨١ أ .  
(١٠٨) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ص ٣٢٤ .  
(١٠٩) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٧٦ .  
(١١٠) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٥٤ .  
(١١١) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٧٨ ، ٨٠ .  
(١١٢) ابن العبرى : تاريخ الزمان ، ص ٢٨١ .  
(١١٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٢٢٠ / سيط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٦٩٤ . كانت حران تقع فى وسط المنعطف الكبير بالجانب الغربى لنهر الفرات ، وهى محطة كبرى على الطريق المؤدى من الموصل إلى حلب ، وكان لها دور تجارى بالنظر إلى عدد التجار الحرانيين الذين كانوا يوجدون فى



بغداد وسوريا ، بل وحتى في عدن والصين . كلود كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ص ٢٤٩ .

(١١٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ١٣١ .

(١١٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ١٣٠ .

(١١٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ١٣٠ .

(117) S. Vryonis: The decline of medieval hellenism in Asia minor and the process of Islamization from the eleventh through the fifteenth century, p. 221-222 – Islam Ansiklöp, idisi 6 cilt, Meb, p. 659. Istanbul, 1977.

للمزيد عن الخانات التي أنشئت في آسيا الصغرى في عهد سلاجقة الروم وما تقدمه من خدمات انظر :

Osman Turan, Selcuk kervan Saraylari, Belleten 37, Aukara, 1946.

(١١٨) محمد فؤاد كوبرلي : قيام الدولة العثمانية ، ص ٨٧ .

(١١٩) للمزيد عن أوصاف وخدمات هذه الخانات انظر أوقطاي أصلان آبا : فنون الترك

وعمايرهم ، ترجمة أحمد عيسى ( اسطنبول ، مركز الأبحاث والتاريخ والفنون

والثقافة الإسلامية ، ١٩٨٧م ) . نورة بادياب : قونية عاصمة سلطنة سلاجقة

الروم ، رسالة دكتوراه ، لم تنشر ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ،

١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

(١٢٠) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١١٢ .

(121) Anonim: p. 29. / Osman Turan, Selcuklular Zamaninda Turkiyes p.339.

(122) Anonim: p. 29.

(123) Anonim: p. 29.

(124) Anonim: p. 30.

- (١٢٥) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١١٣ .
- (١٢٦) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١١٧ .
- (١٢٧) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامه ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .
- (١٢٨) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٠ .
- (١٢٩) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٠ .
- (١٣٠) ابن العبرى : تاريخ الزمان ، ص ٢٨٣ .

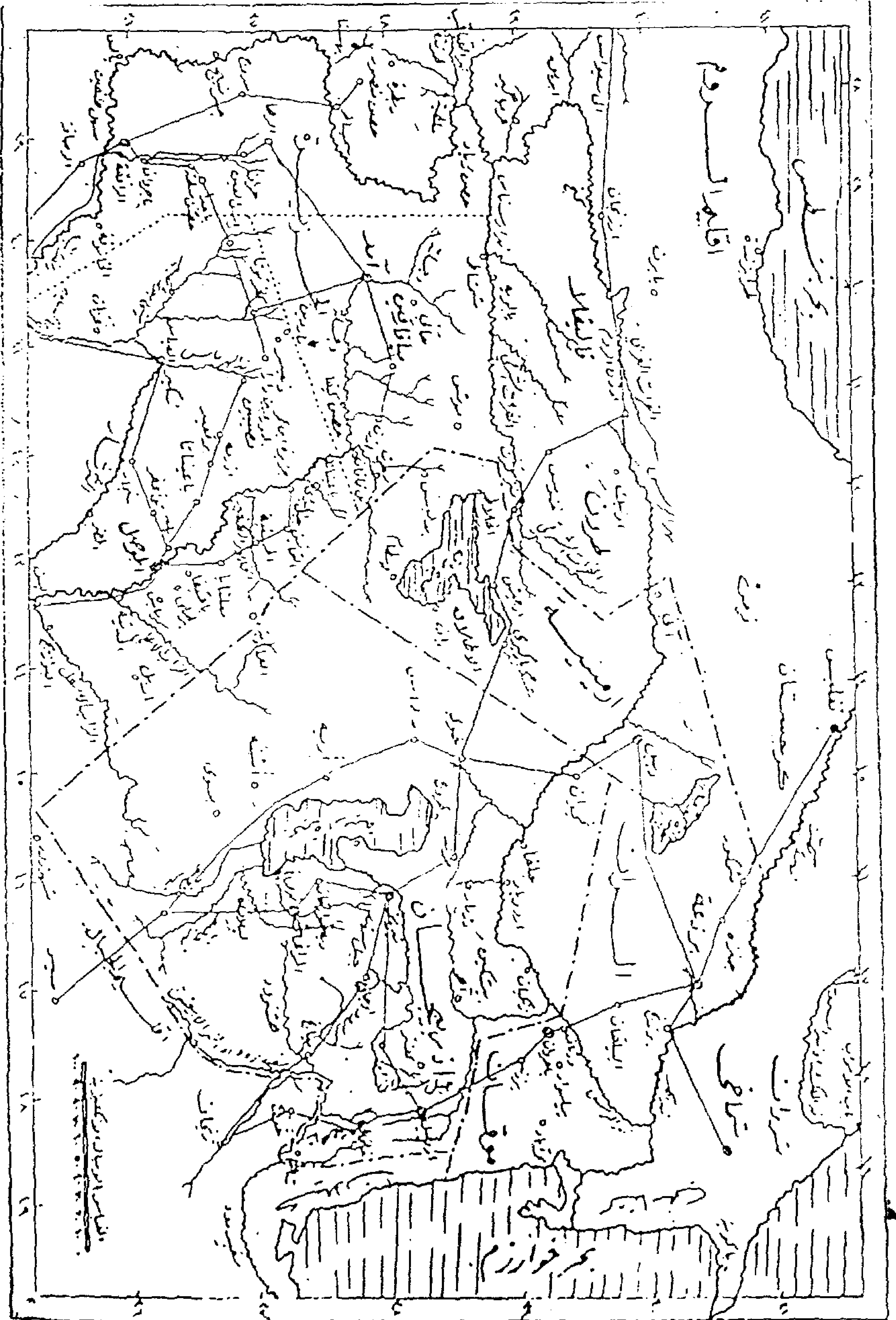
(131) Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye, p.342.



بلد الروم  
نقلاً عن کی لستراتج : بلدان الخلافة الشرقية

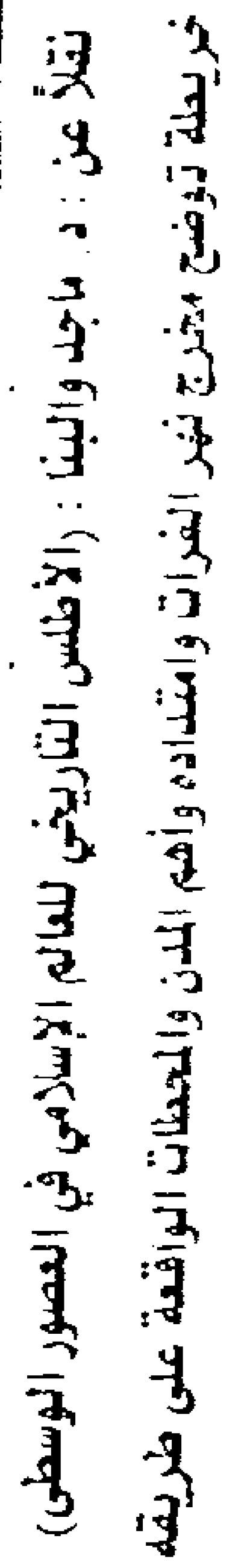
۸۰۰ ۷۰۰ ۶۰۰ ۵۰۰ ۴۰۰ ۳۰۰ ۲۰۰ ۱۰۰

## خريطة رقم ( ٢ )



التيما الجزيرة واذريجان، مع اقليم الحدود الشمالية الغربية

خريطة توضح طرق المواصلات والتجارة بين حدود سلطنة الروم الشرقية وبلاد الجزيرة وفارس والكرج.



## مصادر ومراجع البحث

أولا : المصادر والمراجع العربية والمعرّبة :

١ - ابن الأثير الجزري ( أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الملقب بعز الدين ، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ) : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٢ - الأدرسي ( أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الأدرسي ، ت ٥٦٠هـ / ١١٦٥م ) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٣ - ابن بطوطة ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ، ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م ) : رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٤ - ابن تغري بردي ( جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتليكي ، ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م .

٥ - تماراريس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفى الخورى وإبراهيم الداوقى ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٨م .

٦ - ابن الجوزي ( شمس الدين أبو المظفر يوسف قزّاو على التركي الشهير بسبط ابن الجوزي ، ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م ) : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، القسم الثانى ، ج ٨ ، الطبعة الأولى ، حيدر أباد ، الهند ، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .

- ٧ - ج. م. هسى : العالم البيزنطى ، ترجمة وتعليق رافت عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .
- ٨ - حامد زيان : حلب فى العصر الزنكى ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- ٩ - ابن حجر العسقلانى ( ت ٥٨٢هـ ) : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، ( د. ت ) .
- ١٠ - الحموى ( شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموى ، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م ) : معجم البلدان ، بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ١١ - ابن خرداذبة ( أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة مولى أمير المؤمنين ، ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م ) : المسالك والممالك ، طبعة ليدن ، ١٨٨٩م .
- ١٢ - دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة أحمد الشنتاوى وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس ، طبعة دار الفكر ، ١٩٣٣ م .
- ١٣ - الدمشقى ( شمس الدين أبى عبد الله محمد أبى طالب الأنصارى الصوفى الدمشقى شيخ الربوة ) : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، دون تاريخ ، دون مكان نشر .
- ١٤ - الذهبى ( شمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز ، ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م ) : سير أعلام النبلاء ، الطبعة الثامنة ، مؤسسة الرسالة : بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- ١٥ - ابن سعيد المغربى ( أبو الحسن على بن موسى المغربى ، ت ٦٨٥هـ / ٨٢٦م ) : كتاب الجغرافية ، تحقيق إسماعيل العربى ، بيروت ، ١٩٧٠م .

١٦ - أبو شامة : ( عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى ، ت ٦٥٥هـ ) : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين ، الطبعة الثانية ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤م .

١٧ - ابن العبري (أبو الفرج جمال الدين غريغوس الملقى، ت ٦٨٣هـ/١٢٨٦م):  
- تاريخ الزمان ، ترجمة الأب إسحاق أرمله ، دار المشرق : بيروت ، ١٩٨٦م .

- تاريخ مختصر الدول ، الطبعة الأولى ، (د. ت) .

١٨ - ابن العديم ( كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ، ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م ) : بغية الطلب في تاريخ حلب ، نشر فؤاد سزكين ، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية ، فرانكفورت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

١٩ - زبدة الحلب في تاريخ الحلب ، تحقيق سامي الدهان ، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية .

٢٠ - علي محمد الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، الطبعة الأولى ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٢١ - أبو الفداء ( الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة ، ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م ) : تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٢٦٧هـ/١٨٤٠م - المختصر في أخبار النشر ، بيروت ، بدون تاريخ .

٢٢ - ابن فضل الله العمرى ( القاضي شهاب الدين ، ت ٧٤٩هـ/١٣٥٠م ) :  
التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة ، مصر ، ١٣١٢هـ .

٢٣ - ف. هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ترجمة أحمد محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م .



٢٤ - القرمانى ( أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى ، ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م ) : أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، المكتب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت ، ( د. ت ) .

٢٥ - القزوينى : ( زكريا بن محمد بن محمود ، ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م ) : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ( د. ت ) .

٢٦ - القلقشندى ( أبو العباس بن على ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م ) صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، ١٤ جزءا ، القاهرة ١٩١٩ - ١٩٢٢م .

٢٧ - كامل حسين محمد مصطفى الغزى : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، حلب ، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م .

٢٨ - كلود كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة أحمد الشيخ ، الطبعة الأولى ، سينا للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

٢٩ - كى لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٣٠ - محمد فؤاد كوبريلى : قيام الدولة العثمانية ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، دار الكتاب العربى ، ( د. ت ) .

٣١ - المقرئى ( أحمد بن على ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م ) : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة .

٣٢ - المولوى ( أحمد بن لطف الله المولوى الشهير منجم باشى ، كان حيا سنة ١١٣٦هـ ) : صحائف الأخبار فى وقائع الإعصار ، مخطوط بمكتبة أحمد

الثالث باسطنبول ، رقم ١/١٢٤٥

٣٣ - ابن نطفة الحموي (أبو الفضائل محمد بن علي بن نطفة عاش في النصف الأول من القرن السابع الهجري) : التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) ، تحقيق أبو العبدود ، دمشق ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٣٤ - نيكيتا ايليسيف : الشرق الإسلامي في العصر الوسيط ، ترجمة منصور أبو الحسن ، دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٣٥ - ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ، ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج٤ ، وج٥ ، تحقيق حسنين محمد ربيع وسعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الكتب ١٩٧٧م .

#### ثانيا : المصادر والمراجع الأجنبية :

- ١ - إسماعيل غالب : تقويم مسكوكات سلجوقية ، قسطنطينة ، ١٣٠٩هـ .
- ٢ - ابن يمين (الحسين بن محمد بن علي المنشئ الجعفرى ، ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م) : مختصر سلجوقنامه ، منشور في تنوير آل سلجوق ، نشرة هوتسما في سلسلة .

Recueil de textes relatifs a L'histoire des Seldjoucides, vol, IV, Leide, 1902.

- ٣ - خليل أدهم : قيصرية شهري (مباني إسلامية وكتابة لرى تاريخ عثمانى انجى كليلى ، العدد ٥ ، اسطنبول ، ١٣٣٤هـ) .
- ٤ - مؤلف مجهول : تاريخ آل سلجوق ، نشرة فريدون نافر أوزلك باسم Anonim في سلسلة .

Anadolu Seldcukluları Devleti Tarihü III Ankara, 1952.

٥ - المستوفى القزوينى ( حمد الله ت ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م ) : نزهة القلوب ، ترجمة الجزء الجغرافى ( لسترانج G. Lestrangle ) بعنوان :

Hamd Allah Mustawfi of Qazwin Nuzhat AL-Qulub.

(The Geographical part ), London, 1915.

- 6- Cahen, Claud: pre ottoman Turkey (translated from the french by J. Jone Williams ) Sidawick, Jackson, London.
- 7- Cambridge history of Islam, vol. I. Cambridge, 1970.
- 8- Cetin, Osman: Selcuklu Mussesleri Ve Anadolude Islamiyetin Yayilisi, Marifet Yayinlari, Istanbul.
- 9- The Encyclopaedia of Islam, volume IV, leiden, E. J. Brill, 1978.
- 10- Islam Ansiclopedies, cilt 6, Istanbul, 1977.
- 11- Islam Tarih Kultur Ve Medeniyeti, Vol. 1. Istanbul, 1988.
- 12- Jansky, Herbet: Selcuklu sultanlarinadan Birinci Alaeddin Kekubadin Emniyet politikasi, Istanbul.
- 13- Turan, Osman:
  - Altun Aba ve vakfiyesi, Belleten, XL, Ankara, 1947.
  - Mubarizeddin Er-Tokus ve vakfiyesi ( Selcuk Devrivak Fiyesi, Belleten, XL, Ankara, 1947).
  - Selcuklular Zamaninda Turkiye, Istanbul, 1980.
- 14- Vryonis, Seperos, Jr: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the process of Islamization of from the eleventh through the fifteenth century, London, 1971.



# التنافس الدولي في الخليج منذ بداياته إلى فرض الحماية البريطانية

د. عمر بن سالم بن سليمان العمرو (\*)

---

## المبحث الأول

### الخليج في العصر الحديث

من المعروف أن تاريخ العالم الإسلامي في العصر الحديث ارتبط كثيراً بتاريخ ومصير الدولة العثمانية : الدولة التي حملت لواء الدفاع عن الأراضي الإسلامية ومقدساتها فترة طويلة من الزمن ، وبخاصة بعد أن نال سلاطينها شرف لقب الخلافة الإسلامية .

ونتيجة لذلك يمكن القول أن تاريخ العالم الإسلامي في العصر الحديث والمعاصر مر بحقتين تاريخيتين رئيسيتين :

الأولى منهما تبدأ مع بدايات العصر الحديث : وبالذات مع قيام الدولة العثمانية ، مروراً بضمها لمعظم بقاع العالم الإسلامي ، ومن ثم حملها لواء الدفاع عن ممتلكات الدولة الإسلامية . وتنتهي تلك الفترة بانتهاء الحرب العالمية الأولى التي دخلتها الدولة العثمانية وهي تتن بالعدد من الولايات والمشكلات الداخلية والخارجية التي جعلت العالم ينظر إليها على أنها الرجل المريض . تلك الحرب التي كانت ، فيما يبدو ، مسماراً مهماً وأخيراً دق في نعش الدولة العثمانية التي سقطت بعد ذلك بقليل لتقسم تركتها بين الدول الاستعمارية التي خرجت منتصرة في هذه الحرب العظمى .

---

(\*) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك - كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وتبدأ الفترة الثانية : بقيام عدد كبير من الدول والكيانات السياسية في بلدان العالم الإسلامي على أنقاض تلك الدولة من جانب ، وفي ظلال الزخم الاستعماري الهادر آنذاك من جانب آخر .

ولعل من المسلم به تاريخيا وجغرافيا أن منطقة الخليج في العصر الحديث تمثل ركنا من أركان العالم الإسلامي الكبير ، وبالتالي فإن ذلك يفترض أن يدخلها في نطاق تاريخ الدولة العثمانية بمراحلها التاريخية المختلفة ، خاصة خلال الفترة الذهبية لتلك الدولة الكبرى ، التي انتظم تحت لوائها معظم بقاع وشعوب العالم الإسلامي في آسيا وأفريقية وأوربا .

وبالرغم من كل ذلك إلا أن المتتبع لتاريخ الخليج وبلدانه يلحظ أن هذه المسلمات التاريخية وإن كانت قد انطبقت على تاريخ كثير من مناطق العالم الإسلامي ، فإنها لم تنطبق بتلك الدقة على تاريخ الخليج ، وذلك لارتباط تاريخ الخليج وبلدانه بعدد من الموضوعات والسمات والأحداث التي جعلت من التاريخ للخليج وبلدانه نمطا يختلف في مساره عن ذلك النمط التاريخي لبلدان العالم الإسلامي في العصر الحديث . وتأتي تلك القضايا والأحداث تحت محورين رئيسيين .

المحور الأول : طبيعة التكوين والتطورات السياسية التي شهدتها دول الخليج في تلك المرحلة .

والمحور الثاني : هو أحداث التنافس الاستعماري بين الدول الأوربية للسيطرة على منطقة الخليج ، تلك المحاولات والأحداث المتعاقبة التي جرت الدولة العثمانية إلى عدد من المحاولات العسكرية تصحبها جهود سياسية لإثبات الوجود في المنطقة . وكان من أواخرها التحركات العثمانية أمام النفوذ البريطاني في أواخر القرن التاسع عشر والتي انتهت أخيرا ، وبكل أسف ، بالإقرار بالتفوق البريطاني في المنطقة ، ذلك التفوق الذي كانت بوارده قد ظهرت قبل ذلك بمدة

طويلة منذ أن استطاعت بريطانيا التي استخدمت أسلوب العصا والجزر أو الترغيب والترهيب مع دول المنطقة ، أن تدخل دول المنطقة العربية الواحدة تلو الأخرى تحت مظلة الحماية ( أو الاستعمار ) البريطانى ، والذي استمر إلى مطلع الستينات من القرن العشرين حين فضلت بريطانيا سياسة الانسحاب التدريجى من المنطقة ، خاصة وقد اطمأنت ، فيما يبدو ، إلى ضمان استمرار ورعاية مصالحها الباقية فى الخليج بانتقال مقاليد الأمور فى المنطقة لغيرها من القوى الكبرى ، وهى الولايات المتحدة الأمريكية .

ولذلك فلعل من المناسب لدراسة تاريخ التنافس الدولى فى الخليج أن نتتبع فى البداية التطورات السياسية لبعض بلدان المنطقة لمعرفة الأرضية التى تحرك الاستعمار وجال فيها ، لننتقل بعد ذلك إلى المحاور الأخرى من الدراسة والتى تهدف إلى تتبع جذور ذلك التنافس الاستعماري الأوربي وتطوره فى الخليج ، وموقف الدولة العثمانية من تلك التحركات الاستعمارية الأوربية فى المنطقة ، بدءاً بالغزو البرتغالى ، ومروراً بالغزو الهولندى ، والغزو الفرنسى . ثم ننتقل بعد ذلك إلى محور آخر فى هذه الدراسة ، نتتبع من خلاله تطورات الغزو البريطانى فى الخليج ، لنعرف ، وبشكل مجمل ، كيف سارت بريطانيا فى تحركاتها وتنافسها مع الدول الأوربية الأخرى ، أو مع بلدان المنطقة ، إلى أن نصل بعد ذلك إلى المحور الأخير فى هذه الدراسة ، وهو المحور الذى سوف يساعدنا فى معرفة وتتبع العوامل المختلفة التى من خلالها استطاعت بريطانيا ، فى نهاية السباق الاستعماري ، أن تتفوق بل وتسيطر تماماً على تلك الأوضاع الاستعمارية الملتهية ، خاصة بعد أن استطاعت بريطانيا بأساليبها المتعددة أن تفرض على دول الخليج الواحدة تلو الأخرى ما عرف بمعاهدة الحماية ، أو بالأحرى ما يمكن أن يسمى بمعاهدات ( الاستعمار المشروط ) على نحو ما سيأتى بيانه فى المباحث الآتية من هذه الدراسة بإذن الله تعالى .

## المبحث الثاني

### ملاح التاريخ السياسى لبلدان الخليج

وفى هذا المبحث سنحاول أن نتتبع بعض ملاح التطورات السياسية فى بلدان الخليج العربية منذ بداية حركة الاستعمار الأوروبى فى المنطقة إلى أن خضعت هذه البلدان للحماية البريطانية . والهدف من هذا العرض التاريخى ليس الدراسة التفصيلية لتاريخ هذه التطورات السياسية فى المنطقة ، فهذه لها مواقعها الأخرى من الدراسات التاريخية المتخصصة ، وإنما الهدف من ذلك هو تكوين خلفية تاريخية أو تصور شامل للأوضاع الداخلية فى بلدان الخليج وتطوراتها السياسية لتعين الباحث على بسط أوضح للصورة العامة لبلدان المنطقة أمام القارئ ، كى يسهل عليه تتبع المحاور الرئيسية الأخرى فى هذه الدراسة ، أى المحاور أو المباحث التى تتصل بتطورات التنافس الاستعمارى فى منطقة الخليج منذ بداياته إلى فرض الحماية البريطانية على بلدانه .

#### أولاً : تاريخ عمان :

كانت عمان فى القرن الخامس عشر الميلادى تحكم من قبل الملوك النبهانيين ، ثم تولى الحكم فيها أسرة اليعاربة التى برزت فى الساحة بوصول البرتغاليين إلى الخليج ومقاومة العمانيين لها . فبعد سلسلة من الحروب الأهلية استقر رأى العمانيين فى عام ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م على تولية ناصر بن مرشد اليعربى إماماً لعمان . وما أن استقرت الأمور له حتى أعلن الحرب على البرتغاليين ، حيث قاد عدداً من الحملات الناجحة إلا أنه لم يكمل المسيرة ، حيث انتقل إلى رحمة الله فى عام ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م ، قبل مدة قصيرة من قطف الثمرة وتحقيق الغاية<sup>(٣)</sup> .

ولم يأت عام ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م ، أى بعد حوالى سنة من وفاة ناصر بن مرشد إلا وقد طرد البرتغاليون من البلاد بفضل الحملات المتوالية التى قادها سلطان بن سيف ابن عم ناصر وخليفته فى الحكم<sup>(٤)</sup> .



ومنذ ذلك الحين انطلقت عمان فى حركة كبيرة لتطوير ودعم قوتها البحرية والتجارية . وتعاقب على الحكم فى عمان كل من بلعرب بن سلطان بن سيف الذى تولى فى أعقاب وفاة والده عام ١٠٨٧هـ / ١٦٧٦م ، والذى دخل فى حرب أهلية مع أخيه سيف فتوفى منتحراً عام ١١٠٤هـ / ١٦٩٢م ، فحل أخوه سيف مكانه فى الحكم منذ ذلك الحين إلى عام ١١٢٣هـ / ١٧١١م<sup>(٥)</sup> . وفى عهد الإمام سيف بلغت قوة عمان البحرية نروتها واستطاع العمانيون نتيجة لذلك أن يضموا بعض السواحل الشرقية فى أفريقية لتشكل بذلك النواة للدولة العمانية الكبرى<sup>(٦)</sup> .

وفى الوقت الذى كانت فيه عمان تتقدم وتتقوى وتتسع فإن هناك عوامل أخرى بدأت تعصف بالحكم العربى ، حيث دخل اليعاربة فى خلافات وحروب أهلية أدت إلى انقضاء حكمهم وقيام حكم عمانى آخر من قبل أسرة البوسعيديين<sup>(٧)</sup> . وكانت انطلاقة هذه الأسرة التى تحكم عمان إلى يومنا الحاضر قد بدأت على يد الإمام أحمد بن سعيد الذى حكم البلاد منذ عام ١١٥٤هـ / ١٧٤١م وظل فى الحكم إلى وفاته عام ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م<sup>(٨)</sup> ، لتدخل البلاد مرة أخرى فى صراع داخلى حول السلطة لم تستقر الأمور فيه إلا عام ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م بتولى سعيد بن سلطان الذى استطاع أن يعيد للبلاد استقرارها ونفوذها ، والذى ظل يحكم البلاد قرابة نصف قرن وبالتحديد إلى وفاته عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م<sup>(٩)</sup> . وفى عهد السيد سعيد : « اتسعت رقعة الممالك العمانية ، وضمت فيما ضمته زنجبار ، وأجزاء أخرى فى شرق أفريقية والساحل الجنوبى لفارس ، وقد حققت تجارة عمان فى شرق إفريقية ازدهارا ملحوظا كما تحولت عمان إلى سوق دولية ، ومنطقة تجارة حرة ، تقصدها السفن لنقل السلع والمنتجات منها إلى مناطق الخليج الأخرى»<sup>(١٠)</sup> .

وفى الوقت الذى كانت الدولة العمانية قد بلغت أوج مجدها فإن بؤادر التدهور كانت تسرى فى داخل عمان ، حيث تضافرت عدة عوامل مختلفة أدت إلى ذلك ، مثل الخلافات العائلية ، والتدخلات الخارجية ، مما وضع على كاهل السيد

سعيد أعباء مالية كبيرة زادت من حالة التدهور في البلاد ، ودفعت بالسيد سعيد إلى محاولة كسب صداقة بريطانيا التي كانت سيدة الموقف في المحيط الهندي<sup>(١١)</sup> ، والتي بدأ نفوذها في عمان وفي غيرها من مناطق الخليج يزداد شيئاً فشيئاً ، خاصة وقد استفحلت الخلافات الأسرية في عمان بعد وفاة السيد سعيد ، فانقسمت الدولة العمانية في عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٢م إلى شقين أسوي تحت زعامة ابنه ثويني وأفريقي تحت زعامة ابنه ماجد .

ولم يهنا ثويني بحكم البلاد كثيراً إذ تعرضت البلاد لموجة من الاضطرابات السياسية نتيجة للخلافات الأسرية وللتدخلات الخارجية بجانب أحد أطراف النزاع ، وتوفي ثويني نتيجة لذلك إذ اغتيل عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م من قبل ابنه سالم الذي دخل هو الآخر في صراع مع عزان بن قيس الذي قتل هو أيضاً على يد تركي بن سعيد الذي تولى السلطة منذ عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م إلى وفاته عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م ، حيث خلفه ابنه فيصل فاستمر في الحكم إلى وفاته عام ١٣٣١هـ / ١٩١٣م<sup>(١٢)</sup> .

وفي عهد فيصل دخلت عمان في اتفاقية الحماية مع بريطانيا في شعبان من عام ١٣٠٨هـ / مارس ١٨٩١م ، وهي المعاهدة التي قيدت عمان في علاقاتها الخارجية ، حيث « تحتم على السلطان وورثته وخلفائه ألا يتصرفوا بالتنازل أو الرهن أو البيع أو السماح باحتلال أي من أقاليم مسقط أو عمان أو توابعها .. إلا للحكومة البريطانية »<sup>(١٣)</sup> .

### ثانياً : مشيخات الساحل العماني :

يعتمد أساس التشكيل السياسي في الساحل العماني على حلفين قبليين كبيرين هما : حلف القواسم في القسم الشمالي ، وحلف بني ياس في القسم الجنوبي من المنطقة العربية المطلة على الساحل الغربي من الخليج والتي تعرف الآن بدولة الإمارات العربية المتحدة .

ويرجع أساس تلك التحالفات التي أفرزت هذه المجموعة من التشكيلات السياسية في منطقة الساحل العماني إلى عدد من العوامل هي باختصار : التحالفات العربية التي هبت وتناصرت لمقاومة الغزو البرتغالي في المنطقة . ثم انهيار ذلك الوجود الذي خلف فراغا سياسيا نتج عن عدم وجود قوى كبرى في المنطقة ، خاصة مع انهيار دولة اليعاربة ، واغتيال نادر شاه ، وعدم جدية الدولة العثمانية في السيطرة على المنطقة .

وأمام هذه العوامل ونتيجة لتلك التحالفات برز إلى الساحة عدد من التشكيلات السياسية التي اختص كل فريق منها بقسم معين من هذه المنطقة التي مرت بعدة أسماء اصطلاحية ، حيث عرفت مثلا بمشيخات الساحل العماني ، نسبة إلى موقعها الجغرافي ، كما عرفت كذلك بمشيخات الساحل المتصالح ، لمعاهدات التصالح التي عقدت فيما بينها تحت إشراف السلطات البريطانية في الخليج .

وتتكون هذه المشيخات أو الإمارات من سبع إمارات هي : أبو ظبي ، دبي ، والشارقة ، ورأس الخيمة ، وأم القوين ، وعجمان ، والفجيرة ، وقد شكلت تلك المشيخات أو الإمارات في الساحل الشرقي للخليج المعروف بالساحل العماني ، أو ساحل المشيخات المتصالحه والتي توحدت فيما بينها سياسيا وإداريا بعد استقلالها لتشكل ما يعرف حاليا بالإمارات العربية المتحدة .

ويبدو أن الظروف الدولية المتشابهة قادت هذه المشيخات العربية إلى الوحدة الحالية ، إلا أن تحقيق ذلك لم يكن أمرا يسيرا ، حيث مر بعدد من المراحل التاريخية . وكانت المرحلة الأولى قد بدأت ، على ما يبدو ، عندما واجهت تلك المشيخات ظروفًا سياسية متشابهة إلى حد كبير في علاقاتها المشتركة مع الدولة صاحبة النفوذ الأقوى في المنطقة ؛ وهي بريطانيا . ويأتى على رأس تلك الظروف تعرض تلك القوى إلى الضغوط البريطانية المتتالية والتي أجبرت هذه الوحدات

السياسية العربية في الخليج إلى الدخول الواحدة تلو الأخرى في فلك النفوذ ، ومن ثم في إطار الحماية البريطانية .

وكانت نقطة التحول الكبرى بالنسبة لمشيخات الساحل العماني في تاريخ علاقاتها مع بريطانيا قد بدأت في مطلع القرن التاسع عشر حين وجهت بريطانيا حملتين بحريتين كان الهدف منهما القضاء على قوة القواسم في رأس الخيمة القوة التي تأثرت كثيراً بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فجاءت ضد الوجود البريطاني في الخليج ، وبلغت تلك الحملات ذروتها في نهاية العقد الثاني من القرون التاسع عشر حين قامت بريطانيا ، بحجة ضرب ما أسمته بالقرصنة ، بتوجيه ما يعرف بالحملة البريطانية الثالثة على القواسم ، وهي الحملة البحرية التي نتج عنها ضرب وإحراق وتدمير رأس الخيمة في بادرة أشبه ما تكون بتوجيه إنذار غير مباشر للغالبية الباقية من القوى العربية الأخرى في المنطقة لتبادر واحدة تلو الأخرى في الدخول بما يعرف بمعاهدة السلام العامة مع بريطانيا في عام ١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م<sup>(١٤)</sup> .

وتطورت تلك العلاقات حين أشرفت بريطانيا على عقد معاهدات مشتركة بين تلك المشيخات بالدخول في معاهدات تصالح بحري فيما بينها تحت إشراف المقيم البريطاني ، بدأت بمعاهدة عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م ،<sup>(١٥)</sup> ثم تطورت هذه المعاهدة إلى معاهدات صلح بحري لمدة أطول بلغت عشر سنوات . وفي عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م جددت المعاهدة بمعاهدة الصلح البحري الدائم والتي جاءت لتؤكد على بنود المعاهدات السابقة التي تعطي لبريطانيا الحق في الإشراف على العلاقات التعاهدية والمرجعية عند الخلافات بين مشيخات الساحل المتصالح ، ثم تلا ذلك عقد عدد من المعاهدات المتشابهة بين بريطانيا وبعض تلك المشيخات مثل معاهدات التلغراف وما سمي بمكافحة تجارة الرقيق وتشليم الغاصة ، وغير ذلك من المعاهدات التي في مجملها تصب في مصلحة الوجود البريطاني وتزيد من

عوامل تفوقه على منافسيه في المنطقة . وتوجت بريطانيا معاشيات مع مشيخات الساحل العماني المتصالح في مطلع العقد الأخير من القرن التاسع عشر حين قادتها الواحدة تلو الأخرى لتوقيع معاهدات الحماية البريطانية في شعبان ١٣٠٩هـ / مارس ١٨٩٢م .<sup>(١٦)</sup> وهي المعاهدات التي أعطت بريطانيا حق الإشراف والسيطرة المطلقة على الشؤون الداخلية والسياسة والعلاقات الخارجية للمشيخات الموقعة عليها ، والتي ظلت بريطانيا بموجبها تدير هذه الشؤون إلى أن بدأت هذه الدول تنال استقلالها في الستينات من القرن العشرين أي بعد حوالي سبعين عاما من الاستعمار البريطاني المغلف بطابع الحماية .

### ثالثا : تاريخ الكويت :

كانت الكويت تسمى القرنين ، والقرنين تصغير قرن ، والقرن هو التل أو الأرض العالية . والكويت تصغير كوت والكوت هو القلعة أو الحصن . ومن المتفق عليه تاريخيا أن القرنين أو الكويت خضعت لنفوذ بني خالد منذ أن انتزعوا السلطة في شرق الجزيرة العربية من العثمانيين في عهد براك بن حميد الذي تولى زعامة بني خالد ما بين ١٠٨٠ - ١٠٩٣هـ / ١٦٦٩ - ١٦٨٢م . وفي ظل الأمن الخالدي ، نشأت الكويت ونمت ، بعد أن بنى فيها براك بن غرير كويته ، الذي اتخذ مصيفا<sup>(١٧)</sup> . كما طغى اسم الكويت منذ ذلك الحين على الاسم السابق للمنطقة . وتزامنت نشأة الكويت ونموها مع حركة نمو عدد من المدن الأخرى في الخليج كانت هي الأخرى نواة لدول قامت فيما بعد .

ويعزو الدكتور أبو حاكم ، في دراسة تاريخية عن الكويت ، نمو الكويت وازدهارها إلى ثلاثة عوامل مشتركة لخصها بقوله : « أما العامل الأول : فهو ضعف الفرس والأتراك ، وانعدام نفوذ كل من الدولتين في الخليج مما أتاح الفرصة للمدن الصغيرة النامية أن تتطور دون خوف من خطر قوة أكبر منها ، قد تتدخل

فى شئونها الداخلية وتفرض عليها سلطانها ، وبذلك تحد من حريتها فى الحركة والكسب والنمو .

أما العامل الثانى : فهو وقوع الكويت فى منطقة النفوذ الخالدى فى شرق الجزيرة العربية ، وقد رأينا حرص بنى خالد على استتباب الأمن والسلام فى المنطقة حتى تزدهر التجارة . وازدهار التجارة كان بالطبع الركن الأساسى لنهضة الكويت وتقدمها ... وأما العامل الثالث : فهو النشاط التجارى الملحوظ للشركات التجارية الأوربية ، ونقل البضائع بحراً عن طريق الخليج وبراً بالطريق الصحراوى . وليس هناك أننى ريب فى أن الكويت قد استفادت فائدة كبيرة من المساهمة فى هذه التجارة وقد بدا أثر ذلك واضحاً فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر . «<sup>(١٨)</sup>

وعلى العموم فقد ظلت الكويت تحت سلطة بنى خالد منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الثامن عشر حين بدأ الضعف والخلاف والنزاع على السلطة يدب فى عضد بنى خالد فخفت بذلك قبضتهم على القبائل والمدن الخاضعة لهم<sup>(١٩)</sup> . وكان انسلاخ الكويت عن سلطتهم قد تم فى ١١٦٥هـ / ١٧٥٢م حين اختار سكان الكويت صباح الجابر من العتوب « وفق الطريقة العربية العشائرية من لدن أهل الكويت لتصريف شؤون المدينة والفصل فيما قد يقع بين سكانها من خلافات »<sup>(٢٠)</sup> .

### الكويت تحت حكم آل صباح :

ينسب آل صباح إلى صباح الجابر أول حكام الكويت من العتوب ، والعتوب ينسبون إلى قبيلة عنزة إحدى القبائل الكبرى فى الجزيرة العربية ، وأطلق عليهم اسم العتوب لأنهم عتبوا ، أى ارتحلوا من مساكنهم فى الهدار قرب وادى الدواسر فى داخل الجزيرة العربية إلى مناطق الخليج . ومن العتوب كذلك آل خليفة حكام البحرين وغيرهم من الأسر المعروفة مثل الجلاهمة<sup>(٢١)</sup> . كما نسب إليهم بعض أفخاذ أخرى من القبائل العربية التى تحالفت معهم وتصاهرت فشكلت ما يعرف

تاريخيا بالعتوب<sup>(٢٢)</sup> . ولذلك يقول عنهم ابن سند في تاريخه : « بنو عتبة ولهم فى عنزة نسب . والذى يظهر أنهم متباينو النسب لم تجمعهم فى شجرة أم ولا أب ولكن تقاربوا فنسب بعضهم إلى بعض »<sup>(٢٣)</sup> .

وكانت هجرة العتوب من الهدار فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى ، الربع الأخير من القرن السابع عشر الميلادى ، ويعود السبب فى ذلك إلى السعى فى طلب الرزق ، وإلى الخلافات التى حدثت بينهم وبين الدواسر فأثروا الهجرة على البقاء . وكانت سواحل قطر هى المنطقة الأولى التى استقر فيها العتوب ، حيث أقاموا ما يقرب من ثلاثين عاما فى ظل قبيلة آل مسلم التى خاضعة هى الأخرى لنفوذ بنى خالد . وللتنافس الاقتصادى والسياسى مع آل مسلم اضطر العتوب إلى الهجرة شمالا إلى البصرة ثم إلى القرين حيث استقروا هناك منذ مطلع القرن الثامن عشر لتزايد نفوذهم تدريجيا خاصة مع ضعف بنى خالد .

وكان الاتفاق بين العتوب ( آل خليفة ، وآل الصباح ، والجلاهمة ) على أن يمتهنوا حرفة التجارة والزراعة وتقسم الأرباح فيما بينهم على أن يقوم فرع آل الصباح بأعمال الحكومة وفرع الجلاهمة بأعمال البحر فيما تسند التجارة لفرع آل خليفة<sup>(٢٤)</sup> . ولذلك اختار العتوب صباح بن جابر حاكما عليهم عام ١١٦٥هـ — / ١٧٥٢م . ويبدو أن ذلك يمثل الانطلاقة الحقيقية لتأسيس مشيخة آل صباح ، لا سيما وأن عبد الله بن صباح تسلم الزعامة خلفا لأبيه بعد وفاته فى عام ١١٧٥هـ — / ١٧٦٢م ، مما أدى إلى هجرة الفرعين العتبيين الآخرين - آل خليفة وآل جلاهمة - إلى سواحل قطر مرة أخرى بحثا عن مصادر دخل أفضل وتحقيق مكاسب سياسية جديدة ، حيث تمكن فرع آل خليفة من تأسيس مشيختهم أو دولتهم على الساحل القطرى من الخليج حتى انتقلوا منه إلى البحرين الجزر فيما بعد ، ومن جهة أخرى فإن ذلك التطور فى العلاقات بين الأطراف الثلاثة ، جاء إيذانا غير مباشر لآل

صباح بالانفراد فى حكم الكويت التى استمرت تحت حكم أسرة آل صباح بدون انقطاع ، منذ ذلك الحين إلى يومنا الحاضر<sup>(٢٥)</sup> ، إذ تعاقب على الحكم فى الكويت منذ ذلك الوقت إلى يومنا الحاضر ثلاثة عشر حاكماً جميعهم من أسرة آل صباح ، إلا أن ستة منهم حكموا قبل فرض الحماية البريطانية وهم : صباح الأول ، وحكم من ١١٦٦-١١٧٨هـ / ١٧٥٢-١٧٦٤م ، ثم عبد الله الأول بن صباح ، وحكم من ١١٧٨-١٢٣٠هـ / ١٧٦٤-١٨١٥م ، ثم جابر الأول بن عبد الله وحكم من ١٢٣٠-١٢٧٦هـ / ١٨١٥-١٨٥٩م ، ثم صباح الثانى بن جابر وحكم من ١٢٧٦-١٢٨٣هـ / ١٨٥٩-١٨٦٦م ثم عبد الله الثانى بن صباح وحكم من ١٢٨٣-١٣١٠هـ / ١٨٦٦-١٨٩٢م ثم أخوه محمد بن صباح وحكم من ١٣١٠-١٣١٤هـ / ١٨٩٢-١٨٩٦م . وتلا الحاكم السادس سابع الحكام من آل صباح وهو أخوه مبارك بن صباح الذى حكم فى الفترة ما بين ١٣١٤-١٣٣٣هـ / ١٨٩٦ - ١٩١٥م<sup>(٢٦)</sup> .

وخلال فترة حكم هؤلاء الحكام السبعة مرت الكويت بعدد من الأحداث السياسية ، والمعاهدات والعلاقات الخارجية التى يطول الحديث عنها ، والتى لا يتسع المقام للدخول فى تفصيلاتها ، وما يهمنا منها هو أن الكويت فى عام ١٣١٦هـ / يناير من عام ١٨٩٩م أى فى عهد الحاكم السابع من أسرة آل صباح وهو الشيخ مبارك الصباح دخلت فى معاهدة الحماية مع بريطانيا ، وهى المعاهدة التى أعطت بريطانيا رسمياً الحق المطلق فى الإشراف على الشؤون الداخلية والخارجية للكويت<sup>(٢٧)</sup> ، وذلك على غرار من سبقها من الدول الخليجية الأخرى . وقد ظلت بريطانيا فى الكويت على ذلك الحال إلى أن نالت الكويت استقلالها فى الستينات من القرن العشرين<sup>(٢٨)</sup> .



## رابعاً : البحرين فى عهد آل خليفة :

سبق الحديث بأن آل خليفة كانوا أحد الفروع الثلاثة الرئيسية للعتوب الذين هاجروا من الجزيرة العربية إلى الخليج وشكلوا تحالفاً فيما بينهم ، الأمر الذى أدى إلى تأسيس مشيخة العتوب فى القرين ( الكويت ) تحت زعامة صباح الجابر عام ١١٦٥هـ / ١٧٥٢م .

وينتمى آل خليفة إلى قبيلة عنزة وينسبون إلى خليفة بن محمد الذى كانت له زعامتهم فى بداية نزولهم القرين . وفى عام ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م توفى خليفة فانتقلت الزعامة إلى ابنه محمد الذى كان صغير السن آنذاك فعاش فى كنف عمه الشيخ صباح بن جابر ، وزوجه ابنته مريم التى أنجبت له ابنه خليفة بن محمد آل خليفة . وفى عهد محمد بن خليفة هاجر آل خليفة من الكويت إلى الزبارة على إثر خلافاتهم السياسية مع فرع الصباح ، والعداء مع كعب ، كما كان للعوامل الاقتصادية أثر فى دفعهم إلى الهجرة واختيار الزبارة بالذات بحثاً عن مصادر دخل أفضل ، بالقرب من مغازات اللؤلؤ . وفى عهد محمد بن خليفة ازدادت الأسرة نفوذاً والمدينة اتساعاً ونمواً ، واستمر محمد فى زعامته إلى أن توفى عام ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م ، حيث خلفه ابنه الأكبر خليفة بن محمد . وفى عهد خليفة تضاعفت عدد من العوامل الداخلية والخارجية مثل ، استقرار الأوضاع فيها ، وخراب البصرة ، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، واضمحلال قوة بنى خالد ، وغير ذلك من العوامل التى زادت من تقدم الزبارة وتطورها ، وفى الوقت نفسه أدت هذه التطورات إلى نشوب بعض الخلافات بين آل خليفة وجيرانهم فى المنطقة.

وحين توفى الشيخ خليفة فى رحلته للحج عام ١١٩٧هـ / ١٧٨٣م كان أخوه أحمد بن محمد آل خليفة الذى بويع فى الإمارة من بعده قد نجح فى ضم البحرين (الجزر) إلى الزبارة لتشكل بذلك دولة آل خليفة من الزبارة وما حولها من البر

المعروف ( بقطر ) ، إضافة إلى البحرين الجزيرة وما جاورها من جزر . وفى عهد الشيخ أحمد ( الفاتح ) بلغت الزبارة عصرها الذهبى ، وتوافد عليها رجال العلم والأدب ، وقصدها رجال المال والتجارة ، كما بلغت البحرين ( الجزر ) حالة من النشاط التجارى ، إذ سرعان ما أصبح للمهاجرين العرب أسطول تجارى ، وقاموا بعمليات نقل البضائع بين موانئ الخليج المختلفة . وقد فضل الشيخ أحمد الإقامة فى الزبارة واكتفى برحلة صيفية كل عام إلى الجزر . واستمر على ذلك إلى حين وفاته عام ١٢٠٩هـ / ١٧٩٤م حيث خلفه ابنه الشيخ سلمان الذى اتسم بالعدل والحزم ، فأحبته الرعية ، ودانت له القبائل . وقد انتقل بعائلته وحاشيته للإقامة فى البحرين - الجزيرة - منذ عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م لينتقل بذلك مركز الثقل فى الدولة إلى الجزر البحرينية على حساب البر القطرى<sup>(٢٩)</sup> .

وفى عهد الشيخ سلمان تعرضت البحرين لبعض الضغوط الخارجية ، خاصة من مسقط وبريطانيا ، واضطر البحرينيون - كغيرهم من بعض مشيخات الخليج الأخرى - إلى توقيع معاهدة السلام العامة مع بريطانيا فى ربيع الثانى من عام ١٢٣٥هـ / فبراير ١٨٢٠م ، وهى المعاهدة التى وضعت أسس الهيمنة البريطانية على المنطقة ، حين أعطت بريطانيا حق التفتيش والإشراف على السفن الخليجية ، ومتابعة المخالفين منهم بالقوة<sup>(٣٠)</sup> . وقد استمر الشيخ سلمان فى الحكم رسمياً إلى أن توفى عام ١٢٤٠هـ / ١٨٢٥م ، حيث خلفه الشيخ عبد الله بن أحمد الذى آلت إليه أمور الزعامة منذ أواخر عهد أخيه ، والذى استطاع أن يواصل حكم البلاد وسط عدد من الصعاب تمثلت فى محاولات أبناء أخيه انتزاع السلطة من يده ، كما تعرضت البلاد فى عهده لمحاولات جديدة من كل من مسقط وفارس ومحمد على باشا حاكم مصر - لبسط السيطرة على البحرين وفق مخططه الرامى لتكوين دولة كبرى ، وقد اضطر الشيخ عبد الله إلى الدخول فى اتفاقية مع محمد على رغم التحذيرات البريطانية له ، مما كلفه حكمه بعد ذلك حيث سعى البريطانيون إلى تنحيته عن الحكم واستبداله بشيخ آخر من آل خليفة ، وعن ذلك تقول المصادر

البريطانية : « إننا نعتبر أنفسنا بعيدين عن ود واحترام شيخ البحرين وسنكون سعداء بسماعنا أن جزيرته في حوزة شيخ آخر تربطه علاقة ودية معنا » (٣١) .

ووجدت بريطانيا فرصتها في الخلاف الذي نشأ بين الشيخ عبد الله وبين محمد بن خليفة فقامت باصلاء ناره لتحقيق هدفين : الأول: إسقاط الشيخ عبد الله . والثاني : إضعاف البحرين وبالتالي إتاحة الفرصة لبريطانيا لمزيد من التدخل في شؤون البحرين وفرض مزيد من التعهدات . وبناءً على ذلك وقفت بريطانيا إلى جانب محمد بن خليفة في نزاعه مع الشيخ عبد الله الذي اضطر بعد عدد من المعارك مع خصمه إلى مغادرة البلاد وبالتالي انفرد الشيخ محمد بن خليفة بالسلطة منذ عام ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م . ومع ذلك فإن الشيخ عبد الله لم ييأس واستمر في محاولاته استعادة السلطة ، ورغم وفاته عام ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٩ م فإن النزاع استمر على السلطة بين الشيخ محمد وبين أبناء الشيخ عبد الله ، ولم يتوقف إلا عام ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣ م وبوساطة من الحاكم السعودي الإمام فيصل بن تركي (٣٢) .

ونتيجة لتدخل عدد من الأطراف في شؤون البحرين مثل بريطانيا ، والدولة العثمانية ، وفارس عادت الصراعات السياسية إلى الساحة في البحرين من جديد ، وأسفر عام ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م عن تطورات من أبرزها دخول البحرين في اتفاقية مع بريطانيا أعطتها مزيد من حق التدخل في شؤون البحرين ووضعت النواة لاتفاقيات الحماية فيما بعد ، وانسلاخ قطر عن البحرين ، والصراع على السلطة بين الأخوين محمد بن خليفة وعلي بن خليفة ، ذلك الصراع الذي أدى إلى مقتل الأخير عام ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م . وكان أن تدخلت بريطانيا مباشرة في العام نفسه ، فقامت بنفي عدد من زعماء البحرين وعلي رأسهم الشيخ محمد بن خليفة ومن ثم العمل على تنصيب الشيخ عيسى بن علي حاكماً على البحرين (٣٣) .

وخلال عهد الشيخ عيسى بن علي الذي استمر إلى عام ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م استطاعت بريطانيا أن تطلق يدها في شؤون البحرين ، خاصة بعد أن نجحت في

توقيع معاهدي الحماية البريطانية عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م وعام ١٣٠٩هـ / ١٨٩٢م<sup>(٣٤)</sup> . وهي على غرار معاهدات الاستعمار المبطن بستار الحماية التي وقعتها بريطانيا مع غالبية بلدان الخليج في تلك الفترة ، والتي أعطت بريطانيا منذ ذلك الحين حق الهيمنة والإشراف الكامل على الشؤون الداخلية والخارجية لدولة البحرين التي لم تتحرر من قيودها إلا في الستينات من القرن العشرين حين نالت استقلالها وفق سياسة بريطانيا العامة في الخليج<sup>(٣٥)</sup> .

### خامساً : تاريخ قطر :

كانت الأراضي القطرية ، كما مر بنا عند الحديث عن تاريخ العتوب في الكويت وفي البحرين ، هي المقر الذي استقر فيه العتوب قبل انطلاقهم للكويت ، كما كانت الأراضي التي استقر فيها آل خليفة في بداية تأسيس دولتهم بعد ذلك . وكانت السواحل القطرية كذلك هي المراكز التي انطلق منها آل خليفة لضم الجزر البحرينية إلى دولتهم تلك . وظلت الحواضر القطرية تحت سيادة آل خليفة لتشكّل جزءاً مهماً وكبيراً من دولتهم حتى بعد استقرارهم في جزر البحرين ونقل مقر الحكم إليها ، حيث عيّن آل خليفة آل ثاني حكاماً لهم في قطر .

وترجع أسرة آل ثاني حكام قطر إلى فرع من قبيلة الوهبة ، والتي هي في الأصل من تميم ، وقد هاجر آل ثاني من بلدة اشيقر في إقليم الوشم بنجد إلى الأراضي القطرية في أوائل القرن الثاني عشر الهجري ، واستقروا في البداية في الرويس ، ثم في الزبارة ، وانتهى بهم المقام في الدوحة حيث انتقلت إليهم زعامتها في منتصف القرن تقريباً . ويرجع وصولهم لتلك المكانة إلى مركزهم المالي الذي نجم عن اشتغالهم بتجارة اللؤلؤ ، من تحركاتهم السياسية التي اكتسبوا من عملهم وكلاء لآل سعود في جمع الزكاة من بعض القبائل هناك ، ثم عملهم حكاماً على قطر من قبل آل خليفة<sup>(٣٦)</sup> .

واستمر آل ثاني يحكمون قطر باسم آل خليفة متحينين الفرصة للاستقلال بحكم المنطقة وتأسيس إمارة خاصة بهم ، خاصة مع تنامي مركزهم الاجتماعي والسياسي في المنطقة في ظل انشغال آل خليفة عن السواحل القطرية وشؤونها على إثر الخلافات الداخلية فيما بين زعماء أسرة آل خليفة في البحرين .

ونتيجة لتلك الزعامة المتنامية وتطلع آل ثاني إلى الانسلاخ بقطر عن البحرين، شهد عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٧م والعام الذي يليه بعض الأحداث السياسية التي عجلت بذلك وحسمت الأمر لصالح آل ثاني . فمع اشتداد حدة النزاع ، وبعد أن ظلت ترقب الوضع لفترة أزهرق خلالها الكثير من الدماء بين المسلمين ، تدخلت بريطانيا وفرضت على الفريقين عدداً من الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدت عام ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م ، ومن أبرزها الاتفاقية بين قطر وبريطانيا ، والاتفاقية بين البحرين وقطر<sup>(٣٧)</sup> ، وكان من نتائج تلك الاتفاقيات إعطاء قطر الصفة الرسمية للانسلاخ عن البحرين واعتبارها دولة منفردة منذ ذلك الحين<sup>(٣٨)</sup> .

وظل الشيخ محمد بن ثاني الذي وقع الاتفاقيات المذكورة والذي أنشأ الدولة الجديدة لقطر حاكماً على الدولة إلى قبيل وفاته بسنتين ، وبالتحديد إلى عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م ، حيث خلفه في الحكم ابنه الشيخ جاسم ، الذي يقول عنه الدكتور عبد العزيز المنصور في أحد الدراسات التاريخية التخصصية عن قطر : بأنه يمثل «روح الصلابة في الإصرار على تحقيق خلق إمارة قطر أمام الصراعات الدولية والمحلية ، فتاريخه هو في الحقيقة تاريخ قطر من خلال تاريخ شعبها وقبائلها والقوى المؤيدة لها»<sup>(٣٩)</sup> .

وقد استمر الشيخ جاسم في حكم قطر ، بالرغم من تقدمه في السن ، إلى وفاته عام ١٣٣١هـ / ١٩١٣م ، حيث خلفه في الحكم ابنه الشيخ عبد الله الذي يبدو أنه لم يكن على درجة حزم والده إذ استطاعت بريطانيا في عهده أن تحقق ما لم تصل إليه من نفوذ في عهد والده<sup>(٤٠)</sup> . وفي عهد الشيخ عبد الله بن جاسم

اضطرت قطر إلى الدخول في معاهدة الحماية البريطانية في عام ١٩١٦م<sup>(٤١)</sup> ، وهي على غرار معاهدات الحماية التي كانت بريطانيا قد فرضتها على بقية بلدان الخليج العربية ، وبمعنى آخر فقد كانت هي المعاهدة التي أطلقت يد بريطانيا في استعمار قطر من خلال السيطرة على الشؤون القطرية الداخلية والخارجية متظللة بستار الحماية ، التي استمرت إلى السبعينات من القرن التاسع عشر ، حين نالت قطر استقلالها على غرار ما جرى آنذاك في بلدان الخليج الأخرى<sup>(٤٢)</sup> .

## المبحث الثالث

### تطورات التنافس الدولي في الخليج

بعد التعريف على مجمل تاريخ الأوضاع السياسية وتطوراتها في بلدان الخليج في العصر الحديث والمعاصر حتى فرض الحماية البريطانية عليها ، سنتتبع بالدراسة في هذا المبحث جذور التنافس الدولي في الخليج وتطوراته منذ بداياته إلى أن استطاعت بريطانيا أن تعلن تفوقها من خلال فرضها معاهدات الحماية مع بلدان الخليج العربية .

وحرصاً من الباحث على التسلسل والحصر التاريخي للموضوع ، قدر الإمكان ، فسوف نتبع في هذه الدراسة تتبع المحاولات الاستعمارية الأوربية مرتبة بحسب تدرجها التاريخي ، بدءاً بالغزو البرتغالي ، ومروراً بالغزو الهولندي ، والفرنسي ، ثم انتهاء بالغزو البريطاني في مراحله الأولى ، مع الإشارة إلى أن تداخل الأحداث وتربطها قد يستدعي كسر هذه القاعدة من حيث التدرج التاريخي أو الالتزام الموضوعي ، خاصة حينما يكون الحديث عن بعض المواقف العثمانية من تلك المحاولات الاستعمارية الأوربية للخليج ، أو حينما يكون الحديث عن بعض المحاولات أو المواقف الأوربية من الغزوات والمحاولات الاستعمارية المنافسة لها .

### البرتغاليون والخليج :

بالرغم من أن عدداً من المصادر والدراسات الأوربية تشير إلى أن البرتغاليين استهدفوا من رحلة فاسكو دي جاما ، ومن غيرها من الرحلات البرتغالية المتشابهة التي جاءت قبلها أو جاءت بعدها ، الإسهام في حركة الكشف الجغرافية، التي يدعون بأنها تمثل حركة علمية تهدف إلى إثراء الإنسانية بالمزيد

من المعلومات عن العالم الذى نعيش فيه<sup>(٤٣)</sup> ، إلا أن الأحداث والشواهد التاريخية التى أعقبت تلك التحركات تدل على غير ذلك ، وتثبت أن البرتغاليين استهدفوا من تحركاتهم هذه غايات أبعد من ذلك الهدف الظاهرى . ذلك أنه يبدو أن تحركاتهم خارج أوربا وصوب الشرق كانت بداية لمرحلة جديدة فيما يعرف باسم نيول الحروب الصليبية ، حيث وضعت تلك التحركات البرتغالية المسار الجديد لتلك الانطلاقة الاستعمارية الصليبية الأوربية الموجهة ضد العالم الإسلامى آنذاك ، التى انتهت بتكجيل بلدان العالم بقيود الاستعمار عبر مرحلتين من مراحل الاستعمار ، سميت الأولى الاستعمار القديم ، وهى المرحلة التى برزت فيها البرتغال كواحدة من أعتى قواها الأوربية ، وسميت الثانية بمرحلة الاستعمار الجديد التى برزت فيها قوى أوربية أخرى كان لها نصيب الأسد من أوطان العالم الإسلامى العريض .

ومن خلال الشواهد التاريخية فإن الأهداف البرتغالية ، فى مرحلة الاستعمار القديم ، يمكن إيجازها بعدد من الأهداف المحصورة بين الأهداف الصليبية ، والاستعمارية السياسية ، والاقتصادية .

أما الأهداف الصليبية فقد برزت حين اعتبر البرتغاليون أنفسهم جنوداً للصليب فى محاربة المسلمين ، والتتسيق فى ذلك بينهم وبين نصارى الحبشة ، والدعوة لنشر التصير فى أراض جديدة ، وإصرارهم على تثبيت شارة الصليب فى سائر المباني التى يقيمونها أو يستولون عليها ، والتماسهم من البابا أن يسميهم سادة الفتوح لبلاد الكفار ( المسلمين ) ، وقيامهم بالتمثيل بمن يقع فى أيديهم من أسرى المسلمين برسم شارة الصليب على أجسادهم ، وجذع أنوفهم ، وبقر بطون الحوامل ... إلى غير



ذلك من الأعمال التي تدل في مجملها على تطرف الروح الصليبية التي كانت توجه تلك التحركات البرتغالية في ذلك الوقت<sup>(٤٤)</sup> .

كذلك برزت الأهداف الاستعمارية السياسية من خلال بعض التطبيقات العملية التي تدل على تخطيط البرتغاليين للاستقرار الطويل في المناطق التي توجهوا إليها ، مثل إنشاء القواعد والقلاع الحربية فيها ، وإنشاء منصب نائب الملك في الهند عام ٩١١هـ / ١٥٠٥م في خطوة مهمة لتأسيس امبراطورية برتغالية استعمارية في آسيا وأفريقية<sup>(٤٥)</sup> .

أما الأهداف الاقتصادية فتتضح من حرص البرتغاليين على ضرب المسلمين ، بالسعى لإيجاد طرق تجارية جديدة تغنيهم عن الطرق التجارية التقليدية بين الشرق والغرب والتي كانت تقع تحت سلطة المسلمين ، كذلك حرصهم على الإفادة من موارد الشرق ، خاصة تجارة التوابل التي كانت تمثل التجارة الرائجة في ذلك الوقت<sup>(٤٦)</sup> .

وقد نجح البرتغاليون في تحقيق كثير من أهدافهم تلك ، خاصة حينما توجهوا تحركاتهم بعبور طريق رأس الرجاء الصالح لينفتح الطريق أمامهم للوصول إلى أطراف العالم الإسلامي في الشرق بعيداً عن قلب العالم الإسلامي ودفاعاته ، وعلى تلك الأسس كانت تحركات البرتغاليين في الخليج خطوة مرحلية مهمة في حركتهم الاستعمارية الكبرى في مشرق العالم الإسلامي . منتقلين من مكان إلى آخر .

وقد اعتبر نجاح البرتغاليين في السيطرة على هرمز عام ٩١٣هـ / ١٥٠٧م نقلة مهمة في تاريخ الغزو البرتغالي للمنطقة ، نظراً لأهميتها السياسية والاستراتيجية والاقتصادية<sup>(٤٧)</sup> ، حيث اتخذها البرتغاليون مقراً لإدارة شؤونهم في الخليج وقاعدة للانطلاق إلى مناطق الخليج الأخرى<sup>(٤٨)</sup> التي بدأت تتساقط الواحدة تلو الأخرى أمام الزحف البرتغالي الذي لم يتوقف إلا عام ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م ،

حين تحتمت المواجهة بينهم وبين العثمانيين لتدخل المنطقة فى مرحلة تاريخية جديدة من مراحل الصراع الدولى فى الخليج<sup>(٤٩)</sup> .

### العثمانيون والبرتغاليون فى الخليج :

كانت دولة سلاطين المماليك قد حملت لواء الدفاع عن بلاد العالم الإسلامى فى بعض مناطق التحركات البرتغالية فى العالم الإسلامى ، لا سيما فى منطقة البحر الأحمر . وقد أدت تلك الوقفات المملوكية دوراً فاعلاً فى صد المحاولات البرتغالية للوصول إلى المناطق الواقعة بالقرب من المقدسات الإسلامية فى الحجاز ، ولذلك كان لسقوط دولة المماليك عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م أصداء بعيدة فى شتى أنحاء العالم الإسلامى تخوفاً من وقوع المسلمين فريسة فى أيدي النصارى . ويبدو أن تلك المخاوف سرعان ما تبددت حينما فرض العثمانيون أنفسهم على الساحة قوة رئيسة لحمل لواء الدفاع عن أراضى المسلمين ومقدساتهم ؛ بل وحمل لواء الجهاد إلى داخل أوروبا الصليبية ليصل الإسلام وممتلكاته إلى أراض جديدة لم تكن ضمن ممتلكات المسلمين من قبل<sup>(٥٠)</sup> .

فى شرق العالم الإسلامى كان سقوط دولة المماليك تكليفاً وإذناً للعثمانيين أن يواصلوا دور المماليك وأن يتولوا أمر الدفاع عن مقدسات المسلمين وأراضيتهم ، خاصة وقد دانت لهم بلاد الشام ومصر والحجاز وبعض مناطق اليمن . وكانت المواجهة بين الطرفين قد تمت فى البداية فى مناطق البحر الأحمر ، إلا أن طبيعة الصراع واستراتيجياته الحربية تطلبت أن لا يتوقف العثمانيون عند ذلك الحد ، بل إن المصلحة كانت تقتضى متابعة فلولهم شرقاً . وهكذا كانت المواجهة الحقيقية بين العثمانيين والبرتغاليين فى الخليج قد حدثت عام ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م حينما جهز السلطان العثمانى أسطولاً ضخماً بقيادة سليمان باشا حاكم مصر الذى تابع البرتغاليين فى البحر الأحمر ثم تعقبهم فى الخليج إلى أن وصل بالقرب من مسقط<sup>(٥١)</sup> .

وشهدت الساحة بعد ذلك مرحلة كروفر بين العثمانيين والبرتغاليين ، لم تحسم فيها الغلبة لأى منهما ، وإن كان من ثمارها تعطيل المد البرتغالى إلى شمال الخليج وحصره فى نطاق قواعد ومناطق محدودة من الخليج ، وإعلان كثير من الحكام المحليين فى الخليج ولاءهم للسلطان العثمانى الذى خلع عليهم لقب سنجق بك<sup>(٥٢)</sup> .

وبمعنى آخر فإن تلك التحركات العثمانية فى الخليج وإن لم تكن حاسمة فى مسألة الصراع العثمانى البرتغالى إلا أنها كانت تمثل المسمار الأول فى نعش الوجود البرتغالى فى الخليج الذى بدأ يتضاءل بعد ذلك شيئاً فشيئاً، خاصة بعد حالة الوهن التى أصابت البرتغاليين بعد أن خضعت البرتغال لأسبانيا عام ١٥٨٠م<sup>(٥٣)</sup> .

وقد استمرت حالة الضعف البرتغالى تتزايد يوماً بعد يوم إلى أن انتهى الوجود البرتغالى فى الخليج بسقوط قاعدتهم فى هرمز عام ١٠٣١هـ / ١٦٢٢م على إثر التحالف الإنجليزى الصفوى<sup>(٥٤)</sup> ، الأمر الذى أدى إلى تغير مراكز القوى وأدخل المنطقة مرحلة تاريخية جديدة من مراحل التنافس الدولى فى الخليج زاد من حدتها دخول أطراف أخرى جديدة مثل الهولنديين والفرنسيين الذين خاضوا مرحلة صراع على السيادة ضد الإنجليز .

### الهولنديون والخليج :

لم يتح تخلص الإنجليز من البرتغاليين الفرصة لهم بالانفراد على الساحة فى الخليج ، وفى الوقت الذى كانت البوادر تشير إلى نهاية البرتغاليين فإنها من جانب آخر كانت تعلن عن قدوم قوة أوربية عاتية ، وكان الهولنديون هم هذه القوة الذين دلفوا إلى ساحة الصراع بكل قوة .

فبعد انتهاء السيطرة الأسبانية على هولندا عام ١٠٠٤هـ / ١٥٩٥م اتجه الهولنديون لتطوير بلادهم لتكون دولة بحرية وتجارية كبرى<sup>(٥٥)</sup> . وكان من ذلك

تأسس شركة الهند الشرقية الهولندية The Dutch East India Company عام ١٠١٠هـ/١٦٠٢م . وطبقاً لقانون التجارة الهولندي فإن التجارة الهولندية في الشرق كانت مقصورة على تلك الشركة التي أصبحت المنافس الرئيسى للبرتغاليين في تجارة التوابل في الشرق<sup>(٥٦)</sup> . وعن طريق شركة الهند الشرقية الهولندية انطلق الهولنديون في الخليج حيث أنشأوا محطة تجارية في بندر عباس عام ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥م ليدخلوا في مرحلة تنافس مع الإنجليز الذين كانوا قد دخلوا إليها حديثاً<sup>(٥٧)</sup> .

وعلى الرغم من حدة التنافس الهولندي الإنجليزي في بندر عباس إلا أن المركز الهولندي كان أكثر فعالية ونجاحاً من المركز الإنجليزي ، مما أعطى الهولنديين فرصة في التوسع في تجارة التوابل من الشرق الأقصى في الوقت الذي لم تحقق الشركة الإنجليزية فيه نجاحاً مماثلاً<sup>(٥٨)</sup> . وتعزو المصادر الإنجليزية تلك النجاحات الهولندية في الشرق عموماً وفي الخليج خاصة إلى استخدام الهولنديين أسلوب الترغيب والترهيب . وهكذا دفع الهولنديون رشوة لاستمالة السلطات المحلية، ودفعوا أعلى الأثمان لشراء السلع الفارسية في محاولة لسحب البساط من تحت أقدام الإنجليز . وفي الوقت نفسه استخدم الهولنديون أسلوب القوة لفرض بعض الشروط التجارية من جانب آخر مما اضطر الشاه إلى الموافقة على شروطهم التي كان من أبرزها رخصة شراء الحرير في أي جزء من فارس مع تصديره معفاً من الجمارك<sup>(٥٩)</sup> . وقد ساعدهم في تطبيق تلك السياسات الدعم القوي من الحكومة الهولندية على عكس الحكومة الإنجليزية التي يبدو أنها تركت الشركة الإنجليزية تعتمد على نفسها في تلك المرحلة<sup>(٦٠)</sup> .

ونتيجة للتفوق الهولندي في فارس اضطر الإنجليز إلى مغادرة بندر عباس والرحيل إلى البصرة ، ولم يأت عام ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م إلا وكان النفوذ الهولندي في الخليج قد بلغ أعلى درجاته . وتوج الهولنديون موقفهم بطرد البرتغاليين من مسقط عام ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م ، وبانتصاراتهم على الساحة الأوربية في حروبهم

مع الإنجليز عام ١٠٦٣هـ / ١٩٥٣م ، مما أصاب التجارة الإنجليزية في الخليج بشلل شبه تام جعلهم يفكرون في البحث عن موطئ قدم آخر بعيداً عن الهولنديين .

وعلى العموم لم يتمكن الإنجليز من النهوض من تلك الصدمة والتخلص من حالة الضعف أمام الهولنديين إلا بقدوم الفرنسيين إلى الساحة ليعود بذلك التوازن النسبي مرة أخرى بين الدول الأوروبية سواء في أوروبا أم خارجها ، وليدخل الخليج مرحلة تاريخية أخرى جديدة من مراحل التنافس الأوربي للسيطرة على ذلك الإقليم<sup>(٦١)</sup> .

ومع تزايد الصراع الحربي بين فرنسا من جهة وهولندا وأسبانيا من جهة أخرى وفقدان الفريق الأخير قطعاً عديدة من أساطيله التي دمرها الفرنسيون ، اضطر الهولنديون إلى الارتقاء في أحضان الإنجليز وعقدوا معهم معاهدة سلام في عام ١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م لتوحيد الجهود أمام الفرنسيين<sup>(٦٢)</sup> . ولم يأت عام ١١٠١هـ / ١٦٨٨م إلا وقد أصبحت المصالح الهولندية في أوروبا خاضعة للمصالح الإنجليزية ، وبدأ الهولنديون بذلك يفقدون مراكز نفوذهم في الخليج تدريجياً لصالح شركة الهند الشرقية الإنجليزية<sup>(٦٣)</sup> . واعتبرت الزيارة التي قام بها الشاه لمقر الوكالة الإنجليزية في أصفهان عام ١١١١هـ / ١٦٩٩م تتويجاً محلياً وإقراراً بالتفوق الإنجليزي على الهولنديين<sup>(٦٤)</sup> ، لا سيما بعد أن فشل الهولنديون في إقناع الشاه بالقيام بزيارة مماثلة لمقر وكالتهم في بندر عباس ، بل زاد الطين بلة حين أمر بإيقاف العمل في بناء القلعة الهولندية التي كانت تحت الإنشاء آنذاك<sup>(٦٥)</sup> .

وهكذا فقد تكاثرت الصعاب على الهولنديين بعد ذلك ، وبدأوا ينزحون تدريجياً عن المنطقة ويركزون وجودهم في جزيرة خارج خاصة ، فنجحوا في عقد اتفاقية استتجار لها مع حاكم ميناء ريق ، وبنوا قلعة فيها استعداد لمرحلة طويلة من الإقامة فيها . وشرع الهولنديون بعد ذلك في نقل معظم نشاطاتهم ووكالاتهم في

الخليج إلى الجزيرة ، ووضعوا خططاً طويلة المدى لمسح هوية الجزيرة العربية وتركيبتها السكانية بالعمل على توطين عدد من العوائل الصينية فيها<sup>(٦٦)</sup> . وبالرغم من كل ذلك إلا أن الهولنديين اضطروا في النهاية إلى مغادرة الجزيرة والخليج نهائياً في عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م ، والتوجه إلى مناطق شرق آسيا لعجزهم عن الوقوف أمام تحركات السلطات المحلية ، وضعفهم أمام النفوذ الإنجليزي المتزايد في المنطقة ، خاصة وأن المردود الاقتصادي من تلك النشاطات الهولندية في خارج لم يكن ليغطي النفقات التي أنفقت على تأمين الاستقرار<sup>(٦٧)</sup> وباضمحلال الوجود الهولندي وقبلة البرتغالي انحصر التنافس الأوربي في الخليج بين القوتين الكبيرتين فرنسا وإنجلترا ، فدخلتا في مرحلة صراع كانت الغلبة في النهاية للإنجليز على نحو ما سيأتي تفصيله لاحقاً .

### الفرنسيون والخليج :

عند مقارنة فرنسا بالدول الاستعمارية الأوربية الأخرى كالبرتغال وإنجلترا وهولندا فإننا نجد أنها قد تأخرت نسبياً في إقامة علاقات مع الشرق عامة والخليج خاصة . ذلك أن المحاولات الفرنسية الأولى لم تفلح في إقامة شركة تجارية للشرق على غرار الشركتين الإنجليزية والهولندية<sup>(٦٨)</sup> ، ولذلك ظل النشاط الفرنسي في الخليج والمحيط الهندي في بداياته محصوراً في بعض المناورات الشخصية المنبعثة من روح التنصير ، وإن كانت لا تخلو من بعض الأهداف السياسية<sup>(٦٩)</sup> .

وفي عام ١٠٧٥هـ / ١٦٦٤م تأسست شركة الهند الشرقية الفرنسية بناءً على مرسوم أصدره لويس الرابع عشر استجابة لنصيحة وزير ماليته كولبرت<sup>(٧٠)</sup> . ومن خلال هذه الشركة انطلق الفرنسيون في نشاطاتهم

الرسمية فى الشرق . وكانت مدغشقر المحطة الرئيسية الأولى للفرنسيين فى تحركاتهم تلك ، حيث اتخذوها قاعدة بعد أن غيروا اسمها إلى دوفين . ومن هناك أرسل الفرنسيون بعثات إلى فارس حصلوا من خلالها على بعض الحقوق التجارية ، مثل التصريح بافتتاح وكالة فرنسية فى بندر عباس عام ١٠٧٨هـ / ١٦٦٧م وحق الإعفاء من الرسوم التجارية لمدة ثلاث سنوات<sup>(٧١)</sup> . وبالرغم من ذلك فقد ظل النشاط الفرنسى محدوداً ، ويصف أحد التقارير حالة الفرنسيين فى بندر عباس آنذاك بقوله : « الفرنسيون فى هذا الميناء كشأنهم فى كل مكان آخر ليس لهم عمل يعملونه ، ولولا ما يحصل عليه مترجمهم هناك من ربح من تجارة الهند لما استطاعوا تدبير قوتهم .. »<sup>(٧٢)</sup> .

وكان من أسباب ضعف الفرنسيين الموقف الأوروبى الموحد ضدهم داخل أوربا ؛ وما تم من حلف بين هولندا وإنجلترا مما أدى إلى تدهور الأوضاع الفرنسية ليس فى أوربا فحسب بل وفى مناطق وجودها خارج أوربا مثل الخليج ، لدرجة أنهم اضطروا إلى إغلاق وكالتهم فى بندر عباس عام ١١٣٥هـ / ١٧٢٢م<sup>(٧٣)</sup> .

واستمر نشاط الفرنسيين محدوداً إلى أن أعيد افتتاح الوكالة الفرنسية فى بندر عباس فى عهد نادر شاه عام ١١٤٨هـ / ١٧٣٥م حينما استطاعت فرنسا أن تسترد أنفاسها ، وأن تحيى نشاطاتها التجارية عقب الخسائر التى لحقت بها . ورغم الامتيازات التى أعطيت للفرنسيين فى بندر عباس إلا أن نشاطهم كان محدوداً . ويعود السبب فى ذلك إلى تحالف الهولنديين والإنجليز ضدهم خوفاً من منافستهم فى المنطقة<sup>(٧٤)</sup> .

وبعد أن استقرت أحوال الفرنسيين في بندر عباس بدأوا في مد نشاطهم إلى غيرها من مناطق الخليج ، فافتتحوا وكالة تجارية في البصرة تزامناً مع افتتاح قنصليتهم فيها عام ١١٥٢هـ / ١٧٣٩م<sup>(٧٥)</sup> . ويبدو أن الوضع في البصرة لم يكن أحسن حالاً منه في بندر عباس لدرجة أن المقيم الفرنسي في البصرة قد اضطر لترك وظيفته في الميناء حين تأخرت مخصصاته المالية عام ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م ، ولم يتم تعيين مقيم بدلاً عنه إلا في عام ١١٦٩هـ / ١٧٥٥م<sup>(٧٦)</sup> . وفي تلك الفترة كان التنافس الأوربي في الخليج على أشده ، حيث بلغ حد الصراع الحربي بين تلك الدول . وكان ذلك انعكاساً لحالة التنافس بين هذه الدول داخل أوربا نفسها فلم تكن حرب السنوات السبع مثلاً والتي اشتعلت بين فرنسا وإنجلترا عام ١١٧٠هـ / ١٧٥٦م قاصرة على ساحات القتال في أوربا بل توسعت لتشمل ممتلكات ومناطق نفوذ البلدان خارج أوربا بما في ذلك منطقة الخليج<sup>(٧٧)</sup> .

ومن أمثلة ذلك ما حدث في بندر عباس عام ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م حينما قامت أربع قطع من الأسطول الفرنسي متسترة بالأعلام الهولندية بالهجوم على الوكالة الإنجليزية في بندر عباس وأجبرتها على الاستسلام بموجب معاهدة وقعت بين الطرفين<sup>(٧٨)</sup> ، مما اضطر الإنجليز إلى نقل وكالتهم إلى البصرة في العام نفسه<sup>(٧٩)</sup> . وكان خروج فرنسا خاسرة في حرب السنوات السبع يعنى قلب الموازين مرة أخرى لصالح بريطانيا . حيث تنازلت فرنسا بموجب اتفاقيات الصلح عن سائر ممتلكاتها في الهند لصالح بريطانيا .

وبعد أن استقرت الأحوال في فرنسا وأفاقت من صدمتها عادت من جديد للعمل على استرداد ما فقدته من ممتلكات ، وأخذوا يعدون العدة



ويضعون الخطط لرحلة الإنجليز عن تلك الممتلكات والحلول مكانهم . وكانت الخطة الفرنسية ترمي إلى استرداد مناطقهم في الهند باعتبارها مفتاح الشرق ولب كنوزه . وجرت الخطة على البدء في المناطق التي تعتبر مفتاحاً للهند<sup>(٨٠)</sup> .

وكانت الخطوات العملية لذلك قد بدأت بالعمل الجدى على إقامة العلاقات الفرنسية العمانية ، وكانت التحركات الفرنسية تتم عن طريق قنصلها في بغداد ووكلائها في جزر المورشيوس<sup>(٨١)</sup> . ولحرص الفرنسيين على توطيد العلاقات مع مسقط فقد بادروا إلى تقديم اعتذارهم لعمان حينما ساءت العلاقة بين الطرفين عام ١١٩٥هـ / ١٧٨١م إثر حادثة احتجاز السفينة الفرنسية في مسقط<sup>(٨٢)</sup> .

وهكذا سار الفرنسيون في محاولاتهم لإرساء قواعدهم في الخليج تدريجياً وبأساليب هادئة كي لا تثير منافسيهم الإنجليز . وفاز الفرنسيون عام ١١٩٩هـ / ١٧٨٥م بعقد اتفاقية تجارية مع مسقط أتاحت للفرنسيين فتح وكالة تجارية لهم فيها<sup>(٨٣)</sup> في الوقت الذي رفض السلطان العماني طلباً إنجليزياً مماثلاً . ويفسر بعض المؤرخين قبول سلطان مسقط عقد الاتفاقية وفتح الوكالة بأن المردود التجاري المتوقع سيكون لصالح عمان حيث اشترط أن يكون امتياز نقل البضائع بين الخليج والمستعمرات الفرنسية مقصوراً على السفن العمانية<sup>(٨٤)</sup> .

ومع ازدياد التنافس الدولي بين بريطانيا وفرنسا ونشوب حرب جديدة بينهما عام ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م زادت فرنسا من تعلقها بالخليج ونظرت إليه نظرة جديدة باعتباره قاعدة مهمة في حالة قيامها بحملة على الهند ؛ الدرة البريطانية في الشرق . وفي الوقت الذي أرسلت بعثة إلى فارس لاكتشاف

المزيد عن الطرق إلى الهند قامت فرنسا بإنشاء قنصلية لها في مسقط ، وعينت للمنصب بوشمان وهو أحد الجغرافيين الذين كانوا على اطلاع بالعالم العربى وبالطرق إلى الهند . وجاء فى التعليمات إليه :

« إن قنصلية مسقط إنما أنشئت للتجسس على حركة الإنجليز فى الهند بدراسة الأحوال الداخلية فى هذه البلاد ، وكذلك دراسة الطرق التى يمكن أن يستخدمها غزو فرنسى للشرق»<sup>(٨٥)</sup> .

ويبدو أن بوشمان فشل فى مهمته حينما عجز عن الوصول إلى مسقط . ويعود السبب فى ذلك إلى مروره بالأستانة لاستئذان العثمانيين فى أمر تعيينه<sup>(٨٦)</sup> ، ومن ثم تأخره فى الوصول إلى مسقط قبل الحملة الفرنسية النابليونية على مصر والتى أدت إلى ردود فعل العالم العربى والإسلامى ضد فرنسا والفرنسيين ألقت بظلالها على تحركات بوشمان<sup>(٨٧)</sup> ، وكان أقصى ما تمكن بوشمان من تحقيقه هو الفرار من حلب إلى مصر<sup>(٨٨)</sup> . أما عن الخطوة الفرنسية باستطلاع الطرق إلى الهند عبر فارس فلم تسفر هى الأخرى عن نتائج إيجابية تذكر عدا بعض التوصيات التى قدمها أفراد البعثة إلى الحكومة الفرنسية ، مثل توصيتهم باستخدام السفن الفرنسية لنقل البضائع فى الخليج ، والتوصية بنقل الممثل الفرنسى من بغداد إلى البصرة للإشراف على العمليات التجارية فى الخليج عن قرب ، والتوصية بتجنب تنفيذ أية عمليات حربية فى جزيرة خارج عزلتها<sup>(٨٩)</sup> .

وهكذا يمكن القول باختصار أن تلك التحركات الفرنسية فى الشرق عامة وفى الخليج خاصة لم يكتب لها الثبات ولا النجاح . ولعل السبب الرئيسى فى ذلك يعود فى المقام الأول إلى التحركات الإنجليزية ضد الفرنسيين فى الشرق والتى كان لها دور ليس فى إفشال تلك التحركات

الفرنسية فى الخليج فحسب بل وفى تثبيت الأقدام الإنجليزىة فى الخليج على نحو ما سياتى تفصيله لاحقاً .

### بريطانيا والخليج :

ارتبط تاريخ العالم الإسلامى فى العصر الحديث فى كثير من المواقع بالوجود البريطانى ، حيث شكل الغزو البريطانى لبلدان العالم الإسلامى ، بصوره المختلفة ، الكثير من الأحداث والتغيرات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والتى تركت ، فى مجملها ، بالتضافر مع عوامل أخرى داخلية وخارجية ، أثراً بارزاً على تاريخ كثير من بلدان العالم الإسلامى فى العصر الحديث ، بل ربما كان ذلك الأثر ظاهراً على الهوية الإسلامية والعربية لهذه البلدان ، الأمر الذى قادهم فى آخر المطاف إلى أن يصبحوا أمة ممزقة مهانة ، تقبع فى ذيل الأمم بعد أن كانوا فى يوم من الأيام هم قادة الركب فى العالم .

وتعتبر منطقة الخليج أولى مناطق العالم العربى ، فى جسم الأمة الإسلامية ، التى عملت بريطانيا على إخضاعها . وقد تنوعت وتطورت المصالح البريطانية فى الخليج يوماً بعد آخر ، مما جعلها تصر على البقاء فى المنطقة أطول مدة ممكنة ، وتستमित فى سبيل ذلك ، إلى أن اضطرت فى النهاية أن تغلب مصلحة الانسحاب على مصلحة البقاء ، ومن ثم فلا غرابة أيضاً إن كانت منطقة الخليج هى آخر منطقة فى البلدان العربية انفرج عنها هذا الكابوس ولو ظاهرياً .

وعلى العموم فإن التحركات الإنجليزية الاستعمارية تعود إلى وقت مبكر فى العصر الحديث ، وبالتحديد إلى عام ٩٩٧هـ / ١٥٨٨م حينما حققت إنجلترا انتصاراً حريياً على الأسطول الأسباني فى معركة الأرمادا

التي حققت للإنجليز قدراً كبيراً من الأمن القومي لينطلقوا بعد ذلك في مرحلة المغامرات والنشاط البحري والتجاري شرقاً وغرباً<sup>(٩٠)</sup> .

وكانت التحركات البريطانية في الشرق خلال تلك المرحلة قد بدأت على شكل تحركات شخصية يقوم بها بعض التجار في مناطق الهند ، ويبدو أن تلك الخطوات كانت عديمة الفائدة ، إذ لم تؤد إلى نتائج تذكر في تثبيت النفوذ الإنجليزي إلا في مطلع القرن السابع عشر ، أي بعد تأسيس الشركة الإنجليزية الشرقية<sup>(٩١)</sup> .

ففي عام ١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠ م توج الإنجليز خطواتهم في الشرق بتأسيس شركة الهند الشرقية الإنجليزية بموجب مرسوم ملكي من الملكة إليزابيث Elizabeth كان عبارة عن وثيقة رسمية تمنح الشركة الحق المطلق في احتكار التعامل التجاري في الشرق للشركة باسم & The Governor Company of Merchants of London Trading to The East Indies<sup>(٩٢)</sup> « رئيس وأعضاء شركة لندن للتجار المتاجرين في جزر الهند الشرقية » . وهي ما عرف اصطلاحاً باسم « شركة الهند الشرقية الإنجليزية »<sup>(٩٣)</sup> . ومنذ ذلك الحين انطلقت الشركة تحت حماية أسطولها الخاص بها ودخلت في تنافس محموم في الشرق مع من سبقها أو من لحقها من الدول الأوروبية الأخرى المنافسة ، لترعى المصالح البريطانية في تلك المناطق بمختلف مستوياتها الاقتصادية والسياسية ، وتتوسع ميادينها في آسيا بحيث أصبحت هي الممثل والراعي الرسمي لمصالح بريطانيا خلال قرنين ونصف ، أي خلال القرنين السابع والثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر .

وكانت الهند هي الميدان الأول للتنافس الإنجليزي البرتغالي في الشرق ويبدو أن بداية النهاية للبرتغاليين قد بدأت حين استطاع الإنجليز أن يمتدوا

لأنفسهم وأن يضعوا لهم موطئ قدم قوية فيها ، خاصة حينما نجحوا فى تأسيس وكالة لهم فى سورات عام ١٠٢٢هـ / ١٦١٣م<sup>(٩٤)</sup> . ومن سورات فى الهند انطلقت التحركات الإنجليزية فى الخليج بحثاً عن الأسواق والموارد الاقتصادية . وبدأت العلاقات الرسمية بين الشركة وحكومة فارس عام ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م حينما أصدر الشاه فرماناً أعطى الإنجليز ، ممثلين بالشركة ، الحق بتأسيس وكالة لهم فى جاسك<sup>(٩٥)</sup> ، ثم فى أصفهان وشيراز عام ١٠٢٦هـ / ١٦١٧م ، ومنذ ذلك الحين أخذ الإنجليز يعملون على تثبيت أقدامهم فى المنطقة ، ودخلوا فى سبيل ذلك فى صراع مع القوى الأوروبية الأخرى التى سبقتهم إلى المنطقة ، مثل البرتغاليين والهولنديين ، والقوى التى لحقتهم فيها مثل الفرنسيين ، وقد سبق الحديث عن جزء من أحداث تلك المرحلة عند الحديث عن أوضاع البرتغاليين والهولنديين فى الخليج . كما دخل الإنجليز فى الوقت نفسه فى صراع آخر مع القوى المحلية فى الخليج بشقيه الفارسي والعربي . ولم ينته القرن التاسع عشر إلا وقد استطاع الإنجليز أن يتفوقوا على جميع تلك القوى الدولية منها والمحلية وأن يكونوا أصحاب السيادة فى الخليج لا سيما وقد نجحوا فى إجبار القوى المحلية الواحدة تلو الأخرى على توقيع معاهدات الحماية مع بريطانيا ، تلك المعاهدات التى سميت من جانب آخر بالمعاهدات المانعة لأنها أوقفت المنطقة أمام القوى الدولية الأخرى وحصرت السيادة فيها للبريطانيين وحدهم .

## المبحث الرابع

### السيطرة البريطانية على الخليج

#### أولاً : دوافع السيطرة وعوامل النجاح فى فرضها :

لم يكن التفوق البريطانى فى الخليج وليد الصدفة أو نابعاً من فراغ ، بل أن ذلك كان ثمرة للتخطيط والعمل المتواصل من البريطانيين لتحقيق تلك الغاية ، وقد ساعدهم لبلوغ أهدافهم عدد من الأمور التى تراوحت ما بين عوامل كانت دافعة للبريطانيين على الإصرار والمضى قدماً فى سبيل تحقيق أهدافهم ، أو عوامل أخرى يسرت لهم التفوق على تلك القوى ومن ثم تحقيق السيطرة على الخليج .

• وكان من أبرز تلك العوامل : تنوع المصالح البريطانية فى الخليج وتجديدها ، وتفوق القوة البحرية لبريطانيا مع استخدام أسلوب الترغيب والترهيب ، وحسن وضبط التنظيم الإدارى البريطانى فى الخليج ، وضعف الجبهة الداخلية وتنازعها مع استخدام سياسة فرق تسد ، وفشل الدول الاستعمارية الأخرى ، ضعف الدولة العثمانية فى الخليج ، ثم أخيراً نجاح بريطانيا فى سياسة التحالفات وعقد المعاهدات .

وسنعرض فيما يلى لهذه العوامل وأثرها فى نجاح بريطانيا فى تحقيق أهدافها فى السيطرة على منطقة الخليج .

#### ١ - تنوع المصالح البريطانية وتجديدها فى الخليج :

كان تنوع وتجدد المصالح البريطانية فى الخليج عاملاً مهماً من العوامل التى دفعت بريطانيا فى التوجه إلى الخليج ومن ثم دفعتها إلى الإصرار على تحقيق التفوق والاستقرار فيه لفترة طويلة لرعاية تلك

المصالح المتنوعة والمتجددة . وقد تركزت المصالح البريطانية فى البداية  
بجانبين :

الجانب الأول : جانب اقتصادى يتمثل فى رغبة البريطانيين الاستفادة من  
أسواق منطقة الخليج وما حولها فى تسويق المنتجات التى كان البريطانيون  
يتاجرون بها ، أو استغلال ما فى منطقة الخليج من مقدرات وموارد  
اقتصادية فى ذلك الوقت ، والتى يأتى فى طبيعتها اللؤلؤ والحريز .

وكان الجانب الثانى فى ذلك الوقت هو الجانب الأمنى الاستراتيجى  
والذى يتمثل فى حرص بريطانيا على حماية الهند وهى درة التاج البريطانى  
فى الشرق ، وذلك باتخاذ الخليج خطا دفاعيا متقدما للدفاع عن ممتلكاتها فى  
الهند ؛ أى اعتبار الخليج الخط الذى يجب أن تتكسر عنده أية محاولة دولية  
منافسة للوصول إلى الهند درة المستعمرات البريطانية .

وعلى مدى القرن التاسع عشر تضاعفت أهمية هذين العاملين السابقين  
وأضيف إليهما عامل آخر لا يقل عنهما أهمية ، وهو الموقع الاستراتيجى  
المهم للخليج بالنسبة للمصالح البريطانية المتجددة فى تلك الفترة ، وبخاصة  
حين أصبح الخليج بسواحله حلقة مهمة وخيارا عمليا وحيدا فى السلسلة  
التلغرافية ؛ الذى تستطيع بريطانيا من خلاله أن تصل مستعمراتها فى الشرق  
بالوطن الأم بريطانيا بشبكة من الاتصالات التلغرافية التى نشطت بريطانيا  
فى مدها آنذاك ، فعمدت إلى عقد عدد من المعاهدات الخاصة بالتلغراف  
وحماية منشآته مع عدد من دول المنطقة . وبالإضافة إلى ذلك فقد ازدادت  
أهمية الخليج للبريطانيين قبيل نهاية القرن مع تطور وسائل النقل البحرى بعد  
استخدام السفن البخارية فى النقل .

وأمام هذه المتغيرات والمستجدات ولمواكبة التطورات كانت التحركات البريطانية متجددة في محاولة واضحة منهم لاستغلال موانئ الخليج وبعض الجزر الخليجية مستودعات ومحطات لتزويد السفن البخارية بالفحم ، كما أصرت بريطانيا على التمسك في موقفها المتفوق في الخليج ، وعقدت معاهدات جديدة تحقق تلك المصالح وتضمن تسييرها ، مثل اتفاقيات التلغراف واتفاقيات الحماية وغيرها .

وفي القرن العشرين أضيف إلى تلك العوامل السابقة عوامل أخرى جديدة ضاعفت من إصرار بريطانيا على التمسك بزم الأمور في الخليج ، والرفض القاطع لمحاولات التدخل الدولية من جديد ، والوقوف بحزم أمام تلك المحاولات الدولية باتخاذ أي موطئ قدم في الخليج ، وكان على رأس تلك العوامل الجديدة العامل الاقتصادي باكتشاف النفط وإنتاجه في الخليج ، والعامل الاستراتيجي حين أصبح الخليج منطقة ترانزيت مهمة في طرق المواصلات الجوية بين الشرق والغرب ، وأمام تلك العوامل المتجددة والمتنوعة لم يكن مستغرباً أن تصر بريطانيا على البقاء في الخليج أطول فترة ممكنة وأن يكون الخليج آخر المناطق العربية التي نزع عنها الاستعمار البريطاني ولو ظاهرياً .

### ثانياً : فشل الدول الاستعمارية الأخرى :

قيل في الأمثال : « مصائب قوم عند قوم فوائد » . وسبق القول أن دولاً أوروبية استعمارية أخرى نافست بريطانيا في محاولات السيطرة على المنطقة ، مثل البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين ، ورأينا أن الفشل في الاستقرار في المنطقة واستعمارها كان ملازماً لتلك الدول الأوروبية ، مقارنة بالنجاح الذي حققه البريطانيون فيما بعد .



ويبدو أن فشل تلك الدول الاستعمارية في سياساتها في الخليج كان عاملاً مهماً في تحقيق التفوق البريطاني في الخليج ، حيث كانت فائدة بريطانيا في هذا الجانب مزدوجة ؛ فمن ناحية كان فشل الدول الأوربية الأخرى في السيطرة والاستقرار في الخليج قد أتاح فرصة أكبر لبريطانيا لتواصل سياستها المرسومة والراسخة في السيطرة على المنطقة .

ومن جانب آخر فإن سياسة العنف والبطش التي صاحبت تحركات بعض تلك الدول في المنطقة قد ولد لدى القوى والشعوب المحلية شعوراً بالكراهية والتفوذ ضد الدول الأوربية الأخرى ، وهذا بدوره جعل الفرصة متاحة أمام بريطانيا للدخول في أحلاف واتفاقيات مع القوى المحلية ، ليس رغبة في البريطانيين بقدر ما كانت محاولة منهم للتخلص من حالات الجور والظلم التي تعرضوا لها من تلك الدول الأوربية الأخرى .

وعلى صعيد آخر في مجال التنافس الأوربي وحركات الصراع بين هذه الدول ، يبدو أن آثار الصراع في الميدان الأوربي بين هذه الدول قد انعكست على سير الأوضاع العامة في المستعمرات الأوربية خارجها . فالصراع الحربى بين فرنسا وهولندا وأسبانيا في أواخر القرن السابع عشر كان يصب في مصلحة بريطانيا التي استطاعت أن تعيد توازنها في الخليج بعد أن أصبحت المصالح الهولندية في أوربا خاضعة للمصالح الإنجليزية ، مما جعل الهولنديين يفقدون مراكزهم في الخليج تدريجياً لصالح الإنجليز .

وكذلك فإن خروج بريطانيا منتصرة في حرب السنوات السبع مع فرنسا ( ١٧٥٦ - ١٧٦٣م ) مثلاً ، كان له دور في تفوق بريطانيا في المشرق ، حيث تنازلت فرنسا بموجب معاهدات الصلح الموقعة في باريس عن جميع ممتلكاتها في شبه الجزيرة الهندية<sup>(٩٦)</sup> .

وهذا بدوره زاد من قوة البريطانيين فى الخليج ، حيث خلا الميدان لهم تدريجيا لإحكام قبضتهم عليه نتيجة لضعف القوى الأوربية الأخرى المنافسة لهم ، وهكذا فإن أى تفوق للبريطانيين فى أوربا كانت آثاره تظهر سريعا على مسرح الأحداث فى المناطق التى كانت تتنافس عليها القوى الأوربية خارج أوربا .

### ثالثا : قوة بريطانيا البحرية :

اعتمدت بريطانيا فى تحركاتها الاستعمارية عامة على قوتها البحرية ، ولذلك كانت مستعمراتها إما مناطق بحرية أو شواطئ قريبة من البحار . وعن ذلك يقول بسمارك ، أحد القادة الألمان : « إن لبريطانيا جيشا لو أرسلت إليه الشرطة الألمانية لاعتقلته ، هذا فى الوقت الذى كانت بريطانيا تسيطر بأساطيلها على العالم » (٩٧) .

ويبدو أن الخليج لم يكن بمعزل عن هذا التميز والنهج الحربى البريطانى بحكم طبيعته الجغرافية ، حيث كان لبريطانيا منذ أن اتجهت إلى الخليج فيلق بحرى دائم فى الخليج . وكان أمر هذا الفيلق مسئولا عن الدفاع عن المصالح البريطانية فى الخليج وما حوله بشكل أو آخر عن طريق المقيم البريطانى فى الخليج أمام حكومة الهند البريطانية وبالتالى أمام الأسطول الهندى البريطانى ، أو أمام الأسطول الملكى البريطانى وبالتالى أمام الحكومة المركزية فى لندن (٩٨) .

ومن خلال استعراض مسيرة الصراع فى الخليج سواء بين القوى الاستعمارية نفسها أو بين هذه القوى والقوى المحلية ، يمكن القول بأن المصالح والنفوذ البريطانيين كانا يمثلان انعكاسا واضحا لمدى القوة البحرية البريطانية فى الخليج سلبا وإيجابا ، وأن البحرية البريطانية كان لها دور فى

ترجيح النفوذ البريطانى فى الخليج فى كثير من الأحداث ، وبالتالى فقد كان لها الكلمة الفصل فى فرض النفوذ البريطانى فى الخليج حين اضطرت القوى المحلية إلى الرضوخ للضغوط البريطانية وتوقيع معاهدات الحماية معها فى ظل تواجد القوة البحرية البريطانية وضغوطها<sup>(٩٩)</sup> .

#### رابعاً : التنظيم الإدارى البريطانى فى الخليج :

كان للتنظيم الإدارى لأجهزة الحكم والسياسة البريطانية فى منطقة الخليج دور مهم فى متابعة التخطيط والتنفيذ لتسيير السياسات البريطانية الرامية إلى تحقيق المصالح البريطانية فى الخليج وبالتالى النجاح فى فرض هيمنتهم على المنطقة .

وكان على رأس الهرم الإدارى البريطانى فى حكم هذه المنطقة نيابة عن الحكومة البريطانية فى لندن أو فى الهند ما يعرف اصطلاحاً باسم «المقيم البريطانى» أو «المعتمد البريطانى» الذى كان يدير الشؤون البريطانية من خلال ما يعرف اصطلاحاً باسم «المقيمة البريطانية» التى اتخذت من بوشهر على الساحل الفارسى للخليج موقعاً لها منذ عام ١٧٦٣م وظلت فى موقعها إلى أن انتقلت إلى البحرين فى عام ١٩٤٧م<sup>(١٠٠)</sup> .

ونظراً للمهام الإدارية والسياسية التى اضطلع بها المقيم ، فقد أطلق عليه بعض المؤرخين ( الملك المتوج فى الخليج ) دلالة على ما كان يتمتع به من مركز سياسى وحربى وإدارى كبير<sup>(١٠١)</sup> . وقد توزع وتغير ارتباط المقيم البريطانى إدارياً بالجهات الرسمية البريطانية بين فترة وأخرى ، تبعاً للتطورات الاستعمارية البريطانية ، وصدى أيضاً لتغير المصالح البريطانية سواء فى الهند أو فى الخليج ، وفى فترات ارتباط المقيم البريطانى فى الخليج بالأجهزة البريطانية فى الهند ، وفى أحيان أخرى بالحكومة المركزية فى لندن ، منتقلاً بين عدد من أجهزتها المختلفة ، مثل وزارة الخارجية ، ووزارة المستعمرات ، ووزارة الهند وغيرها .

أما من الناحية العسكرية فقد تنوعت علاقة المقيم بين الأسطول البريطاني في الهند والأسطول البريطاني في لندن . كما كانت ، في الوقت نفسه ، للمقيم البريطاني علاقات وارتباطات رسمية ، وتعاون وتنسيق مستمر مع الأجهزة البريطانية الرسمية المشابهة في طهران ، وبغداد ، والبصرة ، وعدن ، والقاهرة . إضافة إلى ذلك فقد كان للمقيم ارتباط بالأجهزة البريطانية المحلية المنتشرة في بلدان الخليج ، وتتلخص هذه الرابطة ، في قيام المقيم بالإشراف المباشر على إدارة هذه المكاتب البريطانية في بلدان الخليج حيث كان يتبع للمقيم عدد من الأجهزة والوكالات البريطانية أو الوطنية التي انتشرت في بلدان الخليج المختلفة والتي كانت تخضع لإشراف المقيم المباشر وإدارته وتكمل المهام الملقاة على عاتقه في هذه البلدان كجزء مهم من مسؤوليته الكبرى والأعم ، وهي القيام على رعاية المصالح البريطانية المتنوعة والمتجددة في المنطقة<sup>(١٠٢)</sup> .

### خامسا : ضعف الجبهة الداخلية وتنازعها :

من خلال ما سبق الحديث عنه في المبحث الثاني من هذا البحث عن تطورات التاريخ السياسى لبلدان الخليج خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادى يلحظ بأن التنازع والصراع بين البلدان بعضها بعضا ، أو النزاع بين القيادات داخل البلد الواحد كان سمة ظاهرة من سمات تاريخ المنطقة . كما لوحظ كذلك بأن الصراع الداخلى كان سببا رئيسيا فى الجبهة الداخلية وتفتتها فى وجه القوى الاستعمارية ، وعلى رأسها الاستعمار البريطانى الذى حقق من وراء ذلك خطوات واسعة للتمكين لنفسه فى الخليج .

ومما يبدو من تتبع تاريخ الوجود البريطانى وتحركاته فى المنطقة أن الساسة البريطانيين أفادوا من هذه الظاهرة فائدة كبيرة ووظفوها فى سبيل تمكين أقدامهم فى منطقة الخليج وزادوا فى إسعار نارها عن طريق سياسة « فرق تسد » التى

أجادوا رسم خططها وأحسنوا تنفيذ خيوطها بين القوى المحلية على مختلف مستوياتها .

وسنكتفى هنا بإيراد بعض الأمثلة التي توضح أثر هذا العامل ودوره في تمكين البريطانيين من التسلل إلى المنطقة ومن ثم ترسيخ أقدامهم فيها وفرض هيمنتهم عليها بعد ضرب القوى المحلية بعضها ببعض أو استغلال الخلافات فيما بينها بالوقوف إلى جانب طرف ضد الآخر في سبيل ضمان تحقيق المصالح البريطانية في المنطقة .

فمن الأمثلة على ذلك وقوف السلطة في عمان إلى جانب البريطانيين في حملاتهم ضد رأس الخيمة منذ مطلع القرن التاسع عشر إلى أن ضربت رأس الخيمة ووقعت معاهدة السلام العامة عام ١٨٢٠م . وكان الدافع وراء ذلك الموقف العماني الرغبة في كسب ود البريطانيين للوقوف إلى جانبهم في صراعهم مع بلدان الساحل العماني ، وفي تطلعاتهم للسيطرة على البحرين<sup>(١٠٣)</sup> . وتكررت المواقف العمانية الناتجة عن الصراع بين القوى المحلية أكثر من مرة خلال القرن التاسع عشر . وكان أبرز الأمثلة في ذلك استغلال بريطانيا الصراع بين أبناء السلطان سعيد بعد وفاته عام ١٨٥٦م في التعجيل بفصل أجزاء الدولة إلى شطرين : أفريقي مكون من زنجبار وما حولها ، وآسيوي مكون من البلد الأم عمان في الخليج<sup>(١٠٤)</sup> .

ومن الشواهد الأخرى لهذا العامل الأثر السلبي الذي خلفه الصراع بين بعض القوى المحلية في البحرين من أسرة آل خليفة ، ذلك النزاع الذي كان سبباً رئيسياً في ضعف الجبهة الداخلية وسقوطها في قبضة البريطانيين بإعلان التدخل والوقوف إلى جانب الشيخ علي بن خليفة ومن بعده الشيخ عيسى بن علي . وكان من أبرز الآثار لذلك أن اضطر حكام البحرين إلى توقيع عدة معاهدات مع بريطانيا مثل معاهدة ١٨٦١م ومعاهدة ١٨٦٨م ، ومعاهدة ١٨٨٠م ، ومعاهدة الحماية في عام ١٨٩٢م والتي رسخت النفوذ البريطاني في البحرين وجعلت له اليد المطلقه فيه<sup>(١٠٥)</sup> .

وعلى النهج نفسه استغلت بريطانيا الصراع بين آل خليفة في البحرين وآل ثاني حكامهم في قطر في التعجيل بسلخ قطر من البحرين وإقراره رسمياً بسياسة فرض الأمر الواقع بعد توقيع معاهدة عام ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م مع شيخ قطر<sup>(١٠٦)</sup>.

كما رأينا من خلال ما سبق من مباحث أن العامل نفسه كان واحداً من الأسباب الرئيسية التي أضعفت موقف شيخ الكويت ودفعت به إلى توقيع معاهدة الحماية مع بريطانيا عام ١٨٩٩م ، وهكذا كان هذا العامل أشبه ما يكون بالثغرة التي نفذت بريطانيا من خلالها إلى داخل البلدان الخليجية .

### سادساً : ضعف مواقف الدولة العثمانية :

بالرغم من ما مر سابقاً من مواقف إيجابية مبكرة للدولة العثمانية في الوقوف في وجه الغزو البرتغالي في منطقة البحر الأحمر والخليج ، فإن المتتبع لمواقف الدولة العثمانية بعد ذلك يلحظ ضعف الإعداد الحربي عند الدولة العثمانية وترددها في اتخاذ القرارات وعدم الحزم في التنفيذ .

ومن أبرز ما يلحظ في ذلك : ضعف الأسطول العثماني في منطقة الخليج ؛ المنطقة البحرية التي يعتمد من يريد السيطرة عليها على تواجد فيلق بحري بشكل دائم ، وهو ما لم يكن يتوفر للعثمانيين الذين كانوا يعتمدون في تحركاتهم الحربية في الشرق على القوة البرية أكثر من اعتمادهم على الأساطيل البحرية .

كذلك يلحظ على العثمانيين أن غالبية قراراتهم وتحركاتهم في الخليج كانت نابعة من اجتهادات شخصية من بعض القادة والولاة في المنطقة ، أكثر من كونها قرارات نابعة من السلطات العليا ، ولعل مما زاد الأمر سوءاً أن تلك الاجتهادات كانت كثيراً ما تجابه بالرفض والقبول من السلطات العليا في الدولة خوفاً من تصادمها مع المصالح العثمانية الأخرى خاصة في أوربا<sup>(١٠٧)</sup> .

وكان مما يزيد هذه المواقف سلبية وضعفاً ما كان يجري على العكس من ذلك في الجانب البريطاني حيث كان البريطانيون في الخليج ، وكما سبق الحديث

عن ذلك ، قد تفوقوا في إعداد القوة البحرية ، كما كان رجالهم في الخليج يتحركون وفق مبادئ وسياسات ثابتة لا تتغير بتغير الأشخاص . وكان يؤزر ذلك كله حزم في تطبيق القرارات باستخدام ما يناسب كل ذلك من أساليب « الترغيب والترهيب » التي مكنتهم في النهاية من تحقيق تفوقهم في المنطقة بفرض المعاهدات ذات الأهداف المتنوعة والتي وصلت ذروتها بفرض معاهدات الحماية على بلدان المنطقة الواحدة تلو الأخرى .

### سابعاً : سياسة عقد التحالفات والمعاهدات :

كانت سياسة عقد التحالفات من العوامل المهمة التي مكنت بريطانيا من تقوية نفوذها وضرب بعض القوى ببعضها . وكانت أولى التحالفات الإنجليزية قد تمت في وقت مبكر من مراحل الوجود الإنجليزي في الخليج ، وبالتحديد في عام ١٠٣١هـ / ١٦٢٢م . ففي ذلك العام كان الإنجليز قد دخلوا في تحالف حربي مع فارس لتوحيد القوى ضد البرتغاليين . ويمكن القول أن ذلك التحالف كان بداية النهاية للوجود البرتغالي في الخليج ، حيث نجح هذا التحالف في حصار البرتغاليين وضربهم في هرمز وإجبارهم على الخروج منها .

وعلى الخط السياسي نفسه ولتحقيق أهداف مشابهة في التحالف مع القوى المحلية أمام القوى الأوربية الأخرى المنافسة استطاع البريطانيون عقد اتفاق بينهم وبين حاكم مسقط عام ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م . وجاء في الاتفاق المكون من سبعة بنود العمل على توثيق العلاقات بين البلدان وعدم السماح للفرنسيين والهولنديين بإقامة مراكز تجارية لهم في عمان وتوابعها طالما أن الحرب قائمة بينهم وبين الإنجليز ، وفصل الطبيب الفرنسي من خدمة إمام مسقط ، ومنع السفن الفرنسية من الإقامة في المرفأ الذي تتواجد به السفن الإنجليزية . إضافة إلى النص على وقوف حاكم عمان إلى جانب بريطانيا في حالة نشوب حرب بينها وبين فرنسا في المياه الإقليمية العمانية .

ويبدو أن سياسة عقد الأحلاف والمعاهدات قد أدت نتيجة ملموسة في سبيل التفوق البريطاني في الخليج ، ولذلك فقد سارت بريطانيا في هذه السياسة قدماً خلال الفترات اللاحقة وعقدت العديد من المعاهدات والاتفاقيات مع القوى المحلية .

وكانت تلك المعاهدات قد تحولت تدريجياً في صورتها وأسلوب عقدها من تحالف وتعاهد بن طرفين بينهما شيء من التوازن وتبادل المنافع النسبيين إلى اتفاقيات ، في غالبها تعلن عن تفوق الطرف البريطاني وإملاء شروط منه على الطرف الآخر الذي كان يشعر بشيء من الغبن والدونية عند توقيع الاتفاق الذي كان هو الخيار الوحيد أمامه في كثير من الظروف .

ومن أجل ذلك فقد استخدمت بريطانيا في سبيل عقد المعاهدات ما كان الموقف يتطلبه من أساليب « فرق تسد » ومن أساليب « الترغيب والترهيب » وغير ذلك من أساليب فرض الأمر الواقع إلى أن استطاعت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي أن تلزم القوى المحلية أن تنهات إلى توقيع معاهدات الحماية الواحدة تلو الأخرى تلك المعاهدات التي بموجبها استظلت دول المنطقة تحت مظلة الحماية البريطانية في كثير من شؤونها الداخلية وفي كامل سياساتها الخارجية والتي قطعت في الوقت نفسه الطريق أمام أي قوة أخرى في محاولات اتخاذ أي موطئ قدم لها في الخليج .

### ثانياً : فرض الحماية البريطانية :

بالرغم من أن القاطرة البريطانية كانت مسبوقة بغيرها من قاطرات الاستعمار الأوربية عند بداية السباق بين الدول الاستعمارية في الخليج ، إلا أن هذه القاطرة استطاعت أن تغير من موقعها تدريجياً ، إلى أن أصبحت في المقدمة بعد حوالي قرنين من بداية السباق الاستعماري ، وبالتحديد في العقد الأخير من القرن التاسع عشر . ولولا بعض المحاولات اليائسة من الدولة العثمانية أو من فرنسا أو ألمانيا في تلك الفترة لأمكن القول أن هذه القاطرة البريطانية كادت تكون القاطرة



الوحيدة فى ساحة السباق الاستعمارى فى الخليج ، خاصة بعد أن نجح الساسة البريطانىون ، وبعد مراحل طويلة من التنافس والصراع المتنوع مع القوى الخارجية والقوى الإقليمية والقوى المحلية ، فى فرض عدد من المعاهدات ، توجتها بمعاهدات الحماية البريطانية ، مع بلدان الخليج العربية الواحدة تلو الأخرى ، وهى المعاهدات التى مكنت بريطانيا من أن تفرض سيطرتها التامة على هذه البلدان تحت ستار الحماية البريطانية .

وكانت جذور التجربة الأولية لمعاهدات الحماية البريطانية فى الخليج ، وكما سبق الحديث عن شىء من ذلك فى مباحث هذه الدراسة ، قد انطلقت وطبقت فى البحرين ، حينما نجحت بريطانيا فى عقد معاهدة مع الشيخ عيسى بن على حاكم البحرين عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م ، وهى معاهدة تتضمن مجموعة من التعهدات من قبل حاكم البحرين أو من يخلفه « بالامتناع عن الدخول فى أية مفاوضات أو عقد أية معاهدات من أى نوع كانت مع أية حكومة أو دولة عدا بريطانيا ، وعدم السماح لأية حكومة - عدا بريطانيا - بإقامة علاقات دبلوماسية أو قنصلية أو إعطاء تصريح بإنشاء مستودعات لتخزين الفحم فى الأراضى البحرينية إلا بعد موافقة من الحكومة البريطانية (١٠٨) .

ويبدو أن نجاح البريطانيين فى فرض تلك المعاهدة والنتائج الملموسة التى حصل البريطانىون عليها من خلال تلك المعاهدة ، رغم تركيزها على قضية المستودعات للفحم ، قد شجع الساسة البريطانيين على تعميم التجربة السابقة وبالتالي فرض معاهدات الحماية البريطانية بشكل أوضح وأعمق وأعم مع عدد من بلدان الخليج بعد ذلك بحوالى عشر سنوات . ورغم ذلك فإن بريطانيا ، وعلى ما يبدو ، رأت عدم الاستعجال فى فرض معاهدات الحماية وفضلت إدخال هذا النهج الجديد من معاهدات الحماية فى تجربة قبل تعميمها على بقية البلدان الخليجية . ولذا فقد اكتفت فى أول الأمر بعقد معاهدة الحماية البريطانية التى وقعت على هذا النهج

الجديد فى الخليج مع سلطان عمان فى التاسع من شعبان ١٣٠٨هـ / العشرين من مارس ١٨٩١م<sup>(١٠٩)</sup> .

وبعد عام كامل تقريباً من هذه المعاهدة ، وكما يبدو من سير الأحداث ، رأت الحكومة البريطانية فعالية هذه المعاهدة ومناسبة تعميم التجربة الجديدة فى عدد من المشيخات الخليجية الأخرى . وكانت مشيخات الساحل العمانى المتصالح والبحرين هى المناطق الجديدة المستهدفة للدخول فى هذه المعاهدات الجديدة . حيث وقع شيوخ كل من أبو ظبى ودبى وعجمان والشارقة ورأس الخيمة على التوالى على معاهدات الحماية مع تالبوت ؛ المقيم البريطانى فى الخليج خلال الفترة من ٦ - ٩ شعبان ١٣٠٩هـ / ٥ - ٨ مارس ١٨٩٢م . وقد أطلقت هذه المعاهدة يد بريطانيا فى تسيير شؤون هذه المشيخات الداخلية والخارجية ، حيث تعهد الشيوخ باسم أنفسهم ومن يرثهم أو يخلفهم « ألا يوقعوا أية اتفاقية أو يدخلوا فى أية علاقة بدولة أجنبية سوى بريطانيا العظمى ، وألا يسمحوا لوكيل دولة أجنبية أخرى بالبقاء فى أراضيهم دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية ، وألا يمنحوا أى جزء من أراضيهم سواء عن طريق البيع أو الإيجار أو الرهن أو التنازل أو غير ذلك لاحتلال أية دولة أجنبية باستثناء بريطانيا العظمى »<sup>(١١٠)</sup> .

ومن الساحل المتصالح توجه تالبوت إلى البحرين مباشرة حيث تمكن بعد أسبوع من توقيع معاهدة الحماية البريطانية مع الشيخ عيسى بن على حاكم البحرين فى الرابع عشر من شعبان ١٣٠٩هـ / ١٣ مارس ١٨٩٢م ، وبموجب هذه المعاهدة استطاعت بريطانيا التصدى لجميع المحاولات الفارسية والعثمانية المتكررة للتدخل فى شؤون البحرين ، ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد ، فمع تزايد المصالح البريطانية فى المنطقة لم تتورع بريطانيا كذلك عن إدارة كثير من الشؤون المحلية فى البحرين ، ومن أجل ذلك عينت مستشاراً بريطانياً فى البحرين منذ عام ١٩٢٦م ، كما أتخذت من البحرين قاعدة لإدارة شؤونها فى المنطقة منذ

عام ١٩٤٧م حينما قررت نقل المقيمة البريطانية من بوشهر على الساحل الفارسي للخليج إلى البحرين<sup>(١١١)</sup> .

وعلى غرار المعاهدات السابقة قامت بريطانيا وقييل نهاية القرن التاسع عشر بضم الكويت إلى هذه السلسلة من البلدان الواقعة تحت الحماية البريطانية . ويبدو أن الظروف التي كانت تجرى في الكويت كانت دافعة وميسرة ، في آن واحد ، لبريطانيا في التعجيل بعقد هذه المعاهدة ، حيث كانت الكويت في تلك الفترة مسرحا لصراع محلي بين آل صباح أنفسهم ، كما كانت الكويت تمثل نقطة نهاية لمنطقة تنافس دولي كبير بين عدد من القوى الكبرى آنذاك ، مثل ألمانيا وفرنسا وروسيا والدولة العثمانية ، خاصة في ظل التفكير في مد خط سكة حديد بغداد إلى الكويت ، وفي ظل تلك الظروف قامت بريطانيا باستغلال الظروف لصالحها وتوقيع معاهدة الحماية مع الشيخ مبارك الصباح في رمضان من عام ١٣١٦هـ / يناير ١٨٩٩م<sup>(١١٢)</sup> . وهي معاهدة مشابهة تماما لمعاهدات الحماية البريطانية التي كانت بريطانيا قد عقدتها مع بلدان الخليج الأخرى قبل ذلك بحوالي عشر سنوات وذلك وفقا لأهداف بريطانيا وسياستها العامة في الخليج الرامية للسيطرة على بلدان الخليج ، ومنع القوى الدولية الأخرى من اتخاذ موطئ قدم فيه باعتباره الخط أو النقطة الأولى التي يجب أن تتكسر عندها أية محاولات دولية للوصول إلى الهند درة التاج البريطاني في المشرق .

ويوضح الدكتور أحمد أبو حاكمه ظروف عقد هذه المعاهدة بقوله : « يجب أن نقرر هنا أن الظروف السياسية الدولية هي التي أملت على بريطانيا أن توقع اتفاقية ٢٣ يناير لعام ١٨٩٩م مع الشيخ مبارك ، وماتلاها من اتفاقيات . ففي العقد الأخير من القرن التاسع عشر حصل تقارب كبير بين روسيا وفرنسا ، مما أفقد بريطانيا سيادتها البحرية على البحر الأبيض المتوسط ، وكذلك حصل تقارب كبير أيضا بين القيصر ولهم ، قيصر ألمانيا والسلطان عبد الحميد ، وبدا واضحا أن

بريطانيا إذا أرادت أن تحتفظ بسيطرتها على الخليج العربى لابد من أن تغلق موانيه فى وجه أساطيل الدول الغربية الثلاث المذكورة ، ولن يكون ذلك بدون عقد اتفاقيات مع الحكام المحليين على شاطئ الخليج العربى ، أى أن بريطانيا قامت بعقد تلك الاتفاقيات مع بلدان الخليج العربى حرصاً على مصلحة الإمبراطورية أولاً وقبل كل شىء » (١١٣) .

ورغم عقد اتفاقية الحماية البريطانية مع الكويت فإن بريطانيا كانت تمرر ما ترى فيه مصلحة لها أو على أقل تقدير ما لايتعارض مع مصالحها من الاتفاقيات الكويتية مع بعض الأطراف والقوى الخارجية . ولذلك ففى الوقت الذى منعت فيه بريطانيا الكويت فى عام ١٩٣٦م من عقد اتفاقية مع العراق لمد المياه من شط العرب خوفاً من وقوع الكويت تحت التأثير العراقى (١١٤) فإنها لم تمنع ، مثلاً خلال فترة سريان المعاهدة من دخول الكويت فى بعض العلاقات والمعاهدات السياسية أو التجارية التى لم تكن تؤثر على تلك المصالح البريطانية . ومن ذلك ، مثلاً ، معاهدات النفط المتتالية مع عدد من الشركات العالمية المختلفة التى بدأت منذ عام ١٩٤٦م ، وكذلك وقعت الكويت معاهدة دفاع مشترك مع المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٧م ، كما دخلت الحكومة الكويتية بعد ذلك فى عدد من الاتفاقات والنشاطات الدولية الأخرى التى استندت على جهود جامعة الدول العربية وميثاقها والتى قادتها فى النهاية إلى الاستقلال (١١٥) .

وكانت قطر هى المحطة الأخيرة التى توقف عندها قطار معاهدات الحماية أو الاستعمار البريطانى فى الخليج ، حيث دخل الطرفان البريطانى والقطرى فى هذه المعاهدة فى محرم عام ١٣٣٥هـ / نوفمبر ١٩١٦م (١١٦) .

وبتوقيع المعاهدة مع قطر على نسق هذه المعاهدات ؛ أى معاهدات الحماية البريطانية السابقة مع عمان ومشيخات الساحل والبحرين والكويت أكملت بريطانيا مسلسل هيمنتها وسيطرتها على منطقة الخليج ، خاصة وقد خلت الساحة

للبريطانيين من المنافسين لهم هناك ، بعد الانسحاب التدريجي للمنافسين الأوربيين الذين حاولوا يائسين منافسة بريطانيا آنذاك مثل فرنسا وألمانيا والاتحاد السوفيتي ، وبانتهاء المواقف العثمانية والوجود العثماني ؛ ليس في منطقة الخليج فحسب ، بل باضمحلال الوجود العثماني على مختلف الساحات بسقوط الدولة العثمانية وقيام الجمهورية التركية على أنقاضها والتي حصرت نفوذها وقوتها في الحدود الجغرافية لتركيا الحالية ، واقتسام أراضيها بين بعض القوى العالمية وبالذات فرنسا وبريطانيا التي حظيت من ذلك بنصيب وافر في شمال الخليج حين فرضت سيطرتها الاستعمارية على العراق ، لتكمل بذلك هيمنتها التامة على منطقة الخليج من جنوبها إلى شمالها بعد مراحل من الصراع والتنافس الاستعماري الطويل . ولتستمر بريطانيا بعد ذلك ضاربة أطنابها في منطقة الخليج مستظلة بظلال معاهدات الحماية منذ عقدها إلى مطلع الستينات من القرن العشرين ، حين بدأت بلدان المنطقة وشعوبها تتطلع لنيل استقلالها والمناذاة بالانسحاب البريطاني الذي أصبح وجوده يعتمد كثيراً على مظلة الحماية العسكرية ، فكانت بريطانيا أمام خيارين « إما التوسع في الوجود العسكري أو الانسحاب »<sup>(١١٧)</sup> ، وحيث أن الوجود العسكري كان يكهل عائق الحكومة البريطانية في ظل سياسة « تخفيض نفقات الدفاع وذلك لمواجهة خطتها الاقتصادية الداخلية وفي أوروبا »<sup>(١١٨)</sup> .

وفي ظل تلك المتغيرات الجديدة فضل البريطانيون اتخاذ قرار الانسحاب من الخليج وفق سياستهم الجديدة في الخليج « وهي تغيير الأسلوب القديم ، بانسحاب القوات البريطانية ، وإنهاء المعاهدات التي لم تعد مناسبة للعصر ، ثم المحافظة على مصالح بريطانيا الاقتصادية ، بعقد معاهدات صداقة في الإمارات على أسس ثلاثم روح العصر »<sup>(١١٩)</sup> . ولتبادر بلدان الخليج بعد ذلك إلى إعلان استقلالها الواحدة تلو الأخرى ولتدخل المنطقة وبلدانها في حقبة تاريخية جديدة هي حقبة المحاولات الوحدوية التي كانت قد جرت عبر مراحل متدرجة بدأت في ظل الحماية البريطانية وبدأت ثمارها تتضح عند قرار الانسحاب البريطاني .

وبالرغم من تلك العلاقات التعاهدية بين بريطانيا وبين تلك المشيخات ، وبين تلك المشيخات بعضها ببعض إلا أن الوحدة فيما بينها ظلت غائبة خاصة وأن بريطانيا كانت تغذى عوامل الفرقة وفق مبادئ « فرق تسد » ، حيث كانت «التزاعات المحلية والقبلية والإقليمية تعمق فيما بين العرب مما سهل على الاستعمار مهمة استغلالها والسيطرة عليها لصالحها»<sup>(١٢٠)</sup> . ولذلك فإن بعض المحاولات الوحدوية المتكررة من قبل بعض أبناء الإمارات لوضع اتحاد فيدرالى منذ الثلاثينات من القرن العشرين إلى الستينات من القرن نفسه لم يكتب لها النجاح، لعدة أسباب ، منها الأسباب الاقتصادية ، مثل قلة الموارد ، ومنها الأسباب السياسية، مثل الموقف البريطانى ، حيث إن بريطانيا صاحبة النفوذ القوى فى المنطقة كانت تعارض « جميع الصيغ الاتحادية من هذا القبيل لما يتسبب من تهديد لوجودها فى المنطقة ، ولم تشهد الإمارات العربية أى محاولات وحدوية باستثناء الاتحاد الفيدرالى الذى تم بين الشارقة والفجيرة عام ١٩٦٠ ، ولكنه لم يستمر سوى بضعة أشهر»<sup>(١٢١)</sup> .

وجاءت بوادر الانسحاب البريطانى من الخليج بعد ذلك لتحرك المحاولات الوحدوية الخليجية من جديد ولتدفع بها خطوات إلى الأمام ، وبدأت تلك المحاولات الجديدة بالتحالف الثنائى بين دى وأبو ظبى فى الثامن عشر من شهر فبراير من عام ١٩٦٨ م ، ثم تلاشى ذلك التحالف مباشرة حين جرت محاولات الاتحاد التساعى الذى ضم قطر والبحرين إضافة إلى إمارات الساحل السبع .

وكان مصير هذا التحالف الفشل لعدة أسباب أبرزها : غموض اتفاقية الاتحاد خاصة حول الاختصاصات التى تدخل فى نطاقه ، والتمثيل فى المجلس الوطنى الاستشارى ، ونظام التصويت فى المجلس الأعلى ، ومسألة التفرغ للمناصب الوزارية ، والخلاف حول العاصمة الاتحادية ، ونظام القوات المسلحة ، والخلافات

حول تبعية اختصاص المواصلات لكل إمارة ، ثم أخيراً الخلاف حول المساهمة في ميزانية الاتحاد .

ونتيجة لتلك الخلافات وعدم الوصول إلى اتفاق بين هذه الدول فقد اتجهت قطر والبحرين إلى الاستقلال عن الاتحاد المقترح . ومن جانب آخر فإن قرار الانسحاب البريطاني قد قاد الدول السبع الباقية إلى الجدية في مباحثاتها الاتحادية والإصرار بالخروج بالاتحاد إلى النور رغم انسحاب قطر والبحرين .

وهكذا وبعد عدة اجتماعات أعلن ستة من حكام الإمارات السبع هم حكام : أبو ظبي ، ودبي ، والشارقة ، وعجمان ، وأم القرين ، والفجيرة قيام اتحاد سداسي فيما بينهم وتشكيل دولة باسم « الإمارات العربية المتحدة » وذلك في الثامن عشر من يوليو عام ١٩٧١ م . وجرى الاتفاق في الوقت نفسه على اختيار الشيخ زايد آل نهيان حاكم أبو ظبي رئيساً للدولة لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد ، واختيار أبو ظبي عاصمة مؤقتة للدولة كما جرى الاتفاق على أن يكون التصويت على قرارات الاتحاد بالأغلبية بشرط أن يكون ضمنها صوتاً أبو ظبي ودبي ... الخ . ووفق ذلك تم بالفعل إعلان قيام الدولة والعمل بدستورها المؤقت اعتباراً من الثاني من ديسمبر عام ١٩٧١ م . ولم تمض عدة أيام على ذلك حتى بادرت رأس الخيمة إلى الانضمام إلى الاتحاد في الثالث والعشرين من الشهر نفسه وليتحول اتحاد الإمارات العربية إلى اتحاد سباعي ،<sup>(١٢٢)</sup> ولتبقى بقية دول الخليج العربية الأخرى على وضعها السياسي المنفرد ، ذلك الوضع الذي جعل كل منها يشعر بنوع من العزلة المصحوبة بالضعف في مواجهة الرياح العاتية والقوية القادمة من الساحل الشرقي للخليج وبالتحديد من إيران الدولة القوية في المنطقة ، وما تزامن مع ذلك من رياح أخرى وهي الرياح القادمة من شمال الخليج وبالتحديد من العراق التي اتخذت بعض الخطوات السياسية والعسكرية التي أجبت الموقف وزادته تعقيداً ، حتى كادت هذه المتغيرات أن تعصف بأمن المنطقة وتهدد بعض دولها بالزوال .



ونتيجة لهذه الظروف والمتغيرات ، ولتشابه بلدان الخليج العربية فى كثير من الظروف والتطورات السياسية والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية ، التى ظهرت بعض ملامحها من خلال التاريخ المشترك ، الذى حاولت هذه الدراسة تتبع مساراته عبر العصر الحديث والمعاصر ، لم يكن من المستغرب أن تسعى هذه الدول الخليجية بالإضافة إلى المملكة العربية السعودية الشقيقة الكبرى لبلدان الخليج العربية ، والتى هى الأخرى تتشابه فى كثير من تلك الظروف والثوابت والمتغيرات مع بقية بلدان الخليج العربية التى تناولت هذه الورقة تاريخها ، أقول لم يكن مستغرباً أن تسعى هذه الدول مجتمعة إلى محاولة التقارب فيما بينها ، ذلك التقارب الذى تجسد مؤخراً فى اتفاق هذه الدول وبالتحديد فى عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م على الانضمام تحت مظلة وحدوية هى مظلة « مجلس التعاون لدول الخليج العربية »<sup>(١٢٣)</sup> والذى بتأسيسه دخلت بلدان الخليج فى مرحلة تاريخية جديدة لاتزال ملامحها تحتاج إلى مزيد من الدراسات التاريخية التى لم يأت أوانها بعد ، والذى قد تعتبر مثل هذه الدراسة التى بين أيدينا أساساً مهماً قد تبنى عليه مثل هذه الدراسات المنتظرة فى المستقبل ، والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل .

### الخاتمة والنتائج :

من خلال هذه الدراسة عن تاريخ التنافس الاستعماري فى الخليج وبلدانه العربية فى العصر الحديث يمكن التوصل إلى عدد من الحقائق التاريخية الآتية :

١ - يلحظ تشابه الظروف والتطورات السياسية فى غالبية بلدان المنطقة فى العصر الحديث إلى حد كبير ، من حيث التزامن فى حركة تأسيس المشيخات أو الإمارات العربية الحاكمة فى بلدان الخليج .

٢ - تشابه الأنظمة الحاكمة فى الخليج باعتمادها على نظم الحكم الأسرى المتوارث. ومن الملاحظ كذلك أن حكم هذه الأسر قد استمر لفترات طويلة ، أى أنه امتد منذ أن بدأت حركة تأسيسها فى القرن السابع عشر الميلادى إلى



يومنا الحاضر ، وذلك بالرغم مما اعتري هذه البلدان من غزو استعماري خارجي ومن صراع إقليمي ، وبالرغم مما جرى فيها من تقلبات سياسية واجتماعية واقتصادية متعددة ، وبالرغم مما ساد غالبية بلدان العالم العربي الأخرى من تغيير جذري في أنظمة الحكم على إثر الموجة الثورية العارمة التي انتشرت في كثير من بلدان العالم العربي في أعقاب حركة الاستقلال الذي نالته الدول العربية والذي تزامن مع موجة الحركات الثورية في العالم .

٣ - تشابه تاريخ بلدان الخليج العربية ، من حيث كثرة النزاعات والصراعات الداخلية بين أفراد الأسر الحاكمة فيها ، الأمر الذي أضعف هذه الدول ، فكان لذلك أثر كبير في وقوع هذه البلدان فريسة سهلة تحت التسلط الاستعماري .

٤ - تشابه تاريخ بلدان الخليج ، وذلك من حيث التطورات السياسية في كثير من جوانب علاقاتها الخارجية بين بعضها البعض ، أو بينها وبين الدول الأخرى ذات المصالح في المنطقة .

٥ - تشابه تاريخ بلدان الخليج ، وذلك من حيث تزامن تعرضها للغزو الخارجي بدءا بالغزو البرتغالي ، وانتهاء بوقوعها في النهاية فريسة للسيطرة البريطانية، بل نزيد على ذلك بوقوعها في الوقت الحاضر تحت تأثير النفوذ الأمريكي الذي يبدو أنه حل محل البريطانيين في المنطقة .

٦ - وأخيرا يلحظ من خلال هذه الدراسة تشابه التطورات السياسية في تاريخ بلدان الخليج العربية ، وذلك من حيث تزامنها في حركات نيل الاستقلال من نير الاستعمار البريطاني وتزامنهما في الحصول عليه .

## الهوامش

- (١) سورة البقرة ، آية ١٢٠ .
- (٢) سليمان بن أحمد بن أيوب ، المعجم الكبير ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصول ١٤٠٤ / ١٩٨٣ م ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .
- (٣) للمزيد عن حياة الإمام ناصر بن مرشد انظر : حميد بن محمد بن رزيق ، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسى ، منشورات وزارة التراث القومي ، سلطنة عمان ، ١٣٩٧هـ — / ١٩٧٧ م ، ص ٢٦٢ - ٢٨٤ .
- (٤) للمزيد عن جهاد العمانيين ضد الغزو البرتغالي وانتصارات الإمام سلطان بن سيف انظر : ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٢٨٤ - ٢٩٠ ، وانظر : سالم ابن حمود السيابي ، عمان عبر التاريخ ، أربعة أجزاء ، منشورات وزارة التراث القومي ، سلطنة عمان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٢٣٣ - ٢٣٨ .
- (٥) للمزيد انظر : ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٢٩٣ - ٢٩٦ .
- (٦) وزارة الإعلام والثقافة في سلطنة عمان ، عمان وتاريخها البحري ، مسقط ١٩٧٩ م ، ص ٦٤ - ٧٠ وانظر : Ahmed Hamoud Almaamiry , Oman And East Africa 3rd ed , New Delhi, 5891, p. 61 - 64 .
- (٧) للمزيد عن أحداث تلك الفترة وما حدث فيها من صراعات انظر : ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٣٢٠ - ٣٤٧ ، وانظر : السيابي ، عمان عبر التاريخ ، ج ٤ ، ص ٨٢ - ١١٠ .
- (٨) انظر : ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٣٥٠ - ٣٨٧ .
- (٩) نال تاريخ السيد سعيد مكانة عالية بين الدراسات التاريخية العمانية نظراً لدوره وجهوده في مسار التاريخ العماني بشقيها العماني والأفريقي ، وللاطلاع على بعض الدراسات التي خصصت عن تاريخ السيد سعيد انظر : الكتاب الخاص بحياة السيد سعيد من تأليف حميد بن محمد بن رزيق ، سيرة

السيد الهمام سعيد بن سلطان ابن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدى اليمنى الأزدى ، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسى ، منشورات وزارة التراث القومى ، سلطنة عمان ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م . ومن الدراسات الأجنبية انظر : رودلف سعيد روت ، سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ١٧٩١ - ١٨٥٦ ، ترجمة عبد المجيد القيسى ، منشورات مركز دراسات الخليج العربى ، جامعة البصرة ١٩٨٣م . وانظر : فينزور ، تاريخ السيد سعيد سلطان عمان ، ترجمة الدكتور محمود فاضل ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ١٩٨٨م .

(١٠) اف سى ولكنسون ، عمان تاريخاً وعلماء ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، وزارة التراث القومى ، سلطنة عمان ، الطبعة الثانية ١٩٨٠ ، ص ١٩ .

(١١) عن علاقة عمان ببريطانيا فى عهد السيد سعيد انظر : سمير محمد على أبو ياسين ، العلاقات العمانية البريطانية ١٧٩٨ - ١٨٥٦ ، منشورات مركز دراسات الخليج العربى ، البصرة ١٩٨١م .

(١٢) تلا فيصلاً ابنه تيمور الذى استمر فى الحكم إلى أن تنازل لولده سعيد بن تيمور فى عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣٢م . وفى عهد فيصل وابنه سعيد كادت عمان أن تنقسم إلى بلدين حين اضطر فيصل فى عام ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م إلى توقيع اتفاقية السيب مع بعض المنازعين للسلطة من عمان الداخلية بحيث تكون سلطنة مسقط على الساحل تحت حكمه ، وإمامة عمان فى الداخل تحت حكم الإمام محمد بن عبد الله الخليل . إلا أن ابنه سعيداً تدارك الوضع فيما بعد وبمعاونة من بريطانيا وأعاد توحيد البلاد تحت حكمه عام ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م . وبالرغم من جهود تيمور فى إعادة الوحدة للبلاد وتزايد الدخل المادى للبلاد على إثر تصدير النفط إلا أنه لم يوجه اهتماماً كافياً « بترقية أحوال البلاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مما اضطر بعض المخلصين بالتعاون مع ولده قابوس إلى أبعاد السلطان سعيد عن الحكم وتولى ولده

قابوس في عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٩م ، والذي أخذ يعمل بسرعة على ترقية أحوال البلاد في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية » . للمزيد انظر : إسماعيل ياغي ، ومحمد شاکر ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ٨٩٧-١٤٠٠هـ ، الجزء الأول ، الجناح الآسيوي ، ص ٥٣ .

(١٣) لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص ٨٢٢ ، وللإطلاع على النص العربي لمعاهدة الحماية البريطانية مع عمان انظر : ملحق رقم (٤) ص ٩٦٢ ، ٩٦٣ .

(١٤) للمزيد عن معاهدة السلام العامة وظروف عقدها ونصوصها انظر :  
I. O. R, L-P & S20 C248, Precis Of Correspondence  
Regarding Affairs Of the Persian Gulf .  
وانظر : لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص ١٠٢٢ - ١٠٢٧ .

(١٥) للمزيد عن معاهدة ١٨٣٥ م وظروف عقدها انظر : لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص ١٠٥٥ - ١٠٦٧ . وانظر : عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم ، علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٢٤١-٢٥٦ ، ٤٢٩ - ٤٣١ .

(١٦) للمزيد عن معاهدات الحماية البريطانية مع مشيخات الساحل العماني انظر : لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص ١١١٧ - ١١٢١ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ .

(١٧) أحمد مصطفى أبو حاكمه ، تاريخ الكويت الحديث ١٧٥٠ - ١٩٦٥م ، ذات السلاسل ، الكويت ١٩٨٤ م ، ص ١٧ - ٢١ .

(١٨) المرجع السابق ، ص ٤١ .

(١٩) عبد العزيز الرشيد ، تاريخ الكويت ، تعليق عبد العزيز الرشيد ، ص ٢٠ .

(٢٠) أبو حاكمه ، تاريخ الكويت ، ص ٢٧ .

- (٢١) عبد العزيز الرشيد ، تاريخ الكويت ، ص ٣١ .
- (٢٢) عبد الله آل خليفة وعلى أبا حسين ، من تاريخ العتوب فى القرن الثامن عشر ، بحث مقدم إلى مؤتمر البحرين عبر التاريخ ١٩٨٣م ، المجموعة الأولى ، ص ١٤ .
- (٢٣) عثمان بن سند ، سبائك المسجد فى أخبار أحمد نجل رزق الأسعد ، بومباى ١٣١٥هـ ، ١٨ .
- (٢٤) عمر العمرى ، التطور السياسى ، ص ٥٧ ، ٥٨ .
- (٢٥) المرجع السابق ، ص ٥٤ - ٧١ .
- (٢٦) خلف مباركاً ابنه جابر الثانى من ١٣٣٣ - ١٣٣٥هـ / ١٩١٥ - ١٩١٧م ، ثم تلاه أخوه سالم بن مبارك وحكم من ١٣٣٥ - ١٣٤٠هـ / ١٩١٧ - ١٩٢١م ، وتلاه أحمد بن جابر الثانى من ١٣٤٠ - ١٣٦٩هـ / ١٩٢١ - ١٩٥٠م ، ثم عبد الله الثالث بن سالم من ١٣٦٩ - ١٣٨٥هـ / ١٩٥٠ - ١٩٦٥م ، وتلاه أخوه صباح الثالث بن سالم من ١٣٨٥ - ١٣٩٨هـ / ١٩٦٥ - إلى آخر يوم فى عام ١٩٧٧م حيث خلفه الحاكم الحالى الشيخ جابر الثالث بن أحمد منذ عام ١٣٩٨هـ / بداية عام ١٩٧٨م .
- للمزيد عن تاريخ الكويت بعد مبارك الصباح انظر : أبو حاكمه ، تاريخ الكويت ، ص ٣٤١ - ٣٧٥ .
- (٢٧) للمزيد عن معاهدة الحماية البريطانية مع الكويت انظر : ميمونة الخليفة الصباح ، الكويت فى ظل الحماية البريطانية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ٢٠ - ٢٧ .
- (٢٨) منذ عام ١٩٦٠م ضاعفت الحكومة الكويتية من ممارسة سلطاتها وحقوقها تمهيداً لاستقلالها ، ومن ذلك إقرار بريطانيا لها بممارسة الحقوق القضائية على الكويتيين وعلى المقيمين الأجانب على حد سواء حيث كانت القضايا التى تتعلق بالرعايا الأجانب قبل ذلك تحال إلى محكمة تابعة للمعتمد

البريطاني ، كما أصدرت قانون النقد الكويتي وافتتحت الحكومة الكويتية كذلك عدداً من القنصليات أو البيوت التابعة لها في البلدان العربية ، كما أنشأت تلك الدول ممثلات رسمية لها في الكويت وفي يونيو من العام نفسه ومع ترايد المطالبة بالاستقلال وإلغاء معاهدة ١٨٩٩م وافقت الحكومة البريطانية على ذلك ، ودخل الطرفان بمفاوضات أنهت تلك المعاهدة واستبدلتها بمعاهدة جديدة من أبرز ما فيها « أن تستمر العلاقات بين البلدين مشوبة بروح الصداقة ، وأن لا يؤثر إلغاء اتفاقية ١٨٩٩ على استعداد حكومة صاحبة الجلالة البريطانية مساعدة حكومة الكويت إذا طلبت هذه المساعدة ... » وقد عرفت هذه المعاهدة بمعاهدة « المساعدة » التي اعتبرت بداية لاستقلال الكويت ، حيث اتجه الكويتيون بعد ذلك إلى استكمال التنظيمات الداخلية ، وتشكل مجلس تأسيسي وضع دستور الدولة ، وحولت الإدارات الحكومية إلى وزارات « وصدر الدستور الكويتي في نوفمبر ١٩٦٢ حيث نص على أن الكويت دولة عربية مستقلة كاملة السيادة وشعبها جزء من الأمة العربية ودينها الإسلام ولغتها الرسمية العربية والحكم وراثي في ذرية الشيخ مبارك ». ومنذ ذلك الوقت عملت الحكومة الكويتية على السير في البلاد وفق تلك المبادئ ودخلت الكويت في حركة تنمية كبيرة جعلتها في مصاف الدول الحديثة، وفي الوقت نفسه دخلت الكويت في علاقات صداقة وتعاون مع عدد من الدول العربية والإسلامية والأجنبية ، كما وقعت في الوقت نفسه في خلافات سياسية معظمها حدودية مع جاراتها ، وبالذات في عدد من المشكلات مع العراق ، تلك الأزمات التي بلغت ذروتها عام ١٩٩٠م لتتسبب في الأزمة العراقية الكويتية التي عرفت بأزمة الخليج التي يبدو أنها قد أعادت الاستعمار المغلف إلى المنطقة من جديد حين أدخلت المنطقة بمرحلة تاريخية جديدة مكنت للقوى الكبرى وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية من فرض كامل هيمنتها على بلدان المنطقة .

وللمزيد عن المعاهدات الكويتية والنصوص المقتبسة : انظر : عبد الرحمن يوسف بن حارب ، الخليج العربي والتطورات السياسية ١٩١٤ - ١٩٧١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ( د . ت ) ، ص ٣٣ - ٥٣ .

(٢٩) انظر تفصيلات تاريخ آل خليفة في الكويت وهجرتهم إلى الزبارة وضمهم جزر البحرين في : عمر العمري ، التطور السياسي للبحرين ، ص ٥٧-٧٤ .  
(٣٠) للاطلاع على النص العربي للمعاهدة انظر : عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم ، علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ٤٢٥ - ٤٢٧ .

(31) Historical Memorandum . F. O. 371 , 17825 . ( P. R. O. ) On Bahrain .

(٣٢) انظر التفصيلات في عمر العمري ، التطور السياسي للبحرين ، ص ١٥٧ - ١٨١ .

(٣٣) انظر التفصيلات في المرجع السابق ، ص ١٨٢ - ٢٣٠ .  
(٣٤) للاطلاع على ظروف عقد معاهدة الحماية مع البحرين ونصوص المعاهدة انظر :

( P. R. O. ) , F. O. 371, 17825. Historical Memorandum On Bahrain

وانظر : ( I. O. R ) L - P & S20c 241, Precls Of Bahrain Affairs .

(٣٥) عند وفاة الشيخ عيسى بن علي عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م خلفه على الحكم في البحرين ابنه الشيخ حمد الذي استمر إلى وفاته عام ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م ، وخلال عهده بدأت البحرين بإنتاج وتصدير النفط بكميات تجارية ، وكان لذلك أثره الكبير على نواحي الحياة وبالذات الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية ، كما شهد عهده بداية التحولات السياسية في المنطقة بتنامي قوة ونفوذ الولايات المتحدة الأمريكية على حساب بريطانيا ، ومن ذلك حصول أمريكا على حق استخدام البحرين قاعدة لقيادة أسطولها في الشرق الأوسط أثناء الحرب العالمية الثانية . وفي عام ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م توفي الشيخ حمد فخلفه على الحكم ابنه الشيخ سلمان الذي أبعده المستشار البريطاني من

البحرين عام ١٣٧٧هـ وبدأ يتطلع إلى استقلال البلاد ، ولكن ذلك لم يتم إلا في عهد خلفه الشيخ عيسى بن سلمان الذي تولى الحكم في أعقاب وفاة أبيه عام ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ، فاتخذ عدداً من الخطوات العملية الدولية لإقناع بريطانيا بترك البلاد ونيل الاستقلال ، وتم للبحرين ذلك عام ١٣٩١هـ / ١٩٧١م على إثر استفتاء قامت به الأمم المتحدة لتتعلق البحرين بعد ذلك إلى مجال أرحب في البناء الداخلي وفي العلاقات السياسية والنشاط الدولي . وقد استمر الشيخ على رأس الحكم إلى أن وافته المنية في أواخر عام ١٤١٩هـ ليتسلم الحكم من بعده ابنه وولى عهده الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة الذي يعمل على مواصلة دور والده في قيادة البلاد في خطوات التنمية الشاملة على مختلف الأصعدة .

للمزيد عن تاريخ البحرين خلال هذه الفترة انظر : أمل إبراهيم الزيناني ، البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٧م ، ص ٢٦٣ - ٢٧١ .

وانظر : حسن موسى ، البحرين بين النضال الوطني والديموقراطية ١٩٢٠ - ١٩٨١م ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م ، ص ٢٨ - ٣٧ .

(٣٦) انظر تفصيلات ذلك في : عمر العمري ، التطور السياسي ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٣٧) للمزيد انظر : Historical . 17825 , F. O. 371 , ( P. R. O ) Memorandum On Bahrain . وانظر : وثائق التاريخ القطري (٢) من الوثائق البريطانية والعثمانية ١٨٦٨ - ١٩٤٩م ، إعداد قسم الوثائق بمكتب الأمير ، الدوحة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ٩ - ١١ .

(٣٨) انظر تفصيلات ذلك في : عمر العمري ، التطور السياسي ، ص ٢١٤ - ٢٢٦ .



(٢٩) عبد العزيز المنصور ، التطور السياسى لقطر فى الفترة ١٨٦٨ - ١٩١٦م ، منشورات دار ذات السلاسل ، الكويت ١٤٠٠هـ ، ص ٢٥ .

(٤٠) يصف الدكتور عبد العزيز المنصور ، وهو أحد المتخصصين فى تاريخ قطر عهد الشيخ عبد الله بقوله : « كان الشيخ عبد الله معروفاً بعلاقاته الطيبة مع بريطانيا وقد استمرت هذه العلاقات الطيبة طوال الحرب العالمية الأولى ، ولقد منح بعد انتهاء الحرب وساماً بريطانياً ... ولعل أهم الأحداث التى شهدت قطر فى عهد الشيخ عبد الله والتى كان لها أبلغ الأثر فى التطور الاقتصادى والاجتماعى والسياسى للإمارة هو اكتشاف النفط الذى نقل قطر من عهد إلى عهد بينهما بون شاسع . وبشكل عام يمكننا القول بأن الشيخ عبد الله بدأ حكمه والمجتمع القطرى يعيش حياته التقليدية القائمة أساساً على الغوص وحياة البادية ، وانتهى حكمه وقد وضعت قطر قدميها على عتبات عهد جديد عهد النفط بكل آثاره العميقة » . انظر عبد العزيز المنصور التطور السياسى لقطر ١٩١٦ - ١٩٤٩ ، منشورات دار ذات السلاسل ، الكويت ١٩٧٩م ، ص ١٢ .

(٤١) للمزيد انظر : وثائق التاريخ القطرى (٢) من الوثائق البريطانية والعثمانية ١٨٦٨ هـ - ١٩٤٩م ، إعداد قسم الوثائق بمكتب الأمير ، ص ١٦ - ١٩ .

(٤٢) استمر الشيخ عبد الله فى الحكم إلى عام ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م حينما اعتلت صحته فتنازل لابنه على الذى حدث فى عهده زيادة هائلة فى البترول نتج عنها ارتفاع فى مستوى المعيشة وزيادة فى العمران . وظل الشيخ على حاكماً إلى عام ١٣٨٠هـ ، حينما اضطر للتنازل عن الحكم لابنه أحمد ، كما عين الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ولياً للعهد ونائباً للحاكم الجديد . وفى عام ١٣٩١هـ أعلن استقلال قطر عن الحماية البريطانية ، كما دخل الاثنان فى تنافس على السلطة انتهى بانفراد الشيخ خليفة بالسلطة وتولى الحكم فى عام ١٣٩٢هـ واستمر الشيخ حمد فى الحكم إلى عام ١٤١٦هـ حينما قام عليه

ابنه الشيخ خليفة بن حمد بحركة اضطر فيها الشيخ حمد إلى مغادرة البلاد وتولى بموجبها ابنه مقاليد السلطة وحكم البلاد حيث لازال كذلك .  
للمزيد انظر : إسماعيل ياغي ومحمود شاکر ، تاريخ العالم الإسلامی ، ج ١ ، ص ٦٢ .

(٤٣) عبد العزيز محمد الشناوى ، المراحل الأولى للوجود البرتغالى فى شرقى الجزيرة العربية ، من البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات شرق الجزيرة العربية ، قطر ١٩٧٦م ، ج ٢ ، ص ٦١٥ .

(٤٤) أحمد العنانى ، البرتغاليون فى البحرين وما حولها خلال القرنين السادس والسابع عشر ، البحرين ١٩٨٣م ، المجموعة ١ ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٤٥) عبد العزيز الشناوى ، المراحل الأولى ، ص ٦١٦ .  
(46) Donald Hawley, Trucial States, London 1970, pp. 68 - 71 .

(٤٧) عن هرمز وأهميتها والوجود البرتغالى انظر : إبراهيم بشمى ، مملكة هرمز الفقاعة الذهبية ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الأيام ، البحرين ، ص ٢٨ - ٣٤ .

(٤٨) أحمد بوشرب ، مساهمة المصادر والوثائق البرتغالية فى كتابة تاريخ البحرين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر ، من البحوث المقدمة إلى مؤتمر البحرين عبر للتاريخ ، البحرين ١٩٨٣م ، المجموعة الأولى ، ص ١٢١ .

(49) Donald Hawley, The Trucial States, p. 73 .

(٥٠) للمزيد عن جهاد المماليك ضد البرتغاليين انظر : نوال حمزه الصيرفى ، النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ١٠٢ - ١١١ .

(51) Donald Hawley, The Trucial States, p. 73 .

(٥٢) صالح أوزبران ، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون فى الخليج العربى ، ترجمة وتعليق عبد الجبار ناجى ، منشورات مركز دراسات الخليج العربى ، البصرة ١٩٧٩م ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٥٣) لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج ١ ، ص ١٨ - ٢٢ .

(٥٤) فالح حنظل ، العرب والبرتغال فى التاريخ ٩٣ - ١١٣٤هـ / ٧١١ - ١٧٢٠م ، منشورات المجمع الثقافى ، أبو ظبى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص ٤٨٩ - ٤٩٧ .

(٥٥) حسن أحمد إبراهيم ، المطاعم الأوربية فى الخليج من مطلع القرن السادس عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر ، من البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات شرق الجزيرة العربية ، قطر ١٩٧٦م . ج ٢ ، ص ٨٩٥ .

(56) B. J. Slot, The Dutch East India Company, From Collection Papers Submitted to Bahrain Through The Ages Conference, Bahrian 1983, Part 1, p. 252.

(٥٧) حسن إبراهيم ، المطاعم الأوربية ... ، ص ٨٩٥ .

(58) Donald Hawley, The Trucial States, p. 76.

(٥٩) لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(60) Donald Hawley, The Trucial States , p. 76.

(61) Arnold Wilson, The Persian Gulf, London 1959, p. 164.

(62) Arnold Wilson, The Persian Gulf, pp.167-168.

(٦٣) مصطفى عقيل الخطيب ، التنافس الدولى فى الخليج ١٦٢٢ - ١٧٦٣ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٦٤) المرجع السابق ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٦٥) لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخى ، ج ١ ، ص ١١٤ .

(٦٦) مصطفى النجار ومحمد وصفى أبو مغلى ، جزيرة خارج من جزر الخليج العربى ، منشورات مركز دراسات الخليج ، البصرة ١٩٨٣م ، ص ١٥ - ٣٨ .

(٦٧) لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخى ج ١ ، ص ٢٤٥ .

وانظر : مصطفى النجار ، ومحمد أبو مغلى ، جزيرة خارج ، ص ٤٢ .

- (٦٨) صالح محمد العابد ، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج ١٧٩٨ - ١٨١٠م ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٩م ، ص ٣٥ .
- (٦٩) مصطفى الخطيب ، التنافس الدولي ، ص ٢٤٤ .
- (٧٠) لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ١ ، ص ٨٠ .
- (٧١) صالح العابد ، موقف بريطانيا ، ص ٣٦ .
- (٧٢) لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ١ ، ص ١١٩ .
- (٧٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٩ .
- (٧٤) مصطفى الخطيب ، التنافس الدولي ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .
- (٧٥) مارتفيل اوتركوسيه ، النشاط الفرنسي في البصرة ١٧٣٩ - ١٧٤٥ ، ترجمة مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ١٩٨٠م ، ص ١٠ - ١٦ .
- وقد كان مارتفيل هذا هو أول قنصل في البصرة ، وكان يشرف عليها مع بندر عباس التي لم يكن يعالج أمورها بصورة مباشرة حيث كان يستدعى الإبحار بينهما حوالي خمسة عشر يوماً . انظر : مارتفيل ، ص ٤١ .
- (٧٦) مصطفى الخطيب ، التنافس الدولي ، ص ٢٥٧ .
- (٧٧) قدرى قلجى ، الخليج العربي ، بيروت ١٩٦٥م ، ص ٣٨٩ .
- (٧٨) لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ١ ، ص ١٦٨ - ١٧٨ .
- (٧٩) قدرى قلجى ، الخليج العربي ، ص ٦٩ ، ٧٠ .
- (٨٠) المرجع السابق ، ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ .
- (٨١) لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .
- (٨٢) صالح العابد ، موقف بريطانيا ، ص ٦٩ ، ٧٠ .
- (٨٣) قدرى قلجى ، الخليج العربي ، ص ٣٩١ .
- (٨٤) صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج الفارسي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٦م ، ص ٣٢ .

(٨٥) صلاح العقاد ، التيارات السياسية فى الخليج العربى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٤م ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٨٦) جمال زكريا قاسم ، دولة بوسعيد فى عمان وشرق أفريقيا ١٧٤١ . ١٨٦١ ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ص ١٠٧ .

(٨٧) جون كيلي ، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠ ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، وزارة التراث القومى والثقافة ، عمان ١٩٧٩م ، ج ١ ، ص ٩٤ .

(٨٨) العقاد ، الاستعمار ، ص ٣٥ .

(٨٩) المرجع السابق نفسه .

(٩٠) لوريمر ، دليل الخليج ، التاريخى ، ج ١ ، ٢٣ .

(91) Hurewitz, J. C., The Middle East & North Africa In World Politics, A Documanary Record, Vol. 1, European Expnsion 1535-1914, London 1975, p. 5.

(92) Kaye, John William, The Administration of the East India Company, London 1853, pp. 109-111.

(٩٣) لوريمر ، دليل الخليج ، التاريخى ، ج ١ ، ص ٢٣ .

وانظر : مصطفى الخطيب ، التنافس الدولى ، ص ١٣٢ .

(٩٤) لوريمر ، دليل الخليج ، التاريخى ، ج ٣ ، ص ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ .

(95) Tuson, Penlop, The Records of the British Residency & Agencies in the Persian Gulf ( I. O. R. ) London, 1979, p. 173.

(٩٦) صلاح العقاد ، التيارات السياسية فى الخليج العربى ، ص ٣٥ ، ٦٣ .

(٩٧) عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم ، السلام البريطانى فى الخليج العربى ١٨٩٩ - ١٩٤٧ ، دار المريخ ، الرياض ١٤٠٢هـ ، ص ٥٧ .

(٩٨) عمر العمرى ، التطور السياسى للبحرين ، ص ٢٧٤ .

(٩٩) للمزيد عن الدور الحربى للبحرية البريطانية فى صراع القوى فى الخليج انظر:

Omer Al-Omery, The Resident in the Gulf : British Power in Transition.

(100) Penelope Tuson The Records of the British Residency & Agencies in the Persian Gulf ( I. O. R. ) London, 1979, p. 1,2.

(١٠١) عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم ، حكومة الهند البريطانية والإدارة فى الخليج العربى ١٨٥٨-١٩٤٧م ، دار المريخ الرياض ، ص١٣٥ .

(١٠٢) للمزيد عن التنظيمات الإدارية فى الخليج انظر بعض الدراسات الخاصة بذلك مثل : عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم ، حكومة الهند البريطانية والإدارة فى الخليج العربى . وانظر دراسة للباحث :

Omer Al-Omery, The Resident in the Gulf : British Power in Transition 1858-1872, Ph.D Thesis, Department of History, University of Essex, May 1989.

وانظر كذلك دراسة أخرى للباحث بعنوان ، كتابات المبعوثين الأجانب مصدراً لتاريخ الخليج دراسة فى النموذج البريطانى من خلال سجلات المقيم البريطانى فى الخليج ، الرياض ١٤١٧هـ .

(١٠٣) للمزيد عن الصراع بين عمان والبحرين والموقف البريطانى منه انظر : عمر العمرى ، التطور السياسى للبحرين ، ص٧٧ - ١٠٥ .

(١٠٤) عن انفصال زنجبار وعمان ودور بريطانيا فى ذلك انظر : بدر الدين عباس الخصوصى ، دراسات فى تاريخ الخليج العربى ، ج٢ ، ذات السلاسل ، الكويت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص١٥ - ٣٤ .

(١٠٥) للمزيد عن هذا الموضوع وعن المعاهدات بين بريطانيا والبحرين وظووف عقدها انظر : عمر العمرى ، التطور السياسى للبحرين ، ص٢٠٧ ، ٢٢٣ ، ٢٩١ ، ٣١٧ ،

(١٠٦) عن انسلاخ قطر عن البحرين ودور بريطانيا فى ذلك انظر : المرجع السابق ، ص٢١٤ - ٢٣١ .

(١٠٧) للمزيد عن الموقف العثمانى فى الخليج انظر : عمر العمرى ، التطور السياسى ، ص٢٧٣ - ٢٧٧ .

(١٠٨) للمزيد عن هذه المعاهدة وظروف عقدها انظر : المرجع السابق ، ص

٢٨١ - ٣٩٤ .

(١٠٩) لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ٢ ، ص ٨٢٢ ، وللإطلاع على

النص العربي لمعاهدة الحماية البريطانية مع عمان انظر : لوريمر ، ج ٢ -

ملحق رقم (٤) ص ٩٦٢ ، ٩٦٣ .

(١١٠) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٢٠ ، وللإطلاع على النص العربي

لمعاهدة الحماية البريطانية مع عمان انظر : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ملحق

رقم (٨) ص ١١٩٣ ، ١١٩٤ .

(١١١) للمزيد عن الوضع في البحرين في ظل الحماية البريطانية انظر : أمل

الزياتي ، البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي ، ص ٧٩ -

١٠٦ .

(١١٢) للمزيد عن معاهدة الحماية البريطانية مع الكويت انظر : أحمد أبو حاكمه ،

تاريخ الكويت ، الملحق رقم ٤ ، المعاهدات والمقاولات البحرية فيما بين

حاكم الكويت والدولة البهية القيصرية ، ص ٤٠٨ .

(١١٣) المرجع السابق ، ص ٣٢٠ .

(١١٤) ميمونة الخليفة الصباح ، الكويت في ظل الحماية البريطانية ، ص ٣١٥ -

٣٢٥ .

(١١٥) عبد الرحمن يوسف بن حارب ، الخليج العربي والتطورات السياسية ،

ص ٣٣ ، ٥٣ .

(١١٦) للإطلاع على كامل النص العربي والنص الإنجليزي لمعاهدة الحماية مع

قطر انظر : وثائق التاريخ القطري (٢) من الوثائق البريطانية والعثمانية

١٨٦٨ - ١٩٤٩م ، إعداد قسم الوثائق بمكتب الأمير ، الدوحة ١٣٩٩هـ /

١٩٧٩م ، ص ١٢ - ١٧ ، ٢٢١ - ٢٢٧ .

(١١٧) أمل الزينى ، البحرين بين الاستقلال السياسى والانطلاق الدولى ، ص ١٩٤ .

(١١٨) المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(١١٩) المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

(١٢٠) محمد حسن العبدروس ، دولة الإمارات العربية المتحدة من الاستعمار إلى الاستقلال ، ذات السلاسل ، الكويت ١٤٠٩هـ ، ص ٢١٠ .

(١٢١) المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

(١٢٢) المرجع السابق ، ص ٢١٥ - ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(١٢٣) للمزيد عن تاريخ المجلس وظروف تأسيسه انظر : عبد الله بشارة ، مجلس التعاون : أهدافه ، ظروف نشأته ومستقبله ، الرياض ١٩٨٩م ، ص ١-١٥ .



## قائمة المصادر والمراجع

أولاً : مصادر ومراجع باللغة العربية :

- إبراهيم بشمى ، مملكة هرمز .. الفقاعة الذهبية ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الأيام ، البحرين ( د . ت ) .
- أحمد مصطفى أبو حاكمه ، تاريخ الكويت الحديث ١١٦٣ - ١٣٨٥هـ — / ١٧٥٠ - ١٩٦٥ م ، الطبعة الأولى ، ذات السلاسل الكويت .
- أحمد بوشرب ، مساهمة المصادر والوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ البحرين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر ، من البحوث المقدمة إلى مؤتمر البحرين عبر التاريخ ، البحرين ١٩٨٣ م .
- أحمد العناني ، البرتغاليون في البحرين وما حولها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، البحرين ١٩٨٣ م ، المجموعة ١ .
- إسماعيل ياغى ، ومحمد ياغى ، ومحمد شاكر ، تاريخ العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ٨٩٧ - ١٤٠٠هـ ، الجزء الأول ، الجناح الأسيوى .
- أمل إبراهيم الزياتى ، البحرين بين الاستقلال السياسى والانطلاق الدولى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٧ م .
- اف سى ولكنسون ، عمان تاريخاً وعلماء ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، وزارة التراث القومى ، سلطنة عمان ، الطبعة الثانية ١٩٨٠ م .
- بدر الدين عباس الخصوصى ، دراسات في تاريخ الخليج العربى ، ج ٢ ، ذات السلاسل ، الكويت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .

- حسن أحمد إبراهيم ، المطامع الأوربية في الخليج من مطلع القرن السادس عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر ، من البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات شرق الجزيرة العربية ، قطر ١٩٧٦ م .
- حسن موسى ، البحرين بين النضال الوطني والديموقراطية ١٩٢٠ - ١٩٨١ م ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .
- حميد بن محمد رزيق ، سيرة السيد الهمام سعيد بن سلطان ابن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدى اليمنى الأزدي ، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسى ، منشورات وزارة التراث القومى ، سلطنة عمان ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م .
- حميد بن محمد بن رزيق ، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسى ، منشورات وزارة التراث القومى ، سلطنة عمان ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م .
- ج . ج . لوريمر ، دليل الخليج ، ترجمة قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر ، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر ، مطابع على بن على ، الدوحة ( ب . ت ) .
- جمال زكريا قاسم ، دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقية ١٧٤١ - ١٨٦١ ، مكتبة القاهرة الحديثة .
- جون كيلى ، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠ ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، وزارة التراث القومى والثقافة ، عمان ١٩٧٩ م .
- رودلف سعيد روت ، سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ١٧٩١ - ١٨٥٦ ، ترجمة عبد المجيد القيسى ، منشورات مركز دراسات الخليج العربى ، جامعة البصرة ١٩٨٣ م .

- سالم بن حمود السيابي ، عمان عبر التاريخ ، أربعة أجزاء ، منشورات وزارة التراث القومي ، سلطنة عمان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- سليمان بن أحمد بن أيوب ، المعجم الكبير ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ١٤٠٤ / ١٩٨٣ .
- سمير محمد علي ابوياسين ، العلاقات العمانية البريطانية ١٧٩٨ - ١٨٥٦ ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ١٩٨١م .
- صالح اوزيران ، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ، ترجمة وتعليق عبد الجبار ناجي ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ١٩٧٩م .
- صالح محمد العابد ، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج ١٧٩٨ - ١٨١٠م ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٧٩م .
- صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج الفارسي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٦م .
- صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٤م .
- عبد الرحمن يوسف بن حارب ، الخليج العربي والتطورات السياسية ١٩١٤ - ١٩٧١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ( د. ت. ) .
- عبد العزيز المنصور ، التطور السياسي لقطر في الفترة ١٨٦٨ - ١٩١٦م ، منشورات دار ذات السلاسل ، الكويت ١٤٠٠هـ .
- عبد العزيز المنصور ، التطور السياسي لقطر ١٩١٦ - ١٩٤٩ ، منشورات دار ذات السلاسل ، الكويت ١٩٧٩م .

- عبد العزيز محمد الشناوى ، المراحل الأولى للوجود البرتغالى فى شرقى الجزيرة العربية ، من البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات شرق الجزيرة العربية ، قطر ١٩٧٦ م .
- عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم ، السلام البريطانى فى الخليج العربى ١٨٩٩ - ١٩٤٧ ، دار المريخ ، الرياضى ١٤٠٢هـ .
- عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم ، حكومة الهند البريطانية والإدارة فى الخليج العربى ١٨٥٨ - ١٩٤٧ م ، دار المريخ الرياض .
- عبد العزيز عبد الغنى إبراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .
- عبد العزيز الرشيد ، تاريخ الكويت ، وضع حواشيه وأشرف عليه يعقوب عبد العزيز الرشيد ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ( ب. ت. ) .
- عبد الله بشاره ، مجلس التعاون ؛ أهدافه ، ظروف نشأته ومستقبله ، الرياض ١٩٨٩ م .
- عبد الله آل خليفة وعلى أبا حسين ، من تاريخ العتوب فى القرن الثامن عشر ، بحث مقدم إلى مؤتمر البحرين عبر التاريخ ١٩٨٣ م ، المجموعة الأولى .
- عثمان بن سند ، سباتك المسجد فى أخبار أحمد بنجل رزق الأسعد ، بومباى ١٣١٥هـ .
- عمر بن صالح العمرى ، التطور السياسى للبحرين ، ١٢١٥ - ١٣٠٩هـ / ١٨٠٠ - ١٨٩٢ م ، الطبعة الأولى ، مطابع دار الفكر بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م .

- عمر بن صالح العمرى ، أوراق المبعوثين الأجانب مصدرا لتاريخ دراسة في النموذج البريطاني من خلال سجلات المقيم البريطاني في الخليج ، الرياض ١٤١٧هـ .
- فالح حنظل ، العرب والبرتغال في التاريخ ٩٣-١١٣٤هـ / ٧١١-١٧٢٠م ، منشورات الجمع الثقافي ،، أبو ظبي ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- فينزور ، تاريخ السيد سعيد سلطان عمان ، ترجمة الدكتور محمود فاضل ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ١٩٨٨م .
- قسم الوثائق بمكتب الأمير ، وثائق التاريخ القطري ( ٢ ) من الوثائق البريطانية والعثمانية ١٨٦٨ - ١٩٤٩ ، الدوحة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- مارتنفيل اوتركوسيه ، النشاط الفرنسي في البصرة ١٧٣٩ - ١٧٤٥ ، ترجمة مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ١٩٨٠م .
- محمد حسن العيدروس ، دولة الإمارات العربية المتحدة من الاستعمار إلى الاستقلال ، ذات السلاسل ، الكويت ١٤٠٩هـ .
- مصطفى عقيل الخطيب ، التنافس الدولي في الخليج ١٦٢٢ - ١٧٦٣ ، المكتبة العصرية ، بيروت .
- مصطفى النجار ومحمد وصفي أبو مغلي ، جزيرة خارج من جزر الخليج العربي ، منشورات مركز دراسات الخليج ، البصرة ١٩٨٣م .
- ميمونة الخليفة الصباح ، الكويت في ظل الحماية البريطانية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- نوال حمزة الصيرفي ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

- وزارة الإعلام والثقافة في سلطنة عمان ، عمان وتاريخها البحري ، مسقط  
١٩٧٩ م .

مصادر ومراجع باللغة الإنجليزية :

- ( P. R. O ) , F . O . 371 , 17825 . Historical Memorandum On Bahrain.
- ( I. O. R ) L - P & S20c 241, Precls Of Bahrain Affairs .
- ( I. O. R ) , L - P& S20 C248, Precis Of Correspondence Regarding Affairs Of the Persian Gulf .
- Arnold Wilson , The Persian Gulf , London 1959 .
- Ahmed Hamoud Almaamiry , Oman And East Africa 3rd ed , New Delhi, 1985.
- B . J . Slot , The Dutch East India Company , From Collection Papers Submitted to Bahrain Through The Ages Conference , Bahrian 1983, Part 1 .
- Donald Hawley, The Trucial States , London 1970 .
- Hurewitz, J. C. , The Middle East & North Africa In World Politics , A Documanary record, Vol. 1, European Expnsion 1535-1914, London 1975.
- Kaye, John William, The Administration of the East India Company, London 1853.
- Omer Al-Omery, The Resident in the Gulf : British Power in Transition 1858-1872, Ph.D Thesis, Department of History, University of Essex, May 1989.
- Penelope Tuson, The Records of the British Residency & Agencies in the Persian Gulf ( I. O. R. ) London, 1979.
- Tuson, Penlop, The Records of the British Residency & Agencies in the Persian Gulf ( I. O. R. ) London, 1979.

# العلماء والأئمة في عمان

## أضواء على بعض مظاهر الحياة السياسية في العصور الحديثة

د. سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي(\*)

---

### المقدمة

يسلط هذا البحث الضوء على بعض مظاهر الحياة السياسية في عمان في التاريخ الحديث اعتباراً من القرن التاسع وحتى القرن الرابع عشر للهجرة، الموافق القرن الخامس عشر وحتى القرن العشرين للميلاد، وبخاصة دور العلماء في الحياة السياسية وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة من حيث دور العلماء في تنصيب الإمام أو خلع، أو في معارضته إن بلغ حد الخلع أو تخطى واجباته، أو علاقتهم بالسلطان أو الملك.

لقد قام علماء عمان بهذا الدور في الحياة السياسية باعتبارهم جزء من أهل «الحل والعقد» الذين لهم الحق في تنصيب الحاكم ومراقبته، بوصفهم أهل الشورى ولهم مكانة كبيرة في المجتمع الإسلامي، وأنهم قدوة أهل زمانهم، يتحلون بالحكمة والزهد والعفة والتواضع والقوة الحسنة.

ذلك أن العصر الحديث اعتباراً من مطلع القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد شهد مجموعة من الأئمة العمانية — بعد أن كانت الإمامة قد اختفت طيلة ثلاثة قرون ونصف القرن. وبجانب هؤلاء الأئمة وجد علماء أفذاذ قادوا المسيرة الفكرية والسياسية في المجتمع العماني، وشهدت عمان بهم ازدهارا حضاريا كبيرا، لمسنا جانباً منه خصوصاً في فترة دولة اليعاربة

---

(\*) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد - كلية الآداب جامعة السلطان قابوس.

( ٢٠٣٤هـ / ١٦٢٤م - ١١٦٢هـ / ١٧٤٩م ) الذين نجحوا في تحرير عمان من وطأة الاستعمار البرتغالي ، كما شهدت عمان أيضاً نهضة كبيرة في النصف الأول من القرن التاسع عشر للميلاد أبان عهد السيد سعيد بن سلطان البوسعيدى ( ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م - ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م ) .

وتتمحور هذه الدراسة حول الإمامة في عمان وتطورها التاريخي ، ثم تركز على دور العلماء في الحياة السياسية وذلك من خلال العناصر التالية :

١ - الإمامة والخلافة .

٢ - أهل الحل والعقد .

٣ - الإمامة في عمان .

٤ - علاقة العلماء بالأئمة .

**أولاً : الإمامة والخلافة :**

إن موضوع الإمامة والخلافة القصد منه حفظ الدين وسياسة الدنيا ، أى وظيفة دنيوية وأخروية ، يقول الماوردى ( ت : ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ) فى كتابه المشهور « الأحكام السلطانية » إن الإمامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا ، وعقدها لمن يقوم بها فى الأمة واجب بالإجماع «<sup>(١)</sup> .

ويقصد الماوردى من ذلك أن مكانة الإمام أو الخليفة ومبايعته على أنه رئيس للمسلمين ينظر فى أمور دنياهم ويرعى إدارة زمامهم وحفظ الدين وتطبيقه ، ومنزلة هذا الإمام من المسلمين من الناحية الدنيوية كمنزلة النبى محمد ﷺ منهم ، له عليهم الولاية العامة ، والطاعة التامة ، وله حق تنفيذ شرائع الدين بإقامة الحدود ومعاقبة المنحرفين عن الجادة ، كما أن الإمام يجمع بين السلطتين التشريعية والتنفيذية .



إن انتخاب الإمام أو الخليفة واجب على الأمة وهي على الكفاية . والمسلمون متفقون على وجوبها ، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا الخوارج<sup>(٢)</sup> الذين يرون أن انتخاب الإمام جائز وليس بواجب ، ووافق رأيهم بعض مشايخ المعتزلة . ويتفق رأى الإباضية مع مذاهب أهل السنة الأربعة في وجوب اختيار الإمام وفرضيته . ويتجلى ذلك على لسان كثير من علماء الإباضية وكتبهم الفقهية ، وهذا الشيخ خميس بن سعيد بن علي الشقصي يذكر في كتابه « المنهج »<sup>(٣)</sup> أن اختيار الأمام فرض من فرائض الله فيقول : « الإمامة فرض من فرائض الله وواجب من واجباته وهو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط على الباقيين »<sup>(٤)</sup> .

ويستدل العلماء على فرضية الإمامة بالقرآن والسنة الشريفة وإجماع المسلمين ، إما بالقرآن الكريم وإما بالسنة الشريفة ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى : « اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »<sup>(٥)</sup> وإلى قوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفكم في الأرض »<sup>(٦)</sup> وإلى قوله تعالى : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فأحكم بين الناس بالحق »<sup>(٧)</sup> . وهناك نصوص قرآنية أخرى مما لم نوردته تشير إلى اختيار الإمام وهو لا محالة كما فهمه الصحابة وطبقوه .

أما الاستدلال من السنة الشريفة فلقول الرسول الكريم : « اطيعوا ولاة أموركم »<sup>(٨)</sup> وقال : « ولا تعصى إماماً عادلاً »<sup>(٩)</sup> « من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني »<sup>(١٠)</sup> « من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية »<sup>(١١)</sup> « ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »<sup>(١٢)</sup> « لا يزال هذا الدين قائماً حتى تقوم الساعة ، أو يكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش »<sup>(١٣)</sup> .

أما الاستدلال بالإجماع فهو فعل المهاجرين والأنصار في اختيارهم الخلفاء الراشدين ، وكفاح المسلمين في تثبيت خلفاء بني أمية وبني العباس يؤكد هذه الشرعية<sup>(١٤)</sup> .

ولذا اجمع علماء الأمة الإسلامية على وجوب الإمامة ولكنهم اختلفوا فيمن أولى بها . والأصل في الخلافة عند المسلمين راجعة إلى اختيار أهل الحل والعقد الذين هم العلماء والرؤساء ووجوه الناس .

ومكانة الإمام عظيمة بين المسلمين حيث أنه لا يمكن أن تطبق أحكام الشريعة بدونه ، فهذا الشيخ أحمد الكندي يذكر أهمية هذا الدور وينسب للعلامة موسى بن علي بن عزرة الأزكوي السامي<sup>(١٥)</sup> قولاً جاء فيه « لا يجهز جيش ولا تعقد راية ولا يؤمن خائف ولا يقام حد ولا يحكم بحكم غير مجتمع عليه إلا بإمام وهي عند القدرة عليها والإمكان الإمامة منها<sup>(١٦)</sup> . ويقول الشيخ أبو المؤثر الصلت ابن خميس « وإن من دين الله الإمامة وهي حق الله واجبة على عباده لإقامة الحدود وإنصاف المظلوم والحكم بين الناس »<sup>(١٧)</sup> ويقول الصائغي<sup>(١٨)</sup> « إن الإمامة فريضة والعقد فيها وسيلة<sup>(١٩)</sup> وفي قول آخر « أن الإمامة سنة ، قبل أن يثبت العقد ، فإن ثبت العقد كانت فريضة<sup>(٢٠)</sup> .

والإمامة عند الإباضية فرض من فرائض الله الواجبة على العباد وهي فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، ويقوم بها أهل الحل والعقد المتواجدين مع الإمام المتوفى أو إن لمسوا من أنفسهم القدرة في مكان ما صالحاً وهم مخولون في اختيار الإمام ويشترط أن لا يقل عددهم عن ستة رجال<sup>(٢١)</sup> .

من هذه النصوص وغيرها مما لم نذكره نفهم أن على الأمة فرض في اختيار الإمام لكي يدير أمور الدولة ويسوسها ويمنع الظلم ويفصل بين المتخلصمين ويدفع المضار ، وعلى حد قول ابن خلدون ( ت : ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م ) « جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار »<sup>(٢٢)</sup> إلى آخر المهام الموكولة على كاهل هذا الإمام . ونستجلى من الإباضية كلام الشيخ أبي المؤثر الخروصي ( ت : أوائل القرن ٤ هـ ) « وإن من دين الله الإمامة وهي حق الله واجب على عباده لإقامة الحدود ، وإنصاف المظلوم والحكم بالعدل بين الناس عامة . فإذا ظهر المسلمون

اجتمع في الأرض فقهاؤها وأهل الفضل منهم ، واجتهدوا لله في النصيحة ، واختاروا رجلاً طاعته لله لا لطاعتهم<sup>(٢٣)</sup> .

وكلمة الإمام والخليفة والأمير ، هي في الواقع ألفاظ مترادفة تعني الحاكم ، وإن كانت في القرون التالية لعصر الرسالة أخذت مفهوماً جديداً . وكان الأصل هو الأمير ، فقد وردت على لسان أهل السقيفة « منا أمير ومنكم أمير أو نحن الأمراء وأنتم الوزراء » ولذلك تلقب بعض الخلفاء بلقب أمير المؤمنين . والكلمات الثلاث لها مدلولاتها فلتراجع في ذلك قواميس اللغة وموسوعاتنا ، كما اتخذ بعض الخلفاء من بني أمية وبني العباس ألقاباً بجانب أسمائهم كالناصر والقائم والمهدي والهادي... إلخ .

ويختار أهل الحل والعقد خليفة من المسلمين إذا توفرت فيه صفات الخليفة وهي العلم والعدالة والكفاية والحرية وسلامة الحواس والأعضاء والنسب القرشي . وقد اختلفت المذاهب الإسلامية في صفة العلم ومقداره وشرط القرشية ، حيث اكتفت بعض المذاهب بأن يكون الخليفة عالماً بشئون الدين والأحكام بينما اشترطت البعض بالعالم المجتهد كما جاء على لسان ابن خلدون « ولا يكتفى من العلم إلا أن يكون مجتهداً لأن التقليد نقص والإمامة تستدعي الكمال في الأوصاف والأحوال »<sup>(٢٤)</sup> ، ويقول عبد القاهر البغدادي ( ت : ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م ) « وأقل ما يكفي منه أن يبلغ فيه مبلغ المجتهدين في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام »<sup>(٢٥)</sup> .

والحقيقة أن هذا الشرط يصعب تحقيقه ولذلك لم تأخذ الأمة بهذا الشرط في اختيار خلفائهم من بني أمية أو من أتى بعدهم . ومن أنصار هذا الرأي العلامة ابن حزم الأندلسي الذي يرى أن هذا الشرط من المستحبات ، فقال : « ثم يستحب أن يكون عالماً بما يخصه من أمور الدين من العبادات والسياسة والأحكام مؤدياً للفرائض كلها لا يخل بشئ منها مجتنباً لجميع الكبائر سراً وجهرًا ... »<sup>(٢٦)</sup> .

أما الشرط الثانى الذى اختلف فيه فهو النسب القرشى ، إذ اجتمعت الأمة على هذا الشرط إلا الخوارج والأباضية الذين يرون أنه يجوز اختيار الخليفة من قريش أو غيرهم إن توفرت فى الخليفة الشروط المناسبة ، وعلى الرغم من ذلك فقد تخلص أهل السنة من هذا الشرط حينما فقت قريش القدرة والشوكة . فهذا ابن خلدون يقول : « ورد عليهم سقوط شرط الكفاية التى يقوى بها على أمره لأنه إذا ذهبت الشوكة بذهاب العصبية فقد ذهبت الكفاية » ويقول : « وبما أن الغلبة والنفوذ كانتا لقريش بعد وفاة الرسول (ص) فمن الضرورى أن تكون الخلافة فيهم وقتئذ<sup>(٢٧)</sup> . ويضيف الأباضية شروط ثانوية مهمة أوجزها الشيخ الكندى فى أنه يجب على الإمام أن يكون عادلاً ، حكيمًا ، شجاعًا ، شريفًا ، قادرًا على نشر العدالة بين الناس والسهر على حقوقهم ومصالحهم ، وأن يحكمهم بالعدل التام حسب الشريعة الدينية ، ولا ينبغي للإمام أن يكون حسودًا ولا مقعدًا ولا كذابًا ، ولا مخلفًا ، ولا حقودًا ، ولا بخيلًا ، وعجولًا ، ولا مبذرًا ، لاغدارًا ، ولا مكارًا<sup>(٢٨)</sup> .

ولا يعنى هذا أن الأباضية يرفضون الإمام من قريش إنما يؤكدون أن الأفضلية يجب أن يكون من قريش ، فإن تعذر فمن غيره . ويقول الشيخ أحمد الكندى نقلًا من كتاب التمهيد لبعض الأباضية قال : يجب أن يكون على أوصاف منها : أن يكون قرشيًا من الصميم لقول النبى ﷺ : الأئمة من قريش ، وليس من صفاته أن يكون معصومًا ، ولا عالمًا بالغيب ، ولا أفرس الأمة وأشجعهم ، ولا أن يكون من بنى هاشم فقط ، دون غيرهم من قريش<sup>(٢٩)</sup> ، ولعله يشير إلى رأى الشيعة الذين يحصرون الخليفة فى بنى هاشم من سلالة فاطمة وعلى ( رضى الله عنهما ) .

### ثانيًا : أهل الحل والعقد :

تتعدد الإمامة بأمرين : أحدهما باختيار أهل الحل والعقد ، والآخر بعهد من الإمام ( ولاية عهد ) . ويقول البقلانى ( ت : ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م ) فى هذا الصياغ « ويصير الإمام إمامًا بعقد من يعقد له لإمامته من أفاضل المسلمين الذين هم أهل

الحل والعقد والمؤتمنون في هذا الشأن» (٣٠) . وأهل الحل والعقد هم العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يعقد عليهم الرأي والمشورة ويتيسر اجتماعهم في مركز الحكم . فهؤلاء يتمتعون بالسلطة الشرعية على الأمة وهم باختيارهم لشخص وتنصيبه إماما يتخلون عن سلطتهم الشرعية ويفوضونها إليه .

واشترط الماوردي عدة شروط في أهلية أهل الحل والعقد وهي العدالة والعلم وصاحب رأي وحكمة (٣١) . وقد اختلف في عدد أهل الحل والعقد الذين تتعقد بهم الإمامة . فقليل تتعقد بواحد إذا كان من أهل الاجتهاد (٣٢) ، وقيل تتعقد باثنين من أهل الورع والاجتهاد (٣٣) ، وقيل تتعقد بستة من أهل الصلاح والمشورة وأهل الرأي (٣٤) . وهناك طائفة من المسلمين يرون بعدد غير محدد وأنها تتعقد بواسطة علماء الأمة (٣٥) . أما الإباضية فيشترطون في أهل الحل والعقد أن لا يقلون عن خمسة رجال من خيار الأمة معتمدين على حصر الخليفة عمر بن الخطاب في أهل الشورى الستة (٣٦) ولكن أيضا يجيزون بواحد . يقول السيد الفقيه مهنا البوسعيدى « وثبتت الإمامة بغير عقد إذا وقع التراضي به من الخاصة من أهل العلم ، والحل والعقد ، فإذا خرج رجل وحده وبذل نفسه لله وأنكر المنكر ، فله أن يجبر أهل الفساد والمعاصي على الرجوع إلى الحق ويقاثلهم على ذلك » (٣٧) .

والعلماء الذين هم جزء من أهل الحل والعقد ، وهم قذوة الأمة ، خصهم الله عز وجل بميزات فقال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات » (٣٨) وقال : « وما يستوى الأحياء ولا الأموات » (٣٩) . وقال المفسرون أن المقصود بالأحياء في الآية هم العلماء أو العقلاء والأموات هم الجهال (٤٠) . وقال الرسول الكريم ﷺ في حقهم « إن العالم يستغفر له من في السنوات والأرض والحيتان في جوف الأرض ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، لأن العلماء ورثة الأنبياء ومصاييح الهدى وأمناء الله على وحيه ما لم يركنوا إلى الدنيا » (٤١) .

واتباع العلماء واجب ، لأن الله تعالى جعلهم حجة في الأرض بينه وبين عباده ، فقال تعالى : « فأسلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »<sup>(٤٢)</sup> ، وقال : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »<sup>(٤٣)</sup> ، وهناك نصوص كثيرة ترفع من مكانة العالم . وفي المقابل قال رسول الله فيهم : « هلاك أمتي من رجلين ، عالم فاجر ، وجاهل متعبد » وقال : « أشر الناس العلماء إذا فسدوا » وروى عن رسول الله ﷺ من طريق أنس بن مالك أنه قال : « إن مثل العلماء في الأرض كمثل نجوم السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم يوشك أن تضل الهداة »<sup>(٤٤)</sup> .

هؤلاء هم العلماء الذين يستقيم بهم الدين والدنيا ، ويعتمد عليهم في اختيار الأئمة ومراتبهم عن الزلل والطغيان وظلم الرعية والإنفراد في الرأي. وسار الإباضية على هذا المنهج في تقديم علمائهم وتبوأوا مكانة عظيمة في نفوس الأمة حيث وجوب الاحترام والتوقير والطاعة . ونص المشرع الإباضي على مراقبة الإمام الضعيف فيقول : « لا يقبض ( الإمام ) مالا ، ولا يأمر بإنفاقه ، ولا يولى واليا ولا يأمره بذلك ، ولا يخرج جيشا ، ولا يأمر بذلك ولا يحكم بحكم ولا يأمر بذلك ، إلا بمشورة المسلمين أهل العلم والورع »<sup>(٤٥)</sup> ، ولهذا يرى علماء الإباضية أن « الشورى على الإمام فرض ، فإن تركها كفر ، عالما كان أم ضعيفا »<sup>(٤٦)</sup> .

وقد تتبعنا علاقة العلماء بالأئمة ودورهم في الحياة السياسية منذ قيام الإمامة الإباضية الأولى في عام ١٣٢هـ / ٧٤٨م وحتى أوائل القرن العشرين فوجدنا أن أهم ما قاموا به في الحياة السياسية يتلخص في النقاط التالية :

١ - اختيار الأئمة وتنصيبهم وفق قواعد الدين .

٢ - مراقبة سير الإمام ومعارضته إن حاد عن الجادة .

٣ - خلع الأئمة وعزلهم إن وجب ذلك .

٤ - القيام بشؤون القضاء والفتاوى والتدريس والخطب أيام الجمع والأعياد وفي المناسبات الأخرى مثل : الزواج والنوازل والكوارث ... إلخ .

٥ - قيادة الجيوش للذود عن الدين والوطن وحوزة الإسلام ومنجزات الوطن.

٦ - قبول توبة الإثمة أن اقترفوا ذنبا لا يصل حد العصيان أو الكبيرة .

وأصبحت من التقاليد المتبعة والمراسيم المتخذة عند الأباضية أن لا تتم أية بيعة دون وجود علماء مجتهدين يتولوا أمر البيعة للإمام المنتخب ، ويقوم أبرزهم بذلك<sup>(٤٧)</sup> . والأمثلة كثيرة على ما استعرضناه من الواقع التاريخي العماني ، فهذا العلامة خميس بن سعيد الشقصي قد رشح الإمام ناصر بن مرشد اليعربي في عام ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م ، وهم الذي نصبه إماما بعد الموافقة على ترشيحه من جملة العلماء ، قيل أنهم بلغوا زهاء أربعين عالما ، بالإضافة إلى أعيان الرستاق وأشرافها . كما أن الشيخ قاذ للإمام ناصر الجيوش ضد البرتغاليين ، وفي الوقت نفسه كان رئيسا للقضاء ومفتيا عاما ، وفوق ذلك خصص وقتا للتصنيف وترك عدة مؤلفات من ضمنها كتاب « منهج الطالبين » في أكثر من عشرين مجلدا ، فضلا عن الجلوس للتدريس . والشئ الذي يجب ملاحظته أن علماء عمان يرون أنه لا يجوز عزل الإمام أو خلعه إلا إذا أخل الإمام بواجباته الشرعية تجاه ربه وأمتة ووطنه ، أو إذا أصابه العجز أو الكبر الشديد ولم يستطع تسيير إدارة إمامته ، يقول الشيخ أحمد الكندي في هذا الصدد « ليس للإمام أن يخلع نفسه بغير حدث ، ولا للرعية أن تخلع إمامها بغير حدث وإنما ذلك منهم بغي وخطأ »<sup>(٤٨)</sup> ، وفي هذه الحالة يقوم العلماء برده عن ذلك « فإن تاب رجع إلى إمامته وولايته معهم . فإن أصر ولم يتب من حدثه ذلك كان للمسلمين عزله ، فإن كره أن يتوب ولا يعتزل ، حل لهم دمه وجهاده »<sup>(٤٩)</sup> . كما أنهم يجيزون العيش مع مخالفيهم من الحكام وكذلك يجيزون الحاكم العادل من سلاطينهم ويقول الشيخ معمر : « إمام المسلمين سواء جاء بطريقه الشورى أو بغيره ، إذا كان عادلا تجب طاعته والخروج عنه



فسق . وإذا جار ، جاز البقاء تحت حكمه ولا يطاع في معصية وجاز الخروج عنه<sup>(٥٠)</sup> .

### ثالثاً : الإمامة في عمان :

بدأ العمانيون في تنصيب أئمتهم وفق رأى الأباضية في الإمامة اعتباراً من عام ١٣٢هـ / ٧٤٨م ، وذلك حينما انتخبوا الإمام الجلندي بن مسعود بن جعفر بن الجلندي . وسار هذا الإمام في العمانيين سيرة حسنة ، ولكن إمامته لم تدم أكثر من سنتين وبضعة أشهر ، حيث قضى على هذه الإمامة القائد العباسي خازم بن خزيمة التميمي عام ١٣٤هـ / ٧٥١م<sup>(٥١)</sup> . وكان الخليفة العباسي أبو العباس أرسل خازم إلى جزيرة « ابن كاوان » للقضاء على ثورة الخوارج الصفرية بها بزعامة شيبان ابن عبد العزيز اليشكري ، الذي هرب بعد هزيمته إلى عمان ، حيث تصادم مع جيش الإمام وانتهى الأمر بقتله . وبعد فترة من الوقت قدم خازم لاحقاً اليشكري ، فوجده قد قتل ، فتفاوض خازم مع الإمام الجلندي حول الخضوع وإعلان الولاء للخليفة العباسي . ولكن المفاوضات تعثرت وانتهت بالتصادم وقتل الإمام الجلندي في معركة جلفار الثانية ، وأصبحت عمان ولاية عباسية<sup>(٥٢)</sup> .

وكان ان اختفى منصب الإمامة في عمان قرابة ثلاثة وأربعين عامًا ، حيث حكم راشد بن النظر بن جعفر بن سعيد الجلندي ، بالإشتراك مع ابن عمه محمد بن الزائدة بن جعفر بن سعيد الجلندي كولاية لبني العباس . وبعد هزيمة راشد بن النظر في معركة المجازة عام ١٧٧هـ / ٧٩٣م على يد علماء الأباضية بقيادة محمد بن المعلى الكندي ومؤيديهم ، نجح العلماء برئاسة العلامة موسى بن أبي جابر الأزكوى ( ت : ١٨٠هـ / ٧٩٧م ) ، وبشير بن المنذر السامي ( ت : ١٧٨هـ / ٧٩٥م ) في تنصيب محمد بن عبد الله بن أبي عفان إماماً في عام ١٧٧هـ / ٧٩٣م ، ومن ثم قامت الإمامة الثانية التي استمرت حتى ٢٨٠هـ / ٨٩٣م<sup>(٥٣)</sup> .



وسبب زوال الإمامة الأباضية الثانية هو الشقاق الذى حدث بين العمانيين على إثر خلع العلامة موسى بن موسى بن على بن عزرة ( ت : ٢٧٨هـ / ٨٩١م ) للإمام الصلت بن مالك من إمامته فى عام ٢٧٣هـ / ٨٨٦م لكبر سنه ، وقيل لضعف بصره وسمعه ، ومعاناته من ألم المفاصل ، ورفض مؤيدوه هذا العزل الذى انتهى بقتل العلامة موسى بن موسى ، فاستعان انصاره بالخليفة العباسى المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق ( ٢٧٩هـ / ٨٩١م - ٢٨٩هـ / ٩٠١م ) الذى أناط هذه المهمة إلى واليه على البحرين ( الإحساء ) محمد بن نور لنصرة هؤلاء الموتورين ، ونجح الوالى محمد فى القضاء على إمامة عزان بن تميم الخروصى الذى تسبب فى قتل الشيخ موسى بن موسى (٥٤) .

وهكذا استعادت الإمامة مكانتها بعد سنتين ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه : الإمامة الأباضية الثالثة ، وذلك عندما نجح أهل نزوى فى قتل واليهم أبا أحمد البحيرة ، وانتخاب محمد بن الحسن الخروصى (٥٥) إماما لنزوى . ولكن هذه الإمامة لم تكن بنفس القوة التى كانت لسابقتها لكونها لم تفرض سلطتها على كل مكان ، بل شاركها ولاية العباسيين ( بنى سامة : ٢٨٠هـ - ٣١٧هـ ، وبنى وجيه : ٣١٧هـ - ٣٥٥هـ ) فضلا عن القرامطة الذين تدخلوا فى شئون عمان على فترات مختلفة (٥٦) .

وقد تلاشت الإمامة الأباضية الثالثة عام ٣٤٢هـ / ٩٥٣م بعد موت الإمام راشد بن الوليد الكندى ، على الرغم من أن ثمة علماء قديرين ظهروا فى هذه الفترة ، أمثال العلامة أبو عبد الله محمد بن روح بن عربى الكندى ، وأخيه مخلص ابن روح ، والعلامة الكبير ذائع الصيت أبو سعيد محمد بن سعيد الكدمى ، والعلامة أبو إبراهيم محمد بن سعيد الأزكوى ، والشيخ عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر ، والعلامة الأصولى أبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة السليمى ، والعلامة أبو الحسن على البسوى وغيرهم (٥٧) .

انقطعت الإمامة مدة ٦٥ سنة حتى قامت عام ٤٠٧هـ / ١٠١٦م حينما نصب الإمام الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك ، واستمرت هذه الإمامة التي يمكن أن نطلق عليها الإمامة الأباضية الرابعة حتى عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣. ويبدو لي أنه في بداية القرن ٦هـ / ١٢م كانت هنالك إمامتين : الأولى في نزوى ، والثانية في الرستاق ، لذا أفضل أن أطلق على هذه الإمامة اسم «الإمامة المزبوجة»<sup>(٥٨)</sup> .

ومن علماء الإمامة الرابعة البارزين العلاقة القاضي محمد بن إبراهيم ابن سليمان الكندي صاحب كتاب بيان الشرع في ٧٢ مجلداً<sup>(٥٩)</sup> والذي يقول الشيخ سيف ابن حمود البطاشي في حقه : « إن العلماء الذين جاءوا بعد تأليف بيان الشرع كلهم عيال عليه يستمدون منه ويعترفون بفضلته »<sup>(٦٠)</sup> .

والشيخ القاضي أبو الحسن بن علي بن نصر الهجار ، والشيخ الفقيه أبو علي الحسن بن أحمد بن محمد بن عثمان النزوي ، والشيخ محمد بن موسى بن سليمان الكندي صاحب كتاب الكفاية<sup>(٦١)</sup> ، والشيخ أحمد بن عبد الله بن موسى بن سليمان الكندي صاحب كتاب « المصنف »<sup>(٦٢)</sup> ، والشيخ أبو علي الحسن بن سعيد بن قريش النزوي الذي عاصر الإمام الخليل بن شاذان الخروصي ( ٤٠٧هـ / ١٠١٦م - ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م ) والشيخ محمد بن خالد ، والعلامة الفقيه النسابة أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي<sup>(٦٣)</sup> ، وغيرهم كثيرون لا يسعنا ذكرهم ، لكن على ما يبدو أن الحياة الفكرية انتعشت في هذه الإمامة لكثرة توافر من العلماء<sup>(٦٤)</sup> ، والتصنيفات التي تركوها .

وبعد عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ، أي بعد انتهاء الإمامة الرابعة ( المزبوجة ) ، لم نجد للأئمة أي ذكر حتى عام ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م . وهذه الفترة هي فترة دولة بني نبهان الأولى التي أطيح بها عام ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م . وبلغت سنوات حكم النباهنة في حكمهم الأول ٣٢٥ سنة تقريباً . ومن أهم الأحداث التي تعرضت لها عمان خلال هذه الفترة انفصال السواحل العمانية من تبعية السلطان النبهاني إلى سلطة الملك الهرمزي في عام ٦٦٠هـ / ١٢٦١م . ولم يتمكن العمانيون من استعادة هذه

السواحل إلا عام ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م حينما طرد العمانيون البرتغاليين من مسقط في عهد الإمام سلطان بن سيف اليعربى ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م - ١٠٩١هـ/١٦٨٠م<sup>(٦٥)</sup>.

وفى عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م تم إحياء الإمامة ، وهى التى يمكن أن نطلق عليها الإمامة الأباضية الخامسة ، حيث انتخب العمانيون عدداً من الأئمة :

- ١ - الإمام الحوارى بن مالك ( ٨٠٩هـ/١٤٠٦م - ٨٣٢هـ/١٤٢٨م ) .
- ٢ - الإمام مالك بن الحوارى ( ٨٣٢هـ/١٤٢٨م - ٨٣٨هـ/١٤٣٤م ) .
- ٣ - الإمام أبو الحسن محمد بن خميس ( ٨٣٨هـ/١٤٣٤م - ٨٤٦هـ/١٤٤٢م ) .

وبموت الإمام أبى الحسن هذا انقطعت الإمامة حتى عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م حين نجح العلامة الفقيه محمد بن سليمان الناعبى فى تنصيب الإمام عمر بن الخطاب الخروصى إماماً لعمان ، ثم من بعده عدد من الأئمة ، ولكن قبل نهاية القرن حدث انقطاع آخر للإمامة استمر عشر سنوات، وذلك حينما نجح سليمان بن سليمان بن مظفر النبهانى فى استعادة السلطة وطرد الإمام ، لكن هذا السلطان أطيح به عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م حينما انتخب محمد بن إسماعيل الحاضرى إماماً ، ومن بعده ابنه بركات بن محمد فى عام ٩٤٢هـ/١٥٣٥م ، وتنتهى هذه الإمامة باستيلاء السلطان سلطان بن محسن بن سليمان النبهانى على نزوى عام ٩٦٤هـ/١٥٥٧م ، وهو الذى نجح فى أن يكون لنفسه ثم لورثته ملكاً . وعرفت دولته بالدولة النبهانية الثانية، واستمرت حتى عام ١٠٢٦هـ/١٦١٧م حينما نجح الشيخ ناصر بن ناصر بن قطن الهلالى فى طرد السلطان نبهان بن فلاح بن محسن بن سليمان النبهانى من عاصمته « ينقل » والاستيلاء عليها . ولكن الشيخ ناصر لم يملك عمان بل تفرقت المدن العمانية فى أيدي رؤساء القبائل والولاء السابقين والأعيان ، فساد الظلم ، وانعدم الاستقرار الأمنى والسياسى والاجتماعى ، وبغت القبائل على بعضها البعض<sup>(٦٦)</sup> .

وبعد ثماني سنوات من ذلك اجتمع أولو الفكر والرأى والمشورة بزعامة الشيخ خميس بن سعيد الشقصي ونصبوا حفيد سلطان الرستاق الأمير ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب اليعربي إمامًا ، وذلك في عام ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤ ، وهو أول أئمة دولة اليعاربة التي حكمت عمان لمدة أكثر من ١٢٩ سنة .

تعاقب على دولة اليعاربة أحد عشر إمامًا ، كلهم من اليعاربة عدا الشيخ محمد بن ناصر بن عامر الغافري الذي كان على كرسى الإمامة بين عامي ١١٣٧هـ / ١٧٢٤م و ١١٤٠هـ / ١٧٢٨م . ولكن دولة اليعاربة انهارت عام ١١٦٢هـ / ١٧٤٩م<sup>(٦٧)</sup> وانتقل منصب الإمامة إلى أسرة آل بو سعيد عام ١١٦٢هـ / ١٧٤٩م .

وكان نصيب أسرة آل بو سعيد من الأئمة ثلاثة أئمة ، هم :

١ - الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد البورسعيدى ( ١١٦٢ / ١٧٤٩ - ١١٩٨ / ١٧٨٣ ) .

٢ - الإمام سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد ( ١١٩٨ / ١٧٨٣ - ١٢٢٥ / ١٨١٠ ) .

٣ - الإمام عزان بن قيس بن عزان بن قيس ( ١٢٨٥ / ١٨٦٨ - ١٢٨٧ / ١٨٧١ ) .

وفى عام ١٣٣١هـ / ١٩١٣م نجح العلماء ورؤساء القبائل بقيادة الشيخ نور الدين عبد الله بن حميد السالمى فى إحياء الإمامة ، وتم انتخاب سالم بن راشد بن سليمان الخروصى إمامًا فى مدينة تنوف واستمرت إمامة القرن العشرين حتى منتصف الخمسينات من هذا القرن<sup>(٦٨)</sup> .

\* \* \*

وبعد هذا العرض لتطور منصب الإمامة التى كانت تختفى تارة ، وتظهر فى أكثر الأحيان ، نجد أن عدد الأئمة المشهورين بلغ ٦٤ إمامًا ، وكان من نصيب العصور الحديثة ٢٧ إمامًا ، منهم : ١٠ أئمة من اليعاربة ، وثلاثة من آل بو سعيد ،

وواحد من بنى غافر ، والبقية من القبائل الأخرى ومن بنى خروص ، وقد صاحب هؤلاء الأئمة جملة من العلماء اجتهدوا فى إقامة العدل وانصاف الناس وتسيير إدارة الدولة والحفاظ على منصب الإمامة. وهم يمثلون مجلساً تشريعياً عبر عصور الإمامة الإباضية لعمان ، أو على حد قول الدكتور غباش « ويستخلص بوضوح من التاريخ العماني أن العلماء ، أهل الحل والعقد ، ضمير المجتمع وممثليه ، لعبوا دوراً مركزياً فى تخليد نظام الإمامة . فضلاً عن دورهم كمرشدين روحيين للمجتمع وكقضاة وكحراس لتطبيق مبدأ الشورى والعدالة الاجتماعية إلى غير ذلك يعود إليهم . وكانوا الأمناء المتميزين على ثقافة بلادهم السياسية من خلال أعمالهم النظرية والفقهية والتاريخية »<sup>(٦٩)</sup> .

#### رابعاً : علاقة العلماء بالأئمة :

وفى مطلع القرن ٩هـ / ١٥م تم إحياء الإمامة الإباضية بعد انقطاعها منذ عام ٥٧٩هـ / ١٨٣م . وبرز فى النصف الأول للقرن الخامس عشر للميلاد جملة من العلماء ، قاموا بدور بارز فى الحياة السياسية فى عمان ، سواء على مستوى الأئمة أو سلاطين بنى نبهان ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر<sup>(٧٠)</sup> :

- ١ - الشيخ سليمان بن راشد بن صقر العدوى .
- ٢ - الشيخ سليمان بن أحمد بن مفرج بن أحمد ( ت : ٨٦٩هـ / ١٤٦٤م )<sup>(٧١)</sup> .
- ٣ - الشيخ مفرج بن أحمد بن مفرج بن أحمد .
- ٤ - الشيخ أحمد بن مفرج بن أحمد بن مفرج بن أحمد<sup>(٧٢)</sup> .
- ٥ - الشيخ ورد بن أحمد بن مفرج بن أحمد بن مفرج بن أحمد ( ت : ٨٧٤هـ ) .
- ٦ - الشيخ صالح بن محمد .
- ٧ - الشيخ صالح بن وضاح بن محمد المنحى ( ت : ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م ) .
- ٨ - سلالة آل مداد الذين امتد عطاؤهم فى العلم والعمل إلى وقت طويل .

وقد نال الشيخ ورد بن أحمد شهرة كبيرة بين علماء عمان ، شأنه شأن أبيه أحمد بن مفرج الذي رشحه العلماء في خلافة والده في رئاسة القضاة والعلماء . وكان الشيخ ورد من جملة العلماء الذين استفتاهم السلطان سليمان بن مظفر بن سليمان ( ت : ٨٧١هـ / ١٤٦٦م ) في إقامة صلاة الجمعة بمدينة نزوى ، فلم يروا إجازة ذلك<sup>(٧٣)</sup> . وقد خلف الشيخ ورد في رئاسة القضاء الشيخ محمد بن سليمان بن أحمد .

والحقيقة فإن قوة العلماء واجتهادهم في تنصيب الأئمة إذا لم تكن مدعومة من قوة سياسية وعسكرية كما يطلق عليها ابن خلدون في نظريته « العصبية » أو القبلية ، فلا يمكن أن تستقيم الإمامة أو تستمر . ومن استقرائنا للتاريخ يمكن أن ندلل على صحة ذلك بوقائع تاريخية ، فهذا الإمام الجلندي ابن مسعود توفرت فيه الدعامة العصبية حيث أنه من نسل بيت ملكي ، ولهذا فقد ألتف معه الازد والناس تبع لهم . وكذلك كان في أئمة اليعاربة ، فقد اختير ناصر بن مرشد على أساس أنه من أحفاد سلطان الرستاق الذي داومت أسرته على إمارة الرستاق وتملكتها منذ قرون . ويعود فشل إمامة عزان بن قيس إلى تقاعس القبائل عن نصرته حيث تحامل على القبائل وتشدد معهم ، وما كان يمكن أن تقوم إمامة القرن العشرين لولا تعهد القبائل ودعم أنصارها من العلماء .

أما العلماء الذين قاموا بدور مشهور في الحياة السياسية ، تداولته كتب التاريخ والفقه والأدب في الفترة التي نعالجها ، وهي من القرن الخامس عشر للميلاد وحتى القرن العشرين أي حوالى ستة قرون فهم :

١ - الشيخ محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج ( ت : أواخر القرن : ١٥م ) .

هذا العلامة من بيت علم وفضل ، وقد سبق أن أشرنا إلى والده وأخوته وأبناء أخوته وعمومته قبل قليل ، وهو من كبار العلماء ، وآلت إليه رئاسة العلماء في الربع الأخير من القرن ٩هـ / ١٥م حيث نصب لهذا الغرض بعد وفاة الشيخ

ورد بن أحمد فى عام ٨٧٥هـ/١٤٧٠م ، يقول السالمى : « إنه فى سنة خمس وسبعين وثمانمائة يوم الخميس عند غروب الشمس لخمس ليلالى مضين من المحرم نصب محمد بن سليمان بن أحمد للحكم بين الناس<sup>(٧٤)</sup> . وقد اختير الشيخ محمد لهذه الوظيفة ، وهى بمنزلة قاضى القضاة ورئاسة العلماء بعد ثمانية أيام من موت العلامة ورد بن أحمد الذى كان على رأس هذا المنصب الكبير<sup>(٧٥)</sup> . وهذا يعنى أن دور العلماء كان جلى سواء فى عهد الأئمة أو الملوك والسلاطين .

ويتجلى دور الشيخ محمد فى الحياة السياسية فى قيامه بانتخاب الإمام عمر ابن الخطاب الخروصى ( ٨٨٥هـ/١٤٨٠م — ٨٩٤هـ/١٤٨٨م ) ، والمصادقة على مصادرة أموال بنى نبهان عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م . كما يتجلى فى حرص الشيخ محمد على منصب الإمامة ، والحفاظ عليها والكفاح من أجل استمرارها حتى أنه تولى بنفسه هذا المنصب عدة مرات ، وذلك اعتباراً من عام ٨٩٤هـ/١٤٨٨م ، فقد نصب نفسه إماماً بعد موت الإمام عمر بن الخطاب على سبيل الإنابة حتى يتمكن العلماء من اختيار إمام . وفور تنصيب الإمام عمر الشريف تتحى الشيخ محمد مكتفياً بمنصبه كقاضى القضاة .

ولم يلبث الشيخ محمد بن سليمان أن عاد لمنصب الإمام على سبيل الإنابة بعد اعتزال الإمام الشريف ، وبعد انتخاب الإمام أحمد بن عمر بن محمد الربخى اعتزل الشيخ للمرة الثانية . ثم عاد لهذا المنصب للمرة الثالثة بعد موت الإمام أبى الحسن بن عبد السلام . ولكن الأحوال فى هذه المرة لم تكن فى صالحه حيث نجح السلطان سليمان بن سليمان بن مظفر النبهانى — الملك والشاعر المشهور — فى القضاء على قوة الإمام ، وأغلب الظن أن الشيخ محمد مات أو قتل أو توارى عن الأنظار لقلة المؤيدين له . حيث أن المصادر التاريخية وغيرها لزمّت الصمت ولم تذكر كيف كانت نهايته<sup>(٧٦)</sup> .

هذا هو الدور الذى قام به العلامة محمد بن سليمان فى الحياة السياسية فى عمان خلال الربع الأخير من القرن ٩هـ/١٥م ، فقد حرص على المحافظة على

نظام الإمامة ، واجتهد في حث العلماء على التمسك بنظامها وهي تحتضر تحت ضربات النباهة ورأيناه يتبوأ منصب الإمامة على سبيل الإجابة أكثر من مرة ريثما يجتمع أهل الحل والعقد من العلماء وأهل الصلاح والمشورة والرأى فى اختيار مرشح لهذا المنصب وهو على رأسهم ، ولم يستبد برئاسة الإمامة دون مشورة من علماء عصره وأهل الرأى .

٢ - أحمد بن مداد بن عبد الله ( ت : النصف الثانى من ق : ١٠هـ / ١٦م ) .

كان العلامة أحمد بن مداد من بيت علم وحظت أسرته بمكانة كبيرة خلال قرن ونصف ، فقد كان والده العلامة مداد بن عبد الله بن مداد من جملة العلماء الذين عقدوا البيعة للإمام محمد بن إسماعيل ( ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م / ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م ) ، كما يعتبر أخوه عبد الله بن مداد من أكابر علماء النصف الأول من القرن ١٠هـ / ١٦م (٧٧) .

وبرز دور الشيخ أحمد فى معارضته للإمام محمد بن إسماعيل وابنه الإمام بركات بن محمد ( ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م - ٩٦٤هـ / ١٥٥٧م ) ، حيث يرى أن إمامتهما غير ثابتة ، وأنهما سلكا بالإمامة سلوكاً مخالفاً للسلف ، وفى نظره أنهما انتزعا الإمامة من مستحقّيها وأنه يتبرا منها ومن إمامتهما . يقول الأزكوى فى الكشف : « كان الفقيه أحمد بن مداد يتبرا من الإمام محمد بن إسماعيل وولده بركات بن محمد . وذلك أن الشيخ أحمد كان يستكر ما قام به الإمام محمد من جبايته الزكاة من رعيته بالجبر من غير حماية لهم ... » (٧٨) .

وبعض العلماء المعاصرين للشيخ أحمد كالعلامة عبد الله بن عمر بن زياد الشقصى قاضى الإمام بركات بن محمد يعذرون الإمام محمد وابنه بركات ويحتجون له بحجج (٧٩) . ويعلق الشيخ عبد الله السالمى على رأى الشيخ أحمد وتحامله الشديد على الإمامين فيقول : « أنه ليس لغيره أن يقلده فى البراءة من



محمد بن إسماعيل وإنما ذلك خاص بمن صح عنه علم الحدث وتوب الإمام منه فلم يتب وأصر على فعله» (٨٠).

ولكن على ما يبدو أن الشيخ أحمد لم يقبل حجج المدافعين عن سلوك الإمامين وطريقهم في تحصيل الزكاة والضرائب الأخرى ، حيث تعتمد فلسفته على أن هذه المسألة ليست بموضع رأى ولا اجتهد ، وأخذت القضية مساراً سياسياً حيث عمد الشيخ أحمد على خلع الإمام بركات وتنصيب إمام آخر هو عمر بن قاسم الفضيلي إماماً بدلاً منه ، يقول الأزكوى على لسان الشيخ أحمد: « ... إجازة الإمام للإمام العدل الولي عمر بن قاسم الفضيلي أيده الله ونصره وإبطال إمامة بركات بن محمد المشهور في السيرة ، فأعينونا عليه واشهدوا بالحق والصدق ولو على أنفسكم» (٨١).

والقضية في رأينا ، التي تشدد فيها الشيخ أحمد أن الإمامين محمد وبركات كانا يواجهان ضغوطاً خارجية لتحصيل هذه المبالغ لدفع الضرر الذي هو أكبر ، حيث أن السواحل العمانية تحت يد البرتغاليين الذين يفرضون الضرائب الباهظة على المواطنين ، وكذلك كان ملوك بني جبر في منطقة الإحساء لهم هيمنة على عمان وكانوا يحصلون الخراج من عمان . ولهذا كان الإمام يساعد العمانيين في محنتهم ويدفع لهؤلاء الخراج لكف ضرر هؤلاء وهؤلاء .

وأخذت القضية تزداد تعقيداً حيث أن المعارضين من العلماء لأراء الشيخ أحمد وكذلك المعارضين للسلطان سلطان بن محسن بن سليمان النبهاني الذي أطاع بإمامة بركات بن محمد ، قاموا بانتخاب أئمة آخرين ، وأصبح هناك أكثر من إمام على الساحة السياسية . وهكذا فشل هؤلاء الأئمة كما فشل العلماء في اتخاذ موقف موحد لمواجهة عدوهم المشترك وهو السلطان النبهاني . وانتهى الأمر بانتزاع السلطان النبهاني مدينة نزوى منهم ، وأصبحت عمان خلال الستينات والسبعينات من القرن ١٠ هـ مسرحاً لنزاعات ، مما أدى إلى اختفاء دور الأئمة ، وتشنت العلماء في البلدان . ولم يجتمع شملهم على رأى واحد لنحو ٧٠ سنة قادمة .

٣ - خميس بن سعيد الشقصي ( ت : النصف الثاني من ق : ١١١ هـ / ١٧ م ) .

الشيخ خميس بن سعيد بن علي من أهالي الرستاق ، آلت إليه رئاسة العلماء ، كان قدوة زمانه ، له كلمة مسموعة مع الرعية والأمراء . وقد رأى بأم عينيه الأحوال والفتن والتشتت بين العمانيين والتي أعقبت انهيار دولة بني نبهان الثانية ( ١٥٥٧ / ٩٦٤ - ١٦١٧ / ١٠٢٦ ) واختلال الأمن واقتراق الأمة العمانية فضلاً عن وجود الاستعمار البرتغالي المسيطر على السواحل . فتشاور الشيخ خميس مع أقرانه من العلماء في توحيد عمان بعد أن افترقت مدنها بين رؤساء القبائل وأعيانها السياسيين . وقرروا إعادة الإمامة لأنها تجمع الوحدة الوطنية وتصهر الضغن القبلية . وقد ساعد هؤلاء العلماء في تحقيق هدفهم موت سلطان الرستاق السلطان مالك بن أبي العرب بن سلطان اليعربي ، واختلاف بنيوه وأهل الرستاق حول من يخلفه . فاستغل الشيخ خميس الموقف الحرج ومكانته بين الجميع . فاجتمع مع أهالي الرستاق والأمراء ، وكان ممن حضر الاجتماع من العلماء الشيخ صالح بن سعيد الزاملي المعولي<sup>(٨٢)</sup> ، والشيخ مسعود بن رمضان بن محمد النبھاني<sup>(٨٣)</sup> ، ومحمد بن عمر بن أحمد بن مداد ، وغيرهم من العلماء الذين قدر عددهم الشيخ السالمي بما يربو على الأربعين عالماً<sup>(٨٤)</sup> .

وقد رشح الشيخ خميس لمنصب خلافة السلطان الراحل حفيده الأمير : الشاب المؤمن ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب اليعربي ، ذلك ليس بصفته وريثاً للسلطان الراحل ، ولكن ليكون إماماً لعمان كافة ، وأناط إليه مهمة توحيد عمان وتطهير أرضها من دنس المستعمرين البرتغاليين .

وكان الإمام ناصر بن مرشد ربيباً للشيخ خميس الشقصي ، حيث أن الشيخ تزوج أم ناصر حينما ترملت ، وتربى الإمام ناصر في كنف الشيخ خميس والذي بذل الجهد في نصرته ودعمه وحض الناس لدعمه ، كما كان الشيخ خميس خير معين للإمام فقد قاد له الجيوش ، وهو الذي أرغم البرتغاليين على توقيع معاهدة الصلح معه . وكانت بنودها واضحة أنها في جانب العمانيين<sup>(٨٥)</sup> .

ولا نعدو الحقيقة حينما نقول أن الشيخ خميس هو المؤسس الحقيقي لدولة اليعاربة ، وذلك بفضل تفانيه في خدمتها وما قام به من أعمال مخلصة جليلة : فهو قاضى القضاة ، وهو المدرس ، وهو المفتى ، وهو المؤلف الذى ترك لنا مؤلفات تنبئ عن مكانته العلمية ومقامه المرموق علما وسياسة وقيادة. وعبر عن مكانة الشيخ خميس محقق كتابه « منهج الطالبين وبلاغ الراغبين » الشيخ سالم بن حمد الحارثى حيث قال : « صاحب السيف والقلم، ذى الهمة والهمم ، البحر الزاخر الذى يقال فى حقه : كم ترك الأول للآخر »<sup>(٨٦)</sup>.

٤ — عدى بن سليمان بن راشد بن حسن الذهلى ( ت : ١١٣٤هـ / ١٧٢٢م ) .

هو من علماء الرستاق المشهورين ، ومن آلت إليه رئاسة العلماء فى عمان فى عهده . كان الشيخ عدى من الذين عقدوا البيعة للإمام سلطان بن سيف بن سلطان ( ١١٢٣هـ / ١٧١١م — ١١٣١هـ / ١٧١٨م ) . وكان معه جملة من العلماء نذكر منهم<sup>(٨٧)</sup> : ناصر بن خميس بن على الحمراشدى ، وخلف بن سنان بن خلفان لغافرى ، وناصر بن سليمان بن مداد الناعبى ، وسليمان بن محمد بن ربيعة مربوعى ، وخلف بن محمد بن الشيخ خميس بن سعيد الشقصى ، وكان العلماء ئاسة الشيخ عدى وهو الذى عقد البيعة للإمام سلطان بن سيف بن سلطان<sup>(٨٨)</sup> .

ويبرز دور هذا العالم فى الحياة السياسية فى الصراع الذى نشب على إثر ت الإمام سلطان بن سيف عام ١١٣١هـ / ١٧١٨م حيث تدخل الشيخ عدى بجانب العلماء وبعض أسرة اليعاربة رافضا مبايعة سيف بن سلطان الذى لم يتجاوز ١٢ ربيعا ورفض طلب وجوه القبائل الذين يطالبون بتتصيب سيف فى مكان أبيه ويقول الشيخ الأزكوى — الذى عاصر هذه الأحداث — عن الخلاف الواقع حول اختيار سيف إماما خلفا للإمام الراحل ، وتدخل الشيخ عدى بن سليمان بدهائه وحنكته لتفريق العوام ووجوه القبائل من مزاحمتهم لحصن الرستاق : « فاختلف عند ذلك اليعاربة ورؤساء القبائل الذين فى قلوبهم العصبية والحمية ، وأرادوا أن يكون مكانه ولده سيف وهو صغير لم يراهق ، وأراد أهل العلم وبنات

الإمام سيف ابن سلطان « السيدة سعادة » أن تكون الإمامة لزوجها مهنا بن سلطان ( بن ماجد اليعربي ) « ... »<sup>(٨٩)</sup> .

هذا الصراع كاد يؤدي إلى تصادم بين مؤيد ومعارض في هذه البيعة ، وقيل إن بعضهم أشهر السلاح واستعد للقتال . وكان الشيخ عدى إلى جانب عمه سيف السيدة سعادة ضد المطالبين بتتصيب سيف ، ورأى الشيخ عدى أن الأمر سيؤدي إلى ما لا تحمد عقباه ، فعمل حيلة لتسكين المعارضين ، ولكي يفرق الجمع خوفاً من الفتنة . ذلك أنه قام وأحضر الطفل سيف أمام الحشود وناداهم بقوله « هذا سيف أمامكم » بفتح الألف ، يعنى « قدامكم » ، ولعله كان يستهدف بذلك إقناع القوم بأن سيف حقاً طفل لا يملك أمره فكيف يملك أمر غيره<sup>(٩٠)</sup> .

وعلى ما يبدو أن هذه الحشود فهمت من قول الشيخ عدى أن سيفاً إماماً بكسر الألف . فعند ذلك نادوا سيف بالإمامة وضربت المدافع إظهاراً وإشهاراً لذلك الحدث العظيم . ولم يستطع الشيخ ولا غيره منعهم حينئذ ، ونجحت الحيلة التى استخدمها الشيخ عدى فى ذلك ، إذ تفرق القوم إلى أوطانهم . وبعد فترة قصيرة عقد الشيخ عدى بن سليمان البيعة لمهنا بن سلطان بن ماجد بن مبارك بن بلعرب اليعربى ، وتتصيبه إماماً لعمان<sup>(٩١)</sup> .

وبهذه البيعة بدأت الصراعات على السلطة ، حيث اعتبر أهل الرستاق ومؤيديهم أن الشيخ عدى قد خدعهم ولهذا طالبوا بخلع مهناً ، وانتهى الأمر لصالحهم ، حيث خلع الإمام مهناً ، ثم قتلوه ، ثم أن الشيخ عدى قبل توبة الوصى على سيف وهو يعرب بن الإمام بلعرب بن الإمام سلطان من جميع الأفعال التى ارتكبها بما فى ذلك قتل الإمام مهناً . وبعد التوبة وقبلها نصب يعرب إماماً . فثارت الضغائن وانتشر أصحاب الأهواء والمطامع يثيرون الاضطرابات ، ولكن لم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل امتد إلى حروب أهلية وتدخلت قوى أجنبية لصالح هذا الإمام أو ذلك ، وقتل فيها جمع كبير من العمانيين وعلى رأسهم الشيخ القاضى عدى بن سليمان نفسه ومعه القاضى سليمان بن خلفان ، وسحبهما أهل الرستاق مقتولين فى أحياء المدينة فى يوم عرفة من عام ١١٣٤هـ / أكتوبر ١٧٢١م وفقدت عمان أربعة أئمة شهداء تحت ظلال السيوف قتلاً وصبراً<sup>(٩٢)</sup> .

هـ - ناصر بن سليمان بن محمد بن مداد ( ت : الثلاثينات من ق : ١٨ م ) .

الشيخ ناصر من بيت علم وفضل ، وقد تبوأ أسرته مكانة علمية ، وقد أشرنا إلى هذا البيت حينما ذكرنا الشيخ أحمد بن مداد بن أحمد في القرن السادس عشر للميلاد ، وأمتد عطاء هذه الأسرة إلى القرن الثامن عشر للميلاد .

وقد مر بنا ذكر هذا العالم الذي اشترك في بيعة الإمام سلطان بن سيف عام ١١٢٣هـ / ١٧١١م . وكان الشيخ ناصر قد عقد البيعة لشيخ محمد بن ناصر الغافري كإمام دفاع وقد حاول ، الآخر الاستعفاء من ذلك في عام ١١٣٧هـ / ١٧٢٤م ، لكن الشيخ ناصر بن سليمان - قاضي نزوى ، والشيخ عبد الله بن محمد بن بشير بن مداد - والى نزوى - أصرا على اختيار الشيخ محمد الغافري في هذا المنصب ، وذلك لمكانة الشيخ الغافري السياسية بين القبائل ولبراعته العسكرية ، وكان لا يزال الغافري يخوض حربا مع الشيخ خلف بن مبارك الهنائي ، وكان رأى العلماء أن الشيخ خلف هذا باغ على العمانيين وعلى الشيخ الغافري الذي كان وصيا على سيف بعد موت الإمام يعرب بن بلعرب بن سلطان عام ١١٣٥هـ / ١٧٢٣م ، ولهذا فإن الغافري مؤهل لهذا المنصب القيادي وليس الديني<sup>(٩٣)</sup> .

على أية حال قبل الشيخ الغافري المنصب وقام بواجبه كإمام بدعم من العلماء وصد هجمات الهناوية لمدة أربع سنوات عجاف عانى منها المواطن العماني معاناة شاقة حتى لقي الإمام محمد الغافري حتفه هو وغريمه الشيخ خلف الهنائي في معركة واحدة بصحار عام ١١٤٠هـ / ١٧٢٨م ، وقد عقد المؤرخ السيابي مقارنة بين الإمام محمد بن ناصر الغافري وبين الصحابي الجليل خالد بن الوليد بن المغيرة حيث أن كلاهما لم يهزم في معاركه التي خاضها ، ويروى عن الإمام محمد الغافري أنه قال وهو بصحار بعد أن انسحب مناصروه عنه : « إن هذه الساعة ليست لنا ولا لهم إلا ما شاء الله »<sup>(٩٤)</sup> . وكان بالفعل انتصارا للفريقين .

ولكى يطفى الشيخ ناصر بن سليمان نار الفتنة التى أصابت العمانيين منذ عشر سنوات ويحد من سفك الدماء ، عقد البيعة بالإمامة لسيف بن سلطان وهو فى هذا الوقت قد بلغ من العمر ما يؤهله أن يكون إماماً حيث كان له ولاية من ولاية أبيه . وكان ذلك فى ١٠ شعبان ١١٤٠هـ / ٢٣ مارس ١٧٢٨م ، وقيل إن العلماء قد بايعوا سيف تقيّة<sup>(٩٥)</sup> . ويعلل الشيخ السالمى موقف الشيخ ناصر فى تنصيبه لسيف إماماً بقوله : « وإنما قدموه إماماً لتقدم ولايته بسبب ولاية أبيه ، فإن أباه كان إمام المسلمين ، وكانت ولايته على رعيته واجبة ، وأطفاله تبع له فى ذلك حتى يبلغوا ويحدثوا حدثاً يخرجهم من الولاية عند المسلمين . وقيل إن البالغ منهم يكون فى الوقوف حتى يعلم منه حال يوالى عليه أو يعادى عليه ، فتمسك القاضى (ناصر بن سليمان) بأول القولين نظراً منه للأمة وطلباً للسداد ومحاولة لجمع الشمل»<sup>(٩٦)</sup> .

وبهذا العمل والاجتهاد أطفاً الشيخ ناصر بن سليمان نار الشقاق ولو لمدة قصيرة حيث ثارت الفتنة من جديد بعد أربع سنوات<sup>(٩٧)</sup> .

٦ - الشيخ سعيد بن بشير بن محمد الصبحى ( ت : ١١٥٠هـ / ١٧٣٧م ) .

الشيخ سعيد الصبحى من علماء النصف الأول من القرن ١٢هـ / ١٨م ، شارك الشيخ سعيد فى أحداث هذه الفترة ، وتوضح رسالته التى ذكرها السالمى<sup>(٩٨)</sup> أنه لم يحضر عقد إمام الإمام سلطان بن سيف عام ١١٢٣هـ / ١٧١١م ، ولكنه ألزم نفسه بطاعة الإمام سلطان ، باعتبار أن إمامته ثابتة بلا كراهية ولا تقيّة من الجميع .

والشيخ سعيد الصبحى له فتاوى كثيرة فى كتب الفقه نقلها كثيرون عنه وقد جمعت فى مجلدين كبيرين ، جمعها الشيخ سالم بن حمد الحارثى إبقاء الله تعالى ، وقد كان الشيخ سعيد الصبحى ضريحاً<sup>(٩٩)</sup> .

وكان الشيخ الصبحي أول من نادى بأن شرب القهوة العربية حلال ، ولا يرى فيها التحريم كما كان معروفاً في عصره . وتلقى الشيخ سعيد الصبحي اعتراضات كثيرة على فتواه ، حتى جاء بعد نصف قرن من الزمان من يؤيد رأيه وهو السيد مهنا بن خلفان البوسعيدى ( ت : ١٢٥٠هـ / ١٨٣٢م ) والشيخ أبو نبهان جاعد بن خميس الخروصى ( ت : ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م ) حيث انتشر شرب القهوة خلال القرن التاسع عشر انتشاراً كبيراً حتى أصبحت من مظاهر الكرم العربى وعاداته .

أثار الشيخ سعيد الصبحي قضية سهلة وصعبة في الوقت نفسه ودخل بها في معترك الحياة السياسية ، حيث آلت إليه رئاسة العلماء بعد وفاة الشيخ ناصر بن سليمان . وكان ذلك عندما طلب الإمام سيف بن سلطان بن سيف ( ١١٤٠هـ / ١٧٢٨م - ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م ) زيادة مخصصاته الشهرية من الشيخ سعيد الصبحي . وكان الشيخ سالم بن راشد البهلوى - والى نزوى - ووكيل مال الدولة يؤيدان الإمام سيف في طلب الزيادة . ولكن الشيخ الصبحي رفض هذه الزيادة ، وحجته في ذلك أن هذه المخصصات فرضت منذ أيام الإمام ناصر بن مرشد ( ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م - ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م ) - منذ مائة عام وعشرة أعوام - ولا يجوز زيادتها . فاحتج الإمام سيف على ذلك ، وأدعى أن العلماء قد وافقوا على زيادة مخصصات الإمام محمد بن ناصر الغافرى ( ١١٣٧هـ / ١٧٢٤م - ١١٤٠هـ / ١٧٢٨م ) ، والتي كانت أكثر من مخصصاته الحالية ، وأنه يكفي ما كان للإمام محمد الغافرى<sup>(١٠٠)</sup> .

وقد استعرض الشيخ سالم بن حمود السيابى هذه القضية التى أدت إلى القطيعة بين الإمام سيف وعلمائه . وتوصل أن أمر « المعاش منوط بنظر المسؤولين في الدولة من خيار المسلمين الذين إليهم الحل والعقد منذ عهد الإمام الجلندى ( ١٣٢هـ / ٧٤٨م - ١٣٤هـ / ٧٥١م ) ، عملاً بتقدير الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن الإمام بمنزلة الأجير في بيت المسلمين ليس له أكثر



عن حاجته الخاصة»<sup>(١٠١)</sup> ، وانتهى الشيخ السيابى إلى القول : « أما أمر المعاش فيختلف باختلاف الأوقات غلاء ورخصاً كما قرره فى نفقة من لا يملك أمره ونفقة المرأة على زوجها ، ونفقة الأولاد على أبيهم ، وأن ذلك موكول إلى نظر الحاكم الشرعى ، فيجارى فيه حالة الوقت ، فإن الأحوال تتحول من حال إلى آخر»<sup>(١٠٢)</sup>.

ويتضح من هذا السياق أن السيابى كأنه أراد بقوله أن الشيخ الصبحى لم يقدر الأمور وأحوالها ولم يراع المتغيرات ، فهو فى حكم المجتهد المخطئ ولهذا أثار قضية أدت إلى تنافر الإمام من العلماء .

وكان أن تغيرت أحوال الإمام سيف بعد أن رفض طلبه ، وغضب على العلماء ، ورأوا منه أنه غير السيرة والسلوك ، ولم يستجب لهم ولم يعرهم أى اهتمام ، كما أنه لم يقربهم فى مجلسه ، وكان ذلك سبب تغير العلماء على الإمام سيف ، ومن ثم قرروا خلع الإمام سيف من الإمامة لأسباب ، منها : أنه انحرف عن سلوك وأخلاق المنصب ، وأنهم غير راضين بسيرته ومعاملته للعلماء والرعية. فاقضى الحال عزله وتصيب ابن عمه بلعرب بن حمير بن الإمام سلطان بن سيف وذلك سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٢م<sup>(١٠٣)</sup> .

وهكذا قام صراع بين الإمامين : المخلوع والمنصب ، مما استدعى الأمر الاستعانة بقوى أجنبية من السند وبلاد فارس كالزردجال والبلوش والفرس من قبل الإمام المخلوع سيف بن سلطان . ولكن هذه القوى جرت وبالأعلى عمان ، ولم تنصر الإمام المستغيث بها ، إنما عملت السلب والنهب والاعتصاب والأسر فى العمانيين ، وقد بيعت كرائم العمانيين وفتياتهم فى أسواق النخاسة فى شيراز والمدن الهامة فى إيران ، وذلك خلال أعوام ١١٥٠هـ/١٧٣٧م و ١١٥١هـ/١٧٣٨م<sup>(١٠٤)</sup>.

ولكى يلم العمانيون الشمل حقناً للدماء تنازل الإمام بلعرب عن الإمامة ، لما رآه من الفظائع التى ارتكبها الجيش الفارسى فى العمانيين ، لصالح الإمام المخلوع سيف بن سلطان ، مما خفف من الاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وعادت القوى الأجنبية إلى أوطانها ، وظل هذا الوضع لمدة أربع سنوات فى هدوء وسكينة .



وبعد شئ من الاستقرار قام العلماء بتتصيب إماما جديدا حيث أنهم لم يرضوا بحكم الإمام سيف الذى خلعه منذ عام ١١٤٥هـ/١٧٣٢ ، وأن الإمام بلعرب بن حمير قد خلع نفسه دون مشاورة العلماء وأنه اكتفى بالمصالحة مع ابن عمه الإمام سيف<sup>(١٠٥)</sup> .

أما أحوال عالما الشيخ سعيد بن بشير الصبحى صاحب الترجمة، فلم يمهل القدر ليرى المصائب التى آلت إليها عمان ، إذ مات فى بداية عام ١١٥٠هـ/١٧٣٧م قبل وصول حملات الفرس على عمان . وهكذا لم يقدر الشيخ أحوال عمان وطلبات الإمام سيف وذلك حرصا منه على أن لا يبتدع نظاما جديدا يكون قاعدة لمن يأتى من بعده ، كما فعل فى تحليل شرب القهوة.

٧ - حبيب بن سالم أمبو سعيدي ( ت : النصف الثانى من ق ١٣هـ/١٨م ) .

كان الشيخ حبيب بن سالم بن سعيد ضريرا ، وقد عوضه الله بقلب حافظ نبيه ، وآلت إليه رئاسة العلماء والقضاء فى نزوى بعد الشيخ الصبحى ، وعليه تدور أمور الدولة ، وكان من العلماء المعاصرين له الشيخ سالم بن راشد البهلوى - والى نزوى - والشيخ الفقيه راشد بن سعيد الجهضمي ، والشيخ محمد بن ناصر الحراصى والشيخ محمد بن عامر الكندى والشيخ محمد بن خلف بن محمد بن خميس الشقصى والشيخ سالم بن خميس بن عمر العبرى ( ت : ١١٦٠هـ/١٧٤٧ ) والشيخ ناصر بن خميس بن على الحمراشدى والشيخ الفقيه محمد بن راشد بن عامر المعولسى ( ت :

١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) مؤلف كتاب قصص وأخبار في جرت عمان  
وكتاب « المذهب في عين الأدب » وكتاب « التهذيب » .

وقد علمنا أن الفرس قد عاثوا فساداً في عمان وأن الإمام سيف قد  
مات عام ١١٥٦هـ/١٧٤٣م حسرة وحزناً كما أن الإمام سلطان بن  
مرشد استشهد هو أيضاً في نفس العام ، واستمر والي صحار الشيخ  
أحمد بن سعيد البوسعيدى يصارع الفرس حتى نجح في إخراجهم من  
عمان عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م ، وصارت منطقة الباطنة بما فيها مسقط  
والرستاق خاضعة لأحمد بن سعيد ، بينما نجح بلعرب بن حمير أن يقنع  
العلماء في نزوى في تنصيبه إماماً ثانياً في عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م  
حيث سبقت لهبيعة ولكنه تنازل عنها عام ١١٥١هـ/١٧٣٨م ، كما  
أشرنا سابقاً ، وابتعد عن موطن الصراع الفارسي العماني معتكفاً في  
وادي بني غافر .

ويبدو أن العلماء اقتصعوا بحجته وأنه لم يحدث حدثاً يخرج به عن  
الولاية فجددت له البيعة في يوم ٢٠ ربيع الآخر ١١٥٧هـ/مايو  
١٧٤٤م<sup>(١٠٦)</sup> .

ويتشكك الشيخ السالمي في بيعة بلعرب الثانية ، ولكن هذا التشكك  
يمكن أن يزول حينما نجد في كتاب تاريخ عمان المقتبس من كشف  
الغمة - تحقيق عبد المجيد القيسى - ما يؤكد وقوع البيعة ، حيث يذكر  
أن البيعة كانت في يوم ٢٠ ربيع الآخر ١١٥٧هـ/مايو ١٧٤٤م<sup>(١٠٧)</sup> .

قام الإمام بلعرب بن حمير بعد تنصيبه إماماً بمصادرة أموال  
الإمام سيف بن سلطان وأدخلها في بيت المال ، وقد عارضه في ذلك

شيوخ بنى خروص كالشيخ محمد بن خميس بن مبارك الخروصى والشيخ سعيد بن محمد بن راشد الخروصى<sup>(١٠٨)</sup> ، ولكن لم تجد هذه المعارضة القبول ، بل نجد أن الشيخ حبيب بن سالم وعلماء نزوى يؤيدون المصادرة رافضين شفاعة واعتراض مشايخ بنى خروص<sup>(١٠٩)</sup>.

لم يلبث أن استبد الإمام بلعرب بالرأى ، ولم يلتفت لنصائح العلماء ، وذهب إلى ابعث من ذلك حيث أودع بعضهم السجن بمن فيهم الشيخ حبيب بن سالم ، والشيخ محمد بن سالم بن صالح الندابى ، وهلك بعض العلماء فى سجنه كالشيخ نجاد بن سالم عام ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م والشيخ عامر بن سليمان الريامى ، ولهذا رأى العلماء أن بلعرب باغ غير كفاء لا يستحق الاستمرار فى إمامته ، ولذلك قرروا خلعه ، وكان على رأس هؤلاء العلماء الشيخ حبيب بن سالم - الذى كتب وثيقة الخلع- ومعه جملة من العلماء وكان ذلك فى عام ١١٦١هـ / ١٧٤٨م<sup>(١١٠)</sup>.

ولم يصنع الإمام بلعرب لهذا الخلع ، واعتبر أنه لا أهمية له ، وظل على هذا الحال لمدة عام بأكمله حتى نجح بنو غافر فى إخراجهم من نزوى إلى الظاهرة حيث تم القبض عليه هناك من قبل مؤيدى الشيخ أحمد بن سعيد البوسعيدى وأودع السجن ، وتفرق عنه حراسه حفاظا على أرواحهم<sup>(١١١)</sup> ، ثم أطلق صراحه ، واتخذ فلج البيزيلي مكانا لإقامته .

وبعد ذلك اجتمع العلماء بالرستاق برئاسة الشيخ حبيب بن سالم أمبو سعيدى ، والشيخ محمد بن راشد المعولى وغيرهم من العلماء

وقرروا عقد البيعة لأحمد بن سعيد إماما لعمان وذلك فى ليلة الأثنين ٢٣ من جمادى الآخر ١١٦٢هـ/ ١٠ يوليو ١٧٤٩ (١١٢) .

٨ - جاعد بن خميس بن مبارك الخروصى ( ١١٤٧/١٧٣٥ - ١٢٣٧/١٨٢١ ) .

الشيخ أبو نبهان جاعد بن خميس من بيت علم ورئاسة ، فقد حظيت أسرته بمكانة اجتماعية مرموقة ، وبلغ الشيخ جاعد مكانة عالية بين أقرانه وعرف بالرئيس (١١٣) . وكان أحد أخوته من العلماء الذين عارضوا الإمام بلعرب بن حمير فى مصادرة أموال الإمام سيف فى عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م وهو الشيخ محمد بن خميس بن مبارك الخروصى (١١٤) .

ونبغ الشيخ أبو نبهان جاعد بن خميس فى عدة علوم ، وله مؤلفات كثيرة فى الفقه واللغة العربية والأدب كما كان يقرض الشعر (١١٥) .

عارض الشيخ أبو نبهان جاعد الإمام سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد ( ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م - ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠ ) ، ومنعه من تنفيذ حكم الشرع فى قضية حدثت فى مدينة نزوى عام ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م ، مؤيدا أهل نزوى شاهرا عصى الطاعة للإمام ، ومن هنا تتأفر معه وحدث شقاق بينهما استمر مدة طويلة ، وطالت ذريته . ويبدو أن الشيخ أبا نبهان لم ير صحة بيعة الإمام أحمد بن سعيد ولا بيعة ابنه الإمام سعيد . فقد طعن هو وابنه ناصر بن جاعد فى صحة إمامتهما . وكانت وجهة نظرهما فى ذلك أن البيعة كانت على غير مشورة من المسلمين ،

ولأنه كان عقدا مشكلا لأنه كان بعد التغلب على ملكهم ( أى ملك  
اليعاربة ) ولأن الشيخ حبيب والشيخ محمد بن عامر ليسا ممن يلزم  
المسلمين عقده<sup>(١١٦)</sup> .

ونحن لو تتبعنا القضية نجد أن رأى الشيخ جاعد بن خميس فى  
إمامة الإمام أحمد وإمامة ابنه سعيد بن أحمد قد جانب الصواب ، لأن  
الشيخ سعيد بن أحمد الكندى - معلم الشيخ جاعد - هو الذى خاطب  
الإمام أحمد بالإمامة . وكان الشيخ سعيد الكندى قدوة أهل زمانه فى  
الورع والعلم وتشدد إليه الركاب طلبا لعلمه فى نزوى ، ويؤكد هذا  
الرأى الشيخ نور الدين السالمى<sup>(١١٧)</sup> . كما أن الشيخ راشد بن سعيد  
الجهضمى - وهو من جملة العلماء الذين خلعوا الإمام بلعرب بن حمير  
فى عام ١١٦١هـ / ١٧٤٨م - قد أفتى بثبوت إمامة الإمام أحمد بن  
سعيد ، فقد وردت هذه الفتوى فى مخطوطة « المنشور فى العلم  
المنشور » للشيخ عبد الله بن سعيد بن عبد الله المسكرى وجاء فى  
الفتوى :

« سئل رحمه الله ( الفقيه العالم النزيه راشد بن سعيد الجهضمى  
السمدى ) عن الإمام أحمد بن سعيد أهو ثابت الإمامة ويجوز تسليم  
الزكاة إليه وإلى عماله والمسير عنده لحرب من أراد حربه من  
المسلمين ؟ قال : إنى لم أحضر العقدة لمن ذكرت ، ولكن أشتهر معنا  
عن طريق السماع بتواتر الأخبار أن المشايخ أهل الرستاق ومن قدر الله  
من أهل نزوى وإزكى ، أقاموا هذا الشخص المذكور إماما لهم ولكافة  
المسلمين بعد أن استتابوه على شروط شرطوها عليه ، والتوبة مقبولة

إذا أتت على جميع أفعال التائب من المعاصي على الوجه الثابت في دين الله وصدقها التائب بقول وفعل . والعقدة إذا وقعت من أهلها على الوجه الثابت في دين الله فهي ثابتة على من حضر أو غاب وليس لحاضر أن يرجع ولا غائب أن يختار . والإمام إذا أثبتت إمامته بإجماع المسلمين واجبة طاعته ولازمة نصرته وتسليم الزكاة إليه وإلى عماله وحرمت عداوته ما استقام على طاعة الله ورسوله وعمل بكتاب الله ، والله أعلم » (١١٨) .

جاءت فتوى الشيخ راشد بن سعيد الجهضمي واضحة جلية ولهذا لم يلتفت إلى طعن الشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس وابنه ناصر بن جاعد خصوصا أن الشيخ راشد الجهضمي معاصرا للأحداث ومشارا فيها وربما منعه مانع عن المشاركة في العقدة ، ولأن الشيخ أبا نبهان كان حينئذ صغيرا عندما عقدت البيعة ، فهو من مواليد عام ١١٤٧هـ/١٧٣٥م وتمت البيعة في ١١٦٢هـ/١٧٤٩م أي أنه لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ، بينما ابنه ناصر من مواليد ١١٩٢هـ/١٧٧٨م ، أي ولد بعد ثلاثين سنة من البيعة ، والراجح أن الشيخ جاعد وابنه ناصر كانا على خلاف مع الإمام سعيد بن الإمام أحمد قبل الإمامة وبعدها ، مما جعل الشيخ أبا نبهان يتحامل على الإمام أحمد وابنه الإمام سعيد وجر الأخير عليه جيوشا لمحاربته . ونضيف إلى ذلك أن الإمام سعيد كان غير مرغوب من قبل القبائل الغافرية حيث كان يميل إلى الهناوية ، وأنه كان على خلاف مع أخوته خصوصا السيدان سيف وسلطان أبناء الإمام أحمد . وكان الشيخ أبو نبهان مدعوما من الأخوين (١١٩) .

وقد نسب إلى الشيخ أبي نيهان جاعد أنه اشترك في اجتماع بالرستاق برئاسة أبناء الإمام أحمد لعزل الإمام سعيد وتنصيب السيد قيس بن الإمام حاكم صحار إمامًا . وكان هذا الاجتماع بعد موت السيد حمد بن الإمام سعيد عام ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢ ، وكان على رأس العلماء المشاركين بهذا الاجتماع الشيخ ناصر بن محمد بن خلف بن محمد بن خميس بن سعيد الشقصي<sup>(١٢٠)</sup> . كما أشار ابن رزيق لهذا الاجتماع وذكر أن الإمام سعيد بعد أن قدم للمجتمعين أصول الضيافة دعاهم للخروج من الرستاق ، وهددهم إن لم يستجيبوا لأوامره مما أدى إلى فشل هذا الاجتماع<sup>(١٢١)</sup> .

وكان لأبناء الإمام أحمد محاولة أخرى في مدينة نخل فاجتمعوا بوالها الشيخ محمد بن سليمان بن عدي اليعربي ، ولكن لم يكتب لهذا الاجتماع النجاح أيضًا<sup>(١٢٢)</sup> .

وعلى أية حال ، انتهى الأمر بأبناء الإمام أحمد بأن جلسوا للمصالحة في مدينة بركاء وتقاسموا السلطة في عمان على أن يحكم الإمام سعيد الرستاق وتوابعها ، وأن يظل السيد قيس بن الإمام أحمد حاكمًا لصحار ، بينما يحكم السيد سلطان مسقط والمناطق الداخلية من عمان ، وبقية الأخوة تبع لهم<sup>(١٢٣)</sup> .

ولم تنته العداوة بين الشيخ أبي نيهان جاعد بن خميس والإمام سعيد، فقد استمرت الحروب بينه وبين الإمام سعيد ثم من بعده أخيه طالب بن الإمام الذي حكم الرستاق في عام ١٢٣٦/١٧٢٠م حتى توسط السيد سعيد بن سلطان بينهما ، وأكرم السيد سعيد ابنه ناصر الذي عينه

قاضيا في زنجبار وبهذا اسدل الستار عن هذا الخصام الذي دام أكثر من ربع قرن .

٩ - سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي ( ١٢٢٦/١٨١١ - ١٢٨٧/١٨٧١ ) .

الشيخ سعيد بن خلفان علامة كبير ومصنف بارع ، قائد علماء عمان بعد وفاة العلامة جاعد بن خميس ، وهو أحد رجال الإمام عزان بن قيس ( ١٢٨٥/١٨٦٨ - ١٢٨٧/١٨٧١ ) ، لقبه العلماء بالمحقق ، وكانت له مصنفات كثيرة ، وفتاوى منتشرة في كتب الفقه ، جمع بعضها الشيخ محمد بن خميس السيفي في كتاب «تمهيد قواعد الدين»<sup>(١٢٤)</sup> .

وللشيخ سعيد محاولات في إعادة الإمامة في القرن ١٣هـ/١٩م ، ومن هذه المحاولات أنه في عام ١٢٦٢/١٨٤٦ دعاه السيد حمود بن عزان بن قيس بن الإمام أحمد حاكم الرستاق ( ١٨٣٢ - ١٨٥٠م ) وسلمه حصون الرستاق وصحار والخابورة وغيرها . وأناط إليه هذه المدن لكي يدير شئونها وفق الشريعة والقصد في الظاهر إحياء الإمامة<sup>(١٢٥)</sup> .

وكان السيد حمود بن عزان - في الحقيقة - يرمى من عمله هذا أن يحظى بكرسي الإمامة في الرستاق ولكنه يحتاج إلى دعم العلماء له ، لهذا قرر الاعتزال من إمارته في الرستاق تاركا الشيخ سعيد الخليلي ومن معه من العلماء يديرون شئون الإمامة ريثما يتفقوا على إمام منتخب .



ولهذا اجتهد الشيخ سعيد الخليلي وبدأ يكاتب أخوانه من علماء عمان يدعوهم إلى الحضور لأجل التشاور لأجل إعادة الإمامة<sup>(١٢٦)</sup> .

وكان أهم العلماء الذين تعقد عليهم الراية ومن الذين يعدون من أهل الحل والعقد والمشورة هم : الشيخ حمد بن خميس السعيدى والشيخ جميل بن خميس السعدى<sup>(١٢٧)</sup> ، والشيخ خميس بن جاعد بن خميس الخروصى ، والشيخ سلطان بن محمد البطاشى والعلاقة خميس بن راشد ابن سعيد العبرى ( ت : ١٢٧١هـ / ١٨٥٨م ) ، والسيد الزاهد سيف بن محمد بن عبد الله البوسعيدى والشيخ على بن ناصر بن محمد بن حمير النبهانى الريمى ( ت : ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧ )<sup>(١٢٨)</sup> .

اجتمع هؤلاء العلماء وقرروا ترشيح السيد الزاهد سيف بن محمد البوسعيدى ، ولكنه اعتذر ، فرشحوا الشيخ خميس بن جاعد الخروصى ولكنه أيضا اعتذر عن قبول منصب الإمامة . وبعد ذلك تقدم الشيخ سيف بن مالك بن الإمام سيف بن سلطان اليعربى لترشيح نفسه له ، ولكن يبدو أن الشيخ سعيد الخليلي والعلماء رفضوا ترشيحه ، لأنه - من وجهة نظرهم - لم يكن كفتا لها ، ثم اجتمعوا مرة ثانية ، وأشاروا بالإمامة للسيد حمود بن عزان والذي اشترط عليهم أمورا لم يقدروا على الوفاء بها على حد قول الشيخ نور الدين السالمى<sup>(١٢٩)</sup> ، وأعادوا الاقتراح بتولى الإمامة إليه مرة ثانية ، لكن السيد حمود رفض، واعتزل الاجتماع خوفا أن يجبروه على ذلك ، وفى النهاية فشل مسعاهم<sup>(١٣٠)</sup> .

ونستشف من نصيحة الشيخ خميس بن راشد العبرى إلى الشيخ سعيد الخليلي وسلطان البطاشى أنه غير راض بإحياء الإمامة فى هذا

الوقت ، وأن الشيخ خرج من الاجتماع ، ويقول الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري « وعاصر العلامة الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي رضي الله عنه وطلبه للحضور معه ومع من اجتمع لديه من علماء المسلمين وفضلائهم ببلد الرستاق عند اجتماعهم وعزمهم على تقديم السيد حمود بن عزان بن قيس إماما لهم وللمسلمين ، فوافقهم أولا ثم انخل عنهم ولم يقبل الإمامة وسار عنهم إلى صحار ففرقوا على غير فائدة» (١٣٢).

وقد أورد الشيخ السالمي ملخصا عن هذه النصحة التي تعبر عن وجهة نظر الشيخ العبري إذ يقول : « في هذه الأيام الناصر معدوم لأنني أرى القائمين بالمساجد المريض والأعرج والسقيم والعمى والجابن عن الحرب ، وأخبركم عن السادة الذين نسلهم من أولاد ( الإمام ) أحمد بن سعيد ( بن أحمد البوسعيدى ) قلوبهم مطمئنة بالحصون في أيديهم» (١٣٣).

فالشيخ خميس لا يرى إحياء الإمامة في عمان خلال هذه الفترة ، وكانت عمان في عز مجدها فسلطانها السيد سعيد بن سلطان جمع في حكمه بين عمان وشرق أفريقيا . ويعلل الشيخ خميس بأن قيام الإمامة يحتاج إلى دعم مادي ومعنوي وقوة تكافح من أجلها ، وهم يفتقرون إلى هذه القوة . وتابع الشيخ نصيحته الصادقة موجهة حديثه إلى الشيخ سعيد والشيخ سلطان البطاشي فيقول : « وأنتمما عملتما التعزيز والقيود وأخذ الزكاة ، وقد كان الذي بيده الأمر أقوى عشيرة .. وأمراء القبائل معهم رغبة ورهبة » .

والحقيقة أن النصيحة طويلة تدعو إلى عدم تنصيب الإمامة فى الوقت الحاضر ويشير الشيخ خميس إلى السيد سعيد بن سلطان - سيد عمان - والسيد حمود بن عزان - حاكم الرستاق - بالخير والصالح بقوله : « إلى أن ظهر الملك سعيد بن سلطان والسيد حمود بن عزان فعملوا فى الرعية بميزان البصيرة وإصلاح الفريقين » .

وفى النهاية حذر الشيخ خميس بن راشد العبرى الشيخ الخليلى وزميله الشيخ البطاشى بقوله : « وإنهم ( يقصد بذلك حكام آل بو سعيد ) سيعزلون رؤسكما نساؤهم والخدم قبل أولادهم ونسل أجدادهم ... لأن كلا منهم يطلب الملك لنفسه دون غيره . والنفس أسلم لها مسكنها فى الخيام والفيافي والقفار عن سكن الحصون التى لم تحرز بالأمناء ولا تكافح عنها الأمراء والأولياء » (١٣٤) .

وعلى أية حال فإن هذه المحاولة فشلت رغم أن الشيخ سعيد بذل جهداً كبيراً واضطر السيد حمود - الذى دعا العلماء لأحياء الإمامة - فى النهاية إلى طردهم من حصونهم بعد أن تركها فى أيديهم سنتين . ولهذا أفصح الشيخ خميس عن الهدف الذى يرمى إليه السيد حمود هو أن يكشف السيد خلل هؤلاء العلماء مع الناس حتى يكثر عليهم الموشى والحساد (١٣٥) .

والمحاولة الثانية للشيخ سعيد بن خلفان الخليلى لإعادة الإمامة كانت فى عام ١٢٨٥هـ / ١٧٦٨م ، حينما اتحد كل من الشيخ صالح بن على بن ناصر الحارثى ، زعيم الهناوية والسيد عزان بن قيس بن عزان حاكم الرستاق . أى حينما اتحدت أرادة السلطة السياسية والعلماء

بطلب قبلى نجحت أهدافهم وتحققت آمانيهم . وقد قرر الشيخ صالح والسيد عزان أن يجردوا السلطان سالم بن ثوينى ( ١٨٦٦م - ١٨٦٨م ) من سلطته . فقاد الشيخ سعيد الخليلى الثورة وانضم إليهم العلامة محمد بن سليم الغاربى السعدى ، وكانت النتيجة هى استيلاؤهم على السلطة وتنصيب السيد عزان بن قيس بن عزان إماما على عمان . ولكن هذه الإمامة لم تمكث أكثر من سنتين وذلك لتشدد العلماء فى إدارة البلاد مما اضطر القبائل الغافرية وبعض الهناوية الانسحاب من دعم الإمام والوقوف أمام هذا التشدد ووازرت السيد تركى بن سعيد ، وانتهى الأمر بقتل الإمام . ومن ثم قتل الشيخ سعيد عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧١م ، وأسدل الستار على الإمامة فى القرن التاسع عشر للميلاد (١٣٦) .

١٠ - الشيخ عبد الله بن حميد السالمى ( ١٢٨٦ / ١٨٦٩ - ١٣٣٢ / ١٩١٤ ) .

علامة ، وفقه وشاعر ومصنف ، كان ضريرا منذ صباه ، لقب بنور الدين ، التحق الشيخ السالمى بمدرسة الشيخ صالح بن على بن ناصر الحارثى ( ١٢٥٠ / ١٨٣٤ - ١٣١٤ / ١٨٩٦ ) بمدينة القابل بالشرقية بعد أن هاجر إليها من مسقط رأسه بلدة الحوقين إحدى قرى ولاية الرستاق فى عام ١٣٠٨ / ١٨٩٠ (١٣٧) .

واستوطن الشيخ عبد الله الشرقية ، وتزعم رئاسة العلماء فى عمان خلال العشرين سنة الأولى من القرن الرابع عشر للهجرة ، فصار علامة زمانه وفريد أوانه بدون منازع ، ومرجعا للناس فى

الفتوى والأحكام ، ووفد إليه كل راغب علم من شتى بلاد عمان وأصبح له تلاميذ وأتباع ومدرسة كبيرة . له مؤلفات كثيرة في الفقه والحديث والسير والتاريخ ، ومن أبرز كتبه في التاريخ كتابه « تحفة الأعيان » - الذى نعتمد عليه فى بحثنا هذا<sup>(١٣٨)</sup> .

نظر الشيخ السالمى إلى مشاكل عصره السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية ، وفكر فى الحلول لهذه المشاكل خصوصاً الصراعات القبلية وانعدام الصلة بين الحاكم والمحكوم . وفوق هذا وذلك تدخل العنصر الأجنبى فى عمان ، والذى كبل السلطان فيصل بن تركى بن سعيد ( ١٨٨٨/١٣٠٥ - ١٩١٢/١٣٣١ ) باتفاقيات ومعاهدات تقيد حركته أمام أوضاع عمان واقتصادها . وكان الشيخ السالمى يهدف إلى إعادة الإمامة وانتخاب إمام قادر على أن يحل هذه المشاكل وينشر العدل والأمن فى عمان ، ويخفف من وطأة الهيمنة الأجنبية .

بدأ الشيخ السالمى بعرض أفكاره على السلطان فيصل ، حيث قابله فى مسقط أثناء سفره لإداء مناسك الحج وعودته عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م . وشرح الشيخ أفكاره والغاية من ذلك : لم شمل القبائل وتوحيدها واستتباب الأمن ووضع حد للصراعات القبلية والمشاكل الاقتصادية . وفى النهاية اقترح على السلطان فيصل أن يتولى منصب الإمامة . ولكن السلطان فيصل لم يأخذ هذه الأفكار بمحمل الجد ، ووعده بالتفكير فى هذا الموضوع ، وأنه سيرسل له الجواب مع وزيره سليمان ابن سويلم بن سالمين حين يزور الشرقية عام

١٣٢٥هـ/١٩٠٧م . لكن الوزير سليمان حين قام بالزيارة إلى الشرقية، وقابل الشيخ عيسى بن صالح بن علي الحارثي - الذي خلف والده في زعامة الهناوية - لم يتطرق إلى موضوع الإمامة ، كما أنه لم يقابل الشيخ السالمي ، بل اكتفى بما حققه من تحسين العلاقة بين السلطان فيصل والشيخ عيسى بن صالح الحارثي ، والذي زاد الطين بله أن هذا الوزير لقي حتفه وتم اغتياله عند مروره في وادي العق أثناء عودته من الشرقية في ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، وكان رد فعل السلطان فيصل هو تشدده على العمانيين فقد غضب لمقتل وزيره سليمان بن سويلم بواسطة السيابين وأخذ يعد حملاته العسكرية لتأديبهم<sup>(١٣٩)</sup> .

فكر الشيخ السالمي - بعد ذلك - في القيام بجولة سياحية في شمال أفريقية وارسل رسائله إلى علماء الأباضية هناك يخبرهم بما عزم عليه . وكان يهدف من هذه الجولة جمع التبرعات المالية لإعادة الإمامة، حيث ورد ذلك في خطبته لعيد الفطر المبارك من عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م ، إذ أعلن أنه سيقوم بأداء مناسك الحج . ولكن الشيخ عيسى بن صالح الحارثي ومن معه من العلماء رفضوا السماح له بالقيام بهذه الجولة ، وربما فهموا مغزاها واحتجوا عليه بأنهم في حاجة إليه وإلى علمه . وحاول عبثا إقناعهم واستعان ببعض الفقهاء ومؤيديه لإقناع الشيخ عيسى ولكن كل المحاولات لم تنجح . ويبدو أن الشيخ عيسى أصبح لا يؤيد عودة الإمامة بعد أن تحسنت علاقته بالسلطان علي يد الوزير سليمان كما مر ذكره<sup>(١٤٠)</sup> .

ولكى ينسى مرارة ذلك قام بزيارة فى داخلية عمان يستطلع فيها قابلية أفكاره مع زعماء القبائل وانصاره من العلماء ، وخلال هذه الجولة وجد الشيخ السالمى التأييد والدعم من الشيخ حمير بن ناصر بن سليمان النبهانى الريامى - زعيم الغافرية ورئيس الجبل الأخضر - كذلك وجد التأييد من بعض الهناوية : العبريين وبنى هناء المعادين للسلطان فيصل ، واتفق الشيخ السالمى مع هؤلاء على القيام بهذا الأمر بعد سنة من ذلك حيث يحتاج الأمر إلى التشاور<sup>(١٤١)</sup> .

وفى عام ١٣٣١هـ / ١٩١٣م حضر الشيخ السالمى ومؤيدوه من العلماء والأنصار من الشرقية إلى مدينة تتوف حيث مقر الشيخ حمير ابن ناصر النبهانى حسب الاتفاق السابق ، وقيل أن الشيخ السالمى صحبه من العلماء ما يربو عن ٧٠ عالما . وبعد التشاور على مدى ثلاثة أيام اقتضى رأى عقد البيعة للشيخ سالم بن راشد بن سليمان الخروصى ، وكان تلميذا للشيخ السالمى وصهرا له ، وأنه مستوف شروط الإمامة<sup>(١٤٢)</sup> وأنه من قبيلة بنى خروص التى معظم أئمة عمان منها .

وافق الجميع على بيعته ، وتم ذلك ، وبهذا تحققت طموحات السالمى وتم إحياء الإمامة بعد انقطاع دام أكثر من ٤٤ عاما ، واستمرت هذه الإمامة فى داخلية عمان حتى أواخر الخمسينات من القرن العشرين . ولكن لم يشهد الشيخ السالمى أدوار تطور هذه الإمامة فقد توفى بعد سنة من تتصيب الإمام سالم<sup>(١٤٣)</sup> .

هذا هو الدور الذى قام به الشيخ السالمى فى الحياة السياسية ، وكان بجانبه علماء فطاحل أسهموا معه فى إحياء الإمامة ، ونذكر منهم العلاقة عامر بن خميس المالكي ( ١٢٨٠/١٨٦٣ - ١٣٤٦/١٩٢٧ ) ، والشيخ أبو زيد عبد الله بن محمد الريامى ( ١٣٠١/١٨٨٣ - ١٣٦٤/١٩٤٤ ) ، والشيخ محمد بن سالم بن زاهر الرقيشى ( ١٣٠٢/١٨٨٤ - ١٣٨٧/١٩٦٧ ) ، والشيخ الجليل ماجد بن خميس بن راشد العبرى ( ١٢٥٢/١٨٣٦ - ١٣٤٦/١٩٢٧ م ) وغيرهم<sup>(١٤٤)</sup> .

\* \* \*

هكذا حرص علماء عمان - فى فترة البحث - على المحافظة على أركان الدولة الإسلامية ودعمها وتكريس نظام الإمامة وحماية الدين وأهله ، وتحملوا فى سبيل ذلك المشاق والصعاب دون كلل ، حتى أن بعضهم لقى حتفه من أجل المحافظة على أركان الدولة . وإذا كان الباحث قد استعرض جهود عشرة علماء خلال هذه الفترة فإن هذا لا يعنى أن هذا الدور اقتصر على هؤلاء العلماء العشرة إطلاقاً ، وإنما وراء هؤلاء العلماء جمع غفير من العلماء .

ومما يؤكد أن العلماء - فى فترة الدراسة - كانوا يرون بصفة عامة أنه بالإضافة إلى انشغالهم بالعلم ، فإن عليهم دوراً فى الحياة السياسية ، بل واجبا عليهم أن يوفوه حقه ، فبالإضافة إلى هذا الدور السياسى الذى استعرضناه فى هذا البحث ، فقد ترك هؤلاء العلماء جملة من المصنفات ، لا تزال مرجعا لكل طالب علم فى شتى الفنون العلمية، الأدبية .



ولا يعنى هذا أن كافة العلماء كانوا منشغلين بالحياة السياسية فى مجتمعهم ، فقد رأينا من العلماء من ثابر من أجل إحياء رسم الإمامة ، والوحدة الوطنية فى ظل حكم إسلامى وشورى وفق إطار الشريعة الإسلامية الغراء ، فى حين وجدنا من العلماء من تشدد فى اتباع الشرع ونصوصه الحرفية دون أن يقيم مشاكل المجتمع ومقتضياته السياسية والإدارية ، ولم ينظر إلى ما يثيره من معارضة أو بطلان إمامه وما سيترتب على ذلك من فتن ومصائب .

ففى القرن الخامس عشر للميلاد وجدنا الشيخ محمد بن سليمان يكافح من أجل بقاء الإمامة ويدعم الإئمة ، ويحافظ على كيانها ووحدتها، بينما نجد فى القرن التالى أن الشيخ أحمد بن مداد يعارض الأئمة ويقدح فى سلوكهم ولا يبالى بما يثيره من معارضات . ولهذا أيده بعض الناس وانتخب إمامين فى وقت واحد لتحقيق أهدافه ، وكانت النتيجة - كما ذكرنا - أن فقدت الإمامة رسمها وانفض الناس نحو حكومة ملكية استغل مؤسسها أوراق العلماء وتداخلهم واختلافهم ، وفاز بنو نبهان بالاستيلاء على نزوى ، وتبعهم الناس الذين يبحثون عن الأمن والأمان فى المجتمع العمانى .

هذا بينما نجح العلامة خميس بن سعيد الشقصى فى عام ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م فى توحيد كلمة أهل الحد والعقد وجرهم إلى انتخاب ناصر بن مرشد اليعربى إماماً لعمان ، فالتفت قبائل عمان وعلمائها حول هذا الإمام ونصرته ، بينما شهد القرن ١٨م جملة من العلماء اختلف دورهم بين التشدد فى تنفيذ الأحكام الدينية وبين اتخاذ الوسطية

والاعتدال دون الاهتمام بالأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع العماني . وبالتالي عصفت بعمان موجة من التشدد والفتن والاضطراب ذهبت في نهايتها بدولة اليعاربة ( ١٦٢٤م - ١٧٤٩م ) ، وأنت هذه الأوضاع بأسرة آل بوسعيد حينما نجح مؤسسها أن يحرر عمان من الاحتلال الفارسي . وكاد الأمر يعود إلى اضطرابه في نهاية القرن حينما ثار أهل نزوى وأيدهم الشيخ أبو نبهان جاعد بن خميس الخروصي حول عدم تطبيق حكم القصاص في نزوى على بعض الفتوة ، ثم امتد إلى معارضة الإمام سعيد بن الإمام أحمد ومحاولة عزله أو خلعه . وانتهى الأمر إلى حكمة ابن الإمام الذي نقل عاصمة والده من الرستاق إلى مسقط ليدير البلاد من هناك بحكمة وليونه بعيدا عن تشدد والده والعلماء المعارضين له .

وأفرز القرن التاسع عشر أحد العلماء البارزين حول إحياء الإمامة في أربعينات ذلك القرن . ولكن محاولاته فشلت في جر العلماء إلى رأيه ، فتقاعسوا عن نصرته لأمر رأوها وأسباب غير موافقة لتحقيق الهدف . ولكن حينما اتفقت الإرادة السياسية مع أغراض العلماء وهدفهم المنشود ، نجح في إحياء الإمامة في نهاية الستينات ، ولكن تلك الإمامة انهارت بسرعة حيث اتصفت بأن العلماء فشلوا في إدارة شؤونها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فضاقت الرعية بهم وتهاون الناس عن نصرتهم ، وفي النهاية زالت الإمامة بقتل الإمام وقتل مديرها الشيخ سعيد الخليلى مسموما في قلعة الجلالى .

واستهل القرن العشرين للميلاد بصراع بين القبائل وسلطانها ،  
بسبب الظروف الاقتصادية والصراعات القبلية والنفوذ الأجنبي وهيمنته  
على السلطان . وقام الشيخ نور الدين السالمي بتضييق فجوة الصراعات  
وتقريب وجهات النظر بين الحاكم والمحكوم ، ولكنه فشل في أن ينال  
ثقة السلطان . ولكنه نجح أن يجمع حوله ٧٠ عالما وزعيمى القبائل  
العمانية الشيخين حمير بن ناصر النبهاني والشيخ عيس بن صالح  
الحارثي . وبالتالي تم إحياء الإمامة في ١٩١٣م فاستمرت لمدة ٤٥  
عاما حتى تلاشت ، بعد أن سحبت القبائل تأييدها للإمام .

## هوامش الدراسة

- (١) الماوردي ، الأحكام السلطانية . ص : ٥ .
- (٢) انظر في ذلك ابن حزم . الفصل جـ ١ ، البغدادى ، عبد القاهر بن طاهر . أصول الدين . الجرجاني ، شرح الموائف . جـ ٨ .
- (٣) الشيخ خميس الشقصى من علماء القرن السابع عشر ومن المؤيدين للإمامة ناصر بن مرشد ( ١٦٢٤ - ١٦٤٩ ) انظر أخباره فى : دليل أعلام عمان ؛ ابن رزيق ، الفتح المبين : ٢٦٢ .
- (٤) الشقصى ، خميس بن سعيد . منهج الطالبين وبلاغ الراغبين . جـ ٨ ص : ٤٢ ؛ انظر أيضًا الكندى ، أحمد . المصنف : ١٠ : ٢٣ .
- (٥) سورة النساء : الآية ٥٩ .
- (٦) سورة النور : الآية ٢٤ .
- (٧) سورة ص : الآية ٣٨ .
- (٨) الحارثى ، مالك بن سلطان . نظرية الإمامة عند الإباضية : ٥ .
- (٩) الكندى ، أحمد بن عبد الله . المصنف : ١٠ : ٢٣ .
- (١٠) مختصر صحيح مسلم : رقم الحديث : ١٠٦١ : ٢٧٧ .
- (١١) صحيح مسلم : جـ ١٢ : ص : ٢٤١ .
- (١٢) صحيح مسلم : جـ ٦ : ص : ٢٢ .
- (١٣) صحيح مسلم : جـ ٦ : ص : ٣ - ٤ .
- (١٤) انظر : العشاوى ، محمد سعيد . الخلافة الإسلامية . الصمد ، حمد محمد . نظام الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين ؛ عطوان ، حسين . الفقهاء والخلافة فى العصر الأموى .

(١٥) الشيخ موسى بن علي بن عزرة ( ٧٩٢/١٧٧ - ٨٤٨/٢٣٤ ) انظر أخباره

دليل أعلام عمان: ١٥٥ - ١٥٦ ؛ البطاشي ، إتحاف الأعيان: ١ : ١٨٢-١٩٠

(١٦) الكندي ، المرجع السابق : ١٠ : ٤

(١٧) الخروصي ، أبو المؤثر . الأحداث والصفات : ٦٠

(١٨) الشيخ سالم بن سعيد الصائغي من علماء عمان في النصف الثاني من القرن

الثامن عشر للميلاد .

(١٩) الصائغي ، سالم بن سعيد ، كنز الأديب وسلافة البيب . مخطوطة .

(٢٠) الكندي ، المرجع السابق : ١٠ : ٢٧

(٢١) الشقصي ، المرجع السابق . جـ : ٨ : ص : ٤٢

(٢٢) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد . المقدمة . ص : ٢١١

(٢٣) الخروصي ، أبو المؤثر الصلت بن خميس . الأحداث والصفات : ٦٠ - ٦١

(٢٤) ابن خلدون . تاريخ . جـ : ١ : ص : ١٩٣

(٢٥) البغدادي ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر . أصول الدين . ص : ٢٧٧

(٢٦) ابن حزم . أبو محمد علي بن أحمد الظاهري . الفصل . جـ : ٤ ، ص : ١٦٦

(٢٧) ابن خلدون . تاريخ . جـ : ١ : ص : ١٩٤ - ١٩٦

(٢٨) الكندي ، المرجع السابق : ١٠ : ٦٥ - ٦٦ ؛ انظر أيضا الحضرمي . أبو

إسحق بن قيس . مختصر الخصال .

(٢٩) الكندي ، المرجع السابق : ١٠ : ٧٨ - ٧٩

(٣٠) البقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب . التمهيد في الرد الملحدة .. إلخ . ص :

١٦٤ وما بعدها .

(٣١) الماوردي ، المرجع السابق : ص : ٣ - ٤

- (٣٢) الأشعري ، مقالات الإسلاميين . ص : ٤٦٠ ، البقلاني ، المرجع السابق .  
ص : ١٦٤ ؛ البغدادي ، المرجع السابق . ص : ٢٨٠
- (٣٣) الأيجي ، المواقف : ٤٠٠ ؛ القلقشندي . مائث الأناقة : ج١ : ٤٣
- (٣٤) الماوردي ، المرجع السابق : ٤٠
- (٣٥) الماوردي ، المرجع السابق : ٧ ؛ ابن حزم . الفصل : ٤ : ١٦٧
- (٣٦) الكندي ، المرجع السابق : ١٠ : ١٠٠ - ١٠١ ، غباش ، حسين عبيد .  
عمان : الديمقراطية الإسلامية ( ١٥٠٠ - ١٩٧٠ ) ص : ٧٣
- (٣٧) البوسعيدي ، مهنا بن خلفان . كتاب لباب الآثار : ٦ : ٣٤٦
- (٣٨) سورة المجادلة : الآية ١١
- (٣٩) سورة فاطر : الآية ٢٣
- (٤٠) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٧ : ٢١٧
- (٤١) انظر الشقصي ، المرجع السابق ج١ : ٤٠
- (٤٢) سورة النحل : الآية ١٦
- (٤٣) سورة الزمر : الآية ٩
- (٤٤) الآجري . أخلاق العلماء : ٢٩
- (٤٥) الكندي ، المرجع السابق : ١٠ : ٨٠
- (٤٦) الكندي ، المرجع السابق : ١٠ : ٨١
- (٤٧) هاشم ، مهدي طالب . الحركة الإباضية في المشرق العربي : ٢٩٤
- (٤٨) الكندي ، المرجع السابق : ١٠١٠ : ٢٢٩
- (٤٩) الكندي ، المرجع السابق : ١٠ : ٢١٥
- (٥٠) معمر ، علي بن يحيى . الإباضية بين الفرق الإسلامية ٢ : ١٩٧

- (٥١) الأزكوى ، كشف اللغمة : ٣٩ - ٤٠
- (٥٢) السالمى . تحفة الأعيان : ١ : ٩٦ ؛ هاشم ، حركة الأباضية فى المشرق .
- (٥٣) المعولى محمد بن راشد ، قصص وأخبار جرت فى عمان : ٦٤ - ٦٦
- (٥٤) ابن رزىق ، حميد بن محمد . الفتح المبين : ٢٣٦ - ٢٣٧
- (٥٥) الأزكوى ، كشف اللغمة : ٥٧
- (٥٦) الأزكوى ، كشف اللغمة : ٥٨ ؛ السيابى ، عمان عبر التاريخ : ٢ : ١٩٩ - ٢٠٠ ؛ مايلز ، الخليج : ١١٤ - ١٤٢
- (٥٧) البطاشى ، سيف بن حمود . إتحاف الأعيان : ١ : ٢٠٢ - ٣٠٠ ، الحارثى ، سالم بن حمد ، العقود الفضية : ٢٥٦ - ٢٥٨
- (٥٨) الأزكوى ، كشف اللغمة : ٦٩ - ٧٠ ؛ السالمى ، تحفة الأعيان : ١ : ٢٩٥ وما بعدها .
- (٥٩) دليل أعلام عمان : ١٤٣ ، البطاشى ، إتحاف الأعيان : ١ : ٢٣٦
- (٦٠) البطاشى ، المرجع السابق : ١ : ٢٣٦
- (٦١) البطاشى ، المرجع السابق : ١ : ٢٥٢
- (٦٢) دليل أعلام عمان : ٢٨ ، البطاشى ، المرجع السابق : ١ : ٢٥٣
- (٦٣) دليل أعلام عمان : ٨٢ ، البطاشى ، المرجع السابق : ١ : ٢٧٣
- (٦٤) انظر حول ذلك ابن مداد : ٢٢ - ٢٣ ؛ الحارثى . العقود الفضية : ٢٧٧-٢٧٨
- (٦٥) الأزكوى ، المرجع السابق : ٧٠ ؛ السالمى ، المرجع السابق : ١ : ٣٢٣ - ٣٢٤ ؛ الحارثى ، عبد الله . بنو نبهان .
- (٦٦) الأزكوى ، المرجع السابق : ٧٠ ؛ ابن قيصر ، سيرة ناصر بن مرشد ؛ ابن رزىق ، الفتح المبين : ٢٢١

(٦٧) الأزكوى ، المرجع السابق : ٧٠ ؛ ابن قيصر ، سيرة ناصر بن مرشد ؛ ابن رزيق ، الفتح المبين ؛ السيار ، عائشة . دولة اليعاربة فى عمان وشرق أفريقيا ؛ عوض ، عبد العزيز . دراسات فى تاريخ الخليج : ٢ : ٦١ وما بعدها .

(٦٨) السالمى ، محمد . نهضة عمان . لاندن . عمان منذ ١٨٥٦ مصيرا ومسيرا . شهداد . إبراهيم محمد إبراهيم . الصراع الداخلى فى عمان خلال القرن العشرين .

al-Hashimy, S. M. Imam Salim b. Rashid and Imamate Revival in oman 1331/1913-1338/1920.(thesis, Ph. D. . Unpublished, University of Leeds, 1994.

(٦٩) غباش ، حسين عبيد . عمان : الديمقراطية الإسلامية ( ١٥٠٠ - ١٩٧٠ ) . ط.١ : بيروت : ١٩٩٧ : ٣٤٧ .

(٧٠) انظر البطاشى عن علماء هذه الفترة : المرجع السابق : ٢ : ٥ - ٩ .  
(٧١) البطاشى ، المرجع السابق : ٢ : ٦ - ٧ ؛ دليل أعلام عمان : ١٤٦ .  
(٧٢) الشيخ أحمد كان من أكابر علماء عصره وممن تصدر للفتوى والقضاء والمقدم فى رئاسة العلماء آنذاك ولا غرابة أن نرى كتاب منهاج العدل وهو فى ٣ مجلدات يحتوى فتاوى هذا العالم ، فهو قاضى السلطان سليمان بن مظفر بن سليمان بن مظفر بن نبهان النبهانى ( ت : ٨٧١هـ / ١٤٦٦م ) انظر البطاشى : المرجع السابق : ٢ : ٧ - ١٢ .

(٧٣) ابن مداد : ٥٤ ؛ البطاشى ، المرجع السابق : ٢ : ١٩ وما بعدها ؛ دليل أعلام عمان : ١٦٩ .

(٧٤) السالمى ، عبد الله . تحفة الأعيان : ١ : ٢٧٠ .

(٧٥) السالمى ، عبد الله . تحفة الأعيان : ١ : ٢٧٠ .



(٧٦) الأزكوى ، المرجع السابق : ٣٢٠ ؛ المعولى ، قصص وأخبار : ٨٤ ؛ البطاشى ، المرجع السابق : ٢ : ١٣ .

(٧٧) البطاشى ، المرجع السابق : ٢ : ٧٦ ؛ دليل أعلام عمان : ٢٩ .

(٧٨) الأزكوى ، المرجع السابق : ٧٥ وما بعدها .

(٧٩) البطاشى ، المرجع السابق : ٢ : ٧٥ ، ١٩٧ وما بعدها .

(٨٠) السالمى ، تحفة الأعيان : ١ : ٣٨٤ .

(٨١) الأزكوى ، المرجع السابق : ٨٠ . انظر أيضا البطاشى ، المرجع السابق :

٢ : ٧٧ ، السالمى ، تحفة الأعيان : ١ : ٣٨٤ - ٣٨٥ .

(٨٢) السالمى ، تحفة الأعيان : ٢ : ٣ ؛ دليل أعلام عمان : ٩٥ .

(٨٣) السالمى ، تحفة الأعيان : ٢ : ٣ ؛ دليل أعلام عمان : ١٥٢ .

(٨٤) السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ٣ .

(٨٥) انظر أخبار الشيخ خميس فى : ابن قيسر ، سيرة الإمام ناصر بن مرشد ؛

الأزكوى ، كشف الغمة : صفحات مختلفة ؛ السالمى ، اللمعة : ٢٥ ؛

السيابى ، إسعاف الأعيان : ٢٤ ؛ دليل أعلام عمان : ٥٩ .

(٨٦) الشقصى ، خميس بن سعيد . منهج الطالبين : ١ : المقدمة : ٥ - ٨ .

(٨٧) يذكر الشيخ السالمى فى التحفة : ٢ : ١١٠ - ١١١ أنه حصل على رسالة

قد بعثها سعيد بن بشير الصبحى لإخوانه يذكر فيها العلماء الذين عقدوا البيعة

الإمام سلطان بن سيف .

(٨٨) الأزكوى ، المرجع السابق : ٣٦٩ .

(٨٩) الأزكوى ، المرجع السابق : ٣٦٩ .

(٩٠) ابن رزيق . الفتح المبين : ٣٠١ .

(٩١) الأزكوى ، المرجع السابق : ٣٧٠ ؛ ابن رزيق ، المرجع السابق : ٣٠١ ؛  
السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١١٤ - ٥

(٩٢) الأزكوى ، المرجع السابق : ٣٧٦ ؛ المعولى ، قصص وأخبار : ١٣٦ ؛  
ابن رزيق ، المرجع السابق : ٣٠١ ؛ السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١١٨

(٩٣) الأزكوى ، المرجع السابق : ٣٩٠ ؛ المعولى ، قصص وأخبار : ١٥٤ ؛  
ابن رزيق ، المرجع السابق : ٣٢٠ ؛ السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ٣٤

(٩٤) السيابى ، عمان عبر التاريخ ٢ : ٨٦

(٩٥) الأزكوى ، المرجع السابق : ٣٩٥ ؛ المعولى ، قصص وأخبار : ١٥٥ ؛  
السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١٤٠

(٩٦) السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١٤٠

(٩٧) ابن رزيق ، المرجع السابق : ٢٢٦

(٩٨) السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١١٠ - ١١١

(٩٩) انظر الصبحى ، سعيد بن بشير . الجامع الكبير . تحقيق سالم بن حمد  
الحارثى مطبوعات وزارة التراث القومى والثقافة ١٩٨٦

(١٠٠) السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١٤٢

(١٠١) السيابى ، عمان عبر التاريخ : ٤ : ٨٩

(١٠٢) السيابى ، عمان عبر التاريخ : ٤ : ٩١

(١٠٣) السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١٤٤

(١٠٤) السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١٤٤ - ١٤٧

(١٠٥) السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١٤٨

(١٠٦) الأزكوى ، المقتبس : ١٤٩

(١٠٧) السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١٦٠

- (١٠٨) السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١٦١
- (١٠٩) السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١٦١ - ١٦٣
- (١١٠) السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١٦٦ - ١٧٠
- (١١١) السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١٦٦ - ١٧٠
- (١١٢) البطاشى ، سيف بن حمود ، الطالع السعيد نبذ من تاريخ الإمام أحمد بن سعيد : ١١٤
- (١١٣) الحارثى ، عبد الله بن سالم . أضواء : ٣١ - ٣٣ ؛ دليل أعلام عمان : ٤٦ ؛ الهاشمى ، سعيد بن محمد . أبو نبهان جاعد بن خميس الخروصى ( ثقافته : شيوخه وتلاميذه ) .
- (١١٤) السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١٦١
- (١١٥) الخصيبى ، محمد بن راشد . شقائق النعمان : ١ : ١٣٩ - ١٤٨ ؛ الهاشمى ، المرجع السابق ؛
- (١١٦) السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١٦٩
- (١١٧) نفسه : ٢ : ١٧٨
- (١١٨) المسكرى ، عبد الله بن سعيد . المنثور فى علم المنثور . ورقة ٩
- (١١٩) السالمى ، المرجع السابق : ٢ : ١٨٨
- (١٢٠) الأزكوى ، المقتبس . ١٦٣
- (١٢١) ابن رزىق ، المرجع السابق : ٣٩٢ ، السيايى ، المرجع السابق : ٤ : ١٨٥
- (١٢٢) ابن رزىق ، المرجع السابق : ٣٩٢
- (١٢٣) السيايى ، المرجع السابق : ٤ : ١٨٤ - ١٨٥

(١٢٤) انظر عن أحوال الشيخ سعيد ، المنتدى الأدبي ، قراءات في فكر الخليلي :

٣٢ ، ٩٠ - ٩٥ ، ١١١ - ٢٠٩ ؛ الحارثي ، عبد الله . أضواء ٤٦ - ٤٨ ؛

دليل أعلام عمان : ٧٩

(١٢٥) السالمي ، المرجع السابق : ٢ : ٢١٨ ، ابن رزيق ، المرجع السابق: ٥٤٨

(١٢٦) السالمي ، المرجع السابق : ٢ : ٢١٨

(١٢٧) الشيخ جميل بن خميس مؤلف كتاب « قاموس الشريعة » في ٩٢ مجلدًا

ويعتبر من أكبر الكتب العمانية في الفقه الإباضية . طبع منه حتى الآن

١٩ مجلدًا .

(١٢٨) السالمي ، المرجع السابق : ٢ : ٢١٨ - ٢١٩ ؛ ابن رزيق ، المرجع

السابق : ٥٤٨ - ٥٤٩

(١٢٩) السالمي ، المرجع السابق : ٢ : ٢١٩

(١٣٠) السالمي ، المرجع السابق : ٢ : ٢١٩

(١٣١) العبري ، إبراهيم بن سعيد . تبصرة المعتبرين في تاريخ العبريين .

مخطوطة ورقة ١٤٠

(١٣٢) السالمي ، المرجع السابق : ٢ : ٢٢٠

(١٣٣) السالمي ، المرجع السابق : ٢ : ٢٢١

(١٣٤) السالمي ، المرجع السابق : ٢ : ٢٢٣

(١٣٥) السالمي ، المرجع السابق : ٢ : ٢٢٧ وما بعدها .

(١٣٦) السالمي ، المرجع السابق : ٢ : ٢٧٨ - ٢٨٣

(١٣٧) انظر سيرة الشيخ السالمي في كتاب ابنه محمد بن عبد الله السالمي ،

نهضة الأعيان : ٩٩ - ١٢٦

(١٣٨) دليل أعلام عمان : ١١٢ - ١١٣ ؛ الحارثي ، أضواء ٧٨ - ٨٢ ؛ المنتدى

الأدبي ، قراءات في فكر السالمي : ٤٤ - ٦٣ ، ٩٢ - ١١٤

(١٣٩) الحارثي ، محمد . نهضة الأعيان : ١٣٦ - ١٣٧

al-Hashimy, S. M. Imam Salim b. Rashid (١٤٠)

(١٤١) السالمي . محمد . نهضة الأعيان : ١٢٨ - ١٢٩

(١٤٢) السالمي . محمد . نهضة الأعيان : ١٦٧ - ١٦٨

(١٤٣) السالمي . محمد . نهضة الأعيان : ١٣٠ - ١٣٩ ،

al-Hashimy, S. M. Imam Salim b. Rashid

(١٤٤) انظر سيرة هؤلاء العلماء في : السالمي . محمد . نهضة الأعيان في

صفحات مختلفة ، دليل أعلام عمان : حسب تسلسل الأسماء .

## المصادر والمراجع

- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد . الفصل في الملل والأهواء والنحل . ط. ٣ ، بيروت : ١٩٨٨
- ابن خلدون ، عبد الله بن محمد . مقدمة ابن خلدون . دار الجيل . بيروت ؟
- ----- ، تاريخ ابن خلدون . دار إحياء التراث العربي . بيروت ؟
- ابن رزيق ، حميد بن محمد . الشعاع الشائع باللمعان . مسقط : ١٩٧٨
- ----- ، الفتح المبين في سيرة البوسعيديين . مسقط : ١٩٨٤
- ابن قيصر ، عبد الله بن خلفان . سيرة الإمام ناصر بن مرشد . وزارة التراث القومي .
- ابن مداد . عبد الله . سيرة ابن مداد . وزارة التراث القومي ، العدد : ٥٦ . يوليو : ١٩٨٤
- الأجرى ، أخلاق العلماء .
- الأزكوى ، سرحان بن سعيد . كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة . تحقيق أحمد عبيدلى . دلمون للنشر . قبرس : ١٩٨٥
- ----- ، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة . تحقيق عبد المجيد القيسى . ط : ٢ ، مسقط : ١٩٨٦ م .
- الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل . مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين . ط : ٣ ، ١٩٨٠
- اطفيش ، محمد بن يوسف . شرح كتاب النيل وشفاء العليل . ج : ١٤ . مسقط : ١٩٨٩
- الإيجي : أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد . المواقف في علم الكلام . عالم الكتب ، بيروت : ؟
- البطاشي ، سيف بن حمود . إتحاف الأعيان . ٢ ج ، مسقط : ج ١ : ١٩٩٢ ، ج ٢ : ١٩٩٤

- ، الطالع السعيد نبذ من تاريخ الإمام أحمد بن سعيد . مسقط :  
١٩٩٧
- البغدادي ، أبو المنصور عبد القاهر بن طاهر . أصول الدين . ط. ١ استنبول :  
١٩٢٨
- البقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب . التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة . القاهرة :  
١٩٤٧
- البوسعيدى ، مهنا بن خلفان . كتاب لباب الآثار . مسقط : ١٩٨٥
- الجرجاني ، على بن محمد . شرح المواقف . ط. ١ القاهرة : ١٩٠٧
- الحارثي ، سالم حمد . العمود الفضية . مسقط : ١٩٨٣
- الحارثي ، عبد الله بن سالم . أضواء على بعض أعلام عمان قديمًا وحديثًا . مسقط :  
١٩٩٤م
- الحارثي ، مالك بن سلطان . نظرية الإمامة عند الأباضية . ط. ١ . مسقط : ١٩٩١
- الحضرمي ، أبو إسحاق بن قيس . مختصر الخصال . مسقط : ١٩٨٣
- حلمي ، مصطفى ( د ) . نظام الخلافة في الفكر الإسلامي . دار الدعوة ، الإسكندرية.
- الخروصي ، أبو المؤثر الصلت بن خميس . كتاب الأحداث والصفات . تحقيق جاسم  
ياسين محمد الدرويش . ط. ١ مسقط : ١٩٩٦
- الخصيبي ، محمد بن راشد . شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء  
عمان . ٣جـ . ط. ١ ، مسقط : ١٩٨٤
- خليفات ، عوض محمد . الأصول التاريخية للفرقة الأباضية . مسقط ١٩٨٨
- ، نشأة الحركة الأباضية . عمان ١٩٧٨
- الخطيب ، عبد الكريم . الخلافة والإمامة . ط. بيروت : ١٩٧٥
- درويش ، مديحة أحمد ( د ) . سلطنة عمان في القرنين ١٨ و ١٩ . ط. ١ ، جدة :  
١٩٨٢

- دليل أعلام عمان . جامعة السلطان قابوس . ط.١ مسقط : ١٩٩١
- الرفاعي ، أنور ، الإسلام في حضارته ونظمه . ط: ٣ ، دار الفكر ، دمشق : ١٩٨٦
- الزركلي ، خير الدين . الأعلام . ط.٦ بيروت : ١٩٨٤
- السيابي ، سالم بن حمود . إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان . دمشق : ١٩٦٥
- ----- ، عمان عبر التاريخ . ٤ مجلدات ، وزارة التراث القومي ، مسقط.
- ----- ، العنوان . دمشق ، ١٩٦٥
- السالمي ، عبد الله بن حميد . تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان . مسقط : ١٩٨١
- ----- ، اللمعة المرضية من أشعة الأباضية . وزارة التراث القومي ،

١٩٨١

- السالمي ، محمد بن عبد الله . نهضة الأعيان بحرية أهل عمان .
- السعدي ، جميل بن خميس . قاموس الشريعة . مسقط : ١٩٨٣
- السيار ، عائشة علي . دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقيا . ط. ١ ، بيروت : ؟
- الشقصي ، خميس بن سعيد . منهج الطالبين وبلاغ الراغبين . تحقيق سالم بن حمد الحارثي . ط: ١ ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط : ١٩٧٩ م .
- الشمري ، عبد الله محمد . الفهرست المفيد في تراجم أعلام الخليج . الخبر : ١٤١٣هـ

- شمس الدين . الشيخ محمد مهدي . نظام الحكم وإدارة في الإسلام . ط. ٢ بيروت : ١٩٩١

- شهادت ، إبراهيم محمد ( د ) . الصراع الداخلي في عمان خلال القرن العشرين . ط.١ الدوحة : ١٩٨٩

- الصبحي ، سعيد بن بشير . الجامع الكبير .
- الصمد ، محمد بن حمد . نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين . ط.١ بيروت :

١٩٩٤



- عبد الرازق ، على . الإسلام وأصول الحكم . نقد وتحقيق د. ممدوح حقي . بيروت:؟
- العبري ، إبراهيم بن سعيد . تبصرة المعتبرين في تاريخ العبريين . مخطوطة .
- عطوان ، حسين . الفقهاء والخلافة في العصر الأموي . ط. ١ بيروت : ١٩٩١
- العمشاوي ، محمد سعيد . الخلافة الإسلامية . ط. ١ ، القاهرة : ١٩٩٢
- عوض ، عبد العزيز ( د ) . دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث . بيروت ١٩٩١
- غباش ، حسين عبيد غانم ( د ) . عمان : الديمقراطية الإسلامية : ١٥٠٠ - ١٩٧٠
- ترجمة د. انطوان حمصي . ط. ١ بيروت : ١٩٩٧
- الفارسي ، ناصر بن منصور . نزوى عبر الأيام . نادي نزوى . ط: ١ ، ١٩٩٤م
- قاسم ، جمال زكريا . الخليج العربي . ٤ مجلدات ، طبع في سنوات مختلفة .
- ----- ، دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا . القاهرة .
- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن . جـ ٧ ، ط. ١ دار الكتب العلمية . بيروت : ١٩٨٨
- القشيري ، الإمام مسلم بن الحجاج . صحيح مسلم . بيروت : ؟
- ----- ، مختصر صحيح مسلم . شرح ومراجعة : سعيد اللحام بيروت : ١٩٩١
- القلقشندي ، أحمد بن محمد . مآثر الإنافة في معالم الخلافة . تحقيق : عبد الستار فراج. عالم الكتب . بيروت : ؟
- الكندي ، أحمد بن عبد الله . المصنف . ج: ١٠ مسقط : ١٩٨٣
- الكندي ، محمد بن إبراهيم . بيان الشرع . ج : ٤ مسقط : ١٩٨٤
- كيلي ، جون . بريطانيا والخليج الفارسي ١٧٩٥ - ١٨٧٠ ، مجلدين ( مترجم ) .
- لاندن ، روبرت جيران . عمان منذ ١٨٥٦ مسيرا مصيرا . وزارة التراث القومي .
- لويمر ، ج . ج . دليل الخليج . ١٤ مجلدا ( مترجم ) .

- مايلز ، س.ب . الخليج بلدانه وقبائله . ( مترجم ) .
- الماوردى ، أبو الحسن على بن محمد . الإحكام السلطانية . بيروت : ١٩٧٨
- مجهول المؤلف . تاريخ أهل عمان . تحقيق سعيد عاشور .
- المسكرى ، عبد الله بن سعيد . المنثور فى العلم المنشور . مخطوطة : بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدى .
- معمر ، على يحيى . الأباضية بين الفرق الإسلامية . مسقط : ١٩٨٦
- المعولى ، أبو سليمان محمد بن عامر . قصص وأخبار جرت فى عمان .
- المنتدى الأدبى . قراءات فى فكر السالمى ( حصاد ندوة عن السالمى ) . مسقط : ١٩٩٢
- ----- ، قراءات فى فكر الخليلي ( حصاد ندوة عن الخليلي ) . مسقط : ١٩٩٤
- هاشم ، مهدي طالب . الحركة الأباضية فى المشرق العربى . ط. ١ بغداد : ١٩٨١
- al-Hashimy, S. M. Imam Salim b. Rashid and Imamate Revival in Oman 1331/1913-1338/1920, ( thesis, Ph. D. Unpublished, University of Leeds, 1994.
- الهاشمى ، سعيد بن محمد . أبو نبهان بن خميس الخروصى : ثقافته : شيوخه وتلاميذه. بحث قدم إلى ندوة إحياء ذكرى أبى نبهان : ١٤ - ١٦ ديسمبر ١٩٩٦ . المنتدى الأدبى السيب .
- وزارة الإعلام . عمان فى التاريخ . لندن : ١٩٩٥
- وزارة التراث القومى . حصاد ندوة الدراسات العمانية : نوفمبر ١٩٨٠ . ١٠ ج .
- يوسف ، محمد خير رمضان . تنمية الإعلام للزركلى . ٢ ج ، ط. ١ بيروت ١٩٩٨

## الملاحق

### ( أ ) قائمة بأسماء العلماء مع الأئمة :

#### القرن الخامس عشر

- ١ - الشيخ محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج اليعمدي الأزدي  
الإمام عمر بن الخطاب ابن محمد الخروصي ( ١٤٨٠/٨٨٥ - ١٤٨٠/٨٩٤ )

#### القرن السادس عشر

- ٢ - الشيخ أحمد بن مداد بن عبد الله بن مداد الناعبي  
الإمام محمد بن إسماعيل الإسماعيلي ( ١٥٣٥/٩٤٢ - ١٥٠٠/٩٠٦ )  
الإمام بركات بن محمد بن إسماعيل الإسماعيلي ( ١٥٥٦/٩٦٤ - ١٥٣٥/٩٤٢ )

#### القرن السابع عشر

- ٣ - الشيخ الفقيه العلامة خميس بن سعيد بن علي الشقصي  
الإمام ناصر بن مرشد بن مالك اليعربي ( ١٦٤٩/١٠٥٩ - ١٦٢٤/١٠٣٤ )

#### القرن الثامن عشر

- ٤ - الشيخ عدي بن سليمان بن راشد بن حسن الذهلي ( ت : ١١٣٤هـ / ١٧٢٢م )  
الإمام سلطان بن سيف بن سلطان اليعربي ( ١٧١٨/١١٣١ - ١٧١١/١١٢٣ )  
الإمام مهنا بن سلطان بن ماجد اليعربي ( ١٧٢١/١١٣٤ - ١٧١٨/١١٣١ )

#### ٥ - الشيخ ناصر بن سليمان بن محمد بن مداد الناعبي

- الإمام محمد بن ناصر بن عامر الغافري ( ١٧٢٨/١١٤٠ - ١٧٢٤/١١٣٧ )  
الإمام سيف بن سلطان بن سيف اليعربي ( ١٧٣٢/١١٤٥ - ١٧٢٨/١١٤٠ )

#### ٦ - الشيخ سعيد بن بشير بن محمد الصبحي

- ( ت : ١١٥٠هـ / ١٧٣٧م )  
الإمام سيف بن سلطان بن سيف اليعربي ( ١٧٣٢/١١٤٥ - ١٧٢٨/١١٤٠ )

٧ - الشيخ حبيب بن سالم بن سعيد بن محمد أمبوسعيدى

الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان اليعربى ( ١٧٤٩/١١٦٢ - ١٧٤٥/١١٥٨ )

الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدى ( ١٧٨٢/١١٩٨ - ١٧٤٩/١١٢٣ )

٨ - الشيخ جاعد بن خميس بن مبارك الخروصى ( ١٨٢١/١٢٣٧ - ١٧٣٥/١١٤٧ )

الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدى ( ١٧٨٢/١١٩٨ - ١٧٤٩/١١٢٣ )

الإمام سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدى ( ١٨١٠/١٢٢٥ - ١٧٨٢/١١٩٨ )

#### القرن التاسع عشر

٩ - الشيخ سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح الخليلى ( ١٨٧١/١٢٨٧ - ١٨١١/١٢٢٦ )

الإمام عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الإمام ( ١٨٧١/١٢٨٧ - ١٨٦٨/١٢٨٥ )

#### القرن العشرين

١٠ - الشيخ عبد الله بن حميد بن سلوم السالمى ( ١٩١٤/١٣٣٢ - ١٨٦٩/١٢٨٦ )

الإمام سالم بن راشد بن سليمان الخروصى ( ١٩٢٠/١٣٣٨ - ١٩١٣/١٣٣١ )

(ب) أئمة عمان خلال العصور الحديثة :

- ١ - الإمام عمر بن الخطاب بن محمد الخروصي ( ١٤٨٠/٨٨٥ - ١٤٨٠/٨٩٤ )
- ٢ - الإمام محمد بن سليمان بن محمد بن مفرج ( ١٤٨٠/٨٩٤ - ؟ )
- ٣ - الإمام عمر بن الشريف ( ؟ - ؟ )
- ٤ - الإمام أحمد بن محمد الربخى ( ؟ - ؟ )
- ٥ - الإمام أبو الحسن بن عبد السلام ( ؟ - ؟ )
- ٦ - الإمام محمد بن إسماعيل الإسماعيلي ( ١٥٣٥/٩٤٢ - ١٥٠٠/٩٠٦ )
- ٧ - الإمام بركات بن محمد بن إسماعيل الإسماعيلي ( ١٥٥٦/٩٦٤ - ١٥٣٥/٩٤٢ )
- ٨ - الإمام عبد الله بن محمد بن عبد الله القرن المنحى ( ١٥٥٩/٩٦٧ - ؟ )
- ٩ - الإمام عمر بن قاسم الفضيلي ( ؟ - ؟ )
- ١٠ - الإمام عامر بن راشد بن محمد بن سعيد ( ؟ - ١٥٦٨/٩٧٦ )
- ١١ - الإمام ناصر بن مرشد بن مالك اليعربي ( ١٦٤٩/١٠٥٩ - ١٦٢٤/١٠٣٤ )
- ١٢ - الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي ( ١٦٨٠/١٠٩١ - ١٦٤٩/١٠٥٩ )
- ١٣ - الإمام بلعرب بن سلطان بن يوسف اليعربي ( ١٦٩٢/١١٠٤ - ١٦٨٠/١٠٩١ )
- ١٤ - الإمام سيف بن سلطان بن سيف اليعربي ( ١٧١١/١١٢٣ - ١٦٩٢/١١٠٤ )
- ١٥ - الإمام سلطان بن سيف بن سلطان اليعربي ( ١٧١٨/١١٣١ - ١٧١١/١١٢٣ )
- ١٦ - الإمام سيف بن سلطان بن سيف اليعربي ( ١٧١٨/١١٣١ - أكثر من مرة )
- ١٧ - الإمام مهنا بن سلطان بن ماجد اليعربي ( ١٧٢١/١١٣٤ - ١٧١٨/١١٣١ )
- ١٨ - الإمام يعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف ( ١٧٢١/١١٣٤ - سنة واحدة )
- ١٩ - الإمام محمد بن ناصر بن عامر الغافري ( ١٧٢٨/١١٤٠ - ١٧٢٤/١١٣٧ )
- ٢٠ - الإمام سلطان بن مرشد بن عدى اليعربي ( ١٧٤٤/١١٥٦ - ١٧٤١/١١٥٤ )
- ٢١ - الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان اليعربي ( ١٧٤٩/١١٦٢ - ١٧٤٥/١١٥٨ )

- ٢٢ - الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدى ( ١٧٨٢/١١٩٨ - ١٧٤٩/١١٢٣ )
- ٢٣ - الإمام سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدى ( ١٨١٠/١٢٢٥ - ١٧٨٢/١١٩٨ )
- ٢٤ - الإمام عزان بن قيس بن عزان بن قيس ( ١٨٧١/١٢٨٧ - ١٨٦٨/١٢٨٥ )
- ٢٥ - الإمام سالم بن راشد بن سليمان الخروصى ( ١٩٢٠/١٣٣٨ - ١٩١٣/١٣٣١ )
- ٢٦ - الإمام محمد عبد الله بن سعيد الخليلى ( ١٩٥١/١٣٧٣ - ١٩٢٠/١٣٣٨ )
- ٢٧ - الإمام غالب بن على بن هلال الهناتى ( ١٩٥٥/١٣٧٥ - ١٩٥٣/١٣٧٣ )

# نقشان كتابيان يؤرخان لعمارة

## دار الحميدية بمكة المكرمة

د. عادل بن محمد نور غباشي(\*)

### مقدمة :

تتناول هذه الدراسة نقشين كتابيين يؤرخان لعمارة دار « الحميدية » التي اتخذها الوالي العثماني مقرا للولاية في البلد الحرام منذ عام ١٣٠٢ هـ ، وتُدور هذه الدراسة حول ثلاثة محاور ، اختص الأول منها ببيان تاريخ بناء الدار وسبب تسميتها بالحميدة وصفة بنائها وأهمية موقعها بين أحياء البلد الحرام . وتناول المحور الثاني النقشين الكتابيين موضوع الدراسة من حيث التعريف بهما وقراءتهما، وبيان صيغة كل منهما والملحوظات الفنية . أما المحور الثالث فعالج التعريف بالأسماء والألقاب الواردة في النقشين ، وخلصت الدراسة إلى عد هذه الدار أحد الدور المهمة في البلد الحرام باعتبارها مقرا للولاية حيث لم تبن دار للولاية بمكة قبلها ، مما يكشف عن عناية العثمانيين بتطوير مركز الوالي في الحجاز .

### أولا : تاريخ البناء وأهمية الموقع :

بناء على مقررات مؤتمر لندن في عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م . أرغم محمد علي باشا على الخروج من الجزيرة العربية والشام والاكتفاء بحكم مصر ، فاستعاد العثمانيون قوتهم في الحجاز<sup>(١)</sup> ، وأخذوا في تثبيت دعائم حكمهم بنقل مقر حكم والي الحجاز إلى مكة المكرمة<sup>(٢)</sup> ، وقاموا باستتجار مبنى لهم فيها ليكون مقرا للحكم<sup>(٣)</sup> ، مما يظهر أهمية بناء دار لهذه الوظيفة تكون بديلا عن استتجار أخرى ، ربما كانت غير ملائمة لتحقيق وظيفتها .

(\*) أستاذ مشارك بقسم الحضارة والنظم الإسلامية - جامعة أم القرى .

وتعددت الروايات فى تاريخ بناء دار الحكم ( الحميدية ) ، حيث تذكر إحداها أنها من بناء والى الحجاز عثمان نورى باشا دون تحديد سنة لذلك<sup>(٤)</sup> ، وورد فى أخرى أنها « أنشئت فى أول عهد السلطان عبد الحميد الثانى<sup>(٥)</sup> » ، سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م<sup>(٦)</sup> ، وكذا فى مطلع القرن الرابع عشر للهجرة<sup>(٧)</sup> ، وفى سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م<sup>(٨)</sup> ، ونظراً لورود هذا التاريخ فى النقشين موضوع الدراسة (اللوحتان رقما ١ ، ٢) أرقاماً ( ١٣٠٢هـ ) وتاريخاً بحساب الجمل ، نرجح أن يكون ذلك التاريخ هو تاريخ إتمام البناء . وقد جاء التاريخ بحساب الجمل كما يلى :

النقش الأول الشطر الثانى من السطر الثالث :

٣٤٠ ٩٠ ٦٦ ٤٩٤ ٣١٢ = ١٣٠٢

نصر من الله وقتح قريب

النقش الثانى بعد السطر الثالث بعد كلمة أرخ :

٧٨ ٧١ ٩٠ ١٣٢ ٦٤٧ ١٣٣ ١٥١ = ١٣٠٢

أرخ المجد ونادى فى العلا أدخلوها بسلام آمين

أما عن تاريخ بدء أعمال البناء فيرجح أنها بدأت بعد تعيين نورى باشا والياً على الحجاز فى شهر جمادى الآخرة أو رجب أو شعبان عام ١٢٩٩هـ / ٩ إبريل أو مايو أو يونيو ١٨٨٢م ؛ لتعدد روايات المؤرخين فى الإشادة بجهوده فى بنائها<sup>(٩)</sup> ، وورود اسمه فى النقشين ، منشئاً ومشيداً لهذه الدار (اللوحتان رقما ١، ٢)، وبعد بنائها استخدمت مقراً للوالى وأقسام الدوائر الحكومية وإدارة التحريرات وإدارة الحرم الشريف ، علاوة على استخدامها مقراً لإقامة فرقة العساكر النظامية<sup>(١٠)</sup> ، وأطلق عليها اسم ( دار الحميدية ) نسبة للسلطان عبد الحميد الثانى<sup>(١١)</sup> ( ١٢٩٣ - ١٣٢٧هـ / ١٨٧٦ - ١٩٠٩م ) .



وبعد أن يسر الله للملك عبد العزيز ضم مكة إلى حكمه عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م اجتمع في بهو هذه الدار بعلماء البلد الحرام والمجاورين ، وألقى فيهم خطاباً بين فيه عظمة دين الإسلام وواقع حال أهله<sup>(١٣)</sup> ، ثم استخدمت مجمعاً للدوائر الحكومية فكان منها الشرطة ، المحكمة المستعجلة ، كاتب عدل ، مجلس الشورى ، الأحوال المدنية ، مديرية المعارف ، مديرية الأوقاف ، مكتبة وزارة الخارجية<sup>(١٤)</sup> ، واستمرت في أداء وظيفتها إلى أن تم إزالة بنائها ؛ للإفادة من أرضها في توسعة المسجد الحرام عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م<sup>(١٥)</sup> .

وفيما يخص صفة بنائها فلم نعثر - حتى الآن ١٤١٩هـ/١٩٩٩م على حد علمنا - على مخطط للمسقط الأفقى لهذه الدار . وبناءً على تحديد أبعاد محيطها الخارجى فى خارطة مصلحة المساحة المصرية التى أعدت عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م ، يمكن القول بأن دار الحميدية أخذت شكلاً مستطيلاً طوله ٥٧م وعرضه ٢١م ( شكل رقم ٢ ) ، ووصفها بعض المؤرخين بأنها مكونة من طابقين<sup>(١٦)</sup> ، متسمة بضخامة بنائها<sup>(١٧)</sup> .

ومن خلال صفة أبعاد محيطها كما سبق بيانه ( شكل رقم ٢ ) وصورها الفوتوغرافية ، اللوحات ٣ ، ٤ ، ٥ ) يمكن التعرف على بعض ملامح بنائها كما يلي :

- ١ - تتكون الدار من طابقين كما سبق بيان ذلك فى رواية تاريخية .
- ٢ - لما كانت الأبعاد الخارجية للمبنى على شكل مستطيل وكان ارتفاعه طابقين ، فقد أثر ذلك على تصميم الواجهات ، فأخذ كل منها شكلاً مستطيلاً ، حددت ملامحه بأفاريز رأسية وأفقية نتج عنها تحديد مواقع النوافذ والأبواب ، فكان ذلك من أهم الأساليب فى كسر ملل الإحساس بالأفقية .
- ٣ - استخدم الخشب فى عمل النوافذ ذات القلاب ، لدخول الضوء والهواء عند الحاجة .

٤ - استخدم العقد المدبب لتحلية مدخل الدار ، وكرر ذلك في نافذة كبيرة في الدور العلوى تقع فوق المدخل مباشرة ، مما جعل العناصر المعمارية وحدة تزيد من تناسق وانسجام الواجهات .

٥ - أفاد المعمار من الفراغات المحيطة بموقع الدار : فعمد إلى فتح النوافذ فى الواجهات الأربع ، مما أضفى على المبنى جمالاً ، وسهل حركة مرور الهواء من الجهات الأربع لتبريد المبنى وتكييفه بما يتفق مع مناخ مكة المتسم بالحرارة فى معظم فصول السنة .

٦ - تم تجسيص المبنى خارجياً مما جعلنا نرجح تنفيذ ذلك داخلياً .

٧ - استخدمت الزخارف المجسمة على شكل عنصر كاسى فوق الأركان ، وأنصاف أعمدة وتيجان تحف بالنوافذ ، وجامة تتفرع منها فروع نباتية فوق النوافذ ، وأفاريز أفقية متدرجة تفصل بين الطابق الأرضى والعلوى وكذلك بين دروة السطح والطابق العلوى ، ولا يظهر من اللوحات مادة الزخرفة ، إلا أننا نرجح أن تكون من الجص .

أما عن أهمية موقع الدار ، فيظهر من وقوعها فى أحياد بمقابل الضلع الجنوبى للمسجد الحرام ، وبالتحديد أمام باب هانى ( شكل رقم ٢ ) ، حيث كان يقع أمام هذه الدار من جهة المسجد الحرام دار فخمة تحول بين دار الحكومة (الحميدية) والمسجد الحرام ، وتمنع موظفى الولاية من رؤية الكعبة المشرفة ، وبالبحث عنها وجد أنها بنيت بغير حق فى موضع كان يشغله مسجد صغير ، فأرضى الوالى أهلى الدار وأمر بهدمها<sup>(١٨)</sup> . وفيما يلى استعرض لبيان مميزات موقع دار الحميدية فى أحياد :

١ - يعد حى ( أحياد ) من أجمل أحياء مكة المكرمة : لاشتماله على تلال جبلية مشرفة على المسجد الحرام ، وتميزه بسعة طرقه وكثرة بيوته المتطورة ،

التي كان يسكنها - غالبا - موظفو الولاية من الأتراك وفي مقدمتهم الوالي<sup>(١٩)</sup>، مما ترتب عليه سهولة انتقال الموظفين من بيوتهم إلى مقر عملهم في دار الحكومة ( الحميدية ) .

٢ - تميز موقع دار ( الحميدية ) في ( أجياد ) بقربه من مواقع التكنات العسكرية ، وقلعة أجياد ، ومخيمات العساكر ، وميدان الاستعراض العسكري ، وعدد من المصالح الحكومية<sup>(٢٠)</sup> ، ومقر إقامة الشريف أمير مكة في ( الغزة )<sup>(٢١)</sup> ، مما سهل عملية الإشراف على العساكر والاتصال بأمر مكة في وقت قصير .

٣ - جاء موقع الدار على أهم شوارع مكة في ذلك العصر ، حيث كان يبدأ من منطقة الشيخ محمود وحارة الباب مارا بباب العمرة والتكية المصرية وشارع المسعى والقشاشية وسوق الليل إلى ناحية مكة من جهة المعلاة<sup>(٢٢)</sup> ، ( شكل رقم ١ ) ، وهذا يعنى سهولة الوصول إلى ( الحميدية ) من معظم أحياء مكة المكرمة ، علاوة على أن ذلك ربما لفت قاصدى بيت الله الحرام إلى رؤيتها ، فأعطى الحكومة واجهة إعلامية في ذلك العصر .

٤ - كانت أرض الدار قضاء ملك الدولة<sup>(٢٣)</sup> ، مما وفر ثمنها ، وجاء متفقا مع ضعف الموارد المالية التي كانت تعاني منها الدولة في ذلك الوقت<sup>(٢٤)</sup> .

**ثانيا : التعريف بالنقشين وقراءتهما<sup>(٢٥)</sup> :**

**النقش الأول :**

**الموقع :** كان النقش مثبتا فوق الباب الشرقى لدار ( الحميدية )<sup>(٢٦)</sup> ، وهو محفوظ حاليا بمتحف آثار الحرم المكي الشريف .

**مادته :** رخام .

**أبعاده :** ٤١,٥ سم × ٤١,٥ سم

عدد أسطوره: ثلاثة أسطر انقسم كل منها إلى خرطوشين مستطيلين حليت أركانها بأشكال ربع دائرية .

خطه : ثلث نفذ بطريقة الحفر البارز .

مضمونه : تأسيسى .

تاريخه : ١٣٠٢هـ .

لوحة : ١

نصه :

١ - دار حوت بسعد<sup>(٢٧)</sup> سلطاننا عبد الحميد كل حسن وطيب

٢ - أشادها بحى أم القرى عثمان وإلينا بشكل عجيب

٣ - بشرى لنا قد جاء تاريخها نصر من الله وفتح قريب

١٣٠٢ (٢٨) ف

### النقش الثانى :

الموقع : كان النقش مثبتاً فوق الباب الغربى لدار ( الحميدية )<sup>(٢٩)</sup> ، وهو محفوظ حالياً بمتحف آثار الحرم المكى الشريف .

مادته : رخام .

أبعاده : ٤١,٥ سم x ٤١,٥ سم .

عدد أسطوره : ثلاثة أسطر انقسم كل منها إلى خرطوشين مستطيلين حليت أركانها بأشكال ربع دائرية .

خطه : ثلث نفذ بطريقة الحفر البارز .

مضمونه : تأسيسى .

تاريخه : ١٣٠٢هـ .

لوحة : ٢

نصه :

١ - دار سلطان الورى عبد الحميد بدت<sup>(٣٠)</sup> كالبدر فى البيت الأمين

٢ - شادها عثمان والينا الذى توج الأحكام بالعدل المبين

٣ - أرخ المجد ونادى فى العلا ادخلوها بسلام آمين

١٣٠٢ حرره فخرى<sup>(٣١)</sup>

وبناء على ما سبق جاء تاريخ بناء الدار فى صورة أبيات شعرية حوت مدح المنشئ والمنشأة ويظهر من أبيات النقش الأول أنها بلغت مبلغا عاليا من الحسن والجمال ، فالشاعر لم يكتف بوصف الدار بالحسن بل جعلها تحويه كله . وفى لفظ الاحتواء ما يوحى بأن الجمال صفة متمكنة منها ، ويتأيد هذا بجعلها تحتوى « كل حسن وطيب ، ولفظ « كل » من ألفاظ العموم والشمول فالدار بما احتوت من مظاهر الجمال بدت وكأنها استأثرت بكل شكل من أشكال الحسن والطيب .

وفى وصف بنائها بأنه عجيب ، ما ينبئ عن تفرداها فى الحسن والجمال بين مثيلاتها من الدور . وقد رأى فى هذا البناء رمزا للبشرى بالخير والنصر وهو ما عبر عنه فى البيت الأخير بالاقتراس القرآنى « نصر من الله وفتح قريب »<sup>(٣٢)</sup> ، وهو ما يسمى بالاقتراس فى علم البديع ، وقد وفق الشاعر توفيقا عظيما فى هذا الاقتباس ؛ لاتفاق مضمونه مع حساب الجمل الذى ورد فيه تاريخ البناء كما بينا ذلك سابقا .

أما النقش الثانى فيبدو أكثر إتقانا فى الصنعة من الأول ، والشاعر لم يكتف فى أبياته بذكر الحسن والجمال وإنما شبهها بالبدر . وهو رمز الوضاءة والرفعة

والشهرة ، ثم أثنى على بانيها بعدله الذى شبهه بالتاج فوق هامة الأحكام ( توج الأحكام بالعدل المبين ) والتاج أيضا رمز الجمال والرفعة . ونرى فى وصف هذا السلطان بأنه يؤرخ المجد أى يبدأ المجد بحكمه ، وينادى فى العلا وهى ما علا وسما من مآثر وأمجاد ، ما يبين أنه سلطان رفيع المنزلة على الشرف فى رأى كاتب الأبيات وتضمن الشطر الأخير من البيت الثالث اقتباسا قرآنيا ﴿ ادخلوها بسلام آمنين ﴾<sup>(٣٣)</sup> ، وقد وفق الشاعر فى ذلك لاستكمال تاريخ حساب الجمل كما سبق بيانه ، ودلالاتها التى تتبى عن رضا الشاعر بعهد السلطان لما رآه من مظاهر خير وأمان .

وتأتى الصيغة الشعرية فى هذين النقشين التأسيسيين امتدادا لأعمال سابقة ولاحقة فى البلد الحرام<sup>(٣٤)</sup> .

أما الملحوظات الفنية فنتبعا كما يلى :

يظهر أن الذى خط النقشين شخص واحد جاء توقيعه على النقش الأول فى السطر الثالث مجاورا للتاريخ بحرف « ف » ، وفى النقش الثانى فى السطر الثالث مجاورا للتاريخ باسم « فخرى » ، ويزكى ذلك وقوع النقشين على مبنى واحد ، جاء النقش الأول فوق الباب الشرقى للدار والآخر فوق الباب الغربى للدار ، وتاريخ النقشين بزمان واحد وهو عام ( ١٣٠٢ هـ ) ، علاوة على اتفاقهما من حيث الإخراج الفنى بما يلى :

١ - استخدم الخط الثلث<sup>(٣٥)</sup> فى كتابه النقشين بأسلوب واحد .

٢ - إحاطة كل من النقشين بإطار مستطيل ، لم تظهر أطرافه كاملة لتغطيتها بإطار جصى عمل حديثا ، لتثبيت النقش على جدار متحف آثار الحرم المكى الشريف ، وتم تقسيم كل من النقشين إلى خراطيش بكل منها شطر من بيت شعري ، وقد فصل بينها بخطوط مستقيمة تتقابل فى منطقة زخرفية هندسية

منتهية بأشكال أرباع دوائر يتوسطها وردة ثمانية البتلات وفي الجوانب والأركان أنصاف الشكل الهندسي والوردات .

٣ - اتفق النقشان من حيث استخدام الألوان ، فجاءت الكتابة باللون الأبيض على أرضية خضراء فاتحة اللون ، أما إطارات الأسطر وزخرفتها فجاءت بيضاء.

٤ - لم ترد الهمزات فوق أحرف كلمات النقشين ، ويظهر ذلك في النقش الأول في كلمتي « اشادها » و « أم » في السطر الثاني ، وفي النقش الثاني في كلمة « الأمين » في السطر الأول ، وكلمة « الأحكام » في السطر الثاني ، وكلمة « أرخ » في السطر الثالث .

٥ - لم ترد نقطتا حرف الياء المنتهية في كلمات النقشين . ويظهر ذلك في النقش الأول في كلمة « بحى » في السطر الثاني ، وفي النقش الثاني في كلمة « فى » في السطر الأول ، وكلمة « الذى » في السطر الثاني ، وكلمة « فى » فى السطر الثالث .

٦ - وردت حركات الإعراب على النقشين ، مما يسهل قراءة كل منهما لمن لا يتقن العربية ، خاصة وأن موضع النقشين كان على مبنى ( الحميدية ) المجاور للمسجد الحرام والذي يستقبل المسلمين على اختلاف لغاتهم وأجناسهم.

٧ - اتفق النقشان من حيث جودة وإتقان الخط الذى جاء بدرجة واضحة دقيقة ، خاصة من حيث النسب الجمالية للحروف وتناسق أحجام الكلمات ، كما يظهر أن الخطاط باستخدامه الخط الثلث في كتابة النقشين لم يخرج عن المألوف في مكة المكرمة ، التى شاع فيها هذا النوع من الخطوط في العصر العثماني ، سواء في كتابة اللوحات التأسيسية<sup>(٣٦)</sup> أم فى نسيج كسوة الكعبة المشرفة<sup>(٣٧)</sup> .

### ثالثا : الأسماء والألقاب الواردة فى النقشين :

- عبد الحميد :

هو السلطان عبد الحميد الثانى بن عبد المجيد الأول بن محمود الثانى ينتهى نسبه إلى أرطغرل بن سليمان شاه جد سلاطين آل عثمان<sup>(٣٨)</sup> ، وقد ولد السلطان عبد الحميد الثانى فى عام ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م<sup>(٣٩)</sup> ، وتولى الخلافة فى ١١ - ٨ - ١٢٩٣هـ/ ٣١ - ٨ - ١٨٧٦م ، واستمر بها إلى أن تم خلعها فى ٧ - ٤ - ١٣٢٧هـ/ ٢٧ - ٤ - ١٩٠٩م<sup>(٤٠)</sup> ، وتوفى عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م<sup>(٤١)</sup> . وكان عمره عند تسلمه السلطة ٣٤ عاما ، والدولة العثمانية محفوفة بالمخاطر الجسام والثورات مشتعلة فى بلاد الروم ، ولقد جابه السلطان عبد الحميد مصاعب كثيرة فى دولته الكبيرة حيث بلغت ديونها أكثر من ٢٥٢ مليون ليرة عثمانية . وفى عهده وقعت الحرب مع روسيا عام ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م رغم بذله جهودا كبيرة بغية تفاديها ، إلا أنها أسفرت عن خسائر فادحة للدولة والأمة ، فأوشك الروس على احتلال استانبول، وراح ضحية ذلك خلق كثير ، وفقدت الدولة مساحات كبيرة من الأراضى<sup>(٤٢)</sup> .

واشتهر عن هذا السلطان موقفه الإسلامى العظيم برفض إعطاء فلسطين لليهود لتأسيس وطن قومى ، رغم الإغراءات المالية التى قدمت له . ومن العبارات المنسوبة إليه فى هذا الشأن قوله : « انصحوا هرتزل ألا يتخذ خطوات جدية فى هذا الموضوع ، إنى لا أستطيع أن اتخلى عن شبر واحد من الأرض ، فهى ليست ملك يمينى ، بل ملك شعبى لقد ناضل شعبى فى سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم ، وإذا مزقت إمبراطوريتى يوما فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، أما وأنا حى فإن عمل المبضع فى بدنى لأهون على من أن أرى فلسطين قد بترت من إمبراطوريتى . وهذا أمر لا يكون ، أنى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة<sup>(٤٣)</sup> » . كما ينسب لهذا السلطان



العديد من المشروعات الحضارية ، منها إنشاء المدارس في كثير من الولايات ، وعمل خطوط السكك الحديدية من دمشق إلى المدينة المنورة<sup>(٤٤)</sup> ، وتمت في عهده العديد من الأعمال المعمارية في الحجاز ، منها أعمال تجديد معمارية في المسجد الحرام<sup>(٤٥)</sup> ، والمسجد النبوي الشريف<sup>(٤٦)</sup> ، وبناء دار الضيافة عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م لاستقبال فقراء الزوار في البلد الحرام<sup>(٤٧)</sup> ، علاوة على الأعمال التي قام بها والي الحجاز عثمان نوري باشا . كما سنتحدث عنها لاحقا .

#### - عثمان :

هو عثمان نوري باشا عين واليا على الحجاز من قبل الدولة العثمانية في شهر جمادى الآخرة أو رجب أو شعبان عام ١٢٩٩هـ<sup>(٤٨)</sup> / إبريل أو مايو أو يونيه ١٨٨٢م ، وكان قبل ولايته قومندان<sup>(٤٩)</sup> ، العساكر العثمانية في الطائف<sup>(٥٠)</sup> ، ثم رقى إلى رتبة وزير عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م<sup>(٥١)</sup> .

وقد اتصف بالذكاء والحكمة والشهامة<sup>(٥٢)</sup> ، والفضل والإقدام وفعل الخير في كل ما ينفع البلاد والعباد<sup>(٥٣)</sup> ، ومما جاء عنه أنه « أنبل الولاة الذين عرفتهم مكة وأحزمهم ، ومن محبى الإصلاح<sup>(٥٤)</sup> » وأورد محمد علي مغربي صفة عدل هذا الوالى شعرا بما يلي<sup>(٥٥)</sup> :

أجرى الحكومة في وادى الحجاز بما      قدما تحلى به الفاروق وأنشأ  
وقام بالتسوط بين القوم مجتهدا      وعن طريق الهدى والحق ما جنا  
فأصبح العدل منشورا بهمته      وأصبح الظلم مخذولا مطرحا

وهذه الصفات النبيلة جعلته يقف لأمير مكة الشريف عون الرفيق باشا<sup>(٥٦)</sup> ، من أخذ أموال فرضها باسم « المكوس » على الأعراب والحجاج ، ورفض تدخل الأمير في الإشراف على أعمال لجنة عين زبيدة لجمع التبرعات والصرف منها على إصلاح مرافق المياه في البلد الحرام ، فاحتد الصراع بينهما ، فاستمال الأمير

جماعة من أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ورفعوا شكوى كيدية إلى السلطان عبد الحميد الثانى فصدر أمره عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧ بنقل الوالى إلى اليمن<sup>(٥٧)</sup> ، وفيها واجه الكثير من أهل الخير والشر ، وأخلص فى عمله فوصف بالعدل والإصلاح والتواضع والزهد وحب الخير فلقبوه « بالفقيه » ؛ ونظرا لمحاربته للرشوة والظلم ، قدمت فيه شكاوى كيدية أدت إلى صدور أمر السلطان عبد الحميد الثانى بنقله إلى مكة المكرمة للمرة الثانية عام ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م ثم عاد إلى اليمن<sup>(٥٨)</sup> بناء على شكاوى كيدية أيضا ، فعلق إبراهيم رفعت على ذلك بقوله : « كان خليقا بأمير المؤمنين أن يتبين فى قول الشريف كما أمر الله إليه فى كتابه وأن لا يحكم على متهم إلا بعد استجوابه واستماع قوله<sup>(٥٩)</sup> » .

ومما يظهر اهتمام الوالى بالحجاز وتقديمه كل ما ينفع البلد الحرام تتبع أعماله فى إصلاح المرافق وبناء المنشآت التى يعود نفعها على المسلمين فى البلد الحرام ، فشملت أعمال الترميم والإصلاح ، ترميم القنوات لإيصال مياه العيون إلى مكة المكرمة ، وترميم موارد المياه داخل البلد الحرام وخارجه<sup>(٦٠)</sup> ، وفى المسجد الحرام عمل على إزالة بناء قبة السقاية وقبة الفراشين ليسهل على المسلمين رؤية الكعبة المشرفة من جهة الرواق الشرقى ، والإفادة من موضعها فى تهيئة المكان للمصلين والطائفين<sup>(٦١)</sup> ، كما قام ببناء مدرسة صغيرة مجاورة للمنارة الواقعة عند باب على عرفت باسم « موقت خانة » ووضعت فيها الساعات الموقوفة لمواقيت المسجد الحرام ، وأعاد بناء مقام الحنبلى ، وأصلح محراب مقام الحنفى<sup>(٦٢)</sup> ، وأعاد بناء قلعة هندى<sup>(٦٣)</sup> ، وعمر قلعة أجياد<sup>(٦٤)</sup> ، وأصلح طريق الصعود إلى غار جبل ثور بمكة<sup>(٦٥)</sup> . أما أعمال البناء فشملت إنشاء دار المطبعة بمكة المشرفة ، وقد جهزها بالآلات اللازمة ، فاستخدمت للطبع باللغتين العربية والتركية ، وبناء دار (الحميدية) موضوع هذا البحث ، وثكنة عسكرية لتكون مقرا للجنود ، ودارا للبريد والتلغراف<sup>(٦٦)</sup> ، ومركز شرطة فى الصفا عرف باسم « كركول الصفا » و« كركون الصفا » و « قراغول الصفا » ، ومستشفى وبازان ( صهرج ماء )

الخيف بمنى<sup>(٦٧)</sup> ، وحديقة بجرول لتكون منتزها لأهل مكة وعامة المسلمين<sup>(٦٨)</sup> ،  
وعمل على إيصال مياه عين الوزيرية إلى جدة<sup>(٦٩)</sup> ، وبنى سور ينبع<sup>(٧٠)</sup> .

#### - فخرى :

ود توقيع اسمه صريحا على النقش رقم (٢) ورمز له بحرف ( ف ) على  
النقش رقم (١) ، ولم ترد ترجمته ضمن قائمة أسماء الخطاطين التى أوردها  
الكردي<sup>(٧١)</sup> ، وبذا فإن النقشين أضافا توقيع خطاط عمل فى البلد الحرام فى أوائل  
القرن الرابع عشر للهجرة ؛ مما يعنى إضافة اسمه إلى القائمة المشار إليها .

ويظهر من تاريخ النقشين فى عام ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م ، أن هذا الخطاط كلن  
معاصرا لكبار الخطاطين فى الحجاز ومنهم<sup>(٧٢)</sup> .

١ - الشيخ فرج بن سليمان بن على غزاوى المتوفى سنة ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م  
تقريبا.

٢ - الشيخ سلميان بن فرج غزاوى من مواليد سنة ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م تقريبا ،  
والمدرس للخط بمدرسة الفلاح منذ عام ١٣٣٠هـ / ١٩١١م .

٣ - محمد أفضل هروى الذى كتب البسمة وأسماء الخلفاء الأربعة على باب على  
بالمسجد الحرام سنة ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م ، وله وكتابات على مسجد الشيخ  
رحمت الله الملاصق للمدرسة الصولتية بمكة المكرمة عام ١٣٠٢هـ /  
١٨٨٤م وكذلك أعمال فنية أخرى فى عام ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م<sup>(٧٣)</sup> .

وحيث إن دار ( الحميدية ) احتلت مكانة مهمة لمجاورتها للمسجد الحرام  
ووظيفتها وأعطى للخطاط فخرى فرصة الكتابة عليها ؛ فمن المرجح أن ذلك يشير  
إلى مدى الأهمية الكبيرة التى احتلها هذا الخطاط بين أقرانه فى ذلك العصر ،  
علاوة على أن ورود الحرف الأول « ف » رمزا لاسمه فى النقش الأول ، ينم عن  
مدى ثقة الخطاط فى عمله وشهرته ونياع صيته بين الناس .

### - أم القرى :

اسم من أسماء مكة ورد في قوله تعالى : «ولتقدر أم القرى ومن حولها»<sup>(٧٤)</sup>، وترجع هذه التسمية إلى أربعة أقوال<sup>(٧٥)</sup> :

أولا : أن الأرض بحيث من تحتها لأنها أقدم الأرض .

ثانيا : أنها قبله يؤمها جميع الأمة .

ثالثا : أنها أعظم القرى شأنا .

رابعا : أن فيها بيت الله تعالى . ولما جرت العادة أن بلد الملك وبيته مقدما على جميع الأماكن ، سمي أما لأن الأم متقدمة .

### البيت الأمين :

لم ترد هذه الصيغة ضمن أسماء مكة المكرمة ، ووردت باسم «البلد الأمين» و« البيت العتيق »<sup>(٧٦)</sup> ، ويظهر من النص أن المقصود « بالبيت الأمين » مكة .

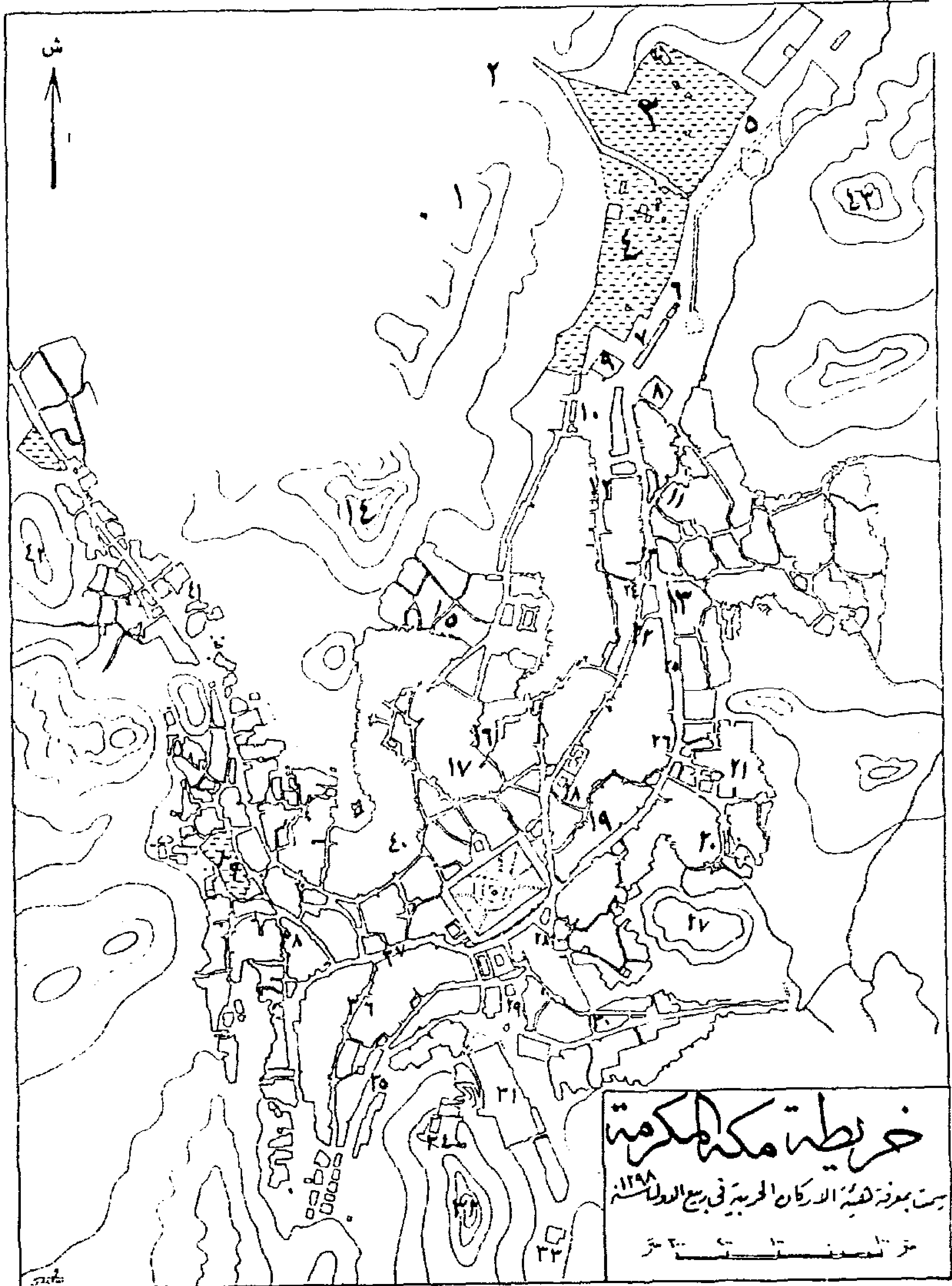
أما الألقاب الواردة في النقشين فهي « سلطان<sup>(٧٧)</sup> » و « والى<sup>(٧٨)</sup> » ، وهما من الألقاب المعروفة التي شاع استخدامها في العصر العثماني<sup>(٧٩)</sup> ، وورد لقب مركب « سلطان الورى » ، ويظهر منه التعظيم للسلطان ، لأن الورى لها معان عديدة ، ومما يتفق منها مع سياق النقش ومدح السلطان أن الورى يعنى الخلق ، فتقول العرب : ما أدرى أى الورى هو أى الخلق هو ، قال ذو الرمة :

وكائن ذعرنا من مهاة ورامح بلاد الورى ليست له ببلاد<sup>(٨٠)</sup>

وقد سبق أن نعت السلطان عبد الحميد الأول « بسلطان البسيطة والورى » فى نقش كتابى لعمارة مبنى بئر زمزم بمكة المكرمة سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م<sup>(٨١)</sup> .

## الخاتمة

- ١ - اتضح من النقشين أن تاريخ بناء دار الحميدية يرجع إلى عام ١٣٠٢هـ ، مما رجح بعض الروايات التاريخية على البعض الآخر ، وعليه أمكن الترجيح بأن يكون ذلك تاريخ تمام البناء . أما تاريخ بدء العمل فرجحت الدراسة أن يكون بعد تعيين عثمان نوري باشا واليا على الحجاز فى شهر جمادى الآخرة أو رجب أو شعبان عام ١٢٩٩هـ / إبريل أو مايو أو يونيه ١٨٨٢م .
- ٢ - تم تأكيد تاريخ البناء فى النقشين بذكره أرقاما ( ١٣٠٢هـ ) وبحساب الجمل .
- ٣ - تعد دار الحميدية أول دار بنيت بمكة المكرمة لتكون مقرا لحكم والى الحجاز فى العصر العثمانى .
- ٤ - أكدت الدراسة على أداء الدار لوظيفتها بعد بنائها إلى أن تمت إزالتها للإفادة من أرضها فى توسعة المسجد الحرام عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م .
- ٥ - حوى النقشان وصفا بليغا لحسن جمال الدار ، وظهر ذلك واضحا فى لوحاتها الفوتوغرافية ، التى كشفت عن عناية المعمار بإخراج الواجهات فى شكل لوحة زخرفية .
- ٦ - حالف التوفيق - بمشيئة الله - اختيار موقع الدار ، فجاءت مجاورة للمسجد الحرام ، فى أجمل أحياء مكة ، وعلى أهم شوارعها لارتباطه بسكن الموظفين وباقى أحياء البلد الحرام .
- ٧ - ظهر من قراءة النقشين وتتبع أسلوب الخط ، أنهما كتبا بخط الثلث بأسلوب رفيع المستوى وفق موازين الخط ، وورد توقيع الخطاط باسم « فخرى » فى النقش الثانى ورمز إلى اسمه بأول حرف من اسمه « ف » فى النقش الأول ، مما يشير إلى مدى ثقته فى عمله وشهرته بين الناس ، وحيث أننا لم نعثر على ترجمته فى قائمة أسماء الخطاطين فى الحجاز ، فإن النقشين أضافا اسما جديدا إلى القائمة .
- ٨ - جاء اهتمام والى الحجاز عثمان نوري باشا ببناء دار الحميدية ضمن سلسلة أعمال البناء والإصلاح التى قام بها فى البلد الحرام .

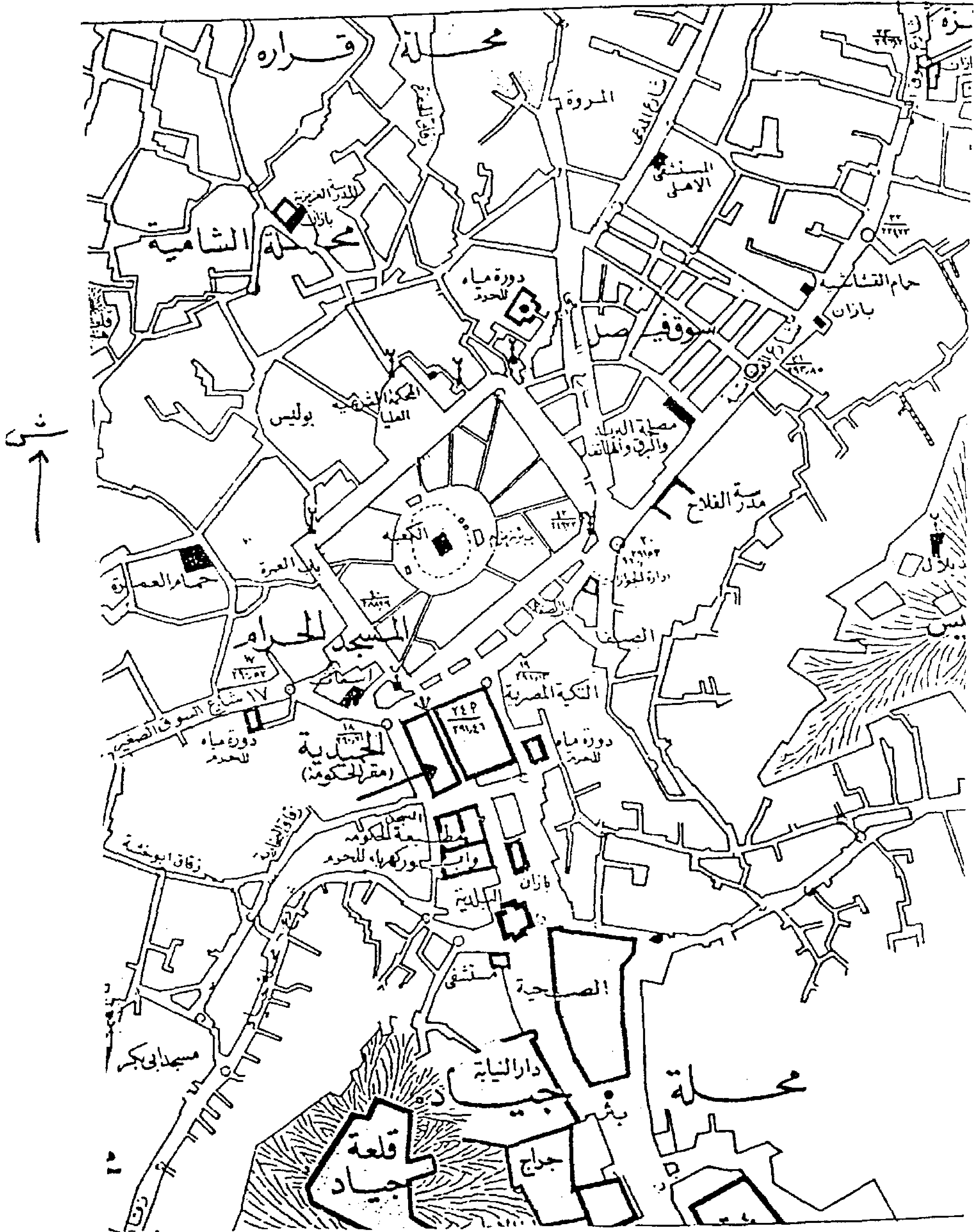


- |                    |                     |                     |                          |
|--------------------|---------------------|---------------------|--------------------------|
| ١- جبل عبادي .     | ١٢- السلمانية .     | ٢٣- زقاق شعب عامر . | ٢٤- قلعة ابياد .         |
| ٢- جبل العتيبة .   | ١٣- الفزعة .        | ٢٤- زقاق الحباب .   | ٢٥- زقاق سوق جبل ابياد . |
| ٣- مقبرة المندة .  | ١٤- جبل هندي .      | ٢٥- زقاق الفزعة .   | ٢٦- المسفلة .            |
| ٤- مقبرة العلادة . | ١٥- القلوع .        | ٢٦- سوق الليل .     | ٢٧- السوق الصغير .       |
| ٥- طريق عرفات .    | ١٦- ميدان القرارم . | ٢٧- جبل قبس .       | ٢٨- الشبكة .             |
| ٦- سمية الجون .    | ١٧- القرارم .       | ٢٨- الصفا .         | ٢٩- مقبرة الشبيكة .      |
| ٧- زقاق العلادة .  | ١٨- عمارة فاصكي .   | ٢٩- ميدان ابياد .   | ٤٠- الشامية .            |
| ٨- بركة الشام .    | ١٩- الفشاشية .      | ٣٠- ابياد .         | ٤١- هروك .               |
| ٩- بركة المصري .   | ٢٠- شعب علي .       | ٣١- خرايب .         | ٤٢- جبل الحفاير .        |
| ١٠- ميدان الحلقه . | ٢١- سوق الليل .     | ٣٢- جبل ابياد .     | ٤٣- جبل السوران .        |
| ١١- شعب عامر .     | ٢٢- النقا .         | ٣٣- نخلة السنوسي .  |                          |

شكل رقم (١)

خارطة مكة المكرمة ويظهر بها الطريق الرئيسي من حارة الباب إلى المعللة

عن غباشي ، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة

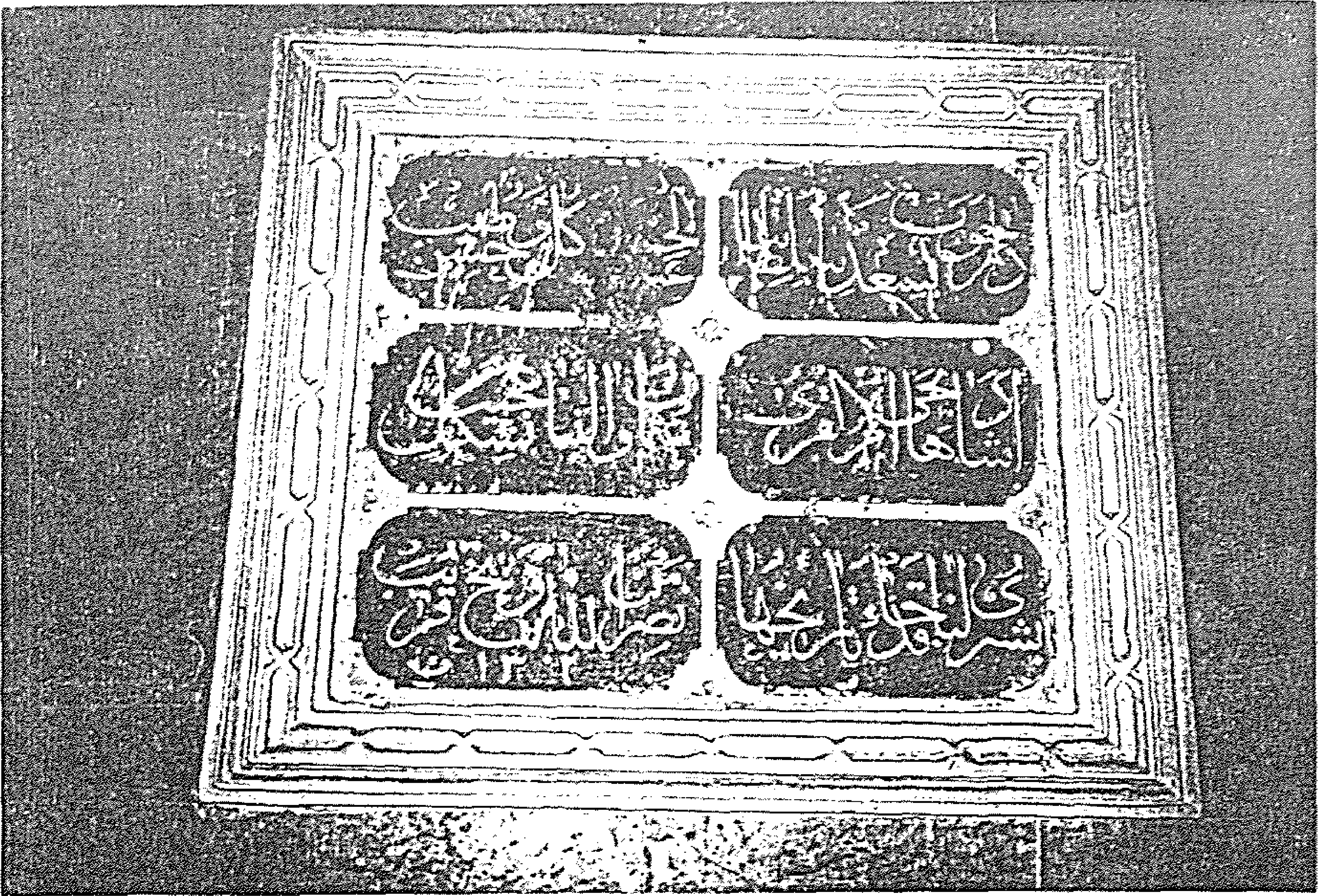


شكل رقم (٢)

موقع دار الحميدية عن خارطة مصلحة المساحة المصرية

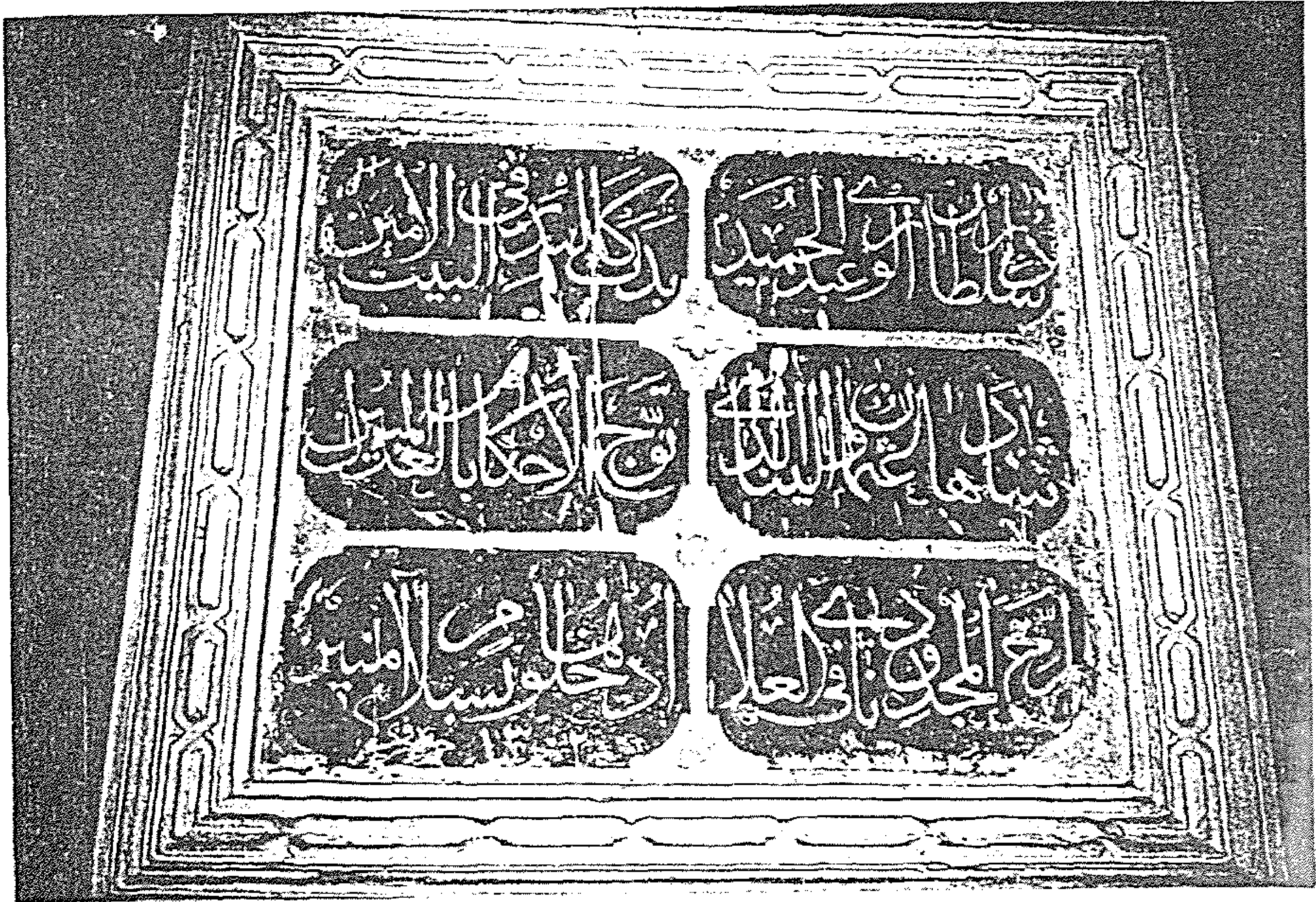
(١٣٦٧هـ/١٩٤٧م) مقياس الرسم  $\frac{1}{5000}$





لوحة رقم (١)

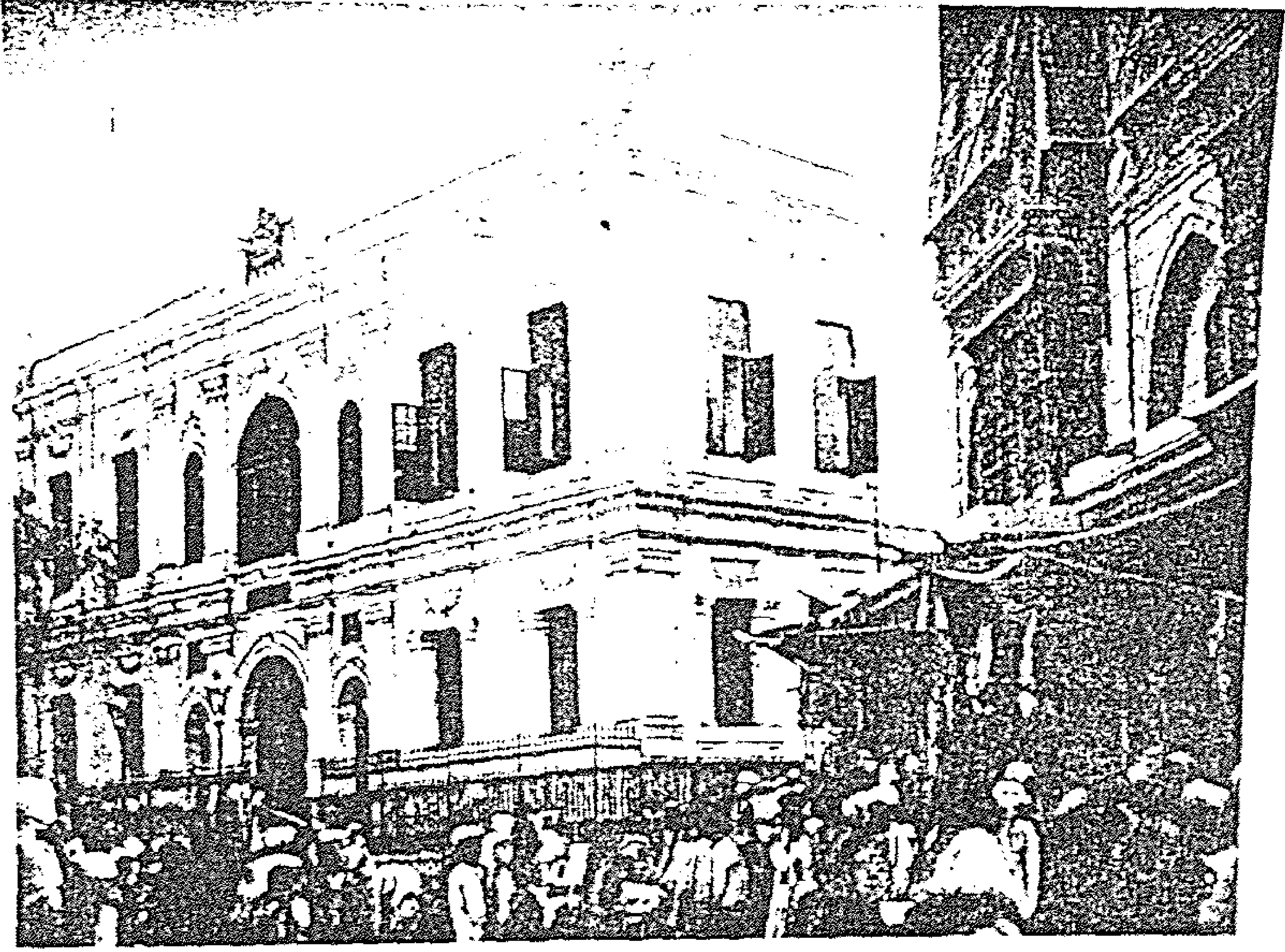
نقش رقم (١) كان مثبتاً فوق الباب الشرقي لدار الحميدية وهو محفوظ حالياً بمتحف آثار الحرم المكي الشريف .



لوحة رقم (٢)

نقش رقم (٢) كان مثبتاً فوق الباب الغربي لدار الحميدية وهو محفوظ حالياً بمتحف آثار الحرم المكي الشريف .





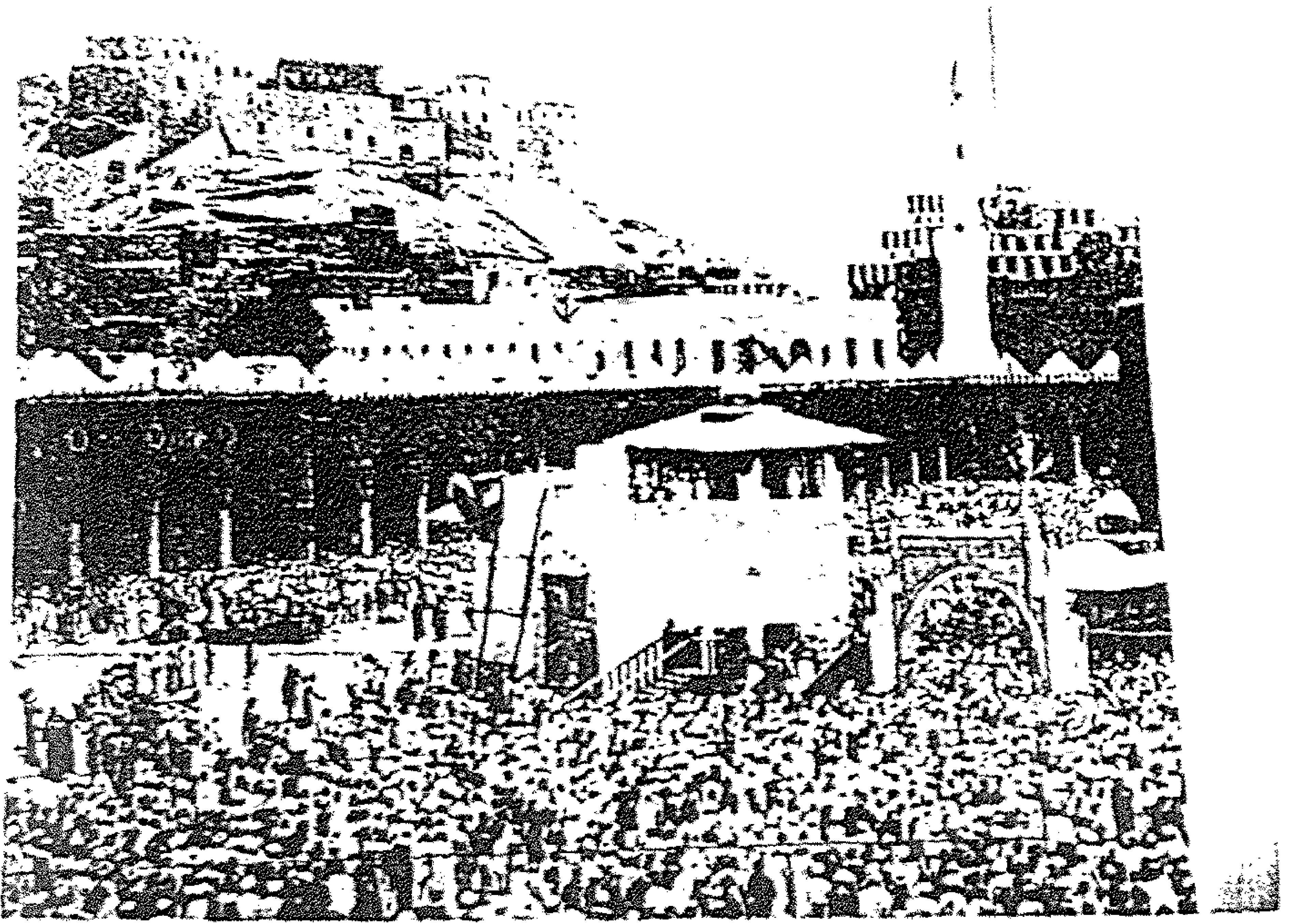
لوحة رقم (٣)

مبنى الحميدية من الجهة الشمالية الشرقية عن انجلو بيشي ، مكة المكرمة منذ مائة عام .



لوحة رقم (٤)

مبنى الحميدية من الجهة الجنوبية عن انجلو بيشي ، مكة المكرمة منذ مائة عام .



لوحة رقم (٥)

مبنى الحميدية يطل على الرواق الجنوبي للمسجد الحرام .  
عن وليام فيسي ، المملكة العربية السعودية في عيون أوائل المصورين

## الهوامش

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقى ، ط٢ ( بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ) ص ٤٦٣ - ٤٧٦ ، الروقى عايض بن خزام ، حروب محمد على فى الشام وأثرها فى شبه الجزيرة العربية ، ط٢ ( مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية ، ١٤١٩هـ ، ص ٤٢٥ - ٤٦٤ .

(٢) السباعى ، أحمد ، تاريخ مكة ، ط٦ ( مكة المكرمة : مطبوعات نادى مكة الثقافى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٥٦٣ .

(٣) رفيع ، محمد عمر ، مكة فى القرن الرابع عشر الهجرى ، ط١ ( مكة المكرمة : منشورات نادى مكة الثقافى ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ) ص ٢٣٣ .

(٤) صادق ، محمد باشا ، دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج ، ط١ ( مصر : المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المعزية ، ١٣١٣هـ — ) ص ٦٥ ، رفعت ، إبراهيم ، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ( د. ن. د. ت ) ج١ ص ١٧٩ ، الكردى ، محمد طاهر ، كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ط١ ، ( مكة المكرمة ، مكتبة النهضة الحديثة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ) ، ج٦ ص ٣٣٧ .

(٥) رفيع ، مكة ، ص ٢٣٣ .

(٦) سالنامه الحجاز سنة ١٣٠٣هـ ، ط٢ ( مكة المكرمة : المطبعة الميرية ) ص ١٢٩ ، البتتونى ، محمد لبيب ، الرحلة الحجازية ، ط٣ ( الطائف : مكتبة المعارف ، د. ت ) ص ٥٧ ، غازى الهندى ، عبد الله بن محمد ، إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام ( مكة المكرمة ، مخطوط مصور بمكتبة الحرم المكى الشريف رقم ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤١ ) ج٣ ص ٢١٦ .

(٧) السباعى ، تاريخ مكة ، ص ٥٩٤ .

(٨) المكي ، محمد أمين ، خلفاى عظام عثمانية حظرتك حرمين شريفيندى آثار مبرورة ومشكورة هما يونلرندن « الآثار المبرورة والمشكورة لسلطين آل عثمان فى الحرمين الشريفين » . ترجمة من التركية إلى العربية غير منشورة للدكتور سعد الدين عثمان أونال ( الطبعة العثمانية ١٣١٨هـ ) ، ص ٨ من الترجمة ، مغربى ، محمد على ، أعلام الحجاز فى القرن الرابع عشر للهجرة وبعض القرون الماضية ، ط١ ( القاهرة : مطبعة المدنى المؤسسة السعودية بمصر ، ١٤١٠هـ — / ١٩٩٠م ) ج٣ ص ١٢٩ .

(٩) انظر ترجمته فى الأسماء والألقاب الواردة فى هذا البحث .

(١٠) سالنامه الحجاز سنة ١٣٠٣هـ ، ص ١٢٩ ، صادق ، دليل الحج ، ص ٦٥ ، الببتونى ، للرحلة ، ص ٥٧ ، رفعت ، مرآة ، ج١ ص ١٧٩ ، للكردى ، للتاريخ القويم ، ج٦ ص ٣٣٧ ، السباعى ، تاريخ مكة ، ص ٥٩٤ ، رفيع ، مكة ، ص ٢٣٣ ، مغربى ، أعلام ، ج٣ ص ١٢٩ .

(١١) المكي ، خلفاى عظام ، ص ٨ ، ٩ من الترجمة

(١٢) سالنامه الحجاز سنة ١٣٠٣هـ ، ص ١٢٩ ، غازى الهندى ، إفادة الإنعام ج٣ ص ٢١٦ ، للكردى ، للتاريخ القويم ، ج٦ ص ٣٣٧ ، رفيع ، مكة ، ص ٢٣٣ .

(١٣) صحيفة أم القرى ، عدد رقم ١ الجمعة ١٤٤٣/٥/١٥هـ .

(١٤) مقابلة فى عام ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م مع الأستاذ حامد بن حسن مطاوع رئيس تحرير صحيفة الندوة سابقا والكاتب المعروف فله خالص الشكر والتقدير .

(١٥) المملكة العربية السعودية ، الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوى الحرمان الشريفان للتوسعة والخدمات خلال مائة عام ، ط١ ( جدة : دار عكاظ للطباعة والنشر ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ) ص ٣٨ .

(١٦) المكي ، خلفاى عظام ، ص ٨ من الترجمة .



(١٧) سالنامة الحجاز سنة ١٣٠٣هـ ، ص ١٢٩ ، غازي الهندي ، إفادة الإنعام جـ ٣ ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(١٨) سالنامة الحجاز سنة ١٣٠٣هـ ، ص ١٢٩ - ١٤٠ ، غازي الهندي ، إفادة الإنعام جـ ٣ ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(١٩) للبنتوني ، الرحلة ص ٣٨ ، رفعت ، مرآة ، جـ ١ ص ١٧٩ .

(٢٠) رفعت ، مرآة ، جـ ١ ص ١٧٩ - ١٨٢ .

(٢١) صادق ، دليل الحج ، ص ٥٨ .

(٢٢) صادق ، دليل الحج ، ص ٥٨ ، البنتوني ، الرحلة ، ص ٣٩ .

(٢٣) المكي ، خلفاء عظام ، ص ٨ ، ٩ من الترجمة .

(٢٤) سبق بناء دار ( الحميدية ) ضعف موارد الدولة العثمانية وكثرة ديونها التي كان من أسبابها الحرب مع روسيا ، انظر : المحامي ، تاريخ ، ص ٦٢٧ - ٦٢٨ ، ٦٦٠ ، عبد الحميد الثاني ، السلطان ، مذكراتي السياسية ١٨٩١ - ١٩٠٨م ، ط ٣ ( بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ) ص ١١ - ١٢ .

(٢٥) قرأ هذين النقشين إبراهيم رفعت عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م دون تصورهما أو تقديم دراسة عنهما ، وورد خطأ في قراءته وسقطت بعض الكلمات من القراءة كما سنبين ذلك خلال قراءتنا للنقشين . وأشار إلى وجود نقشين آخرين بدار «الحميدية» أحدهما على الباب الجنوبي المتوسط نصه « دائرت حكومت سنية » ، والآخر على الباب الجنوبي للجانبى نصه : « دائرة فرقة عسكرية » ، ولم نعثر عليهما . رفعت ، مرآة ، جـ ١ ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢٦) رفعت ، مرآة ، جـ ١ ، ص ١٧٩ .

(٢٧) قرأها إبراهيم رفعت « لسعد » والصواب ما أثبتناه ، انظر : رفعت ، مرآة ، ج١ ص ١٨٠ .

(٢٨) لم يرد التاريخ وحرف « ف » فى قراءة إبراهيم رفعت ، انظر رفعت ، مرآة ج١ ص ١٨٠ .

(٢٩) رفعت مرآة ، ج١ ، ص ١٨٠ .

(٣٠) أضاف إبراهيم رفعت كلمة « قد » قبل كلمة بدت فى السطر الأول ، والصواب ما أثبتناه . رفعت ، مرآة ، ج١ ، ص ١٨٠ .

(٣١) لم يرد التاريخ وعبارة « حرره فخرى » فى قراءة إبراهيم رفعت والصواب ما أثبتناه . انظر : رفعت ، مرآة ، ج١ ، ص ١٨٠ .

(٣٢) من آية رقم « ١٣ » سورة الصف .

(٣٣) من آية رقم « ٤٦ » سورة الحجر .

(٣٤) عن النقوش التأسيسية التى وردت فى صيغة أبيات شعرية فى البلد الحرام انظر : غباشى ، عادل بن محمد نور ، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة فى العصر العثمانى دراسة حضارية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ( مكة المكرمة : جامعة أم القرى ١٤١٠هـ — ) ص ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥١٣ ، الحارثى ، ناصر بن على ، محمد أفضل هروى وأعماله الفنية بمكة المكرمة فى أواخر العصر العثمانى ( مجلة العصور ، المجلد السادس ، الجزء الثانى ، ١٩٩١م ) ص ٣٣٠ .

(٣٥) الخط الثلث : خط متطور عن خط النسخ وسمى بذلك ، لأنه فى حجم يساوى ثلث خط النسخ الكبير الذى كان يكتب به على الطومار ، وهو الدرج أى الملف المتخذ من البردى أو الورق وكان يتكون من عشرين جزءا يلصق بعضها ببعض فى وضع أفقى ثم يلف على هيئة أسطوانة ، وكان سدس الدرج يسمى الطومار ، وكان

يكتب عليه بخط نسخي كبير عرف بخط الطومار ومنه تولد الخط الثالث ، وقد لعب خط النسخ ( المحقق ) والثالث دورا بارزا على العمائر والمخطوطات العثمانية .  
انظر : مرزوق ، محمد عبد العزيز ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ( مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م ) ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٣٦) الحارثي ، ناصر بن علي ، أعمال الخشب المعمارية في الحجاز في العصر العثماني ، دراسة فنية حضارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ( مكة المكرمة : جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ) ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، الفهر ، محمد فهد عبد الله ، الكتابات والنقوش في الحجاز في العصر المملوكي والعثماني ، رسالة دكتوراه غير منشورة ( مكة المكرمة : جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ) ص ٣٣٦ ، ٣٧١ ، ٤٢٠ .

(٣٧) مؤذن ، عبد العزيز عبيد الرحمن ، كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني ، رسالة ماجستير غير منشورة ( مكة المكرمة : جامعة أم القرى ١٤٠٠هـ - ١٤٠١هـ ) ج ١ ص ٣٦٦ ، ٣٦٨ .

(٣٨) محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٧٧٧ ، ٧٧٨ .

(٣٩) سالنامه للحجاز سنة ١٣٠٣هـ - ، ص ٣٦ ، عبد الحميد الثاني ، مذكراتي ، ص ١١ .

(٤٠) محمد فريد ، تاريخ ، ص ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٧٠٨ ، عبد الحميد الثاني ، مذكراتي ، ص ١١ ، ١٥ .

(٤١) عبد الحميد الثاني ، مذكراتي ، ص ١٥ .

(٤٢) محمد فريد ، تاريخ ، ص ٦٢٧ - ٦٧٦ .

(٤٣) عبد الحميد الثاني ، مذكراتي ، ص ١١ ، ١٢ ، ٣٧ ، الشنأوي ، عبد العزيز محمد ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ( القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠م ، ج ٢ ص ٩٨٨ - ٩٩١ ، ١٠٦٥ - ١١٢١ ، حسون ،

على ، تاريخ الدولة العثمانية ، ط ١ ( دمشق : المكتب الإسلامي  
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ) ص ١٧١ - ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٧ .

(٤٤) حسون ، تاريخ ص ٢٠٤ - ٢٠٦ .

(٤٥) سالنامه الحجاز سنة ١٣٠٣هـ ، ص ١٢٨ - ١٣٠ ، المكي ، خلفاي عظام ،  
ص ١ - ١٤ من الترجمة .

(٤٦) الشهري ، محمد هزاع ، المسجد النبوي في العصر العثماني ، دراسة معمارية  
حضارية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ( مكة المكرمة : جامعة أم القرى ،  
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ) ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٤٧) غباشي ، عادل بن محمد نور ، دار الضيافة بمكة المكرمة في عصر السلطان عبد  
الحميد الثاني دراسة تاريخية أثرية ( مجلة جامعة أم القرى ، السنة الثامنة ، العدد  
العاشر ١٤١٥هـ ) ص ٢١٣ - ٢١٧ .

(٤٨) سالنامه ، الحجاز سنة ١٣٠٣هـ ، ص ١٣٩ ، كردى ، التاريخ القويم ، ج ٦  
ص ٣٣٦ ، مغربى أعلام ، ج ٣ ص ١١٢ .

(٤٩) بعد إجراء التنظيمات في الدولة العثمانية أصبح قادة أقسام المشاة ووحداتهم  
المختلفة يتألفون من عدة أورطات ( وحدات ) يرأسهم الرئيس الأول ( باش  
قومندان ) . انظر : شوكت محمود ، التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية منذ  
بداية تشكيل الجيش ( دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ١٩٨٨م ) ص ٤٤ .

(٥٠) كردى ، التاريخ القويم ، ج ٦ ص ٣٣٦ .

(٥١) سالنامه ، الحجاز سنة ١٣٠٣هـ ، ص ١٣٩ .

(٥٢) رفعت ، مرآة ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

(٥٣) كردى ، التاريخ القويم ، ج ٦ ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .



- (٥٤) رفيع ، مكة ، ص ٢٣٣ .
- (٥٥) مغربي ، أعلام ، ج٣ ص ١١٧ .
- (٥٦) تولى إمارة مكة المكرمة في ١٢٩٩/١١/٢٤ وبقي بها إلى أن توفي في جمادى الأولى عام ١٣٢٣هـ . ابن سرور ، الشريف مساعد بن منصور آل عبد الله ، جدول أمراء مكة المكرمة منذ فتحها إلى الوقت الحاضر ، ط١ ( مكة المكرمة : مطبعة النهضة الحديثة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ) ص ٤٥ .
- (٥٧) رفعت ، مرأة ، ج١ ص ١٩٧ ، كردى ، التاريخ القويم ، ج٦ ص ٣٣٧-٣٣٨ .
- (٥٨) الواسعى ، عبد الواسع بن يحيى ، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ، ط٤ ( صنعاء : الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ) ص ٢٦٦ - ٢٦٩ .
- (٥٩) رفعت ، مرأة ، ج١ ص ١٩٧ .
- (٦٠) غباشى ، المنشآت ، ص ٢٣٤ - ٢٤٠ ، ٢٧٧ - ٢٧٩ ، ٣٠٦ .
- (٦١) المكى ، خلفاى ، ج٣ ص ١٢١ .
- (٦٢) .
- (٦٣) عجيى ، هشام بن على وعادل بن محمد نور غباشى ، قلعتا لعلع وهندى بمكة المكرمة دراسة تاريخية أثرية ( مجلة العصور ، المجلد الثامن ، الجزء الأول ١٩٩٣م ) ص ٢١٣ .
- (٦٤) المكى ، خلفاى عظام ، ص ١٠ من الترجمة ، مغربي ، أعلام ، ج٣ ص ١٢٩ .
- (٦٥) كردى ، التاريخ القويم ، ج٦ ص ٣٣٧ .
- (٦٦) رفيع ، مكة ، ص ٢٣٣ .

- (٦٧) مغربي ، أعلام ، ج٣ ص ١٢١ ، ١٢٩ .
- (٦٨) رفعت ، مرآة ، ج١ ص ١٩٧ .
- (٦٩) غباشي ، عادل بن محمد نور ، إيصال مياه عين الوزيرية إلى مدينة جدة في بداية القرن الرابع عشر للهجرة ( بحث تحت الطبع - بمشيئة الله - بمجلة كلية الآثار جامعة القاهرة ) ص ٤ ، ٥ من الطباعة الأولى .
- (٧٠) رفعت ، مرآة ، ج١ ص ١٩٧ .
- (٧١) الكردي ، محمد طاهر ، تاريخ الخط العربي وآدابه ، ط١ ( المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م ) ص ٢١١ - ٢٦٥ .
- (٧٢) الكردي ، تاريخ الخط ، ص ٢٥٣ ، ٣٧٢ .
- (٧٣) الحارثي ، محمد أفضل هروي ، ص ٣١٩ - ٣٢٤ .
- (٧٤) من آية رقم (٦٢) سورة الأنعام .
- (٧٥) الفاسي ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ( بيروت - لبنان : دار الكتب العلمية ، د.ت ) ج١ ص ٤٨ ، ٤٩ الخوارزمي ، محمد بن إسحاق ، إثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق ، تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبي ، ط١ ( مكة المكرمة : مكتبة نزار مصطفى الباز ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ) ج١ ص ٧٢ ، محب الدين الطبري ، أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر ، القرى لقاصد أم القرى ، ط٣ ( دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م ) ص ٦٥١ .
- (٧٦) الفاسي ، شفاء ج١ ص ٤٨ - ٥٣ ، الخوارزمي ، إثارة ، ج١ ص ٧١ - ٧٤ ، محب الدين الطبري ، القرى ، ص ٦٥٠ - ٦٥١ ، عوض الله السيد أحمد أبو

الفضل ، مكة في عصر ما قبل الإسلام ، ط٢ ( الرياض : مطبوعات دار الملك عبد العزيز ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ) ص ٣٣ - ٣٦ .

(٧٧) ورد في اللغة من السلاطة بمعنى القهر ، ومن هنا أطلق على الوالى ، وقد ورد اللفظ في آيات قرآنية عديدة بمعنى الحجة والبرهان ، ثم أطلق عل عظماء الدولة ، وأصبح لقباً عاماً بعد أن تغلب الملوك بالشرق على الخلفاء ، ثم صار يطلق على الولاة المستقلين تمييزاً لهم عن غيرهم من غير المستقلين ، وفي العصرين المملوكى والعثمانى أصبح هذا اللقب يطلق على رئيس الدولة سابقاً لاسمه . انظر: الباشا حسن ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، ط١ ( القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٨م ) ص ٣٢٣ - ٣٢٩ .

(٧٨) أطلق على أمير القطر وحاكمه ، وعرف الوالى منذ صدر الإسلام واستمر نظام استخدام الولاة في جميع العصور الإسلامية . انظر : الباشا ، حسن ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م) ج٣ ص ١٣٠٨ - ١٣٠٩ .

(٧٩) غباشى ، المنشآت ، ص ٥١٨ ، ٥١٩ ، شوكت ، التشكيلات ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٨٠) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ط١ (بيروت: دار صادر ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ) ج١٥ ، ص ٣٩٠ .

(٨١) غباشى ، المنشآت ، ص ٥١٣ .

## المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - ابن سرور ، الشريف مساعد بن منصور آل عبد الله ، جدول أمراء مكة المكرمة منذ فتحها إلى الوقت الحاضر ، ط ١ ( مكة المكرمة : مطبعة النهضة الحديثة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ) .
- ٣ - ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ط ١ ( بيروت دار صادر ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ) .
- ٤ - أنجلو بيشي ، مكة المكرمة منذ مائة عام ( لندن : دار ايميل للنشر ، د. ت )
- ٥ - الباشا ، حسن ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، ط ١ ( القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٨م ) .
- ٦ - ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ( القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م ) .
- ٧ - الببتوني ، محمد لبيب ، الرحلة الحجازية ، ط ٣ ( الطائف : مكتبة المعارف ، د. ت ) .
- ٨ - الخارثي ، ناصر بن علي ، أعمال الخشب المعمارية في الحجاز في العصر العثماني « دراسة فنية حضارية » ، رسالة ماجستير غير منشورة ( مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ) .
- ٩ - ، محمد أفضل هروي وأعماله الفنية بمكة المكرمة في أواخر العصر العثماني . مجلة العصور ، المجلد السادس ، الجزء الثاني ، ١٩٩١م .
- ١٠ - حسون ، علي ، تاريخ الدولة العثمانية ، ط ١ ( دمشق : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ) .
- ١١ - الخوارزمي ، محمد بن إسحاق ، إثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة والبيت العتيق ، تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبي ، ط ١ ( مكة المكرمة : مكتبة نزار مصطفى الباز ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ) .

- ١٢ - رفعت ، إبراهيم ، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ( د. ن. د. ت ) .
- ١٣ - رفيع ، محمد عمر ، مكة فى القرن الرابع عشر الهجرى ، ط ١ ( مكة المكرمة : منشورات نادى مكة الثقافى ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ) .
- ١٤ - الروقى ، عايض بن خزام ، حروب محمد على فى الشام وأثرها فى شبه الجزيرة العربية ، ط ٢ ( مكة المكرمة : جامعة أم القرى ) معهد البحوث العلمية ، ١٤١٩هـ ) .
- ١٥ - سالنامه الحجاز سنة ١٣٠٣هـ ، ط ٢ ( مكة المكرمة : المطبعة الميرية ) .
- ١٦ - السباعى ، أحمد ، تاريخ مكة ط ٦ ( مكة المكرمة : مطبوعات نادى مكة الثقافى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ) .
- ١٧ - الشناوى ، عبد العزيز محمد ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠م ) .
- ١٨ - الشهرى ، محمد هزاع ، المسجد النبوى فى العصر العثمانى دراسة معمارية حضارية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ( مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ) .
- ١٩ - شوكت ، محمود ، التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثمانى حتى سنة ١٨٢٥م ، ترجمه عن اللغة التركية يوسف خيسة ومحمود عامر ط ١ ( دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ١٩٨٨م ) .
- ٢٠ - صادق ، محمد باشا ، دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج، ط ١ ( مصر : المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المعزية ، ١٣١٣هـ ) .
- ٢٢ - عبد الحميد الثانى ، السلطان ، مذكراتى السياسية « ١٨٩١ - ١٩٠٨م » ط ٣ ( بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ) .

- ٢٣ - عجمي ، هشام بن علي وعادل بن محمد نور غباشي ، قلعتنا لعلع  
وهندي بمكة المكرمة دراسة تاريخية أثرية ( مجلة العصور ، المجلد  
الثامن ، الجوء الأول ، ١٩٩٣م ) .
- ٢٤ - عوض الله ، السيد أحمد أبو الفضل ، مكة في عصر ما قبل الإسلام ،  
ط٢ ( الرياض : مطبوعات دار الملك عبد العزيز ،  
١٤٠١هـ / ١٩٨١ ) .
- ٢٥ - غازي الهندي ، عبد الله بن محمد ، إفادة الأنام بذكر أخبار البلد  
الحرام ( مكة المكرمة ، مخطوط مصور بمكتبة الحرم المكي الشريف  
رقم ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ) .
- ٢٦ - غباشي ، عادل بن محمد نور ، إيصال مياه عين الوزيرية إلى مدينة  
جدة في بداية القرن الرابع عشر للهجرة ( بحث تحت الطبع - بمشينة  
الله - بمجلة كلية الآثار جامعة القاهرة ) .
- ٢٧ - ----- ، دار الضيافة بمكة المكرمة في عصر السلطان  
عبد الحميد الثاني دراسة تاريخية أثرية ( مجلة جامعة أم القرى ، السنة  
الثامنة ، العدد العاشر ، ١٤١٥هـ ) .
- ٢٨ - ----- ، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر  
المقدسة في العصر العثماني دراسة حضارية ، رسالة دكتوراه غير  
منشورة ( مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤١٠هـ ) .
- ٢٩ - الفاسي ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي ، شفاء الغرام  
بأخبار البلد الحرام ( بيروت - لبنان : دار الكتب العلمية ، د. ت ) .
- ٣٠ - الفهر ، محمد فهد عبد الله ، الكتابات والنقوش في الحجاز في العصر  
العثماني دراسة فنية حضارية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ( مكة  
المكرمة : جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ) .

- ٣١ - فيسى ، وليام وجيليان غرانت ، المملكة العربية السعودية فى عيون أوائل المصورين ، ط٢ ( الرياض : التراث ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ) .
- ٣٢ - الكردى ، محمد طاهر ، تاريخ الخط العربى وآدابه ، ط١ ( المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكىنى ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م ) .
- ٣٣ - ----- ، كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، ط١ ( مكة المكرمة : مكتبة النهضة الحديثة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ) .
- ٣٤ - المحامى ، محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقى ، ط٢ ( بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ) .
- ٣٥ - محب الدين الطبرى ، أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر ، القرى لقاصد أم القرى ، ط٣ ( دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ) .
- ٣٦ - مرزوق ، محمد عبد العزيز ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى ( مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م ) .
- ٣٧ - مغربى ، محمد على ، أعلام الحجاز فى القرن الرابع عشر للهجرة وبعض القرون الماضية ، ط١ ( القاهرة : مطبعة المدنى المؤسسة السعودية بمصر ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ) .
- ٣٨ - المكى ، محمد أمين ، خلفاى عظام عثمانية حظرتك حرمين شريفيندى آثار مبرورة ومشكورة هما يونلرندن « الآثار المبرورة والمشكورة لسلطين آل عثمان فى الحرمين الشريفين » ترجمة غير منشورة من اللغة التركية للدكتور سعد الدين عثمان أونال ( الطبعة العثمانية ١٣١٨هـ ) .
- ٣٩ - المملكة العربية السعودية ، الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوى ، الحرمان الشريفان التوسعة والخدمات خلال مائة عام ، ط١ ( جدة : دار عكاظ للطباعة والنشر ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ) .

- ٤٠ - مؤذن ، عبد العزيز عبيد الرحمن ، كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني ، رسالة ماجستير غير منشورة ( مكة المكرمة : جامعة أم القرى ١٤٠٠هـ - ١٤٠١هـ ) .
- ٤١ - الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى ، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، ط٤ ( صنعاء : الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ) .
- ٤٢ - مقابلة في عام ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م مع الأستاذ حامد بن حسن مطاوع رئيس تحرير صحيفة الندوة سابقاً والكاتب المعروف فله خالص الشكر والتقدير .
- ٤٣ - سبق لى أن قمت بتصوير النقشين موضوع الدراسة عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ولم أتمكن من أخذ أبعادهما ، وقد تيسر لزميلي الدكتور ناصر بن علي الحارثي الإطلاع على النقشين عام ١٤١٨هـ — وأمدني بأبعادهما فله خالص الشكر والتقدير .



## علماء الأندلس ودورهم فى التصدى للقوى

### الأسبانية المسيحية فى عصر الطوائف

أ. د. سحر السيد عبد العزيز سالم (\*)

#### مقدمة :

تعددت الدراسات التاريخية التى تصدت لتحليل وتعليل أسباب انهيار دولة الإسلام فى الأندلس . وتجمع أغلب المدارس التاريخية على أن تعدد العناصر السكانية التى تكون منها المجتمع الأندلسى ، وتناقلها ، كان من أهم وأبرز هذه العوامل ، فمن عرب قيسية ويمنية ، إلى بربر ، ومن صقالبة ومولدين إلى مستعربين ويهود . وكانت هذه العناصر السكانية متنازعة متصارعة ، تميل إلى التكتل فى بؤرات عمرانية خاصة بها<sup>(١)</sup> . وقد ساعد على ذلك ، الطبيعة الجغرافية لأسبانيا ، فالسلاسل الجبلية التى تمتد من الشرق إلى الغرب ومن الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى ، قسمت البلاد فى حقيقة الأمر إلى مناطق شبه مستقلة تفصل بينها الحواجز التى كان من الصعب على الحكومات المركزية فى الأندلس اجتيازها مما ساعد على تشجيع النزعات الانفصالية<sup>(٢)</sup> .

هذا إلى جانب سوء سياسة حكام الدولة الأموية فى الأندلس وتخطيها وعدم ثباتها على مبدأ واحد إزاء العناصر السكانية المختلفة . ولتوضيح ذلك يمكننا أن نقسم عصر الدولة الأموية إلى مرحلتين أساسيتين من حيث سياسة حكامها ، وتبدأ المرحلة الأولى منذ عهد الأمير عبد الرحمن الداخل ( ١٣٨ - ١٧٢هـ ) وحتى عهد عبد الرحمن الناصر ( ٣٠٠ - ٣٥٠هـ ) ، وهى المرحلة التى التزم فيها أمراء بنى أمية سياسة التعصب والتحيز للعنصر العربى على حساب الأجناس الأخرى مما أدى إلى تذمر العناصر السكانية غير العربية كالبربر والمولدين ،

(\*) أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية .

فاندلعت ثوراتهم بداية من ثورة البربر فى رندة فى عهد الأمير هشام الرضا<sup>(٣)</sup> ،  
وثورة مولدى طليطلة فى سنة ١٨١هـ فى عهد الأمير الحكم الربضى ( ١٨٠ -  
٢٠٦هـ )<sup>(٤)</sup> .

وقد تأججت نيران هذه الثورات فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ( ٢٠٦ -  
٢٣٨ هـ )<sup>(٥)</sup> ، عندما تحالف المولدون مع البربر ، غير أن هذه الفتن لم تتجح  
فى تهديد كيان الدولة الأموية بداية من عهد الأمير محمد ( ٢٣٨ - ٢٧٣هـ )  
حيث تمزقت الوحدة الأندلسية ، واقتصر سلطان بنى أمية على قرطبة . وقد تغيرت  
هذه السياسة الأموية باعتراف عبد الرحمن الناصر الحكم ( ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ ) ،  
فبعد قضائه على الثورات والمنترين وإعلانه الخلافة سنة ٣١٦هـ ونجاحه فى لم  
شمل الأندلس ، بدأ سياسة جديدة قوامها إضعاف العصبية العربية فى جيشه أى أنه  
مال إلى اتخاذ سياسة جديدة تختلف عن سياسة المرحلة السابقة ، وأتصور أنه كان  
يرغب بذلك فى إزالة الحواجز النفسية التى تكونت لدى العناصر السكانية الأندلسية  
غير العربية ، فكان إن استكثر من عنصر جديد فى جيشه وهو الصقالبة ، ثم  
استكمل المنصور محمد بن أبى عامر المضى فى هذه السياسة عندما اعتمد على  
عنصرى الصقالبة والبربر ونظم الجيش بأن قسمه إلى فرق تتمثل القبائل فى كل  
منها ، رغبة منه فى إزالة العصبية العرقية ، ولكن ذلك أثار الأحقاد فى نفوس  
العرب فتفجرت براكين غضبهم فى عهد ابنه عبد الرحمن شنجول ، وكان ذلك سببا  
فى اندلاع الفتنة وقيام الحرب الأهلية ومن ثم انهيار وسقوط الخلافة الأموية فى  
الأندلس وانفراط عقدها وقيام عصر دويلات الطوائف<sup>(٦)</sup> .

أما ثالث عوامل انهيار دولة الإسلام فى الأندلس فهو فى اعتقادى أهم هذه  
العوامل وأخطرها على الإطلاق ، ويتمثل فى استعانة المسلمين المتحاربين بالعدو  
الأسباني فى الشمال ، على بعضهم البعض . ومن المعروف إن حركة الاسترداد  
المسيحية الأسباني La Recon Quista بدأت فى الظهور بوضوح منذ عصر الولاة

(٩٧ - ١٣٨٠هـ) ، وبدأت سياسة الأسبان في محاربة المسلمين ، تتخذ كل الأساليب مشروعة كانت أو غير مشروعة ، وأخذت هذه السياسة تتلون وتتشكل طبقاً للمصالح الأسبانية ، فإذا كانت مصلحة حركة الاسترداد في التحالف مع عنصر أندلسي مسلم ضد آخر ، مضى الأسبان في هذا الطريق حتى النهاية ، وكان مسلمو الأندلس في استعانتهم على بعضهم البعض بالأسبان ، يتغافلون عن إدراك أبعاد المخطط الأسباني الحقيقية.

وتجسدت هذه السياسة الأسبانية بجلاء في عصر الدولة الأموية حين استعان الثوار المولدون والبربر بالأسبان على أمراء الدولة الأموية والحكومة المركزية في قرطبة أمثال عمر بن حفصون وابن مروان الجليقي وسعدون السرنباقي<sup>(٧)</sup> . وازداد الأسبان مضياً في سياستهم تلك عندما وجدوها قد أثمرت ثمارها من إضعاف كيان المسلمين وتفتيته ، فوجدناهم ينتهزون فرصة قيام الحرب الأهلية واندلاع الفتنة<sup>(٨)</sup> وانهيار الخلافة الأموية ليتدخلوا بقواتهم العسكرية لمساندة الأطراف الأندلسية المتطاحنة على بعضها البعض طمعاً في مزيد من الضعف للمسلمين .

وكان المسلمون في سبيل الحصول على تلك المعونة العسكرية الأسبانية يتنازلون عن الأراضي والمدن الإسلامية تباعاً للأسبان .

وتزايد تدخل الممالك الأسبانية المسيحية في السياسة الأندلسية في عصر ملوك الطوائف عندما أخذت كل دولة من دويلات الطوائف تستعين على جارتها المسلمة بالمساعدات الأسبانية . ولعل مأساة سقوط طليطلة في يد الفونسو السادس ملك قشتالة وليون في سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، رغم كل ما قدمه ملكها السابق المأمون بن ذي النون للملك الفونسو السادس خير مثال على ذلك<sup>(٩)</sup> . كما سجل الهجوم النورمندی على مدينة بربشتر في سنة ٤٥٦هـ وعيثرهم في المدينة فساداً ، ونجحهم وأسرهم أهلها ، بداية لهوان المسلمين وزوال هيبتهم في شبه القارة الأيبيرية ثم جاء سقوط طليطلة في يد الفونسو السادس ملك قشتالة وليون ليسيطر

البداية الفعلية والحقيقية لضياح الإسلام في الأندلس . وكانت طليطلة هي الضحية الأولى بين دويلات الطوائف وممالكها ، لخلافات حكام هذه الدويلات واستعانة ملوكها بالأسبان ، فقد قامت هذه الدويلات على أسس عنصرية وعرقية ، وكانت الحروب بينها ، وبذل الإتاوات لملوك أسبانيا المسيحية استرضاء لهم ولمعاونتهم العسكرية ، هي السمة الوحيدة المشتركة في السياسة الخارجية لدويلات الطوائف .

وتشير المصادر إلى أن الصدمة زلزلت نفوس بعض ملوك الطوائف المسلمين في أعقاب سقوط طليطلة ، ويأتى على رأسهم المتوكل عمر بن الأفطس ملك بطليوس وغرب الأندلس ، وكذلك المعتمد بن عباد ملك إشبيلية ، فقد شعرا بالأخطار الأسبانية التى باتت تهدد مملكتيهما خاصة وأن الفونسو السادس ملك قشتالة وليون بدأ يرسل إليهما برسائل التهديد والوعيد ، وبدأت نذر الشر تقترب من بقية دويلات الطوائف فكان إن بدأ المتوكل عمر بن الأفطس بالدعوة لوحدة المسلمين في الأندلس وتتاسى الخلافات مستخدما بعض وزرائه من الأدباء والكتّاب فى الدعوة للشملى ، كما أخذ يستغيث بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين فى المغرب فى ذلك الوقت . كذلك قام المعتمد بن عباد بالاستتجاد بالمرابطين وذهب بنفسه إلى يوسف بن تاشفين طالبا منه المعونة العسكرية المرابطية لمواجهة الأخطار الأسبانية ، فكان العبور المرابطى إلى الأندلس فى العام التالى لسقوط طليطلة ، وتعاونت الجيوش الأندلسية مع الجيوش المرابطية لتحقيق مجتمة انتصارا إسلاميا كبيرا فى موقعة الزلاقة الأولى سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م .

### تقييم للبيئة العلمية فى الأندلس فى عصر دويلات الطوائف :

ما نريد أن نطرحه فى هذا البحث يتمحور ويتمركز حول فكرة أساسية وهى دور علماء الأندلس فى عصر الطوائف إزاء هذه الأوضاع السياسية المتردية للمسلمين فى الأندلس ومدى مشاركتهم فى هذه الأحداث الخطيرة وموقفهم من

الصراعات السياسية بين الدويلات الإسلامية المختلفة واستعانة المسلمين بعضهم على بعض بالقوى الأسبانية المسيحية .

ونتساءل من خلال هذا البحث ، هل أدى علماء الأندلس الدور المنوط بهم كحملة أقلام نزيهة ، وكأمناء على مصلحة الدين والأمة . وهل كان هؤلاء العلماء على مستوى المسؤولية المطلوبة منهم كرجال علم ودين ؟

وفى البداية ، لابد من تحديد أنواع العلماء ، والعلوم التى كانت شائعة فى الأندلس فى عصر الطوائف ، فهذه العلوم تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

أولهما : العلوم الدينية ... وتشمل الفقه والحديث والتفسير والقراءات .

ثانيهما : العلوم اللسانية ... مثل العلوم اللغوية والنحوية والأدب والشعر والتاريخ العام .

وثالثهما : العلوم الدنيوية ... كالفلك والرياضة والطب والجغرافية والهندسة وعلوم النبات والزراعة<sup>(١٠)</sup> .

ونلاحظ أنه كان لبعض الفقراء على وجه الخصوص ومن بعدهم الشعراء والأدباء والمؤرخين ، دور بارز فى إدارة دفة الأحداث فى هذه الحقبة التاريخية . وبوجه عام فإننا نقسم العلماء سواء كانوا فقهاء أو أدباء أو مؤرخين أو شعراء فى أى عصر من العصور ، إلى نوعين ، النوع الأول منهم ، يكرس كل فنونه وطاقاته لخدمة نفسه وذاته ودنياه<sup>(١١)</sup> . والنوع الآخر وهو ما يعنينا فى هذا البحث هو الذى يكرس علمه وإبداعاته لخدمة قضايا أخلاقية ومبادئ عليا سامية .

وإذا ما أردنا تقييم نسبة كل نوع إلى الآخر فى عصر الطوائف ، لوجدنا بطبيعة الحال إن النوع الثانى الذى يقضى حياته متبحراً فى العلم من أجل خدمة قضية أخلاقية أو مبدأ سامى مترفعاً عن أى منصب يقربه من نوى المال والسلطان والجاه ، متحرراً بفكره من أغلال السلطة ، كان أقل عدداً بكثير إذا ما قورن

بهؤلاء العلماء الذين استغلوا علمهم وأخضعوه وطوعوه لطموحاتهم من أجل الوصول إلى ما يصبون إليه ، ومن أجل تحقيق مصالحهم الشخصية ومن ذلك على سبيل المثال ، فئة الشعراء المناققين الذين ظهروا في عصر الطوائف ومن هؤلاء شاعر امتدح حديقة رؤوس القتلى التي أقامها المعتضد بن عباد ملك إشبيلية للقتلى من أعدائه قائلا :

جلاء للعين مبهجة للنفسوس      حدائق اطلعت ثمر الرؤوس<sup>(١٢)</sup>

وأیضا تلك الأبيات الشعرية التي وصف بها الشاعر أبو بكر الداني ما كان يدفعه ويؤديه المعتمد بن عباد من إتاوة وجزية لالفونسو السادس ملك قشتالة وليون بقوله :

فی نصرة الدين لا أعدمت نصرته      تلقى النصارى بما تلقى فتتخدع<sup>(١٣)</sup>

وقد عرف شعراء أمثال ابن شرف القيرواني وأبو عبد الله الحداد بأنهم ممن تلك النوعية التي تتخذ من الشعر والأدب وسيلة للوصول إلى ما يرجونه من منازل عالية<sup>(١٤)</sup> .

وفيما يتعلق بالنوع الأخير من علماء الأندلس ، الذي اهتم بقضايا مجتمعه ، وكرس علمه وقدراته الإبداعية لخدمة مصلحة أمته ودينه ، والذي كان كما سبق وإن أشرنا يمثل قلة قليلة من الفقهاء وبلغهم عدد من الشعراء ، فإنهم جديرون بأن نفرد لدورهم . هذه الدراسة المستقلة ، إكبارا لهذا الدور العظيم وإجلالا لهم نظير ما تحملوه من صعاب ومشاكل هددت حياتهم في كثير من الأحيان وأن كانت هذه الجهود التي قام بها هؤلاء العلماء لم تسفر في نهاية الأمر عن إنقاذ دولة الإسلام في الأندلس ، فقد أنهار الكيان الإسلامي والحضارة الإسلامية في أسبانيا بعد ثمانية قرون من عمر الزمان ، ولكن شرف المحاولة التي قام بها هؤلاء العلماء لجديرة بأن نتوقف أمامها وقفة قصيرة لإلقاء الضوء عليها كتجربة إنسانية شريفة في هذه اللحظات الحرجة من تاريخ الإسلام في الأندلس .

اتخذت مقاومة هؤلاء العلماء الأندلسيين لخطر القوى المسيحية الأسبانية ثلاثة صور تدرجت في أهميتها وقوتها وفي مدى إيجابيتها وفاعليتها ، أما الصورة الأولى فتمثلت في قيام طائفة من علماء الأندلس بنقد سياسة ملوك الطوائف نقداً شديداً ، أثار غضب هؤلاء الملوك في كثير من الأحيان مما هدد حياة هذه الطائفة من العلماء ، ثم تطورت الأمور ، وتخطت المقاومة مجرد النقد السياسى ، عندما جند بعض العلماء الأندلسيين أنفسهم وحياتهم للتجوال في جميع أنحاء الأندلس لوعظ الناس وحث الحكام على تناسى خلافاتهم ولم شمل المسلمين ، فكانت هذه هي الصورة الثانية من صور المقاومة التي أبداهها علماء الأندلس تجاه الخطر الأسباني وفيما يتعلق بالصورة الثالثة أو الأخيرة من صور هذه المقاومة فتمثل في جهاد بعض العلماء بالنفس والروح في سبيل قضية الدين والأمة الإسلامية بالمشاركة في المعارك الحربية ضد الأسبان واستشهاد بعضهم في هذه المعارك .

#### ١ - الصورة الأولى من صور مقاومة علماء الأندلس للخطر الأسباني وتمثل في النقد السياسى لملوك الطوائف :

كان لفقهاء الأندلس في عصر الطوائف دور رائد وبارز في نقد الأوضاع السياسية آنذاك ، ولعلنا نجد اسم الفقيه الشاعر أبو حفص عمر بن الحسين الهوزنى يتصدر قائمة أسماء فقهاء هذا العصر من حيث انصهاره في قضايا أمته الأندلسية ودينه ، ولكفاحه الألبى ، وتكريسه قلمه لخدمة الأهداف الأخلاقية السامية .

لقد آمن الفقيه أبو حفص عمر الهوزنى بأن من يحمل القلم فهو يحمل أمانة مقدسة لا بد من الحفاظ عليها . وكان جديراً بحمل هذه الأمانة إلى أقصى الحدود ، فقد انتهت به شجاعته الأدبية في نقد الأوضاع السياسية الإسلامية المتردية آنذاك إلى أن يدفع حياته ثمناً لهذه الأمانة والشجاعة .

فقيهننا أبو حفص عمر بن الحسين الهوزنى ، فقيه ، ومحدث وشاعر وأديب<sup>(١٥)</sup> ، ذكره ابن بسام في النخيرة ، والحجارى في المسهب ، ولد فى عام

٣٩٢هـ ، ورحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج في عام ٤٤٤هـ ، وزار مصر وسمع بالحجاز ، كتاب صحيح البخارى ، وعنه أخذه أهل الأندلس ، وعندما رجع من رحلته المشرقية استقر بإشبيلية وسكنها وخدم ملكها المعتضد بن عباد .

وقد فضل الهوزنى مصلحة أمته على مصلحته الشخصية ، فكان لا يكف عن نقد سياسة المعتضد بن عباد الذى عرف بقسوته وحروبه مع جيرانه من الملوك والأمراء المسلمين وميله لابتلاع الممالك الإسلامية الصغيرة المجاورة له ، فكان الهوزنى يصرح بما يعتمل فى نفسه من ألم إزاء تطاحنه مع جيرانه المسلمين وتقاتله معهم ، وقد فاضت آلامه عندما رأى الجنود الفرنج من النورمنديين يتغلبون على مدينة برشتر فى ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م ويكتسحون تلك المدينة المسلمة وينكلون بأهلها ، فخاطبه برسالة ينتقد فيها أحوال ملوك المسلمين ومنهم المعتضد نفسه ، ويحضه فيها على الجهاد وقد بعث له بهذه الرسالة من مدينة مرسية ومنها قوله :

أعباد جل الرزء والقوم هجع      على حالة ماملها يتوقع  
فلق كتابى من فراغك ساعة      وإن طال فالموصوف للطول موضع  
إذا لم أبث الداء رب شكاية      أضعت وأهل للام المضيع<sup>(١٧)</sup>

كما وصله بنثر فيه قوله « ما أخطأ السيل من أتى البيوت من أبوابها ولا أرجأ الدليل من أناط الأمور بأربابها ، ولرب أمل يبين أثناء المحانير مدمج ومحبوب فى طى المكاره مدرج ، فانتهاز فرصتها فقد بان من غيرك العجز وطبق مفاصلها فقد أمكنك الحز ولا غرو أن يستطر الغمام فى الجذب ويستصحب الحسام فى الحرب ... »<sup>(١٨)</sup> .

وله أيضاً :

صرح الشر فلا يستقل      إن نهلتكم جاعكم بعد عل  
بدء صعق الأرض رش وطل      ورياح ثم غيم أبـل



خفضوا فالداء رزء أجل واغمدوا سيفا عليكم يسئل

وقد ضاق المعتضد بن عباد ملك إشبيلية ذرعا بهذا الفقيه من جراء تدخله المستمر فى السياسة ، ومطالبته له بما ليس بالهين ، فهذا الفقيه كان غيورا على مصالح دينه وأمته ، آمن بضرورة تبليغ الرسالة لنوحيها ، لكن هذه المبادئ ، وهذه القيم ، إن حمدها له جمهور الشعب ، فإن المعتضد بن عباد لم يحمدها له لأن سياسته كانت تتجه وتميل إلى مهانة الأسبان إلى درجة تقديم الإتاوات وبذل الأموال استرضاء لهم ، ولهذا فقد قرر المعتضد إخراس هذا اللسان وكسر هذا القلم الأمين إلى الأبد فاستدعاه إلى قصره بإشبيلية وقام بقتله بنفسه فى يوم الجمعة ١١ ربيع أول سنة ٤٦٥هـ ودفنه فى قصره بثيابه وقلنسوته وهال عليه التراب دون غسل ولا صلاة<sup>(١٩)</sup> .

ومما سبق يتبين لنا ، إن شجاعة هذا الفقيه وحرصه على قضايا دينه وأمته ، وأن آراءه الثورية ودعوته ملكه إلى لم الشمل ، ونقده لسياسته المتحالفة مع الأعداء ضد جيرانه المسلمين ، كانت السبب وراء إنهاء حياته بهذه الصورة المأساوية ومقتله<sup>(٢٠)</sup> .

ولم تنته قضية أبى حفص عمر الهوزنى عند هذا الحد ، فقد نشأ ولده أبو القاسم وبداخله الرغبة فى الثأر لمقتل أبيه من بنى عباد ، ولهذا فقد كان سببا من اسباب محاربته دولة المعتمد عباد بن المعتضد قاتل أبيه ، فكان أبو القاسم الهوزنى ممن حرضوا يوسف بن تاشفين أمير المرابطين على إزالة ملك هذه الأسرة العبادية<sup>(٢١)</sup> .

كذلك كان للفقيه المحدث الشاعر أبى محمد عبد الله بن فرج بن غزلون الإحصبى المعروف بأبى العسال الطليطلى دور كبير فى نقد سياسة ملوك الطوائف، وقد عرف ابن العسال الطليطلى بالزهد واشتهر بالكرامات وإقامة الدعوات<sup>(٢٢)</sup> ، كما كان من أشهر مفسرى القرآن الكريم فى عصره إلى جانب ذيوع

صيته كشاعر مجيد ، وكان يميل إلى الابتعاد عن أصحاب السلطان وكثيراً ما كان يلزم بيته منكباً على علمه<sup>(٢٣)</sup> .

وكان ابن العسال ممن تأثروا وتألموا لمأساة بربشتر ، واتشد فيها قصيدة عبر فيها عن آلامه وأحزانه وانتقد ملوك الطوائف في أبياتها ومنها :

ولقد رمانا المشركون باسمهم	لم تخط لکن شأنها الأصحاء
هتكوا بخيلهم قصور حريمها	لم يبق لا جبل ولا بطحاء
جاسوا خلال ديارهم قلم بها	فى كل يوم غارة شعواء
ماتت قلوب المسلمين برعبهم	فحماتنا فى حربهم جنباء
كم موضع غنموه لم يرحم به	طفل ولا شيخ ولا عنراء <sup>(٢٤)</sup>

وهو صاحب الشعر الشهير بعد سقوط طليطلة فى سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م فى يد الفونسو السادس ملك قشتالة وليون :

يا أهل الأندلس حثوا مطيكم	فما المقام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وارى	ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا	كيف الحياة مع الحيات فى سفت <sup>(٢٥)</sup>
من جادر الشر لا يأمن بوائقه	كيف الحياة مع الحيات فى سفت

وقد رحل ابن العسال إلى غرناطة بعد سقط طليطلة وعاش بها حتى وفاته فى سنة ٤٧٨هـ ، وقد نيف على الثمانين عاماً<sup>(٢٦)</sup> .

كذلك تبرز أسماء أخرى لبعض الفقهاء الأندلسيين الذين فقدوا حياتهم أيضاً على أيدي أصحاب السلطان ، ثمناً لجرأتهم وشجاعتهم الأدبية ، ونقدهم لسياسة

ملوكهم آنذاك ، منهم الفقيه الشهير محمد بن جهور بن محمد من أسرة أبي عبدة التي أفرجت لها منذ عامين دراسة خاصة .

ولد محمد بن جهور بن أبي عبدة سنة ٣٩١هـ ، وكان فقيها مجيدا ، يقرأ القرآن ويجوده ويحفظه ، وقد انتهت حياته معتقلا في سجن مدينة شلطيخ من قبل المعتمد بن عباد في سنة ٤٦٢هـ (٢٧) .

كذلك يبرز اسم الفقيه عمر ابن حيان بن خلف بن حيان القرطبي ، ابن المؤرخ الكبير ، ابن حيان ، الذي انتهت حياته بالقتل على يد المأمون الفتح بن محمد بن عباد في مدينة المدور في سنة ٤٧٤هـ الذي مثل بجثته ابشع تمثيل (٢٨) ، لفصاحته ويقظته ودوره البارز في نقد الأوضاع السياسية في ذلك العصر مثل والده المؤرخ العظيم الذي سنشير في الصفحات التالية ، إلى دوره الكبير في هذا المجال عند حديثنا عن دور مؤرخي الأندلس في النقد السياسي .

وإذا ما انتقلنا بالحديث عن فقهاء الأندلس إلى الحديث عن شعراءها ودورهم في نقد الأوضاع الإسلامية المتردية في عصر الطوائف فإننا نطالع اسم الشاعر الأديب أبا القاسم خلف بن فرج الالبيري المعروف بالسميسر الذي وصف في المصادر الأندلسية بأنه كان باقعة عصره وأعجوبة زمانه ودهره ، اختص في شعر القدح والهجاء ، وقد هجا ملوك غرناطة مما هدد حياته بالخطر فهرب إلى المعتصم ابن صمادح بالمرية ، ورغم ذلك فإن ابن صمادح لم يسلم من هجائه (٢٩) . ومن نماذج شعره الذي انتقد من خلاله سياسة ملوك الطوائف بالأندلس قوله :

ناد الملوك وقل لهم	ماذا الذي أحدثتم
أسلمتم الإسلام في	أسر العدا وقعدتم
وجب القيام عليكم	إذ بالنصارى قمتم
لا تتكروا شق العصا	فعصا النبي شقتم

وقال :

رجوناكم فما انصفتونا وأملناكم فخذلتونا  
سنصبر والزمان له انقلاب وأنتم بالإشارة تفهمونا  
وقال في الأمير عبد الله ابن بلقين ، أمير غرناطة في عصر الطوائف وقد  
راه يحصن نفسه من جيرانه المسلمين .

يبنى على نفسه سفاها كأنه دودة الحرير<sup>(٣٠)</sup>  
ولعل أشهر أبيات شعرية ، هي تلك التي قيلت في نقد وهجاء ملوك الطوائف  
وسياساتهم ، استهانة بهم واستخفافا بدورهم السياسي ما ذكره الشاعر الأندلسي  
الشهير ، أبو الحسن بن رشيق القيرواني ، الذي انتقد بشدة الصراعات بين ملوك  
الطوائف بقوله :

ما يزهدني في أرض أندلس أسماء معتضد فيها ومعتد<sup>(٣١)</sup>  
ألقاب مملكة في غير مواضعها كالأهر يحكي انتفاخا صولة الأسد  
أما الشاعر والأديب محمد بن أحمد بن أسحق بن طاهر ، فقد كان من أكثر  
الشعراء الذين انتقدوا القادر بن ذي النون ، ملك طليطلة وقد فرح لمقتله ، وأرسل  
يخاطب أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن جحاف في هذه المناسبة بقوله :

أيها الأحيف مهلا فلقد جئت عويصا  
إذ قلت الملك يحيى وتقصصت القمصا  
رب يوم فيه تجزى لم تجد عنه محيصا<sup>(٣٢)</sup>

وفيا يتعلق بمؤرخي الأندلس يتصدر اسم المؤرخ الكبير ابن حبان قائمة  
مؤرخي الأندلس الذين تصدوا بالنقد العنيف ، لملوك الطوائف ، وحملوا على

سياساتهم التي أغرقت رعاياهم في بحور من الدماء بددت قوة وهيبة الإسلام في أسبانيا .

ويعتبر ابن حيان بحق « صاحب وحامل لواء التاريخ الأندلسي » على حد وصف تلميذه أبو علي الجياني<sup>(٣٢)</sup> .

ولد ابن حيان في سنة ٣٧٧هـ في عهد الخليفة الأموي هشام المؤيد بن الحكم المستنصر في قرطبة ، ووالده هو خلف بن حسين بن حيان ، أحد كتّاب المنصور ابن أبي عامر<sup>(٣٤)</sup> ، وقد صحب المنصور في غزواته الشهيرة .

أما حيان ، الجد الأول لمؤرخنا الكبير ، قد كان مولى للأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ، الداخل<sup>(٣٥)</sup> ، ولهذا فقد ارتبطت أسرة بن حيان لصلّة ولّاء بالأسرة الحاكمة المروانية ، ولهذا السبب أيضا فقد نشأ المؤرخ الكبير ابن حيان ، على دراية كبيرة ببواطن السياسة ودخائل الأمور ، كما كان على علم بأحوال الممالك الأسبانية المسيحية .

وقد تقلد ابن حيان منصب « صاحب الشرطة » الذي يعد من المناصب العالية في الأندلس ، وهو يقارب منصب الوزير أو الحاجب ، ولكنه رفض أن يتقلد غيره من المناصب السياسية ليتفرغ لكتابة التاريخ ، وتوفي ابن حيان في عصر الطوائف في سنة ٤٦٩هـ<sup>(٣٦)</sup> .

لقد أمضى ابن حيان حياته يدافع عن فكرة سياسية هامة وهي الاعتداد بالجماعة ، أو الوحدة الأندلسية<sup>(٣٧)</sup> ، التي اكتملت في اعتقاده في ظل خلافة بني أمية ، ثم أطاحت بها الفتنة البربرية إلى الأبد .

ولم يكل ابن حيان ، أو يمل في لحظة ، عن الدفاع عن فكرة ضرورة وحدة الأندلس ولم شمل المسلمين ، ولهذا فقد وصف الثوار والمنفصلين عن الدولة الأموية في عصر الأمراء محمد والمنذر وعبد الله ( ٢٣٨ - ٣٠٠ هـ ) بأبشع

الصفات ، ولا سيما التأثير عمر ابن حفصون ، كذلك كان يشعر بمرارة عميقة لانقسام عرى الوحدة الأندلسية في عصر ملوك الطوائف . ومن هذا المنطلق ، نجد أن ابن حيان قد دافع في كتاباته عن الخلافة الأموية وأكثر من انتقاده لملوك الطوائف ، فقد كان يرى في الخلافة ، العصام الوحيد للأندلس من التفكك والانهيار . وربما كان اعتداده الشديد بالجماعة وبوحدة الأندلس التي جاهد الأمويون دائما للحفاظ عليها ، هو الذي جعل ابن حيان ينفر كل النفور من ملوك الطوائف الذين مزقوا تراث الخلافة ولم يحسن أحد منهم الحفاظ على ما في يده ، بل أدى تفريطهم في الأمانة وتناحرهم وتحالفهم مع أعدائهم على بعضهم البعض ، إلى تضييع الأمة الأندلسية كلها في النهاية .

ولعل هذا الدفاع المستميت من قبل ابن حيان عن الخلافة الأموية ، دفع الكثيرون إلى الظن ، بأن صلة الولاء التي ربطت بين أجداد ابن حيان ، وبين عبد الرحمن الداخل ، هي السبب وراء النزعة الأموية لدى ابن حيان ، ولكن ابن حيان الذي أمضى عمره كله في عصر ملوك الطوائف بعد انقضاء حكم المرwanيين ، لم يكن ليستفيد على الإطلاق من الإشادة بمآثر هذه الدولة المروانية المندثرة اللهم إلا إذا كان دفاعه يكمن وراءه إيمان عميق بقضية كبيرة وهدف سام ألا وهو الدفاع عن وحدة الأندلس ضد تهور وضعف ملوك الطوائف (٢٨) .

ويعد ما كتبه ابن حيان عن محنة مدينة بريشت التي اقتحمها النورمان في سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م ، فيه إجمال لرأى ابن حيان في ملوك الطوائف جميعهم ، ومن يناقشهم من زملائه من العلماء وهو من أقوى نماذج النقد السياسي في تاريخ الأندلس الإسلامي على الإطلاق فهو يقول :

« طرق الناعي بها قرطبينا فجأة من صدر شهر رمضان من العام ، فصك الأسماع وإطار الأفتدة ، وزلزل أرض الأندلس قاطية ، وصير لكل شغلا تسكع الناس في التحدث به والتساؤل عنه والتصور لحلول مثله ، إذا لم يفارقوا فيها

عاداتهم من استبعاد الوحل ، والاعتزاز بالأمل ، والإسناد إلى أمراء الفتنة الهمل ، الذين هم منهم ما بين فشل ووكل : يصدونهم عن سواء السبيل ، ويلبسون عليهم وضوح الدليل . ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين منهم هم كالملح ، فيهم الأمراء والفقهاء ، قل ما تتناظر إشكالهم : بصلاحتهم يصلحون وبفسادهم يردؤون ، فقد خص الله تعالى هذا القرن الذى نحن فيه من اعوجاج صنفهم لدينا هذه لا كفاية له ، ولا تخلص منه ، فالأمراء القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق نياتا عن الجماعة وجريا إلى الفرقة ، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم ، صدوف عما أكد الله عليهم فى التبيين لهم ، قد أصبحوا بين كل من حلوائهم خابط فى أهوائهم ، وبين مستشعر مخافتهم ، أخذ بالفتنة فى صرفهم ، وأولئك هم الأقلون فيهم ، فما أقول فى أرض فسد ملحها الذى هو المصلح لجميع أغذيتها ؟ هل هى إلا مشفية على بوارها واستئصالها ؟ ولقد طمى العجب من أفعال هؤلاء الأمراء إن لم يكن عندهم لهذه الحادثة النكراء فى بر بشتى إلا الفرع إلى حفر الخنادق ، وتعلية الأسوار ، وشد الأركان وتوثيق البنيان ، كاشفين لعدوهم عن السواة السواء من إلقاءهم بأيديهم إليهم: أمور قبيحات الصور مؤننات الصدور بإعجاز تحل الغير :

أمور لو تدبرها حكيم أنى لنهى وهيب ما استطاعا

وقد أفشينا فى شرح هذه الفادحة مصائب جليلة مؤننة بوشك القلقة ، طالما حذر عليها أسلافنا لحاقها بما احتملوه عن قبلهم من آثاره ، ولأشد مما أفشينا عند أولى الأبواب ما أخفيناه مما دهانا من داء التقاطع ، وقد أمرنا بالتواصل والآفة وأصبحنا من استشعار ذلك والتمادى عليه على شفا جرف يودى إلى الهلكة لا محالة ... » (٣٩) .

كذلك تعد الأخبار التى أوردها ابن حبان عن منذر بن يحيى صاحب سرقسطة نمونجا قويا من نماذج كتاباته فى النقد السياسى فى تلك الحقبة ، فهو يصف انقلاب منذر على الخليفة هشام المؤيد ، رمز الوحدة الأندلسية ، وتحالفه مع ملوك الأسبان

بقوله « وأما عذره فالنار برأس اليفاع ، من أفحشه صنعه بهشام المخلوع ، مولى نعمته ومولى رتبته وباعثه إلى الثغر لنصرتة ، فانقلب ناصرا لعدوه وغزاه في عقر داره وأنزله عن سريره وأسلمه لحتفه ، وباع دماء عشيرته أهل قرطبة مجانا باطلا بلا ثمن من البرابرة ، على غير عذر ولا ضرورة وعاد بمثلها لمحمد بن سليمان أثيره عندما استجار به في نكبته فقتله وهو ضيفه ... وكان لأول ولايته قد ساس عظماء الإفرنج وهاداهم حوطا للثغر وأهله وتأنيا للجماعة حتى تثوب لأهل الإسلام يناهضون بها عدوهم وكان رؤساء الجلالة يومئذ ريمند الجليقي وشانجة القشتلي ، فسلك معهما سبيل الاسترضاء والموافقة والاستخذاء ، فحفظت أطرافه وكفت المعرة عن عمله ... وبلغ من استمالة الحاجب منذر لهنين الطاغيتين أن أجريا تصاهرهما على يديه ، وكتب عقد النكاح بينهما بحضرة سرقة في حفل من أهل الملبتين فقرفت الألسنة منذرا لسعيه في نظم سلك الطاغيتين لما فيه من سوء العاقبة . وقد قيل أن رأى منذر كان في ذلك أحصف ، من رأى من تدح فيه ، وقرف لنظره في شأن وقته ، وعلمه بانصداع عصا أهل كلمته ، فأنثر من الموادعة ما ستر به العورة وشراء بغليظ الكلفة واختدع به عظيمي الجلالة ريمند وشانجة المحدثين أنفسهما يومئذ بمناهضة أهل الأندلس ... » (٤٠) .

وقد اختار ابن حيان الإقامة في قرطبة ، عاصمة الخلافة الأموية القديمة في ظل الجهاورة ، الذين كانوا في اعتقاده أقل أمراء الطوائف سوءا ، فضلا عن أن قرطبة كانت لم تفقد بعد مكانتها الروحية بين مدن الأندلس ، فحافظت على وضعيتها العلمية والثقافية ، ولكن طبيعة ابن حيان من اعتزازه بنفسه واحترامه لقلمه وكبريائه ، أدت إلى تكدير صفو العلاقات بينه وبين بني جهور ، فقد تعرض ابن حيان لأبي الوليد بن جهور بنقد لاذع ، مما عرضه لغضب ولده عبد الملك الذي كاد أن يفتك بابن حيان لولا شفاعته والده أبي الوليد له .

وقد تحول ابن حيان بسبب نقده الشديد لسياسة ملوك الطوائف إلى « بطل شعبي » على حد تعبير المؤرخ الكبير الأستاذ الدكتور محمود على مكي في نظر



الأمة الأندلسية ، تحف به هالة من الإكبار والإجلال ، فلم يقدم أحد من ملوك الطوائف لذلك ، على التعرض له بأى سوء<sup>(٤١)</sup> .

ولعل صفات ابن حيان وميله إلى نقد نوى السلطان تغليباً للمصلحة العليا كانت السبب وراء الصداقة التى ربطته بالفقيه والمؤرخ أبى القاسم سوار بن أحمد ابن سوار القرطبى ، الذى كان يحرص بدوره على الابتعاد عن نوى السلطان ، ويتعفف عن مناقشة ملوك الطوائف طمعا فى جاه ومركز ، واكتفى باهتمامه بعلمه ودراساته<sup>(٤٢)</sup> .

كذلك جمعت أواصر الصداقة بين مؤرخنا ابن حيان وبين المؤرخ والفيلسوف والفقيه الشهير أبى محمد بن حزم لاتفاق كليهما فى رأى حول سياسة ملوك الطوائف .

وقد وصف ابن حيان صديقه ابن حزم بأنه كان حامل فنون الحديث والفقه والجدل والنسب<sup>(٤٣)</sup> . مع التعمق فى كثير من العلوم القديمة من المنطق والفلسفة ، كما أكد على تشييعه لأمراء بنى أمية ماضيهم وباقيهم بالمشرق والأندلس وانحرافه عن سواهم<sup>(٤٤)</sup> . ولعل هذا الولاء للأمويين وخلقتهم كان من أهم العوامل التى قربت بين هذين المؤرخين .

وكان ابن حزم من أكثر الناقدين لسياسة حكام الأندلس فى عصرى الفتنة والطوائف فقد وصف الأحوال السياسية فى بداية عصر الطوائف بقوله « فضيحة لم يقع فى العالم إلى يومنا مثلها : أربعة رجال فى مسافة ثلاثة أيام فى مثلها ، كلهم يتسمى بإمرة المؤمنين ويخطب لهم فى زمن واحد وهم : خلف الحصرى بإشبيلية على أن هشام بن الحكم ، ومحمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة ومحمد بن إدريس ابن على بن حمود بمالقة ، وإدريس بن يحيى بن على بن حمود ببشتر<sup>(٤٥)</sup> .

كذلك انتقد ابن حزم الفقهاء والعلماء الذين هرعوا لخدمة ملوك الطوائف غير عابئين بسياساتهم المشينة طمعا في منصب وجاه وهو في ذلك يقول في إحدى رسائله :

« وأما ما سألتكم عنه من أمر هذه الفتنة ، وملابسه الناس بها مع ما ظهر من تربص بعضهم ببعض فهذا أمر امتحنا به ، نسأل الله السلامة وهي فتنة سوء أهلك الأديان إلا من وقى الله تعالى ... وعمدة ذلك أن كل مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه أولها عن آخرها محارب الله تعالى ورسوله وساع في الأرض بفساد ... فلا تغالطوا أنفسكم ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه واللابسون جلود الضأن على قلوب السباع المزينون لأهل الشر شرهم ، الناصرون لهم على فسقهم فالمخلص لنا فيها الإمساك للألسنة جملة واحدة إلا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونم جميعهم ، فمن عجز منا عن ذلك رجوت أن تكون التقية تسعة » (٤٦) .

ومن النحاة الذين لم يكتفوا بالتعمق في دراساتهم اللغوية وإنما آمنوا بقضية أمتهم ودينهم في ذلك العصر ، يبرز اسم أبو الحسن علي بن محمد بن السيد النحوي ، البطليوسي ، من غرب الأندلس الذي كان معروفا بالخيطيال ، وهو أخو العلامة الكبير أبي محمد ابن السيد .

ويذكر ابن بشكوال إن حياته انتهت لذلك في السجن بأحد معتقلات القائد ابن عكاشة في قلعة رباح في سنة ٤٨٠ هـ (٤٧) .

٢ - الصورة الثانية من صور مقاومة علماء الأندلس للخطر الأسباني وتتمثل في دعوتهم للم شمل والوحدة الإسلامية في عصر الطوائف :

يبرز اسم الفقيه القاضي العلامة أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد المعروف بالباجي كأحد أكبر الدعاة إلى ضرورة وحثمية توحيد الصف الإسلامي

والتضامن وجمع كلمة المسلمين بالأندلس لمواجهة مد حركة الاسترداد المسيحي الأسباني في عصر الطوائف .

وقد أثار المؤرخ الدكتور عبد الرحمن الحجى قضية للمناقشة في كتابه «التاريخ الأنديسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة» حول أهمية دور هذا الفقيه الكبير في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الأنديس<sup>(٤٨)</sup> .

وأبو الوليد الباجى ، فقيه كبير ، وشهير ، ولد ببطليوس في النصف الثانى من ذى القعدة من سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م ، ونشأ بها ، وتولى التدريس والقضاء فى كثير من بلاد المشرق الإسلامى ، وله العديد من المصنفات والأشعار التى جمعها ولده أبو القاسم . وتعد مناقشاته لابن حزم فى جزيرة ميورقة من أشهر أعماله ، كما أنه أقام فى سرقسطة عدة سنوات أثناء حكم المقتدر أحمد بن هود ، هذا إلى جانب توليه الرد على رسالة راهب فرنسى فند فيها مزاعمه ودعاه إلى اعتناق الإسلام<sup>(٤٩)</sup> .

وقد قام الباجى بدعوته هذه لوحدة الأنديس فى بادئ الأمر من تلقاء نفسه ، ودون إيعاز من أى سلطة رسمية ، وكان ذلك فى أعقاب عودته من رحلته إلى المشرق الإسلامى التى استغرقت ثلاثة عشر عاما ( منذ عام ٤٢٦هـ حتى عام ٤٤٠هـ )<sup>(٥٠)</sup> ، فقد وجد ملوك الطوائف بعد عودته أحزابا مفترقة متقاتلة ، ومتاحرة فأخذ ينتقل بينهم يعظهم<sup>(٥١)</sup> ويدعوهم للشملى ومدافعة العدو المشرك . وهم يجلونه فى الظاهر ويستبردون نزعته فى الباطن ويستقلونه على حد تعبير ابن بسام<sup>(٥٢)</sup> .

ولعل نشاطه وحماسه كانا سببا دعا المتوكل عمر بن الأفطس ملك بطليوس ، أن يعهد إليه رسما بالقيام بهذه الدعوة بعد أن أحس بجهوده المستميتة لجمع شمل المسلمين فى شبه القارة الأيبيرية أمام الموجة الأسبانية الشرسة التى باتت تهدد كيان الممالك الإسلامية كلها آنذاك<sup>(٥٣)</sup> .

أما الفقيه والشاعر الكبير أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ،  
الذي كان لمولده في سنة ٣٦٨هـ في قرطبة عاصمة الخلافة القديمة ونشأته بها ،  
في بيت أدب وعلم حيث كان والده أحد الشعراء البارعين والمشهورين في الترسل  
الأدب ، أكبر الأثر في إتقانه علوم السنة والقراءات ، حتى حاز لقب « حافظ  
المغرب » وقد وصف في المصادر بأنه كان ناصرا للسنة ولكنه كان في نفس  
الوقت مستقلا في فكره بعيدا عن الجمود ، مجددا في الفقه والحديث مجتهدا في  
استنباط المسائل الفقهية والأحكام ، يمحس آراء الأئمة ويستدل لرأيه بالسنة ويقارع  
الحجة بالحجة<sup>(٥٤)</sup> . وقد تولى أبو عمر عبد البر النمري ، قضاء كل من الأشبونة  
وشنترين في عهد المظفر بن الأفطس ، ولهذا فقد انتقل من قرطبة إلى غرب  
الأندلس ، وأخذ يتجول في مدنها ، ثم توجه بعد ذلك إلى شرق الأندلس وتردد ما  
بين بلنسية ودانيه وشاطبة داعيا إلى التوحيد ونبذ الفرقة .

ولأبى عمر بن عبد البر رسالة في ذكر الجهاد واستتفار أهالي البلاد لمقاومة  
العدو بعد نكبة مدينة بربشتر في ٤٥٦هـ أوردها ابن بسام في النخبة<sup>(٥٥)</sup> .

أما القاضي الفقيه ، والعالم أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي ،  
الذي كان يعد من جلة الفقهاء ، وكبار العلماء بالأندلس فقد كان حافظا للرأي مهتما  
بالمسائل ، متبصرا بالأحكام والنوازل كما أنه تولى الشورى والصلابة بقرطبة ،  
والقضاء بالعدوة وغرناطة فكان أيضا من أبرز من دعا أهل الأندلس وملوكهم  
للتوحد أمام الخطر الأسباني .

ويرجع القاضي أبو الأصبغ بأصله إلى وادي عبد الله من أعمال حيان وقد  
ولد في سنة ٤٣١هـ . وتوفي في الخامس من محرم من سنة ٤٨٦هـ . وقد  
استخدمه الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس كرسول له لدى أمير  
المرابطين يوسف بن تاشفين عندما استقر بسبته برسم عبور البحر من أجل الجهاد  
في الأندلس لإنقاذها من مصيرها المحتوم .

وقد حث ابن سهل الأمير المرابطى بالإسراع بالجهاد فقد كان ابن سهل يؤمن بأنه فى حكم ملوك الطوائف الضعاف المتأخرين ، والمتحالفين مع ملوك أسبانيا ، هلاك للإسلام فى الأندلس ، لذلك فقد أخذ يتقرب ليوسف بن تاشفين ويدفعه لإنهاء حكم الطوائف ولكن ابن تاشفين سرعان ما انقلب عليه وتخوف منه وشك فى ولائه ، لأنه انقلب على أسياده من بنى زيرى ، فأبعده عنه<sup>(٥٦)</sup> . ومن الجدير بالذكر أن كل من المؤرخ ابن حيان وابن حزم قد تخطيا فى كتاباتها مرحلة النقد السياسى لملوك الطوائف إلى مرحلة الدعوة للشم والتوحد ويتضح ذلك من خلال تحليلاتهما للأوضاع السياسية آنذاك<sup>(٥٧)</sup> .

٣ - الصورة الثالثة من صور مقاومة علماء الأندلس للخطر الأسباني وتتمثل فى الجهاد بالنفس والمشاركة فى المعارك الحربية :

لم يكتف بعض العلماء الأندلسيين بالصورتين السابقتين لمقاومة العدو الأسباني وحماية الأمة الإسلامية فتطور دورهم إلى ما هو أكثر إيجابية وفاعلية وهو المشاركة بالجهاد بالنفس فى المعارك الحربية ضد القوى الأسبانية .

ولم تكن هذه الظاهرة هى وليدة عصر الطوائف ، إذ كان من المؤلف أن نقرأ بين سطور المصادر أسماء علماء وفقهاء مرابطين ومجاهدين شاركوا فى الجهاد فى الأندلس ضد القوى الأسبانية فى العصور الإسلامية السابقة ، ومن هؤلاء على سبيل المثال ، الفقيه محمد بن أبى الحسام طاهر القيسى الذى عرف بالشهيد لاستشهاده فى إحدى المعارك ضد الأسبان ، وكان قد شهد فتح مدينتى قلمرية وسمورة مع المنصور محمد ابن أبى عامر ، كما أنه أمضى حياته مرابطاً فى مدينة طليطلة وتوفى شهيداً فى سنة ٣٧٩هـ<sup>(٥٨)</sup> .

كذلك نطالع اسم الفقيه الزاهد موسى بن عبد الرحمن الذى توفى فى سنة ٣٧٨هـ ووصفه ابن بشكوال بأنه كان من أشهر المجاهدين فى طليطلة<sup>(٥٩)</sup> . واسم الفقيه المجاهد أبو بكر محمد بن سعدون التميمى الجزيرى المتعبد الذى اختار

المرابطة والجهاد في بلاد المغرب وقد ذكر المقرئ أنه غزا غزوات عديدة وتعرض للجهاد وحرص عليه أيضا وتوفي في عام ٣٤٤هـ<sup>(٦٠)</sup>. أما فتح بن إبراهيم الأموي المعروف بابن القشاري الطليطلي فقد وصفه ابن بشكوال بأنه كان شيخا صالحا كثير الصلاة والصدقة والجهاد وقد توفي في سنة ٤٣٠هـ. كما أشار ابن بشكوال إلى الأديب العالم العابد المتقشف محمد بن عبد السلام الذي جاهد في عصرى الخلافة والفتنة وقد في وقعة قتيش في سنة ٤٠٠هـ مع الأديب أبي عثمان القزاز<sup>(٦١)</sup>، والقاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى المعروف بابن البريلي التطيلي، قاضى تطيلة الذى حج بالمشرق في سنة ٣٨١هـ ودرس على علماء مصر وعرف بالعلم والصلاح والجهاد بثغرة وتوفي في سنة ٤٠٠هـ<sup>(٦٢)</sup>.

وفيما يتعلق بعصر الطوائف موضوع البحث فنطالع اسم الأديب هشام ابن إبراهيم التميمي، الذى شاور بالأحكام في طليطلة وعرف بالشجاعة في ميدان القتال والفروسية، واستشهد مجاهدا في سنة ٤١٩هـ في عصر الفتنة وبدايات الطوائف<sup>(٦٣)</sup>، وكذلك سميته هشام بن محمد بن سليمان القيسى الطليطلي الذى كان من تلاميذ الشيخ أبي عمران الفاسى بالقيروان، وكان معروفا عنه حبه لجهاد العدو والمرابطة في الثغور وتوفي في عام ٤٢٠هـ في بداية عصر الطوائف<sup>(٦٤)</sup>.

أما أبو القاسم ثابت بن محمد بن وهب بن عباس الأموى، الذى كان فقيرا أشبليا (ولد في إشبيلية في سنة ٣٣٨هـ)، درس بقرطبة وروى بها عن أبي عيسى الليثى وابن القوطية، كما اشتهر بحفظه الأخبار والتواريخ، فقد وصف بأن كان من أهل الطهارة والعفاف والنقة والجهاد في سبيل الله، وتوفي في مدينته في عام ٤٢٦هـ<sup>(٦٥)</sup>.

كذلك نطالع اسم الفقيه خلف بن أحمد بن خلف الأنصارى الذى كان عالما من طليطلة في المسائل والأحكام، وقد رفض خلف بن أحمد تولى قضاء مدينته، وارتحل إلى المشرق، وأوقف من خيله ما يجاهد عليها في سبيل الله، وهو من

أساتذة أبي الوليد الباجي بث فيه حبه للجهاد وضرورة التمسك بعري الوحدة الإسلامية . وتوفي هذا العالم في أول عصر الطوائف ، بعد سنة ٤٢٠هـ<sup>(٦٦)</sup> .

أما النحوي محمد بن يوسف بن محمد الأموي القرطبي المعروف بأنه كان من أهل الضبط والإتقان ، وله نصيب وافر في علوم اللغة العربية والحساب ، فقد ترك قرطبة في زمن الفتنة واستوطن الثغور مجاهدا في سبيل الله ثم عاد إلى قرطبة بعد استقرار الأمور بها<sup>(٦٧)</sup> وتوف في سنة ٤٢٩هـ وممن استوطن الثغور أيضا ورابط بها وجاهد ، الفقيه الزاهد عبد الله بن سعيد بن لباج الأموي الشنتجالي الذي جاور مكة لمدة أربعين عاما ثم عاد للأندلس في عام ٤٣٠هـ ، واستقر بالثغر الجوفي في غرب الأندلس بنية جهاد العدو والمرابطة ، ورابط بالفعل في بطليوس ومرجيق وشلب ورباط الريحانة من أعمالها حيث كان له فرس يسميه مرزوق يقاتل به بنية الشهادة ، كما كان يروي الحديث بتلك الجهات ، وقد توفي عام ٤٣٦هـ ودفن بقرطبة<sup>(٦٨)</sup> ، وكذلك الفقيه الزاهد المحدث أبو الربيع سليمان بن إبراهيم بن هلال القيسي ، الطليطلي ، الذي فرق جميع ماله ولزم الثغور وتوفي بحصن غرماج<sup>(٦٩)</sup> .

ومن علماء الأندلس الذين شاركوا في موقعة الزلاقة الشهيرة في سنة ٤٧٩هـ واستشهدوا فيها ، الفقيه الزاهد ، والشاعر أحمد بن محمد بن فرج الأنصاري المعروف بابن رميلة القرطبي ، الذي كان كثير الصدقة ، وفعل المعروف ، وقد استشهد في الزلاقة بعد أن استمات في القتال ، غير مدير على حد وصف ابن بشكوال<sup>(٧٠)</sup> .

كذلك استشهد في معركة الزلاقة المفكر والفيلسوف أبو رافع الفضل بن الفقيه الكبير أبو محمد بن حزم الظاهري ، فقد تشرب من والده مبادئ العمل على الوحدة الإسلامية والتضامن ، وجاهد في معركة الزلاقة تحت قيادة المعتمد بن عباد واستشهد<sup>(٧١)</sup> بها في عام ٤٧٩هـ ، ومن العلماء الذين شاركوا في وقعة قتادة

واستشهدوا بها الفقيه محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكريا المعروف بابن الفراء الذى كان قاضيا لمدينة المرية ومن ابرز علماء عصره وانتهت حياته شهيدا فى هذه الموقعة فى سنة ٥١٤هـ (٧٢) .

ومن شهداء قتلة أيضا الفقيه الشهير حسين بن محمد بن فيرة بن حيون بن سكرة الصدفى ، الذى كان من أهل سرقسطة وسكن مرسية . وكان الصدفى من تلاميذ أبى الوليد الباجى ، آمن بأفكاره وتشرب مبادئه ، ورحل إلى المشرق فى سنة ٤٨١هـ ، وتعلم هناك على كبار الأئمة والفقهاء فى مصر والعراق ثم عاد للأندلس فى سنة ٤٩٠هـ وقصد مرسية ودرس بجامعة مصنفات الحديث والخط ، كما استقضى بها ، وتوفى الصدفى شهيدا فى موقعة قتلة وكان يومها فى الستين من العمر (٧٣) .

كذلك نرصد اسم العالم الفقيه أحمد بن محمد بن عمر الزاهد الذى أمضى حياته ملازما لثغور المسلمين ، مجاهدا صواما قواما وقد عاصر المأمون بن ذى النون وتوفى فى سنة ٤٥٠هـ (٧٤) .



## الخاتمة

لقد كان للدور الكبير الذى قام به هؤلاء العلماء الذين تعرضنا لسيرتهم أثناء البحث أثر كبير فى إفاقة ملوك الطوائف المتناحرين من غفوتهم ، خاصة فى أعقاب سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م ، فتتأسى هؤلاء الملوك المسلمين خلافتهم للحظة قصيرة من عمر الزمان وتعاونوا مع المرابطين لمواجهة حركة الاسترداد الأسباني المسيحي فى موقعة الزلاقة .

إن هؤلاء العلماء الأندلسيين الذين أرخنا لهم فى هذا البحث من فقهاء ومؤرخين وشعراء وأدباء ، رغم قلة عددهم بالنسبة لعدد العلماء فى الأندلس آنذاك ، تميزوا فى تصورى ببعد نظر سياسى كبير ، وضمير حى ، وواعز أخلاقى ، وشجاعة كبيرة وعمق فكرى ، جعلهم يفضلون مصلحة أمتهم ودينهم على مصالحهم الشخصية ، فخاضوا طريقا كان صعبا ووعرا ، وهو نقد ملوكهم ودعوة الشعب الأندلسى المسلم للتوحد ثم الجهاد بأنفسهم فى نهاية الأمر .

لقد أدرك هؤلاء العلماء أنهم أمام حركة صليبية أوروبية بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، وليس مجرد حرب مع عدو أسباني مجاور لهم ، ويؤكد ذلك أن الفونسو السادس ملك قشتالة وليون الذى استولى على طليطلة سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م ، قام باستتفار أمراء أوروبا وملوكها عندما علم بقدوم المرابطين من بلاد المغرب لنجدة ملوك الطوائف فى أعقاب سقوط طليطلة .

ويذكر الحميرى أنه قد اجتمع له قبيل موقعة الزلاقة مباشرة فى سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م من الجلائقة والفرنجة ما لا يحصى عدده<sup>(٧٥)</sup> . وتبالغ مدونة لوزيتانو المسيحية فى ذكر من توافد من الممالك والإمارات الأوروبية على الفونسو السادس لا سيما من الفرنجة من فرنسا ومن بلاد الألب كما تؤكد المدونة العامة الأولى Primera Cronica General de Espania ، على انضمام قوات كبيرة من الفرنسيين ومن روما إلى قوات الفونسو السادس . وقد شارك القسس والرهبان

الأسبان والأوروبيين في هذه الموقعة ضد ملوك الطوائف والمرابطين ، رافعين الصليبان وناشرين الأناجيل أسوة بما سيفعله الصليبيون في المشرق الإسلامي بعد ذلك بعشرة سنوات ، كذلك توافقت على الفونسو السادس في أعقاب هزيمته في الزلاقة على يد ملوك الطوائف والمرابطين ، قوات أوروبية لنجدته ، من ليموزين وبواتو ونوماندي بصحبة ريمون دي سان جيل كونت تولوز الذي سيشارك في الحملة الصليبية الأولى فيما بعد بنحو عشرة أعوام ، وتؤكد المدونة العامة الأولى أن ريمون دي سان جيل قد حصل على مباركة من البابا أوربان الثاني لمشاركته في هذه الحملة لانجاد الملك القشتالي ، وأن ريمون دي سان جيل كانت تربطه صلة مصاهرة بالملك الفونسو السادس<sup>(٧٦)</sup> .

إن هذه القلة القليلة من علماء الأندلس التي أدركت مدى أبعاد المخطط الأسباني في ذلك الوقت وخطورته بعد حصوله على التأييد والدعم المعنوي والعسكري من البابوية وملوك أوروبا ، تبين أن المسلمين أمام خطر أسباني ، أوروبي ، صليبي ، في حقيقة الأمر فلم تتهاون أو تتقاعس عن أداء دورها ورغم ضياع الإسلام في الأندلس في نهاية الأمر ، بسقوط غرناطة عام ١٤٩٢م ، إلا أننا نقدر ، ونحمد لهؤلاء العلماء إخلاصهم لدورهم كحملة أمناء للعلم ، ومحاولتهم الشريفة لإنقاذ أمتهم ودينهم .

## الهوامش

- (١) غلب العنصر العربى على قرطبة فى عصر الدولة الأموية بينما غلب المولدون على أشبيلية وطليلة ، كما تمركزوا مع البربر فى غرب الأندلس ، أما الجنوب ولا سيما غرناطة ومالقة فكان معظم سكانه من البربر ( السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ ، ص ٣٦٤ ) .
- (٢) المرجع السابق ، ص ٣٦٤ وارجع كذلك إلى Munes (H), Essai sur La chute du Califat Umayyade de Cordoue en 1009, Le Caire, 1948, p. 169.
- (٣) ابن عذارى ، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، طبعة بيروت ١٩٥٠ ، ج٢ ، ص ٩٦ .
- (٤) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، مدريد ، ١٩٢٦ ، ص ٤٦ - ٤٨ ، ابن عذارى ، البيان ، ج٢ ، ص ١١١ .
- (٥) من الأمثلة على ذلك تحالف الثائر المولد ، سليمان بن مرتين المعروف بقعنب مع الثائر البربرى محمود بن عبد الجبار المصمودى وأخته جميلة فى ماردة ضد الأمير عبد الرحمن الأوسط . ( لمزيد من التفاصيل راجع سحر عبد العزيز سالم ، تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ١٩٨٩ ، ج١ ، ص ٢٣٤ وما يليها ) .
- (٦) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٧ وما يليها .
- (٧) لمزيد من التفاصيل أرجع إلى ( سحر سالم ، تاريخ بطليوس ، ج١ ، ص ٢٣٧ ، وما يليها ) .
- (٨) من ذلك استعانة واضح الفتى بقومس برشلونة ريموند بوريل الثالث وأخيه أرمنجول الذى يسميه العرب ارمقند فى مقابل تنازله لهم عن مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط واستباحوا المدينة ، وأهلها عند دخولهم فيها . ( أرجع إلى ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ، ص ٩٤ ) .
- Levi Provencal Historie de l'Espagne musulmane, Leiden, 1950, T, II, p. 313.
- (٩) راجع أحداث سقوط طليطلة فى يد الفونسو السادس ملك قشتالة وليون رغم تحالفه مع حاكمها القادر بن ذى النون ومع جده المأمون من قبله ، الذى آواه ، وأجاره

لثناء حرب القونسو السادس مع أخيه في ( ليفي بوفنسال ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلمي ، القاهرة ١٩٥٨ ) .

(١٠) سعد إسماعيل شلبي ، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ( عصر ملوك الطوائف ، طبعة للقاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٤٥ ) .

(١١) إحسان عباس ، وداد القاضي ، دراسات في الأدب الأندلسي ، طبعة للدار العربية للكتاب ، ١٩٧٨ ، ص ٩ وما يليها .

(١٢) لمزيد من التفاصيل أرجع إلى المرجع السابق ، ص ١٧ .

(١٣) نفسه ، ص ١٧ - سعد إسماعيل شلبي ، البيئة الأندلسية ، ص ٥٦ .

(١٤) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(١٥) المقرئ ، نفح الطيب من غصن الأندلس للطيب ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٨ ، مجلد ٢ ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

(١٦) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، طبعة ١٩٦٤ ، ج ١ ، ص ٢٣٤ ، سعد إسماعيل شلبي ، البيئة الأندلسية ، ص ٢٨٣ .

(١٧) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

(١٨) المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(١٩) نفسه ، وراجع ما ذكره ابن بشكوال في الصلة ، طبعة تراثنا ، ١٩٦٦ ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ ، ترجمة ٨٦٥ .

(٢٠) ابن سعيد ، المغرب ، ج ١ ، ص ٢٣٥ ، سعد إسماعيل شلبي ، المرجع السابق ص ٢٨٣ .

(٢١) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٩٣ ، ٩٤ ، وكان ولده أبو القاسم الحسن الهوزني خال القاضي أبو بكر العربي ( المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨ ) .

(٢٢) ابن سعيد ، المغرب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠ ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٢٣) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ٢٨٥ ترجمة ٦٢٩ .

(٢٤) الحميرى ، الروض المعطار ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص

. ٩٠

(٢٥) المقرئ ، نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٣٥٢ ، وراجع ابن سعيد ، المغرب ، طبعة

١٩٨٠ ، جـ ٢ ، ص ٢١ .

(٢٦) المصدر السابق ص ٢١ ، وارجع كذلك إلى المقرئ ، جـ ١ ، ص ٥١٤ .

\* سحر عبد العزيز سالم ، بنو أبى عبدة ، وزراء وقادة الدولة الأموية فى الأندلس ،

أحد أبحاث مجموعة « بحوث مشرقية ومغربية فى التاريخ والحضارة الإسلامية »

الإسكندرية ، ١٩٩٧ ، جـ ١ ، ص ١ - ٥٦ .

(٢٧) ابن بشكوال ، الصلة ، جـ ٢ ، ص ٥٨٠ ، ترجمة ١٢٧٨ - الضبى بغية الملتمس

، ص ٥١ ، ترجمة ٢٥ .

(٢٨) ابن بشكوال ، الصلة ، جـ ٢ ، ص ٤٠٣ ترجمة ٨٦٨ . وينكر ابن بشكوال

ترجمة للفتية الكبير قاضى الجماعة محمد بن أحمد بن خلف المعروف بابن الحاج

الذى ولد فى سنة ٤٥٨ ، وكان من جلة الفقهاء وكبار العلماء والمحدثين

والنحويين ، الذى قتل ظلما بالمسجد الجامع بقرطبة وهو ساجد سنة ٥٢٩هـ وإن لم

يحدد سبب مقتله ( المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٨ ، ترجمة ١٢٧٨ ) .

(٢٩) ابن بسام الشنترينى ، النخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د. إحسان عباس ،

طبعة بيروت ، ١٩٧٨ ، القسم لأول ، المجلد الثانى ، ص ٨٨٦ - إحسان عباس ،

وداد القاضى ، دراسات فى الأدب الأندلسى ، ص ١٩ .

(٣٠) ابن بسام ، النخيرة ، المصدر السابق ، ص ٨٨٦ وما يليها .

(٣١) المقرئ ، نفح الطيب ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٨ ، جـ ٤ ، ص

. ٢٥٥

(٣٢) أهتم هذا الأديب بالنظم أكثر من اهتمامه بالنثر ، وتوفى سنة ٥٠٨هـ ( الضبى ،

بغية الملتمس فى تاريخ أهل الأندلس ، ١٩٦٧ ) .

(٣٢) ابن بشكوال ، الصلاة ، جـ ١ ، ص ١٥٣ ، ترجمة ٣٤٥ - محمود علي مكي في تحقيقه لكتاب المقتبس من لبناء أهل الأندلس لابن حيان ، طبعة بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٠٤ .

(٣٤) المصدر السابق ، ص ٣٤٥ - علي أدهم ، بعض مؤرخي الإسلام ، طبعة القاهرة بدون تاريخ ، ص ٦٥ وما يليها .

(٣٥) ابن بشكوال ، الصلاة ، جـ ١ ، ص ١٥٣ ترجمة ٣٤٥ .

(٣٦) لمزيد من التفاصيل عن حياة ابن حيان ، أرجع إلى محمود علي مكي في تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، ص ٤٠ وما يليها .

(٣٧) المصدر السابق ، ص ١١٥ - علي أدهم ، بعض مؤرخي الإسلام ، ص ٦٥ وما يليها .

(٣٨) محمود علي مكي في تحقيقه للمصدر السابق ( المقتبس لابن حيان ) ص ١١٦ .

(٣٩) ابن عذارى ، البيان المغرب ، طبعة بيروت ، ١٩٥٠ ، جـ ٣ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٤٠) ابن بسام ، النخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٤١) راجع ما ذكره د. محمود علي مكي في تحقيقه لمقتبس ابن حيان ، ص ٤٥ - ٤٦

ويذكر الدكتور مكي أن ذلك لم يمنع ابن حيان من التغاضي عن مبادئه هذه في بعض المناسبات القليلة ، من ذلك إهدائه تاريخه الكبير إلى المأمون بن ذي النون ملك طليطلة ، رغم أنه كان قد وصف مساوئ أسلافه ومفاسد حكمهم ، ثم هنا المعتمد ابن عباد بفتح قرطبة وظهوره على المأمون بن ذي النون الذي سبق أن أهداه تاريخه وطرزه باسمه . كذلك قام بمدح الوزير ابن السقاء ، وزير أبي الوليد ابن جهور وهو ما أثار ابن بسام على ابن حيان فنقده في كتابه للنخيرة على موقفه هذا نقدا لاذعا ( أرجع لمحمود علي مكي في تحقيقه لكتاب المقتبس ، ص ٤٨ - ٥٠ ) .

(٤٢) ابن بشكوال ، الصلاة ، ترجمة ٥٢٣ - محمود علي مكي في تحقيقه للمقتبس ، ص ٥٣ - ٥٤ .

(٤٣) ابن بسام ، النخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٦٧ .

- (٤٤) المصدر السابق ، ص ١٦٩ .
- (٤٥) ابن حزم ، نقط العروس فى تواريخ الخلفاء ، تحقيق د. شوقى ضيف ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥١ ، ٨٣ - ٨٤ .
- (٤٦) ابن حزم ، رسالة التلخيص لوجوه التلخيص ، ضمن مجموعة رسائل ابن حزم بعنوان « الرد على ابن النغيلة اليهودى ورسائل أخرى » تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ١٧٢ - ١٧٤ .
- (٤٧) ابن بشكوال ، الصلة ، ج٢ ، ص ٤٢٢ ، ترجمة ٩٠٣ .
- (٤٨) أرجع إلى عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الأندلسى منذ الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص ٣٣٦ وما يليها .
- (٤٩) لمزيد من التفاصيل عن أبى الوليد الباجى أرجع إلى ابن بسام ، النخيرة ، ق ٢ ، ص ٩٤ - ابن خاقان ، قلند العقيان القاهرة ، ١٣٢٠ ، ص ١٩٦ - ابن الأبار ، التكملة ، ج١ ، ص ٣٩١ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٢٧٢ .
- (٥٠) ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ١٩٧١ ، ج٢ ، ٤٠٨ ، ترجمة ٢٧٥ - النباهى الملقى ، تاريخ قضاة الأندلس ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٩٥ - المقرئ ، نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٢٧٢ .
- (٥١) ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج٢ ، ص ٩٨ ، وارجع كذلك إلى القاضى عيلض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، بيروت ، ١٣٨٤/١٩٦٥ ، ٣ - ٤ / ٨٠٨ .
- (٥٢) ابن بسام ، النخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٩٥ - ٩٦ .
- (٥٣) لمزيد من التفاصيل أرجع إلى سحر سالم ، تاريخ بطليوس ، ج٢ ، ٣٤٠ وما يليها .
- (٥٤) لمزيد من التفاصيل راجع كتاب ابن عمر بن عبد البر النمرى ، التمهيد لما فى الموطأ فى المعانى والأسانيد ، تحقيق د. مصطفى الطوى ، الرباط ، ١٩٦٧ ، ج١ .

(٥٥) ابن بسام ، النخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ١٧٣ - سحر سالم ، تاريخ بطليوس ، ج ٢ ، ص ٣٥ .

(٥٦) لمزيد من التفاصيل أرجع إلى ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ ، ترجمة ٩٤٢ - وأرجع كذلك إلى النباهي ، المرقبة العليا ، ص ٩٦ .

(٥٧) لمزيد من التفاصيل أرجع إلى عبد الرحمن الحجى ، تاريخ الأندلس ، ص ٣٤٦ .

(٥٨) الضبى ، بغية الملتبس ، ص ٨٤ ، ترجمة ١٥٤ .

(٥٩) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٠٨ ، ترجمة ١٣٣٠ .

(٦٠) المقرئ ، نفح الطيب ، طبعة بيروت ، ١٩٦٨ ، تحقيق د. إحسان عباس ، مجلد ٢ ، ص ١٣٩ .

(٦١) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ ، ترجمة ١٠٥٤ .

(٦٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ ، ترجمة ١٠٥٥ .

(٦٣) نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ ، ترجمة ١٤٢٢ .

(٦٤) نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٤٩ ، ترجمة ١٤٢٦ .

(٦٥) نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٢ ، ترجمة ٢٨٦ .

(٦٦) نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٨ ، ترجمة ٣٧٨ .

(٦٧) نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٢١ ، ترجمة ١١٣٧ .

(٦٨) نفسه ، ج ١ ، ص ٢٧٢ ، ترجمة ٥٩٨ .

(٦٩) نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ترجمة ٤٥٠ .

(٧٠) نفسه ، ج ١ ، ص ٦٨ ، ترجمة ١٤٤ .

(٧١) لمزيد من التفاصيل عن شخصية أبى رافع الفضل بن حزم وجهاده ، أرجع إلى

سعد إسماعيل شلبى ، البيئة الأندلسية ، ص ٤٨ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ١٣ .

(٧٢) ابن بشكوال ، ج ٢ ، ص ٥٧٢ ، ترجمة ١٢٦١ .

(٧٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٤ ، ترجمة ٣٣٠ .

(٧٤) نفسه ، ج ١ ، ص ٥٩ ، ترجمة ١٢١ .



(٧٥) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ٨٨ .

(76) Francisco Henrique Florez, Espana Sagrada t, XIV, Madrid, Chronicon Luisitanum, p.405, Aera 1125.

حيث ورد فى هذه المدونة النص التالى الذى يؤكد وفود فرنسيين وأوربيين من بلاد  
الألب لمساندة الفونسو السادس فى موقعة الزلاقة .

« Ubi unanimities convenerunt cum rege nostro christiani a partibus Alpes,  
multique Francorum in adjutorium ci affuerunt ».

أرجع كذلك إلى :

Primera Cronica General de Espana, editada por Ramon Menendez Pidal,  
Madrid, 1977, T. II, 557, 520, 521.



# الغرب الأوروبى و حركة الإصلاح

## فى الدولة العثمانية

أ.د. سعيد بن سعد سفر الغامدى(\*)

١ - بداية حركة الإصلاح فى الدولة العثمانية وموقف أعضاء الهيئة الإسلامية منها :

بلغت الدولة العثمانية فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى أوج عظمتها وقوتها ، وعقدت لها الزعامة على العالم الإسلامى السنى ، منذ أن استطاع السلطان سليم الأول ( ٩١٨ - ٩٢٧ هـ / ١٥١٢ - ١٥٢٠ م ) أن يهزم الشاه إسماعيل الصفوى ، شاه إيران ، وحامى المذهب الشيعى ، ثم استطاع السلطان سليم أن يحقق انتصاره أيضاً على الدولة المملوكية فى الشام ومصر . وتأكدت زعامة العثمانيين للعالم الإسلامى بدخول إقليم الحجاز سلمياً ضمن السيادة العثمانية، وتشرف سلاطين الدولة العثمانية بخدمة وحماية الحرمين الشريفين .

لكن بدأت - منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين - بوادر الضعف المبكر تدب فى الدولة العثمانية . وقد تبين ذلك من خلال المعاهدات التى عقدتها الدولة مع بعض الدول الأوربية ؛ حيث تنازلت فيها الدولة العثمانية عن كثير من مظاهر قوتها ، التى كانت تتعامل من خلالها مع تلك الدول .

ومنذ القرن التاسع عشر ازداد ضعف الدولة العثمانية ، وازدادت تبعاً لذلك أطماع الدول الأوربية فى ممتلكاتها ، وعرفت عندها الدولة العثمانية - فى الدوائر السياسية الأوربية - بالرجل المريض . وكان أن سارعت دول أوربا إلى السيطرة على هذا الجزء أو ذاك من ممتلكات الدولة العثمانية . ولم يقارب القرن التاسع عشر على الانتهاء إلا وقد خسرت الدولة معظم ممتلكاتها فى شرق أوربا ، وشمال إفريقيا ، ولم يبق لها فى تلك البلاد إلا مجرد الاسم .

(\*) أستاذ بكلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .

ونظراً لعوامل ومظاهر الضعف السالفة ، أحست الدولة العثمانية منذ القرن السابع عشر بحاجتها إلى الإصلاح ، وظلت هذه الفكرة تشغل أذهان بعض السلاطين والمفكرين ورجال السياسة في الدولة ، منذ عهد كل من السلطانين عثمان الثاني ( ١٠٢٨ - ١٠٣٢هـ / ١٦١٨ - ١٦٢٢م ) ومراد الرابع ( ١٠٣٣ - ١٠٥٠هـ / ١٦٢٣ - ١٦٤٠م ) .

وكانت حركة الإصلاح في ذلك العهد تتبع من واقع حركة التاريخ العثماني ، وفي إطار الثقافة العثمانية الإسلامية ، وبتشخيص السبب في ضعف الدولة وجد أنه الابتعاد عن تطبيق الشريعة الإسلامية كاملة في كافة مناحي الحياة . وهذا ما تضمنته اللائحتان الإصلاحيتان اللتان تقدم بهما المفكر العثماني « قوجي بك » إلى كل من السلطان مراد الرابع ، والسلطان إبراهيم الأول عام ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م .

وعندما أدرك السلطان مراد الرابع أن الدولة العثمانية تعاني من الانهيار ، أخذ في إجراء بعض الإصلاحات الحربية البسيطة بغية وقفه ، وقرن ذلك بإجراءات إدارية بمساعدة قاضي عسكر الأناضول .

وفي نهاية ذلك القرن تبنت أسرة كوبرلي بعض الإصلاحات ، كان من بينها نظام جديد خاص بتحسين أحوال الرعايا ، بيد أن هذا الإصلاح لم يتضح ، ولم تظهر له آثار ذات شأن<sup>(١)</sup> .

وكانت حاجة الجيش إلى الإصلاح أهم مالفت انتباه هؤلاء السلاطين ولذا كان من الطبيعي أن يتجه الإصلاح إلى الجيش ، فالحكم العثماني في طبيعته حكم عسكري ، والجيش هو الذي يحكم ، إلى جانب وظيفته الأصلية في الحرب . وانعكست هذه الصورة في الهزائم المتلاحقة التي نزلت بالدولة العثمانية في ذلك القرن مما تطلب الإسراع بإصلاح الجيش قبل غيره من إدارات الدولة<sup>(٢)</sup> .

وكان السلطان أورخان بن عثمان هو أول من كون هذا الجيش الانتكشارى ووضع له نظاماً صيغ في أربع عشرة مادة ، تضمنت النظام الداخلى للجيش ، وتنظيم علاقات أفرادهم ببعض ، كما نصت على الطاعة والمطاعة والانقياد التام لأولى الأمر<sup>(٣)</sup> .

ويتبين من قانون أورخان ، أن نشأة الانتكشارية كانت عسكرية دينية ، وقد عنى معظم السلاطين العثمانيين بالجيش ، وقادوه إلى معارك النصر والظفر وفتحوا به بلاد شرق أوربا ، حتى كان عهد السلطان محمد الثالث ( ١٠٠٤ - ١٠١٢هـ / ١٥٩٥ - ١٦٠٣م ) الذى سمح لبعض العناصر المختلفة مثل الفلاحين والحرفيين بالانخراط فى سلك الانتكشارية ، بعد أن كان ذلك محظوراً عليهم من قبل .

وسرعان ما أخذ الفساد يتسرب إلى الجيش تدريجياً ، بعد أن أصبح الباب مفتوحاً أمام العناصر الأخرى للانتظام فى سلك الانتكشارية . وكانت النتيجة أن تضاعفت الأعداد المنتمية إلى وجاقات الانتكشارية ، وتضاعف ارتباطهم بتكناتهم ، كما أصبح قسم كبير منهم لا يذهب إلى التكنات إلا لتسلم مرتباتهم ، وأهمل الأفراد واجباتهم فى الحرب ، بل أصبحوا يعتدون على السكان ويعيثون فى الأماكن التى يمرون بها فساداً ، وإذا ما نشبت الحرب لا يثبت منهم أحد ، بل يلوذ الجميع بالفرار<sup>(٤)</sup> .

ومن العوامل التى ساعدت الانتكشارية فى تماديهم فى أعمال الفساد والخراب ، تولى سلاطين ضعاف لا يستطيعون السيطرة عليهم والضرب على أيدي المفسدين ، كذلك أدى توقف الفتوحات العثمانية فى شرق أوروبا ووقوفها موقف المدافع عن نفسه فقط ، أدى ذلك إلى فراغ الجيش ، ولم يعد له مجال يستنفذ فيه طاقته فلجأ معظمهم إلى السلب والنهب والفساد . وأصبح الجيش العثمانى الانتكشارى

فى القرون الثلاثة الأخيرة عامل فساد ، بعد أن كان عامل إصلاح ، وأداة هدم وتخریب بعد أن كان عنصر بناء .

أما الإصلاح الإدارى : فكان فى مقدمة السلاطين الذين اهتموا به السلطان مراد الرابع والسلطان أحمد الثالث ( ١١١٥ - ١١٤٣هـ / ١٧٠٣ - ١٧٣٠م ) ويرى بعض المؤرخين أن الأخير أول سلطان اتخذ الخطوة الأولى نحو محاكاة الحضارة الغربية ، والاستفادة من المبادئ الملائمة فيها وساعده فى ذلك الصدر الأعظم إبراهيم باشا الذى تولى منصب الصدارة العظمى فى الفترة ( ١١٣١ - ١١٤٣هـ / ١٧٨١ - ١٧٣٠م ) .

وقد أرسل الصدر الأعظم إبراهيم باشا الوزير العثمانى سعيد جلبى سفيراً للدولة العثمانية فى باريس عام ١١٣٤هـ / ١٧٢١م وكلفه بان يدرس عناصر المدنية الغربية التى يمكن تطبيقها فى الدولة العثمانية ، ولا تتعارض مع تعاليم الشريعة الإسلامية .

وعند عودة هذا السفير إلى أستانبول - بعد أن أدى المهمة التى كلف بها فى باريس - أوصى بإنشاء المطبعة فى الدولة العثمانية . غير أن بعض القضاة والعلماء عارضوه فى ذلك ؛ وكان الدافع وراء تلك المعارضة هو الخوف على المصحف من التحريف . غير أن شيخ الإسلام عبد الله أفندى اقتنع بضرورة إصدار فتوى تجيز طباعة الكتب العلمية والتاريخية والقواميس ، واستثنت الفتوى عدم طباعة القرآن الكريم والكتب الشرعية ، وصدر فرمان سلطانى بذلك فى ١٢ شعبان عام ١١٤٠هـ / ٥ يوليه عام ١٧٢٧م .

وقد أخرجت المطبعة سنة ١١٤٣هـ / ١٧٢٩م أول كتاب باللغة التركية وهو ترجمة لمعجم الصحاح للجوهري ، باسم ( كتاب معجم وانقولى ) ، ثم صدرت بعد ذلك مجموعة من الكتب فى العلم والمعرفة والخرائط<sup>(٥)</sup> .

كذلك نشطت حركة الإصلاح الإدارى والعسكرى فى عهد السلطان محمود الأول ( ١١٤٣ - ١١٦٨ هـ / ١٧٣٠ - ١٧٥٤ م ) ، حيث أدرك هذا السلطان أهمية إعداد عساكر مدربة كخطوة أولى نحو الإصلاح ، ومهد لهذا العمل بنشر رسالة «أصول الحكم فى نظام الأمم» ، كما أمر بترجمة بعض الكتب التى تتحدث عن فنون الحرب والقتال من اللغات الأجنبية وخاصة من الإيطالية ، وشجع السلطان المضى فى مشروع الطباعة ، فأنشأ داراً لها ، وصرح للقائمين بالعمل فيها على نشر الكتب التاريخية والجغرافية ، وأمر بسبك الحروف اللازمة للطباعة ، وصب القوالب الضرورية لها ، وهكذا سار السلطان محمود الأول بالإصلاح الحربى والإدارى والثقافى فى نفس الوقت<sup>(٦)</sup> .

وحمل السلطان مصطفى الثالث ( ١١٧١ - ١١٨٧ هـ / ١٧٥٧ - ١٧٧٤ م ) أفكار محمود الأول الإصلاحية ، ولكن الحروب المتوالية لم تمكنه من نشر حركة الإصلاح على نطاق واسع . وقد أرسل السلطان أحمد رسمى باشا فى سفارة إلى فينا ، لدراسة أحوال أوربا وإعداد تقرير بذلك . وفى سنة ١١٧٣ هـ / ١٧٥٩ م أعاد فتح المهندسخانه ، أى ( مدرسة الهندسة ) سراً ، وقد استفاد هذا السلطان من مشورة البارون دى توت De Tott الذى وصل إلى استانبول سنة ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م<sup>(٧)</sup> .

وكان مصطفى الثالث يكثر من دعوة السفراء الأوروبيين إلى حفلات فى عاصمته ، ويتحدث معهم فيها عن أفكاره الإصلاحية . وفى أحد الاجتماعات فى حضرة وزراء الدولة ، وباشوات الأيالات ، وكبار العلماء صرح بأن فرنسا قد تعهدت له بإمداد الدولة العثمانية بعدد كبير من السفن الحربية ، لإنشاء أسطول جديد ، ودلل ذلك على تصميمه وقوة إرادته<sup>(٨)</sup> . وافتتح سنة ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م (مهندسخانة بحرى هيايون) أى كلية الهندسة البحرية الهمايونية ، وأراد أن يفتح قناة السويس ، كما أراد ربط نهر صالاريا عن طريق بحيرة صابانجه بخليج

إزميت ، ولكنه لم يوفق ، وأسس منشأة في مكة لضمان وفرة المياه<sup>(٩)</sup> . وقام مصطفى الثالث بإكمال ما بدأه محمود الأول ، من حيث إعداد العساكر المدربة ورتب لذلك الجداول واللوائح .

وأهتم السلطان عبد الحميد الأول ( ١١٨٧ - ١٢٠٣هـ / ١٧٧٤ - ١٧٨٩م ) بتقوية المدفعية والإكثار منها ، وتنظيم العساكر المدربة ، ولكنه لم يستطع أن ينفذ برنامجه الإصلاحى فى هذا الشأن ، فقد عارضه ضباط الانكشارية ، كما أن أفراد العساكر أنفسهم لم يمكنهم أن يميزوا بين الخير والشر ، فأوقف ترتيب العساكر المدربة ؛ خوفا من الفتنة .

ولما أرسلت الحكومة الفرنسية الجنرال لافيت لمعاونة السلطان فى إصلاحه الحربى ، كلفه عبد الحميد الأول بالإشراف على تنظيم كلية الهندسة العسكرية ؛ لى تزود تلاميذها بخبرة كافية فى علم التحصينات . وتم افتتاح الكلية ، وكان يدخلها الطالب من سن ٨ إلى ١٢ سنة ، وبعد ثمانى سنوات من الدراسة والتدريب كان يمنح المتخرجون منهم لقب مهندس ، ونشطت حركة الترجمة للمؤلفات التى تتصل بالهندسة ، والهجوم والدفاع والفنون الحربية والرياضية . وكان من بينها دائرة المعارف الفرنسية ، وكانت بالمكتبة أيضا كتب باللغة الإنجليزية ، استحضرت إليها من إنجلترا ، وقام بالتدريس فى الكلية مدرسون من إنجلترا وفرنسا وبعض الدول الأوربية .

ولكن إصلاح الشئون العسكرية ما كان يمكن أن يتم بإصلاح المدفعية والبحرية وحدهما ، بل كان لابد من إصلاح أحوال سائر أسلحة الجيش ، ولا سيما فرق المشاة أيضا ، على أساس التعليم العسكرى وفقا للأصول التى كان قد توصل إليها الأوربيون ، غير أن ذلك اصطدم بعقبات كثيرة من جراء أوضاع الإنكشارية المعارضة للتعليم العسكرى ، وكل جديد ؛ خوفا من الاستغناء عن خدماتهم إذا ما تم للسلطان تكوين الفرق العسكرية الجديدة ، وكان شعارهم فى إنكار ومعارضة



النظام الجديد قولهم : « إن ولي الله الحاج بكتاش قد بارك جماعة الإنكشارية - عند تأسيسها - ودعا لها بالنصر الدائم »<sup>(١٠)</sup> . إذ كانوا يزعمون أن بركة ذلك الولي ودعائه يغنيها عن كل تعليم ، ولهذا السبب توقف إصلاح الجيش .

أما الإصلاحات العسكرية والإدارية في عهد السلطان سليم الثالث ( ١٢٠٤ - ١٢٢٢هـ / ١٧٨٩ - ١٨٠٧م ) ، فقد قطعت شوطاً بعيد المدى ، لكن نظراً لكثرة العراقيل التي وضعت أمامها لم تأت ثمارها إلا في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي .

واصطدام أمر إصلاح الجيش بمعارضة شديدة على الرغم من شدة الحاجة إليه ، واستنفذ جهود رجال الدولة مدة تزيد على نصف قرن ، كما تعرضت سائر الإصلاحات إلى معارضة أشد من ذلك بكثير ، مما تطلب جهوداً أضنى ومدة أطول .

وقد أعلن السلطان سليم النظم والإصلاحات المسماة بـ « النظام الجديد » في سنة ١٢٠٧ - ١٢٠٨هـ / ١٧٩٢ - ١٧٩٣م . واعتمد على الضباط والخبراء والمدرسين والأوربيين والفرنسيين في المدارس الحربية التي أنشأها .

وأرسلت الحكومة العثمانية إلى فرنسا في خريف ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م قائمة تحتوي على أسماء مجموعة من الضباط والفنيين للاستفادة بهم ، فاستجابت الحكومة الفرنسية في سنة ١٢١١هـ / ١٧٩٦م لطلب السلطان ، وأرسلت إليه السفير الجنرال أوبرت Aubert Dubayet ومعه مجموعة من الخبراء العسكريين<sup>(١١)</sup> ، وهدية من المدافع المتحركة على جرارات ؛ لكي تقوم الدولة العثمانية بتجربتها ، وصنع مثل لها إذا ما اقتنعوا بجدارتها<sup>(١٢)</sup> .

ويعتبر السلطان سليم الثالث أكثر سلاطين آل عثمان تفتحاً ، ولم يكن ضيق الأفق كأييه مصطفى الثالث . ونظر إلى الإنكشارية على أنهم سبب معظم الكوارث التي حلت بالدولة العثمانية .

ولم يكتف السلطان سليم ورجاله بإنشاء الجيش الجديد فى عاصمة الدولة العثمانية وحدها ، بل سعى وراء تعميم هذا النظام شيئاً فشيئاً ، وشجع الولاة أيضاً على الأخذ بهذه النظام على أساس التعليم العسكرى الجديد . ويقدر معظم المؤرخين أن مجموع أفراد جيش النظام الجديد بلغ فى عهده ( ٦٠.٠٠٠ ) جندي . ويرى المؤرخ الأستاذ أتور ضياء كارال أن « النظام الجديد » : بمفهومه الضيق يعنى إنشاء جيش مدرب على النظام الأوربى . وأما بمفهومه الواسع فيعنى محاولة التخلص من الإنكشارية والحد من نفوذ العلماء وإجراء الإصلاحات فى العلوم والفنون والزراعة والتجارة على النظم الأوربية ، واقتباس حضارة الغرب التى تقدم بفضلها<sup>(١٣)</sup> .

كذلك وضع السلطان سليم نظاماً سماه « نظام السلطان سليم الثالث » ، ويبنى فيه الخطوات التى ينبغى إتباعها لإصلاح الجيش<sup>(١٤)</sup> .

ولكن أعداء النظام الجديد أخذوا يبتئون الفتن وينشرون الإشاعات ، فاضطر السلطان سليم إلى إصدار فرمان فى غرة ربيع الأول سنة ١٢١٩هـ / ١٨٠٥م يؤكد فى أغلب مواده أنه متمسك بالشريعة الإسلامية ، وأنه محب للعلم والصوفية ، وذلك ليقضى على الفتن ، ولينفى الشائعات التى نادت بأن النظام الجديد تشبه بنظم الكفرة ، ومن تشبه يقوم فهو منهم ، وقد بدأ السلطان فرمانه بأن دافع عن النظام الجديد ، ووصفه بأنه فكرة حسنة ، رغم قلة عدد جنوده ووعد بأن يزيد من عدده فى بعض مناطق البلقان مستقبلاً ، ثم أشار إلى أنه متمسك بتعاليم الشريعة الإسلامية ، وإلى أنه يأمر بقراءة الفقه الشريف فى المساجد كأجداده ، ثم أنه يطلب الدعوات الصالحة دوماً من المشايخ ومن المتصوفة ، وينعم على الفقراء لاستجلاب دعواتهم الطيبة<sup>(١٥)</sup> .

وقد عارض الانتكشارية ، ومن انضم إليهم من العلماء وطلبة العلم والمتصوفة النظام الجديد . واستفتوا شيخ الإسلام محمد عطا الله فى عدم جواز

الأخذ بأنظمة الدول الكافرة ، فأفتاهم بعدم جواز ذلك ، كما أفتاهم بجواز خلع السلطان سليم من الحكم بناءً على طلبهم . ولم يكتفوا بذلك بل عمدوا إلى إعدام السلطان سليم .

ومما ينبغي الإشارة إليه أن أعضاء الهيئة الإسلامية الحاكمة لم يفتوا جميعاً موقف المعارض من حركة الإصلاح العثماني ، سواء كان ذلك الإصلاح في النواحي العسكرية ، أو في النواحي الإدارية والثقافية ، فكان لديهم من الوعي الديني ما يجعلهم يؤيدون أى إصلاح لا يتعارض مع تعليم الشريعة الإسلامية السمحة ، إذا كان الدين الإسلامى لا يمنع من الأخذ بأسباب القوة والعزة والمنعة لمواجهة عدو الله وعدو المسلمين ، بل على العكس من ذلك ، فالإسلام حث المسلمين على الاستعداد ما استطاعوا لمواجهة عدو الله وعدوهم .

وكان أن اقتضت المعارضة على فئة قليلة من العلماء وشيوخ الإسلام وطلبة العلم ، أغلبهم من المتصوفة الذين غالوا في دينهم ، حتى خرجوا عنه ، وكفروا به ، ونسبوا إلى الدين ما ليس فيه ، وأعرضوا عن كثير مما فيه ، وتظاهروا بالزهد والتقوى حتى يجتمع الناس حولهم ، وهم في الحقيقة أبعد الناس عن الإسلام وتعاليمه ، يسعون في غير وعى لجمع المال من أى مكان وبأية طريقة، حتى ولو اضطروا إلى الإفتاء بغير ما أنزل الله ، أو الكذب على رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام . فكان لكثير من المتصوفة والدرائش - بمختلف طرقهم - دور كبير في أضعاف الخلافة العثمانية الإسلامية ، وإسقاطها في النهاية، كما لهم دور كبير أيضاً في نشر الجهل بين الناس ، ووضع الأحاديث المكنوبة على رسول الله ﷺ ، كي يؤيدوا فتاواهم وحججهم الكاذبة . ونشروا الخرافات ، والإشراك بالله مثل التعلق بالأولياء ، وزيارة قبورهم إلى درجة عبادة هذه القبور ، وهؤلاء الأولياء ، وأصبحوا يدعونهم من دون الله ، ويطلبون منهم قضاء حوائجهم ومطالبهم .

ومن المؤسف حقاً أن هذه الأمور الشريكة ، التى نشرها كثير من المتصوفة فى أنحاء الدولة العثمانية ، لا يزال كثير منها باق إلى اليوم فى كثير من البلاد التى حكمتها الدولة العثمانية ، فنرى ونسمع الآن فى كثير من البلاد الإسلامية ، رفع القبور وتزيينها وزخرفتها وزيارتها من قبل الرجال والنساء والطواف حولها ، وسؤال أهل القبور قضاء حوائجهم ، ورفع مظالمهم ، وشفاء مرضاهم . كذلك نرى تقديس بعض الصالحين إلى درجة لا يرقى إليها الأنبياء ، مثل إدعاء علم الغيب ، وبالمقابل نرى إصااق التهم والافتراءات بالأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وبالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

ومما هو جدير بالذكر والاهتمام والتركيز ، أن الفئة التى عارضت الإصلاح فى مختلف نواحيه أغلبهم من المتصوفة ، الذين شوهوا سمعة وسيرة أعضاء الهيئة الإسلامية الحاكمة فى الدولة العثمانية بانتسابهم إليها . وهم فى الحقيقة أبعد الناس عنها حتى أصبحنا نرى الكثير من المؤلفات - من المؤرخين والكتاب - تصف الهيئة الإسلامية بأنها العوبة فى أيدي السلاطين والقادة ، وأنهم كيفوا الدين حسب الرغبات والشهوات ، وأصدروا هذا الحكم المطلق على جميع أعضاء الهيئة الإسلامية دون تمييز ، ولم يحاولوا تتبع آراء ومعتقدات الفئة المعارضة ، وهذا أمر خاطئ ؛ فالتخصيص فى الحكم أولى من التعميم فى هذا المجال .

٢ - موقف العلماء والمفكرين من حركة الإصلاح فى عهد السلطان محمود

الثانى والسلطان عبد المجيد :

أهتم السلطان محمود الثانى ( ١٢٢٣ - ١٢٥٥هـ / ١٨٠٨ - ١٨٣٩م )

بأمر القضاء على الإنكشارية أشد الاهتمام ، حتى نجح فى التخلص منهم عام

١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م .

كذلك شرع السلطان محمود فى تنظيم الجيش الجديد وفق النظم الأوربية وساعده فى ذلك خليل باشا وزير الحربية ، الذى كان يردد على السلطان محمود قوله : « إن لم نتمثل بأوربا ، فأنا سنعود القهقرى إلى آسيا »<sup>(١٦)</sup> .

واستمر السلطان فى الاستعانة بالخبراء الأوربيين ، فى إنشاء المصانع الحربية ، والمدارس العسكرية ، وأهتم بزيادة عدد جنود الجيش الجديد ، وإلغاء استعمال الأسلحة القديمة والاستعانة بالأسلحة الأوربية الحديثة<sup>(١٧)</sup> . ويذكر الضابط الشهير جون مولتكه الذى اشترك فى تدريب الجيش العثمانى فى هذه الفترة ، أن الإصلاحات كانت ذات طابع شكلى محض<sup>(١٨)</sup> .

ولكن خان الحظ السلطان محمود الثانى ، فقد قضى على جيشه القديم قبل أن يكون جيشاً جديداً متكاملأ - كما يذكر ذلك بعض المؤرخين - وربما نلتمس له العذر فى ذلك ؛ فالإنكشارية كانت تثير القلاقل والفتن كلما أعد أى سلطان بعض الفرق على النظام العسكرى الجديد ، وكانت شرور الإنكشارية فى هذه الفترة قد بلغت مدى بعيداً .

وشرع السلطان محمود الثانى فى الإصلاح الإدارى والقضائى والتعليمى والزراعى والتجارى<sup>(١٩)</sup> ، ولكن حركة الإصلاح لم تكن تسير فى نفس المستوى الذى سار فيه الإصلاح الحربى . ومن هنا نتساءل عن فائدة وضع أحدث الأسلحة فى أيدي أفراد افتقدوا الروح المعنوية أو فهم أهداف الدولة ؟ كما نتساءل أيضاً عما يحققه جيش تم تدريبه وتسليحه وتنقيفه ، ولكن ظل يستند إلى جهاز إدارى بطيء التطور ؟

والذى لا شك فيه أن التطور الاجتماعى والثقافى والإدارى على يدى محمود الثانى لم يكن بالقدر الذى يضمن نجاح الإصلاح الحربى .

إن الدليل القاطع على ضعف إصلاحه الحربى ، هو اضطراره للاعتماد على روسيا . واعتماد السلطان على روسيا كان السبب المباشر للنفور الشديد من حركته

الإصلاحية بصفة عامة ، ومن الإصلاح الحربي على الأخص ، ومن ثم تضاعف  
يأس الناس وقتوهم .

ولا شك في أن محمود الثاني كان سيّ الحظ ، وأن إصلاحاته ظلت موضع  
شك كبير ، وأن ظروفًا كثيرة وقفت ضده ، ويمكن القول بأن هزيمة الجيش  
العثماني الجديد في معركة نصيبين سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م كان معناها الخاتمة  
المفجعة للإصلاح الحربي .

إن حركة الإصلاح لم تحدث نتيجة الاتصال بالغرب ، ولكن لمحاربة الغرب  
بنفس أسلحته ، وكان الوصول لمستوى الغرب الحربي ، يستلزم الوصول لمستواه  
الاقتصادي والعلمي والمالي ، وتحقيق هذا كله يستلزم مستوى الغرب في الوعي  
والإدارة .

ومن الأعمال التي قام بها محمود الثاني في إطار الإصلاح استعادة سيطرة  
الحكومة في الولايات . وقد صمم على أن تكون سلطته فعلية في جميع الولايات  
كما هو الحال في العاصمة ، فحارب أصحاب العصبيات ، وأصحاب الحقوق  
المكتسبة من المتنفذين ، وصمم على إخضاع العناصر المتمردة من الولاة وأرباب  
الاقطاعات ، وأخذ بسياسة تقوية قبضة الدولة على الولايات ، وإصلاح الحكم  
المركزي في العاصمة والولايات ، وبالرغم من الهزائم المتلاحقة التي حلت بالدولة  
في عهده ، سواء في حربه مع اليونان ، أم في حروبه الخاسرة مع تابعه القوى في  
مصر محمد علي الذي تمكن من احتلال بلاد الشام ، وفكر في الزحف على  
استانبول لخلعة ، فقد استطاع محمود إنهاء عهد المغامرين من أصحاب العصبيات ،  
وإنشاء الحكومة القوية في الولايات العربية التي تهيمن عليها العاصمة تماماً ،  
كولايات بلاد الشام ، بعد جلاء القوات المصرية عنها سنة ١٥٥٦هـ/١٨٤٠م ،  
وبغداد بعد عزل آخر الباشوات المماليك داود باشا حوالي ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م ،  
وطرابلس الغرب بعد عزل الأسرة القرمانلية في سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م .

أما فى مجال التعليم : فكان يوجد - حتى ذلك الوقت - مدرستان : الأولى المدرسة البحرية ، والثانية مدرسة الهندسة العسكرية ، اللتان أقيمتا فى سنة ١١٨٧ - ١٢٠٨ هـ / ١٧٧٣ - ١٧٩٣ م ، وفى عام ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م . وكان أن صدر فرمان يعلن أن التعليم الابتدائى للشعب هو مسئولية الدولة ، وكان هذا يعنى رفع يد الهيئة الإسلامية عن الإشراف على التعليم .

ومع ذلك فإن هذا القرار لم يكن له أى تأثير مباشر ؛ إذ استمرت المدارس الابتدائية تحت سلطة وإشراف شيخ الإسلام ، وظل مرسوم ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م عديم التأثير ، حتى ظهر الإصلاح فى المدارس الابتدائية ، وأقيمت مدارس جديدة ، وعين وزير للتعليم للمرة الأولى فى الدولة العثمانية . وكانت هذه المدارس تدعى « المدارس الرشدية » و مهمتها تقديم نموذج من التعليم المتقدم على مدارس «الصبيان» للتأهيل للدخول إلى مختلف مدارس الجيش والبحرية والطب ووظائف الدولة . وكان إنشاءها أصلا بغرض سد الفراغ الموجود فى مؤسسات التعليم العالى ومؤسسات التعليم الابتدائى . وفى عام ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م اتخذ السلطان خطوات ثورية ، بإرسال بعثات للدراسة فى مختلف بلدان العالم ، ويبدو أن السلطان كان يريد أن ينافس تابعه محمد على والى مصر ، الذى بدوره يرسل البعثات إلى فرنسا . وفى عام ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م أرسل محمود الثانى بعثة مكونة من ١٥٠ طالبا للدراسة فى المعاهد العسكرية والبحرية فى مختلف بلدان غرب أوروبا بالرغم من احتياجات الهيئات الدينية<sup>(٢٠)</sup> .

وفى عام ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م افتتح السلطان مدرسة الطب فى استانبول ، قبل شهر واحد فقط من افتتاح محمد على باشا لمدرسة الطب فى مستشفى أبو زعبل فى القاهرة . وكان الغرض من مستشفى استانبول تدريب الأطباء للعمل مع الجيش الجديد ، كما تم تدريب أطباء لمعالجة المدنيين فى المؤسسات العادية ، مثل القسم الطبى فى السليمانية ، وكانت مدرسة الطب تتضمن قسما إعداديا ، يعطى تعليما

علمانياً ابتدائياً وثانوياً لأول مرة في الدولة العثمانية . وفي عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م انتقلت المدرسة إلى غلطة سراي ، وكان التعليم يعطى بالتركية وبالفرنسية ، كما كان معظم الأساتذة من المدرسين الغربيين<sup>(٢١)</sup> .

وخلال الفترة ١٢٤٧ - ١٢٥٠ هـ / ١٨٣١ - ١٨٣٤م افتتحت مدرستان عسكريتان : الأولى كانت المدرسة الموسيقية ، ووظيفتها أن تقدم البواقين والطبالين للجيش الجديد ، وكانت المدرسة الأخرى التي افتتحت في عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م هي « مدرسة العلوم العسكرية » وهنا لعب الأجانب - وخاصة الفرنسيون - دوراً رئيسياً فيها ، وفي كلية الطب حيث كان يوجد فيها قسم تحضيرى للطلاب .

وفي عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م بدأ السلطان يخطط لإحداث مدارس ابتدائية وثانوية للأغراض المدنية ، ولكن التقدم كان بطيئاً في هذا المجال . فقد أنشأت مدرسة جديدة وهي « مدرسة التعليم القضائي » في مسجد السلطان أحمد . وما لبثت هذه المدرسة أن انقسمت إلى « مدرسة التعليم القضائي » و « مدرسة العلوم الأدبية » ، وانتقلت مدرسة العلوم الأدبية إلى جامع السلیمانيّة ، ووضعت تحت إشراف وزير التعليم الجديد . وظل برنامجها تقليدياً ، ولكنه تضمن تعليمياً بالفرنسية ومواد أخرى حديثة . وكان الهدف من إنشائها ، تدريب موظفي الحكومة والتراجمة . والواقع أن هذه المدارس قد مثلت رحيل السيطرة الدينية على التعليم . وتوجيهه توجيهاً علمانياً في مناهج الدراسة ، وأول خطوة في إقامة نظام في المدارس الابتدائية والثانوية والعليا على الطراز الأوربي .

وفي نفس العام افتتح السلطان محمود الثاني للمبنى الجديد لكلية الطب في غلطة سراي ، وخلال الافتتاح ، قال السلطان : « سوف تدرسون ( يقصد الطلبة ) علم الطب ... ليس هدفي من تعليمكم باللغة الفرنسية أن أعلمكم هذه اللغة بل لتعليمكم الطب . وتدرجياً حتى نستطيع تعلمه بلغتنا ... اعملوا على تحصيل المعارف الطبية من أساتنتكم ، وناضلوا بإطراد لتحصلوا عليها باللغة التركية



ونشرها بلغتنا»<sup>(٢٢)</sup> . ويلاحظ أن السلطان لفت الانتباه بشدة إلى دور اللغات الأوروبية ووقوفها عقبة في سبيل تقدم البلاد ونهضتها ، فقد كان عدد المسلمين العثمانيين الحاصلين على معرفة كافية باللغات الأوروبية لا يزال قليلاً جداً ، ومعظمهم قتلوا في منبجة عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م ، فالمدرسون والمرشدون ، وحتى الضباط الفنيين في الجيش كانوا أوروبيين ، وكانت مصطلحاتهم وإرشاداتهم وأوامرهم تمر في مراحل الترجمة ، ولفترة كان لابد من اللجوء إلى المترجمين النصاري . ولكن كانت هناك عدة عوائق تمنعهم من الاستمرار في المهنة ؛ ولذا فقد كانت هناك حاجة ملحة إلى مسلمين على معرفة باللغات الأوروبية ، ليعلموا وليدرسوا علوم الغرب ، وليترجموا الكتب الأجنبية إلى التركية ، وأيضاً لإيجاد معاجم بالتركية تحتوي على المرادفات العلمية والفنية للمصطلحات المستوردة من الغرب<sup>(٢٣)</sup> .

وفي هذا المجال لعب شخصان دورين هامين : الأول هو محمد عطا الله ، وعرف باسم شاني زاده ( ١١٨٣ - ١٢٤٢هـ / ١٧٦٩ - ١٨٢٦م ) ، تلقى تعليمه على يد أحد العلماء ، وكان يوصف بأنه « دائرة معارف » . وفي عام ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م طلب إليه السلطان إصدار كتاب في علم التشريح ، وجاء كتابه « مرآة الأبدان في تشريح أجزاء الإنسان » ليثير اهتماماً كبيراً في أوروبا ، إذ إنه احتوى على عدد كبير من الصور ، وكان نشر صور الجسم البشري يتناقض مع تقاليد العثمانيين المسلمين ، ولكن هذا الرجل تجاهل الانتقادات . وفي عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م عين مؤرخاً رسمياً للدولة ، إلا أنه نفى بعد القضاء على الانكشارية ، بسبب ما أشيع عن علاقته بجماعة البكتاشية ، ومع ذلك فلم يكن رجعياً ؛ وكان عمله الأساسي ترجمة الكتب الطبية الإيطالية والنمسية ، وقد الحق بها مقالات تفسيرية عن الفلسفة ، وترجمة نمساوية عن التلقيح<sup>(٢٤)</sup> .

وأما الشخص الثانى الذى عمل فى حقل العلوم الحديثة والمصطلحات الفنية فكان إسحاق أفندى ( ١١٨٨ - ١٢٥٠هـ / ١٧٧٤ - ١٨٣٤م ) ، وكان بلقانياً من أصل يهودى تحول إلى الإسلام ، وكان على معرفة باللغات الفرنسية ، اللاتينية ، العبرانية ، التركية ، الفارسية ، والعربية ، ولعل أعظم أعماله كانت أربعة مجلدات شاملة للرياضيات والفيزياء التى أعطت الطلاب العثمانيين لأول مرة بعض المعرفة عن هذه العلوم ، وكشأنى زاده كان عليه إيجاد مصطلحات باللغة التركية للعلوم الحديثة ، هذه المصطلحات جعلته مع شأنى زاده أعظم من أوجد مصطلحات فى الدولة العثمانية فى العصر الحديث<sup>(٢٥)</sup> .

أما موقف أعضاء الهيئة الإسلامية الحاكمة من معظم إصلاحات السلطان محمود الثانى - وفى مقدمتها القضاء على الانتكشارية - فقد كان موقف المؤيد . وترغم هذا التأييد الشيخ زاده عبد الوهاب ، ومحمد طاهر ، ومصطفى قاسم ، والملا محمد أسعد ، ومصطفى بهجت ، وغيرهم . وقام هؤلاء العلماء بنشر التوعية لخطوات محمود الثانى الإصلاحية بين أفراد الشعب<sup>(٢٦)</sup> .

وإلى جانب العلماء قام الكتاب المؤرخون الذين استخدمهم محمود الثانى لنشر الدعاية ، بإظهار الانتكشارية على أنهم مسلمون سيئون منتهكون للشريعة الإسلامية ، واتهموهم بتمزيق القرآن الكريم خلال ثورتهم . ولم يكتفوا بذلك ، بل اتهموا جماعة البكتاشية بشرب الخمر فى شهر رمضان المبارك وإهمال الصلاة ، ورفض الخلفاء باستثناء على ، ويبدو أن غرضهم كان لإثبات التهمة بأنهم شيعة ، واتهامهم بالتآمر على الدولة . وبعد أن قام الانتكشارية بالتمرد فى مدينة القدس عام ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م ، قام حليم أفندى وهو أستاذ فى الشريعة الإسلامية ، وعضو كبير فى الهيئة الإسلامية الحاكمة ، بمهاجمة الانتكشارية فى محاضرة له أمام كبار الموظفين فى استانبول<sup>(٢٧)</sup> . لذلك لم يظهر العلماء أية معارضة فى القضاء على الإنتكشارية ، بل أيدوا السلطان محمود الثانى بكل قوة ، كما أيدوه فى القضاء على الدراويش والطرق البكتاشية .

ومن الأعمال التي نفذها السلطان محمود الثاني وكان لها أثر كبير في الإدارة، حضور جلسات الديوان الهمايوني بانتظام بدلاً من إنابة الصدر الأعظم في الحضور ، كما قام بتحسين أوضاع الموظفين المدنيين ، ورفع مستواهم في التخصص والإخلاص ، وحول المركز السابق لأغا الإنكشارية - قرب مسجد السليمانية - إلى شيخ الإسلام ، الذي حصل للمرة الأولى على مكتب وإدارة ترتبط به ، وكان إعطاء شيخ الإسلام هذه الاختصاصات أول خطوة نحو إظهار العلماء كطبقة متميزة عن بقية أفراد المجتمع .

وكان معظم إصلاحات وتغييرات السلطان محمود الثاني - كما ذكرت ذلك من قبل - تحظى بدعم العلماء واهتماماتهم .

على أن السلطان محمود الثاني اشتط في محاكاة الغرب وتقليدهم إلى أبعد درجة ممكنة ، يتضح ذلك في مجموعة القوانين الصادرة عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م المتعلقة بالجيش ، إذ نصت بعض موادها على أن بدلات الجند يجب أن تتألف من سترة وسروال على الطراز الأوربي . وقبل عشرين عاماً من ذلك التاريخ حاول السلطان سليم الثالث إلباس جنوده اللباس الأوربي ، ولكن هذه المحاولة أدت إلى ثورة ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م ، ثم عزله ، ومنذ الفترة الأولى للتاريخ العثماني ، كان اللباس وما يوضع على الرأس هو الذي يحدد دين الرجل ومرتبته الاجتماعية . وكان للمسلمين لباس خاص بهم يميزهم عن أهل الذمة الذين منعوا من ارتداء مثله . ولذا ولم يكن من السهل إقناع عامة المسلمين والجند العثمانيين بارتداء البسة مشابهة للباس الكفار . وفي عام ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م عرض على السلطان نوع جديد من غطاء الرأس يسمى « الطربوش » ، وقد أمر الجند بلباسه بالرغم من المعارضة الشعبية له ، وقد خشي بعض العلماء إن هم رفضوا الاقتباس الجديد أن ينزل السلطان بهم ضربات جديدة . لذلك فإنهم لم يؤيدوا الابتكار الجديد فحسب ، بل أخذوا على عاتقهم تفسير شرعيته للشعب<sup>(٢٨)</sup> .

وفى عام ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م أمر السلطان العلماء بلبس الطربوش الأحمر ، الذى كان إلزاميا لجميع موظفى الحكومة والجند ، والذى ارتداه هو بنفسه ، وعندما عارض شيخ الإسلام محمد طاهر هذا الإجراء مصرا على أن يظل العلماء طبقية متميزة فى المجتمع العثمانى ، عزله السلطان ، ولكن الحرب مع روسيا عطلت إتمام هذا المشروع ، وبعد انتهاء الحرب فى عام ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م عاد محمود الثانى لتنفيذ مشاريعه وفى تلك المرة امتد إصلاح اللباس إلى المدنيين فصدر مرسوم مفصل ، يحدد الأزياء التى ترتدى لمختلف الموظفين وفى شتى المناسبات<sup>(٢٩)</sup> .

وفى نفس الوقت بدأت تظهر الكراسى والطاولات الأوربية ، إلى جانب الأريكة والوسادة . كما تبنى العثمانيون عادات أوربية أخرى ، فقد بدأ السلطان يستقبل الدبلوماسيين الأجانب حسب الأسلوب الأوربى بدلا من الطريقة العثمانية ، ويستقبل ضيوفه ويتحدث معهم ، وأبعد من ذلك أظهر السلطان محمود الثانى احتراما كبيرا للسيدات النصرانيات<sup>(٣٠)</sup> .

ومنذ عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م اعتاد السلطان محمود الثانى أن يرسل صوره إلى كل من شيخ الإسلام والعلماء وكبار موظفى الدولة والحكام الأجانب كتعبير عن عطفه واحترامه لهم . ومع ذلك ففى عام ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م عندما وضعت صور السلطان فى مختلف الثكنات ومكاتب الحكومة ، قام كثير من الناس - وخاصة العلماء - بالاعتراض ؛ بحجة أنها قد تعطى انطبعا للشعب بتقديس صاحبها ، لكن محمود الثانى لم يعبا بهذه الاعتراضات وسار قدما فى إدخال ما يراه مناسبا من الاقتباسات الغربية ، بل أمر أن تؤدى التحية لصوره كما تؤدى لشخصه ، وأمر بتوزيع نيشان افتخار على الذين ساعدوه فى حركة الاقتباس من الغرب . وهو الذى ابتدع نظام افتخار ، وقسمه إلى أربع طبقات : الأولى منها تتكون من ميدالية ذهبية عليها كلمتا نيشان افتخار ، وأمر بعمل شارات مميزة لكبار الموظفين ، وألغى كثيرا من التقاليد والاحتفالات العثمانية المتعارف عليها ، واكتفى بالنظم الأوربية الحديثة متناسيا تاريخ دولته الطويل<sup>(٣١)</sup> .

تولى السلطان عبد المجيد الأول الحكم فى الفترة ( ١٢٥٥ - ١٢٧٨هـ/١٨٣٩ - ١٨٦١م ) ، وسار على نهج السلطان محمود الثانى فى الإصلاحات وكان زعماء رجال الإصلاح فى عهده ، مصطفى رشيد باشا ، ومحمد أمين عالى باشا ، وفؤاد باشا .

واستهل عبد المجيد حكمه ، بإصدار مرسوم كلخانة سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م ، وقرئ فى حفل رسمى كبير فى قصر « كلخانة » ، ولذلك عرف بهذا الاسم ، وقرأه فى ميدان كلخانه علناً مصطفى رشيد باشا فى يوم ٢٦ شعبان ١٢٥٥هـ/٣ نوفمبر ١٨٣٩م فى حضور السلطان عبد المجيد والوزراء والعلماء وكبار موظفى الدولة ، وبطريقى الأرمن والروم ، وحاخام اليهود ، والسفراء الأجانب ، وجمهور كبير من الناس<sup>(٣٢)</sup> .

المرسوم المذكور باسمه الأصلى التركى « كلخانه خط همايونى » أو «كلخانه خط شريفى» ، وقد أعد نصه مصطفى رشيد بتكليف من السلطان عبد المجيد بعد عرضه عليه ، وجمع صبح يوم الإعلان مجلس الوزراء بغرض إعطائه صورة رسمية قانونية ، وأصدر قراراً رسمياً ، يقر بأن عهد التنظيمات يبدأ اعتباراً من إعلان الخط همايونى ، فقرأه على الحضور والسلطان بينهم يستمع من مقصورته.

ويتضمن الخط المذكور ست نقاط أساسية : تتضمن احترام تعاليم الدين الإسلامى الحنيف ، والمحافظة على حقوق الناس ، وأعراضهم ، وأموالهم ، وتأسيس جيش قوى للدفاع عن الدولة ، تكون مرتباته من الضرائب التى تفرض بالتساوى على الناس كل حسب دخله ، ونص فرمان على مسألة التجنيد وتوزيعه على الولايات بنسب متساوية<sup>(٣٣)</sup> .

على أن المأخذ الكبير الذى يؤخذ على فرمان كلخانه ، هو المساواة بين المسلمين والنصارى واليهود فى الحقوق على الدولة ، وليس فى الواجبات الملقاه على عواتقهم ، مما جعل غير المسلمين يتمتعون بامتيازات أكبر من المسلمين فى

الوظائف الكبرى فى الدولة ، والإعفاء من التجنيد والضرائب ، وهذا يدل دلالة واضحة على مدى النفوذ الأوروبى فى الدولة العثمانية ، وقد بلغ هذا النفوذ قمته فى مرسوم التنظيمات الخيرية الذى أصدره السلطان عبد المجيد فى سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م<sup>(٣٤)</sup> .

وبعد أن انتهت حرب القرم التى وقعت اتفاقية الصلح فيها فى ٢٣ جمادى الأولى ١٢٧٢هـ / ٣٠ مارس ١٨٥٦م فى باريس ، أصدر السلطان عبد المجيد فرمان الإصلاح فى ١١ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٢هـ / ١٨ فبراير ١٨٥٦م ؛ وذلك بسبب إلحاح الدول الأوربية عليه لإصلاح أحوال رعاياها من النصارى ، ولا يختلف فحوى هذا فرمان كثيرا عن فرمان السابق شرحه ؛ فقد التزم السلطان بتنفيذ المبادئ التى أعلن عنها فى مرسوم كلخانه ، غير أن هذه المبادئ التى أعلن عنها فى مرسوم التنظيمات لم تطبق بحذائيرها ، فبقيت التفرقة بين المسلمين والنصارى ، وكان ذلك فى الخدمة العسكرية ، والوظائف الإدارية ، والقضائية التى كانت لا تزال مقصورة على المسلمين ، وهذا ما جعل الطوائف النصرانية التى تعتبرها الدولة العثمانية من رعاياها ، تزيد من ارتباطها بالدول الأجنبية التى حصلت على حق حمايتها فى العهود السابقة ، والتى تقدم لها العون من آن لآخر ، فى صورة إنشاء مدارس تنشر لغاتها وثقافتها ، ومستشفيات ، وكنائس وأديرة ، ونواد ، وإرساليات تنصيرية ، وجمعيات سرية خيرية فى ظاهرها<sup>(٣٥)</sup> .

ونتج عن ذلك زرع الفرقة بين أبناء الوطن الواحد ، ولم تفلح التنظيمات فى تحقيق الأهداف التى وضعت من أجلها ، ويرجع ذلك إلى النظام السياسى الذى قامت عليه الدولة العثمانية ، وهو نظام دكتاتورى وعسكرى فى آن واحد ، أى أن الطبقة الحاكمة كانت ممثلة فى شخص السلطان ، وهو صاحب السلطة الأولى فى الدولة ، وفى الجيش القابض على زمام الأمور فى البلاد ، فكل ما يتعارض مع مصلحة أى من هذين الطرفين لا يتم تنفيذه ويموت فى مهده .

ويذكر بعض المؤرخين أن أجهزة الحكم والإدارة العثمانية لم تتأقلم مع التنظيمات الجديدة ، رغم ما بذله الإصلاح في الدولة من إخلاص ، ومرد ذلك إلى مئات من الأعوام التي ظل فيها جهاز الحكم جامداً متمسكاً بالأنظمة القديمة فليس من السهولة بمكان أن تغير تلك الأنظمة في الحكم والإدارة ففى بضع سنين ، ويلخص الدكتور عبد العزيز عوض عوائق الإصلاح فى عاملين : عامل داخلى : ويتمثل فى تمسك العناصر المحافظة فى الدولة العثمانية بالأنظمة السابقة ، والمصاعب المالية التى حالت دون التوسع فى المشاريع الإصلاحية ، كما تمثل بعدم رغبة بعض السلاطين فى السير بالإصلاح إلى غايته الطبيعية فى إقرار العلاقة بين الدولة ورعاياها على أساس جديد ، قوامه اشتراك الشعب وهيمنته على أمور الدولة . أما العامل الخارجى : فهو استمرار ثورات الشعوب النصرانية فى البلقان ، وبعض الأقاليم الأخرى ، واستمرار الضغط الأجنبى الأوربى على الدولة وولاتها ، الأمر الذى صرفها عن التفكير فى الأمور الإصلاحية إلى الدفاع عن ولاياتها المهددة بالاحتلال الأجنبى<sup>(٣٦)</sup> .

ولم يكن لأعضاء الهيئة الإسلامية الحاكمة مواقف معارضة تذكر ، بسبب انضمام بعض الأعضاء إلى السلاطين ومجاراتهم ، إما خوفاً من بطشهم ، وإما لاقتناعهم بالتغييرات الجديدة .

على أن هذا لا يعنى عدم وجود أية معارضة من قبل العلماء وطلبة العلم لتصرفات بعض السلاطين المسائرة للدول الأجنبية ، إلا أن هذه المعارضة ضلعت وخبت أثناء الحروب الطويلة والمريرة التى خاضتها الدولة العثمانية مع دول أوربا النصرانية .

٣ - موقف أعضاء الهيئة الإسلامية من حركة الإصلاح في عهد السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحميد الثاني :

أصدر السلطان عبد العزيز ( ١٢٧٨ - ١٢٩٣هـ / ١٨٦١ - ١٨٧٦م ) في السابع من جمادى الأولى ١٢٨١هـ / الثامن من نوفمبر سنة ١٨٦٤م قانوناً خاصاً بالولايات لإحكام السيطرة عليها ، وإشراك المواطنين في تدبير مصالحهم العامة والتخفيف من حدة الحكم المطلق ، الذي نشأ من الإدارة المركزية ، وقد كان هذا القانون مقتبساً من النظم الإدارية الفرنسية<sup>(٣٧)</sup> .

وقد اشترك في وضع هذا القانون « كجه جى زاده محمد » و « فؤاد باشا » و « مدحت باشا » ، وقام الأخير بتطبيقه في ولاية الطونة ، عندما أسند إليه حكمها سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م . وحقق نتائج مثمرة تستحق الإشادة بها .

وقد عمل هذا النظام على إصلاح أحوال الولايات من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وتأکید خضوعها للحكومة المركزية في استانبول ، ومن أهم أهدافه العمل على تقدم البلاد وإعمارها ، وإسعاد الأهالي وإصلاح شأنهم واشتراكهم في إدارة أمور البلاد بالتعاون مع السلطات الحاكمة ، بالإضافة إلى ضبط الواردات والمصروفات ، وكذلك ربط الإدارة الفرعية في الولاية بمقر الوالي ، وربط ولايات الدولة العثمانية بالحكومة المركزية في استانبول<sup>(٣٨)</sup> .

أنشئ نظام الحكم في ولاية الطونة عام ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م لأول مرة ، وعلى نجاح تجربته ، وتعميماً لتطبيقه على الدولة العثمانية ، فقد قسمت الدولة من الناحية الإدارية - بعده بسنة - إلى سبع وعشرين ولاية ، ثم نشر عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م ( نظام الحكم العام لإدارة الولايات )<sup>(٣٩)</sup> .

وصيغ هذا النظام في ثمان وسبعين مادة ، ومادة مخصصة<sup>(٤٠)</sup> مقسمة على أبواب وفصول ، ويرأس الولاية « الوالي » ، وهو خاضع مباشرة للباب العالي ، وقسمت الولاية إلى صناجق ، ( أى ألوية ) ، ويحكم الصنjq متصرف ، وقسم كل صnjq إلى أقضية ( جمع قضاء ) ، ويحكم القضاء قائمقام ، ويعتبر نائباً عن المتصرف ، كما قسم كل قضاء إلى مديريات ، ويحكم المديرية مدير<sup>(٤١)</sup> .



وفي ٢٩ شوال سنة ١٢٨٧هـ / ١٨٧٢م صدر « نظم إدارة الولايات العمومية » ، وجاء في (١٢٩) مادة وتسع وعشرين مادة ، ومادة مخصصة ، ولكن عدل هذا النظام بموجب المادة « ١٠٨ » من القانون الأساسي الذي أعلن علم ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م ، ويهدف هذا القانون إلى تعيين وظائف المأمورين<sup>(٤٧)</sup> ، ومجالس الإدارات والبلديات وإدارة النواحي .

وهكذا فإن هذا النظام الذي ربط ولايات الدولة العثمانية بالحكومة المركزية في أستانبول ، قد أفرط في المركزية وغالى فيها كثيراً ؛ حيث قيد الجهاز الإداري في الولاية بتعليمات الدولة العثمانية ، وأوامرها حتى في أمته الأمور وأقلها شأنًا ، لا سيما وأن تعليمات الدولة تستغرق وقتاً طويلاً حتى تصل إلى والي ؛ بسبب تأخر وسائل المواصلات ، إن هذا القانون في الواقع لم يأت بجديد في مجال التقسيم الإداري للولاية ، وإنما هو مجرد تغيير في تقسيم الولايات ، فضمت ولايات أخرى وشكلت ولايات جديدة .

وقد وضع قانون الولايات كرد فعل لضعف الدولة العثمانية ، وخشية السلطة المركزية من خروج الولايات عن طاعتها ، ولذا جاء مشدداً لقيضة للدولة عليها .

إلا أن أحوال الدولة العثمانية ساءت في عهد السلطان عبد العزيز إلى درجة كبيرة ، واضطربت شئونها الاجتماعية أسوأ اضطراب ، وعانى الشعب أشد المعاناة من سوء سيرة الولاة ، الذين كانوا يجبون الضرائب بالسوط دون رحمة أو هوادة ، وتراكت الديون على الدولة العثمانية ، فارتفعت من خمس وعشرين مليون ليرة إنجليزية في عهد السلطان عبد المجيد إلى مائتين وخمسين مليون ليرة في عهد السلطان عبد العزيز ، بسبب إسراف الأخير في الإتفاق على البذخ والملذات والاحتفالات والمعارض ، في الوقت الذي لم يكن يصرف فيه على الجيش والأسطول وبقية مرافق الدولة سوى ٧% من مجموعها الضخم واستقرت أوضاع الدولة العثمانية تسير من سيئ إلى أسوأ حتى كان عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م

حيث أعلنت الدولة العثمانية عجزها عن سداد الديون المتركمة عليها مما أدى إلى إنشاء دائرة الديون العمومية تحت مراقبة هيئة دولية ، وما ترتب على إنشائها من إطلاق أيدي الأجانب في شئون البلاد<sup>(٤٣)</sup> . لهذا السبب ، ولأسباب أخرى دعا شيخ الإسلام الشيخ حسن خير الله أفندي العلماء والوزراء والقادة العسكريين ، وقرروا خلع السلطان عبد العزيز من الحكم .

ويمكن تقسيم اتجاه حركة الإصلاح في القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى إلى ثلاثة أقسام هي :

### القسم الأول : اتجاه الانغماس في الغرب :

رأى أصحاب هذا الاتجاه أن الحل الأمثل لإصلاح أوضاع الدولة العثمانية المتدهورة ، إنشاء حكومة حديثة على نمط الحكومات الأوروبية واقتباس النظم والأساليب في الحكم ، والإدارة ، والثقافة والاجتماع إلى الحد الذى يحقق إنشاء هذه الحكومة الحديثة ، دون النظر لماضى الدولة العثمانية المسلمة وما كانت عليه<sup>(٤٤)</sup> .

وكان من أشهر المنادين بهذا الاتجاه فى الدولة العثمانية فؤاد باشا<sup>(٤٥)</sup> (١٢٣١ - ١٢٨٦ هـ / ١٨١٥ - ١٨٦٩ م) الذى تولى الصدارة العظمى فى عهد السلطان عبد العزيز عم السلطان عبد الحميد الثانى ، وهو من الجيل الذى أعده الوزير رشيد باشا<sup>(٤٦)</sup> ليتولى دفع عجلة الاقتباس من الغرب فى الدولة العثمانية .

تبنى فؤاد باشا فكرة الإصلاح على الأسس الغربية ، واستبعد المفاهيم الإسلامية التى قامت عليها الدولة العثمانية كوسيلة للإصلاح ، مؤكدا : « ما كان صالحا للدولة فى عصورها الماضية لم يعد صالحا لحالتها الحاضرة » .

ويرى فؤاد باشا أن الدولة العثمانية محكوم عليها بالموت لا محالة ، إن لم تتمثل خطى التطور الغربى ، فتكون مألقتها على غرار مالية إنجلترا ، ومعارفها كمعارف فرنسا ، ونظمها العسكرية مقتبسة من روسيا<sup>(٤٧)</sup> .

وقد أسرف فؤاد باشا فى ثقته بصداقة كل من إنجلترا وفرنسا ، وأهمية هذه الصداقة فى حل مشكلات الدولة العثمانية ، حتى إنه فضل أن تخسر الدولة أى جزء من أراضيتها على أن لا تخسر صداقة إنجلترا حيث يقول : « إنه خير لنا أن نخسر عدة ولايات من أن نرى إنجلترا مهمة إيانا ومعرضة عن صداقتنا »<sup>(٤٨)</sup> . ويقول فؤاد باشا عن فرنسا : « إن أفضل طريقة للمحافظة على صداقة هذه الأمة الفرنسية ، هى مجاراتها فى أفكارها وعمل ما يقع موقع القبول والرضا فى عينها »<sup>(٤٩)</sup> .

### القسم الثانى : الاتجاه التوفيقى فى الإصلاح :

نادى أصحاب هذا الاتجاه بفكرة التدرج فى الأخذ عن الغرب ، فى مجال الإدارة والسياسة والثقافة والفكر ، وكل ما جاءت به الثورة الفرنسية ، أو نادى به مفكروها من حقوق سياسية واجتماعية للأفراد والجماعات .

وقد أكد أصحاب هذا الاتجاه ، أن ما ينادون باقتباسه عن الغرب من نظم ديمقراطية ، أو فى مجال حرية الأفراد والجماعات ليس غريباً عن مفاهيم المجتمع الإسلامى ، ولا عن ثقافته ، بل إن له فى الشريعة الإسلامية ، وتقاليد نظام الحكم فى الإسلام سنداً أساساً ، فالنظام البرلمانى الديمقراطى فى بريطانيا وفرنسا هو نفسه نظام الشورى فى الإسلام ، وهكذا ..<sup>(٥٠)</sup> .

وكان من بين الداعين إلى هذا الاتجاه المفكر العثمانى ضياء باشا ( ١٢٤١ - ١٢٩٨هـ / ١٨٢٥ - ١٨٨٠م ) وهو من الشعراء والأدباء الأتراك البارزين فى عهد التنظيمات العثمانية وما بعدها ، عمل وهو فى السابعة عشرة من عمره موظفاً فى أمانة الصدارة العظمى ، وفى عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م ، عينه رشيد باشا فى الأمانة العامة للقصر السلطانى ، وعين متصرفاً على قبرص ، وقد كان عضواً بارزاً فى جمعية تركيا الفتاة ( العثمانيون الجدد ) ، وفى عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م هرب إلى أوروبا ، وقام بترجمة بعض الكتب من الفرنسية إلى التركية ، ثم عاد إلى

استانبول في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، واشترك في صياغة مشروع القانون الأساسي ( الدستور ) (٥١) .

عبر ضياء باشا عن آرائه وأفكاره الإصلاحية من خلال رسالة له أسماها (رؤيا) كتبها أثناء إقامته في لندن ، وكان خلالها يحاور السلطان عبد العزيز حول ما يجب أن تكون عليه الدولة من نظام ديمقراطي ، مطالباً بتشكيل جمعية وطنية ونظام دستوري ، مؤكداً أن هذا هو عين نظام الشورى الذي أقره الإسلام ونادى به (٥٢)، وطالب بإيجاد تقارب إسلامي نصراني من خلال مجلس مبعوثان منتخب (٥٣).

وقد سافر ضياء باشا في هذا المنهج التوفيقى نامق كمال ( ١٢٥٦ - ١٣٠٦هـ/ ١٨٤٠م - ١٨٨٨م ) الملقب بشاعر الحرية وعضو جمعية تركيا الفتاة . عين عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م في قلم الترجمة ، وكتب في جريدة ( تصوير أفكار ) التى كان يصدرها الكاتب التركى « شناسى » ثم تولى إدارة الجريدة بعد سفر صاحبها إلى أوروبا ، حيث اشترك في إدارة جريدة ( حريت ) في لندن عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م إلى أن سمح له بالعودة إلى استانبول ، فأصدر مسرحية « الوطن » التى أثارت عليه نقمة السلطان عبد الحميد الثانى ، باعتبار أن مفهوم الوطن بالشكل الذى عرضه نامق كمال في مسرحيته ، والذي يعنى أرضاً معينة لأمة معينة كان غريباً عن مفهوم العثمانيين الذين لا يعرفون سوى دار الإسلام وطناً لهم ، ودار الحرب وطناً لأعدائهم . فرأى السلطان أن فى هذا المفهوم الجديد خطورة كبيرة على وحدة الدولة العثمانية المكونة من العديد من الأقوام والجنسيات (٥٤) .

نادى نامق كمال بتطبيق أساليب ونظم الحياة الغربية فى الدولة العثمانية وركز على ضرورة تبنى الحكم النيابى على النمط الأوروبى ، مؤكداً أن الحكم الإسلامى فى بداية أمره كان ، يشترك فى تشكيله ممثلو الأمة ( أهل الحل والعقد ) ، فالشورى إذن كما يقول : « ليست بدعة إذ إنها مقرة فى أصول ديننا » (٥٥) .

وعلى الرغم من ليبرالية نامق كمال فإنه ظل مخلصاً للمبادئ والأفكار الإسلامية ، داعياً إلى أن تستمر الدولة العثمانية في تمسكها بقوانينها ومعتقداتها التي تشكل أساس حضارتها ، إلى جانب ما تكتسبه من نظم وأساليب غربية ، هذا وقد انتقد رجال التنظيمات ، لتطرفهم في الدعوة إلى صبغ مؤسسات الدولة بصبغة غربية كاملة ، وفشلهم في حماية وتأمين التراث الإسلامي<sup>(٥٦)</sup> .

دعا نامق كمال إلى اتحاد العثمانيين واتفاق المسلمين ، ودعم فكرة الجامعة الإسلامية ؛ باعتبارها وسيلة هامة لحل مشكلات الدولة العثمانية والمسلمين كافة ، كما أبرز دور الدولة العثمانية في سياسة الجامعة الإسلامية والعوامل التي هيأتها لهذا الدور ، فهي موطن الخلافة الإسلامية ، وذات موقع جغرافي يبين العالمين الغربي والشرقي ، ومستودع الإمكانات المادية والبشرية<sup>(٥٧)</sup> .

### القسم الثالث : اتجاه الأصالة الإسلامية :

رأى أصحاب هذا الاتجاه أن تستلهم الدولة وسيلة إصلاحها من تراثها الإسلامي ، ونظمها العثمانية الشرقية إبان عصور قوتها وازدهارها ورأى هذا الفريق من العلماء والمفكرين والسياسيين ، أن فساد الأنظمة العثمانية ، وما نتج عنها من تدهور في كافة نواحي حياة الدولة ، لا يرجع إلى علة في النظم نفسها ، وإنما إلى سوء تطبيقها وبداية التراجع عنه ، وأنه إذا أحسن التطبيق صلحت أحوال الدولة<sup>(٥٨)</sup> .

وقد رأى دعاة الجامعة الإسلامية في استانبول ، والمنادون بمبدأ الأصالة العثمانية ، أن الدولة خدعت ، إذا أقبلت على مدينة الغرب وانسلخت عن شوقيته ؛ مما أفضى بها إلى التقهقر والانحزام ، ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه ، أن الدولة العثمانية بدأت كحكومة شرقية إسلامية قوية ، وانتهت بفعل التنظيمات إلى حكومة غربية ضعيفة ، وينظر أصحاب الأصالة العثمانية إلى هذه التنظيمات ، وما تلاها من إصلاحات ، على أنها خديعة من جانب الدولة الأوربية ، عملت من

خلالها على تجريد الدولة العثمانية من عناصر قوتها الحقيقية المتمثلة بقوانينها الإسلامية ، وإحلال القوانين الغربية محلها وبصورة تدريجية ، حتى أفضى بها الأمر إلى أن سلخت الدولة العثمانية كلياً عن إسلامها ، وفقدت هويتها المتميزة ، وخلعت عنها رداء السلطنة العثمانية ، ثم الخلافة الإسلامية ، وأعلنت عن هويتها العلمانية . وقد بنى هذا الاتجاه موقفهم فى معاداتهم للاقتباس من الغرب ، على أساس أن الدولة العثمانية بجغرافيتها وتاريخها وتركيبية شعبها ، تختلف كل الاختلاف عن تاريخ أوربا وطبيعتها الجغرافية والبشرية ، وأن الدولة العثمانية يجب أن يصاغ لها من الأنظمة والقوانين ما يتناسب مع طبيعتها الشرقية الإسلامية التى تختلف كل الاختلاف عن العالم الغربى<sup>(٥٩)</sup> .

وكان على رأس أصحاب هذا الاتجاه المفكر العثماني أحمد جودت ، وهو من كبار علماء الأتراك وعظماء رجال السياسة ، وهو من أسرة عرفت بالجلادة ، أصلها من قرق كليسا ، ثم استوطنت لوفجه ( جنوب بلقنا ) منذ أوائل القرن الثامن عشر الميلادى ، وحارب أحد أجداده بطرس الأكبر ، واشتغل أحد أجداده بالإفتاء ، وقد حج أبوه وجده إلى مكة ، وولد أحمد جودت عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م ، وتعلم مبادئ العلوم الإسلامية فى مسقط رأسه ، ولكن سرعان ما اجتذبت استانبول التى كانت مركز النشاط العقلى عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م ، ودأب على الدرس وشغف بعلم الكلام والفلسفة والأدب الغربى والرياضيات وطبقات الأرض ، كما حنق الفارسية ، وحصل بعد ذلك بمدة قصيرة على إجازة مكنته من القيام بالتدريس فى أحد مساجد العاصمة العثمانية ، وما أن أتم شرح ديوان صائب ، حتى استطاع أن يدخل فى سلك التدريس بمصلحة المعارف ، كما استطاع أن ينال منصب ناظر جامعة المدارس المتوسطة .

واشترك فى البعثة المشهورة إلى بخارست عام ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م ، وبعد عودته كتب هو وفؤاد باشا أساس النحو فى اللغة التركية ، وترجمها إلى الألمانية عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م ، وصحب فؤادا فى رحلة قصيرة إلى مصر ، وفى عام

١٢٧٠هـ/١٨٥٣م - أى خلال حرب القرم - كلفه السلطان عبد المجيد كتابة تاريخ عام للأتراك من صلح كوجك فينارجه إلى إيادة الإنكشارية عام ١٨٢٦م، واستطاع أن يقدم للسلطان فى العام التالى المجلدات الثلاثة الأولى ، فكافأه السلطان بتعيينه مؤرخاً للدولة ، كما كافأه على مصنفه الثانى « المعاملات الإسلامية » الذى ظهر بعد ذلك بعامين بعنوان « النص الثابت » ، والذى قوبل عند ظهوره بالإعجاب الشديد . وعين عضواً فى هيئة العلماء التى كانت تقوم فى ذلك الوقت بتتقيح القانون المدنى ، كما أقامه ناظراً على لجنة الأملاك ، ولازمه التوفيق فأخذ يتدرج فى المناصب العالية ، نخص بالذكر منها منصب الوزارة الذى ضحى من أجله بلقب مؤرخ الدولة عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م ، ومنصب رئيس المجلس الذى كانت وظيفته تتقيح القانون المدنى عام ١٢٨٤هـ ، ذلك المجلس الذى ازداد نشاطه بتولييه رياسته . وقد ولى حكم حلب وبروسة ومرعش وبيانيه على التعاقب ، وأصبح بعد ذلك والياً على الشام مرتين ، ثم ناظراً للمعارف ثلاث مرات ، ثم ناظراً للحقانية مرتين ، والداخلية والتجارة مرة ، ثم وكيلاً للمجلس المخصوص . وخير عمل قام به كان أثناء نظارته للمعارف إذ أدخل الروح العصرية فى المدارس<sup>(٦٠)</sup> .

وبعد أن اعتزل مناصب الحكومة ، قضى بقية حياته الطويلة موفور الصحة والنشاط شغوفاً بالقراءة ، التى كان يقضى فيها جل وقته ، ودلتنا مؤلفات أبنائه وبناته على أنه كان أباً رحيماً ، وقضى نحبه بعد مرض لم يمهل طويلاً فى بيته الريفى فى بيك على شاطئ البسفور ليلة الخامس والعشرين من مايو سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م .

وإلى جانب مصنفه القواعد العثمانية الذى ظل ينشر كاملاً وملخصاً فى طبعات منقحة ، مصنفان لغويان آخران هما « معيار سداد » و « آداب سداد » ، وهما مقدمتان فى الأسلوب الأدبى ، وكان يجيد اللغة العربية والفارسية قراءة وكتابة كاللغة التركية ، وقد بقى القليل من أشعارها ، وهى تمتاز بالبساطة وإن كانت أقرب إلى الصناعة منها إلى الشاعرية على الرغم من خلوها من الأخطاء .



وقد تم طبعه أثناء نظارته الثانية للحقانية (١٢٩٣ - ١٢٩٤هـ/١٨٧٦ - ١٨٧٧م) أكبر عمل قضائي في عصره وهو القانون المدني التركي ، واشتهر أحمد جودت بصفة خاصة بالتأريخ ، ففي أواخر عهد السلطان عبد العزيز وعندما لهجت الأقواء جميعاً بالثناء عليه اتحف أحمد جودت الشعب العثماني بألمع درة في عالم المصنفات الشرقية ، ألا وهي « قصص الأنبياء وتاريخ الخلفاء » ، وهو مصنف ختمه بمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ولكن المصنف الذى خلد اسمه في عالم التأليف ، وهو كتابه في تاريخ تركيا المسمى « وقائع الدولة العلية » الذى تناول فيه الحوادث من عام ١١٨٨ - ١٢٤١هـ/١٧٧٤ - ١٨٢٥م ، ويقع في اثني عشر مجلداً ، طبعت الطبعة الأولى منه في القسطنطينية عام ١٢٧١ - ١٣٠١ هـ ، وتكرر طبعه فيما بعد ، كما ظهرت الطبعة الأخيرة منقحة تنقيحاً سياسياً ، ولم يعتمد أحمد جودت في تاريخه هذا على الوثائق الرسمية فحسب ، بل اعتمد كذلك على مؤرخى الدولة أمثال واصف وأنورى وأديب ونورى وبرتو وعاصم وشان زاده ، كما اعتمد في بعض المناسبات على المؤرخ العربى الكبير عبد الرحمن الجبرتي وغيره<sup>(٦١)</sup> .

وبالرغم من أنه كان يكتب في عصر سيطرت فيه فرنسا على نصف القارة الأوربية ، فإنه لم يرجع إلى أى مصدر فرنسى سوى مذكرات نابليون ، وكان أحمد جودت مستقلاً في الرأي إلى حد أن سرده للحوادث كان يتسم بطابع عبقريته الفذة وعقله الناضج ، وأثناء حكم عبد المجيد وعبد العزيز تمكن أحمد من الرجوع إلى المحفوظات الرسمية ، كما نستطيع القول بأنه رتب الحوادث ترتيباً زمنياً ، وأنه مزج الحروب والأحداث الداخلية في مهارة فائقة استطاع بها أن يحافظ على هذا الترتيب الزمني ، وسار في المجلدات الخمسة الأوائل على طريقة المؤرخين القدماء فكان أسلوبه خطائياً فخماً ، ثم تنحى عن هذا الأسلوب فجاء في أوائل المجلد السادس فتوحى البساطة التى بدأ الكتاب يتوخونها في هذا العصر<sup>(٦٢)</sup> .



وكان أحمد جودت باشا مقتنعاً تمام الاقتناع بفائدة دراسة التاريخ فى التربية ، فهو يحذر مواطنيه دائماً من فساد الإدارة عند الشرقيين ، كما كان يوجه اهتمامه إلى عهود التقدم مهما تضاعلت ، يستعرضها فى إيجاز بليغ ويجعل منها وسيلة لإتهاض وطنه ، يظهر هذا بصفة خاصة فى أفكاره القيمة التى وردت كثيراً فى المجلدات الخمسة الأولى ، ولعل أكثر ما كان يضجره هذا الانتقال الفجائى من الركود التام إلى النشاط العجيب ، الذى كان يتمثل جلياً فى القرون الماضية ، وليس هناك شخص تأخذه الحماسة لانتصارات العلم أكثر من أحمد جودت باشا ، كما أنه يفيض وطنية عندما يشيد بما قامت به الدولة العثمانية من الفتوحات التى أفادت بها الحضارة ، كالفصل بين السلطات الحربية والمدنية الذى تم فى القرن التاسع عشر الميلادى ، وتركيز الإدارة وإصلاح العملة ، أما فى ميدان السياسة الخارجية فلم يكن هناك شئ أحب إلى نفسه سوى أن يرى الدولة العثمانية تتحالف مع النمسا على روسيا؛ لأن هاتين الدولتين - وكلتاهما من الجنس الذى تترج فيه الدماء الصقلية بغيرها - ليس أمامهما سوى الاتفاق بدل التناوب إذا أرادت أن توجه طغيان فكرة الجامعة الصقلية<sup>(٦٣)</sup> .

ونذكر كذلك من مصنفات أحمد جودت باشا بصفة خاصة :بيان العنوان ، ومعلومات نافعة ، وتقويم الأدوار ، ثم إتمامه لترجمة ابن خلدون إلى التركية<sup>(٦٤)</sup> .

وقد فهم أحمد جودت الإسلام ، على أنه نظام حيوى شامل ينظم حياة الأفراد والجماعات والدول ، وأن الحاكم المسلم يجب أن يجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية ، وأكد أحمد جودت أن الدين الإسلامى هو سر وحدة المسلمين ومصدر قوتهم ، وما تسرب الضعف إلى جسم الأمة الإسلامية إلا حين أخذت تستبدل الوطنية والقومية بدلاً من الفكرة الإسلامية .

وأكد أحمد جودت أن العثمانيين مدينون أكثر من غيرهم للإسلام باعتباره البوابة التى دخلوا منها التاريخ ، فهو أساس دولتهم وحضارتهم ، وإليه يرجع كل ما يفخر به العثمانيون ، ومن هذا المنطلق يقارن جودت باشا بين الأمة العثمانية

الشرقية ، وأمم الغرب النصرانية . ففي أوروبا أنشئت الدول على أساس قومي ، وحلت عندهم الفكرة الوطنية محل الدين . ونمت دولهم الحديثة على هذا الأساس المادى الصرف ، والفكر الضيق المحدود ، الذى عمل على تقسيم الأمة الواحدة وتفتيتها إلى مجموعة من الشعوب . أما الدولة العثمانية فهي تختلف عن أمم الغرب ودوله فى كافة النواحي ، فليس هناك إذن ما يمكن أن تستقيده الدولة العثمانية من نظم أوروبا وأساليبها فى الحياة<sup>(٦٥)</sup> .

وقد اهتم أحمد جونت كثيراً بأحوال الدولة العثمانية ، ودرس أوضاعها ، وشخص أمراضها ، وعمل جاهداً فى ظل حكم السلطان عبد الحميد الثانى لإصلاح أحوال الدولة ، وإيجاد الحلول لمشاكلها . فرأى أن الدولة العثمانية بحكم تاريخها واتساع جغرافيتها وعراقة الأسرة العثمانية الحاكمة فيها ، وما أصبح لها من دراية بالحكم وخبرة بالقيادة ، وباعتبار الدولة موطن السلطنة ومستقر الخلافة ، كل ذلك مما يؤهلها لزعامة العالم الإسلامى وحمايته من الأخطار التى تهدده من كل جانب فى ظل سياسة الجامعة الإسلامية .

كما بين أهمية الوحدة بين أجزاء الدولة العثمانية ، وخاصة ولاياتها الشرقية، ودعا إلى عدم التفريط بأى جزء منها ، ووقف موقفاً مناوئاً من الاقتراح الذى تقدم به سعيد حليم باشا - كان وقتها وزيراً للداخلية - والذى يقضى بإعطاء بريطانيا جزيرة قبرص وكريت ، وإعطاء فرنسا مصر لضمان وقوف الدولتين إلى جانب الدولة العثمانية فى حربها مع روسيا عام ١٨٧٧م ، والمحافظة على ممتلكاتها فى الروملى ( أوروبا الشرقية ) ، فرد جونت باشا على هذا الاقتراح قائلاً : « كيف نعطي مصر البلد المسلم وباب الحرمين الشريفين وركيزة الإسلام المهمة فى إفريقيا بدلاً من بلغاريا التى أكثر شعبها من النصارى<sup>(٦٦)</sup> . وأكد جونت باشا ضرورة أن يمتد هذا الاهتمام ليشمل كافة المسلمين فى مختلف أنحاء المعمورة لتبصيرهم بأمور دينهم ، وبيان أهمية الوحدة ، والاتسلاف بينهم ، وأنها من

مستلزمات دينهم الذي يوجب عليها التضامن والتكافل ، وتحذيرهم من مغبة التنابد والتشتت والاختلاف<sup>(٦٧)</sup> .

وقد اتخذ جودت باشا من التنظيمات العثمانية ورجالاتها موقفاً معادياً واتهمهم بأنهم فى سياستهم التى اتبعوها كانوا منفذين لرغبات الدول الغربية ، خاضعين لنفوذ سفاراتها ، وأن حرصهم على إرضاء تلك الدول كان أكثر من حرصهم على مصالح الدولة العثمانية ، التى أغرقوها بالديون ، وأوقعوها فى حبال المصالح الأجنبية . أما التنظيمات التى أوجدوها فى الدولة العثمانية فلم ينتج عنها سوى التمسك بالقشور من الثقافة الغربية ، وتقليد المظاهر والانصراف عن الاستفادة من جوهرها المتمثل بالصنائع والفنون ، هذا إلى جانب ما جرت به هذه التنظيمات على الدولة من مخاطر حين أعلنت المساواة المطلقة بين عناصر الدولة ، بغض النظر عن الدين ، مما أتاح الفرصة لغير أبناء دينها ليتولى المناصب الهامة وتوجيه سياستها الخارجية ومراكزها العسكرية ، مما ألحق بالدولة أضراراً<sup>(٦٨)</sup> .

ولم يضع جودت باشا ثقته بأية دولة أوربية يمكن أن تعمل على مساعدة الدولة العثمانية ، فهذه الدول مجتمعة تعمل على إضعاف الدولة العثمانية ، وإثارة المشاكل العديدة لها فى الخارج وفى الداخل . فإنجلترا ، رغم تظاهرها بمساعدة الدولة ، كانت تعمل على إضعاف قوتها عن طريق إثارة الأرمن ضدها ، أما روسيا فهى دائمة السعى للتأثر من الدولة العثمانية بعد هزيمتها لها فى حرب القرم عام ١٨٥٤م ، وأطماع النمسا بادية فى منطقتى البوسنة والهرسك ، مما دفعها إلى تأييد المتمردين فيها ضد الدولة العثمانية<sup>(٦٩)</sup> .

## الهوامش

- (١) محمد عبد اللطيف البحرولى : حركة الإصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى ١٨٠٨ - ١٨٣٩ م ، ص ٩٣ للقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- (٢) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ( ١٥١٤ / ١٩١٤ م ) القاهرة ١٩٨١ م ، ص ٢١٢ - ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ٧٢ - ٧٣ ، بيروت ١٩٦٠ م .
- (٣) محمد ثريا أفندى : سجل عثمانى ، ج ٢ ، ص ٣٩١ ، الأستانة ١٣١١ هـ .
- (٤) أحمد جوت : تاريخ جوت ، ج ١ ، ص ١٠٤ - ١٠٧ ، ترجمة عبد القادر الدنا ، بيروت ١٣٠٨ هـ .
- (٥) أحمد جوت : تاريخ جوت ، ج ١١ ، ص ١٦٨ - ١٧٠ .
- (٦) أحمد جوت : المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ١٦٨ - ١٧٠ .
- (٧) البارون دى توت اختارته الحكومة الفرنسية - رغم أصله الهنغارى - للسفر إلى استانبول بصحبة السفير الفرنسى ، فى وقت كانت الحرب الروسية العثمانية على أشدها ، وقد بذل دى توت جهوداً لمساعدة السلطان العثمانى فى أعمال تحصين البوسفور وإصلاح المدفعية والبحرية ... ولدى عودته إلى باريس قدم إلى حكومته تقريراً عن حالة الدولة العثمانية السياسية ضمنه آراءه التى تتلخص فى : أن الدولة العثمانية آيلة إلى الانهيار القريب ، وأن تدخل فرنسا الدبلوماسى لنجاتها لا يجدى قليلاً ، وأن الاستيلاء على مصر يخدم المصالح الفرنسية ، ويجعل من الميسور على فرنسا إيجاد الصلات الوثيقة مع الهند ، ويسهل إنشاء قناة تصل بين البحر الأحمر ونهر النيل عند فرع دمياط ، كما قلم البارون دى توت بزيارة مصر فى رحلة تفتيشية كانت الحكومة الفرنسية قد كلفته بالقيام بها ، ووقف بنفسه على طغيان الأمراء المماليك وفرضهم الضرائب الفاحشة ، وقدم البارون بهذا تقريراً إلى الحكومة الفرنسية . ( طلال المهتار : آثار حملة بوناپرت على مصر . الجامعة اللبنانية ، كلية الحقوق ١٩٦٢ م ، ص ٢٣ ، ٢٤ ) .
- (٨) عبد اللطيف البحرولى : المرجع السابق ص ٩٥ .

(٩) دائرة المعارف التركية ، ميدان لاروس . مادة مصطفى الثالث ، المجلد التاسع ص ٩٠ ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣م استانبول .

(١٠) أحمد جواد : تاريخ عسكرى عثمانى ص ٢٧١ - ٢٧٣ ، استانبول ١٨٨٢م ، نهاد

سامى بانارلى : دستان ملوك آل عثمان ، ص ١١٢ - ١١٣ ، استانبول ١٩٣٨م .

(١١) أحمد جودت : تاريخ جودت ، ج٦ ، ص ٣١١ - ٣١٦ .

(١٢) إبراهيم حليم : التحفة الحليمية فى تاريخ الدولة العلية ص ١٧٩ - ١٨٠ ، مصر

١٣٢٣هـ .

(13) Enver Ziya Karal : Osmanli Tarihi. Cilt 5, s - 62. Angel; P. 53, Ankara 1970.

(١٤) للإطلاع على محتوياته انظر : بيان نظام سلطان سليم الثالث : مخطوطة تركية

فى جامعة الملك سعود ، برقم ٤٩٠ ، ومصورة من مكتبة عارف حكمت بالمدينة

المنورة ، ص ١ - ١٠ .

(١٥) نظام دولت عثمانية : مخطوطة تركية سبق ذكرها ، ص ١٠ - ٤٠ .

(16) Yilmaz Oztum : Turkiye. Tarihi, Cilt II - Kitap 12. S, 169.

(١٧) أحمد جودت : تاريخ جودت ، ج٧ ، ط٢ ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(١٨) بول إيمبر : عثمانلى إمبراطور لغتك تجددى ، ترجمة حسن فرهاد ، ومعلم أنثره

من الإنجليزية إلى اللغة التركية ، ص ١١٢ - ١١٣ ، استانبول ١٩٢٣م .

(١٩) إنكه لهارد : دولت عثمانية نك تاريخ إصلاحاتى ، ترجمة على رشاد ، ص ١٨ ،

استانبول ١٩٢٦م .

(٢٠) عبد الرؤوف محيى الدين سنو : أثر الغرب الأوربى فى حركة الإصلاح فى الدولة

العثمانية ( ١٧٨٩ - ١٨٣٩م ) ص ١٤١ ، رسالة ماجستير ، جامعة بيروت ،

كلية الحقوق ١٩٧٥م .

(٢١) عبد الرؤوف محيى الدين سنو : المرجع نفسه ، ص ١٤٢ .

(٢٢) عبد الرؤوف محيى الدين سنو : المرجع نفسه ، ص ١٤٣ ، رشيد ثريا : أدبيات

جديدة وقراءات أدبية ، ج١ ، ص ١١٨ - ١٢١ ، طبعة جلال ساهر ومحمد

فؤاد ، الأستانة ١٩٢٨م .

- (٢٣) شمس الدين سامي : قاموس تركي ، ص ٤٩١ ، استانبول ١٣١٧هـ .
- (٢٤) رشيد ثريا : أدبيات جديدة وقراءات أدبية ، ج١ ، ص ١٢٧ .
- (٢٥) إسماعيل حبيب : تورك تجدد أدبياتي ، ص ٦٨٢ الأستانة ١٩٢٥م .
- (٢٦) عبد الوهاب القيسي : حركة الإصلاح وتأثيرها في العراق ١٨٣٩ - ١٨٧٧م ، ص ٣٩ - ٤٣ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٦١م ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .
- (٢٧) إسماعيل حبيب : تورك تجدد أدبياتي ، ص ٦٨٢ ، الأستانة ١٩٢٥م .
- (٢٨) عبد الرؤف محيي الدين سنو : المرجع السابق ، ص ١٥١ ، رفعت أفندي : دوحه المشايخ ، ص ١٨١ ، مطبعة إستانبول ( بدون تاريخ ) .
- (٢٩) أحمد جواد : تاريخ عسكري عثماني ، ص ٢٥٣ - محمد ثريا : سجل عثماني ، ج٢ ، ص ٣٥٧ - منجم باشي : صحائف الأخبار ، ج١٣١ ، الأستانة ١٢٨٥هـ .
- (٣٠) عبد الرؤف، سنو : المرجع السابق ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .
- أحمد جواد : تاريخ عسكري عثماني ص ٢٦٧ .
- (٣١) بجوي : تاريخ ، ص ٤١١ .
- أحمد رفعت : روضة العزيزية ص ١٦٧ ، الأستانة ١٢٨٢هـ .
- عثمان زاده : حديقة الوزراء ص ٨١ ، الأستانة ١٢٧١هـ .
- أحمد رفيق : كدنلر سلطتي ، ج١ ، ص ٧٨ ، الأستانة ١٣٢٢هـ .
- (٣٢) عزرا سمويل ساسون : مدحت باشا وجمعية الاتحاد والترقي العثمانية ص ١٢١ - ١٢٧ ، مطبعة جرجي غرزوزي بالإسكندرية ، سنة ١٩١٠م .
- (٣٣) أنظر تفصيل مرسوم كلخانه في دائرة المعارف التركية . ميدان لاروس ، مادة Sulhane .
- (٣٤) مجهول : عصر السلطان عبد الحميد وأثره في الأقطار العربية ١٨٧٦ - ١٩٠٩م ، ج١ ، ص ١٧٠ . صدر في سلسلة أجزاء متتابعة المكتبة الهاشمية ، دمشق الطبعة الثانية ( بدوز تاريخ ) .

(٣٥) انظر نص فرمان فى :

- أحمد مدحت : اس انقلاب ، ص ٢٨٣ - ٢٩٣ ، استانبول ١٢٩٤هـ ، وزارة العدل التركية خط همايون وقانون أساسى ( تركى وعربى ) ط ٣ ، القسطنطينية طبع فى مطبعة الجوائب سنة ١٢٩٧هـ .

- دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الخامس ، ص ٤٩٩ - ٤٥١ .

- عبد العزيز الشناوى وزميله : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ص ١٤ - ١٦ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩م .

(٣٦) عبد العزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سورية ، ١٨٦٤ - ١٩١٤م ، ص ٢٥ - ٣٧ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة .

(٣٧) سليمان البستاني : عبرى ونكرى . أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ، ص ١١ - ١٢ .

(٣٨) مذكرات مدحت باشا ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ، نشرها ابنه يوسف كمال بك حناتة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٠٨م ، مطبعة هندية بالموسكى بمصر . (بدون تاريخ).

(٣٩) دائرة المعارف التركية . ميدان لاروس . الطبعة الأولى ١٩٧٣م استانبول ، ج ١ ، مادة السلطان عبد العزيز ، ص ٢٦ .

(٤٠) هذه العبارة عبارة قانونية وتعنى فى الغالب ، أن محتوى هذا النظام ٧٨ مادة ، ثم ختم بمادة أخرى خاصة تحدد تاريخ سريان مفعول هذا النظام المعد ، أو تاريخ سريان مفعول المادة المؤقتة الموضوعة لاعتبارات خاصة .

(٤١) انكه لهارد : تركيا وتنظيمات ، دولت عثمانية نك تاريخ إصلاحاتى . ترجمة على رشاد ، ص ١٦٩ ، استانبول ١٣٢٨هـ .

(٤٢) المأمورين : أى الموظفين .

(٤٣) إسماعيل غالب : تقويم مسكوكات عثمانية ، ص ٧١ - ٨٢ ، الأستانة ١٣٠٧هـ .

- سليم فارس : كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب ص ٣٢٠ - ٣٢٥ ، الطبعة الأولى ، مطبعة الجوائب ، بالأستانة ١٢٩٨هـ .

(٤٤) أبو الثريا سامي : وساوس السلطان عبد الحميد ، ص ١٤٠ - ١٤٣ ، مطبعة العهد - بغداد ١٣٥١هـ / ١٩٢٢م .

(٤٥) فؤاد باشا ، صدر أعظم ، ومن كبار رجال الدولة العثمانية ، تولى منصب الصدارة العظمى في عهد السلطان عبد العزيز ، ورغم دراسته الطبية والعسكرية ، فقد التحق بعد تخرجه بدائرة الترجمة بالباب العالي ، وكلف بمهمة إعادة الهدوء إلى لبنان على اثر فتنة عام ١٨٦٠م . وقد لفت إليه الأنظار بكفاءته في إيقاف الفتنة وإعادة الأمن والهدوء إلى المنطقة ، تولى الصدارة مرتين ، وتوفي عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م في مدينة نيس - جنوب فرنسا - حيث كان يعاني من مرض القلب ( مذكرات السلطان عبد الحميد ، ص ١٣٤ ، وصديق الدملوجي : مدحت باشا ص ٢٣٠ - ٢٣١ ، مطبعة الزمان ، بغداد ١٩٥٢م ) .

(٤٦) رشيد باشا ، تولى الصدارة في عهد السلطان عبد الحميد ، وكان الأخير خاضعاً لتأثير وزيره رشيد باشا الذي وجد في الغرب ومدنيته مثله الأعلى وفلسفته . وقد أعد رشيد باشا الجيل التالي له من الوزراء ورجال الدولة عن طريق إرسالهم في بعثات تعليمية وتدريبية إلى العواصم الأوروبية ، وبمساعده أسهم هؤلاء في دفع عجلة التغريب التي بدأها هو .

(٤٧) فؤاد باشا : وصية فؤاد باشا السياسية . تعريب جميل معلوف . ص ٢٩ ، مطبعة المناظر ، سان باولو ١٩٠٨م .

(٤٨) ، (٤٩) المصدر السابق ص ٣٢ .

(٥٠) أحمد فهد بركات الشوابكة : حركة الجامعة الإسلامية ص ٣٩ ، مكتبة المنار ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م - ١٤٠٤هـ .

- أرنست أ. رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م ، ص ٢٢٠ - ٢٢٥ ، ترجمة : صالحي أحمد العلي ، منشورا مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٠م .

(٥١) مذكرات السلطان عبد الحميد ، ص ١٣٤ .

(٥٢) حسين مجيب المصري : تاريخ الأدب التركي ، ص ٤٠٤ ، القاهرة ١٩٥١م .

(٥٣) مذكرات السلطان عبد الحميد ، ص ٢٦ .



(٥٤) عثمان نوري : عبد الحميد ثاني ودور سلطنتي . ص ٢٢٥ - ٢٣٠ ، استانبول ١٣٢٧هـ .

(٥٥)، (٥٦)، (٥٧) أحمد فهد بركات للشوايكة : المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٥٨) أحمد جوبت : تاريخ جوبت ، ج ١ ، ص ٧٥ .

- أحمد صائب : عبد الحميد أوائل سلطنتي ، ص ٣٢٠ - ٣٢٧ ، ط ٢ ، استانبول ١٣٢٦هـ .

(٥٩) الماواتن : عبد الحميد ظل الله على الأرض ، ص ١٢٢ ، ترجمة : راسم رشدي ، القاهرة ١٩٥٠م .

(٦٠) ماجدة صلاح مخلوف : معروضات أحمد جوبت باشا ، دراسة وتحقيق وترجمة إلى العربية ، ص ١٤٥ ، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة لقسم اللغات الشرقية ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس عام ١٩٨٣م ، القاهرة .

(٦١) ماجدة مخلوف : المرجع السابق ، ص ١٣٩ ، ١٤١ .

(٦٢) المرجع السابق ، ص ١٤٢ - ١٤٤ .

(٦٣) المرجع السابق : ص ١٤٢ - ١٤٤ .

(٦٤) جمال الدين وأحمد جوبت : عثمانلي تاريخ ومؤرخلرى . القسطنطينية ١٣١٤هـ .

- إسماعيل حقى : كتاب الترك فى القرن الرابع عشر ١٣٠٨هـ .

(٦٥) أحمد فهد بركات الشوايكة : المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٦٦) أحمد فهد بركات الشوايكة : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

(٦٧) ماجدة صلاح مخلوف : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(٦٨) ماجدة صلاح مخلوف : المرجع السابق ، ص ١١١ ، ١٤١ .

(٦٩) المرجع نفسه ، ص ١٠٩ .

## المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية :

- أحمد جونت : تاريخ جونت ، ج ١ ، ترجمة عبد القادر الدنا ، بيروت ١٣٠٨هـ .
- أحمد فهد بركات الشوابكة : حركة الجامعة الإسلامية ، مكتبة المنار ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ .
- إبراهيم حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ، مصر ١٣٢٣هـ .
- أرنست أ. رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م ترجمة : صالح أحمد العلى ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٠م .
- إسماعيل حقي : كتاب الترك في القرن الرابع عشر ١٣٠٨هـ .
- الماواتن : عبد الحميد ظل الله على الأرض ، ترجمة : راسم رشدى ، القاهرة ١٩٥٠م .
- أبو الثريا سامى : وساوس السلطان عبد الحميد ، مطبعة العهد - بغداد ١٣٥١هـ / ١٩٢٢م .
- حسين مجيب المصرى : تاريخ الأدب التركى ، القاهرة ١٩٥١م .
- ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، بيروت ١٩٦٠م .
- سليم فارس : كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ، الطبعة الأولى ، مطبعة الجوائب ، بالآستانة ١٢٩٨هـ .
- سليمان البستاني : عبرى ونكرى . أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ، القاهرة ١٩٠٨م .
- صديق الدملوجى : مدحت باشا ، مطبعة الزمان ، بغداد ١٩٥٢م .
- طلال المهتار : آثار حملة بونابرت على مصر . الجامعة اللبنانية ، كلية الحقوق ١٩٦٢م .

- عبد العزيز الشناوى وزميله : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩م .
- عزرا سمويل ساسون : مدحت باشا وجمعية الاتحاد والترقى العثمانية ، مطبعة جرجى غرزوزى بالإسكندرية ، سنة ١٩١٠م .
- عبد العزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سورية ، ١٨٦٤ - ١٩١٤م ، دار المعارف بمصر ، القاهرة .
- فؤاد باشا : وصية فؤاد باشا السياسية . تعريب جميل معلوف . مطبعة المناظر ، سان باولو ١٩٠٨م .
- مجهول : عصر السلطان عبد الحميد وأثره فى الأقطار العربية ١٨٧٦ - ١٩٠٩م ، ج ١ ، صدر فى سلسلة أجزاء متتابعة المكتبة الهاشمية ، دمشق الطبعة الثانية ( بدون تاريخ ) .
- محمد عبد اللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى ١٨٠٨ - ١٨٣٩م ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ( ١٥١٤ / ١٩١٤م ) القاهرة ١٩٨١م .
- مذكرات مدحت باشا : نشرها ابنه يوسف كمال بك حتاتة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٠٨م ، مطبعة هندية بالموسكى بمصر . ( بدون تاريخ ) .
- وزارة العدل التركية : خط همايون وقانون أساسى ( تركى وعربى ) الطبعة الثالثة ، القسطنطينية ، مطبعة الجوائب سنة ١٢٩٧هـ .
- ثانيا : المصادر والمراجع التركية :
  - أحمد صائب : عبد الحميد أوائل سلطنتى ، ط ٢ ، إستانبول ١٣٢٦هـ .
  - أحمد رفیق : كدنلر سلطتى ، ج ١ ، الأستانة ١٣٢٢هـ .
  - أحمد مدحت : اس انقلاب ، استانبول ١٢٩٤هـ .
  - أحمد رفعت : روضة العزیزية ، الأستانة ١٢٨٢هـ .

- أحمد جواد : تاريخ عسكرى عثمانى ، استانبول ١٨٨٢م ،
  - انكه لهارد : دولت عثمانية نك تاريخ إصلاحاتى . ترجمة على رشاد ، استانبول ١٩٢٦هـ .
  - إسماعيل حبيب : تورك تجدد أدبياتى ، الأستانة ١٩٢٥م .
  - إسماعيل غالب : تقويم مسكوكات عثمانية ، الأستانة ١٣٠٧هـ .
  - بول إيبر : عثمانلى إمبراطور لغتك تجددى ، ترجمة حسن فرهاد ، ومعلم أنثره من الإنجليزية إلى اللغة التركية ، استانبول ١٩٢٣م .
  - جمال الدين وأحمد جودت : عثمانلى تاريخ ومؤرخلى . القسطنطينية ١٣١٤هـ .
  - رفعت أفندى : دوحة المشايخ ، مطبعة إستانبول ( بدون تاريخ ) .
  - رشيد ثريا : أدبيات جديدة وقراءات أدبية ، جـ ١ ، طبعة جلال ساهر ومحمد فؤاد ، الأستانة ١٩٢٨م .
  - عثمان نورى : عبد الحميد ثانى ودور سلطنتى . استانبول ١٣٢٧هـ .
  - عثمان زاده : حديقة الوزراء ، الأستانة ١٢٧١هـ .
  - محمد ثريا أفندى : سجل عثمانلى ، جـ ٢ ، الأستانة ١٣١١هـ .
  - منجم باشى : صحائف الأخبار ، جـ ٣ ، الأستانة ١٢٨٥هـ .
  - نهاد سامى بانارلى : دستان ملوك آل عثمان ، استانبول ١٩٣٨م .
- Enver Ziya Karal : Osmanli Tarihi. Cilt 5. Ankara 1970.
- ثالثاً : المخطوطات والقواميس ودوائر المعارف والمجلات :
- بيان نظام سلطان سليم الثالث : مخطوطة تركية فى جامعة الملك سعود ، برقم ٤٩٠ ، ومصورة من مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة .
  - شمس الدين سامى : قاموس تركى ، استانبول ١٣١٧هـ .
  - دائرة المعارف التركية ، ميدان لاروس . المجلد التاسع ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣م استانبول .

- عبد الوهاب القيسى : حركة الإصلاح وتأثيرها في العراق ١٨٣٩ - ١٨٧٧ م ،  
مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد - كانون الثاني ١٩٦١ م ، مطبعة العاني ،  
بغداد ١٣٨٠هـ / ١٩٦١ م .

رابعا : رسائل الماجستير والدكتوراه :

- ماجدة صلاح مخلوف : معروضات أحمد جودت باشا ، دراسة وتحقيق وترجمة  
إلى العربية ، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة لقسم اللغات الشرقية ، كلية  
الآداب ، جامعة عين شمس عام ١٩٨٣ م ، القاهرة .

- عبد الرؤوف محيي الدين سنو : أثر الغرب الأوربي في حركة الإصلاح في الدولة  
العثمانية ( ١٧٨٩ - ١٨٣٩ م ) ص ١٤١ ، رسالة ماجستير ، جامعة بيروت  
العربية - كلية الآداب ، بيروت ، ١٩٧٥ م .



# المعاهدة التركية الأمريكية

عام ١٨٣٠م

« دراسة وثائقية »

د. عبد العليم على أبو ديكل<sup>(١)</sup>

فى الوقت الذى بلغ الصراع والتنافس الاستعماري أشده بين بريطانيا وفرنسا لغرس نفوذهما فى الشرق ، فى أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد خرجت لتوها من حرب الاستقلال بتوقيع صلح باريس عام ١٧٨٣م وبدأت من جانبها خطوات حثيثة لدعم بنيانها على كافة المستويات الداخلية والخارجية ، خاصة فى المجالات السياسية والاقتصادية .

وفى تلك الأثناء كان الشرق الأوسط الذى تبسط الدولة العثمانية سيادتها على معظم أجزائه ، يبدو فى صورتين متناقضتين أمام مخيلة الكثير من الأمريكيين ، فهو من ناحية الميدان الفسيح والموقع الاستراتيجى الهام المتحكم فى طرق التجارة العالمية بحريا وبريا على حد سواء ، أما سكانه من الناحية الأخرى فهم أقوام تهيم عليهم وعلى أنماط حياتهم المعيشية أنواع من الأساطير والخيال والخرافات المتواترة ، ويقضى شيوخهم وقادتهم وأثريائهم جل وقتهم فى اللهو والبذخ<sup>(٢)</sup> .

وقد بدا هذا التضارب واضحا عند النظر إلى طبيعة الدولة العثمانية وما كانت تبثه البعثات الأمريكية من تقارير متضاربة عنها ، كبعثة « بومباى » التى صبت جل اهتماماتها على تردى الأوضاع الداخلية بالولايات العثمانية<sup>(٣)</sup>، بينما

(١) كلية الآداب - جامعة القاهرة .

كانت القنصلية الأمريكية في «لشبونة» دائمة الثناء على محاولات الدولة التصدي لضغوط القوى الأوروبية عليها<sup>(٣)</sup> .

هكذا بدت منطقة الشرق الأوسط والإمبراطورية العثمانية أمام الكثير من الأمريكيين عالمًا غير آمن خاصة مع الأتباء المتواترة عن كثرة الصدام العسكري والتنافس الاستعماري حول الطرق المائية والبرية المؤدية إليه<sup>(٤)</sup> وانتشار عمليات القرصنة في مياه البحر المتوسط والتصادم بين أسبانيا والمغرب بشكل خاص<sup>(٥)</sup> .

وكان أن تمخض عن هذا التباين في الرؤية عن ازدواجية أمريكية في كيفية التعامل مع الدولة العثمانية على النحو التالي :

**الأول : التوجه الرسمي من قبل السلطات الأمريكية .**

**الثاني : الجهود الفردية التي قام بها المغامرون والتجار .**

أما الأول فبدأ بمحاولات لجس نبض العاصمة العثمانية في إمكانية إقامة علاقات تجارية معها ، والاستفسار عن الكيفية المناسبة ، والخطوات المطلوب اتباعها في هذا الصدد ، عندما شكل « المؤتمر القاري الأمريكي - الكونجرس Continental Congress ، عام ١٧٨٤م لجنة ثلاثية برئاسة توماس جيفرسون Thomas Jefferson ومعه جون آدامز John Adams وبنيامين فرانكلين Benjamin Franklin لإجراء اتصالات مع السلطان العثماني<sup>(٦)</sup> .

وقد بعث جون آدامز برسالة إلى السلطات العثمانية في فبراير ١٧٨٦م عن طريق وزير الخارجية الفرنسية «فيرنيس - Vergennes» يتمنى فيها الكونجوس إقامة علاقات تجارية وسياسية نشطة بين تركيا والولايات الأمريكية ، واغتنام الرغبة المشتركة لدعم وتقوية تطلعاتهم نحو ( التحديث ) واستغلال الإمكانيات المتاحة فيهما كي تصبح الأرض الأمريكية ميدانًا رحبًا لتسويق المنتجات التركية ، وتصبح الإمبراطورية العثمانية في ذات الوقت سوقًا للسلع الأمريكية<sup>(٧)</sup> .



لم تكن الاستجابة التركية بذات الحماس الذى أبدته السلطات الأمريكية ، عندما جاء رد الطرف الأول محملاً بالعديد من الأسباب التى تدعو إلى التأنى فى اتخاذ خطوة كهذه بين البلدين ، خاصة فى ذلك الوقت عام ١٧٨٦م ، لما يخشاه الصدر الأعظم من ازدياد المتاعب الدولية مع القوى المعادية ، والتى تجد الخطى بحثاً عن الذرائع للضغط على الدولة ، مع استمرار المصادمات العسكرية التى سوف تتعرض معها التجارة للخطر . واقترح الأتراك ترك منافذهم التجارية مفتوحة لمن أراد الإقدام على المتاجرة داخل بلدانهم ، دون أدنى مسئولية منهم ، وحتى لا تثار الدول المعنية خاصة روسيا وإنجلترا<sup>(٨)</sup> .

أما التوجه الثانى الذى قاده المغامرون والتجار ، فكان أكثر جرأة وإقداماً لأمرين أساسيين :

الأول : روح المغامرة والرغبة فى الانتظام من الإنجليز والفرنسيين والأسبان على حد سواء ، نتيجة للمعاناة والضغط التى تعرضوا لها بصفة عامة خلال حرب الاستقلال<sup>(٩)</sup> .

الثانى : التعويض عن الخسائر التى أصابت التجار منهم بصفة خاصة مع القوانين المقيدة لحركة التجارة التى أصدرتها السلطات البريطانية ، كقانون السكر عام ١٧٦٤م ، وضرائب التصدير على السلع الأوربية التى تشحن إلى المستعمرات من بريطانيا والتى ارتفعت من ٢,٥% إلى ٥% ، إضافة إلى سخاء السلطات البريطانية فى منح كبار الملاك المؤيدين لها المزيد من الأراضى مكافأة لهم<sup>(١٠)</sup> .

وكان أبرز هؤلاء التجار « وليم بركنز - William Lee Perkins » وهو من تجار الأقمشة والمواد الغذائية بمدينة بوسطن Boston الذين أصيبوا بخسائر متتالية خلال السبعينات من القرن ١٨ فى الفترة من عام ١٧٧٢ حتى ١٧٨٠م على النحو التالى :

الدخل التقريبي بالدولار	العام
١٨٠٠٠ دولار	١٧٧٢م
١٣٢٥٠ دولار	١٧٧٤م
٩٧٤٠ دولار	١٧٧٦م
٨٣٢٠ دولار	١٧٧٨م
٨١٥٠ دولار <sup>(١١)</sup>	١٧٨٠م

كذلك قدرت خسائر سبعة عشر تاجرًا بمدينة يوركتون York Town الواقعة عند مصب نهر يورك York عام ١٧٨١م بما يقرب من مليونين من الدولارات<sup>(١٢)</sup>.

وفي أواخر عام ١٧٨٣م قام « بركنز » بمحاولة شخصية فحصل على موافقة المسؤولين الأتراك على تأسيس وكالة تجارية له بمدينة أزمير لاستيراد الملابس التركية المعروفة باسم « سمرنا - Smyrna » ( أى أزمير ) وعرضها في الأسواق الأمريكية في ذات الوقت الذي كان الأفيون يستورد من كانتون Canton يباع في الأناضول والروميلى دون عقبات من قبل المسؤولين الأتراك<sup>(١٣)</sup>. وعلى الجانب الآخر فضلت جماعة من المغامرين التآنى فى الوصول إلى عقو دار الدولة العثمانية بهدف اختبار الأوضاع على طرق التجارة عبر الهند وموقف القوى المتنافسة من حوله .

وفى منتصف عام ١٧٩٢م عبرت السفينة التجارية « بوسطن » المسافة بين مدراس Madras وبومباى Bombay وعلى متنها عدد من جنود البحرية Mariner وبعض من أبناء الشمال الأمريكى Yankee ، واعتقد قائدها أنه قد وصل إلى ساحل الملبار Malabar Coast عندما استقرت سفينتهم عند ميناء «ظفار» فى العاشر من يوليو . وبارشاد من عرب المنطقة تمكن الأمريكيون من الوصول إلى

مطرح بالقرب من مسقط في عشر من أغسطس ، وبعدها قفلت السفينة عائدة مرة أخرى إلى الهند<sup>(١٤)</sup> .

وكان أن سرى نوع من الطمانينة عند المغامرين فأتبعوا خطواتهم الاستكشافية المذكورة بأخرى أكثر جرأة كما مارسوا بعض النشاط التجاري لجس نبض القوى المعنية محليا ودوليا بالقرب من مناطق السيادة العثمانية ، فأبحرت السفينة ( ساليم - Salem ) وهي فارغة إلى مسقط في صيف ١٧٩٥م ، وحين عودتها كان على متنها عدة أطنان من البن واللبن العماني والسجاد الفارسي والتمور المجففة المحببة لدى الأمريكيين<sup>(١٥)</sup> .

وبعد عامين فقط - أي في ١٧٩٧م - بدأ النشاط التجاري للمغامرين في الاتساع ، فأضحت القافلة البحرية الأمريكية مكونة من ثلاث سفن بانضمام « ستارز Stars » و « ستراييس Stripes » إلى « ساليم » وعلى متنها كميات كبيرة لم تحدد من الفراء والموز . وعندما وصلت إلى مسقط في أواخر ذلك العام كانت قد أضيفت إلى الحمولة أطنان من الأقمشة والمنتجات الهندية التي حملتها من كلكتا Calcutta<sup>(١٦)</sup> .

على أن نشاط المغامرين الأمريكيين أثار بعض التوجس والمخاوف لدى شركة الهند الشرقية بما قدرته من مخاطر يمكن أن تكون مقدمة لنشاط تجاري أوسع ومزاحمة أمريكية يمكن أن يتمخض عنها ضرر بالغ على مصالح الشركة<sup>(١٧)</sup> ، في الوقت الذي أضحت فيه فرنسا بحملتها على مصر والشام في أواخر التسعينات في أواخر القرن الثامن عشر هي العدو المشترك لكل من إنجلترا والأتراك . وإذا كانت الأولى لم تشأ فتح جبهة جديدة لصدام مع الولايات الأمريكية، خاصة وأنها ما زالت قريبة العهد من الصلح الموقع بينهما في باريس عام ١٧٨٣م ، وتصدت للحملة الفرنسية كحلقة من حلقات الصراع بين الطرفين ، فإن الدولة العثمانية تطلعت من جانبها للحصول على المزيد من المؤيدين لها لمواجهة الضغوط المتتالية عليها من معظم الدول الأوروبية<sup>(١٨)</sup> .

لهذه الأسباب بادر الباب العالي إلى إحياء الاتصالات الدبلوماسية بينه وبين اللجنة التي شكلها الكونجرس من قبل ، فبعث برسالة إلى جون آدامز<sup>(١٩)</sup> ذكره فيها بما اتفق عليه منذ ما يزيد على العشر سنوات، وأشار إلى إمكانية تنشيط العلاقات بين البلدين بشكل فعال ومؤثر ، خاصة وأن الدولة العلية تشهد نشاطاً إصلاحياً واسع النطاق وعلى كافة الأصعدة العسكرية والاقتصادية والتعليمية<sup>(٢٠)</sup> .

وكان أن اغتتم آدامز الفرصة وفارغ بإصدار قرار في بداية عام ١٧٩٩م كلف فيه وليم سميث - William Smith الوزير المفوض في لشبونة ، وهو أمين كارولينا الجنوبية - South Carolina القيام بمسئولية التعامل مع الصدر الأعظم ، محملاً بكل الصلاحيات في إجراء المفاوضات ، وعرض وجهة النظر الأمريكية من أجل توقيع معاهدة صداقة وتجارة بين البلدين<sup>(٢١)</sup> .

وقد بلغ عدد الرسائل المتبادلة بين الطرفين خلال الفترة من عام ١٧٩٩ حتى عام ١٨٠٤م ما يزيد على الأربع عشرة رسالة دار محور المناقشات خلالها حول ما يمكن الحصول عليه من امتيازات متبادلة مثل الإعفاءات الجمركية والضرائب والرسوم التجارية وحجم السلع المتبادلة<sup>(٢٢)</sup> . أما موضوع الصداقة فقد أضحى مفهوماً غير محدد المعالم في طبيعته وحدوده وكيفية تطبيقه ، فعلى حين كان الطموح التركي منصباً على حتمية شمولية العلاقات ، بدءاً من التحالف العسكري بكل صورته في التصنيع والإمداد والدفاع إذا استدعى الأمر<sup>(٢٣)</sup> ، كان الجانب الأمريكي - نظراً لتشابك علاقاته الخارجية وعدم استقرار أوضاعه الإقليمية - يرى حصر نوعية الصداقة عند « المفهوم السياسي والتأييد المناسب » بما لا يتعارض أو يتصادم مع طبيعة تطور وتبدل الأحداث والعلاقات الدولية<sup>(٢٤)</sup> .

وهكذا لم تسفر هذه الاتصالات عن نتيجة حاسمة ، وتوقفت موضوعات المناقشة عند عرض وجهات النظر السابقة . وبالرغم من ذلك ، بدأ النشاط التجاري الأمريكي بطرق أبواب الولايات العثمانية على سبيل الاختبار - كما يعتقد - عندما دفعت السفينة الحربية جورج واشنطن George Washington

إلى العمل بالبحر المتوسط رافعة العلم الأمريكى ، وتحت قيادة القبطان وليم بونبريدج William Boinbridge بعد مغادرتها ميناء بوسطن فى التاسع من نوفمبر عام ١٨٠٠م متوجهة صوب ميناء الجزائر ، وهناك سلم ( الباي ) الجزية السنوية المقررة على ولايته إلى القبطان كى يسلمها إلى الباب العالى ، وصعد برفقته عدد من المسافرين العرب اقترب عددهم من الثلاثين فردا وسبعة عشر وطنا من الأسلحة الصغيزة والذخيرة<sup>(٢٥)</sup> .

وقد اعتبرت هذه الرحلة ( الحرية التجارية ) بمثابة مغامرة لجس نبض الموقف بالبحر المتوسط المضطرب بالأحداث ، لانتشار القرصنة والمعارك البحرية بين إنجلترا وفرنسا ، إلا أن النجاح الذى أصابته (واشنطن ) بوصولها دون متاعب إلى استانبول شجع السلطات الأمريكية على اتخاذ خطوة أخرى باتجاه تنشيط الاتصالات مع الدولة العثمانية ، فقررت فى منتصف عام ١٨٠٢م تعيين أول قنصل مقيم لها فى استانبول هو وليم ستىوارت - William Stewart<sup>(٢٦)</sup> ومعه بدأت حركة نشطة للسفن التجارية بين البلدين على حد سواء ، فى الفترة ما بين أعوام ١٨٠٢ و ١٨٠٨م ، تبعا للبيان التالى بالنسبة للسفن التركية المتوجهة إلى ميناء بوسطن<sup>(٢٧)</sup> :

العام	العدد	الحمولة بالطن	السلع الأساسية المصدرة
١٨٠٢م	٣	٢١٠	زيت الزيتون ، الفستق ، السجائر التركية ، السجاجيد
١٨٠٣م	٤	٢٦٥	
١٨٠٤م	٣	٢٣٧	
١٨٠٥م	٦	٣٨٥	
١٨٠٦م	٧	٣٩٤	
١٨٠٧م	٦	٣٦٠	
١٨٠٨م	٤	٢٧٠	

وفى المقابل كانت هناك عام ١٨٠٨م ما لا يقل عن الأربع والعشرين سفينة تجارية أمريكية تجوب الطريق التجارى البحرى بين أزمير وبوسطن عبر البحر المتوسط ، بعد أن كان العدد فى بداية عام ١٨٠٢م لا يزيد على أربع سفن فقط ، مما جعل الأناضول والروميللى سوقاً جيداً للسلع الأمريكية كالكيروسين ، والقطن ، والأسلحة الصغيرة والذخيرة<sup>(٢٨)</sup> ، وأضحت أزمير بوجه خاص مركزاً لعديد من التجار الأمريكيين الذين زاد عدد مؤسساتهم على سبعة عشر ، تتجر بذات السلع المذكورة ، وكانت مؤسسة « وودماس - أوفلى Woodmas-Offely » هى الأولى فى هذا النشاط ، إذ بلغ رأسمالها عام ١٨٠٨م ما يزيد على ٢٧٠٠٠ قرش ، بل أضحت ديفيد أوفلى ممثلاً للتوصل الأمريكى لدى السلطان التركى فى حال غيابه<sup>(٢٩)</sup> ، وساعده فى هذه المهمة وليم بركنز الذى امتلك مؤسسة لتجارة الملابس الجاهزة والأقطان بذات المدينة<sup>(٣٠)</sup> .

وبالرغم من استمرار النشاط التجارى الأمريكى داخل معظم المدن التركية ، إلا أن التجارة الخارجية بين البلدين إضافة إلى الاتصالات الدبلوماسية توقفت تماماً نتيجة للحرب التجارية التى نشبت بين بريطانيا وفرنسا حول السواحل الأوربية ومستعمراتها أيضاً . ولم تعد هناك فرصة للسفن الأمريكية كي تمارس نشاطها بأمان مع الدولة العثمانية ، مما جعل الموقف بالبحر المتوسط سبباً رئيسياً دفع الرئيس « جيفرسون » إلى استصدار قانون يحظر التجارة الخارجية بأكملها<sup>(٣١)</sup> ، وكان ذلك فى الوقت الذى رأى الأمريكيون أن الدفاع عن البحرية وحماية الأسطول أضحت قضية جوهرية تجب ما عداها ، وبالتالى كان سماح الكونجرس بدعم السفن الحربية السريعة بالبحر المتوسط بما يزيد على الست عشرة سفينة خلال فترة الحظر التى امتدت من عام ١٨٠٩ حتى ١٨١٥م<sup>(٣٢)</sup> .

ومع انتهاء فترة الحظر ثم بداية رئاسة جيمس مونرو عام ١٨١٧م الذى أدار فى الوقت نفسه علاقة بلاده الخارجية ، عاودت الولايات المتحدة الاتصال مرة أخرى بالدولة العثمانية برسالة إلى الباب العالى فى شهر مارس ١٨١٨م ، حثه فيها

على المضى قدما فى إجراءات توقيع معاهدة صداقة وتجارة بين البلدين ، لمواكبة التطورات الجديدة عالميا بالاستقرار النسبى أوريبا عقب انتهاء الحرب النابليونية ، وداخل الولايات الأمريكية ذاتها بما يمكن أن يعود على الدولتين بمنافع جمّة ، ولمواجهة ضغوط بعض القوى العظمى عليهما<sup>(٣٣)</sup> .

على أن الرد التركى جاء مخيبا للأمال إذ أوضح حاجة الدولة الماسة فى ذلك الوقت ( عام ١٨١٨ م ) إلى المساعدات العاجلة ماليا وعسكريا وفنيا وبشكل مباشر أكثر من حاجتها إلى توقيع معاهدة يتطلب تنفيذها زمنا طويلا . وإذا كانت هناك ضرورة ملحة لبحث بنود المعاهدة ، فإن الآستانة بحاجة أيضا إلى ما لا يقل عن مليون قرش تستطيع به مع موارد أخرى تلبية مطالبها الإصلاحية ، وبالتالي توقيع معاهدة على أسس متينة وقوية<sup>(٣٤)</sup> .

ويبدو أن الخارجية الأمريكية - على ما يبدو - استشعرت نوعا من الاستغلال فى الرد التركى ، مما يفسر معه السبب الرئيسى لتوقف الاتصالات بينهما مرة أخرى الذى دعمته سياسة العزلة التى أعلن مبادئها الرئيس مونرو عام ١٨٢٣ م . وجاء ذلك من منطلق فكرتين إحداهما ( الاستعمار ) بمعنى التأكيد بوجوب توقف أوربا عمن إقامة مستعمرات جديدة ، والأخرى ( اللاتدخل ) للعمل على الحد من التدخل الأوربى فى شؤون العالم الجديد<sup>(٣٥)</sup> . وهذا التوقف بأسبابه المالية والسياسية أصاب التجار بضرر بالغ ، الأمر الذى دفعهم لأخذ زمام المبادرة هذه المرة فى إعادة إحياء الاتصالات لتنشيط التجارة ووضع أسس متينة لها من خلال معاهدة ملزمة للطرفين .

وقبل عشر سنوات تقريبا من هذا الإعلان وفى عام ١٨١٤ م وقعت اتفاقية غنت Treaty of Ghent التى أنهت القتال مع الانجليز . وعقبها شهدت الولايات المتحدة نشاطا اقتصاديا ملموسا رأسيا وأقيا فى العديد من المحصولات النقدية كالقراء وقصب السكر والتبغ والقطن الذى أدخلت عليه أنواع محسنة ذات التيلة الطويلة ، إضافة إلى اختراع الحلج فضلا عن امتداد زراعته باتجاه الغرب إلى نهر

المسيبى والأباما ، مما أدى إلى وفرة إنتاجه وتصنيعه<sup>(٣٦)</sup> . وعلى شاكلته انتشرت زراعة التبغ وعملت ولايات كنتاكي ونيس على تحسين ووفرة فى إنتاج أصنافه مما أعجز قدرات الأفراد الذاتية على التعامل الاقتصادى معه أو مع مثيله من المحصولات النقدية ، وهذا فسح الطريق لقيام الشركات الاحتكارية « كشركة التبغ الأمريكية » بواشنطن عام ١٨١٧م وشركة غرب المسيبى لغزل القطن عام ١٨١٩م وشركة جبل روكى للفراء عام ١٨٢٢م<sup>(٣٧)</sup> .

ومع اتساع نطاق أنشطة مثل هذه الشركات الاحتكارية اختل ميزان التنافس التجارى لصالحها على حساب صغار التجار فى ميدان أضحي المكان فيه للأقوى اقتصاديا ، مع عدم توافر الأمن فى معظم ربوع الولايات الأمريكية نتيجة لاستمرارية العداء والتنافس بين الشمال والجنوب ، والتصارع فى السباق والملكية باتجاه الغرب ، فضلا عن استمرار مقاومة السكان الأصليين<sup>(٣٨)</sup> .

وقد عبر الكثير من التجار عن تردى أوضاعهم من خلال عشرات الرسائل التى بعثوا بها إلى مجلس الولايات الأمريكية . وكان منهم على سبيل المثال ريتشارد هاريسون Richard Harison أحد تجار القطن بفيلادلفيا Philadelphia وقد تراوحت خسائره السنوية ما بين ٣٠ إلى ٤٥% سنويا ، من جراء سياسة العزلة التى تتبعها الإدارة فى جانب، واحتكار النشاط الاقتصادى من قبل الشركات الكبرى التى استأثرت بمعظم ثمار حركة التوسع نحو الغرب فى كافة المجالات ، مما أحكم من حوله وأمثاله حلقة الحصار فى كافة الاتجاهات<sup>(٣٩)</sup> .

كذلك طالبت الرسائل بفتح بعض النوافذ أمام هؤلاء التجار المتضررين مما يدفعهم إلى التوجه نحو ميادين رحبة بعيدة عن القارة الأوربية أو مناطق تغلغل قواها الكبرى فى أفريقية وآسيا ومناطق الساحل الشرقى لأفريقية وساحل عمان والدولة العثمانية ( تبعا لما تأتى به الأخبار المتواترة من هذه الجهات )<sup>(٤٠)</sup> .

وبالإضافة إلى مثل هذه الرسالة بعث « أوفلى » إلى الخارجية الأمريكية يقترح عليها إمكانية تحمل التجار تبعات كسر طوق العزلة مهما كانت التحديات -



على حد تعبير ما جاء فى رسالته - مع تحمل التجار مسئولية تنشيط الاتصالات ومتطلباته المالية إذا كانت هذه الأخيرة هى العقبة التى تحول دون توقيع المعاهدة المنشودة ، وبإعلان تشكيل لجنة برئاسته ضمت « لوثر برادش Luther Bradish » و « وليم كرين William Crane » وأبدت الاستعداد لتقديم مبلغ قدره ٢٠,٠٠٠ دولار إلى الحكومة العثمانية فى عام ١٨٢٨م<sup>(٤١)</sup>.

وفى الوقت الذى كانت الإدارة الأمريكية تطبق ( عزلتها ) بشكل كامل فى الميدان السياسى ، إلا أنها من ناحية أخرى تجاهلت ما يجرى من أنشطة تجارية خارجية يمارسها بعض الأفراد من التجار و ( اليانكى ) فضلا عن النشاط التبشيرى ، خاصة مع تولى الرئيس « جاكسون » زمام السلطة عام ١٨٢٨م والذى كان يغض الطرف عن مثل هذه الخطوات لتخطى حاجز العزلة التجارية والفكرية بفعل توجهاته العامة وكونه مزارعا وتاجرا فى المقام الأول<sup>(٤٢)</sup>.

كانت الإدارة الأمريكية قد مهدت الطريق لمثل هذه الأنشطة ( غير الرسمية ) عندما أصدر وزير الدولة بالخارجية ( هنرى كلاى - Henry Clay ) قرارا فى منتصف عام ١٨٢٦م باعتماد مجموعة من الشباب كانت تعمل كضباط صف بالبحرية الأمريكية ويتحدثون اللغات الشرقية بطلاقة ، لتعيينهم بأربع قنصليات جديدة تقرر افتتاحها فى بداية عام ١٨٢٧م بالشمال الأفريقى فى كل من تونس ، طرابلس ، الجزائر ، وطنجة ، وإلحاقهم بدورات تدريبية مكثفة لدراسة كل ما يتعلق بالأوضاع التركية والعربية مع التركيز على إجادة لغتيهما بشكل كامل<sup>(٤٣)</sup>.

وأمام هذه التفاعلات أصدرت الخارجية الأمريكية قرارا بتعيين ديفيد أوفلى قنصلا لها بأزمير على أن تكون مهمته الأساسية العمل بجدية ونشاط لتوقيع معاهدة تجارية مع الدولة العثمانية<sup>(٤٤)</sup> وأمام النكسات التى أخذت تحل بالدولة العثمانية فإنها بادرت بالاتصال بالولايات المتحدة الأمريكية للبدء فى إجراءات توقيع المعاهدة المنشودة بينهما . ولكن حاقت الهزيمة بالبحرية العثمانية والأسطول المصرى أمام القوات المتحالفة الإنجليزية والفرنسية والروسية فى معركة نوارينو - Navarino

على الساحل اليونانى فى العشرين من أكتوبر ١٨٢٧م . وقالت المصادر التركية عن هذه الهزيمة أنها كانت نذير سيئ للدولة العلية على كافة المستويات<sup>(٤٥)</sup> وعليها اتخاذ خطوات جدية من أجل خلق نوع من التوازن فى علاقات الدولة الخارجية أمام هذه الضغوط ، خاصة من قبل إنجلترا وفرنسا وروسيا على وجه الخصوص<sup>(٤٦)</sup> .

وكان أن بعث الصدر الأعظم برسالة إلى الخارجية الأمريكية شرح فيها ما تعرضت له قوات الدولة والبحرية المصرية من خسائر فى نوارين ، مؤكدا أن هذا التحالف الغربى الجديد خاصة بين إنجلترا وفرنسا ( أعداء الأمس ) والغد والذى ليس له مثيل على حد قول الرسالة ، سوف يكون وبالا على النشاط البحرى بكل صوره التجارية والحربية إذا ظل محتفظا بكيانه ، وستكون الخسارة من نصيب الجميع ومنهم الدولة العلية ، وسدا منيعا أمام رغبات الإصلاح والتقدم<sup>(٤٧)</sup> .

وفى بداية عام ١٨٢٨م عقد اجتماع ضم رجالات الدولة الكبار استعرض فيه المستشارون بالحربية والداخلية خطورة ما تمر به الدولة وما تتعرض له من نكسات خلال مسيرتها الإصلاحية التجديدية العسكرية ، بعد القضاء على مراكز القوة القديمة ( الانكشارية )<sup>(٤٨)</sup> ، والحاجة الملحة وبشكل سريع عاجل إلى قوة أكبر كبديل حديث ، لمواجهة التحالفات الجديدة ، مما يتطلب حتمية إقامة علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، باعتبارها قوة ناشئة استطاعت إلحاق الهزيمة بالإنجليز منذ فترة ليست بالبعيدة ، وبما يخلق « التحالف » معها من توازن وقدره على المجابهة والاستفادة من خبرات أبنائها فى العمل بالسفن تجارة وفتالا<sup>(٤٩)</sup> .

وفى ضوء هذه التطورات نستطيع تفسير تلاقى المطالب التركية والأمريكية عندما قررت الأخيرة تعيين « شارلز راين - Charles Rhin » مندوبا عنها لمناقشة بنود المعاهدة المقترحة ، فاستمرت المراسلات مع مستشارى الصدر الأعظم لمدة تجاوزت العام ، وبلغ عدد الرسائل المتبادلة اثنتا عشرة رسالة ، ضمت مناقشة القضايا العسكرية والتجارية المطروحة والتفسيرات المتعلقة بها<sup>(٥٠)</sup>

حتى تم التوقيع على المعاهدة فى السابع من مايو عام ١٨٣٠م . وكانت فى مجمل بنودها وملحقاتها تصب باتجاه منح الولايات المتحدة العديد من الامتيازات التى حصلت عليها من قبل بعض الدول الأوربية داخل الأناضول والروميللى والولايات التابعة للدولة ، مثل حرية المرور التجارى عبر المضائق التركية ، حيث جاء فى مادتها السادسة طبقا لتقرير راين أن للسفن التجارية وما شابهها والتى تحمل العلم الأمريكى مطلق الحرية فى المرور جبهة وذهابا عبر المضائق ، ومن البحر الأسود وإليه ، سواء أكانت محملة بالبضائع أو بالأفراد ، وفارغة على حد سواء<sup>(٥١)</sup> كذلك منحت المعاهدة حق القنصليات الأمريكية فى حماية رعاياها بفضل ما سوف يوفره لها السلطان من مساعدات وتسهيلات ، وما تعهدت به الدولة من إعطاء الأمريكين جميع الحقوق المتعلقة بالحج والبعثات المماثلة لرعايا الدول الأجنبية الأخرى ، سواء القائم منها حينئذ أو التى ستمنح فى المستقبل ، بما يترتب عليها من حقوق وما ينشأ عنها من واجبات كامتلاك السفن وحرية التجارة والعلاقات بين الأفراد ودية أو غير ودية ، وبما لا يتعارض مع القوانين الأمريكية<sup>(٥٢)</sup> .

ومن ناحية أخرى تعهدت الولايات المتحدة الأمريكية : تقديم مساعدة مالية عاجلة فور التصديق على المعاهدة قيمتها ١٥٠,٠٠٠ دولار ، مع اتخاذ الخطوات التنفيذية لبدء بناء البوارج والسفن الحربية والطرادات التى تتطلبها البحرية العثمانية، بعد الموافقة على هذه الطلبات من قبل مجلس الشيوخ الأمريكى ، بحيث يبدأ البناء فى أحواض السفن الأمريكية ثم ترسل مع قطع الغيار والمعدات إلى الموانئ التركية كي يكتمل البناء فى أحواض السفن بها ، حتى يكون هذا الإجراء الأخير بمثابة فرصة متاحة للتدريب واكتساب الخبرة للأتراك<sup>(٥٣)</sup> .

وقبيل التصديق على المعاهدة فى أكتوبر ١٨٣١م شهدت العلاقات التركية الأمريكية انطلاقة بشتى المجالات السياسية والتجارية والعسكرية والثقافية . وفى المجال السياسى أسرعت الولايات المتحدة بافتتاح قنصلية لها باستانبول فى مارس ١٨٣١م ، وعينت فى الخامس عشر من إبريل ١٨٣١م قائما بالأعمال « ديفيد

بورتر David Porter « وبالرغم من أفكاره التحررية - كما وصفه المسئولون - وإيمانه بضرورة فتح آفاق النشاط التجارى دون قيود<sup>(٥٤)</sup> ، إلا أن مسئولياته وتوجيهاته لم تكن تتم إلا بمشاركة وموافقة وزير الدولة دانيال وبستر Daniel Webster نظراً لحساسية الموقف الأمريكى المتعاطف وقتئذ مع التطلعات القومية والحركات الثورية لولايات البلقان والأرمن ، وبقية العرقيات الأخرى ، سواء فى آسيا وأفريقية كالعرب مثلاً ، مما يعنى انسجاماً إلى حد كبير مع ذات الموقف الروسى وهو العدو التقليدى للدولة والذي جعل طبيعة النشاط بمضيق البسفور والدرنيل على قمة اهتماماته الخارجية<sup>(٥٥)</sup> .

وكانت التجارة هدفاً جوهرياً من أهداف عقد المعاهدة بين الطرفين مما شجع على المبادرة بدفع إحدى السفن لعبور مضيق البسفور والدرنيل ليكون ذلك بمثابة للنوايا الروسية وتقدير مدى حساسية الأوضاع المتشابكة بين القوى المعنية .

وفى أواخر يناير من عام ١٨٣٠م أفلعت من ميناء بوسطن سفينة الشحن « كاليوميت - Calumet وعلى متنها ١٢,٠٠٠,٠٠٠ جالون من شراب الرم - وهو شراب مسكر من إنتاج نيوانجلند - بهدف الوصول إلى روسيا وفارس عبر المضائق التركية ، إلا أن السلطات الأخيرة لم تتعرض لها وكان السبب فى الموافقة على العبور هو « الرغبة فى إظهار حسن النوايا ومدى ما يقدمه الباب العالى من منافع للأصدقاء من الأمريكين سواء بشكل مباشر أو غير مباشر »<sup>(٥٦)</sup> .

وعقب المعاهدة أضحت الولايات العثمانية سوقاً جيداً للمنتجات الأمريكية خاصة القطن ، والأسلحة الصغيرة والمنتجات البترولية والملابس بكل أنواعها . أما السلع التركية التى أخذت فى الظهور فى الأسواق الأمريكية فأتت على رأسها السجائر والمنسوجات الحريرية والسجاجيد والفسق ، كما شهدت حركة التجارة بين البلدين نمواً مطرداً منذ بداية الثلاثينات حتى عام ١٨٤٥م على النحو التالى<sup>(٥٧)</sup> :

العام قيمة السلع المتبادلة بالدولار الأمريكى

٧٠٠,٠٠٠

١٨٣٢م

٩٦٠,٢٠٠

١٨٣٤م

١,٠٥٠,٠٠٠

١٨٣٦م

١,٠٣٠,٦٠٠

١٨٣٨م

١,٠٨٠,٥٥٠

١٨٤٠م

١,٢٧٠,٦٠٠

١٨٤٢م

١,١٢٠,١٠٠

١٨٤٤م

أما آثار المعاهدة عسكريا فقد أوصى سكرتير الخارجية الأمريكية « مارتن فان بيتر Martin Van Buter » تعيين أحد الخبراء ليكون مشرفا ومسئولا عن إعادة تنظيم البحرية العثمانية على أسس حديثة تستطيع بموجبها الدفاع عن نفسها وتتلاءم مع طبيعة النشاط المماثل والمكثف بالبحر المتوسط والمضايق والبحار الأخرى المطلّة عليها ، وبالفعل أصدر الرئيس جاكسون - Jackson قرارا يقضى بتعيين المهندس البحرى « هنرى إكفورد Henry Eckford » فى هذا المنصب بمساعدة خبير آخر هو وليم براون هادسون William Brawn Hadgson وقد بادر الخبيران قبيل تسلمهما العمل باستانبول بالتخطيط وبناء طراد حربى أطلق عليه اسم ( الولايات المتحدة ) تبلغ حمولته ١,٠٠٠ طن ومزود بست وعشرين مدفعا ليكون بمثابة رسم للصدّاقة وتعميق للعلاقات العسكرية بين البلدين<sup>(٥٨)</sup> .

وكان أن أعد إكفورد فور وصوله تقريرا شاملا قدمه إلى الباب العالى شرح فيه بإسهاب ما تتعرض له البحرية العثمانية من مشاكل ومنافسة لقوتها البحرية بالقياس مع ما تمتلكه بقية الدول الأخرى كروسيا وإنجلترا ، بل وحتى من بعض ولاياتها كمحمد على باشا نفسه . وأكد أن نقطة الضعف الرئيسية فى هذا الميدان

العسكري ترجع تبعاً لتقديره إلى طبيعة النشأة البرية للدولة بالقياس مع القوى البحرية المنافسة لها خاصة إنجلترا التي تعتبر هي الأقوى على المستوى العالمي . وأضاف التقرير أن الدولة العثمانية تمتلك الكثير من الإمكانيات التي يمكن لو حسن استغلالها أن تتبوأ مكانة متقدمة نظراً لموقعها الاستراتيجي وإطلالتها على البحر المتوسط وقيمتها العالمية والمضايق المتحكمة في شريان رئيسي من شرايين التجارة، فضلاً عن مناطق سيادتها المطلقة على البحر الأحمر والخليج الفارسي<sup>(٥٩)</sup>.

واقترح إكفورد أهمية البرنامج التدريبي طويل الأمد للمهندسين والعمال الأتراك ، سواء بالموانئ الأمريكية أو التركية ، لاكتساب الخبرة والعمل على السفن أو في العمليات العسكرية التدريبية المرتبطة بالبحر ، إضافة إلى حتمية بناء أحواض وترسانات حديثة للسفن تجارياً وحربياً في آن واحد<sup>(٦٠)</sup> .

وعند وفاة إكفورد في منتصف نوفمبر ١٨٣٢م وبناء على ترشيح من بورتر، عين المهندس فوستر رودس - Foster Rhodas على رأس خمسة عشر مهندساً وعشرات من العمال الأمريكيين إضافة إلى ما يزيد على (٦٠٠) ستمائة عامل من الأتراك والإيطاليين والألمان ، لبناء حوض للسفن على النظام الحديث (إينالي كافاك ) - Aynali Kavak الواقعة على ضفاف القرن الذهبي<sup>(٦١)</sup> ، وقد تم بناء أول فرقاطة لحساب البحرية العثمانية في ١٨ مايو ١٨٣٥م . وفي ٢١ أغسطس ١٨٣٧م أعدت قاذفة للهب مزودة بعشرين مدفعاً ، أسهمت في سد نقص واضح في هذا الجانب القتالي<sup>(٦٢)</sup> .

أما على الجانب التبشيري ، فإضافة إلى مقر البعثة التبشيرية السابقة في أزمير ، افتتحت الولايات المتحدة قنصلية أخرى لها في استانبول عام ١٨٣١م تحت رئاسة وليم جوديل William Goodell الذي ترجم الكتاب المقدس إلى الأرمنية والتركية ، واستطاع إقامة فروع لبعثته في بعض المدن التركية والعربية الأخرى مثل طرايزون ، أرضروم والبصرة حتى بلغت أعداد أمثالها في نهاية السبعينات من ق ١٩ ما يزيد على الثلاثين في مختلف أنحاء ولايات الدولة

العثمانية ، كذلك أسست كلية روبرت - Ropert College<sup>(٦٣)</sup> التي أطلق عليها بعد ذلك مسمى « جامعة البسفور » ثم تلتها كلية استانبول للبنات عام ١٨٧١م<sup>(٦٤)</sup> ومعها أيضا أسست الكلية الوطنية<sup>(٦٥)</sup> .

بهذه الخطوات المتوازية التي أخذت في التبلور والنمو على كافة الأصعدة استطاعت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والدولة العثمانية تحقيق هدفهما بإقامة علاقات شاملة بينهما .

\* \* \*

ويعد ، فقد جاءت هذه التطورات التي أدت إلى توقيع معاهدة التجارة والصداقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والدولة العثمانية كإقرار طبيعي للتطورات التي أعقبت حرب الاستقلال التي كان أبرزها النشاط الاقتصادي المحموم الذي شهدته داخلية العالم الجديد والتسابق بين الأفراد المغامرين والتجار بعضهم البعض ، وبينهم وبين الشركات الاحتكارية حديثة النشأة في جانب ، وعلى الجانب الآخر لقطف بعض ثمار التجارة العالمية النشطة وما صاحبها من تنافس بين القوى الكبرى في ذلك الوقت في أواخر ق ١٨ وبداية ق ١٩ .

وبالرغم من سياسة العزلة المعلنة رسميًا ، إلا أن الواقع العملي كان غير ذلك ، خاصة من قبل ممارسات الكثير من التجار والمغامرين، وتحت ستار مسميات أنشطة أخرى أتى التبشير منها في المقدمة ، الأمر الذي استثمرته الإدارة الأمريكية أيضًا من وراء حجاب لتحقيق بعض تطلعاتها الخارجية لإقامة مراكز اتصال لها في آسيا وأفريقية بعد ذلك ( سلطنة عمان ، شرق أفريقية ) .

أما الدولة العثمانية فكانت من جانبها تجد في البحث للعثور على ظهير لها يمكنها من إقالتها من عثراتها ودعم تطلعاتها الإصلاحية في كافة المجالات أولاً ، ثم خلق نوع من التوازن بين عناصر التنافس الدولي المستعر حولها والحصول على موازنة مثل هذه القوة الناشئة الجديدة « الولايات المتحدة الأمريكية » ثانيًا .



ولما كانت الدولة العثمانية وقتئذ غارقة في متاعبها المتشابكة داخليا وخارجيا، مما أعاق تطلعاتها لتنشيط أوضاعها السياسية والعسكرية والاقتصادية ، فقد أخذت الولايات المتحدة زمام المبادرة في الاتصال بعد تخلصها من مشكلتها الجوهرية ، وانطلق التوجه الخارجى منها حول محورين أحدهما عشوائى من قبل المغامرين التجار ورجال البحر ، والثانى سار ذو صبغة حكومية رسمية . واعتمد التوجهان على الزحف التدريجى نحو مبتغاهم لجس النبض والحذر من رد الفعل البريطانى والفرنسى المعادى .

وبالقدر الذى كانت العثرات الداخلية والخارجية التى اعترضت سبيل الطرفين التركى والأمريكى على حد سواء تمثل به عائقا أمام تحقيق الغاية المنشودة لأكثر من ثلاثين عاما كانت هذه الصعوبات ذاتها عاملا رئيسا من عوامل الدفع والتشجيع للمضى قدما نحو الاقتراب بينهما للوصول إلى ما يأملان فيه ، حتى تمكنا سويا من توقيع المعاهدة عام ١٨٣٠م ، واستطاعت الولايات المتحدة بها العثور على موطئ قدم لها على طرق التجارة بالبحار الشرقية ، سرعان ما ثبتته بشكل راسخ بتوقيع معاهدة للصدقة والتجارة مع سلطنة عمان عام ١٨٣٣م .

أما الدولة العثمانية فقد أسهمت هذه المعاهدة إلى حد ما فى تشجيع سلاطينها على مواصلة خطواتهم الإصلاحية باتجاهات شتى ، بالرغم مما شاب هذه التوجيهات من ثغرات عدة كان أبرزها عدم وجود آلية واضحة ومحددة للإصلاح ، فضلا عن أن هذه الرغبة لم تكن تعبر إلا عن طموح شريحة بعينها (الفئات العليا) دون بقية عناصر الدولة المتعددة الفئات والعرقية ، إضافة إلى التشابك والتداخل بين الغايات والتطلعات الإصلاحية ذاتها .



## الهوامش

(١) A. B. C. F. M. (American Board of Commissioners for Foreign Missions), 16. 9. 3/23. Report from Admiral C. M. Chester 'American Commercial Opportunities in Turkey, To Department of State, 2/4/1907.

Ibid. (٢)

A. M. C. F. M. 16. 9. 3/3709, Report from Smith (W.), To Department of State, 3/5/1786.

(٤) بانيكار ( ك. م. ) : أسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، مراجعة أحمد خاكي ، القاهرة ١٩٦٢م ، ص ص ١٤٣/٩٥ .

(٥) أحمد توفيق مدني : الثلاثمائة بين الجزائر وأسبانيا ١٤٩٢/١٧٩٢م ، الجزائر ، بدون تاريخ ، ص ص ٥٢٧/٥٠٩ .

A. B. C. F. M. 16. 9. 3, 908, Despatch from Continental Congress to Jefferson (T.) 19/10/1786.

A. B. C. F. M. 16. 9. 3/24, Despatch from Adams (J.) to Sublime Porte, 19/2/1782.

A. B. C. F. M. 16. 9. 3/7302, Despatch from Adams (J.) to the Continental Congress 17/11/1786.

(٩) نيفنز ( ألان ) وكوماجر ( هنري سنيل ) : موجز تاريخ الولايات المتحدة ، ترجمة محمد بدر الدين خليل ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص ص ٦٥/٦٢ .

انظر كذلك ، شيني ( ل. ج. ) تاريخ العالم الغربي ، ترجمة محي الدين حفني ناصف ، مراجعة على أدهم ، سلسلة الألف كتاب (٥٤٦) ، القاهرة ، ص ص ٢٨٠/٢٧٦ .

(١٠) نيفنز ( ألان ) وآخر : المرجع نفسه .

A. B. C. F. M. 16. 9. 3/2601, Report from Graves (J.), American Interests in Turkey, 25/3/1789.

A. B. C. F. M. 16. 9. 3/260, OP. Cit. (١٢)

Ibid. (١٣)

Phillips (James D.), Salem and Indies, The Story of the Great (١٤)  
Commercial Era of City, Boston, 1949, pp. 139/241.

Malone (J.), America and the Arabian Peninsula, The Middle East (١٥)  
Journal, Vol. 30, 1976, P. 408.

Malone , OP. Cit. (١٦)

I. O. Boards Collection, Vol. 192, Letter from Manesty (S.), Gombron (١٧)  
to the Court of Director of the East India Company, 3/12/1797.

I. O. Board's Collection, Vol. 192, Letter from Manesty (S.), to the (١٨)  
Court of Director of the India Company, 5/7/1798.

(١٩) فى هذه الفترة كان جون آدامز قد أصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية لفترة  
رئاسية واحدة من عام ١٧٩٧ حتى عام ١٨٠٠ م .

(٢٠) بعد وساطة من بروسيا وإنجلترا وهولنده وقعت الدولة العثمانية مع روسيا معاهدة  
للتصلح فى ( زشتوى ) فى جمادى الأولى ١٢٠٦هـ / يناير ١٧٩٢م وبعدها ،  
دخلت الدولة مرحلة من الإصلاح الداخلى قاده « كوجك حسين باشا » ، خاصة فى  
المجال العسكرى والمالى ، وكان سبيله فى هذا الهدف تحطيم القاعدة العسكرية  
التقليدية للجيش العثمانى أولاً وهم الانكشارية .

انظر : محمد فريد بك المحامى : تاريخ الدولة العثمانية ، تحقيق إحسان حقى ،  
ط٢ بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ص ٣٧٠/٣٧٢ .

مجموعة مجلس مخصوص : وثيقة رقم ٣٠٦٩٧ رسالة من الباب العالى إلى السيد  
آدامز بشأن العلاقات بين الدولة العلية والحكومة الأمريكية فى شوال  
١٢١٣هـ / ١١/٧/ ١٧٩٨م .

A. B. C. F. M. 109/6705, Annual Report from Crooker (S.), 22/2/1800. (٢١)

(٢٢) مجلس مخصوص : وثيقة ٣٦٨ من الصدر الأعظم للدولة العلية إلى السيد وإيم  
سميث مفوض الدولة الأمريكية فى لشبونة ، بخصوص تعزيز العلاقات بين  
الدولتين ١٥ رجب ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م .

(٢٣) نفس المصدر .

A. B. C. F. M. 109/34102, Annual Report from Brewster 18/4/1805. (٢٤)

A. B. C. F. M. 109/10019, Annual Report from Crooker (S.), (٢٥)  
19/2/1801.

A. B. C. F. M. 109/1786, Annual Report from Crooker (S.), 30/1/1803. (٢٦)

A. B. C. F. M. 109/538, Annual Report from Brewster (J.), 18/1/1809. (٢٧)

Ibid. (٢٨)

(٢٩) مجموعة خارجية : وثيقة رقم ٨٩٧٣ تقرير من طلعت باشا ، إلى الباب العالي  
بشأن نشاط بعض التجار الأوربيين والأجانب بالأناضول والروميللى صفر  
١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م .

(٣٠) المصدر نفسه .

(٣١) بالرغم من إعلان فرنسا التخلي عن موقفها بالنسبة للولايات المتحدة ، إلا أن  
إنجلترا استمرت في تطبيق سياستها المعلنة ، مما أدى إلى استمرار سوء العلاقة  
بين الطرفين وجعله سبباً في إعلان الحرب بينهما عام ١٨١٢م ، التى انتهت فى  
٢٤ ديسمبر ١٨١٤ بتوقيع معاهدة جنت Gand بوقف العدوان وجلاء كل فريق  
عن أراضي الفريق الآخر بين كندا والولايات المتحدة : انظر : د. عبد العزيز  
سليمان نوار ، ود. عبد المجيد نعننى : تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث  
، بيروت ١٩٧٣ ، ص ١٠٤/١٠٧ .

N. A. U. S. A., Department of State, 711/6718, Annual Report (٣٢)  
(Turkish, Request That United State Sell Them Vessel on 1860-  
History.) 18/9/1861.

N. A. U. S. A., Department of State, 867/51, Despatch to Sublime (٣٣)  
Porte, 16/3/1818.

N. A. U. S. A., Department of State, 867/601, Despatch from Sublime (٣٤)  
Porte, to Dep. Of State, 27/5/1818.

(٣٥) هنرى كوماجر وألن نيفنز : المرجع السابق ، ص ١٤٩/١٥٠ .

I. O. Boards Collection, Vol. 192, Report on 'A voyage Round the (٣٦)  
Middle West of America from James Carnac' The Governor of the  
Board of Control of the East India Company, 7/3/1834.

Ibid. (٣٧)

Olson (Keith W.) American History, Maryland, 1964, pp. 61/64. (٣٨)

N. A. U. S. A., Department of State, 864/034, Despatch from Harison, (٣٩)  
(Richard), Philadelphia, 13/7/1827.

N. A. U. S. A., Department of State, 864/034, OP. Cit. (٤٠)

N. A. U. S. A., Department of State, 864/034, Despatch from David (٤١)  
(O.), 7/4/1828.

(٤٢) نيفينز وكوماجر : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

N. A. U. S. A., Department of State, 867/9867, Report from Clay (H.), (٤٣)  
25/8/1826.

N. A. U. S. A., Department of State, 867/3109, Despatch to David (٤٤)  
(O.), 14/11/1828.

(٤٥) مجموعة مجلس مخصوص ، وثيقة رقم ٦٠٥١ ، تقرير للصدر الأعظم موقع من  
كاتب سر ( مكتوبجى ) عن الحادثة المشنومة ( ناورين ) فى ١٥ ربيع ثانى  
١٢٤٣هـ / نوفمبر ١٨٢٧م .

(٤٦) المصدر نفسه .

(٤٧) مجموعة مجلس مخصوص ، رقم ١٣٠٧٩ ، رسالة من مكتوبجى الصدر الأعظم  
إلى الخارجية الأمريكية فى ٧ شوال ١٢٤٣هـ / مايو ١٨٢٨م .

(٤٨) كان ذلك فى شهر ذى القعدة ١٢٤٠هـ / آخر يونية ١٨٢٦م .

(٤٩) مجلس مخصوص : وثيقة رقم ٧٣٤٦ ، عرض اجتماع لمستشارى الصدر الأعظم  
بخصوص العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية وإمكانية شراء سفن حربية  
منها، جمادى الأولى ١٢٤٣هـ / فبراير ١٨٢٨م .

N. A. U. S. A., Department of State, 867/0023, Report from Charles (٥٠)  
(R.), 17/6/1830.

N. A. U. S. A., 867/0023, OP. Cit. (٥١)

Ibid. (٥٢)

N. A. U. S. A., 867/0023, OP. Cit. (٥٣)

N. A. U. S. A., Department of State, 667/096, Report on Opportunities (٥٤) for Extension of American Trade in Turkey, 19/9/1832.

N. A. U. S. A., 66/096, OP. Cit. (٥٥)

(٥٦) أوراق بيلديز سراى : وثيقة رقم ٧٣ . تقرير من والى « سينوب » إلى الصدر الأعظم عند مرور بعض السفن الأجنبية إلى البلاد الروسية ، بشكل مؤقت فى شوال ١٢٤٤هـ / مايو ١٨٣٠م .

N. A. U. S. A., Department of State, 711/5308. Report from Webster (٥٧) (D.), 3/5/1845.

N. A. U. S. A., Department of State, 711/6016, Report from Martin (V. (٥٨) B.) American Relations with Turkey, 8/4/1832.

N. A. U. S. A., 711/6016, 8/4/1832, OP. Cit. (٥٩)

Ibid. (٦٠)

N. A. U. S. A., Department of State, 711/0807, Despatch from Porter, (٦١) 15/2/1833.

(٦٢) مجموعة أوراق بيلديز سراى : وثيقة رقم ٧٦٩ ، تقرير من رامز باشا عن النشاط البحرى للخبراء الأجانب فى ميناء اينالى كافاك ، ذو الحجة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٨م .

(٦٣) كانت هى الكلية الوحيدة الأولى التى أقيمت فى ذلك الوقت عام ١٨٦٣م فى منطقة الشرق الأدنى ، وقد أقيمت فى استانبول على ضفاف البسفور ولم تكن هذه الكلية خاضعة لإشراف أى من البعثات والمجالس التبشيرية لكنها كانت تحت إشراف القنصلية ، وقد اندمجت مع كلية القانون فى ولاية نيويورك ، وشملت قسميها اندراسيين علوم الهندسة وآخر للزراعة . انظر فى ذلك :

Barton (James L.) American Educational and Philanthropic Interests in the Near East, The Moslem World Journal, Vol. 23, No. 1, January, 1933, P. 130.

(٦٤) أقيمت باستانبول أيضا بالقرب من كلية « روبرت » وانصبت مقرراتها على مناهج التربية التعليمية لتخريج المعلمات أكثر من كونها دراسة أكاديمية ، ثم اندمجت الكلية بعد ذلك مع كلية القانون فى ماساشوسيتس - Massachusetts واعتبرت كمعهد عال لتعليم البنات .

(٦٥) انصببت الدراسة بها على فنون الزراعة بالإضافة إلى الفنون الحرة إلا أن الدراسة بها كانت للبنين فقط ثم انضمت أيضاً مع كلية القانون سابقة الذكر.  
انظر عن هذه الكليات السابقة :

Barton, American Educational, OP. Cit.

## المصادر والمراجع

أولاً : وثائق تركية :

وهي صور للوثائق الأصلية ، محفوظة بقسم الوثائق والدوريات بدارة الملك عبد العزيز بالرياض وقام بترجمها إلى اللغة العربية كل من :

١ - الأستاذ صبحى فرزات .

٢ - الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد متولى .

٣ - الأستاذ الدكتور الصنصافى أحمد القطورى .

٤ - الدكتور مجدى بكر .

١ - مجموعة مجلس مخصوص :

شوال ١٢١٣هـ

وثيقة رقم ٣٦٩٧

رجب ١٢١٩هـ

وثيقة رقم ٣٦٨

ربيع ثان ١٢٤٣هـ

وثيقة رقم ٦٠٥١

جمادى الأولى ١٢٤٣هـ

وثيقة رقم ٧٣٤٦

شوال ١٢٤٣هـ

وثيقة رقم ١٣٠٧٩

٢ - مجموعة خارجية :

صفر ١٢٢٤هـ

وثيقة رقم ٨٩٧٣

أوراق بيلديز سراى :

شوال ١٢٤٤هـ

وثيقة رقم ٠٧٣

نو الحجة ١٢٥٥هـ

وثيقة رقم ٧٦٩

ثانيا : وثائق وزارة الهند I.O. (India Office)

1- Boards Collections, Vol. 192, 7/12/1797.

2- \_\_\_\_\_, Vol. 192, 5/7/1798.

3- \_\_\_\_\_, Vol. 192, 7/3/1843.

ثالثاً : وثائق أمريكية :

١ - وثائق مجلس مفوضي البعثات الخارجية :

A. B. C. F. M. (Board of Commissioners for Foreign Missions.

أولاً : ملف رقم 16. 9. 3

I- 16. 9. 3/24, 9/2/1782.

908, 19/10/1784.

3709, 3/5/1786.

7302, 17/11/1786.

260, 25/3/1789.

23, 2/4/1907.

ثانياً : ملف رقم 109

ويحتوى على تقارير المجلس السنوية

II- 109/6705, 22/2/1800.

10019, 19/2/1801.

1786, 30/1/1803.

5138, 18/1/1809.

ثالثاً : ملفات الخارجية الأمريكية :

I- 667/096, 19/9/1832.

II- 711 0807, 15/2/1832.

6016, 8/4/1832.

5308, 3/5/1845.

6718, 18/9/1861

III- 867 51, 16/3/1818.

- 601, 27/5/1818.

- 9807, 25/8/1826.

- 034, 2/4/1828.

- 3109, 14/11/1828.

- 0023, 17/6/1830.

رابعاً : مراجع عربية ومعربة :

١ - أحمد توفيق مدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا

(١٤٩٢م/١٧٩٢م) - الجزائر ، بدون تاريخ .



- ٢ - بانيكار ( ل . م . ) : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة توفيق جاويد ، مراجعة أحمد خاكي ، القاهرة ١٩٦٢ م .
  - ٣ - شيني ( ل . ج . ) : تاريخ العالم الغربي ، ترجمة محي الدين حفنى ناصف ، مراجعة على أدهم ، سلسلة الألف كتاب ( ٥٤٦ ) .
  - ٤ - د . عبد العزيز سليمان نوار ود . عبد الحميد نعنعي : تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث ، بيروت ، ١٩٧٣ م .
  - ٥ - محمد فريد بك المحامى : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقى ، ط ٢ ، بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
  - ٦ - هنرى ستايل كوماجر ، وآلن نيفنز : موجز تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ، ترجمة محمد بدر الدين خليل ، القاهرة ١٩٨١ م .
- خامسًا : مراجع بلغة أجنبية :

- 1- Olson (Keith W.), American History, Maryland, 1964.
- 2- Phillips (James D.), « Salem and India, » The Story of the Great Commercial Era of City, Boston, 1949.

سادسًا : دوريات أجنبية :

- I- Barton (James L.) American Educational and Philanthropic Interests in the Near East, The MOSLEM World Journal, Vol. 23, No. 1, January, 1933.
- II- Malone (Joseph J.), America and the Arabian Peninsula, The Middle East Journal, Vol. 30, No. 3, 1976.



# على الغياتى ودوره فى الحركة الوطنية

د. حسن أحمد يوسف نصار (\*)

## كفاحه فى صفوف الحزب الوطنى :

ولد ( على الغياتى ) فى أسرة متوسطة الحال فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٨٥ بمدينة دمياط<sup>(١)</sup> ، والتحق بكتاب القرية قبل أن يتجاوز السادسة من عمره وما أن بلغ الثامنة حتى كان قد حفظ القرآن الكريم ثم أرسله أبوه إلى المعهد الدينى فى (جامع البحر) ليتلقى علوم الدين وأصول اللغة والبلاغة<sup>(٢)</sup> ، وتفتحت مدارك على الغياتى مع بداية القرن العشرين على فضاءات البريطانيين مع أن الاحتلال بدأ يؤثر فى الأمة تأثيراً ملؤه اليأس والقنوط ألا أن فترة البعث الوطنى جاءت على يد مصطفى كامل كانت تدعو إلى الحرية والاستقلال ، وبدأت دعوته غريبة على الأذهان ، إذ كيف تقوم حركة وطنية لاستخلاص الاستقلال من يد أقوى الدول نفوذاً. ولكن وطنية مصطفى كامل كانت أقوى من الجيل الذى ظهر فيه ، فكانت رسالته جهاد من أجل الحرية والاستقلال بعد الاستسلام للاحتلال والاستعباد<sup>(٣)</sup> . ومع ذلك فقد كان ( على الغياتى ) فى معزل عن هذه الحركة الوطنية إذ ( أنه نشأ بين قوم كرام غير أنهم محافظون يعبدون الحكام كأنهم آلهة يحيون ويميتون ثم لا يكادون يذكرون الوطن والوطنية على الإطلاق )<sup>(٤)</sup> .

بدأت أولى أفكار ومبادئ الشيخ ( الغياتى ) تتبلور بطريقة غير مباشرة لدعوات الإصلاح التى تبناها جمال الدين الأفغانى ثم ( محمد عبده ) والتى تنحصر فى الدعوة إلى نبذ الخرافات التى لحقت بالدين الإسلامى ، كالتوسل بالأولياء والتواكل والاستسلام ، وعدم الأخذ بأسباب التقدم التى اتبعتها الغرب . وكان الغياتى بعقله المتفتح ونفسه المتوثبة يعكف على دراسة هذه الآراء وينشرها بين الطلاب ، ويدافع عنها بحماسة ، مما أثار خصومات بينه وبين شيخ المعهد الملتحق

(\*) مدرس بكلية آداب - قنا - جامعة جنوب الوادى .

به فى دمياط ، انتهى به إلى الطرد ، فترك المعهد ليعمل مدرساً بإحدى المدارس الابتدائية الخاصة<sup>(٥)</sup> حيث بقى بين أهله حتى ناهز الثانية والعشرين من العمر ثم غادرهم إلى القاهرة .

انتقل الشيخ الغياثى إلى القاهرة ليعمل محرراً بجريدة الجوائب المصرية ، وهى جريدة يومية سياسية أدبية تجارية يرأس تحريرها ( خليل مطران ) ، فكان الغياثى الأزهرى الشاب فى مطلع عمله بالصحافة لا يتردد فى أن يقف إلى جانب رأى الحر الذى يراه على صواب دون أن يقيم وزناً لسلطان خصوم هذا الرأى<sup>(٦)</sup> واستمر الغياثى فى كتاباته الثائرة فى تلك الجريدة إلى أن تركها كما يقول « بسبب سياستها فى عهد صاحبها الجديد ( عطا بك حسنى ) والذى كان معروفاً بأنه صهر العائلة الخديوية<sup>(٧)</sup> . وقد حدث أن الغياثى كتب إحدى مقالاته بعنوان ( الدستور أميرنا ) فلم تكد تعرف حتى أمر صاحب الجريدة برفعها وإحلال أخرى محلها وإعادة طبع الجريدة . وجمع ما تم توزيعه فى السوق لأن المقال كان يغلب عليه الطابع الوطنى إذ كان يطالب الخديوى بالدستور وكان أن خرج الغياثى من ( الجوائب ) ليكتب فى ( اللواء ) لسان الحزب الوطنى آنذاك .

وعلى أنه حدث أثناء فترة عمل ( الغياثى ) فى جريدة الجوائب أن قامت فتنة دينية فى دمياط بسبب خلاف بين علماء الدين ، اشتعلت ناراها بتدخل العوام ، ورفع أمرها إلى مشيخة الأزهر والخديوى . وكان أحد علماء دمياط ( الشيخ حسن على ) قد قصد فى ليلة المولد النبوى مسجد النفيس وبعد قراءة قصة المولد حدث الحاضرين على الالتزام بما جاء فى كتاب الله وما صح من أحاديث الرسول ﷺ ، وحذرهم من السجود للأولياء والاستجداء بهم ، وعندما علم شيخ المسجد ( الشيخ النحاس ) بما حدث حرص اثنين من قدامى العلماء على نقل ما جاء على لسان الشيخ ( حسن ) محرراً إلى الأهالى عندئذ قام الرعاع برمى منزل الشيخ بالحجارة ، مما أدى به إلى الاستجداء بالحكومة وصنور حكم المشايخ بمنع هذا العالم من

التدريس وقطع راتبه وجرايته سنة كاملة، ورأى الغيايى أن هذا الحكم هو ( من عمل الشيطان ) وعقب عليه قائلاً ( فهل بعد هذا نرجو تقدم الأمة بإرتقاء العلم والعلماء ؟ هل بعد هذا نعلق آمالنا بالأزهر ورجاله ؟ .

هكذا كانت بداية ( الشيخ الغيايى ) تتبى عن دور ملموس فى ميدان الجهاد الوطنى ، والوقوف ضد الجمود والتأخر فهو يدعو الأثرياء للتبرع للعالم الديمقراطى الذى نعت بالكفر والهرطقة لدرجة أن خليل مطران ( المسيحى ) رئيس تحرير الجوانب تبرع بثلاث راتبه لهذا الشيخ ، كما أيد الكتاب الغيايى فيما يدعو إليه انتصاراً للحق ، ومنهم الفيلسوف الكبير ( شبلى شميل )<sup>(٨)</sup> وانهالت رسائل القراء تحى الجريدة وصاحبها ، مما جعل الغيايى يوجه كتاباً مفتوحاً إلى شيخ الجامع الأزهر يندد فيه بالحكم على الشيخ حسن على ، ثم نشر ما كتبه فى (الجوانب المصرية) وما استكتبه السادة الأفاضل فى رسالة سماها ( سيف الله الصارم ) طبعت بمطبعة الجوانب فى ٦ يناير سنة ١٩٠٨<sup>(٩)</sup> . وقد نظم الغيايى قصيدة جريئة وقاسية هاجم فيها دعاة الجمود الذين كانوا يعملون فى ذلك الوقت مع الاحتلال حتى وان كانوا من علماء الأزهر جاء فيها<sup>(١٠)</sup> .

يا ويل من عبدوا القبور واشركوا      بالله بين توسل وتضرع  
ورأوا من العلماء تأييداً لهم      فمضوا وما فطنوا لغى مبدع  
يا قوم أن أولئك العلماء      قد جعلوا الشريعة سلماً لنمطمع  
فهلما تتبذ رأيهم ونرى لنا      رأياً تنزه عن فساد المنزع

وكانت نتيجة التأييد الذى لقيه الشيخ ( حسن ) من الغيايى أن حيكمت ضده المكائد ، فأدخل الجيش بدعوى أنه أعفى من القرعة العسكرية لطلب العلم ، وأنه لم يقض المدة القانونية بعد المعافاة دون الاشتغال بحرفة سواها . وكانت نتيجة تلك المكيدة القبض على الشيخ الغيايى وإخاله ( قسلاق العباسية الأحمر ) اثنى عشر

يوماً . ثم أطلق سراحه بعد ثبوت أنها فرية لا أساس لها من الصحة وفي السجن وقف على أسرار النفور من الجيش المصرى ، وما وصل إليه الجيش من التدهور والتدنى . ويبدو أن الوطنى الثائر ( على الغاياتى ) اعتنق مبادئ الزعيم مصطفى كمال منذ أن استمع إلى خطبته الكبرى التى ألقاها بالإسكندرية فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ ، وصار من تلاميذه وأنصاره الأوفياء المحافظين لعهد طوال السنين<sup>(١١)</sup> ، وكان من الطبيعى أن يكون الحزب الوطنى هو الحزب الذى يروق لمثل الغاياتى ، فلم يكن لشاب فى مثل حماسه ووطنيته أن يجد فى أحزاب مصر فى تلك الأيام مثل حزب الأمة وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية - ما يشبع ميله الفكرى ولم يكن من بين الأحزاب المصرية ما يفوق الحزب الوطنى فى آرائه التى بلغت حد التطرف ، حتى أنه كان يؤخذ عليه عند بعض خصومه أنه يبالغ فى التطرف إلى حد يعنى معه عن حقائق الحياة<sup>(١٢)</sup> .

وهكذا وجد ( على الغاياتى ) ضالته فى الحزب الوطنى وصحفه الوطنية الثورية ، فبدأ ينشر فى ( اللواء ) لسان حال الحزب الوطنى ثم فى جريدة ( العلم ) قصائد نارية ، لا يهاب فيها جانب الاحتلال ، ولا يقيم وزناً لمقام المحاكم أو القضاء ، ولا يجامل فيها أصحاب المقامات الأدبية مثل ( أحمد شوقى ) شاعر الأمير فى ذلك الحين قبل أن تعقد له إمامة الشعر ، كما أنه لم يمالئ شيوخ الأزهر وهو واحد منهم .

وكان مصطفى كامل بحق باعث الحركة الوطنية فى مصر عندئذ وقد واكب هذه الحركة طائفة من الشعراء من أهمهم إسماعيل صبرى وحافظ إبراهيم وأحمد شوقى وأحمد محرم وأحمد الكاشف . وكان شعر هؤلاء يسير موازياً للصحافة جنباً إلى جنب ، ويجرى مثلاً مع حوادث المجتمع ، لا يترك مناسبة من المناسبات حتى تكون له فيها كلمة ، كما كان للنثر الصحفى دوره الهام فى دفع تلك الحوادث إلى الأطراد والنمو . وكثيراً ما كانت تشترك الكلمات فى المعانى والأفكار كما

اشتركت في الغايات والأهداف . وكانت الحركة الوطنية كالأتون تحتاج دائماً إلى من يلقى في داخلها الوقود لتزداد النيران لهيباً فتزداد المشاعر قوة<sup>(١٣)</sup> .

لقد كان الشيخ ( الغاياتي ) في تلك المرحلة من أبرز فرسان الوطنية ، وكان قلمه في يده خير معبر عما يجيش في داخله من تفاعل وصراع ، فجاءت كتاباته حرة شجاعة . فما هو ينشر في ( اللواء ) تحت عنوان ( يا حماة الدين ويحكموا ) قصيدة يؤيد فيها طلبة الأزهر الذين أضربوا عن الدروس احتجاجاً على عدم قبول بعض طلباتهم ، ويعضد فيها استقالة الشيخ ( حسونة النواوي ) شيخ الجامع الأزهر من منصبه ، وذلك لما لقيه الطلبة الأزهريون من سوء المعاملة بلغت حد جلد بعضهم في قبلة مسجد الأزهر بأمر من ( خليل حماد باشا ) رئيس ديوان الأوقاف وقد جاء في هذه القصيدة<sup>(١٤)</sup> :

يا حماة النيل ويحكموا	ودعوا الدين الذي قبرا
إن بيت الله محترم	كيف بات الآن محتقراً
خلق الظالم لهم رجلاً	حارب العدل ومن عدلاً
عشق الجلد وعدته	فغدا الجلد له عملاً

وعندما صدر قانون المطبوعات المقيد لحرية الصحافة قال ( الغاياتي ) تحت عنوان ( صوت المصري )<sup>(١٥)</sup> .

لئن قيدوا مني اليراع واوثقوا	لساني فقلبي كيفما شئت ينطق
فلا يأمنوا تلك القلوب فأنها	دما أراها أوشكت تتدفق

ثم ينشر تحت عنوان ( إلى سمو الأمير والوزارة والأمة ) قصيدة من ثلاث قطع واحدة لسمو الأمير ، وأخرى للوزارة السابقة والثالثة للأمة واعتبر الغاياتي الأمير رأس الحكومة الأكبر وعليه تتعقد آمال الأمة وآلامها . وقد جاء قانون

المطبوعات حائلاً بين الأمير وشعبه ولذلك ( كان يوم إرجاع هذا القانون هو آخر العهد بيننا وبين سموه وقاطع حبل المودة والعتاب الذى أصبح أمره بيد الأفتدة بعد الألسنة ) يقول ( الغياتى ) فى هذه القصيدة :

أعباس هذا آخر العهد بيننا	فلا تخشى منا بعد ذلك عتابا
أرضيك فيما أن نكون أذلة	ننال إذا رمنا الحياة عتابا
ونياس من آمالنا فبك كلما	قضيت علينا أن نكون غضابا
وأرضيت أعداء البلاد وأهلها	وأصلبتنا بعد ( الوفاق ) عذابا
رويدك يا عباس لا تبلغ المدى	ولا تستمع للظالمين خطابا
فما يبتغى ( جورست ) إلا مكيدة	تحول أقلام السلام خرابا
وها قد رمى ( حرية القول ) رمية	بسهمك تجنى للبلاد خرابا

\* \* \*

ويقول ( الغياتى ) فى الوزارة :

ألا أطر الله الوزارة نقمة	ولا بلغت مما تروم مراما
تحاول أن تقضى علينا بإثمها	ولكن ستلقى دون ذلك أثاماً
وزارة خداع أقامته بيننا	يد الحاكمين الأثمين قماما
وبين يديه عصابة ( بطرسية )	تصوب نحو المصلحين سهاماً
جنى ما جنى فى ( نشواى ) وغيرها	ولم يكفه حتى استحل حراما
سلام على عهد الوزارة قبله	وإن كان عهداً لا يبيح سلاماً



ثم استطر يقول فى حق الأمة المصرية :

بنى مصر بشرى فالرخاء محقق	ومن عدم الأقوال رام فعالا
وهذا يراعى فليقيد فإنما	لدى يراع لا يهاب نضالا
سأطلقه يجرى كما شاء حدة	ومن شاء فليقطع عليه مجالا
فلا يتأسوا فاليأس مجلبة الردى	وشدوا إلى نيل الرجاء رجالا
ولا تفزعوا من حاكم أو حكومة	ترى نشر أمال العباد ضلالا
وسيروا إلى ما تأملون بحكمة	ولا تحسبوا النور المبين محالا
فانى لمحت النصر بين صفوفكم	وابصرت عقبى الظالمين وبالا

والملاحظ أن ( الغاياتى ) نهج أسلوب فريد فى التعبير والكتابة سواء شعراً أو نثراً ، فنراه يحرص على شرح ما ينغلق على القارئ من آيات محاولاً توصيل المعنى فى لغة سهلة بليغة يطرب لها وجدان المتلقى . ومن أمثلة ذلك التفسير الذى ساقه لنا هذا الوطنى الغيور لمعنى « سياسة الوفاق » وهى تلك التى أتى بها المندوب السامى البريطانى فى مصر ( جورست ) بعد سياسة الخلاف التى ذهب بها اللورد ( كرومر ) وكان الغاياتى ، يرى أنه لا خير فى سياسة مع الاحتلال ، ويستمر فيقول « أما الحكمون الآثمون فهم الإنجليز المغتصبون وقد كان تعيين بطرس باشا غالى رئيساً للوزراء خلفاً لمصطفى باشا فهمى بمحض أرداتهم ، فهم الذين أقاموه رئيساً للنظار وأصدروا أمرهم من ( لندرة ) بذلك كما رواه المقطم (وهو لسانهم الصادق قطعه الله) . كما يرى ( الغاياتى ) أن اليأس باعث الهلاك ، ولا سبيل إلى نهضة الأمة وحياتها ألا بمحاربة الأمل ومحاربة اليأس ، وذلك تأكيداً لإحدى مآثورات الزعيم مصطفى كامل « لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة » .

وهكذا تسلح الشيخ ( الغاياتي ) بالجرأة البالغة ، ولم يجبن أمام تهديدات سلطات الاحتلال البريطاني ، ولم يتوان عن تجريد تلك الأسلحة في أي ساحة من ساحات النضال الوطني ، بل لم يبال بالنتائج المترتبة على ثورته وحماسه الزائدة لدرجة التضحية بالنفس في سبيل معتقداته الفكرية والوطنية . وكثيراً ما دفعته جرأته الشديدة إلى تحطيم القانون إذا ما دعا الموقف إلى تأييد الحق ورفع الظلم عن الوطنيين والأحرار ، ممن يواجهون الموت في سبيل رفعة أوطانهم .

واستمر نضال الشيخ الغاياتي في مصر قبل هجرته ما بين نظم القصائد في المناسبات الوطنية وتدبير لآلة النثرية في كبريات الصحف الوطنية حتى غداً نجماً ساطعاً ليس فقط في سماء مصر بل في سماء العروبة . واستطاع أن يجعل من مصر كعبة يتجه إليها بنى العرب بأفئدتهم وأبصارهم . وانعكس تأثير معاول الغاياتي في داخل مصر على ما يناظرها من قضايا التحرير المصيري في المشرق وجند قلمه قبل لسانه من أجل نصرة أمال بنى وطنه ولم يدع مناسبة قوية إلا وهاجم فيها الاحتلال البريطاني والقصر والمشايخين لهما . ولم يتوان لحظة في التنديد بالمتملكين والمتخاذلين فنراه يهاجم أعضاء الوزارة البطرسية عندما امتنعوا عن حضور جلسات مجلس الشورى خشية مواجهة أسئلة نواب الشعب ومناقشاتهم فيقول :

يا أيها الوزراء ماذا أنابكم	حتى هجرتكم صورة النواب
أن كان سيف الحق روعكم وقد	هتك الحجاب وصال في الحجاب
أو كان (إسماعيل) <sup>(١٦)</sup> صوب سهمه	فأصاب منكم موضع الأوصاب
ورضيتكم الهرب المعيب لأنه	خير من الإفلاس عند حساب
عاراً عليكم أن يقال وزارة	لم تدر إن سئلت بيان جواب

وتحت وطأة الاحتلال وما لقيه الشعب من صنوف الأذى والظلم - خاصة بعد حادث دنشواى وإقامة المشانق فى ساحة القرية والحكم بالإعدام على العديد من أبناء الريف الأبرياء أخذ الغاياتى يمسح دموع التكاالى واليتامى ويطالبهم بالصبر عسى أن يأتى يوم القصاص من الطغاة فيقول<sup>(١٧)</sup> :

كففى يا مصر دمع الوجل      وارثقب يا نيل نيل الأمل  
جاوز الصبر المدى والصدر لم      يعد فيه الوجد من محتمل  
كم شقاء ! كم بلاء ! كم أذى !      أى حال بعد ذا لم يحل

ومن ناحية أخرى ، أخذ على الغاياتى يناشد الأمم المحبة للحرية الوقوف إلى جانب وطنه الممزق وسارع لتوجيه النداء تلو النداء من أجل رفع قضية مصر فى المحافل الدولية . ولما كانت فرنسا تقف لبريطانيا بالمرصاد فإن الشعب المصرى كان يعلق آمالاً على إمكانية نجاح فرنسا فى زحزحة بريطانيا عن وادى النيل ومن هنا يتفاعل الغاياتى بما يدور فى داخل فرنسا ، فيواسى شعبها بعد أن فاض ( نهر السين ) واغرق جانباً من العاصمة باريس ، وربط أحداث ذلك الفيضان مع قضية مد امتياز قناة السويس لتصبح إلى سنة ٢٠٠٨ بدلاً من انتهائه فى سنة ١٩٦٩ . وقد أمر الخديو عباس الثانى بعرض هذا الموضوع على الجمعية العمومية فى ٨ فبراير سنة ١٩١٠ ، وأثارت هذه القضية مشاعر المصريين وصحفهم فكتب الغاياتى فى اللواء تحت عنوان ( السين يضطرب والنيل ينتحب )<sup>(١٨)</sup> :

ما لقلب ( السين ) يضطرب      وأخوه النيل ينتحب  
بلغت باريس غايتها      فتولى نهرها الطرب

ثم يهاجم أعضاء الجمعية العمومية تحت عنوان ( إليكم نواب الجمعية العمومية ) بقوله<sup>(١٩)</sup> :

أرادوا بمصر محنة وبلاء      وجاءوا بكم يستعجلون قضاء  
لقد بات قلب الشعب مصوباً      سميضى إلى التراب أو ينتأى  
وبات يراع الكاتيين مهتداً      فاطلع من ليل المداد ضياء  
وما قد أتى يوم ( القناة ) معجلاً      فويل لمن ( يوم القناة ) أساء

ولم يكن نثر الغاياتى أقل وطنية من أشعاره ، فجاءت كطلقات الرصاص .  
وعلى الرغم من أن كثيراً من تلك الكتابات أتت لتمجد الواقعة أو الحادثة التى كتبت  
فيها إلا أن جميع كتاباته فى المناسبات ألهمت خواطر الشعب وصارت سلاحاً من  
أسلحة الوطنية ، ففى الذكرى الأولى لوفاة الزعيم مصطفى كامل نشر تحت عنوان  
(رب نكرى هيجت شجناً) :

« قد دهمنى خطب الفقيد العظيم فأقمت حفلات التأبين الجامعة وأديت من  
الفروض الوطنية بعض ما يجب لفقيد الشرق الإسلام ، واشترك خطباء المساجد  
وعلماء الدين وجماعة الكتاب والشعراء فى قضاء هذا الحق الوطنى المقدس .  
وكان الكل مدفوعاً بشعور واحد هو حب الفقيد الممثل لمعنى الوطن والوطنية .  
ولقد جاء يوم الذكرى فحار دمعى بين الشؤون والجفون كما حار مدادى بين السراى  
والقرطاس ، فإذا ما شاركت اليوم الأمة فى شعورها الشريف بكلمات من الشعر  
صادرة عن فؤاد محزون فإننى لا أزال أرانى مع هذا بعيداً عما أريد من التعبير  
والبيان فى هذا الموقف العظيم » (٢٠) .

ثم ينشد هذه الأبيات :

عجباً للقريض كيف عصانى      وادمع دعوتيه فتتأى

كلت يوم الوفاة أول بـاك      نظم الدمع والقريض رثاء  
ليت شعري ماذا دهانى      جف بالأمس مدمعى ومدادى ؟  
إن نكرى الفقيـد بعد ربيع      جدت رزاة بكل فؤاد

\* \* \*

### قضية وطنيتى :

لم يكن لقصائد ( على الغياتى ) الوطنية أن تأتى أكلها فرادى متناثرة هنا وهناك ، ولذا بادر بجمع تلك الأشعار فى ديوان أطلق عليه اسم ( وطنيتى ) وذلك فى منتصف عام ١٩١٠ . وبدا للحكومة آنذاك أنها أمام قذيفة مركزة من التحريض ضد الاحتلال وأنها حملة أثارة إن لم تعالج فى بدايتها ستشـرى خطرها واستـحال القضاء عليها . ولذلك بدأت الحملة على ديوان ( وطنيتى ) وكل ما اتصل بهذا الديوان كـأعنف ما تكون الحملة ، فحكم على محمد فريد والشيخ بعد العزيز جاويش وعلى ( الغياتى ) بالحبس مدداً تتراوح بين السنة وثلاثة شهور . ولعل هذا أول كتاب فى مصر - كما يقول فتحى رضوان - يجر ثلاثة إلى السجن ، ويؤدى إلى هجرة اثنين منهما عن الوطن هجرة طالت ، حتى مات خلالها أحد الاثنين المهاجرين دون أن يرى وطنه ولا أهله ، وبنى فيها الثانى حياة جديدة كاملة خارج وطنه ، ولم يعد إليها إلا بعد أكثر من ربع قرن<sup>(٢١)</sup> .

يروى الغياتى قصة ديوان وطنيتى فيقول « أننى فرغت من قصائد هذا الديوان فى ٢٤ يونيو ١٩١٠ ولما كان طبع مثل هذا الديوان يعرضه للمصادرة فقد قصدت مطبعة يملكها فرنسى وكان الأجانب حينذاك غير خاضعين لتفتيش البوليس المصرى إلا إذا أذنت القنصلية التى يتبعها هؤلاء الأجانب . وكان استصدار هذا الآن يسمح بإخفاء جسم الجريمة . ومن هنا تم طبع الديوان دون أن يصادر وكان عدد النسخ المطبوعة ألف نسخه ... وأردت أن أهدى نسخة إلى الشيخ ( على

يوسف ) صاحب المؤيد ليقرظها ويعلق عليها . ولم يكذ الشيخ على يوسف يطلع على الديوان حتى جرد عليه حملة ضارية ، وكأنه كان يكتب قرار الاتهام ضد الديوان وصاحبه ، وكانت ( المؤيد ) تنافس ( اللواء ) جريدة الحزب الوطنى وتتهم الحزب والجريدة بالتطرف المجنون وتلقى الحكومة هذه الحملة بصدور رجب فأخذت تبحث عن الديوان فى كل مكان تعلم أنه موجود فيه » (٢٢) .

كانت كل كلمة فى ( وطنيتى ) قذيفة فى صدر المحتل من الغلاف إلى الغلاف ، وفى إهداء الكتاب الذى ساقه الغاياتى إلى مصطفى كامل يقول ( فلئن حييت لأنصرن مبادئ الحزب نصراً ، ولأطلعن فى نياجى الخطوب من حياتى فجراً ، ولأجودن بالنفس يوم تدعو البلاد للأمر حراً ، بل لأغيرن أن استطعت وجه التاريخ الحديث فى مصر تغيراً تخر له جبايرة الظالمين سجوداً يكون خشية وفرقاً ويرفع الوطن المفتدى رأسه مهلاً مكبراً منصوراً إن شاء الله ) (٢٣) . وهكذا يشعر المرء للوهلة الأولى بأن الغاياتى كان يؤهل نفسه لدخول السجن ، لأنه جازف بطبع الديوان مع إحساسه الداخلى بأن نسخ الديوان سوف تصادر ، ومعنى المصادرة هو اقتياده للمحاكمة ، ويعلق الدكتور أحمد هيك (٢٤) على الديوان وصاحبه بأن ( على الغاياتى ) ينتمى إلى هذا الجيل من الشعراء الذى سار فى نفس اتجاه الشاعر (محمود سامى البارودى ) ويترسم خطاه نحو الاتجاه المحافظ البيانى الحى . وترجع أهم أسباب ظهور هذا الاتجاه إلى الوعى الناضج الذى بدأ عند بعض المثقفين ... والذى يقرأ ديوان ( وطنيتى ) قد لا يجده كله شعراً من طراز رفيع ولكن يجد فيه باكورة رائعة لشاعر شاب لم يتجاوز عمره ٢٥ سنة ، وإلى جانب ذلك نجد الوطنية الحققة والعقل المتحرر ، ويرى الأستاذ فتحى رضوان أن المتتبع لقصائد الديوان ويقرأ هوامشه لا تتطبع لديه صورة كاملة للعهد الذى ظهر فيه ، صورة شعب يناضل من أجل إجلاء الإنجليز عن أرضه بقلمه ولسانه ، ويتحفر

لقتال أشد ضراوة في سبيل نفس الغاية ، من أجل الدستور ، ومن أجل مزيد من الحريات الداخلية وإصلاح الحكم والضرب على يد المفسدين<sup>(٢٥)</sup> .

ويرى الأستاذ محمد طاهر الجبلوى أن ديوان وطنيتى هو الأول من نوعه الذى تخصص لموضوع واحد هو الوطنية . ذلك أن دواوين الشعراء فى ذلك الوقت كانت تصدر مقسمة إلى أبواب غالباً ما تكون على النحو التالى : باب المدح، باب الرثاء ، باب الغزل والنسيب ، باب الوصف ثم الوطنيات . وهكذا كان ( وطنيتى ) وثبة من وثبات الشاعر فى عالم الشعر والأدب . يقص الشيخ على (الغاياتى ) قصة قضية الديوان فيقول « كان من أشهر القضايا السياسية فى العصر الحديث . وقد كان لها صدى بعيد المدى فى مصر والشرق كما وصلت أنباؤها تترى إلى الغرب . ولا شك فى أن أول من وجه أنظار الحكومة علناً وحرصها بطريقة غير مباشرة على صاحبه هو الشيخ على يوسف<sup>(٢٦)</sup> .

يقول الشيخ على يوسف فى قضية الديوان ( زارنا منذ يومين حضرة الشيخ على الغاياتى ) المحرر بجريدة ( العلم ) وقدم لنا نسخة من كتاب شعري وضعه حديثاً بعنوان ( وطنيتى ) وعزمت على أن أقرظه كما يستحق أديب مثله يحسن الشعر ويعمل كما يعتقد لأحياء الشعور الوطنى ... وأول ما وقع نظرى عليه قول هذا الشاعر المجيد :

يا ليت شعري هل رأيت كما أرى      أن ( المؤيد ) معهد الهفوات

فنشرت فيه ما نشرت وإنما      هى زلة من أكبر الزلات<sup>(٢٧)</sup>

ويستطرد الشيخ ( على يوسف ) فيقول : استوقفنى هذا السباب الموجه إلى (المؤيد) وقلت : لعل حضرة الشيخ أراد أن يوجه إلى هذا الكلام مشافهة بتقديم الكتاب ، ولكنى رجعت وقلت لعل ذلك الزائر لم يقصد هذا وإنما قصد أن أدل قراء ( المؤيد ) على شئ من آيات وطنية البيانات « ثم أورد الشيخ ( على يوسف ) أبياتاً

متفرقة من تسع قصائد للغاياتى كان قد نشرها فى ( وطنيتى ) ، كانت ضمن حيثيات الحكم فى تلك القضية الخطيرة .

ولم يمض يومان على مقالة ( المؤيد ) حتى نشرت الصحف خبراً مؤداه أن إدارة الضبط قبضت على الشيخ ( على الغاياتى ) لأنه نشر ديواناً فيه قصائد تقس تحت طائلة المطبوعات . وقد أحيل إلى النيابة للتحقيق معه<sup>(٢٨)</sup> ، ولكن فى الحقيقة أن الغاياتى لم يقبض عليه ، وإنما كان خارج القاهرة . وذلك أنه علم بأن الحكومة بدأت تبحث عن الديوان فى كل مكان وأن أمراً باعتقاله قد صدر ، وقد نصحه بعض الأصدقاء بأن يفر خارج البلاد وليكن إلى تركيا .

وكان كتاب ( وطنيتى ) أبلغ دليل على : اتهام على الغاياتى بالثورة السياسية والتحريض ضد سلطات الاحتلال . تلك لما احتواه من أشعار ألهمت نار الحماسة لدى العامة والخاصة متبعاً فى قوله سير الحركة الوطنية ، مشرفاً على مشاهد النهضة الحاضرة فيما بين ١٩٠٠ إلى ١٩١٠ من سماء الحزب الوطنى فى ( اللواء ) ثم فى ( العلم ) . فلا ريب أنها أدنى سماء يشرف منها مثل هذا العالم السياسى والكاتب الوطنى على تطور الحركة الوطنية وأدوارها فى مصر . ولعل من بين الأسباب الهامة التى أدت بالحكومة إلى اختلاق قضية تهدد من خلالها الحركة الوطنية هو ذلك التقرير أو المقدمة التى تصدرت الديوان بقلم كل من الشيخ عبد العزيز جاويش رئيس تحرير ( العلم ) لسان حال الحزب الوطنى ، والتى أدت به إلى دخول السجن ومحمد فريد رئيس الحزب الوطنى ورئيس تحرير جريدة اللواء خليفة مصطفى كامل .

يقول الشيخ عبد العزيز جاويش فى تقريره للكتاب « إذا شئت أن تعرف جيد الشعر فدع عنك تفاعيل البحور والتزام الحروف ومحسنات الألفاظ واعتبر بما يتركه فى نفسك من الأثر فإن أحسن الشعر ما يملك قلبك حتى تفرغ منه كما أن أجمل الصور ما يملك بصرك حتى يغيب عنه ... ومن شاء أن يرى نموذج من



الشعر جمع بين رقة الألفاظ وجزالة المعنى ، وألف بين أحكام التأليف وصدق العبارة فليقرأ شيئاً من ( وطنيتى ) . من شاء فليسال عن أثارها تلك الهمم الناهضة والنفوس المتوقدة والعزائم الصادقة فإنها من غراسها وجميل ثمارها « (٢٩) .

افتتح محمد فريد زعيم الحزب الوطنى كتاب الشيخ الغياثى بقوله « لقد كان نتيجة استبداد حكومة الفرد سواء فى الغرب أو الشرق إماتة الشعر الحماسى ، وحمل الشعراء بالعطايا والمنح على وضع قصائد المدح البارد ، والإطراء الفارغ فى الملوك والأمراء والوزراء ، وابتعادهم عن كل ما يربى النفوس ويغرس فيها حب الحرية والاستقلال ... لذلك تنبتهت الأمم المغلوبة على أمرها فجعلت من أول مبادئها وضع القصائد الوطنية والأناشيد الحماسية باللغة الفصحى للطبقة المتعلمة وباللغة العامية لطبقات الزراع والصناع وسواهم من العمال غير المتعلمين ، فكان ذلك أكبر العوامل على بث روح الوطنية بين جميع الطبقات .. ومما يزيد سرورى أن شعراء الأرياف (٣٠) وضعوا عدة أناشيد وأغانى فى مسألة ( دنشواى ) وما نشأ عنها . وفى المرحوم مصطفى كامل باشا ومجهوداته الوطنية وفى موضوع قناة السويس ورفض الجمعية العمومية لمشروعها ... وهى حركة مباركة أن شاء الله تدل على أن مجهودات الوطنيين قد أثرت ووصل تأثيرها إلى أعماق القلوب فى جميع طبقات الأمة وتبشر باقتراب زمن الخلاص من الاحتلال ومن سلطة الفرد بإذن الله « (٣١) .

كان ( وطنيتى ) سجل حافل لوقائع عصر زاخر بالوطنية مما حدا بالسلطة لتقديم صاحبه للمحاكمة . ولم تكن إدانة كل من محمد فريد وعبد العزيز جاویش إلا عقوبة لتأييد كل منها لمضامين هذا الكتاب الذى كان - كما يقول الغياثى - أداة من أدوات الكفاح الوطنى . ولذلك نرى استجابة للأحداث استجابة سريعة ، فلا يكاد الحدث الوطنى يقع حتى يفيض شعره . فعلى سبيل المثال عندما يصرح أحمد

شوقى عن لسان الخديوى عباس فى حديث له مع جريدة ( المؤيد ) أن الخديو لا يستطيع أن يعلن الدستور إلا بأن الأنجليز يعاجله الغاياتى بقصيدة يقول له فيها :

يا شاعر الأمير ويحك هل ترى      فى النثر ما فى النظم من خطرات  
أنى رأيتك فى حديثك شاعراً      لك خيالك زائغ النظرات

ويتورط ( أحمد زكى ) باشا شيخ العروبة بكلمة يحمل فيها على الحزب الوطنى ، فيهاجمه الوطنيون ، فيعتذر عن هذا الخطأ ويصفه بأنه من فلتات اللسان فيعرك ( الغاياتى ) أنه فى نفس القصيدة التى يعاتب فيها شوقى ويختتمها ببيت يقول فيه :

فعليك إصلاح الحديث فأنه      عندى أشد أذى من الفلتات

وفى الديوان مديح لمصطفى كامل وهو على قيد الحياة ورثاء له حين لحق بالرفيق الأعلى ، ومديح وثناء على محمد فريد بعد انتخابه رئيساً للحزب الوطنى ، ومديح للشيخ ( جاويش ) بمناسبة الإفراج عنه بعد اتهامه فى إحدى القضايا ثم عند منحه ( وسام الشعب )<sup>(٣٢)</sup> الذى اكتتب المصريون بثمنه وقلدوه إياه عندما خرج من السجن. ونظم الغاياتى قصيدة فى هذه المناسبة بعنوان ( الوسام بعد السجن ) قال فى مطلعها :

عاد إلى القلم المشهور سيرته      ولاح بدر اللوا من بعد ما احتجبا

تجلو بشاشته الآلام والكربا

وعندما وقع حادث اغتيال بطرس باشا غالى رئيس النظار القبطى انتهز خصوم الحركة الوطنية هذا الحادث وأسرفوا فى القول بأن بساعت ( الوردانى ) على القتل كان باعناً دينياً ، وذلك لبث سموم التفرقة بين المصريين . وقد تصدى أحد المحامين الأقباط الذائع الصيت ( مرقص فهمى ) يدفع عن الحركة الوطنية

هذا الاتهام الظالم فتأثر الغاياتى لهذا الموقف النبيل وكتب قصيدة عنوانها ( إلى خطيب السلام ) يبدأها بقوله :

خطبت فلم تجنح إلى شرعة الهوى      ولم تتخذ الخصام سبيلاً  
وما أمة القرآن في مصر أمة      ترى أمة الإنجيل أبغض جيلاً  
فأنا وأنتم أخوة فى بلادنا      قمنا على دين السلام طويلاً

وتنتقل من الوحدة الوطنية عند الغاياتى إلى الهجوم على ( تيودور روزفلت ) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية سابقاً وذلك للاقائه خطاباً فى الجامعة المصرية أشاد فيها بالاحتلال الأجنبى البريطانى لمصر ، فينبى له من بين من تصدوا له من الكتاب والشعراء فيقول :

لعمرك لست بالرجل الهمام      إذا عد الهمام من إكرام  
كرام الناس أصدقهم حديثاً      وأبعد عن أكاذيب اللثام

ويذكر الغاياتى روزفلت فى هذه القصيدة بأن الإنجليز كانوا يحكمونهم ، وأن الأمريكين الأحرار قد ثاروا عليهم وأشاد ببطولة زعماء النضال الأمريكى مثل واشنطن وجيفرسون . وعندما سافر روزفلت من مصر إلى إنجلترا خطب ثانياً فى قاعدة ( جليد هول ) بلندن فحمل على المصريين من جديد مشيداً بالاحتلال البريطانى فنظم فيه الغاياتى قصيدة أخرى لا تقل قوة عن الأولى تحت عنوان إلى خطيب ( جيلد هول ) يقول فى مطلعها :

ماذا تحاول يا روزفلت من خطب      ترمى مصر عن حقد وعن غضب<sup>(٣٣)</sup>

وها هو الغاياتى لا يجد حرجاً فى مخاطبة السلطان ( عبد الحميد ) فى الآستانة وكان يسمى فى ذلك الوقت بأمير المؤمنين يطالبه فيه بالدستور ويشير إلى نكبة مصر بالاحتلال فيقول<sup>(٣٤)</sup> :

رمتها الحادثات بشر قوم لهم في كل مظلمة شئون  
قضت في عصرهم مصر ولولا رجاء فيك ما قرت عيون  
فاعزز يا حمى الإسلام شعباً بعزك لا ينل ولا يهون

وكان قرار الاتهام في قضية وطنيتي هو إحالة كل من الشيخ جاويش -  
المحرر بجريدة العلم - والشيخ على الغياتي - المصحح بجريدة العلم والشيخ  
محمد حسن القزويني الموظف بقلم تحرير ( العلم ) والياس أفندي دياب صاحب  
مكتبة التأليف إلى محكمة الجنايات يوم ٦ أغسطس برئاسة ( محمد بك مجدى )  
وحضرة ( على بك نو الفقار ) والمسيو ( سودان ) أعضاء كما تقرر إخراج  
إسماعيل أفندي حافظ صاحب جريدة العلم وتأجيل رفع الدعوى على حضرة محمد  
بك فريد رئيس الحزب الوطنى حين عودته من أوربا وذلك لوضع ونشر كتاب  
يسمى وطنيتي ، ويشتمل على قصائد ومنظومات يتضمن بعضها التحريض مباشرة  
على جناية القتل ( صحيفة ٣٤، ٣٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٢ )  
وبعضها التحريض على كراهية الحكومة والازدراء بها صحيفة ( ٣٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ،  
٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ) وبعضها تحسين الجريمة التى ارتكبها  
الشيخ جاويش وحكم عليه من أجلها فى العام الماضى وغيرها ( ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ،  
٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩٢ ، ١٠١ ) وبعضها العيب فى حق ذات ولى  
الأمر ( صحيفة ٥٥ ، ٥٦ ) وبعضها أهانه ناظر الحقانية بصفته موظفاً عمومياً  
( صحيفة ٦٣ ، ٦٤ ) وبعضها أهانه هيئة الوزارة والمحاكم ( صحيفة ٥٦ ، ٦٨ ) .

وهكذا أصبحت صفحات وطنيتي فى قائمة الاتهام حتى كان موعد انعقاد  
محكمة الجنايات الكبرى . وهذه صورة لجلستها كما جاء فى اللواء ( انعقدت  
الجلسة فى الساعة التاسعة صباحاً تحت رئاسة محمد بك مجدى وكل من العضوين  
على بك نو الفقار والمسيو سودان . وكان على كرسى النيابة توفيق بك نسيم

وسكرتير الجلسة جلال أفندى . وكان النظام سائداً ، والقاعة غاصة بالحاضرين يتخللهم رجال البوليس السرى المنتشر خارج القاعة وداخلها . وكان حضرات الشيخ عبد العزيز جاويش والشيخ محمد حسن القزوينى والياس أفندى دياب واقفين فى موقف الاتهام ، وحضر حضرات المحامين الأفاضل للدفاع عن موكلهم ... ثم تكلم حضرة رئيس الجلسة بعض كلمات طلب فيها من الجمهور المحافظة على النظام ونودى على المتهمين فسأل كل منهم عن اسمه وصناعته . وعمره وسكنه ، ثم قام كاتب الجلسة وتلا محضر الجلسة . وبعد ذلك قام وكيل النيابة وطلب معاقبة الشيخ الغاياتى والشيخ جاويش بصفته فاعلاً وشريكاً فى الجناية وذلك لنشر أشياء مخالفة للقوانين بالجرائد » (٣٥) .

سأل رئيس الجلسة الشيخ عبد العزيز جاويش عن التهم الموجهة ضده فقال أنه قرظ الكتاب عن نيه حسنة » . وسئل الشيخ القزوينى عن التهم الموجهة ضده فقال أنه لم يطلع على الكتاب . وسئل دياب أفندى عن التهم الموجهة ضده فقال إنه باعه كسائر البائعين . ثم قام حضرة وكيل النيابة وقال : قام هذا الشاعر المفتون (يقصد الغاياتى ) ووضع هذا الكتاب فلا حى الله وطنيته ولا بارك الله فيها من وطنية قاسقة ، لقد مجد فعل دنجرا والوردانى وكلاهما قاتل سفاك وهذا تحريض على ارتكاب الجنايات .. وقال : نعم هنا فى هذا الكتاب ( وطنيتى ) جملة قصائد أدبية ولكن هذا لا يبرر ما فى هذا الكتاب الذى يعظم الأثم ويدفن الحسنة ... وفى اليوم التالى وقف حضرة توفيق بك نسيم قائلاً بأن النيابة العمومية تطلب معاقبة المتهم ( الغاياتى ) بالمواد ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٠ من قانون العقوبات لوضعه وطبعه كتاب ( وطنيتى ) (٣٦) .

ومع أن عدد من المحامين تطوعوا للدفاع عن المتهمين إلا أن حكماً صدر بإدانة كل من الشيخ الغاياتى والشيخ جاويش ووافق الخديو عباس حلمى الثانى على

حكم محكمة جنايات مصر فى قضية النيابة العمومية رقم ٦٧ سايرة الأزيكية لسنة ١٩١٠ وذلك بالحبس لمدة سنة مع الشغل بالنسبة للغاياتى مع تبرئته من تهمة التحريض على القتل والحبس ثلاثة أشهر على الشيخ جاويش .

كانت معظم القصائد التى احتواها كتاب وطنيتى قد سبق للصحف نشرها فى حينها ، ولم تجد النيابة فيها ما يستدعى المحاكمة إلا أن الوزارة أخذت بسياسة الشدة التى انتهجتها حيال الحركة الوطنية أوعزت إلى النيابة بالتحقيق فيما ورد فى الكتاب ، فأمرت بمصادرته وأصدرت حكمها المتقدم على الشيخ جاويش والغايتى، أما الزعيم محمد فريد الذى اشترك فى تقديم الكتاب فقد كان أثناء التحقيق فى أوربا يدافع عن قضية مصر فأرجأت النيابة إجراءاتها معه حتى يعود<sup>(٣٧)</sup> واعتبرته النيابة شريكا للغاياتى فى التهمة . وكانت الحكومة تريد بالحكم السابق ضد الشيخ جاويش عدم عودة محمد فريد إلى مصر . وقد أشاع خصومه أنه اعتزم إلا يعود خوفاً من الحكم عليه ، ولكن فريد بادر بنفى هذه الإشاعة وهو فى أوربا . ويرى الراقى<sup>(٣٨)</sup> أنه بلغ من تأصل الوطنية الصحيحة فى بيت الزعيم أنه تلقى من كبرى كريماته خطاباً ترغبه فيه فى الحضور تقول فيه ( ولنفرض أنهم يحكمون عليك بمثل ما حكموا به على الشيخ عبد العزيز جاويش فذلك أشرف من أن يقال بأنكم هربتم وما تحملتم الهوان فى سبيل وطنكم ) .

بدأت النيابة العمومية التحقيق مع محمد فريد بعد عودته إلى مصر فى أواخر ديسمبر ١٩١٠ ونظرت القضية أمام محكمة جنايات مصر فى ٢٣ يناير سنة ١٩١١ فانعقدت المحكمة برئاسة المستر ( دلبروجلى ) وعضوية كل من أحمد نو الفقار بك وأمين بك على ومثل النيابة محمد توفيق نسيم وحضر الزعيم بدون اصطحاب أحدًا من المحامين وسأله رئيس المحكمة عن التهمة الموجه إليه وهى تقرظه للكتاب فأجاب قائلاً : « فى الوقت المنسوب إلى فيه تقرظه الكتاب كنت غائباً عن مصر لأنه ظهر فى آخر يونيه وأنا سافرت إلى أوربا فى ٥ مايو ، أما

المقالة فكتبتّها قبل صدور الكتاب ولا علم لى بالمسائل التى فيه لأن كثيراً منها حدث ونظم شعره فى غيابه ، ولما كتبت المقالة كتبتّها باعتماد أنها مما لا يعاقب عليها القانون « وعلى الرغم من ذلك فقد صدر حكم المحكمة بحبس محمد فريد ستة أشهر مع النفاذ . وإذا كان من الثابت أن محمد فريد قد كتب مقدمة وطنيتى دون أن يطلع على محتويات الكتاب بل وقبل أن ينتهى الغياتى من وضعه له فإن الزعيم لم يحاكم من أجل تلك المقدمة بل من أجل موقفه العدائى من الاحتلال والحكومة وأن الغرض من محاكمته إنما هو إرهابه ومعاقبته على إخلاصه فى جهاده ، إذ جاءت تلك المحاكمة بمثابة مأساة قضائية ووطنية وأخلاقية تلقى ظلالاً كثيفة على الحركة الوطنية .

وهكذا تخطت قضية وطنيتى مرحلة الذاتية بل صارت قضية قومية سياسية تناولتها الألسن والأقلام فى مصر على تباين مشاربها ووجدت الصحف جميعها فى الإحكام الصادرة مادة دسمة للخوض فيها واشتركت كافة الصحف فى توجيه النقد إلى تلك الأحكام حتى الصحف المؤيدة للقصر والاحتلال لأنها « كانت ترى أنها صادرة ضد رجل من ذوى الأقلام » استوت فى ذلك صحف المسلمين والأقباط والأجانب<sup>(٣٩)</sup> ، خاصة جريدة المقطم المعروفة بميولها للبريطانيين ، وشق عليها أن يصدر ذلك الحكم على خصمها العنيد وكان ذلك الخصم القديم قد انقلب فى شعورها دفعة واحدة إلى صديق حميم<sup>(٤٠)</sup> أما جريدة ( الاجيشيا جازيت ) فقد علقت على ذلك بقولها « إن الدلائل تدل على أن النيابة لا تعمل بمفردها فى تحقيق قضية الغياتى بل ثمة يد انجليزية من وراء ستار لإدارة التحقيق »<sup>(٤١)</sup> .

أما جريدة ( لوبرو جريه ) الفرنسية فقالت تدافع عن الغياتى بأن الجزء الأكبر من كتاب الشيخ الغياتى عبارة عن ترجمة لقطع من الأدب الأوروبى<sup>(٤٢)</sup> وأنها لم تر فيه إلا تبسيط يناسب العقليّة المصرية ولكنه يهدف إلى جذب القارئ بإفهامه إن محاربة الإنجليز وحلفائهم والخديو وحكومته عمل من الأعمال الوطنية<sup>(٤٣)</sup> ،

ولكنها عادت مرة أخرى تتحدث عن الكتاب فقالت أنه مؤلف سياسى وليس أدبياً ولم يكن لها من دليل تذكره إلا أن محمد فريد والشيخ جاويش قدماه إلى القراء.

وقد كتبت صحيفة ( ايجبت شاناخريشن ) الألمانية مقالا عنيفا تحمل فيه على الحكومة وتدافع فيه عن محمد فريد دفاعا لم تشهده أكثر الصحف العربية وطنية ، وتساءلت عن الجريمة التى اقترفها وقررت أن مقدمة الكتاب لم تخرج عن كونها دراسة أدبية عامة ... وأن أكثر القصائد التى ضمها الكتاب كانت قد نشرت فى جريدة ( اللواء ) دون أن تتخذ الحكومة أى إجراء حيالها واستطردت تقول ( إن الحكم على فريد بك نتيجة طبيعية لما اختطته الحكومة لنفسها من نهج خلال السنتين الماضيتين تجاه الصحف من إنذار وتعطيل وسجن ونفى للكتاب والخطباء ) (٤٤) .

وقد طالب « ريمون كولر » رئيس تحرير صحيفة ( ليجبت ) الخديو بأن يستعمل حقه فى العفو عن فريد بك ذاكرا أن رأى العام جميعه والصحفيين خاصة يشاركونه هذا الرجاء ولكن ( الايجبتشانا خريشن ) تذكر الحكومة بأنها لابد أن ترجع عن تصرفاتها حيال حرية رأى وتنتهج لنفسها خطة جديدة تقوم على الأفكار الحديثة فى الحرية والتساهل وأن هذه الفرصة هى انسب الفرص لاتخاذ هذا الإجراء الذى يكون له أثره الحميد بين مختلف طوائف الشعب المصرى فتطبق بذلك المثل القائل رب ضارة نافعة فربما كان هذا الحكم له أكبر النفع فى أن تعود الحكومة فتقرب ما بينها وبين الشعب الذى تحكمه ، أما الأهرام فقد علقت على تلك الأحكام بقولها « أن مثل هذا النوع من المحاكمات سيكون محضاً يحرك الجمر الذى غطاه الرماد ، رماد السكون والهدوء » (٤٥) .

وعلى الرغم من أن ديوان الشيخ الغياثى صودر بمعرفة سلطات الاحتلال وبسببه قامت تلك الضجة الهائلة إلا أن الأعداد التى وصلت إلى يد الناس كانت كافية لامتداد استمرار لهيب الثورة الوطنية عن طريق التبادل أو الاستعارة ويبدو



أن الكتاب أعيدت طباعته أكثر من مرة بواسطة الوطنيين من تلاميذ الغياتى وأصدقائه ووصل سعره ثمنا باهظاً<sup>(٤٦)</sup> بالقياس لأسعار المطبوعات فى تلك الفترة فكان من الطبيعى أن يتهافت الناس فى كافة أرجاء القطر المصرى على اختلاف انتماءاتهم السياسية على اقتناء نسخ من ( المنشور الثورى ) الذى أدى إلى تعديل قانون المطبوعات واقترن اسمه باسم زعيم الأمة ( محمد فريد ) .

وكما اقترن وطنيتى بـ ( محمد فريد ) - لأنه يعد فى نظر الكثيرين السبب المباشر فى نفي الزعيم نفياً اختيارياً خارج مصر - فإنه ارتبط أشد الارتباط بصاحبه وصار الاسمان متلازمين وإذا كان الغياتى قد ارتفع بالديوان فوق هامات السائرين فى ركاب الإنجليز والأسرة العلوية الحاكمة فلا شك فى أن هذا الكتاب خلق من الغياتى بطلاً قومياً ووطنياً لا نجانب الصواب إذا قلنا أنه وضعه فى مصاف زعماء الأمة الذين تبوعوا مكانة مرموقة فى نفوس الأهلى، بل اعتبر فى نظر بعض الكتاب أنه الباعث الحقيقى لثورة الشعب فى ١٩١٩ ولا عجب أن تفيض الصحف بالمآثر الوطنية الدافقة للغياتى ولديوانه الشهير ، ولصحيفته التى أسسها فى القاهرة بعد عودته وليس أدل على ذلك من تلك الرسالة<sup>(٤٧)</sup> التى يشيد فيها أحد المصريين من الطبقة المتوسطة بمناقب الغياتى وبما يشتمل عليه ديوانه من أشعار ونثرات كانت درساً بليغاً فى تربية النشء إلى جانب انعكاساته الوطنية فيقول :

أنا ابن قولى وحسبى فى الفخار به      وأن غدوت كريم العم والخالى  
فانظر لقولى تجد نفسى مصورة      فى صفحة ققولى خط تمثال

« لقد قرأت كتاب وطنيتى للغياتى فإذا به أجد نفساً عالياً عامرة بالإيمان الثابت زاخرة بالتفانى فى حب الوطن ... وقد لمست الرجولة الفذة والوطنية الصادقة والإنسان الذى كان يفتش عنه الفيلسوف اليونانى ( ديوجين الكلبى ) فالكتاب نفحة ربانية وتحفة أدبية ومشكلة وطنية وشعر رصين . ولو كان الأمر

بيدى لفرضت استظهاره على التلاميذ والتلميذات ، فلا أقل من أن يدخره الآباء ويتخذوه نبراسا لتربية البنات والأبناء ليضمنوا للوطن أشبالاً أخياراً وأمهات لا يقترفن الدنيا ولا ينزلن إلى حضيض الرنيلة .

### هجرة الغياتى خارج مصر :

اختلفت أقوال المؤرخين والكتاب فى سفر الغياتى خارج الوطن فمنهم من يسمى ذلك فراراً<sup>(٤٨)</sup> ومنهم من يطلق عليه هروباً أو ارتحالاً<sup>(٤٩)</sup> . وهناك رواية تقول أن الغياتى هرب من داخل السجن<sup>(٥٠)</sup> وهذا غير صحيح ولكن نأخذ برأى الغياتى نفسه فى أن ذلك كان فراراً ، وأنه كان فى السادس من يوليو ١٩١٠ .

عقد الغياتى عزمه على السفر إلى تركيا ولم يكن يحمل معه جواز سفر يأذن له بمغادرة مصر ولا بدخول تركيا . ولكن لم يكن مثل هذا الجواز ضرورياً فى تلك الأيام ... وسأقت الظروف للغياتى ضابطاً تركيا كان فى رحلة صيد فى السودان فتصادقاً معاً حتى وصلا إلى استانبول ودخلها فى حمايته<sup>(٥١)</sup> . وفى الأستانة علم بأن الحكومة بدأت فى تفتيش المنازل والمكتبات والمحلات عن أى نسخة من الديوان كما علم أيضاً بمحاكمة الشيخ جاویش . وشاع فى أنحاء مصر بأن الغياتى غادر الأستانة فى طريقه إلى سويسرا وذلك لأن الحكومة المصرية بدأت تطلب من الأستانة تسليمه إليها . وقد نشر الغياتى قصيدة طويلة بعد أن علم بتفتيش البوليس لداره فى القاهرة يقول فيها :

فماذا رأى العادون فى دارى التى      أحسن إليها كلما راح لامع

لقد ابصروا الأقلام والكتب بينها      فياليتها أبصروها مدافع

تولى على الغياتى بعد وصوله استانبول رئاسة تحرير جريدة أسبوعية كانت تصدر فى عاصمة السلطنة العثمانية تسمى ( دار الخلافة ) كان صاحب امتيازها ( عبد الوهاب عبد الصمد ) وهو شاب من طرابلس الغرب ( ليبيا )

كانت له صلات وثيقة برجال الاتحاد التركي في تركيا والحزب الوطنى فى مصر . ومن المرجح أن الغياتى كانت تربطه صداقة بصاحب الجريدة قبل مغادرته لها مصر . وكانت يخطط للعمل فيها عند سفره إلى تركيا إذ أنه كان يحمل رسالة توصية من صاحب الجريدة فى القاهرة إلى وكيله فى الآستانة ليسند إليه إحدى الوظائف الصحفية بها . ولكن الغياتى قام بتمزيقها خشية أن تقع فى يد أحد رجال الضبط ، وولى الغياتى مسئولية إدارة الجريدة ورئاسة تحريرها إذا كتب على رأس الجريدة فى بداية عمله بها : المدير المسئول ورئيس التحرير هو الشيخ ( ع . غ . ) ثم استعيض عن تلك الأحرف بعد قليل بالاسم الصريح ( على الغياتى ) .

بدأ الغياتى فى العاصمة التركية بشهر قلمه ضد الظلم والطغيان فكتب العديد من المقالات النارية التى ندد فيها بالاستعمار الأوربى للدول الناشئة وخاصة الاحتلال البريطانى لمصر ، كما شن حملة شديدة على الحكام الذين استكانوا واتخذوا من الذل والهوان سبيلاً إلى عروشهم التى لا محال فهى زائلة . ولم تجد تلك الكلمات بطبيعة الحال صدى فى نفس الخديو وسلطات الاحتلال فى داخل مصر ، ومن هنا أصدرت السلطة قرارها بمنع دخول جريدة « دار الخلافة » إلى القطر المصرى وجاء فى قرار ناظر الداخلية « حيث أن جريدة دار الخلافة التى تطبع فى الآستانة اعتادت على نشر عبارات شديدة ماسة بسمو الخديو والحكومة المصرية ونشرت فى عددها الصادر فى ٩ رمضان ١٣٢٨هـ / ١٣ سبتمبر سنة ١٩١٠ قصيدة خطية فى سمو الأمير وتحريض للمصريين على الثورة وسفك الدماء ، الأمر المخل كل الإخلال بالأمن والنظام العام » (٥٢) .

وعلى الرغم من منع جريدة دار الخلافة من دخول مصر فقد استمر الشيخ الغياتى فى حملته على سياسة الاحتلال أيا كان نوعه وشبه طغيان الإنجليز فى مصر بطغيان السلطان عبد الحميد فى تركيا ، وسار الغياتى شوطاً أبعد من ذلك إذ

أن معظم أعداد ( دار الخلافة ) امتلكت بتمجيد ذكرى إبراهيم الوردانى الذى نام باغتيال بطرس غالى رئيس الوزراء المصرى فى عام ١٩١٠ (٥٣) .

وقد نشر الغياتى فى العدد السابق من نفس الجريدة أعيدة تحت عنوان (مصر ودار السعادة) يقول فى مطلعها (٥٤) :

دار السعادة هل أتاك مخبر يشكو لديك شقاء مصر وينشر  
النيل من جمر المدافع فائض والوجد فى أحشائه يشمر  
لهفى على النيل الحزين وشعبه وفؤادى المغنى به يتقطر

والتقى الغياتى وهو فى الأسنانة بـ ( محمد فريد ) فى طريق عودته من أوروبا إلى مصر وعرض عليه - من منطلق الوطنية - أن يعود معه إلى مصر لو كان فى ذلك تحسين لمركزه أمام القضاء المصرى ولكن فريد رفض هذه الفكرة ويقول الغياتى عن ذكريات تلك الفترة : لقد ذهبت لزيارة فريد بك فى الفندق الذى يقيم به فدخل علينا بعض الضباط الشبان فى الجيش التركى ، فقدم فريد أحدهم إلى وهو يقول : ( عزيز على المصرى ) وكانت تلك المرة الأولى التى اتعرف فيها على ذلك الضابط وهو الذى عاد إلى مصر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى فشغل منصب رئيس أركان حرب الجيش المصرى (٥٥) .

تكررت اللقاءات القليلة بين كل من الغياتى و ( محمد فريد ) فى استانبول وانتهت بأن عقد الغياتى العزم على السفر إلى جنيف مستمعاً إلى نصائح الزعيم (٥٦) بأنها أرض بكر لتعليم اللغة العربية للأجانب الذين يريدون تعلمها ولما تهيأ للسفر إلى جنيف اهتم بتعلم اللغة الفرنسية . وكان قد بدأ يتلقى بعض الدروس فيها فى مصر فى مدرسة أنشأها الشيخ جاويش لتعليم الأزهريين تلك اللغة حتى يلموا بشئ من الثقافة الحديثة (٥٧) .

وصل الغياتى إلى جنيف قادماً من الاستانة مساء يوم السبت ٢ ديسمبر سنة ١٩١٠ ماراً بفينا عاصمة النمسا . وقد اختار تلك المدينة بالذات لبحث عن الشبان العرب الذين يتوقون إلى تعلم اللغة العربية ، كما عرفه بذلك محمد فريد . ولكن عدد أولئك الشبان القليل لم يكن يوفر لهذا المغترب المال الذى يعينه على الإعاشة ، فيم شطر جنيف وهناك استقبله أحد الطلبة المصريين الوطنيين ويدعى « خليل مذكور » واتخذ منه الغياتى رفيقاً لدرب كفاحه ومعينا له على نوائب الدهر فى بلاد الغرب ، ومع ذلك فلقد كان إحساس الغياتى بالغربة عن أرض الوطن فى بداية الأمر شديداً ، ونظم شعراً بالعامية قال فيه :

يا نيل أنا بأشكى الهوى      من يوم ما شفتك فى هوان  
حبك رمانى بالثرى      ورمالك بأشجانى كمان

واتجه الغياتى إلى معهد يسمى معهد ( لانس ) لتعليم اللغة العربية وعرض نفسه على صاحبه وعمل فى هذا المعهد لفترة وجيزة تعرف فيها على الأمراء عبد المنعم وعبد القادر أبناء الخديو عباس حلمى الثانى<sup>(٥٨)</sup> وكانا قد قدما إلى جنيف للاستزادة من الدراسة فى المعاهد الأوروبية ، شأنهم فى ذلك شأن كافة الأمراء من الأسرة المالكة . وكان من بين الطلبة المصريين الذين عرفهم الغياتى فى جنيف أيضاً شاب وطنى آخر يدعى ( الأمير العطار )<sup>(٥٩)</sup> سبق أن عرفه فى مصر قبل هجرته وكانت خطيبته السويسرية هى الواسطة فى معرفة الغياتى بخطيبته السويسرية أيضاً والتي صارت زوجة له طيلة حياته .

وبعد زواج الغياتى من تلك السيدة الأوروبية بدأ يتطلع إلى تعلم اللغة الفرنسية بدرجة أكبر ليتمكن من الالتحاق بالجامعة وتقدم للالتحاق بكلية العلوم الاجتماعية وقبل طلبه ، حيث أنه تخرج فى معهد دمياط الأزهرى التابع للأزهر الشريف وكان الأزهر فى ذلك الوقت يعد من أكبر الجامعات العربية . وانتظم

الغاياتي في حضور المحاضرات . وكانت زوجته تساعده في فهم اللغة الفرنسية وإيضاح ما يستعصى فهمه . وبعد دراسة ثلاث سنوات تمكن خلا لها من استيعاب البرنامج المطلوب على أنه لم يتقدم للامتحان لأنه لم يستطع الوفاء بالتزاماته المالية بالنسبة للجامعة . وكانت الحرب العالمية الأولى قد قامت وقلت موارده المادية نظراً لسفر أكثر تلاميذه إلى بلادهم ، وأيضاً لغلاء المعيشة<sup>(١٠)</sup> .

وكان أن شرع الغاياتي في مراسلة صحيفة الحزب الوطني في مصر حينذاك وهي ( العلم ) من مقر إقامته في جنيف ، مقابل ثلاثة جنيهات في الشهر كانت تساعده على مواجهة تكاليف الحياة هناك ، حتى يجد عملاً . ولكن لم يتلق سوى راتب شهرين فقط انقطع بعدها ورود الراتب إليه . وقد حزن حزناً شديداً ليس على انقطاع ذلك المورد المالي الهام ، ولكن لمعرفته سبب انقطاع تلك الجنيهات القليلة إذ علم فيما بعد أن أحد الأشخاص اقترح للدفاع عن محمد فريد أن يقال أن الغاياتي كان مدسوساً عليه من الحكومة ، ويبدو أن هذا الاقتراح الطائش وأن كان قد رفض إلا أن الألسن تناولته ، الأمر الذي أدى إلى البلبلة . وفي ظل هذا التشويش رأى أن يقطع صلة جريدة الحزب بالغاياتي ... ( وهكذا يساء إلى الأبرياء برعونة البلهاء ) ، إلا أن الغاياتي استطاع أن يحصل على قوت يومه عن طريق تدريس اللغة العربية لبعض الشباب العرب الذين كانوا يطلبون العلم في جنيف .

كان الغاياتي في أوروبا ولكن عينه كانت على مصر ، استلهم منها عشقه الأول ، إذ أن لهيب الوطنية لا يزال مستعراً في فؤاده لم تصرفه خطوبه ونوائبه الذاتية عن استجلاء أخبار معشوقته بنت وادي النيل . كان دمه يجري حاراً إذا أصابتها المدلهمات رافعاً أكف الضراعة أن ينقذها من هذا الابتلاء العظيم . ولم تتل من وطنيته تلك الأقاويل المغرضة فكان يشارك بقلمه وأفكاره فيما يقيل وطنه

من عثرته . وقد علم أنه بعد استقالة وزارة محمد سعيد وتشكيل وزارة حسين رشدى فى ٥ أبريل ١٩١٤ أن كثرت الفتن الحزبية والطائفية نتيجة تعدد الأحزاب فكتب مقالا إلى جريدة الأهرام تحت عنوان « الوحدة الوطنية المصرية»<sup>(٦١)</sup> يقول فيه :

« إننى أسألكم بحق مصر عليكم أن تدعو المصريين كافة إلى الاتحاد والوئام بدل الانقسام والخصام وتبينون لهم ضرر تعدد الأحزاب وتفرق الكلمة وتشيروا عليهم بأن يستبدلوا بهذه الأحزاب حزبا واحدا هو حزب الوحدة الوطنية الذى يجب على كل مصرى عاقل أن يعمل على إيجاده والانضمام إليه حبا فى مصر وإنقاذها لها من الهاوية التى رماها فيها رامى الخلاف والتفريق والتى لا يمكن خلاصها منها ما دامت على هذا الحال »<sup>(٦٢)</sup> .

وقد علق رئيس تحرير الأهرام ( فى نفس العدد الصادر فى ٨ إبريل سنة ١٩١٤ ) بكلمة بليغة أقر فيها الغاياتى على ما كتبه حتى لا يتدخل الإنجليز فى كل صغيرة وكبيرة فى البلاد ولأن الوحدة الوطنية المصرية هى وحدها سفينة النجاة بل سلم الرقى والنجاح والإخلاص فمن أحب مصر عمل لها وحدها دون سواها ومن كان حربا عليها كان حربا على مصر لا يريد بها خيرا ولا يرفع فيها ذمة ولا آلا).

كانت البداية الحقيقية لعمل الغاياتى فى جنيف هى الاشتغال بالترجمة ومراسلة الصحف السويسرية التى كان أكثرها فى جنيف ، فعمل فى أكثر وأوسع صحفها مثل ( ترييون دى جنيف ) و ( جورنال دى جنيف ) و ( لا سويس ) كما راسل جريدة ( جازيت دى لوزان ) بمدينة لوزان وكانت تدفع له ثلاثين فرنكا عن المقال الواحد ولم يتوقف قلم الغاياتى فى الخارج عن التنديد بمن مالتوا الإنجليز وتواطئوا مع المحتل وداهونوا كبار الإقطاعيين . وهاجم الفساد الذى أخذ يستشرى فى الحياة الاجتماعية بين المصريين ويحثهم على النهوض لإزاحة المغتصب عن

أرض الوطن وتطهير تراب مصر الطاهر من الدنس والأوحال ، ولقد أصابت لعنة الوطنية التي اشتهر بها الغاياتي معظم الجرائد والصحف التي عمل بها فكانت السلطات المصرية لها بالمرصاد ومنعت دخولها إلى القطر المصري ( لأنها تنشر أموراً ماسة بكرامة ولي النعم )<sup>(٦٣)</sup> . ومع ذلك لم تسارع تلك الجرائد بفصل الغاياتي من العمل بها أو تجميد نشاطه الوطني أو قصف قلمه بل ازداد قدرة ورسخت أقدامه وصارت تلك الصحف هي المورد المادي الثابت له إذ أصبح يتقاضى من (ترييون دي جنيف) مرتباً شهرياً قدره ٣٠٠ فرنكاً بعد أن كان يتقاضى مكافآت عن القطع التي يقدمها فقط للجريدة ، وقد ظل الغاياتي في هيئة تحرير هذه الجريدة عشرة أعوام من ١٩١٤ - ١٩٢٤ وأصبح كسائر محرريها عضواً في نقابة صحافة جنيف<sup>(٦٤)</sup> .

عندما قامت ثورة الشعب في مصر عام ١٩١٩ تولى الغاياتي الدفاع عنها والدعوة لها في الخارج الأمر الذي أثر تأثيراً بعيداً في دخله المادي إذ قل ما كانت تنشره له الصحف السويسرية . وكان النشاط الصحفي محجوراً عليه في مصر والخارج أبان الحرب العالمية الأولى كما أنه لم يكن هناك مجال لإصدار صحف مصرية في أوروبا خاصة بعد أن بدأت الحياة في مصر تستقر في الداخل وعندئذ أصدر الغاياتي لحسابه الخاص جريدة عربية فرنسية أطلق عليها بالعربية ( منبر الشرق ) وبالفرنسية ( La Tribune d'orient ) وكان رياض الصلح ( رئيس وزراء لبنان بعد الحرب العالمية الثانية ) قد اقترح عليه أن يسميها منبر العرب ولكن الغاياتي فضل أن تكون جريدة لسان حال حركات التحرير في الشرق كله وكانت جريدة ( ترييون دوريان ) تجربة فريدة في تاريخ الصحافة إذ كانت تصدر في أربع صفحات ثلاث منها باللغة الفرنسية والرابعة بالعربية ولما لم يكن في جنيف مطبعة عربية كان الغاياتي يكتب هذه الصحافة بخطه ثم تحفر على الزنكوغراف فإذا ما وقع فيها أي خطأ لم يشطبه بل يعيد كتابة الصفحة من أولها



إلى آخرها ، ويبدو أن هذا الجهد أضناه فاشترى حروف مطبعة عربية من ألمانيا وتولى بنفسه جمع حروف الصفحة العربية ولكنه لم يجد لهذه الصفحة العربية صدى عند العرب مثل الصفحات الثلاث الأخرى فاكتمى بإصدارها باللغة الفرنسية. وقد نمت الجريدة وترعرعت وانتشرت في الشرق والغرب وبات لها اسم معروف لا سيما في مركز عصبة الأمم . ويرجع نجاحها كما يقول صاحبها إليه وإلى بعض البيوتات التجارية في جنيف والتي أمدته بإعلاناتها .

صدرت ( منبر الشرق ) بالفرنسية يوم الأحد ٥ فبراير سنة ١٩٢٢ ، ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٤٠ واستمرت تصدر في انتظام حتى يوم الأربعاء ٢٦ مايو سنة ١٩٣٦ ( ١٦ ربيع أول سنة ١٣٥٦ ) وسط صعوبات مالية وسياسية بالغة الشدة صمد الغاياتي لها في استبسال وصبر . ذلك أنه لم يلق من المصريين التأييد والمعونة الكافيين في وقت كانت مصر في أشد الحاجة إلى مثل هذه الجريدة التي سما بها صاحبها فوق الخلاقات الحزبية ، لتبقى خالصة للوطن ولمصلحة مصر ، وأن يكون الشرق للشرقيين . وقد أعلن الغاياتي في صدر الجريدة أنها جريدة نصف شهرية أنشئت للدفاع عن حقوق الشرق الناهض تصدر بالعربية والفرنسية في جنيف مركز جمعية الأمم ، وأن الاشتراك السنوي في سويسرا هو عشرة فرنكات ، وفي الخارج عشرون فرنكا وحظيت شئون مصر السياسية والاجتماعية بالقدر الأعظم من أبواب الجريدة<sup>(٦٥)</sup> . وفي العدد الأول من الصفحة العربية يبين الغاياتي الهدف من إنشاء الجريدة بقوله « هي صحيفة شرقية همها الدفاع عن حقوق الشرق الناهض وتقريب المسافة بينه وبين الغرب ذي القوة والسلطان والبطش والعدوان . ولما كانت جنيف هي مركز جمعية الأمم ومرصد سياسة العالم فقد كان من الواجب فيها المبادرة بنشر تلك الجريدة لتحمل إلى هذه الجمعية المباركة ما قد لا تعلمه من آلام الشرقيين وآمالهم وتساعد على القيام بمعالم العدل ونشر لواء الإخاء والسلام بين الأمم والشعوب » .

أما المقالة الثانية للغياتى فى الصفحة العربية من العدد الأول الصادر فى ٥ فبراير ١٩٢٢ فكانت تحت عنوان ( سعد باشا ) حيث كان سعد زغلول فى منفاه مع خيرة صحبه ، وكيف استقبله شعب وادى النيل قبل عشرة أشهر . ثم ينظم فيه قصيدة طويلة يقول فيها :

نظموا فيك أيها العلم	دراً قيل أنها كلم
وهل عندي أجل جوهره	حملت تاج مصر لو علموا
بك يا سعد هام شاعرهم	مثلما هام النيل والهزم
وجرت فيك من قصائدهم	أبحر من النور والحكم
طال عهدي بموقف الشعرا	ء وبينى وبينهم نهم
أن نسونى فما نستهمو	أو جفونى فما جفوتهمو
إن أمت أو أعيش بقيت على	العهد أشقى به وقد نعموا
هيج النفس نكر مصر فبا	ت عصى القريض ينتظم <sup>(٦٦)</sup>

وقد ظهرت ( منبر الشرق ) فى وقت كانت المنطقة العربية تغلى كالبركان تحت وطأة قرارات التقسيم التى شملت معظم الشرق العربى من جراء اتفاقيات سايكس بيكو وسان ريمو بين الدول الاستعمارية الكبرى . ولم يكن ثمة متفلس للحريات سوى تلك الرثة فعن طريق جريدة الغياتى أمكن للعديد من صحبات الاستنكار أن تصل إلى أوربا . ويعلق على ذلك أحد الشباب العرب عندما أرسل بمقال إلى ( منبر الشرق ) قائلاً : « لقد أجابنى على الغياتى بأن الجريدة جريدتكم والمنبر منبركم ومنبر كل شرقى وعربى يعمل للشرق وللغرب ... لقد كانت مصر فى هوجاء اضطرابها السياسى ومعمعة حركتها الوطنية ، وكانت سوريا مسرحاً لحوادث دامية ، وكان لبنان غارقاً إلى قمته فى سياسة قائمة على الأحلام والأوهام ،

وكان العراق ينتقل من ثورة إلى ثورة . فى ذلك الوقت العصبى صدرت جريدة منبر الشرق فى ١٩٢٢ فى جنيف فكانت أشهر الصحف للآراء الوطنىة وصفحاتها ميدانا لتلك الأحاديث ، تفتح صدر صفحاتها لحملة الأقلام من المشتغلين بالسياسة المصرىة والشرقىة<sup>(٦٧)</sup> .

وهكذا ظل الغاياتى يناضل بقلمه خارج الوطن ، وينفعل مع الأحداث التى تدور داخل مصر ، فيكتب عنها مهاجما الخلل ومظاهر الضعف مؤيدا ومشجعا ما يستحق التأيد ، ثم لا يفتأ يقوم بعقد الندوات الطوال للمصريين والعرب ، لشرح وتفسير ما ينغلق من الأحداث السياسية على الساحة العربىة ، ولم يمض وقت طويل حتى صار الغاياتى من ألمع الصحفيين العرب بل لقد حقق لنفسه شهرة تفوق نظرائه من الأوربيين ، فكان المتحدث الرسمى بلسان العرب وغدت (منبر الشرق) بمثابة وكالة أنباء رسمىة احترامتها الصحف الأخرى نظرا لمكانة صاحبها وصلاته الوثيقة برجالات ( عصبىة الأمم ) فى جنيف . ويقول ( أحمد حسين ) (مصر الفتاة)<sup>(٦٨)</sup> عن جنيف ومكانة الغاياتى فيها بأنها ( كانت بحق عاصمة العالم الدولىة فهى مدينة المؤتمرات لا ينفذ فيها مؤتمر حتى ينعقد مؤتمر ولا يغادرها عظيم من رؤساء الحكومات أو وزراء الخارجية أو كبار الكتاب حتى يقد عليها عشرات من هذا الطراز ) وكان أحمد حسين قد أعد رسالة ليقدمها إلى سكرتارية عصبىة الأمم عن طريق الغاياتى فكان إذ ذاك موضع ترحيب وإجلال من كل موظف هناك، وكان الناس يحيونه فى الطريق تحية الحب والتقدير ... وما أن سلم الغاياتى هذه الرسالة إلى مندوب وكالات الأنباء حتى نشرت فى عشرات الصحف والمجلات ، وأصبحت دار الغاياتى هى « السفارة المصرىة » يقصدها المصريون والعرب على اختلاف مشاربهم ودياناتهم ويقد إليها أصحاب الحاجات ومحترفى السياسة والوطنىة . وكان الغاياتى يسرف فى الحفاوة بزواره وقاصديه خاصة أبناء وطنه ويتفانى فى تقديم الخدمات لهم . وعلى الرغم من غربىة هذا

السياسى الغيور إلا أن صورة مصر لم تبارح فؤاده أو عينيه ، فلا ينفك يحدث رفاقه عن مصر ونيلها ، فإذا سمع غناء مصريا هطلت الدموع من عينيه فاجتاحته نوبات الحنين<sup>(٦٩)</sup>.

ولم تتج ( منبر الشرق ) الجنيقية من اضطهاد السلطات المصرية ، فمنعتها من الدخول مثل غيرها من الصحف التى عمل فيها الغيايتى من قبل ، وجاء فى نص قرار وزير الداخلية ( إن جريدة ترييون دوريان ) التى تطبع بمدينة جنيف تنشر فيما يتعلق بمصر وحكومتها وولى أمرها أخبارا تتعمد فيها تشويه الحقائق تشويها من شأنه تضليل الأفكار والإخلال بالأمن والنظام العام . وبناء على المادة ١٧ من قانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ وعلى قرار مجلس الوزراء الصادر فى ٢ مارس ١٩٠٩ تقرر منع دخول الجريدة المذكورة وعدم تداولها وبيعها فى القطر المصرى<sup>(٧٠)</sup> .

ولم يكن قرار منع جريدة الغيايتى من دخول مصر بالأمر السهل أو اليسير على نفسه ، إذ شق عليه أن تقابل جهوده فى الخارج بمثل هذا الإنكار ، كما حزن كثيرا لقطع صلة الهمز بينه وبين أبناء وطنه وساءه أن ينصرف عنه معظم الوطنيين من الساسة والصحفيين الذين بدعوا يتخذون من سياسة الحياذ الإيجابى سبيلا لهم بعد أن توصلت سلطات الاحتلال إلى اتفاق ٢٨ فبراير ١٩٢٢ والذى كان ظاهره مصلحة مصر والمصريين وباطنه تمكين بريطانيا من إحكام قبضتها على البلاد . ومع ذلك استمر الغيايتى فى تأدية رسالته القومية تجاه مصر خارج الحدود، موضحا مساوئ تلك الاتفاقية وليكشف زيف وأباطيل قادة بريطانيا ، ثم يوجه الدعوة من جديد للمصريين لاستنهاض همهم مستعيدا ذكريات ثورة ١٩١٩ ، ويحيى رموزها الوطنية ثم يوجه العتاب إلى حكام مصر وإلى الباب العالى كى يتمسكوا بحقوقهم فى السيادة الفعلية على البلاد . وفى محاولة يائسة من الغيايتى كى تفتح مصر ذراعيها لقلمه يقول فى التماس بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٢٧ ( إن

جريدتى منبر الشرق التى أصدرها هنا (جنيف) منذ ستة أعوام هى صوت مصر الوحيد الذى يرتفع فى جو أوروبا وصحيفة المصريين الفذة التى تنشر فى الغرب وفى جنيف مركز جمعية الأمم ... هذه الجريدة التى يجدر بالمصريين وحكومتهم السنية تشجيعها ومعايشتها أصبحت اليوم فى أزمة شديدة من جراء الإهمال المعيب التى صادفته من نوى الشأن بمصر<sup>(٧١)</sup> وفى التماس آخر فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٢٧ يستحلف الغيايتى حكام مصر بترابها الغالى أن يتركوا الباب موارباً لإسماع صوته ويرجوهم فى إياء وكبرياء اتصال ما انقطع فقط ( أما الصحيفة فليست فى حاجة إلى العون المادى )<sup>(٧٢)</sup> .

وبعد انقضاء ثلاث سنوات على الحكم الصادر ضد الغيايتى وسقوط العقوبة عنه ، جرفه الحنين لزيارة مصر ، فعرض على بعض الصحف السويسرية أن يكتب تحقيقاً عن الحالة فى منطقة قناة السويس - وكانت آنئذ ميداناً هاماً من ميادين القتال فى الحرب العالمية الأولى - فرحبت تلك الصحف بذلك الاقتراح ، وأذنت له السلطات المصرية بالدخول . ولكن بعد سبعة أيام تم إلقاء القبض عليه وأخرج منها ، وهو لا يدرى لماذا سمحت السلطات البريطانية بدخوله البلاد إذا كانت تشك فى نواياه . ولما عاد الغيايتى إلى جنيف شن حملة شديدة على حسين رشدى رئيس الحكومة فأرسل إليه رشدى يقول : « إن صدرى معرض للرصاص ، فلا تهمنى حملات الأقلام » ولما تقابل الغيايتى مع رئيس الحكومة المصرية قال له أن المصريين يتهمونك بأنك خنت ولى نعمتك الخديو عباس حتى تم عزله ، فقال رشدى بل إن الخديو رفض العودة من استانبول دون إيعاز منى . فقال له الغيايتى : « ها أنت تتهم بالباطل فتغضب وأنت تصدق ما ينسب إلى من تههم بلا سند ولا دليل »<sup>(٧٣)</sup> .

أما المرة الثانية التى حاول فيها الغيايتى زيارة مصر فكانت فى عام ١٩٣٣ وفيها اصطحب كبرى بناته ( جميلة ) ، وقد أمضى فى الزيارة الثانية شهراً قضاه

على ضفاف النيل فلما غادرها بكأها وطار فؤاده شوقاً إليها وهاله ما رأى فيها من سوء الأحوال السياسية الحزبية فأنشد يقول :

وما الأحزاب مسعدة	ولا زعماءها الكثر
إذا ما طاب للبأغى	بمصر الكر والفر
فلا الدستور فى أمن	ولا الوزراء والقصر
ولا استقلال فى بلد	به العادون قد قروا
ولولا أننا شيع	يحارب شطرننا الشطر
ما أضحى لهم ظل	ولا أمسى لهم نكر <sup>(٧٤)</sup>

### عودة الغاياتى إلى مصر :

بعد أن قبلت مصر عضواً فى عصبة الأمم خيل للغاياتى أن دوره فى أوربا قد انتهى ، وأن بلاده قد تكون فى حاجة إليه ، فقرر العودة نهائياً مع أسرته بعد غربة استمرت ٢٧ عاماً . وكان الأمل معقوداً على أن يعمل فور عودته بوظيفة حكومية فى وزارة الخارجية . ويبدو أن على ماهر رئيس وزراء مصر فى ذلك الوقت وعده بتعيينه فى السلك الدبلوماسى ثم تهرب من هذا الوعد ، فطلب منه الغاياتى فى التماس له ( بضرورة الوفاء بما قطعه على نفسه )<sup>(٧٥)</sup> . ولكن الغاياتى لم يكتب له النجاح فى هذا السبيل لأسباب كان يعلمها الاحتلال وانساب الاحتلال<sup>(٧٦)</sup> . وكان أول مقال كتبه بعد وصوله إلى مصر تحت عنوان ( الملك المحبوب ) . وعلى الرغم من أن المقال كان تهنئة وثناء على الملك إلا أنه لم يكن مدحاً ولا نفاقاً وإنما كانت تغشاه روح الانتماء للنيل والوطن<sup>(٧٧)</sup> .

تقدم الغاياتى للحكومة - وكانت وفديه - آنذاك بطلب للترخيص له بإصدار صحيفة ، إلا أن هذا الطلب قوبل بالرفض ، ثم شاعت الأقدار له أن يصبح محرراً











المبادئ التى جند قلمه وروحه من أجل الدفاع عنها ، ولقى فى سبيلها كل عناء وشقاء مضحيا فى سبيل رفعة مصر وإعلاء كلمتها فى الداخل والخارج بكل غال ، فيقول الشيخ محمود شلتوت من هيئة كبار العلماء والمدرس بكلية الشريعة فى ذلك الوقت :

« تحية مخلصه من رجل يقدر إيمانك ووطنيتك . وليس الناس بحاجة إلى إقامة شاهد على تبوءك تلك المنزلة السامية ، فكل الناس يعرفون الشيخ على الغاياتى ، وكيف أخرج من دياره وأمواله بغير حق ، إلا أن يقول وطنيتى ووطنيتى ... أنشأ له مملكة إسلامية فى بلاد لا تدين بالإسلام .. وأخذ وهو فى بيئته الجديدة يرسل دعوته الصافية الصادقة عن طريق « منبر الشرق » بلغة القوم « أى الفرنسية » ففتح للإسلام عيوننا . وظل يكافح حتى عاد إلى بلاده فأب إليها يحمل نفس القلم ، وزاد فى إشراق قلبه ذلك المجهود الجبار الذى كان يبذله عن إخلاص فى سبيل وطنه ودينه فى بلاد لا تؤمن بوطنية فى مصر ولا بسعادة فى الإسلام»<sup>(٩٤)</sup> .

وفى ٢٧ أغسطس ١٩٥٦ - فى عهد الثورة - تقرر وقف إصدار جريدة «منبر الشرق» وشطب اسمها من قائمة الصحف المصرح بإصدارها فى مصر<sup>(٩٥)</sup> . وكان الغاياتى قد ارتفعت روحه قبل ذلك بأيام معدودة فلم يشهد تلك الخاتمة المؤلمة لذلك المنبر الذى كان فى حقيقة أمره قلعة لحرية الشرق ، وحرية العرب ، وحرية مصر .









(٦١) إبراهيم عبده ، جريدة الأهرام تاريخ وفن ، ص ٣٣٥ ، مطبعة سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٤ .

كانت الأحزاب الموجودة على الساحة السياسية في مصر هي : الإصلاح على المبادئ الدستورية ، الوطني ، الأحرار ، الدستوري ، النبلاء ، المصري ، الأمة راجع د. يونس لبيب ، المرجع السابق ، ص ٢٣ - ٧١ .

(٦٢) جريدة الأهرام ٨ أبريل ١٩١٤ .

(٦٣) دار الوثائق : محافظ عابدين ، محفظة رقم ٦٠٠ ، قصاصات وجرائد عربية ١٩٠٨ - ١٩٤٦ بشأن منع جريدة ( لا سويس ) في ١٨ يوليو ١٩٢٢ ومنع جريدة ( تريبون دي جنيف ) من دخول القطر المصري لأنها نشرت مطاعن ماسة بكرامة ولي الأمر ، في ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٢ .

(٦٤) منبر الشرق ، ص ١ ، العدد ٢٣٠ ، في ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٢ .

(٦٥) منبر الشرق ، العدد ١٣٨ ص ١ ، ٧ فبراير سنة ١٩٤٠ .

(٦٦) د. مختار الوكيل : المرجع السابق ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .

(٦٧) منبر الشرق ، في ١٢ فبراير سنة ١٩٤٣ ، رسالة من أحد المواطنين العرب للجريدة بتوقيع ح. ج.

(٦٨) فتحى رضوان ، المرجع السابق ، ص ٣٩٩ .

(٦٩) د. مختار الوكيل : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٧٠) دار الوثائق : محفوظات مجلس الوزراء ، نظارة الداخلية ، صحافة ومطبوعات مختلف ١٨٧٨ - ١٩٢٣ .

(٧١) دار الوثائق : محافظ عابدين ، محفظة رقم ٦٠١ ، جرائد ومجلات عربية من ١٩٠٨ - ١٩٦٤ التماس من على الغياتى إلى السلطات المصرية .

(٧٢) المصدر السابق ، التماس من الغياتى إلى الحكومة المصرية بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٢٧ م .

(٧٣) د. مختار الوكيل : المرجع السابق ، ص ٣١٢ .



- (٧٤) المصدر السابق ، ص ٣٢٠ .
- (٧٥) دار الوثائق : محافظ عابدين ، محفظه رقم ٦٠٠ قصاصات جرائد عربية ١٩٠٨ - ١٩٤٦ خطاب من على الغاياتى إلى على باشا ماهر فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٨ .
- (٧٦) منبر الشرق ، ص ١ ، عدد ٨٦١ فى فبراير سنة ١٩٥٦ .
- (٧٧) جريدة الجهاد ، فى ٢٩ يوليو سنة ١٩٣٧ .
- (٧٨) جريدة السياسة ، ص ١ فى ٢ أبريل سنة ١٩٣٨ .
- (٧٩) المصدر السابق ، ص ١ ، فى ٣ أبريل سنة ١٩٣٨ .
- (٨٠) جريدة السياسة ، ٦ أبريل سنة ١٩٣٨ .
- (٨١) وزارة الداخلية : إدارة الصحافة والمطبوعات ، دوسية رقم ١١ ، ٢٩٢/٢ الخاص بجريدة منبر الشرق مستند رقم ٣ .
- (٨٢) جريدة البلاغ ، فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٣٧ .
- (٨٣) الهيئة العامة للاستعلامات ، إدارة الصحافة والمطبوعات ، سجل رقم ١٠ لقييد الصحف المصرح بإصدارها فى مصر تحت مسلسل رقم ٥٠٩
- (٨٤) منبر الشرق ، عدد ٢٤٧ ، فى ٢ إبريل ١٩٤٣
- (٨٥) منبر الشرق ، ص ٣ ، ١٦ إبريل سنة ١٩٤٣ مقال تحت عنوان « الوطنية » بتوقيع سعيد محمد رمضان كلية حقوق القاهرة .
- (٨٦) منبر الشرق ، ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٣ .
- (٨٧) المصدر السابق ، ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، افتتاحية بقلم الشيخ الغاياتى تحت عنوان « قضية العرب والعروبة » .
- (٨٨) العدد السابق ، عد ٨١٥ ، ٢١ يناير سنة ١٩٥١ .
- (٨٩) المصدر السابق ، عدد ٨٥٨ ، فى ١٣ يناير سنة ١٩٥٦ .
- (٩٠) المصدر السابق ، فى ٧ مايو ١٩٤٣ ، افتتاحية الجريدة بقلم على الغاياتى تحت عنوان « القانون والعلاقات الدولية » .
- (٩١) المصدر السابق ، فى ٧ ديسمبر ١٩٤٣ ، افتتاحية بقلم الغاياتى تحت عنوان (مؤتمر القاهرة) .

- 
- (٩٢) المصدر السابق ٢٢ أكتوبر ١٩٤٣ افتتاحية العدد ( ركن الذكريات ) بقلم الغاياتى  
فى رثاء الشيخ على يوسف .
- (٩٣) المصدر السابق فى ٧ ديسمبر ١٩٤٣ افتتاحية بقلم الغاياتى تحت عنوان « مؤتمر  
القاهرة » .
- (٩٤) منبر الشرق ، ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٣ رساله فضيلة الشيخ محمود شلتوت إلى  
«على الغاياتى» صاحب الجريدة ملحوظة تولى الشيخ شلتوت مشيخه الأزهر فى  
نهاية الستينيات وأوائل السبعينيات .
- (٩٥) الهيئة العامة للاستعلامات ، سجل رقم (١٠) لقيد الصحف المصرح بإصدارها فى  
مصر تحت رقم ٥٠٩ .



























































































(٤٥) رسالة من محمد ابن مشيش ، عامل الدار البيضاء ، إلى محمد بركاش ٢٨ محرم ١٢٨٢هـ ( ٣ يوليو ١٨٦٤م ) نفس المصدر السابق ونفس الجزء ، وثيقة رقم ٥٥٤ ، ص ٣٢٧ .

(٤٦) رسالة من أشعاش إلى محمد بركاش ١٤ ربيع الثاني ١٢٨١هـ ( ١٦ سبتمبر ١٩٦٤م ) ، الوثائق ، الجزء الرابع ، وثيقة رقم ٦٥٠ ، ص ١٠٠ .

(٤٧) انظر الوثيقة المستخدمة في هامش ٤٦ .

(٤٨) انظر شروط المعاهدة في عبد الرحمن بن زيدان ، مرجع سابق ، الجزء الخامس ، ص ١٩٥ .

(٤٩) رسالة من محمد بن العربي الطريس إلى محمد بركاش ١٥ ربيع الثاني ١٢٩٧هـ ( ٢٢ مارس ١٨٨٠م ) ، الوثائق ، الجزء السابع ، وثيقة رقم ٩٠٤ ، ص ١١٢ .

(٥٠) رسالة من عمارة بن الصادق البخاري إلى محمد بركاش ١٠ شعبان ١٢٩٣هـ ( ٩ أغسطس ١٨٧٨م ) ، الوثائق ، الجزء الخامس ، وثيقة رقم ٦٥٠ ، ص ١٠٠ .

(٥١) عبد الوهاب بن منصور ، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب ، ص ٦٥ .

(٥٢) رسالة من محمد بركاش إلى القناصل في ٢٧ ربيع الأول ١٢٩٦هـ ( ٢١ مارس ١٨٧٩م ) ، الوثائق ، الجزء الخامس ، وثيقة رقم ٦٦٢ ، ص ١٦٠ .

(٥٣) أحمد توفيق . المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر اينولتان ( ١٨٥٠ - ١٩١٢ ) ، الرباط : كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ١٩٨٣ ، ص ٣٧٨ .

(٥٤) رسالة من المكي بن محمد بن عبد السلام إلى نائب الدولة الأمريكية ، ويليم لويس William Lewis ١١ رجب ١٣٠٤هـ ( ٦ إبريل ١٨٨٧م ) رسائل القناصل بالأمريكيين بالمغرب - ميكروفيلم رقم ١٥ - مجموعة ٥٩ ، الأرشفة القومية الأمريكية ، واشنطن .

(55) Mohammed Kenbib, Op. Cit, p. 218.

(٥٦) لمزيد من المعلومات انظر المعاهدة المغربية الإنجليزية سنة ١٨٥٦ في عبد الرحمن بن زيدان ، مصدر سابق ، الجزء الخامس ، ص ١٩٥ وما بعدها .

(57) Mohammed Kenbib, Op. Cit, p. 220.

(٥٨) انظر سورة البقرة : الآيات ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٥٩) وردت تلك الإحصائية في رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى محمد بركاش ٢١ شوال ١٢٨٦هـ - ( ٢٤ يناير ١٨٧٠م ) ، الوثائق ، الجزء الرابع ، وثيقة رقم ٥٧٩ ، ص ٣٨٩

(60) Mohammed Kenbib Op. Cit, p. 192.

(61) Turki Ajlan Al. Harithi, Moroccan Policy Towards the United States. A Study in Moroccan Society Under the Impact of Western Penetration. 1830-1912. Ph. D. Thesis U. K. Exeter University, 1987. P. 187.

(٦٢) عبد الرحمن بن زيدان ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٤٣٠ .

أيضًا انظر : Mohammed Kenbib, Op. Cit, p. 210.

(63) Turki Ajlan Al. Harithi, Op. Cit., pp. 213-215.

(٦٤) خالد بن الصغير : المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر ١٨٥٦ - ١٨٨٦ ، الرباط : جامعة محمد الخامس ١٩٩٧ ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٦٥) انظر هامش رقم ٢٣ .

(٦٦) خالد بن الصغير : ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

# الفكر السياسى والممارسة السياسية

## عند الأمير عبد القادر الجزائرى

د. إسماعيل زروغى<sup>(\*)</sup>

إن الاهتمام بشخصية الأمير عبد القادر يعد من أهم المسائل التى تستحق البحث والدارسة لأنها تشكل حلقة من حلقات تطور مجتمعا السياسى فى المجالين الفكرى والوطنى . والأمير عبد القادر ليس مجرد شخصية بطولية تاريخية قاومت أكبر قوة فى عصرها ، وإنما هو أيضا رجل فكر ، ساهم فى بناء النهضة العربية الحديثة . أن جهوده تجاوزت حدود الجانب الوطنى المحلى إلى الإطار القومى الإسلامى ، فلم يقتصر على التخطيط لمقاومة العدو بالسلاح فقط ، بل كان يسعى إلى مقاومته بالفكر والقلم ، نعتقد أنه من واجبنا اليوم أن نقوم بدراسة أفكاره لنضعها فى نسق مترابط يحدد أطرها العامة لكى يبقى لها البقاء والاستمرار ، على أن يتم ذلك من خلال الممارسة السياسية المرتبطة بالمقارنة والتنظيم ، لأن هذه الممارسة كانت فى أول الأمر مجرد فكرة فى ذهن صاحبها ، ولذا فإنما تتطلب قراءة فلسفية وسياسية نظرا لما تحتويه من وسائل وطرق ومناهج على مستوى التنظيم والتأسيس .

والمعروف أن المقياس لكل نهضة أو تطور هو مجموعة التنظيمات التى تشمل عليها الأمة أو الدولة . وذلك ما أحدثه الأمير فعليا سواء على مستوى التنظيم أو على مستوى الممارسة . ولذلك يعد الأمير عبد القادر من أوائل المفكرين والساسة العرب المسلمين الذين ساهموا فى بناء وتأسيس النهضة العربية الحديثة . وسأركز دراستى على العناصر الأساسية التى تبدو أساس النهضة السياسية التى كان للأمير عبد القادر دور كبير فيها ، وسيتحدد ذلك ويتضح من خلال مجموعة

---

(\*) أستاذ محاضر بجامعة قسنطينة ، ورئيس اللجنة العلمية .

من التساؤلات نطرحها على أنفسنا ، ونحن مضطرين للإجابة عنها وهذه الأسئلة هي : ألسنا مطالبون بتحديد الأسس التي قامت عليها النهضة السياسية الحديثة ؟ ألم يستخدم الأمير عبد القادر آلياتها النظرية والتطبيقية ؟ ألم يتمثل الأمير عبد القادر أسسها المتمثلة في الديمقراطية والحرية ؟ ألم يحدد المفاهيم التي كانت نمطاً مميزاً للنهضة الحديثة فيما يتعلق بالوطن والوطنية ؟ ألم يشجع العلم والمعرفة ؟ ألم يطبق العدل ؟ أليست هذه هي عناصر النهضة الحديثة التي قامت عليها الدول لا في الوطن العربي بل في أوربا ؟ ألسنا مطالبون بالتدقيق في نصوص الأمير عبد القادر التي اشتملت على هذه المعاني ؟

ولدراسة شخصية الأمير عبد القادر دراسة علمية موضوعية نجد أنفسنا ملزمين بوضعه في سياقه الزمني والمكاني لتحديد آفاق فكره السياسي وممارسته السياسية . والواقع أنه قام بثورة على ما كان سائداً في عصره سواء على المستوى السياسي المرتبط بالسلطة أو على المستوى الاجتماعي المرتبط بالطبقات الاجتماعية . ولذلك فإنه حارب في عدة جبهات :

حارب المستعمر كما حارب القبائل ذات النفوذ والسيطرة في العصر العثماني ، وكذلك حارب أيضاً العقلية التي غلبت على الإنسان الجزائري آنذاك ، والتي لم تكن على استعداد لتقبل التحديث الذي كان يمارسه ويدعو إليه الأمير عبد القادر ، إنها ثورة كلية شاملة ، أنهكت قواه في المدة التي قضّاها حاملاً لواء المقاومة ، فلم يكن عدوه في ذلك الوقت الاستعمار وحده بل تلك العناصر مجتمعة .

### أولاً : العرب والغرب الأوربي وبداية عصر النهضة :

كان للغرب الأوربي التأثير الكبير على أغلب المفكرين العرب المسلمين الذين حملوا لواء النهضة العربية في القرن التاسع عشر ، نظراً لاحتكاكهم به . ولولا ذلك الاحتكاك لما تبين للعرب واقعهم المتدهور . ويظهر ذلك بوضوح في

فكر أغلب المصلحين العرب المسلمين الذين برزوا في بداية عصر النهضة » القرن التاسع عشر « ، من الطهطاوى مروراً بخير الدين التونسي ، وانتهاءً بمحمد عبده والأفغانى . ولكن ما تميز به الأمير عبد القادر عن أقرانه من المفكرين العرب المسلمين هو أن فكره التنظيمى التأسيسى كان إبداعاً ذاتياً ، لأنه لم يحتك بالغرب الأوروبى ولم يتأثر به ، وإنما كان يدافع عن إثبات كيانه وهويته . وما قام به يضاهى التنظيمات التى كانت فى الغرب والتى كان يدعو إليها مفكرو النهضة العربية ، سواء على مستوى التنظيم أو الممارسة . وهذه خصوصية لا بد من التركيز عليها فى حياته . ولا يعنى هذا أنه كان يجهل صور الحضارة الغربية وما وصلت إليه علمياً وسياسياً ، إذ الواقع أنه كان يشيد ببعض مظاهرها وينتقد أوضاع العرب الذين لم يسايروا تلك الحضارة ، فالروح العلمية الموضوعية التى كانت تميز شخصيته أشادت حتى بالفرنسيين الذين كان يقاومهم باعتبارهم العدو الذى جاء غازياً لوطنه ، فهو يعترف بتقدمهم وتفوقهم فى السياسة وفى ما أثرهم على الحكام المغاربة . وقد أشار إليه حين تلقى ردود الفرنسيين على شروط الاستسلام حيث قال أن: « من وفاء كلمتهم وضبط قوانينهم وأنهم ليسوا كسلطان المغرب لعدم معرفة المغاربة بأحوال الرئاسة ومآثر السياسة »<sup>(١)</sup> .

إن هذا الإقرار والاعتراف من الأمير عبد القادر بسمو الحضارة الفرنسية ليس الهدف منه الخضوع والاستسلام لها ، وإنما ضرورة النظر إليها على أنها حاضر معاش ، يجب النظر فيه وتأليفه مع ما يتوافق مع تراثنا الذى كان يحمل نفس المظاهر ، حتى يمكننا النهوض والتقدم . وكانت هذه وجهة نظر كثير من المفكرين العرب المسلمين فى بداية النهضة العربية ، كخير الدين التونسي الذى كان يرى أنه لا بد من إيجاد توافق بين الحضارة الغربية ومبادئ الشريعة الإسلامية ، لأن التمدن الأوروبى كان كالسيل الجارف لا يقف أمامه شئ إلا استأصلته قوة تياره المتتابع وكان يخشى على الممالك المجاورة لأوروبا من ذلك التيار إلا إذا تنبّهت هذه الممالك وحذروا حذوه وجروا مجراه فى التنظيمات الدنيوية

وعندئذ يمكن نجاتهم من الغرق<sup>(٢)</sup> . ونفس الدعوة دعا إليها الطهطاوى الذى عاش فى فرنسا وعان فيها التقدم والتحضر الذى وصلت إليه واستخلص أن : « مخالطة الأجانب » « الأعراب » لا سيما إذا كانوا من نوى الألباب تجلب للأوطان من المنافع العمومية العجب العجائب<sup>(٣)</sup> .

### ثانيا : الأمير عبد القادر وتنظيم الدولة :

قامت النهضة الحديثة أساسا على التنظيم السياسى للدولة ، فكانت كل الدعوات العربية فى بداية النهضة تتجه إليها فى شكل مجموعة من القواعد الفكرية والتنظيمية ، سواء بالتركيز على ما كانت عليه حضارتهم فى غابر الأزمان ، أو ما هى عليه الحضارة الغربية فى عصرهم ، غير أن كثيرا من تلك الدعوات فى الفكر السياسى العربى سواء على مستوى التنظيم أو على مستوى الممارسة لم يكتب لها النجاح . ونحن نعتقد أن ذلك يرجع إلى أن القواعد الفكرية التى تبناها لم تعبر عن واقعهم العربى الإسلامى بقدر ما عبرت عن واقع المجتمعات الغربية ، كما أنها لم ترق إلى مستوى التنظيم الشامل لحياة مجتمعاتهم ، أما الأمير عبد القادر فقد نجح فى تنظيماته لأن فكره نبع من واقع ذاتى بخصوصية متميزة عن الواقع الغربى ، فهو لم يسافر إلى الغرب ولم يتمثل حضارته بخصوصيته الخاصة ، بل أنه كان يكيف كل ما لاحظته وشاهده على مجتمعه بخصوصية مغايرة للخصوصية الغربية . وكانت تلك هى عبقريته المتميزة التى استهدفت دفع مجتمعه إلى النهضة والتقدم وفق تلك الخصوصية . وعلى ذلك يمكننا القول — دون تحيز — أنه الوحيد فى القرن التاسع عشر الذى استطاع أن يجسد مبادئه الفكرية على مستوى الدولة التى أقامها فكرا وممارسة . وكانت ممارساته بالتالى فى ذلك العصر من أهم ما أنجزه العقل السياسى العربى الإسلامى فى القرن التاسع عشر ، خلافا لما كان متعارفا عليه فى الفكر السياسى العربى السابق ، ذلك أنه أحدث قفزة نوعية متميزة فى الفكر وفى الممارسة ، وليس كما يدعى البعض أنه بقى مطوقا بملايسات الفكر العربى الإسلامى السابق<sup>(٤)</sup> .



فالدولة التي أقامها الأمير عبد القادر كانت تضاهي الدول المعاصرة لها فى الحداثة ، لا فى الوطن العربى فحسب ، بل حتى فى الغرب الأوروبى نظراً لما اشتملت عليه من مؤسسات تنظيمية وآليات تحديثية من ديمقراطية وعدل ومسلواة ، واستطاعت أن تتجاوز الموروث السياسى للدولة العثمانية التى كانت تحكم آنذاك الوطن الجزائرى وأغلب مناطق العالم العربى . فكانت دولته كما يقول عبد الباقي الهرماسى ، أكثر تمركزاً وتحركاً وقوة ، وذلك ما لم تكن عليه يوماً دولة الترك<sup>(٥)</sup> . فالدولة القوية الحديثة المركزية التى بناها لم تكن تلك التى تتميز بالقوة القهرية الاستبدادية المهولة ، التى تمارس القهر والاستبداد على رعاياها ، لا واجب عليها إزاءهم ، بل إنها الدولة التى تمتلك تنظيمات وتشريعات للممارسة السياسية ، أى أنها عبارة عن أجهزة وأدوات وآليات للعمل السياسى والاجتماعى ، ولها من الوظائف وعليها من الواجبات أكثر مما لها من الحقوق ، فالأمير عبد القادر لم يمارس فى دولته نمط الدولة القهرية الاستبدادية ، هذا النمط من التنظيم السياسى الذى ساد الدولة العربية الإسلامية فترة زمنية طويلة . وما فعله من تغيير على مستوى الممارسة السياسية ، سواء على مستوى المظهر أو المضمون يعد بحق ثورة فى تاريخ الفكر السياسى الإسلامى .

إن الدولة القهرية الاستبدادية من وجهة نظر الأمير عبد القادر ليست الدولة التى تمارس الاستبداد فحسب ، بل حتى التى يصل فيها الحاكم إلى الحكم عن طريق القوة . وذلك ما أدركه الأمير عبد القادر حين قال : « إن أهل ناحيتنا هذه اتفقوا أشرفاً وعلماء ، وأهل الحل والعقد على ولايتنا وملازمة بيعتنا »<sup>(٦)</sup> ، أى أنه كان يعتبر أن الدولة الفعلية والقوية هى التى يصل فيها الحاكم إلى الحكم بطريقة ديمقراطية برضاء الشعب عليه وانتخابه أو مبايعته . فهو لا يفرق بين « البيعة » و « الانتخاب » ، لأنه أدرك أن المفهوم السياسى المتداول فى الممارسات الحديثة هو الانتخاب. لذلك أراد أن يكيف المفاهيم الإسلامية المتداولة فى الممارسة السياسية الإسلامية بالمفاهيم السياسية الناشئة ،

لأن هذا المبدأ الانتخابى هو الذى أحدث القوة والتقدم بالنسبة للدول الحديثة .  
لذلك كان حريصا على الامتثال له . وامتناله له كان نتيجة إدراك مضمونه وتأثيره  
على الحياة السياسية . وقد استخدم لفظ « انتخبونى » فى وصوله إلى  
السلطة ، ولم يستخدم لفظ « أمرونى » الذى كان من أهم المفاهيم المتداولة فى  
الفكر السياسى العربى الإسلامى على مستوى الممارسة . ذلك أنه قال بشأن  
وصوله إلى الحكم : « انتخبونى لإدارة حكومة بلادنا وقد تعهدوا أن يطيعوا فى  
السراء والضراء ، وفى الرخاء والشدة ، وأن يقدموا حياتهم وحياة أبنائهم وأملأكمهم  
فداء للقضية المقدسة »<sup>(٧)</sup> .

والعقد الناشئ من هذه البيعة أو الانتخاب - من وجهة نظر الأمير - ليس  
خضوعا للحاكم ، وإنما هو خضوع للقانون الذى يوحد بين الحاكم والمحكوم ،  
وهو منشأ القوة . لذلك كان يقول بعد انتخابه ومبايعته : « ولقبول هذه  
المسئولية اشترطنا على كل أولئك الذين منحونا السلطات العليا أن عليهم دائما  
واجب الخضوع فى كل أعمالهم إلى نصوص وتعاليم كتاب الله وإلى الحكم بالعدل  
فى مختلف مناطقهم »<sup>(٨)</sup> ، أما ما يلتزم به هو فى هذا العقد فهو الإنصاف ،  
واعتماد النوازل المشهورة ، والفروع المأثورة من إتباع الكتاب والسنة والإجماع  
من السلف الصالح<sup>(٩)</sup> . ألم تكن هذه المسألة السياسية هى بداية الثورة لتأسيس  
الدول الحديثة . أليس معنى ذلك أن الأمير عبد القادر قد أدرك معنى الاختيار  
فى الوصول إلى السلطة ؟ ألا يحق لنا من هذا القول اعتباره من أوائل المفكرين  
والساسة العرب المسلمين الذين أسسوا نظرية الدولة الحديثة مبنية على  
الديمقراطية ؟ ألم تكن الديمقراطية هى اختيار الشعب لحاكمه ؟

وكانت ممارسة السلطة السياسية عنده - رغم هذا الاختيار - تسير بصورة  
جماعية ، حيث كان يشاركه فيها من هم مؤهلون للمشاركة ، وهم عنده أهل العلم  
وحدهم فقط . وكان يبعد من حوله الغير مؤهلين والذين كانوا نافذين فى تسير  
الدولة العثمانية وهم الأجواد ، حيث كان يقول : « كنت يوما أتحاشى استعمال

الجودة « الأجواد » واستعين بالعلماء وأهل الدين في تسيير الحكم<sup>(٩٠)</sup> ، وكان الأمير عبد القادر هنا يميز بين نوعين من حملة المعرفة والعلم . العلماء الذين يحملون المعارف العقلية والعلمية<sup>(٩١)</sup> ، والعلماء الذين يحملون المعارف الشرعية الدينية ، وكلاهما ضروري وجوده والاستعانة به في تسيير شئون الدولة .

إن هذه المعاني الجديدة التي بنى عليها الأمير عبد القادر دولته هي التي جعلت الأمة تتفاعل معه وتدعن له بالطاعة والتخضوع . ولا غرابة في ذلك كما يقول عبد الباقي الهرماسي لقائد أعاد لها الثقة والاطمئنان . وبهذه الثقة كان الأمير عبد القادر قد أقام أول قاعدة للتوحيد الوطني على الرغم من قصر فترة تجربته<sup>(٩٢)</sup> . إن هذه الممارسات السياسية هي التي جعلنا ملزمين بوضع تشريعاتها في أطرها وأنساقها الفكرية الفلسفية والسياسية ، وتنقلها للأجيال على أنها نظام فكري سياسي قبل أن تكون ممارسة سياسية ، وهذا هو الطريق الوحيد الذي يضمن له البقاء والاستمرار .

### ثالثا : الأسس السياسية في فكر الأمير :

#### ١ - الوطن والوطنية :

كانت مسألة الوطن والوطنية من أهم المبادئ التي تأسست عليها الدول الحديثة ، وكانا معيارين لكل نهضة سياسية حديثة ، حيث أصبحت معانيهما وممارستهما مغايرة لما كانا يعرفان به . وهذه المسألة لم تكن غائبة عن رجل حمل لواء نهضة مجتمعه وأمته ، أعنى بذلك الأمير عبد القادر الذي تطرق إليها ، وإن لم يكن يختلف فيها كثيرا عما ذهب إليه ابن خلدون في دراسته لتركيبية المجتمع العربي الإسلامي البدوية والحضرية ، وغيره من المفكرين العرب المسلمين ، مما يجعلنا نعتقد أن بداية النهضة العربية الحديثة تبدأ من عصره ، وليست من القرن التاسع عشر ، فالأمير عبد القادر استخدم كلمة الوطن مرارا<sup>(٩٣)</sup> ، ولكن الوطن بالمفهوم السياسي الحديث ليس مجرد مكانا للسكن ،

ولا أرضاً بدون سكان ، فالوطن بلا سكان لا معنى له ، والسكان بلا انتماء ولا شعور ولا مدافعة عن الوطن لا بقاء لهم . وقد أدرك الأمير عبد القادر تلك الخصوصية الحديثة التي أصبحت تميز الإنسان العربي الحديث على مستوى الهوية ، الذي يجب عليه أن يجسدها فعليا ، فالإنسان العربي إن كان في السابق يفتخر بانتسابه إلى قومه وقبيلته ، فإنه أضحي في الواقع وفي المفهوم الحديث ينتسب إلى وطنه مكان سكناه أكثر مما ينتسب إلى قومه ، وفي ذلك يقول : « إذا انتسب إلى البلد ذهب قومه وتتوسيت أسلافه فصار النسب مجهولا لا باحث على حفظه ولا حامل على تعريفه »<sup>(١٤)</sup> . وهذه من مستلزمات الصيرورة الاجتماعية التي تبعث التغير الحاصل في تركيبة المجتمع العربي الإسلامي والتي يجب مسايرتها والحياة وفقها ، لأنه كما قال أن العرب : « حين دخلت قرى الشام والعراق ومصر والمغرب وغير ذلك ، فلا تزال تلقى حلبيا أو حمصيا أو كوفيا أو بصريا أو قرطبيا أو باجيا وهو تميمي أو قيسي أو أزدي أو غيره وكثير منهم لا يعرف نسبه »<sup>(١٥)</sup> . فالانتساب للقبيلة أصبح ليس نمونجا لتركيبية المجتمع الحديث ولا الدولة الحديثة . وصفة المواطنة لا تتحدد عليها ، وإنما تتحدد على كل من ينتمي للوطن مهما كان جنسه ومهما كانت قبيلته . وهذا ما أدى بكثير من الناس في العصر الحديث إلى التباهي والتفاخر بانتسابهم إلى أوطانهم لا بالانتساب إلى أعراقهم . فأصبح كل واحد يمدح وطنه للخصوصية التي يتميز بها : « فنجد هذا يمدح أرضه بكثرة المياه للاتساع في الشرب والطهارة والنقاوة ونحو ذلك ، وهذا يمدح أرضه بالبعد عن الحياه كجود منابتها وصحة هوائها وذهاب الوحش منها ، وهذا يمدح أرضه بالسهولة بجودة المزارع فيها وكثرة ربيعها واتساع خيرها ، وهذا يمدح أرضه لكونها جبالا لتمنعها وعزة أهلها وحسن مائها وهوائها وقناعتها وغير ذلك »<sup>(١٦)</sup> .

إن الانتساب إلى الأرض مهما كانت يتطلب الارتباط بها ، وهي في عين سكانها تمثل ميزة خاصة بهم مهما تكن تضاريسها ، فإنه لا بديل لهم عليها ، ومن ثم فلا بد عليهم من السعي إلى تحسينها وإغنائها وإثرائها ، وحمايتها والمدافعة

عنها . وإذا كان الأمير عبد القادر قد أدرك هذه الخصوصية وحث أبناء وطنه على المدافعة عن وطنهم ضد كل غريب دخيل ، فإنه جسدها حسا ومعنى ، لأنه لا وطن آخر يجنحون إليه إلا الوطن الجزائري . ولذلك أليس من حقنا التساؤل عما فعله في هذا الشأن : ألم يكن فعلا هذا هو المعنى الوطنى الذى بنيت عليه الدول الحديثة ؟ ألم تنشأ الوطنية الحديثة من هذا المعنى ؟ ألم يكن الأمير عبد القادر رائدا فى إعطاء معنى الوطنية التى يرتبط فيها المواطن بوطنه حين قلل : « ومن أسباب المحبة والحنين حب من كان فيها من القرابة والأحباب وتذاكرهم وتذكاراتهم عند تذكارتها »<sup>(١٧)</sup> ؟

إن الوطنية التى يقول بها الأمير عبد القادر والتى كانت ميزة الفكر السياسى الحديث ، هى التى تتحدد فيها العلاقات الاجتماعية من تعاون ومحبة ، على أساس الحياة المشتركة فى الوطن الواحد ، لا على أساس التفاضل الجنسى والعرقى ، وبهذه الممارسة والرؤية والمفهوم استطاع الأمير عبد القادر أن يؤلف بين كل سكان الجزائر ، ويحملهم على لواء المقاومة المشتركة للدفاع عن وطنهم . وهذه هى قمة الوطنية فى مفهومها الحديث والمعاصر ، وهى مخالفة حتى للمفهوم الأوروبى الحديث الذى يرى أن الوطنية هى التى نجحت فى تكوين كيان سياسى وحكومة مستقلة<sup>(١٨)</sup> . وهذا ما فعله الأمير حتى قبل تكوين الكيان السياسى المستقل ، لأنه كان يعتبر أن العرب أسبق من الأوربيين فى الارتباط بعضهم ببعض ، وبينهم وبين أوطانهم . وهذه من أخلاقياتهم وشيمهم الباعثة على الألفة والمحبة . وهى طبيعية فيهم يجب فقط تذكيرهم بها لأنهم ابتعدوا عنها . فى ذلك قال : « فالأمة العربية أكثر وأشد من جميع الأمم فى ذلك لأنهم فى جاهليتهم كانت لهم نفوس زكية ، وأخلاق مرضية ، وأفعال كريمة ، وهم عظيمه ، وعقول راجحة وآراء ناجحة ، وشرف صميم ، وأنفة من كل خلق ذميم ، طبعوا على خصال الفضل والمروءة قبل أن تكون بينهم النبوة »<sup>(١٩)</sup> ، أى أنه إذا كانت ، هذه هى معانى الوطنية ، فإن العرب عرفوها قبل أن يعرفها الغربيون

فى حضارتهم المعاصرة ، ولكن إن ابتعد العرب عنها فيجب السعى لاستردادها ، لأنها شيمة من شيمهم الطبيعية ، فكل حركة نحوها سهلة التحقيق والممارسة .

## ٢ - العدل والمساواة :

أجمعت كل الآراء والأفكار التى أسهمت فى تأسيس النهضة العربية على أن النهضة فى أوروبا لم تقم إلا على أساس العدل والمساواة . وإذا كان العرب يريدون مسايرة تلك النهضة فلا بد من أن يتخذوا من هذه الأسس ركيزة لهم .

وكان الأمير عبد القادر من أوائل العرب المسلمين ليس القائلين بهذا الرأى فقط ، بل والممارسين له ، ذلك أن شعاره السياسى فى تلك الممارسة هو أن جميع المواطنين سواسية ، وأن القانون الذى يخضع له الجميع هو ما أتى به القرآن الكريم ، حيث كان يقول : « لن آخذ غير القرآن . لن يكون مرشدى غير تعاليم القرآن . والقرآن وحده ، فلو أن أخى الشقيق قد أحل دمه بمخالفة القرآن لمات »<sup>(٢٠)</sup> . إنها المساواة فى أكمل صورها ، وإنه العدل فى أقصى حدوده ، وكان فى تجسيده لهذا المبدأ يعتمد على القضاة واختيار العدول منهم<sup>(٢١)</sup> .

وكان هؤلاء القضاة يفصلون حتى فى القضايا المتعلقة بالجيش ، أو بين الرعايا ومسئوليه . وكان ممثل الأمير يجوب الأسواق وينادى من ظلم منكم من طرف الأغا فليتقدم بشكواه إلى الأمير . وبهذه الممارسة تكونت الوحدة والمساواة لا بين الرعايا بعضهم وبعض فحسب ، بل بين أفراد القبيلة ورئيسها<sup>(٢٢)</sup> .

إن سياسة المساواة التى تشبع بها الأمير ومارسها إلى درجة التقشف فى جميع مظاهر حياته هى التى أكسبته ولاء رعاياه وطاعتهم ، لأنها - كما بينا وكما - كان يرى ، قريبة من وجدان رعاياه ، وهى طبيعية فيهم ، ولذلك كان يقول عن نفسه : إننى أول من مارست التقشف ، وأول من ضرب المثل بلبس ثياب بسيطة بساطة ثياب أكثر خدمى تواضعا . وهذا التساوى فى اللباس لم يكن كما

يعتقد البعض تمويهها للعدو من أجل تفادى ضرباته ، وإنما هو كما أجاب بنفسه وقال : « ما فعلت ذلك خوفا من تميز نفسى أمام ضربات قنابل العدو ، ولكننى فعلته لأننى كنت أرغب أن لا أفرض على العرب إلا ما أقرضه على نفسى » (٢٣). ألم تبين الدول الحديثة على هذه المساواة وهذا العدل ؟ ألم يدرك الأمير بأن هذه المقومات السياسية هى التى ترتقى بالأمم نحو التقدم والإزدهار لذلك لا بد من استيعابها ؟ ألم تكن هذه الأفكار على زمانه فيها من الجرأة ما لم يتصوره العقل ، خصوصا فى مجتمع مثل مجتمعه عاش فى ظل الظلم والتهم والتفاوت بين الناس حتى غدت هذه الانحرافات هى أركان الحياة الفعلية ، بينما غدا ما يخالفها صورة غير طبيعية ، لقد صار هذا الوضع هو السائد حتى على مستوى علماء الأمة الذين كما يقول عبد الله شريط عمل الكثير منهم على إشاعة مفاهيم معاكسة تزلزلا للحكام فحرف بعضهم فى تفسير بعض آيات القرآن الكريم وأخرجوها مخالفين روح الإسلام ذاته (٢٤) .

وكان الأمير عبد القادر يرى أنه حتى النظام السياسى الذى تجسدت فيه هذه المظاهر السياسية الحديثة العادلة ، أى النظام « الجمهورى » فإنه ليس غريبا عن الإنسان العربى ، لأن معناه عربيا وعرفته العرب قبل الأوروبيين وكان هو أساس السياسة العادلة سواء عندنا أو عندهم ، لأن فيه يستوى : « الرئيس والمرؤوس ، الشريف والمشروف ، الرفيع والوضيع ، ليجزى كل واحد على قانون الآخر . ولا يختص بأحكام مفضول على فاضل ولا يقع التصرف على الأدنى لما له قلة دون الأعلى ، ولا يتجبر بالتكبر على منزلة على سافل . ويجرى حكم شرع الإنصاف على من تجاوزوا الحد المشروع كيف كان حسبا ونسبا ، ولأن التفرقة بين الناس فى الحكم هو سبب هلاك كثير » (٢٥) ، فمن ابتعد عن هذا الحكم يكون مآله الهلاك والاندثار ، ولم تصل الأمم الأوروبية إلى تلك العظمة الحضارية إلا باستنادها على هذا الحكم ، وفى هذا يقتدى الأمير عبد القادر ، بما أشار إليه الرسول ﷺ حين قال : « إنما هلك من كان قبلكم ، إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا



سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها . « ومن هنا يتضح أن هذا الحكم ليس من ابتكار الأوروبيين - وخصوصا الفرنسيين - وإنما يرجع إليهم الفضل في أنهم طبقوه عمليا في تسيير حياتهم السياسية بمقتضاه ، وفي هذا الشأن يقول : « وبهذا تعلم أن الجنس الفرنسي فاق على جميع الأجناس الرومية والنصرانية بكونه يستعمل الفائدة وينقلها أينما وجدها ، ولا يقول هذه ليست لغتي أو ليست عادة بلدي أو وطني ، فكأنهم سمعوا قول نبينا ﷺ للمؤمنين « الحكمة ضالة المؤمن يطلبها حيث يجدها » (٢٦) ، اليست هذه عبقرية متميزة للأمير عبد القادر ، أدرك من خلالها أسرار قوة الدول وقوة سياستها . وكان يدعو إلى الأخذ بمظاهرها سواء في السير على السنن السياسية التي ساروا عليها ، أو أخذها منهم كما أخذوها عنا ، وهذا امتثالا لقول رسول ﷺ السالف الذكر .

ولا أدعى هنا أنني أحطت بكل فكر الأمير عبد القادر السياسي ، لأن الرجل كالجبل الشامخ الذي يحتوى على كنوز متعددة ومجهولة ومن يستطلع خباياه يكشف في كل يوم معدنا جديدا ثمينا وما زال فكر الأمير يحتوى على كثير من الآراء والأفكار المجهولة عنا ، ولكن باستعدادنا للبحث فيها والتقيب عنها يمكننا إمطة اللثام عنها ، وهذا ما نحاول القيام به ، وبالله التوفيق .



## الهوامش

- (١) الأمير عبد القادر ، المذكرات ، سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة ١٨٤٩م ، تحقيق محمد الصغير بناني ، محفوظ سماتي ، محمد الصالح الجون ، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٩٤م ، ص ١٣٠ .
- (٢) خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، تحقيق المنصف الشنوفي ، تونس ، ط ٢ ، ١٩٧٢م ، ص ١٦٦ .
- (٣) الطهطاوي ، الأعمال الكاملة ، تحقيق محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ١٩٧٣م ج ١ ، ٣٩٨ .
- (٤) محمد الصغير بناني ، معالم شخصية الأمير عبد القادر من خلال شعره ، معالم فكوه السياسى ، الثقافة ، مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر ، العدد ٩٦ ، نوفمبر - ديسمبر ١٩٨٦م ، ص ١٣٩ .
- (٥) محمد عبد الباقي الهرماسى ، المجتمع والدولة فى المغرب العربى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧م ، ص ٣٠ .
- (٦) الأمير عبد القادر ، المذكرات ، ص ٩٦ .
- (٧) شارل هنرى تشرشل ، حياة الأمير عبد القادر ، ترجمه وعلق عليه أبو القاسم سعد الله ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، ط ٢ ، ١٩٨٢م ، ص ١٥٦ .
- (٨) المرجع نفسه ، ص ٥٩ .
- (٩) الأمير عبد القادر ، المذكرات ، ٩٧ .
- (١٠) بسام العسلى ، الأمير عبد القادر ، دار النفائس ، ١٩٨٠م ، ص ٣٩ .
- (١١) يعتبر الأمير عبد القادر أن العقل من أشرف الخواص التى تميز الإنسان عن الحيوان ، وخاصية الشئ هى كماله ، وبهذا العقل يستطيع الإنسان أن يدرك العلوم ويعرف طريق الحق بحيث يرتفع عن بصيرته حجاب الشك ، ويتيقن حقائق الأمور ويرأها منكشفة ، فإن الظن لا يعنى من الحق شيئا ، للمزيد من الإطلاع

على ما كتبه الأمير عبد القادر حول العقل يرجى الإطلاع على كتابه : المقرض الحاد ، لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد ، الطاسيلي للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨٩م ، ص ٩ وما بعدها .

(١٢) محمد عبد الباقي الهرماسي ، المجتمع والدولة في المغرب العربي ، ص ٣٠ .  
(١٣) عبد الحميد بن هدوقة ، الأمير عبد القادر والمجابهة اللامتكافئة ، الثقافة ، العدد ٧٥ ، ماي - جوان ١٩٨٣م ، ص ١٩٧ .

(١٤) الأمير عبد القادر ، المذكرات ، ص ٢١٢ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٢١٣ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .

(١٨) عبد الله شريط ، مشكلة الحكم الإسلامي في دولة الأمير ونظرية ابن باديس ، الثقافة ، العدد ٧٥ ، ص ٢٣٩ .

(١٩) الأمير عبد القادر ، المقرض الحاد ، ص ٢٤٣ .

(٢٠) شارل هنري تشرشل ، حياة الأمير عبد القادر ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢١) الأمير عبد القادر ، المذكرات ، ص ٩٦ .

(٢٢) عبد الله شريط ، مشكلة الحكم الإسلامي في دولة الأمير ونظرية ابن باديس ، ص ٢٤٠ .

(٢٣) شارل هنري تشرشل ، حياة الأمير عبد القادر ، ص ١٥٤ .

(٢٤) عبد الله شريط ، مشكلة الحكم الإسلامي في دولة الأمير ونظرية ابن باديس ، ص ٢٤١ .

(٢٥) الأمير عبد القادر ، المذكرات ، ص ١٣٦ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ١٣٦ .

# الصحوۃ العربیة فی القرن العشرین

الثورة المغربية ١٩٤٥ - ١٩٥٦

د. مدهت محمد عبد النعمیم (\*)

شهد العالم العربی فی القرنین التاسع عشر والعشرین صحوۃ بدأت فی شکل حركات سیاسیة هائلة ، وذلك نتیجة لتدهور الإقطاع كنظام متحكم فی الحیاتین الاقتصادیة والاجتماعیة ، وحلول النظام الرأسمالی محل المراكز الاقتصادیة المبعثرة الّتی تمثل النظام الإقطاعی ، إلى جانب تطور طرق المواصلات وتحقیق التقدم العلمی فی كافة المیادین المختلفة ، هذا بالإضافة إلى ظهور الطبقة المتوسطة وهی الّتی أصطلح فی المغرب علی تسمیتها الطبقة البرجوازیة وبها قطاع دینامیکى هو قطاع المتقفین المسمى فی الغرب Inteiligenria وهذا القطاع بالذات هو الذی سیر الحركة القومیة الوطنیة وقاد كافة الطبقات ورائه .

والطبقة المتوسطة هذه ( الّتی كانت تشتغل بالتجارة عادة ) تتجه بحکم مصالحها الشخصیة نحو محاربة الإقطاع ومحاولة القضاء علیه ، وتخلیص السوق الوطنی من نیر الاستعمار لذلك فإنها تسعى إلى قیام حکم مرکزی يستهدف التخلص من الإقطاع والاستعمار وفی ضوء هذه الاعتبارات فإن الحركات الوطنیة فی الشرق الأوسط استهدفت تحقیق مبادئ أربع هی :

- ١ - الحریة الفردیة .
- ٢ - النظام الدستوری .
- ٣ - هدم الإقطاع .
- ٤ - التحرر الوطنی من السیطرة الأجنبیة .

---

\* مدرس التاریخ الحدیث - کلیة التربیة بالإسماعیلیة - جامعة قناة السويس .

وهكذا اتجهت القوى الوطنية في الشرق الأوسط قبل أواخر القرن التاسع عشر إلى الدين والتقاليد والعصبية الأسرية ، لتطوير النظام الاجتماعي والاقتصادي في اتجاه الرأسمالية وبقدر نجاحها في ذلك تباينت مناطق الشرق الأوسط قوة وضعفاً في مسيرتها الوطنية والقومية ، فهي أظهر ما تكون في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين في مصر وبلاد الشام ، أما في نجد واليمن وشمال أفريقيا فقد اتخذت المقاومة للسيطرة الأجنبية شكل حركات دينية مثل الحركة الوهابية في نجد والأمامية الزيدية في اليمن والسنوسية في شمال أفريقيا والإدرسية في عسير (١) .

وقد تميزت المجتمعات العربية بأنها لم تكن مجتمعات عربية خالصة الدماء، وإنما كانت إسلامية بالدرجة الأولى ، فقد تواجدت فيها إلى جانب العناصر العربية عناصر أخرى إسلامية غير عربية الأصول مثل الشراكسة والأتراك والألبان أو الأرناؤد وغيرهم وهذه العناصر كانت تعتبر الوطن العربي وطنها الأول ، ففي مصر كان محمد علي ألبانيا ، لكنه هو الذي وضع حجر الأساس في بناء مصر الحديثة ، وقام خلفاؤه باستصدار فرمانات التي استخلصت استقلال مصر الداخلي من النفوذ العثماني ، وكان خير الدين باشا في تونس مملوكاً من أصل شركسي ومع ذلك فقد كان مصلحاً دستورياً كبيراً .

ويبدو أن أهم قوى المقاومة التي واجهت الاستعمار في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين في الوطن العربي هي القبائل التي كانت تشكل القوة الاجتماعية الأولى الرئيسية في معظم أجزاء ذلك الوطن، وقد تميزت بالروح العسكرية والصلابة وفي الوقت نفسه كانت تفتقر للروح النظامية التي تتميز بها المجتمعات الراقية الحديثة ، كما كانت تسيطر عليها الروح القبلية الانقسامية التي شتتت جهودها وأوقعتها في منازعات عنيفة وحروب دموية لم يستفد منها سوى الاستعمار . وفي ضوء هذه الاعتبارات يمكن إدراك النتائج التي حققها المناضلون في سبيل حرية بلادهم ، عبد القادر الجزائري في نضاله ضد الفرنسيين ، إذ كان

يتعرض لمعارضه بعض القبائل ويضطر إلى خوض الحروب ضدها ، كما يمكن فهم الاتفاقيات التي عقدها الفرنسيون مع بعض القبائل مثل قبيلتي الدوائر والزمالة في ١٦/٦/١٨٣٥م ، وبمقتضاها أصبح أفراد القبيلتين رعايا فرنسيين<sup>(٢)</sup> .

ومن ناحية أخرى ، فإن الدين والطرق الصوفية لعباً دوراً هاماً في مقاومة القبائل للمستعمرين ، كما حدث في ليبيا حيث لعبت الدعوة السنوسية دوراً رئيسياً في لم شمل القبائل وتأسيس الزوايا السنوسية التي تصدت للمستعمرين الإيطاليين ، كذلك لعبت الاباضية دوراً في توحيد القبائل الأمامية في عمان الداخلية ، كما لعبت الدعوة الوهابية دوراً هاماً في توحيد القبائل العربية في نجد حتى جمعت أراضي الجزيرة العربية كلها في وحدة متكيفة .

وفي بعض الحالات لعبت الطرق الصوفية دوراً مضاداً ؛ فإذا كانت الطريقة القادرية قد ساعدت الأمير عبد القادر الجزائري على قيام دولة فإن الطريقة الطيبية والتيجانية وقفتا موقف المعارضة من حركته .

وفي البلاد الزراعية كان الفلاحون يمثلون عنصر المقاومة الرئيسي في الحركات الوطنية ، كما هو الحال في مصر أثناء الحملة الفرنسية والثورة العرابية وثورة ١٩١٩م .

ومهما يكن من أمر فإن المقاومة العربية للاستعمار الأوربي مرت بمرحلتين، الأولى مرحلة المقاومة للغزوة الاستعمارية ، والثانية مرحلة التخلص من الحكم الاستعماري وانتزاع الاستقلال من أنيابه ، ولكل مرحلة من هاتين المرحلتين سماتها الخاصة ، فإذا كانت المرحلة الأولى قد منيت بالفشل وترتب على ذلك سقوط العالم العربي تحت وطأة الاستعمار ، فإن الثانية ترتب عليها الاستقلال حتى أطلق عليها اسم الحركة الاستقلالية أو حركة التحرر الوطني وحقت النجاح واستطاعت الشعوب العربية المناضلة أن تسترد حريتها وإرادتها واستقلالها وثرواتها<sup>(٣)</sup> ، ومن هذه الحركات الحركة الاستقلالية التي شهدتها المغرب ضد

الحماية الفرنسية والأسبانية وقد بدأت هذه الحركة عام ١٩٤٥ وانتهت عام ١٩٥٦ باستقلال المغرب وتوحيده في دولة واحدة ذات سيادة واحدة تحت حكم الملك « محمد الخامس » وهذه الحركة هي موضوع دراستنا .

\* \* \*

### الصحة العربية المغربية على فرنسا وأسبانيا ١٩٤٥ - ١٩٥٦ :

يمثل المغرب الدولة العربية الوحيدة التي لم تخضع للحكم العثماني ، فظل حتى منتصف القرن التاسع عشر يمثل دولة قوية مهابة ، تتعامل مع الدولة العثمانية معاملة الند للند ، بل أن المغرب أخذ يشجع جميع الحركات الوطنية المناوئة للأتراك في الجزائر ، وعندما عجز الأتراك عن حماية الجزائر من الغزو الفرنسي، تولت الدولة المغربية مساعدة المقاومة الجزائرية في تلمسان ، واستمر تأييدها لهذه المقاومة على النحو الذي أدى إلى وقوع الحرب بين المغرب وفرنسا، وفي هذه الحرب منيت القوات المغربية التي كان يساعدها قوات الأمير عبد القادر والقبائل الأخرى ، بهزيمة ساحقة في معركة وادي أسلى في ١٤ أغسطس ١٨٤٤ ، وترتب على ذلك قبول المغرب الارتباط بفرنسا باتفاقيتين إحداهما لتخطيط الحد وقد عقدت في يونيو ١٨٤٥ ، وراعت فيها فرنسا أن تهيئ لها سبيل التدخل في المغرب كيما شاعت ، والثانية تتعلق بالتجارة ، وتنص على أن تختص فرنسا بالمكانة الأولى في تجارة المغرب .

والواقع أن معركة أسلى تشكل نقطة تحول مصيري في الوضع المغربي إذ أدت إلى زيادة التنافس الاستعماري على المغرب ، وهو التنافس الذي اتخذ شكلين مميزين :

الأول : فرض الامتيازات الأجنبية .

والثاني : اشتداد الضغط الاستعماري على المغرب وخاصة من جانب أسبانيا .

ففى يوم ٢١ مايو ١٩١١ دخلت القوات الفرنسية العاصمة المغربية . وفى شهر يونيو دخلت مكناس ، وذلك لإخماد ثورة ١٩١١ ، وقد فتح هذا الانتصار شهية الدول الاستعمارية لاقتسام المغرب ، وقد حاولت أسبانيا مسايرة الفرنسيين فى التوسع فى منطقة نفوذها ، وفى يونيو ١٩١١ احتلت مدينتى القصر والعرائش بالإضافة إلى مدينتى مليلة وسبتة وكانت تحتلها منذ القرن الخامس عشر .

وفى ٣٠ مارس ١٩١٢ تم توقيع معاهدة الحماية بين فرنسا والمولى عبد الحفيظ سلطان المغرب ، وبمقتضاها وافق على أن تقوم فرنسا باحتلال أى جزء من المغرب ، وفى ٢٧ نوفمبر عام ١٩١٢ وقعت اتفاقية بين فرنسا وأسبانيا نظمت أسبانيا بمقتضاها إدارة النفوذ الأسباني بالمغرب ، فجعلتها تابعة لسيادة السلطان الموجود بمنطقة النفوذ الفرنسية ، والتي يطلق عليها اسم المنطقة السلطانية ، ويعين خليفة له فى تطوان يخضع لإشراف الإدارة الإسبانية ، وأطلق على هذه المنطقة المنطقة الخليفية ، وهى منطقة الحماية الأسبانية ، حاكمها يمارس جميع سلطات السلطان بموجب تفويض عام ، وتستقل الإدارة الأسبانية بإدخال التنظيمات الإدارية التى تراها<sup>(٤)</sup> .

وبموجب هذه الاتفاقية ظلت المنطقة السلطانية<sup>(٥)</sup> منطقة حماية فرنسية والمنطقة الخليفية<sup>(٦)</sup> منطقة حماية أسبانية ، وهكذا استطاعت أسبانيا السيطرة على المنطقة الخليفية ما عدا تطوان التى أصبحت فيما بعد عاصمة للمنطقة .

فى ٧ مايو ١٩٤٥ انتهت الحرب العالمية الثانية بانتهاء دول المحور واستسلام ألمانيا وفى ١٤ أغسطس استسلمت اليابان بلا قيد ولا شرط ، بعد أن ألقيت الولايات المتحدة الأمريكية القنبلة الذرية الأولى على مدينة « هيروشيما » فى ٦ أغسطس ، وألقيت القنبلة الذرية الثانية على « ناجازاكي » فى يوم ٨ أغسطس وانتهت بذلك الحرب العالمية الثانية ، وتم تقسيم ألمانيا بموجب اتفاقية « بوتسدام » وكان - لنهاية الحرب بهذا الوضع أثراً كبيراً على المغرب بمنطقتيه ، وعلى الدولتين الحاميتين أسبانيا وفرنسا<sup>(٧)</sup> .

ذلك أن أسبانيا تعرضت في فترة ما بعد الحرب لبعض المشاكل السياسية ،  
من أهمها :

- ١ - محاولة « فرانكو » تعديل نظام الحكم في الداخل .
  - ٢ - فشل محاولة فرانكو لإعادة الملكية لأسبانيا ، لكي تقف سدًا منيعًا ضد آمال الجمهوريين في العودة إلى البلاد .
  - ٣ - تحركات الجمهوريين ضد حكومة فرانكو ومناصرة دول الحلفاء لهم والعمل على إحلالهم محل حكومة فرانكو في أسبانيا .
  - ٤ - موقف الحلفاء العدائي ضد أسبانيا ، وخاصة بعد أن طالبت فرنسا فرانكو بالتنازل عن الحكم فوراً ، وإفساح الطريق لحكومة أخرى في أسبانيا تستطيع أن تتعامل مع العالم بعد الحرب<sup>(٨)</sup> .
- وكان رد الفعل الفوري في المغرب أثر انهيار ألمانيا في الحرب هو الوقوف موقف العداء ضد مواطني دول المحور في المنطقة وذلك بتوقيع الحجز على كافة أملاك الأجانب التابعين للمحور أو التابعين للدول التي تسيطر عليها<sup>(٩)</sup> ، وذلك عن طريق منع هؤلاء الأجانب من أي تصرف في هذه الممتلكات<sup>(١٠)</sup> ، كما أخضعت الإدارة العامة للحماية في المنطقة الخليفية بالمغرب جميع الهيئات الأجنبية التابعة لدول المحور المحتجزة أملاكها وأموالها لنظام تفتيش ، ومراقبة طبقاً لمراسيم خاصة تقرها المندوبية السامية الأسبانية .
- وهكذا بدأت المنطقة الخليفية في تغيير معاملتها بطريقة جذرية لمواطني وهيئات ومؤسسات دول المحور بالمنطقة ، أو حتى الدول التي تتعامل معها ، لكي تحاول أسبانيا أن تمحي شبهة التعاون مع دول المحور أثناء سنوات الحرب ، ولكن الحلفاء لم ينسوا إطلاقاً ذلك التعاون وعاملوا الدول الحامية للمغرب بطريقة عدائية كبيرة .



ولم تقف المنطقة الخليفة في تلك الفترة موقفا عدائيا ضد دول المحور فحسب ، بل أن الحركة الوطنية بها وقفت ضد الدولتين الحاميتين أيضا ، وحاولت الأحزاب القيام بهذه المهمة .

أما فرنسا وهي الدولة الحامية الأولى فقد خرجت من الحرب العالمية الثانية محطمة مهزومة ، وحاول الوطنيون في المنطقة السلطانية تنظيم صفوفهم لإمكان مواجهة هذا الكيان الضعيف ، ومحاولة انتهاز فرصة هذا الضعف لتحقيق آمالهم الكبيرة في الاستقلال بزعامة حزب الاستقلال<sup>(١١)</sup> .

وفي ذلك الوقت تقاربت أهداف الملك محمد الخامس وأهداف الوطنيين ، كما بدأت العلاقات بين القصر والإقامة العامة تسوء كثيرا عما كانت عليه ، وقد تلزمت العلاقات بين السلطات والمقيم العام ( جبريل بيو ) لوجه بعدد كبير من الوطنيين في السجون وللوسائل التعسفية التي أغضبت حكومة المخزن<sup>(١٢)</sup> .

وحاولت فرنسا أن تقوم بتهدة الموقف في المغرب على أساس الوصول إلى تفاهم مع العناصر الوطنية ، فقامت في مارس ١٩٤٦ باختيار ( أريك لاسون ) مقيما عاما للعمل على حل القضايا الملحة<sup>(١٣)</sup> .

وعلى أثر تعيين المقيم العام الجديد ( أريك لاسون ) قدم إليه حزب الاستقلال مذكرة تضمنت بعض المطالب ، وطلب الحزب العمل ضمن « إطار القانون » ، كما التمت المذكرة الإفراج عن « الفاسي » و « الوزاني » اللذين كانا معتقلين منذ سنة ١٩٣٧م ، و « بلفرج » الذي اعتقل في ١٩٤٤ وفي أوائل شهر يوليو ١٩٤٦ تم الإفراج عن هؤلاء المعتقلين طبقا لسياسة التقارب والتهدة التي حاول المقيم العام الجديد تنفيذها مع الوطنيين<sup>(١٤)</sup> .

وبعودة هؤلاء الزعماء إلى المغرب تفجرت من جديد حدة الحركة الوطنية التي كانت تهدف أساسا إلى الاستقلال عن الدولتين الحاميتين ( فرنسا وأسبانيا ) . وعندما عاد « علل الفاسي » إلى المغرب انضم إلى حزب الاستقلال<sup>(١٥)</sup> ، وقد توسع حزب الاستقلال في عمله سريعا في عدة جهات وفتح مكاتب إعلام في كل

من باريس ولندن والقاهرة وطنجة ودمشق ، ثم أرسل البعثات إلى باريس في محاولة لتعريف القضية المغربية للشعب الفرنسي والحكومة الفرنسية تعريفاً مباشراً ، والعمل على توصيل نداء الحزب للاستقلال للمناطق القبلية في جبال الأطلس الأوسط ، ثم قامت الحركة الكشفية التي يترعها « إدريس المحمدي » في المنطقة الخلفية بمجهودات سرية في سبيل الاستقلال ، كما أسست منظمة جديدة للشباب في الدار البيضاء ، وأنشأ الحزب أيضاً أندية رياضية في مدينة فاس ، وأصبحت هذه الأندية مراكز شعبية للحركة الوطنية كما أنشأ الحزب عدة مدارس جديدة خلال عام ١٩٤٩ لتعليم الدين الإسلامي لتعمل في نفس الوقت كمراكز لإعداد الإطارات اللازمة للحزب ، وضم أعداد جدد به<sup>(١٦)</sup> .

ومن المؤكد أن هذا التوسع الكبير في النشاط الوطني لحزب الاستقلال قد اقنع المغاربة بأن الاستقلال هو المطلب الوحيد الملح الذي يمكن أن يطالب به المستعمر في تلك الفترة ، قبل أي تصرف آخر ، أو أي إصلاحات أخرى ، واعتبر الوطنيون أن كل إصلاح هو جزئي ومسكن ، وأن الإصلاح الأساسي هو الاستقلال الكامل .

أما في المنطقة الخلفية ( منطقة الحماية الأسبانية بالمغرب ) فقد بدأ ازدهار الحركة الوطنية فيها ، في ظل وجود المقيم العام الأسباني الجديد ( فاريل ) الذي بدأ علاقاته مع الوطنيين في المنطقة بداية استطاعوا أن يستشعروا معها بأنه من الممكن أن يعمل معهم ذلك المقيم العام في سبيل تحقيق الأمنى المغربية المشروعة وأولها الاستقلال<sup>(١٧)</sup> .

وقد حاول الحسن بن المهدي خليفة المنطقة الخلفية أن يوجه وجه المنطقة في ذلك الدور إلى العالم العربي ، ويقوى علاقاته بكافة الدول ، كما حاول الحسن أن يخدم القضية المغربية في قلب أسبانيا ذاتها ، فذهب إلى أسبانيا في عام ١٩٤٦ ، محاولاً الاتصال بحكومة مدريد لإجراء بعض التعديلات الجوهرية على السياسة التي تنتهجها أسبانيا في هجرة المستعمرين الأسبان ، وذلك بعد أن فتح

المقيم العام الأسباني ( فاريل ) باب الهجرة على مصرعه . على أن هذه التغيرات قوبلت بالرفض من قبل فرانكو ، الذي كان يرى أن بقاؤه في المغرب لا يتأتى إلا بالأغلبية الأسبانية الموالية لأسبانيا<sup>(١٨)</sup> .

ولم تستكن المنطقة الخليفية لتصرفات المقيم العام الأسباني فاريل فاستأنف حزب الإصلاح نشاطه في المنطقة الخليفية تحت قيادة عبد الخالق الطربسي ، الذي طالب في منشورات وزعها الحزب على الأهالي بإيقاف الهجرات الخارجية إلى المنطقة ، والكف عن نزع ملكية الأراضي ، وإلغاء المساعدات المالية التي تصرف من ميزانية المغرب على الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية ، كما طالب في هذه المنشورات بإطلاق الحريات وتكوين حكومة مغربية وطنية مؤقتة تعمل لإعداد المغرب للاستقلال .

وفي أواخر أغسطس ١٩٤٦ ، وفي أثناء احتفال البلاد بعيد الفطر المبارك ، تظاهر حوالى ألفى مغربي في مدينة تطوان مطالبين بمنع هجرة الأسبان للمنطقة حتى لا تفقد هويتها ، هذا بالإضافة إلى المطالبة باستقلال المغرب ورحيل فرنسا وأسبانيا عن الأراضي المغربية ، مما تترتب عليه قيام القوات الأسبانية بالتصدي لهذه المظاهرة ، واستعمال القوة والعنف ضد المتظاهرين ، فأصيب منهم المئات ، وقتل منهم العشرات ، كما اعتقل حوالى مائة وخمسين مواطناً وتم ترحيلهم إلى السجن العمومي ، وشكلت لهم محكمة عسكرية ، وقد احتجت الحكومة الخليفية على هذا التصرف وأندرت الإقامة العامة الأسبانية بعواقب هذه التصرفات<sup>(١٩)</sup> .

كذلك امتدت الاضطرابات والمظاهرات إلى مدينة تطوان وطنجة<sup>(٢٠)</sup> محتجين على عدم مساواة الأجور بين المغاربة والأوربيين وخاصة رجال الشرطة ، وكذلك سوء معاملة النساء المغربيات ، وحالة البطالة المتزايدة ، بسبب الهجرة الخارجية ، واتساع نطاق البغاء في البلاد .

واتحد حزب الإصلاح مع حزب الاستقلال وطالبوا بنفس مطالب المتظاهرين، كما طالبوا في بيانات وزعوها على المتظاهرين باستقلال البلاد ووحدتها ، وكان رد الفعل الأسباني فوراً وعنيفاً إذ واجهوا المتظاهرين بالسلاح والقنابل المسيلة للدموع ، وأصيب وجرح وقتل العديد من الأهالي ، كما استعدت القوات البريطانية لمواجهة الظروف الطارئة ، وحاولت القوات الأسبانية إجهاد هذه الانتفاضة والسيطرة على الموقف المتأزم ، عن طريق التفرقة بين شطري المغرب ، فأبلغت الخليفة بنيتها على إنشاء وزارات جديدة للمالية والزراعة والتعليم، بقصد دعم سياستها في وجه نفوذ الملك محمد الخامس المتزايد ، ولهذا ثارت الأحزاب السياسية لهذا التصرف الذي ينم عن تفرقة وتمزيق وحدة المغرب ، فأصدر حزب الإصلاح بياناً أكد فيه وحدة المغرب بمنطقتيها كما أكد فيه على إصراره على استقلال المغرب وعدم استعداد الحزب للدخول في هذه الوزارات .

وفي الوقت نفسه أصدر حزب الاستقلال بياناً تضمن نفس المعنى وأكد على تضامن واتحاد الوطنيين المغاربة في الشمال والجنوب في مطالبهما وحذر المواطنين من سياسة أسبانيا الخادعة<sup>(٢١)</sup> .

وكان أن حاولت السلطات الأسبانية اللجوء إلى القوة في مقاومة هذه الاضطرابات ، وشددت الرقابة على الصحف ، وأغلقت وأوقفت بعضها ، مثل صحيفة ( الوحدة المغربية ) ، وجريدة الحرية لسان حال حزب الإصلاح ، وفرضت غرامة مالية كبيرة على الحزب مع إنذاره بإيقاف نشاط الحزب كذلك أصدرت الإقامة العامة الأسبانية أوامرها بالتضييق على الوطنيين وأعضاء الأحزاب وزعمائها ، ومراقبة تحركاتهم وتفتيش منازلهم وحددت إقامة بعضهم ، خاصة بعد أن قدم حزب الإصلاح مذكرة إلى الأمانة العامة للأمم المتحدة يفضح فيها التجاوزات غير المشروعة للسلطات الأسبانية مفنديين فيها مظالمهم ومطالبين بإلغاء الحماية الأسبانية على المنطقة وإعلان الاستقلال لشرطي المغرب<sup>(٢٢)</sup> .

وإزاء كل هذه التطورات تأزم الموقف وأزداد سوءاً ، ولهذا أوفدت الهيئة العليا لحزب الاستقلال وفداً من أعضائه إلى باريس لتقديم مذكرة للحكومة الفرنسية تضمنت مسئولية فرنسا عما يحدث بالمنطقة الفرنسية من تجاوزات تقوم بها أسبانيا في المنطقة الخليفية ، لأنها هي التي تنازلت لأسبانيا عن هذه المنطقة دون إذن وموافقة سلطان مراكش ، وأنه ليست هناك أية اتفاقيات مبرمة بين أسبانيا وسلطان مراكش بهذا الشأن ، كما تضمنت ضرورة الاعتراف بالسيادة المغربية على طنجة وتوحيد المغرب بضم المنطقة الخليفية إلى المنطقة السلطانية تحت حكم الملك محمد الخامس<sup>(٢٣)</sup> .

واتفقت الحركة الوطنية فيما بينها في المنطقتين الخليفية والسلطانية على العمل المنظم والابتعاد عن استخدام العنف والقوة في مواجهة السلطات الفرنسية والأسبانية ، وبدأت هذه السلطات مراجعة وإعادة حساباتها واتخاذ كافة الاحتياطات لمواجهة أي موقف ، والعمل بطريقة جذرية ومدروسة لمواجهة الموقف الوطني ، كذلك عقد اجتماع سرى في مدريد بين المسؤولين في الإقامة العامة الأسبانية والمسؤولين الفرنسيين في المنطقة السلطانية وذلك لبحث الموقف المتأزم في المغرب . وبعد مناقشات ومداولات بين الحكومتين الفرنسية والأسبانية واستقر الرأي على تغيير الملك محمد الخامس<sup>(٢٤)</sup> .

وكانت هذه أول بادرة خطيرة تصدر من السلطات الاستعمارية بالمغرب بمنطقتيه للتحكم والسيطرة على الأمور ولهذا استمرت التظاهرات بتشجيع من الحركة الوطنية في العديد من المناطق المختلفة بالمغرب واتخذت أشكالاً مختلفة .

وكان عام ١٩٤٧ العام الحاسم بالنسبة للحركة الوطنية في المنطقتين الخليفية والسلطانية لبداية انطلاق الحركة الوطنية بمفهوم وأسلوب جديد ، أدى في النهاية وبعد سنوات قليلة إلى الاستقلال ووحدة مناطق المغرب المختلفة . وقد شهد ذلك العام أحداثاً بالغة الأهمية اعتبرت علامات بارزة على طريق تأكيد الشخصية المغربية القوية والإصرار على بلوغ الآمال ، مهما بلغت المصاعب ، فكان مؤتمر

المغرب العربي بالقاهرة في ١٥ فبراير ١٩٤٧ يمثل إصرار الحركة الوطنية المغربية على فضح الاستعمارين الأسباني والفرنسي بالمغرب في جميع أرجاء الوطن العربي ، والتصميم على طلب الاستقلال مهما كانت نتائج هذا الطلب<sup>(٢٥)</sup> .

### زيارة الملك محمد الخامس لطنجة وأثرها على الحركة الوطنية :

كانت زيارة الملك محمد الخامس لمنطقة طنجة ، البداية الحقيقية لموقف الملك محمد الخامس الصريح من تحيزه للحركة الوطنية المغربية ، ووقوفه بجانب شعبه في جهاده من أجل الاستقلال ، ولتأكيد سيادته وسيادة المملكة المغربية على المنطقة الخليفية ، حتى ولو كانت ترزح تحت الحماية الأسبانية ، وكذلك على منطقة طنجة حتى ولو كانت تتمتع بنظام دولى خاص<sup>(٢٦)</sup> .

وفي ٩ أبريل ١٩٤٧ بدأت زيارة الملك محمد الخامس لمدينة طنجة ، بعد أن اعترضت السلطات الفرنسية عليها ، واشترطت لإتمامها أن يصاحب الملك محمد الخامس المقيم العام الفرنسي ، لكي يقوم بالإشراف على هذه الزيارة من حيث تحديد مناطق الزيارة ونوعية الخطب التي يلقيها الملك ، وتحديد الأشخاص المزمع مقابلتهم ، لكن الملك رفض هذه القيود ، ووافق على أن يصاحبه المقيم العام دون تدخله في أى شئ ، وقد اهتم العالم كله بهذه الزيارة التاريخية ووصلت طنجة وفود الصحفيين من الدول المختلفة ، وكان الهدف من هذه الزيارة تأكيد سلطته وسيادته على مدينة طنجة على الرغم من أنها دولية الإدارة ولم يزرها أى سلطان مغربي منذ عام ١٨٨٩م<sup>(٢٧)</sup> .

وكان أن جاوزت آثار الزيارة الملكية لطنجة حدود المغرب ، وانتقل صداها إلى العالم الخارجى ، وكانت فرنسا أكثر الدول تأثراً بهذه الزيارة ، حيث اعتبرت هذا العمل الذى قام به الملك محمد الخامس بمثابة ثورة على الوجود الأجنبى كله فى المغرب أشعلها الملك من العاصمة السياسية لبلاده بحضور ممثلى الدول الأجنبية والصحافة العربية والعالمية ، ليعرف العالم كله أن المغرب قد حدد هويته

انتسابه ، فجعلها عربية إسلامية ، وحدد هوية مطالبه فجعلها الاستقلال ، وحدد وحدة ترابه ، وحدد هوية مستقبله السياسى ، فجعلها التعاون مع بلاد المشرق العربى فى بوتقة الجامعة العربية ، وحدد هوية خطته للمرحلة الجديدة فجعلها استقلالا ناجزًا يقود إلى الإصلاح بدلاً من أن تكون إصلاحًا يقود إلى استقلال فى بوتقة الاتحاد الفرنسى<sup>(٢٨)</sup> .

ومهما كانت ردود أفعال هذه الزيارة ، فقد أسفرت عن نتيجتين هامتين فى خلال عام ١٩٤٧ الأولى هى محاولة فرنسا نقل بطل المنطقة الخليفة عبد الكريم الخطابى إلى فرنسا لتحديد إقامته هناك ، وذلك فى إطار محاولتها التخفيف من ردود أفعال زيارة الملك محمد الخامس لطنجة ومناذاته بالوحدة المغربية التى أثارها كلمات الملك ضد فرنسا من جهة ، ومن جهة أخرى لمعاكسته بالإحياء له بوجود منافس على عرش المغرب .

والنتيجة الثانية لزيارة الملك لطنجة هى عزل المقيم العام الفرنسى لآبون وتعيين بدلاً منه ( جوان ) وذلك لغضب السلطات الفرنسية على الأول<sup>(٢٩)</sup> .

وكانت أول نتيجة لزيارة طنجة هى شبه العفو الذى أصدرته فرنسا عن عبد الكريم الخطابى الذى سبق أن حارب فرنسا وأسبانيا مجتمعين فى حرب الريف ١٩٢٠/١٩٢٦ ، وقد احتج وزير خارجية أسبانيا على هذا الإفراج دون استشارة أسبانيا بوصفها الدولة الحامية للمنطقة الخليفة<sup>(٣٠)</sup> .

وفعلًا اتخذت وزارة الخارجية الفرنسية الاستعداد لنقل الخطابى وأسرته وأتباعه إلى فرنسا ، لكنه خيب آمالهم والتجأ سياسيًا إلى القاهرة<sup>(٣١)</sup> . وترتب على هذا العمل آثاراً بعيدة المدى فى داخل المغرب نفسه ، وفى سائر دول الشمال الأفريقى<sup>(٣٢)</sup> ، إذ أحدث دهشة عظيمة فى الأوساط الفرنسية والصحافة الفرنسية التى اتهمت الحكومة الفرنسية بالإهمال والغفلة لمساهمتها بإفلات الزعيم المغربى

من السيطرة الفرنسية ، وأن الرأي العام الفرنسى يشعر بالخجل من الإهانة التى لحقت بفرنسا .

أما الحكومة الأسبانية فقد لزمت الصمت لأنها رأت أن مسألة نزول الخطابى فى مصر تهم فرنسا بصفة خاصة .

وهكذا أصبحت القاهرة مقراً لعدد من زعماء المغرب هم علال الفاسى وعبد الخالق الطريس والحبيب بورقيبة وعبد الكريم الخطابى ، وبذلك غدت من أهم المراكز للدعاية للقضية المغربية ، ومن القاهرة امتد نشاطهم إلى المغرب وبدأوا يخططون ويعدون ضد الأسبان فى المنطقة الخليفية ، وفرنسا فى المنطقة السلطانية، بل لقد امتد نشاطهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتم إفاد ممثل عن الحركة الوطنية المغربية بمنطقتها إلى الولايات المتحدة هو « المهدي بتونة » ممثلاً لهم هناك ، فقام بالأعمال الدعائية لوحدة المغرب والتتديد بفضائح الاستعمار الأسباني بالمنطقة الخليفية كما قام بتقديم مذكرة إلى السكرتير العام للأمم المتحدة باسم الحركة الاستقلالية المغربية ، تناول فيها تجاوزات فرنسا وأسبانيا فى المنطقتين<sup>(٣٣)</sup> .

وفور تقديم هذه المذكرة استدعى ( قائد بل آزار ) سفير أسبانيا فى واشنطن « المهدي بنوته » لمقابلته ، وذلك لأن السفير توقع تقديم مذكرة أخرى ، يقدمها أحزاب المنطقة الخليفية لتشرح سوء وتدهور الأوضاع فى المنطقة ، وهذا بالطبع يشكل ضرراً بالغاً بالمصالح الأسبانية أمام هيئة الأمم المتحدة ، ولهذا طلب السفير من المهدي إرجاء تقديم المذكرة المذكورة ، وتم الاتفاق بينهما على التغاضى عن تقديمها فى حالة تحقيق بعض المطالب الهامة من الدولة الحامية أسبانيا والتى تتمثل فى :

١ - تأييد قيام دولة مغربية مستقلة تضم مراكش الفرنسية وطنجة والمنطقة الخليفية الأسبانية ، على أن تعلن أسبانيا استقلال المنطقة الخليفية .



٢ - إعلان العفو العام عن جميع المنفيين والمعتقلين السياسيين .

٣ - الدخول فى محادثات مباشرة لتحقيق الاستقلال التام لبلاد المغرب . لكن السلطات الأسبانية رفضت هذه المطالب<sup>(٣٤)</sup> ، الأمر الذى ترتب عليه أن قدم « المهدي بنونه » المذكرة للجنة السياسية للأمم المتحدة ، يشرح فيها الأوضاع الاستعمارية السيئة والمتردية فى المنطقة الخليفية وطالب فيها بالاستقلال الكامل وتوحيد مناطق المغرب .

وهكذا كان نشاط زعماء المغرب فى المنطقتين الخليفية والسلطانية كبيراً فى الدوائر العربية والفرنسية والعالمية ، لتعريف تلك الحكومات والشعوب بالمشكلة المغربية والظلم الواقع على كاهل الشعب المغربى ، من جانب الأسبان والفرنسيين ، مما كان له الأثر الكبير بعد ذلك فى وقوف العالم بجانب القضية المغربية<sup>(٣٥)</sup> .

وفى يونيو ١٩٤٧ تم عزل ( لابون ) المقيم الفرنسى العام فى المنطقة السلطانية وتعيين ( جوان ) بدلاً منه . وكان هذا التعيين تحدياً سافراً من جانب فرنسا للوطنيين المغاربة ، وتسليماً من جهتها بمعالجة المسألة المغربية بالعنف والشدة نظراً لطبيعة شخصية ( جوان ) التى كانت تؤهله لهذا الأسلوب من التعامل . وكان أن بدأ الصراع السافر بين الملك محمد الخامس وجوان واستمر طيلة مدة عمله بالمغرب<sup>(٣٦)</sup> .

وفى خلال تلك الفترة تعددت أساليب مواجهة نمو الحركة الوطنية سواء من السلطات المخزنية ( الفرنسية ) أو الأسبانية ، وتمثلت فى إنشاء مجلس شورى فى المنطقة الخليفية لمواجهة أية اضطرابات من الممكن أن تحدث فيها نتيجة نمو الحركة الوطنية بصفة عامة ، وكان هذا المجلس يختص بدراسة كافة القضايا الخاصة بالمنطقة ويقدم المشورة للحكومة المخزونية ، كما حاولت السلطات الأسبانية إبعاد تأثير الثقافات المختلفة وخاصة المصرية منها ، وفرض الثقافة الأسبانية على شعب المنطقة إلا أن قادة الراى والفكر فى المنطقة تصدوا لهذه

الفكرة ، وقد استغل الوطنيون والزعماء المغاربة في المنطقة هذه المعارضة في إثارة الاضطرابات والبلبله بين الأهالى (٣٧) .

وكان لنمو الحركة الوطنية واليقظة القومية المغربية وعقد مؤتمر المغرب العربى فى القاهرة وزيارة الملك محمد الخامس لطنجة والتجاء الأمير عبد الكريم الخطابى سياسيًا للقاهرة كان لكل ذلك ، الأثر الكبير والحاسم فى تطور الكفاح المغربى ، ونقله من داخل المغرب إلى خارجه ، وإزاء كل هذه الأوضاع لم تجد الدولتان الحاميتان أسبانيا وفرنسا بدأ من استعمال العنف والشدة للسيطرة على المنطقتين ، فقامت أسبانيا بنشر جواسيسها فى أوساط الوطنيين ، وكانت تعتقل كل من يتصل بالقاهرة لوجود زعماء الحركة فيها أو بالزعماء المغاربة المقيمين فيها الذين يحرصون الأهالى بالمنطقة على الثورة أو المطالبة بالاستقلال ، كذلك ألغت الشرطة المغربية واستعانت بدلا منها بالأسبانية وخولت لها حق تفتيش المنازل دون قيد أو شرط ، كما أسندت حق الفصل فى قضايا الأمن إلى القضاء العسكرى الأسبانى (٣٨) .

ومن الواضح أن الإقامة العامة الأسبانية استهدفت من وراء إصدار هذه القرارات إقصاء الحكومة المخزنية وتحتيتها عن ممارسة سلطاتها فيما يتعلق بصيانة الأمن والاستقرار ، وذلك بعد أن أحجم موظفو الحكومة المخزنية عن تنفيذ كل ما يصدر إليهم من السلطات الأسبانية من أوامر تستهدف كبح جماح الحركة الوطنية المغربية والتكيل برجالها .

وقد ثار شعب المنطقة إزاء قرارات السلطات الأسبانية بالمنطقة ، وأضربت مدينة تطوان . وأيد الخليفة احتجاج الشعب وحدثت مصادمات بين الشعب والبوليس الأسبانى ، وساند الشعب حزب الإصلاح وأصدر بياناً يشجب فيه تصرفات البوليس الأسبانى ودعى الشعب لمقاومة هذه التصرفات، وطالب بإلغاء القرارات (٣٩) .

واتفق كل من الجنرال ( فاريل ) المقيم السامى الأسباني ، والجنرال (جوان) المقيم الفرنسى العام للعمل فى توحيد خطتهما فى المغرب لضرب الحركة الوطنية والعمل معًا للقضاء على الروح الوطنية التى انتشرت فى المغرب .

وعلى أثر هذه الأحداث اتخذت السلطات الأسبانية إجراءات أمن عنيفة فى مدينة تطوان ، وألقت القبض على جميع زعماء الحركة الوطنية وزعماء الأحزاب الوطنية ، واحتلت القوات الأسبانية مراكز هذه الهيئات . ثم حاصر الجيش الأسباني مدينة تطوان واحتل شوارعها وفق نظام حظر التجوال فيها ونصبت الأسلاك الشائكة فى مفترق الطرق<sup>(٤٠)</sup> .

وحدثت مصادمات واشتباكات عنيفة وقوية فى هذه الاضطرابات نتج عنها أعداد كبيرة من الجرحى والقتلى ، كما تم اعتقال الكثير من الأهالى ، وغصت سجون مدينة تطوان وسبته والمدن القريبة من تطوان بآلاف الأهالى، وطبقت السلطات الأسبانية الأحكام العسكرية بشكل لم يعرف له مثيل من قبل ، كذلك أغلقت جميع المدارس والمساجد وأصبحت المنازل محاطة بالجنود الأسبان المدججين بالسلاح لمنع تحركات الأهالى . وكان هدفهم من ذلك القضاء على الحركة الوطنية بأية وسيلة ، وكانت القوات الأسبانية تطلق النار بشكل عشوائى على أى فرد تشبه فيه فى الطرقات<sup>(٤١)</sup> .

وفى ١٣ فبراير ١٩٤٨ ، ألقت السلطات الأسبانية القبض على وفد من أعيان تطوان كان فى طريقة لمقابلة السلطان ، وتم نقلهم إلى السجن وهم مكبلين بالحديد .

وفى ٣٠ مارس ١٩٤٨ أرسل زعماء الأحزاب الوطنية فى المنطقتين – الخليفية والسلطانية – ببرقيات إلى هيئة الأمم المتحدة ووزارتى الخارجية الأسبانية والفرنسية ، طالبوا فيها بإلغاء المعاهدات التى نصت على وضع مراكش تحت حماية كل من أسبانيا وفرنسا<sup>(٤٢)</sup> .

واتبعت السلطات الأسبانية ابتداء من ١٥ إبريل أساليب التهئية . وبعد أن هدأت الثورة فى المنطقة حاولت السلطات الأسبانية التقارب مع الأهالى . وبالرغم من ذلك ظل التوتر قائماً بين الأهالى والأسبان وذلك يرجع إلى عدم الإفراج عن المعتقلين .

وفى يوليو ١٩٤٩ انفجرت الثورة مره أخرى فى المنطقة الخليفية ، وذلك نتيجة لما صرح به فرانكو لممثل لبنان ، وهو يقدم أوراق اعتماده كسفير فى أسبانيا، بأن منطقة شمال مراكش أى المنطقة الخليفية مناطق أسبانية ، ومعنى هذا التصريح أن المنطقة قد ضمت لأسبانيا .

وقد تجاوزت الاضطرابات فى المنطقة الخليفية كل ما كانت تتوقعه أسبانيا وخشية من تطورها لتشمل المغرب كله ، عملت أسبانيا على تهدئة الأوضاع بالتقارب إلى شعبها<sup>(٤٣)</sup> .

ولكن سرعان ما بدت بوادر أزمة أخرى ، وذلك فى خلال انعقاد الدورة العادية لمجلس الشورى فى شهر ديسمبر ١٩٥٠ ، ذلك أن الإدارة الفرنسية تعرضت لهجوم عنيف فى أثناء عرض الميزانية المغربية ، وكان هذا هو أول نقاش عنيف يحدث بهذا الشكل فى تاريخ المجلس ، مما حدا بالجنرال (جوان ) المقيم الفرنسى فى المنطقة السلطانية بأن يطلب من العضو (اليزيدى) المقرر العام للميزانية ، ورئيس الغرفة التجارية المغربية ، وعضو حزب الاستقلال ، الامتناع عن تلاوة بقية تقرير الميزانية . وكان ذلك عندما هاجم الإدارة الفرنسية فى المغرب واتهمها بالجور فى توزيعها للميزانية ، فطلب منه التوقف عند هذا الحد والامتناع عن إبداء مثل هذه الآراء فى المجلس ، وفى اليوم الثامن والتاسع من شهر ديسمبر ١٩٥٠ م ، عندما انتقد محمد الغزاوى بحدة وعنف السلطات الفرنسية، اعتبرها الجنرال جوان أهانه لفرنسا ، وطلب منه مغادرة المجلس فوراً ، وأنسحب الغزاوى من المجلس وأنسحب معه أحمد اليزيدى وتسعة أعضاء آخرين .

واستقبل الملك محمد الخامس الأعضاء المنسحبين في قصره ، ومن ثم أدركت الإقامة العامة أن الملك متضامن معهم ، ومصمم على خوض معركة الاستقلال حتى النهاية ، خاصة بعد أن تزايدت قوه الحركة الوطنية داخل وخارج المغرب ، وتوحدت الأحزاب الوطنية في كافة أرجاء المغرب العربي الكبير ، ووضع ميثاق عمل لها يوحد أهدافها ، وهو العمل على الاستقلال التام<sup>(٤٤)</sup> .

وعلى أثر هذا الموقف الذي اتخذته الملك صمم الجنرال جوان على خلع الملك محمد الخامس لأنه قد تأكد أن وجوده فيه خطر كبير على نظام الحماية، وأختار جوان ، الجلاوى - وهو باشا من مراكش مناوئ للحركة الوطنية لتنفيذ مخططه وهو أن يقوم الجلاوى بالتحرش بالملك ، وذلك أثناء الاحتفال بالمولد النبوى في القصر الملكى ، بإسداء النصيح للملك بالابتعاد عن حزب الاستقلال ، ولما رفض الملك الطريقة ، التى عامله بها وعدم ملائمة المكان ، أتهمه الجلاوى بأنه لم يعد سلطاناً للمغرب بل أصبح سلطان حزب الاستقلال الشيوعى الملحد ، فما كان من الملك إلا أن طرد الجلاوى من قصره أمام المدعوبين ، وبدأت الصراعات بينهما فقام الجلاوى بمهاجمة الملك وأهله بشتى الطرق الشرعية وغير الشرعية ، وخاصة فى الصحف داخل وخارج المغرب ، وأظهر تعاطفه مع السلطات الفرنسية بالمغرب وأشاد بالإصلاحات الفرنسية وسياستها الحكيمة بالمغرب ، محاولاً أن يظهر فى صورة المدافع عن الإسلام ضد الهجمة الشيوعية<sup>(٤٥)</sup> .

ولم يرض الشعب المغربى عن هذا الوضع وبدأ رجال حزب الاستقلال والأحزاب الأخرى يعبرون عن احتجاجهم لمسلك الجلاوى ضد سلطان البلاد ، وتحيزه للسلطات الفرنسية ، وفى يناير ١٩٥١م ، قامت مجموعة من أعضاء الحزب بحركة مفاجئة عمدوا فيها إلى منع الحكام المحليين من الذهاب إلى دار المقيم العام الفرنسى فى مدينة الرباط العاصمة بعد أن أغلقوا جميع الطرق المؤدية إلى الدار ، لمنعهم من تقديم التهانى إلى « جوان » المقيم العام الفرنسى .

وهكذا بدأت الأوضاع تتصاعد وتشتد توترًا من الجانب الفرنسي ، فقامت الإقامة العامة الفرنسية بتطويق القصر الملكي ومحاصرته بالجنود الفرنسيين لمنع أقطاب الأحزاب والحركة الوطنية من الرجوع إليه ، كما طلبت من بعض الفقهاء المتعاونين معها بإصدار فتوى شرعية بجواز استبدال الملك بآخر<sup>(٤٦)</sup> .

وفي ٢٦ يناير ١٩٥١م إلتقى الجنرال « جوان » مع الملك محمد الخامس وطالبه بالتخلي عن حزب الاستقلال وطرده أعضائه من القصر الملكي . وكذلك سلمه كشفًا يتضمن بعض أسماء من كبار الموظفين بالديوان الملكي لطردهم والاستغناء عنهم ، ولما رفض الملك هذه المطالب شددت الشرطة الحصار على القصر ومنعت دخول أو خروج أى فرد من القصر مهما كان وضعه فى الدولة ، كما كلف الجلاوى بالعمل على حث رؤساء القبائل على قبول مبدأ خلع الملك<sup>(٤٧)</sup> .

وتطورت الأوضاع بعد أن ساءت الأحوال ، فقامت قوات الجيش الفرنسي بتجريد قوات الحرس الملكي من سلاحه ، وأمر الجنرال جوان بأن ترحف قوات الجلاوى على العاصمة لخلع الملك عن العرش ، واتجهت النية إلى تنصيب النجل الثانى للملك وهو الأمير « عبد الله » الذى كان لا يزال قاصرًا ، على أن يكون الجلاوى باشا وصيًا على العرش ليعمل على تحقيق أطماع فرنسا فى المغرب .

وفى الأول من مارس بدأت الدبابات الفرنسية تجوب لأول مرة شوارع المنطقة التى يقع فيها قصر الملك ، وتم استبدال الحرس الخاص بالملك بقوات فرنسية لمراقبة تحركات الملك ، ثم حاصرت الدبابات الفرنسية منازل جميع أفراد الأسرة المالكة ، وزعماء الحركة الوطنية وأعضاء الأحزاب وفرضت نظام حظر التجوال ، بعد أن ألقى القبض على رموز الحركة الوطنية المغربية ، هذا بالإضافة إلى أن الجنرال « جوان » ألف حكومة جديدة وتولى بنفسه إصدار المراسيم الإدارية . وقد استتكرت المنطقة الخليفية بأحزابها وشعبها وخليفاتها أعمال العنف التى تنتهجها السلطات الفرنسية فى جنوب المنطقة السلطانية ، كما استتكرت جامعة

الدول العربية هذا التصرف المشين ، وطالبت فرنسا بإنهاء الحماية على المغرب ومنحه الاستقلال التام<sup>(٤٨)</sup> .

وفي ٢٨ أغسطس ١٩٥١م حل « جيوم » محل « جون » كمقيم عام فرنسي في المنطقة السلطانية ، ومع ذلك لم تتغير سياسة فرنسا تجاه الوطنيين واستمرت الخطوط العريضة للسياسة الفرنسية التي كانت تستهدف فرض سيطرتها ونفوذها على المغرب بمنطقتيه السلطانية والخليفية .

وفي الوقت نفسه استغلت أسبانيا تردى الأوضاع في المنطقة السلطانية وعملت على كسب ود الوطنيين في المنطقة الخليفية ، فقامت باتخاذ بعض الإجراءات المالية الهامة ، بهدف التغلب على آثار المجاعة التي حدثت بالبلاد فقامت بزيادة رواتب أفراد القوات المسلحة المخزنية في المنطقة الخليفية ، واعتماد ميزانية استثنائية لزيادة مرتبات الجنود المغربية ، ومنح علاوات ومكافآت مالية للعاملين بالدولة ، وإنشاء صندوق أعانه لموظفي المنطقة وتنظيم أعمال الشركات والمصانع ، والاهتمام بالشئون الصحية والتعليمية للمواطنين<sup>(٤٩)</sup> .

وابتداء من عام ١٩٥٢م ، حدث تطور كبير في السياسة الأسبانية حيث انتهجت أسبانيا سياسة جديدة قوامها دعم وتوطيد دعائم العلاقات الودية الشاملة مع المنطقة الخليفية ووضعت خطة دقيقة لتطور وتنمية هذه العلاقات تستهدف إحراز بعض المكاسب السياسية في المنطقة الخليفية وقد بدأت هذه الخطة بدعوة الجنرال « فرانكو » الخليفة « مولاى المهدى » لزيارته أسبانيا خلال شهر يناير ١٩٥٢م ، وذلك للتشاور في مستقبل العلاقات الأسبانية الخليفية بصفة خاصة ، والعلاقات الأسبانية العربية بصفة عامة وكانت الزيارة ودية للغاية ، وكل طرف تفهم الآخر ، واتفقا على بعض الأسس والمبادئ العامة التي تساعد على نمو وتحسن العلاقات بينهما على أسس واضحة وقوية<sup>(٥٠)</sup> .

ولم تقتصر محاولات أسبانيا على إقامة العلاقات الودية بينها وبين الخليفة فقط ، بل أنها حاولت إتباع هذا الأسلوب مع رجال الحركة الوطنية بالمنطقة ففي

مارس ١٩٥٢ سمحت لزعماء المنطقة المبعدين عنها بالعودة إليها ، وكانت النتيجة وصول الزعيم عبد الخالق الطريس زعيم حزب الإصلاح ومعه مجموعة من رفاقه إلى تطوان حيث استقبلهما الشعب استقبالا حافلا ، كذلك اجتمع الطريس مرات عديدة بالمقيم العام الأسباني وطالبه بالعفو العام عن جميع المعتقلين السياسيين ، وإلغاء الرقابة على الصحف ، وفتح المركز الرئيسى لحزب الإصلاح وفروعه ، وكان أن حققت السلطات الأسبانية المطالب التي طلبها منه الطريس ، وأطلقوا الحرية الكاملة للأحزاب، وصرحت بإصدار الصحف المعبرة عن وجهة نظرهما كما سمحت لها بعقد اجتماعاتها بحرية كاملة<sup>(٥١)</sup> .

وقد أثار تصرف أسبانيا هذا ، قلق فرنسا خوفا من أن تتعكس آثاره على المنطقة السلطانية الموضوعة تحت الحماية الفرنسية ، خاصة وأن السلطات الأسبانية بدأت في أواخر مارس ١٩٥٢م تعتنى بدراسة مشروع يكفل الحكم الذاتى بالمنطقة الخليفية .

والواقع أن حزب الإصلاح الوطنى وزعيمه عبد الخالق الطريس استطاع أن يسهم مساهمة فعالة في إثراء الحركة الوطنية في تلك الفترة ، مستغلا جو الحرية الذى أتاحت له السلطات الأسبانية ، فأنشأ جريدة الأمة<sup>(٥٢)</sup> التى كانت تطالب بالاستقلال ، كما قام بتعريف شعب المنطقة بحقوقه وواجباته ، وخاصة واجباته تجاه الدولة الحامية وهى أسبانيا<sup>(٥٣)</sup> ولم يقتصر اهتمام الجريدة على النواحي السياسية فقط لكنها اهتمت بمعالجة النواحي الاقتصادية والاجتماعية السيئة التى كانت تجتاح المنطقة الخليفية وحاول أن يجد لها الحلول التى ترضى المواطنين ، كما اهتمت بالنواحي الصحية والثقافية للأهالى<sup>(٥٤)</sup> .

أما فى المنطقة السلطانية فقد اندلعت المظاهرات ابتداء من ١٩٥٢م عندما قتل الزعيم التونسى فرحات حشاد<sup>(٥٥)</sup> فى ٥ ديسمبر ١٩٥٢م للقضاء على الحركة العمالية احتجاجا على تواطؤ السلطات الفرنسية فى عملية القتل ، مما أدى بالمقيم العام الفرنسى إلى إصدار الأحكام العرفية وحظر التجوال ليلا



ومنع الاجتماعات ، وأصبحت الدار البيضاء تطوقها الدبابات وقوات الجيش .  
وشاركت منطقة طنجة الدولية والمنطقة الخليفة والسلطانية في إضرابها  
ومظاهراتها احتجاجاً على مسلك السلطات الفرنسية بتونس<sup>(٥٦)</sup> .

ومرة أخرى تطورت الأحداث في المنطقة السلطانية وتم اعتقال ما يقرب من  
٣٠٠ فرد وقتل حوالي ٣٠٠ آخرين في خلال عدة أيام من مقتل الزعيم التونسي  
وعقدت المحاكم العسكرية لقادة زعماء حزب الاستقلال وتظاهر الآلاف من  
المواطنين في مدينتي مراكش والدار البيضاء واشتبكوا في صراع كان ضحيته  
العشرات من القتلى والجرحى وقد بلغ عدد المعتقلين في ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ حوالي  
٣٤ ألف معتقل من بينهم ٢٦٠٠ سيدة ، وتوفي منهم ٦٠٠ شخص . واستغل  
الفرنسيون هذه الاضطرابات وحاولوا الضغط على محمد الخامس للتوقيع على  
مراسيم تقوم على أساس إقرار السيادة المزدوجة بين الفرنسيين والمغاربة ، ولكن  
الملك رفض مثل هذه الأمور ، ولهذا قامت القوات الفرنسية بمحاصرة قصر الملك  
ومنعته من الاتصال بأي شخص حتى أفراد أسرته<sup>(٥٧)</sup> .

وفي ٢٠ أغسطس ١٩٥٣ قام جيوم مع مدير الأمن وقوة من الجيش الفرنسي  
بافتحام القصر الملكي وجردوا الحراس من سلاحهم وقبضوا على الملك ومن معه  
في القصر وتم نفيه إلى كورسيكا ، بعد أن رفض التوقيع على وثيقة تنازل عن  
العرش .

وبعد نفي الملك محمد الخامس ، وفي يوم ٢٢ أغسطس ١٩٥٣م وصل إلى  
الرباط العاصمة الملك الجديد « محمد بن عرفة » قائماً من مراكش يصحبه  
الجلال ، وفي ذلك اليوم اجتاحت المغرب موجة من السخط العارم ، خاصة بعد  
أن أذاع الملك الجديد بياناً أكد فيه صداقته الأبدية لفرنسا ، وأشاد فيه بفرنسا  
ووقوفها المشرف مع المغرب ، وعلى أثر هذا نشاط الفدائيون المغاربة  
وقاموا بنسف مستودعات الجيش الفرنسي ومبنى بلدية الرباط .

وفى ١١ سبتمبر ١٩٥٣ وصلت أعمال العنف ذروتها بمحاولة اغتيال الملك الجديد محمد بن عرفة ، أثناء خروجه من صلاة الجمعة ، ثم تصاعدت الأحداث والاضطرابات والأعمال الفدائية ضد الفرنسيين والأوربيين ، وزادت الحرائق فى المنشآت الفرنسية ، وتم تفجير محطة كهرباء الرباط وبعض سكك الحديد الفرنسية<sup>(٥٨)</sup> .

أما فى المنطقة الخليفة فلم يعترف بالملك محمد بن عرفة ، واستتكرت ما تقوم به السلطات الفرنسية ضد المغاربة ، كما طالبت جميع الأحزاب الأهلى بالوقوف صفاً واحداً ضد الفرنسيين ، وطالبوا بإعادة الملك محمد الخامس الملك الشرعى للبلاد ، وإعادة حقوقه الشرعية<sup>(٥٩)</sup> .

ومن ناحية أخرى فإن الحكومة الأسبانية استتكرت بشدة هذا العمل ورفضت الاعتراف بمحمد بن عرفة ، وفى ٢٥ سبتمبر ١٩٥٣ ، أعلن الجنرال « جارسيا بالينو » المقيم العام الأسباني فى المنطقة الخليفة مسئولية فرنسا الصريحة عن نفى الملك محمد الخامس ونصحها صراحة بتغيير سياستها الفاشلة فى المغرب ، وكان لهذا التصريح أثره الكبير فى الأوساط الفرنسية ، حيث حمل فرنسا أخطاءها فى مراكش ، ولم يقتصر رد الفعل على الوطنيين فى المنطقة الخليفة والدولة الحامية لها فقط بل عم السخط البلاد العربية كلها من المحيط إلى الخليج<sup>(٦٠)</sup> .

وفى يناير ١٩٥٤ تواترت الأنباء بأنه من المؤكد أن ينادى بخليفة المنطقة الخليفة وصياً على العرش ، وذلك فى اجتماع يدعى إليه العلماء والباشوات والوجهاء ورؤساء القبائل ، إلا أن وزارة الخارجية الفرنسية عارضت ذلك لتعارضه مع المعاهدات المعقودة بين فرنسا وأسبانيا ، وحذرت أسبانيا بأنها ستقاوم بجميع ما لديها من وسائل أية حركة تستهدف إخراج المنطقة الخليفة من دائرة السلطة التى يتمتع بها « محمد بن عرفة » سلطان المغرب الجديد ، وبذلك بدأت نذر الخلاف بين فرنسا وأسبانيا .

وفى ٢١ يناير ١٩٥٤م وفى مدينة تطوان عقدت اجتماع بين زعماء المنطقة الخليفية وذلك للاحتجاج على أعمال فرنسا فى المنطقة السلطانية ، وحضره من الجانب الأسباني الجنرال « أوليفر » حاكم مدينة سبتة العام ، وقائد قوات الطيران فى المغرب وحاكم المدينة العسكرية وشخصيات أسبانية عسكرية ومدنية كثيرة ، ومن الجانب المغربى حضره العديد من العلماء ورؤساء الأحزاب والقبائل . وفى هذا المؤتمر طالب المندوب السامى الأسباني الشعب المغربى بالتمسك بوحدته ضد جميع المؤامرات التى تحاك ضده ، ثم أعلن العفو عن جميع المسجونين المحكوم عليهم بمدة أقل من سنتين ، كما خفضت مدة السجن بالنسبة للمحكوم عليهم بمدد بين ثلاث وست سنوات إلى النصف<sup>(٦١)</sup> .

وفى هذا المؤتمر أعلن المجتمعون عدم الاعتراف بالسلطان الجديد محمد بن عرفه ، ووقع ٤٣٠ من الباشوات والقضاة ورجال الدين والعلماء ممن كانوا حاضرين المؤتمر ، ورفعت للجنرال فرانكو ، الذى أعلن ارتياحه بذلك وفى ١٣ فبراير ١٩٥٤ أعلن فرانكو رسمياً أن أسبانيا لا تعترف بالملك محمد بن عرفه فازدادت العلاقات سوءاً بينها وبين فرنسا .

وفى تلك الأثناء ازدادت أعمال العنف قوة وامتدت إلى كل ما يتعلق بفرنسا ، وفى شهر يوليو أقيمت قنبلة على حشد كبير من الأوربيين فى الدار البيضاء ، قتلت وجرحت منهم الآلاف ، بالرغم من الإجراءات التى فرضتها السلطات الفرنسية ، كما انتشرت عمليات الاغتيالات وعمت البلاد، ولتهدة الموقف ، أعلن المقيم العام الفرنسى أنه لا بد من عزل « بن عرفه » لرفضه من جميع الهيئات ومن الشعب المغربى ، وضرورة عودة محمد الخامس للبلاد<sup>(٦٢)</sup> .

ولاقى هذا الاقتراح قبولاً من الحكومة الفرنسية ، ولهذا أعلنت نقل الملك محمد الخامس هو وأسرتة من المنفى إلى فرنسا تمهيداً لعودته لبلاده ، لممارسة حقوقه المشروعة كملك للبلاد ، وعندئذ هدأت الأحوال والاضطرابات قليلاً فى المنطقة السلطانية ، ولقى هذا الإعلان ارتياح جميع فئات الشعب المغربى .

وهكذا اضطرت فرنسا للتراجع عن موقفها المتشدد في المغرب ، خاصة بعد اندلاع ثورات في الجزائر وتونس والكاميرون ، تطالب بطرد الفرنسيين من بلادهم<sup>(٦٣)</sup> .

وفي الوقت نفسه استمرت أسبانيا في سياسة التقارب والتعاطف والدفاع عن موقف المنطقة الخليفة تجاه سياسة فرنسا في المنطقة السلطانية ، وخاصة موضوع نفى الملك . وتطبيقاً لسياسة التقارب بين أسبانيا والمغاربة ، قررت أسبانيا إسناد بعض المناصب الإدارية إلى المغاربة لمشاركتهم في الحياة السياسية العامة ، فتولى عبد الله كنون منصب وزارة العدلية ، والعربي بن الحاج على اللوه منصب وزير للأوقاف الإسلامية ، وتعيين الشيخ محمد زريوح زعيم حزب المغرب في منصب وزير التربية والثقافة ، وقامت بإنشاء وزارة جديدة للشئون الاجتماعية تكون مهمتها حماية الطفولة والشيخوخة ونزلاء السجون ومقاومة الأمراض الخطيرة ومنح المعاشات للمحتاجين من أهل المنطقة .

كذلك أعلنت أسبانيا أنها سوف تشرك رؤساء الأحزاب في المنطقة في أعلى المناصب الحكومية وقبول هذا التعيين بتقدير كبير من الوطنيين ، في الوقت التي تقوم فيه فرنسا بأعمال عدائية ضد الأهالي في المنطقة السلطانية .

واستمر الثوار في مقاومتهم العنيدة والعنيفة للقوات الفرنسية حتى تمكنوا من الاستيلاء على مدن كاملة على حدود المنطقة الخليفة ، ولم تهدأ الثورة إلا بوصول الملك محمد الخامس في ١٦ نوفمبر ١٩٥٥ م ، ونظمت السلطات المخزنية مع السلطات الأسبانية الاحتفالات الكبيرة في العديد من مناطق المغرب<sup>(٦٤)</sup> .

وفي ١٢ ديسمبر ١٩٥٥ تآلفت أول حكومة مغربية في المنطقة السلطانية وفي نفس الوقت أعلن وزير خارجية أسبانيا ، أن أسبانيا تريد أن ترى عملية تحور المغرب واستقلالها وتوحيدها في دولة واحدة بدلاً من المنطقتين في أسرع وقت ممكن ، وترفض أن تدمج المنطقة الأسبانية (الخليفة) مع المنطقة السلطانية .

(الفرنسية) تحت سيطرة فرنسا أو الاتحاد الفرنسي ، وأنها تشترط دمج المنطقتين تحت رؤية المغرب المستقل ذي السيادة المستقلة .

وكان لهذا التصريح أطيّب الأثر بين الدوائر السياسية في المنطقة الخليفة وشكر الخليفة « الحسن بن المهدي » الجنرال فرانكو على إصداره مثل هذا التصريح ، ووصفه بأن فرانكو قد وضع الأسس السليمة لبلوغ الاستقلال بإصداره هذا التصريح ، كما وعد الحكومة الأسبانية بالتعاون الدائم معها في ظل وحدة الإمبراطورية المغربية تحت ظل السلطان « سيدى محمد الخامس » .

وبدأت المفاوضات بين السلطات المخزنية في المنطقة الخليفة والسلطات الأسبانية في المنطقة ، وتم الاتفاق على جميع المشروعات والوسائل الخاصة بعملية الدمج ، كما بدأت المفاوضات بين السلطات الأسبانية والفرنسية من جهة ، وبين الحكومة المغربية والسلطات الفرنسية من جهة أخرى على إجراءات إعلان الاستقلال المغربى بمنطقتيه السلطانية والخليفة<sup>(٦٥)</sup> .

وفي ٢ مارس ١٩٥٦م ، أعلنت الحكومة الفرنسية اعترافها علناً باستقلال المغرب وتمتعه بالسيادة الكاملة على أرضه ، وأن يتمتع بالحقوق التى تتيح له تكوين الجيش المغربى والسلك الدبلوماسى .

وفي ٧ إبريل ١٩٥٦م وقع وزير خارجية أسبانيا البرتومارتين ارتاخو ، فى مدريد والوزير الأول للمغرب « امبارك بكاي » على تصريح ينص على اعتراف أسبانيا باستقلال المنطقة الخليفة تحت زعامة الملك محمد الخامس وعلى تحديد العلاقة بين الدولتين فى المجالات المختلفة .

وبذلك استقلت المنطقة الخليفة ، واندمجت مع السلطانية ومنطقة طنجة الدولية فى دولة واحدة ، هى دولة المغرب ذات السيادة على جميع أراضيها ، وكانت لهذه المرحلة ( مرحلة الاستقلال ) أوضاعها الدولية داخلياً وخارجياً المتميزة وبها بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ البلاد<sup>(٦٦)</sup> .

## الهوامش

- (١) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٢٤٧ .
- (٢) عبد العظيم رمضان : الغزو الاستعماري للعالم العربى وحركات المقاومة ، مهرجان القراءة للجميع ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ١٩٩٩ ، ص ٣٦ .
- (٣) نفسه : ص ص ٣٨ - ٤٠ .
- (٤) نفسه : ص ص ١٧٣ - ١٨٨ .
- (٥) هى المنطقة الجنوبية من المغرب .
- (٦) هى المنطقة التى تقع على الساحل الشمالى والشمال الغربى من المملكة المغربية والليزان يطلان على البحر المتوسط والمحيط الأطلسى ، وقد أطلق هذا الاسم منذ عام ١٩١٢ على منطقة الحماية الأسبانية حتى إعلان الاستقلال فى عام ١٩٥٦ م .
- (٧) أحمد عطيه الله : القاموس السياسى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .
- (٨) جلال يحيى : المغرب الكبير ( العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ) جـ (٣) ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٦٢١ .
- (٩) وهم مواطنو الدول : البانيا ، المانيا ، بلجيكا ، بلغاريا ، الصين تشيكوسلوفاكيا ، الدانمرك ، ايسلنديا ، فنلندا ، فرنسا ، اليونان ، هولندا ، هنغاريا ، إيطاليا ، اليابان ، ليتوانيا ، لوكسمبورج ، الفروج ، بولندا ، رومانيا ، تايلاند ، يوغسلافيا .
- (١٠) لمزيد التفاصيل انظر :
- Boletin Oficial de la Zona le protector ado Saponal en Maruecos,  
Ano XXXII Num. B. P. 344.
- Le Monde, Paris. 3 / 7 / 1947. (١١)

Jelien, Charles Andre, L'Ariqne de Nord en Marche, Paris (١٢)

Réne Julliard, 1959, p. 353.

(١٣) روم لاندو : تاريخ المغرب فى القرن العشرين ، ترجمة الدكتور نيقولا زيادة ، مراجعة الدكتور أنيس فريخه ، المغرب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٣ ، ص ٣١٨ .

(١٤) حزب الاستقلال : المغرب الأقصى ، مراكش ، مكتب المستندات والأخبار القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٣٣ .

(١٥) عبد المجيد بن جلون : هذه مراكش ، ١٩٧١ م ، ص ٢٣٥ .

(١٦) بوجلاس أى، أشفورد : التطورات السياسية فى المملكة المغربية ص ١١١ .

(١٧) جريدة الوحدة المغربية : العدد ٤٥١ ، تطوان ، فى ١٠ يونيو ١٩٤٥ م .

(١٨) علال الفاسى : الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى ، لجنة الثقافة الوطنية لحزب الاستقلال ، مطبعة الرسالة ط ١ ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٣٧١ .

(١٩) نفسه ، ص ٣٧٢ .

(٢٠) خضعت مدينة طنجة لنظام دولى خاص وذلك بعد تقسيم فرنسا وأسبانيا للمغرب فيما بينهما عام ١٩١٢ ، ومن ثم لم يبق لملك المغرب سوى سيادة اسمية تتمثل فى وجود مندوب مخزنى ليس له حق البت فى قرار ما ، ولكن عليه التوقيع رسميًا على كل ما يعرض عليه من مشروعات ، وبعد انتصار الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية تم تدويل طنجة .

(٢١) علال الفاسى : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .

(٢٢) عبد الله العروى : تاريخ المغرب ، ترجمة ذوقان قرقوط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ١٢٠ .

Istiqlal Party Documents, Documentation and Information (٢٣)  
office of the Istiqlal Party ( English edition ) Paris, 1904, P.

(٢٤) جلال يحيى : المغرب الكبير فى الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٨٥ .

(٢٥) للمزيد انظر ، كمال محمد حسن على : المنطقة الخليفية بالمغرب ١٩٥٦/١٩٣٩ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية آداب سوهاج ، ١٩٨٣ م .

(٢٦) عبد الله العروى : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٢٧) حلمى محمد عشيّش : المغرب الأقصى كما رأيته ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ٢٥ .

(٢٨) أمين سعيد : ثورات العرب فى القرن العشرين ، دار الهلال القاهرة (د. ت) ص ٦٦ .

(٢٩) أحمد عسه : المعجزة المغربية ، ط ١ دار القلم للطباعة والنشر ببيروت ، ١٩٧٤ ، ص ص ٢٤٥ - ٢٤٨ .

(٣٠) جلال يحيى : عبد الكريم الخطابى ، سلسلة أعلام العرب ، القاهرة ١٩٦٨ م . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ص ١٢٢ .

(٣١) نفسه : ص ١٢٣ .

(٣٢) علال الفاسى : الحركات الاستقلالية ، المرجع السابق ، ص ص ٤٠١ - ٤٠٤ .

(٣٣) Istiqlal Party, Op. Cit, P. 46.

(٣٤) كمال حسن على : المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

(٣٥) حلمى محمد عشيّش : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٣٦) كمال حسن على : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

(٣٧) صلاح العقاد : المغرب العربى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٩ م ، ص ص ١٠٠ - ١٠٥ .

(٣٨) جلال يحيى : عبد الكريم الخطابى ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ .



- (٣٩) علال الفاسى : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .
- (٤٠) جريدة الأهرام : القاهرة ، ١١ فبراير ١٩٤٨ م .
- (٤١) جريدة تطوان : تطوان المغرب ، ١١ فبراير ١٩٤٨ م .
- (٤٢) كمال حسن على : المرجع السابق ، ص ٣٠٨ .
- (٤٣) جلال يحيى : المغرب الكبير فى الفترة المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ٨٨ .
- (٤٤) روم لاندو ، المرجع السابق ، ص ٣٤٦ .
- (٤٥) صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص ٤٠٦ .
- (٤٦) أحمد عسه : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .
- (٤٧) صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص ٤٠٩ .
- (٤٨) كمال حسن على : المرجع السابق ، ص ٣٥٢ .
- (٤٩) دوجلاس أى أشفورد : المرجع السابق ، ص ص ٨٤ - ٩٩ .
- (٥٠) كمال حسن على : المرجع السابق ، ص ص ٣٦٩ - ٤٠٥ .
- (٥١) حلمى محمد عشيش : المرجع السابق ، ص ٢٩ .
- (٥٢) صحيفة الأمة : العدد الأول ، تطوان ، المغرب ، أول مايو ١٩٥٢ م .
- (٥٣) صحيفة الأمة : العدد الرابع ، تطوان ، المغرب ، ٨ مايو ١٩٥٢ م .
- (٥٤) نفسه : العدد ( ٢٧ ) ، ٢٨ يوليو ١٩٥٢ م .
- (٥٥) أحمد عطيه الله : المرجع السابق ، ص ٨٥٧ .
- (٥٦) The Middle East Journal. Washington, U. S. A. Spring 53. N. 2. P. 203.
- (٥٧) جلال يحيى : المغرب الكبير ، الفترة المعاصرة ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .
- (٥٨) عبد المجيد بن جلون : المرجع السابق ، ص ٣٣ .
- (٥٩) جريدة الريف : تطوان ، المغرب ، ٢٥ أغسطس ١٩٥٣ م .
- (٦٠) دوجلاس أى أشفورد : المرجع السابق ، ص ٧٥ .
- (٦١) كمال حسن على : المرجع السابق ، ص ص ٤٥٥ - ٤٥٦ .

(٦٢) انظر تفاصيل أعمال العنف فى المنطقة السلطانية نتيجة نفي الملك محمد

الخامس ، انظر :

روم لاندو : المرجع السابق ، ص ص ٤١٠ - ٤٢٦ .

(٦٣) صلاح العقاد : المرجع السابق ، ص ٤١٥ .

(٦٤) روم لاندو : المرجع السابق : ص ٤٢٧ .

(٦٥) كمال حسن على : المرجع السابق ، ص ص ٤٨٩ - ٤٩٢ .

(٦٦) ما عدا المستعمرتين الأسبانييتين ، مدينتى سبتة ومليلة .



---

رقم الإيداع ٢٥٤٩/٢٠٠٠

---

---

**الزهاء كمبيو سنتر**

طباعة - نشر - إعلان

القاهرة - ت : ٢٩٦٠٦٦٧

